

هَدْيُ الْعُقُولِ إِلَى سَلَامَةِ الْأَمْوَالِ

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجبار الطائفي
المتوفى ١٠٤٠ هـ

تقديمه
أحمد بن عبد الله بن عبد الجبار الطائفي

طبعة الأولى

منشورات لجنة التحقيق والنشر التابعة للمرجعية الأحطافية

دار النشر: دار البعث

مكتبة

هَدْيُ الْعُقُولِ إِلَى سَجَائِدِ الْإِسْلَامِ

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجبار القطيفي
المتوفى ١٢٥٢ هـ

تحقيقه

أحمد عبد الله بن أبي المحسن فهد

المجلد ١

منشورات لجنة التحقيق والنشر
التابعة للمرجعية الأحقافية

دار المحجة البيضاء

مبعثات

<https://t.me/scatterings>



مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

الإهداء

لبقية الله في أرضه، وحجته على بريته، الإمام الثاني عشر، مُحَمَّد بن الحسن المنتظر، صاحب هذا الزمان والعصر، وعجل الله وسهّل مخرجه، وأظهر به دينه، صلى الله عليه وعلى آبائه المعصومين، أعظم صلواته وتسليماته، عدد ما في علم الله وما تبدو به شؤونه.
اللهم احفظه من جميع جهاته، وأنجز له ما وعدت في كتابك وعلى ألسن أنبيائك.

المؤلف

الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

تصدير

في عام ١٤٣١هـ حظيت بشرف زيارة الصديق الباحث في التراث نزار بن الحاج حسن آل عبد الجبار بمنزله العامر بالعوامية، ومكتبته المزدهرة، حيث دار بيننا حديث أنس وملاطفة عن العلاقات الوشيعة والأخوية بيننا وعن الثقافة والكتاب وهمومه، حتّى انتقل الكلام عن الإرث العلمي الذي خلفه لنا علماء المنطقة، وأن أغلبه لا يزال يقبع في مكتبات مظلمة وعلى رفوف مغبرة، وفي أماكن رطبة، إن لم تأكله الأرضة تمزق معظم ورقه، مع عدم نكراننا للدور والجهد الذي تبذله بعض المؤسسات العاملة في حقل التحقيق، أو على مستوى أفراد سعت مشكورة بالمساهمة بإحياء التراث العلمي الضخم وهو منتشر في مكتبات العالم ككلّ ونحن بحاجة إلى أيادي أكثر وجهد مضاعف في هذا الشأن، وساقنا الحديث بكل ألم لذكر أسماء علماء خدموا العالم الإسلامي بمؤلفاتهم، ذات المتانة والمضمون ومنهجاً شهد به الأعلام الكبار، وإننا نأمل طبعه ونشره حتى يتعرف العالم على أفكارهم النيرة وأنها مضيئة بنور محمد وآله، مثل: الشيخ محمد بن أبي جمهور (ت: بعد ٩٠١هـ)، الشيخ أحمد السبعي (ت: ٨٥٣هـ)، الشيخ ناصر الجارودي (ت: ١١٦٤هـ)، والشيخ محمد آل عبد الجبار، والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ) والشيخ أحمد بن صالح بن طوق، والشيخ عبد الله بن معتوق (ت: ١٣٦٢هـ) وآخرين، حتى ساقنا الكلام عن تراث الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي، شارح أصول الكافي، باسم: (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) وقد تكرم رجال شركة

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

دار المصطفى لإحياء التراث بطبع ما توفر لديها من مخطوط في تسعة مجلدات، وذلك عام ١٤٢٥هـ، وأن الأستاذ نزار قد تنامي إلى مسامع أذنه وجود بعض مجلدات الكتاب مخطوطة مع مجموعات أخرى في مكاتب القطيف الخاصة، وأنها محفوظة ومصانة، فبذل الوسع والطاقة ليقف عليها عياناً عندما تشرف بزيارة لمنزل المهتم بجمع التراث الحاج محمد علي بن الملا عبد المهدي الجشي، بمساعدة سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار - متعه الله بالصحة والسلامة وطول العمر - وقد استقبل الجشي الأستاذ نزار برحابة صدر، وفتح أبواب مكتبته له ووضع جميع ما يمتلكه من مخطوطات أمام تصرفه؛ لما رأى فيه من غيرة وحب لهذا التراث مع معرفة ودراية، وخبرة وتجربة في التعامل مع المخطوط والطريق إلى إحيائه ونشره بأسلوب علمي. وأثناء ما كان الأستاذ نزار يتحدث عن زيارته الموفقة لمكتبة الحاج محمد علي نهض وتوجه إلى أقرب رف ومدّ يده وحمل معه نسختين من المجلد الأول وناولني إياهما، وأنا في حالة ذهول وتعجب من التوفيق في هذه الزيارة لأسمع عن قصة الحصول على المجلد الأول من كتاب (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) مع القدرة على تصفح أوراقه وقراءة حروفه، فسّر خاطري، وأطلت النظر فيه، وأطلت التفكير بجمال محتواه. فأرجعته له وشكرته على نشاطه ودعوت له بالتوفيق والسداد وبالسعي أيضاً في تحقيقه وبالتالي نشره.

وبعد يومين، وأنا في الأحساء هاتفي الأستاذ نزار وكلمني عن المخطوط وأن لديه رغبة شديدة وملحة بأن يوكل موضوع تحقيق المخطوط إليّ!

وبقدر ما أسعدني طلبه وبث الروح فيني والنشاط بثقته، ساورني الخوف وترددت كثيراً لعظم المسؤولية، واستمهلت الموافقة؛ إلى حين القراءة والإمعان والاطلاع في المخطوط والنظر في الأجزاء المطبوعة من الكتاب؛ لمعرفة ما يمكنني تقديمه في كتاب يعد من أكبر الشروح وأهم ما صنف في شروح كتاب الكافي.

مبعثرات

فمع العناء والجهد الذي سيبذل في التحقيق يحدوني أمل وطموح أن أقدم عملاً أنيقاً ومقبولاً يكون متمماً للنسخ التي طبعت وأن يسد المساحة الفارغة للكتاب المطبوع.

فقضيت وقتاً طويلاً في التفكير في خطة عمل فيه مع مصاحبة مجموعة من العوائق والعراقيل اليومية، كانت كفيلة أن تحبط عزيمتي عن المضي فيه، حتى ارتأيت أن يكون عمل التحقيق مشتركاً مع أكثر من شخص - مكوناً فريق - لديهم نفس الطموح والاهتمام، وذلك لضخامة حجم الكتاب وتنوع مادته، إلا أنني لم أوفق في ذلك.

ولم يفتر الأستاذ نزار بالتواصل معي والاستفسار عن المخطوط وأنا أعلل وأبرر، وهو يسمع بكل رحابة صدر، إلى أن شرفني بزيارة في منزلي للحديث مباشرة وجهاً لوجه عن الشروع في العمل بالمخطوط، فبادرت بعدما تعهدت له بإنجازه في أقرب فرصة ممكنة، وتوكلت واستعنت بالله الواحد الأحد.

وهذا المجلد يحتوي على توطئة ومقدمات وشرح أربعة وثلاثين حديثاً من كتاب (العقل والجهل)، وكتب المؤلف التوطئة ليبين فيها أسباب ودواعي شرحه لكتاب (الكافي)، بعدما ذكر أن الكتاب جرى فيه إشكالات كثيرة من العلماء إلى أن جرى التأويل لكثير من أحاديثه على غير المراد منها، ورجا أن يكون شرحه شرحاً يفك مقفلة ويحل مشكلة، ويوضح دليلاً، ونسب أصل الإشكالات والشبهة والتحريف من رد كلام معدن العلم إلى كلام المتفلسفة أو أهل التصوف ومنحرفي الأديان، وإلا كلامهم عليهم السلام نور لا ظلمة فيه.

وأوضح أن جميع ما يذكره في شرح الأحاديث فهو على ما يفهمه من كلامهم عليهم السلام بما وهبه الله من العقل لا من رأي ولا تبعاً لكل ناعق، وقد تكلم في أول كل باب من أبواب كتاب الكافي بما تضمنه العنوان من

مبعثرات

الحكم. وأسقط نقل خطبة الكتاب استعجالاً - كما ذكر - ولتضمن الشرح بيان ما تضمنته من الأحاديث، مع تقديم لمقدمات قبل الشروع في شرح الأحاديث، وبها يتضح المقصود في الشروح.

فها أنا أقدم للقراء الكرام المجلّد الأوّل من الموسوعة الكبيرة والثقيلة في مادتها ومحتواها (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) إكباراً وإجلالاً لمقام المؤلف السامي الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار، وعرفاناً منّي له لما قدّمه في حياته للعالم الإسلامي من خدمات لا تزال آثارها شعلة وشمعة تضيء في قلوب من أراد أن يشرب من عين صافيه لا يشوبها كدر، فله حقّ في ذمتي يجب الوفاء به، وهذا العمل أحدها، وتخليداً وحفاظاً على هذا الأثر النفيس.

ومن الواجب عليّ أن أقدر - في نهاية التصدير - الجهد المشكور الذي بذله الباحث في التراث الأستاذ نزار بن حسن آل عبد الجبار في وقفته الصادقة معي وما منحني إياه من ثقة بالمضي في العمل في هذا المخطوط، ودعمه وتشجيعه إياي سواء كان بالاتصال عبر الهاتف أو بزيارته لي في منزلي من أجل متابعة إنجاز العمل، وتسهيل العوائق التي صادفتني، والشكر موصول للباحث الأستاذ عبد الله بن علي الرستم الذي عانى مشكوراً مع ظروف عمله وضغط جدولته اليومي بمراجعة العمل وتدقيقه، كما أشكر كل من ساعدني بقراءة ما صعب عليّ قراءته من مفردات وعبارات واجهتني أثناء القراءة والعمل في المخطوط، وتوضيح وفك عبارات كانت ألفاظها مغلقة عليّ، أو من أمدني بمصدر استعنت به في إنجاز هذا العمل، ومنهم: الباحث سماحة الشيخ محمد بن علي الحرز، والمحقق سماحة الشيخ أحمد بن عبد الوهاب البوشفيق، وآخرين كثر يستحقون الشكر.

كما أشكر اليد البيضاء، سليل الأسرة العلمية، والدوحة المعطاء، سماحة الحكيم الإلهي، آية الله المعظم، الميرزا عبد الله بن المرحوم

مبعثرات

الميرزا عبد الرسول الإحقاقي الأسكوئي - متعه الله بالصحة والسلامة -
الذي تكفل بطباعة هذا الكتاب على نفقته الخاصة.

ومع كل ما بذلته من جهد إلا أن ذلك لا يسوغ لي الادعاء بالكمال،
وأن عملي يخلو من نقائص، وهذا شيء طبيعي لم تسلم منه المشاريع
الثقافية، ومن هنا أرحب بما سيكتبه المحققون والنقاد والمهتمون الغياري
من ملاحظات ونقد بناء، وسألتقى كلام الجميع - إن شاء الله - برحابة صدر
مع شكري وتقديري لكل ما سيقوله ولو مشافهةً. وأسأل الله تعالى أن يوفقني
لكل خير، وأن يسدد خطاي، ويجري قلمي فيما ينفع الناس.

أحمد عبد الهادي المحمد صالح

١٤٤٠/٢/١٥ هـ

Ahmed.ab.hadi@gmail.com

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

حياة المؤلف

اسمه :

الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عبد الجبار القطيفي.

أسرة آل عبد الجبار :

أسرة آل عبد الجبار من الأسر العلمية الكبيرة في المنطقة، وتعود أصولها إلى البحرين من (سماهيج)^(١)، ومن قديم الزمان سكنوا القطيف، وخرج منهم علماء فضلاء كثيرون، أصحاب مصنفات وفتاوى^(٢).

وقد تخرج منهم عدد كبير من العلماء العاملين، والذين تصدوا للدفاع عن الدين والإسلام، وساهموا في تطوير الفكر الإسلامي بتأليفاتهم الرصينة، فرحمهم الله رحمة الأبرار.

وفي عدد علمائها ذكر الأستاذ سالم النويدري في كتابه القيم (أسر البحرين العلمية)^(٣) : ١٥ شخصية علمية من هذه الأسرة ابتداء من نهاية

(١) المعروف والمتناقل عن الشيخ علي البلادي في (أنوار البدرين) أن الأسرة من قرية (سار)، حتى صدر كتاب الباحث الأستاذ نزار بن حسن آل عبد الجبار (الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي) وذكر أنهم من (سماهيج)، وفيه تفاصيل ذلك في صفحة ١٦ من الكتاب المذكور فراجع.

(٢) أنوار البدرين : ١٦١/٢.

(٣) أسر البحرين العلمية : ١١٥ - ١١٨.

مبعثرات

القرن الثاني عشر، بشخصية الشيخ محمد بن عبد الجبار الكبير إلى حدود منتصف القرن الرابع عشر، بوفاة الشيخ محمد حسين بن حسين آل عبد الجبار القطيفي بتاريخ ١٣٨١هـ.

وبلغ بهم الباحث الأستاذ نزار بن حسن آل عبد الجبار في كتابه (الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي) أكثر من ٢٦ علم من أعلامها الفضلاء. وتتميماً للمادة نعرض أهم وأشهر أعلام هذه الأسرة الجليلة على النحو التالي:

الشيخ عبد علي بن محمد^(١):

وُصف في (منتظم الدرين): (بالعالم العامل، الحبر الفاضل النحرير الكامل الشيخ عبد علي).

وفي (تاريخ البحرين): (أحد الأئمة وفاضل الأمة، جمع بين المعقول والمنقول الحاوي بين الفروع والأصول، وكان معاصراً مع جدنا الشيخ حسين [العصفور] العلامة ومجاز عنه).

أخذ عن كل من الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ومجاز منه، وكان معاصراً للشيخ حسين آل عصفور المتوفى عام ١٢١٦هـ، ومجازاً منه. ويقال إن الشيخ أحمد الأحسائي أخذ عنه بعض العلوم الآلية.

له من المؤلفات: كتاب في الفقه: لم يكمل، ورسالة في حرمة الظن، ورسالة في جواز تقليد الموتى، وكتاب التكملة في الحكمة، وكتاب في معاني العرش، وكتاب في الأسماء الحسنى. توفي سنة ١٢١٨هـ، وقيل سنة ١٢٣٠هـ.

(١) راجع أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٢٢٨.

مترجمنا :

الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي.

عمّه الشيخ عبد الجبار بن محمد^(١) :

الشيخ عبد الجبار بن محمد بن أحمد. عالم من الفقهاء. من أساتذته الشيخ خلف بن الحاج عسكر الحائري (ت: ١٢٤٦هـ).

خاله الشيخ محمد الكبير :

الشيخ محمد (الكبير) بن حسين بن أحمد بن علي آل عبد الجبار. يطلق عليه الكبير لتمييزه عن مترجمنا ابن أخته. وقد وصفه مؤلف (أنوار البدرين) بـ: (العالم الفاضل، الزاهد العابد، رفيع المقدار، ومعروف بالزهد والعلم). من مصنفاته: أبيات في الفرق بين الكل والكلي. وقد نقل عنه مؤلف هذا الكتاب (هدي العقول) كثير من الفتاوي. والشيخ محمد هذا كان حياً سنة ١٢٠٧هـ فوفاته بعد هذا التاريخ.

الشيخ علي بن أحمد بن حسين^(٢) :

ابن أخ الشيخ محمد الكبير. كان عالماً فاضلاً، حكيماً فيلسوفاً، شاعراً أديباً، محققاً متتبعاً. توفي بعدما ناف على الثمانين سنة ١٢٨٧هـ. من مؤلفاته: منظومة كبيرة في التوحيد، منظومة في تعداد سور القرآن المجيد وبعض أحكام القراءة والتجويد، ورسالة في الأصول الخمسة مبسطة، ورسالة في تحقيق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ورسالة في عدم وجوب كون أجداد المعصوم لأمه مسلمين.

(١) راجع: الذريعة: ١٧١/١. طبقات أعلام الشيعة: ٥٠٢/١١.

(٢) أنوار البدرين: ١٦٧/٢.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

الشيخ سليمان بن أحمد^(١):

أخ الشيخ علي المذكور، وكان من العلماء الأبرار الكبار، والفقهاء الأخيار، وهو على غاية من الإنصاف ومحاسن الأوصاف، من أساتذته الشيخ مبارك آل حميدان (ت: ١٢٣٤هـ)، والمحقق الشيخ محمد [الكبير] آل عبد الجبار، انتقل من القطيف وسكن مسقط، قلده كثير من أهل البحرين وأهل عمان، توفي سنة ١٢٦٦هـ، وقد صنف وألف، ووصف تأليفه بالبسط والتحقيق، منها: النجوم الزاهرة في أحكام العترة الطاهرة، والأنوار المشرقية في شرح اللمعة الدمشقية، وإرشاد البشر في شرح الباب الحادي عشر.

أساتذة الشيخ محمد آل عبد الجبار:

١ - والده الحجة المقدس الشيخ عبد علي بن الشيخ محمد بن عبد الجبار.

٢ - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ).

٣ - خاله الشيخ محمد بن عبد الجبار، الملقب بالكبير.

٤ - الشيخ مبارك بن علي بن عبد الله بن ناصر بن حميدان الجارودي (ت: ١٢٣٤هـ)^(٢).

٥ - العلامة الشيخ حسين العصفور (ت: ١٢١٦هـ).

٦ - الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني.

(١) أنوار البدرين: ١٧٢/٢.

(٢) الذريعة: ٢١/٢٥ و ٢١/٢٥ برقم (١١٤٠).

مشائخه في الرواية:

يروى شيخنا المترجم له عن جماعة من كبار أعلام عصره، ذكرهم في إجازته للشيخ محمد الطبسي، وهم:

١ - الشيخ محمد بن عبد الجبار (الكبير).

٢ - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

٣ - الشيخ حسين العصفور.

تلامذته:

لا شك أن علماً بقامة الشيخ محمد آل عبد الجبار تتسابق طلبة العلوم نحو منبره لتحظى بشرف التلمذ والاستفادة من علمه، وإن لم يسجل أصحاب السير والتراجم إلا النزر البسيط، لا يناسب مقامه العلمي، وخير برهان على ما ذكرت، مقدمة ما كتبه في جواب سؤال معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)، عندما قال: (فقد سأل بعض الطلبة الراغبين في يزد)، وهذا دليل أن لديه طلبة من يزد، وأيضاً ما أشار له العلامة آغا بزرك الطهراني في ترجمة تلميذة الشيخ أحمد السرخهي، بأنه دون رسائل أستاذه في مجموع كبير، كتبه في سوق الشيوخ في عام ١٢٣٢هـ أيام اشتغاله على شيخه، هذه دلالة على أن للشيخ اهتمام وأولوية بالدرس والتدريس. ومع هذا وإن لم نقف على أسماء كل طلبته في هذا الوقت رصدت هنا ما عرف من طلبته بقدر المستطاع، وهم على النحو التالي:

١ - الشيخ أحمد بن صالح بن سالم بن طوق القطيفي (ت: ١٢٤٨هـ)^(١).

(١) أنوار البدرين: ١٦٤/٢.

٢ - الشيخ أحمد بن محمد السرخه^(١) (السرخي). وله إجازة من المترجم له^(٢).

٣ - ابنه الشيخ أحمد.

٤ - الشيخ حسن بن سلطان بن علي بن محمد بن خليفة الأحسائي (توفي بعد: ١٢٥٠هـ)^(٣).

٥ - ابنه الشيخ حسن.

٦ - السيد عبد الرؤوف الجد حفصي البحراني، وقد ذكره الشيخ في مقدمة كتاب (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) بأنه أشار عليه بكتابة شرح لأصول الكافي أثناء الدرس.

٧ - ابنه الشيخ عبد الله.

٨ - ابنه الشيخ علي.

٩ - الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين (ت: ١٣١٦هـ)^(٤).

١٠ - الشيخ محمد بن الشيخ حسين الفارساني البحراني، وهو الشخصية الثانية في مقدمة كتاب (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) ممن أشار على المصنف بتأليف هذا الكتاب.

١١ - الشيخ محمد بن حسين بن خلف بن سلمان الخطي البحراني (المتوفى بعد: ١٢٤٨هـ)^(٥).

١٢ - الشيخ محمد علي بن الشيخ مسعود الجشي، وهو ابن أخت الشيخ

(١) طبقات أعلام الشيعة: ١١٠/١٠ برقم (٢١٧)، الذريعة: ١٩٢/٢.

(٢) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٦/١.

(٣) أعلام الأحساء: ٢٠٥.

(٤) مفاتيح الأنوار: ٢١٨/١ و ٢٦٠.

(٥) الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٢٨.

محمّد. وقد وقفت على فائدة له على ظهر ورقة مخطوط يذكر فيها أنه خاله، قائلاً: (بسم الله. وجدت مكتوباً على ظهر كتاب بخط العلامة الأوحّد خالي، الشيخ محمد ابن المرحوم الشيخ عبد علي آل عبد الجبار ما صورته: بسم الله. عن العسكري عليه السلام: إذا أردت أن تعرف شهر رمضان أي يوم من الأسبوع، فاعرف هلال المحرم، فإن كان بالأحد فخذ واحداً والاثنين اثنين، وهكذا بزيادة واحد وزد على العدد اثني عشر واطرحه سبعة سبعة، مبتدأ بالأحد فيما ينتهي إليه فهو الهلال - والله أعلم - لمعرفة غرة الشهر خذ حرف الشهر وحرف السنة وضمّ له خمسة، واحسب من الجمعة وما ينتهي إليه هو غرة الشهر. هذا صورة ما وجدته بخطه - تغمده الله برحمته -.

١٣ - السيد مكّي بن السيد علي بن السيد هاشم الموسوي الخطي (ت: ١٢٧٠هـ).

١٤ - الشيخ يحيى بن عبد العزيز بن محمد علي البحراني^(١)، وقد نسخ مجموع من مؤلفات الشيخ الأستاذ المترجم سنة ١٢٣٤هـ، مصرحاً في عدة مواضع منها بأنه شيخه وأستاذه، داعياً له بدام ظله أو دام علينا فوائده، وأمثال ذلك^(٢).

ويروي عن مترجمنا إجازة الأخوند ملا محمد بن حمزة الطيّبي^(٣).

أقوال العلماء فيه:

ذكره السيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي عندما اختاره حكماً للمحاكمة بينه وبين علماء النجف، بمواصفات العلماء الأعلام، قائلاً: (الشيخ العالم

(١) الذريعة: ٢٥/٢١، الخلسة المملوكية: ١٣.

(٢) الذريعة: ١٢٧/٥ برقم (٧٧٤).

(٣) سيأتي ذكر الإجازة ضمن مؤلفاته.

الممجد، المؤيد المسدد، مولانا الشيخ محمد آل عبد الجبار، كان عالماً فاضلاً، فقيهاً مجتهداً، حكيماً متتبِعاً، متديناً متواضعاً، منصفاً، كثير التصانيف وجيد التأليف، له كتب ورسائل وأجوبة المسائل^(١).

وقال تلميذه الشيخ أحمد بن صالح آل طوق في مقدمة (مختصر الرسالة العملية): (كتاب أستاذي الأعظم، رب المعقول، ورئيس المنقول، حاكم الرواية، ومعلم الدراية)^(٢).

وفي كتاب (الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر): (هو عالم فاضل، حكيم أصولي)^(٣).

ووصِفَ في (أنوار البدرين) بـ (العلامة المحقق النحرير، الفهامة المدقق، الأمجد... وكان هذا الشيخ... عالم فاضل حكيم أصولي).

وأيضاً قال الشيخ علي البلادي: (من أساطين علماء الإمامية وأكابر فقهاء الشيعة الحقية، أيدهم رب البرية في الإحاطة بالعلوم والمعارف والجامعية لأنواع المكارم واللطائف).

- وفي (مرآة الشرق): (من أكابر فقهاء وقته وأجلة علماء عهده، فاضلاً بارعاً، جامعاً لأنواع الفنون، حسن القريحة، دقيق النظر، ثاقب الفكر، وسيع الاطلاع، كثير التتبع، حسن الضبط، وكان جليل المقام، عظيم الشأن في العامة، وجيهاً ورعاً، تقياً، ثقة... إلى أن قال: ومورد الاعتماد والاعتناء عند علماء عصره في العلم والدين، يقرون له بالفضل وسعة الاطلاع والورع والتقوى)^(٤).

- وللشيخ فرج العمران في أزهاره كلمة أيضاً: (هو العلامة العلم،

(١) دليل المتحيرين: ٩٧.

(٢) مقدمة هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١، ضمن مؤلفات الشيخ محمد برقم (١٠).

(٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧.

(٤) مرآة الشرق: ١١٣٩/٢.

المجتهد الأكبر، الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي ابن الشيخ محمد بن أحمد بن علي بن عبد الجبار، من علماء القرن الثالث عشر^(١).

والشيخ حلمي السنان وصف غزارة علم الشيخ بأنه: (قد اغترف من كل علم ما شاء الله له ذلك، ونهل من كل فضل ما وسع الزمان له منه، فإنك لا تعدم أن تجد له رأياً في كل مسألة يكتبها، فقد كان ذا جرأة علمية كبيرة ومؤلفاته تشهد على ذلك)^(٢).

وفي (معجم طبقات المتكلمين): من أجلاء فقهاء الإمامية وكبار علمائهم... وحاز ملكة الاجتهاد، وتمكّن من شتى العلوم والمعارف الإسلامية. ودرّس وأفاد وألّف^(٣).

ترشيحه للمحاكمة:

عندما اشتعلت الفتنة عند علماء النجف عام ١٢٥٠هـ بتتبع كلمات السيد كاظم الرشتي (ت: ١٢٥٩هـ) وادعوا عليه، ونسبوا فيه ما ليس فيه، وطالبوا الاجتماع مع السيد، طلب السيد أن يجعلوا حكماً بينه وبينهم، فكان في تلك السنة زار جماعة كثيرة من علماء البحرين والأحساء والجزائر النجف الأشرف لأجل يوم الغدير.

فرشح للحكم بينهما جماعة من العلماء، وكان على رأسهم الشيخ محمد آل عبد الجبار، والسيد حسين بن السيد عبد القهار البحراني، نزيل البصرة، والشيخ أحمد بن الشيخ خلف آل عصفور...

وقال السيد في حقهم: معروفون ثقات، متدينون، يقولون حقاً، ويتكلمون صدقاً... فأبوا الحكم، وأبوا أن يجعلوا أولئك الأعلام...

(١) الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٣.

(٢) الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب: ٣٢.

(٣) معجم طبقات المتكلمين: ١١٨/٥.

ولما لم تتم المحاكمة، ألف - المترجم له - رسالة في توضيح الجواب، وبيان الصواب من كلا الرأيين، قال في أولها: (ولما انتشر هذا الخلاف، وظهر في الآفاق، حتى أوجب تليساً على الجهال، وتشكيكاً في مجملات المذهب، أوجبْتُ على نفسي القيام لنصرة الحق فهو أولى، وأحق لله وفي الله... إلى أن قال: ولست من أتباع أحد الفريقين بل خارج عن الجميع، وسمعنا أنهم طلبوا من السيد كاظم في عام الخمسين المناظرة، فأجابهم بشرط الرجوع إلى حكم خارج عن الفريقين، وملتزم بحكمه أو يكتب كل منا ما عنده ونرسل الجميع إلى عالم في الآفاق نرتضي به وملتزم بحكمه... إلى أن قال: فأبى أهل النجف جميع ذلك...

وكان قبل هذه الكلمات بقليل صرح بمظلومية السيد كاظم مما ألصق به حيث يقول: ولقد آل الأمر منهم إلى نسبة أقوال السيد للسيد لا يقول بها، ويتبرأ منها في المجالس العامة والخاصة، يُشبهون بذلك على الجهال، كالقول: بالتفويض إليهم ﷺ وأنه يقول: باستقلالهم ﷺ، ونحو ذلك مما هو برئ منه، ولا سمعنا إلا خلافه... وليس ذلك بأول قارورة كسرت في الإسلام.

ولم يكتف الشيخ المترجم له بهذه الرسالة بل كتب في الرد والدفاع رسالة أخرى بعدها اسمها (منبع الأسرار وسيف الله على الأشرار) وقد أشار في المقدمة أنه كتب ناصراً للحق بمقتضى المذهب بعدما قال: (فقد حدث في هذه الأزمان أقوال منكورة في العراق في جانب الله وحججه، بإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وكانوا بها أئمة وحججاً له، وأثبتوا فيها النقائص في الجانب العلمي، وهي إشارة منه ﷺ إن الكتاب نصرة للمذهب وليس لشخص أو فرقة، وإنه ألف في هذا المضممار ما يرد عليها من مختصرات ومطوولات كالبارقة، والتحفة، والشهاب، وأن هذه المؤلفات تجمعها صفة واحدة إثباتاً ونفيًا.

ويرى أن هذا الكتب زيادة الانتصار وكمال... فرحم الله الشيخ محمد آل عبد الجبار وعلماء آل محمد.

مبعثرات

وفاته :

انتقل ﷺ إلى جوار ربه في بلدة (سوق الشيوخ) جنوبي (العراق) في سفره سنة ١٢٥٢هـ، في اليوم الرابع من شهر جمادى الأولى^(١)، أثناء رجوعه بعدما تشرفه بزيارة العتبات المقدسة، وكان فيها جماعة من مقلديه، فأوصاهم أن يدفنه فيها ولا ينقلوه إلى الديار المقدسة، ولكنهم لم تطب نفوسهم بدفنه هناك، فنقلوه إلى (النجف الأشرف) ودفن بجوار أمير المؤمنين ﷺ.

مؤلفاته :

الشيخ محمد آل عبد الجبار مؤلف خصب الفكر، يانع الذهن، تتسم مؤلفاته بعمق وأناقة، لا يلج فيها إلا أرباب العلم، ممن تثنى لهم الوسادة، ومؤلفاته التي تربوا على المنة دلالة على مقامه العالي، وأنه موضع جواب لسؤال ما استصعب على أرباب العلم، فزكاة العلم تعليمه، فتنوعت مؤلفاته ورسائله بين تفسير للآيات القرآنية، وشرح للأحاديث النبوية، وكشف وتوضيح مبهمات ما اشتبه على البعض في علم الكلام، ورد زيغ المتفلسفين والمتصوفة فيما توصلوا له من أفكار وما يتعارض مع مبدأ الشارع، وكتابة أجوبة في المسائل المبتلى بها المكلف. هذه دائرة بحوثه وكتاباته وما صنف فيه.

فقدت بعمل بيليوغرافي على ضوء ما نشر في الكتب التي عنت بمؤلفاته، علماً أن الباحث نزار آل عبد الجبار عمل كتاب (الشيخ محمد آل

(١) أول من نص على هذا التاريخ هو الأستاذ نزار آل عبد الجبار في (مجلة الواحة، العدد (٥٠: ٩٥)، وفي كتابه (الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٣٢)، وإنه شاهد في الأحساء مجموعاً خطياً لدى الشيخ أحمد بن محمد البراهيم بخط آل خليفة، يتضمن على بعض مؤلفات الشيخ محمد آل عبد الجبار وبعض رسائل الشيخ حسن الدمستاني، وقد كتب على الصفحة الأولى منه، هذه العبارة: (تاريخ موت الشيخ محمد آل عبد الجبار يوم الرابع من شهر جمادى الأولى، سنة ١٢٥٢هـ الثانية والخمسين ومئتين وألف).

عبد الجبار القطيفي وثق فيه ببليوجرافي بآثاره المخطوطة والمطبوعة^(١) وتمكن من رصد (١٢٨) من مؤلفاته، وقد جمعتها هنا ورتبتها على حروف المعجم على النحو التالي:

١ - الاعتقادات أو واجب الاعتقاد: في مقدمة ومسائل وخاتمة، أوله: (الحمد لله الظاهر لعباده بما بطن، والباطن بما أعلن، والصلاة على محمد وآله صلاة لا تنتهي لحد، ولا تبلغ لأمد)^(٢).

٢ - رسالة في الإجماع السكوتي: أولها: (الحمد لله رب العالمين) في أصول الفقه، حكى فيها تسعة أقوال للعامة وكلام المحقق القمي والسيد المقدس الأعرجي^(٣).

٣ - الأربعون حديثاً: في مجلدين، عبارة عن أحاديث منتخبة محذوفة الأسانيد، وهي مشروحة بتفصيل مع شواهد الآيات الكريمة والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام واللغة وبعض الأدلة العقلية. أوله: (الحمد لله وكفى، وصلى الله على محمد وآله الذين اصطفى... هذه أربعون حديثاً

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي توثيق ببليوجرافي بآثاره المخطوطة والمطبوعة، نزار آل عبد الجبار، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، طبعة محلية في ٣٣٦ صفحة.

(٢) مجلة تراثنا العددان (٢ - ٣) السنة الثانية - ربيع الثاني/رمضان ١٤٠٧هـ: ١٦٠، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠) ١٩٩١م - ١٤١١هـ: ٤٥٦ رقم (٣)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٩٣/١ برقم (٢٢٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥٢)، معجم التراث الكلامي: ٣٩١/١ برقم (١٦٢٤)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٠ برقم (٤١).

(٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، الذريعة: ٢٣/١١ برقم (١٩١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٢٨)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١/ ٢٧٢ برقم (٨١٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠٠ برقم (٤٤)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٤ برقم (١٢).

متفرقة، وضعتها وأتبعتها ببيانات تناسب أتباعاً لأمر سيد المرسلين) والكتاب غير تام، يصل إلى شرح الحديث السابع فقط^(١).

٤ - الأصول والأخبار والجمع والتوفيق بين طريقة الأصوليين والأخباريين، يعني المتقدمين والمتأخرين^(٢).

٥ - الأمر بالشيء هل يقتضي النهي لمن ضده^(٣): وجواب هذه المسألة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٢) في مجموع الرسائل.

٦ - البارقة الحسينية في ردّ الشبه الوهمية: مجلدان كبيران، ألفه للرد على شبه وإشكالات في التوحيد وفي مقامات أهل البيت عليهم السلام، صنفه في الحائر الحسيني، ولهذا نسبه إليه. أوله: (الحمد لله الأحد الصمد، المنزه عن المشابهة والمجانسة، والصاحبة والولد، ولم يكن له كفواً أحد، والسلام على محمد وآله الغرّ الكرام المصطفين من دون الخاص والعام)، يحتوي المجلد الأول على مقدمة وخمسة فصول، وعشرة فصول في المجلد الثاني^(٤).

(١) التراث العربي المخطوط: ٤٢٣/١، الخلسة المملوكية: ١٥ برقم (١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٥/١ برقم (١)، معجم المؤلفات الشيعية: ٥٩/٢ رقم (١١٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٥ برقم (١)، فهرس مصورات المخطوطات: ١٦٩ رقم (١٢٦)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٥٤ برقم (٥٤).

(٢) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢.

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٩٣).

(٤) أنوار البدرين: ١٦٣/٢، الذريعة: ٦/٣ برقم (١٤)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، مرآة الشرق: ١١٤٠/٢ برقم (٢)، الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٥ برقم (١٤)، منتظم الدّرين: ٢٩٨/٣، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤ برقم (٢)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٢٩، الخلسة المملوكية: ١٦ برقم (٥)، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٦/٣، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (١٨)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة =

٧ - رسالة في: (البكاء على الحسين عليه السلام والحزن عليه): عقلاً ونقلاً^(١).
 ٨ - التحفة القدسية لاختصار الجواهر العلية: وهو كتاب مختصر من كتابه (الجواهر العلية في إثبات الشريعة المحمدية)، اختصره مع إضافة ما يلزم إضافته من المباحث العقائدية، أوله بعد البسملة والحمد: «فلما كتبت (الجواهر العلية في إثبات الشريعة المحمدية) كانت عند الكثير مطولة، مع ما هي عليه من الاختصار كما يظهر لمراجعتها، فأحببت وضع رسالة مختصرة جداً، واختصرت فيها بعضاً من الجواهر، وتجنبنت نقل الأقوال المخالفة وأدلتها وردّها، مقتصراً على ما ظهر لي بالبرهان الواضح من باب المدينة، مقتصراً على بعض أدلته كما هو المناسب، وسميتها بـ«التحفة القدسية لاختصار الجواهر العلية»». والكتاب في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، هذه عناوينها:

المقدمة: في مقدمات الأبحاث.

الفصل الأول: في افتقار الوجود إلى الحجة الإلهية.

الفصل الثاني: في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله.

الفصل الثالث: في إثبات الإمامة والرئاسة العامة.

الخاتمة: في نظرة المؤلف في الكتاب والسنة^(٢).

= العربية: ٧١/١ برقم (١٤٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٦ برقم (٥) معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ١٢/٢ برقم (٢٥٣٧)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٢، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٦ برقم (٤٠).

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٨ برقم (٦٧).

(٢) مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠) ١٩٩١م - ١٤١١هـ: ٤٥٦ برقم (٤)، التراث العربي: ٣/

١٣٦، الخلسة الملكوتية: ١٧ برقم (٨)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٥/١ برقم

(٤)، فهرس مصورات المخطوطات: ٨٢ برقم (١/٦٢)، معجم طبقات المتكلمين: ٥/

١١٩، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٩٦/١ برقم (٢٢٩) و ١٣٣/٢ برقم =

٩ - رسالة في: التقيّة^(١).

١٠ - الجواهر العلية في إثبات الشريعة المحمدية: يشتمل على بحوث مطولة حول ضرورة الحجة الإلهية والشريعة الربانية، وإثبات النبوة والإمامة^(٢).

١١ - الخلسة الملكوتية في أحاديث الطينة: وهو من البحوث الفلسفية. أولها بعد البسملة والحمد: (فيقول العبد المقصر، محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: سأل بعض الإخوان، وهو الشيخ العالم الأجل، الشيخ يوسف، خلف الشيخ خلف، عما تضمنته أحاديث الطينة، مما يوهم الجبر، وحلّ مشكلها)، فرغ من تأليفه في ١١/٨/١٢٤٥هـ، وطبعت طباعة حديثه مع رسالتين، بعنوان: (ثلاث رسائل)، بتحقيق: الشيخ حلمي السنان عام ١٤١٦هـ^(٣).

= (٣١٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٦ برقم (٨)، معجم التراث الكلامي: ٢/ ١٩٣ برقم (٣٣٦١) و٤٧٨/٢ برقم (٤٦٨٨)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٣ برقم (٤٦).

(١) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٥)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٨ برقم (٦٣).

(٢) الخلسة الملكوتية: ١٨ برقم (١٤)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٢٠/١ برقم (٥١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٧ برقم (١٤)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٤٧٨/٢ برقم (٤٦٨٨)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٣ برقم (٤٥).

(٣) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (٨)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣١، الخلسة الملكوتية: ١٨ برقم (١٦)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١/ ١٦ برقم (٦)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٧٩/١ برقم (١٨٥٠) و٨٥/٢ برقم (١٨٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٧ برقم (١٦)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٧ برقم (٢/٥٦) و١٢٩ برقم (٥/٩٩)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٢١٦/٣ برقم (٥٧٣٦)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ٩٩، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٣ برقم (٢٦).

١٢ - الردّ على ابن تيمية: على منهاج الكرامة للحلي، يظهر أن أوله ساقط، وأول ما وقفنا عليه: (وأحكمه، ويقوي ما عليه من الباطل ويسلمه، فتأملته، فوجدته قد ازداد به الباطل انمحاءً، والحق وضوحاً وإشراقاً، لأن حجة الله عليه وحزبه المنصورون منه، والمؤيدون)^(١).

١٣ - الردّ على النصارى: مجلدان كبيران، ويعرف بالكبير، ألفه بعدما كتب بعض علماء النصارى كتاباً في الرد على الإسلام والقرآن الكريم، فكتب المؤلف هذا الكتاب في نقضه، فرغ منه ظهر يوم الجمعة ٥/٥/١٢٤٩هـ^(٢).

١٤ - الردّ على رسالة (شمس الرشاد لهداية العباد)، إجابة لرسالة وصلته من الحاج عبد الرسول بن حسن المرحوم ملا قنبر، وهذه الرسالة لبعض الزيدية، وهو: يحيى بن عبد الله بن زيد، أولها بعد البسملة والحمد: (فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن أحمد آل عبد الجبار: قد وصلني على ضيق وقت، وتشتت بال بفقد بعض الأعراء، رسالة من الأخ الأوحّد، الحاجي عبد الرسول بن حسن بن المرحوم المرحوم ملا قنبر - بلغه الله المأمول بما سعى في إعلاء كلمة الحق - وهذه الرسالة لبعض الزيدية،

(١) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٥٠)، مجلة الواحة، العدد (٥١): ١٣٣ برقم (٣)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٩ برقم (٥٣).
(٢) أنوار البدرين: ١٦٣/٢، الذريعة: ١٧٣/١٠ برقم (٧٢٣)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، مرآة الشرق: ١١٤٠/٢ برقم (٣)، الأزهار الأرجية: ٤٠٥/١١ برقم (١٢)، منتظم الدرّين: ٢٩٨/٣، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤ برقم (٣)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٣، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٦/٣، الخلسة الملكوتية: ١٩ برقم (١٧)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٢٧)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٠٥/١ برقم (٢٦٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٨ برقم (١٧)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٤٠٨/٣ برقم (٦٧٣٦)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٥ برقم (٣٨).

يحيى بن عبد الله، من بعض عتاة أهل هذه الأزمان)، وخاتمتها: (هذا ما اقتضاه الوقت على تشتت البال وتوارد المحن والبلبال والاستعجال، وإن زالت الموانع بسطنا الكلام معه نقضاً وإبراماً فأبين أكثر من هذا بكثير، وفيما حصل كفاية للمسترشد المنصف. وصلى الله على محمد وآله المعصومين المطهرين وأتباعهم من شيعتهم والموالين. وكتب خادم العلماء العاملين، محمد بن عبد علي بن محمد بن آل عبد الجبار، الإمامي نسباً ومذهباً، والبحريني أصلاً، والخطي مولداً)، وذكر هذه الرسالة الحاج جواد الرضوان في كتابه قلائد الجمان (مخطوط: ٧٩) وقال: إن للشهيد الشيخ علي آل رمضان أبياتاً شعرية كتبها، والقصيدة تناسب ما كتبه من رد على الزيدية، وكتبت القصيدة سنة ١٢٤٣هـ فربما يوافق تأليف الكتاب^(١).

١٥ - الرسالة: (الرضاعية): وهي رسالة مختصرة جداً في أحكام الرضاع على حسب ما يراه ويفتي به، أولها: (الحمد لله وكفى، وصلى الله على محمد وآله الذين اصطفى. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: إنه ورد من بعض الإخوان طلب رسالة في الرضاع على ضيق وقت)، وطبعت طباعة حديثة بتحقيق الشيخ حلمي السنان عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م تحت اسم ثلاث رسائل، وهي: الخلسة الملكوتية في أحاديث الطينة، وغاية المراد في تحقيق المعاد، والرسالة الرضاعية^(٢).

(١) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٥/١ برقم (٢)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧ رقم (٥٨)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٦٨/٢ برقم (٤٢٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٤٠٢ برقم (٥٩)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٠ برقم (٥٥).

(٢) الخلسة الملكوتية: ١٩ برقم (١٩)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٦/١ برقم (٧)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٦٩/٢ برقم (٤٢٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٨ برقم (١٩)، فهرس مصورات المخطوطات: ٨٤ برقم (٥/٦٢)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ٩٩، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٩ برقم (٦٩).

١٦ - الرسالة: (الصومية): فرغ من تأليفها سنة ١٢٤١هـ^(١).

١٧ - الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب: وهو بحث مستوعب في الإمامة وإثباتها لأمر المؤمنين والأئمة من ولده عليه السلام، وإثبات أنهم الاثنا عشر إماماً، بالأدلة العقلية والنقلية والاعتبارية، أوله بعد البسملة والحمد: (فيقول راجي رضا الغفار السبحاني، محمد بن عبد الجبار البحراني: أنه قد سألتني الأخ الطالب للحق، فيض الله بن جعفر التبريزي - وفقه الله للكمالات، وإلى الارتقاء إلى أعلى الدرجات - عن مسألة، وكنت بكرلاء، مشغلاً بالسفر، فأجبت بالمستطاع والتميسر، فإن وافق قبولاً فببركة من أنا بجواره ومن رشح فيضه، وإلا فمن قصوري وقصر باعي)، وقد فرغ منها عصر يوم ١٠/٢/١٢٤٦هـ بكرلاء، وهي رسالة تقع في مقدمة وستة فصول وخاتمة، وفيها ينقل آراء خاله الشيخ محمد الكبير والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وينقد آراء القمي في (القوانين)، ولعل هذا المؤلف يتحد مع ما ذكره العلامة الطهراني في موسوعته الذريعة: الشهاب الثاقب في رد النواصب^(٢)، وقد طبع طباعة حديثه بشهر رمضان لعام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: الشيخ حلمي السنان.

(١) الذريعة: ١٤٨/١١ برقم (١٢٤٠) و١٣٩/١٥ برقم (١٢٨٨)، مجلة الموسم، العددان (٩) - (١٠): ٤٣٥، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٣)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١/ ١٩ برقم (٣٠)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٢٥/١ برقم (٦٦٩)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٨ برقم (٢٤)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٨٩ برقم (٢١).

(٢) أنوار البدرين: ١٦٣/٢، الذريعة: ١٥٠/١٤ برقم (٢٤٣٤)، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (٥)، الأزهار الأرجية: ٤٠٤/١١ برقم (٩)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، منتظم الدرر: ٢٩٨/٣، مجلة تراثنا العدد (١) من السنة السادسة: ١٥٤ والعدد الأول - السنة السادسة عشرة: ٢٢٥، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤، مجلة الموسم، العددان (٩) - (١٠): ٤٣٥، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٦/١ برقم (٨)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١١٨/١ برقم (٣٠٩) =

١٨ - الشوارق الحسينية: وهو كتاب في علم الأصول في مسألة (القول بانسداد باب العلم وفتح باب الظن)، أوله: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله صفوة الخلق أجمعين. وبعد. فيقول العبد الفقير، المقصّر للغفار، محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: جرت مذاكرة في يزد مع بعض الإخوان في المسألة الحادثة في (سد العلم وفتح الظنون)، وتقع في مقدمة وستة فصول وخاتمة، فرغ منها يوم ١٢/٢/١٢٤٦ هـ في كربلاء^(١).

١٩ - الصلاة على محمد ﷺ إذا ذكرت، واجبة أم لا^(٢): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكورة في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٥) في مجموع الرسائل.

٢٠ - الصلواتية الكبرى^(٣).

٢١ - العمدة في استنباط الحلال والحرام، واستيضاح الأحكام من أمناء الملك العلّام، أوله: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، فهذه كلمات ذات تبين، كشفت بها النقاب عن وجه الحق المبين، وأوضحت مناره لطالب القطع واليقين، امتثالاً لأمر من تجب عليّ

= و٢/٨٠ برقم (١٧١) و٩٩ برقم (٢٣١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٩ برقم (٣٦)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ١٢٢/٤ برقم (٨١١٩)، فهرس مصورات المخطوطات: ١٣٥ رقم (١٠٦)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٠ و١٠٣، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٦ برقم (٢٨) و١١٥ برقم (٤٨).
(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (١٠)، الخلسة الملكوتية: ٢٢ برقم (٣٥)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٧٧/١ برقم (٨٣٧)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٩ برقم (٣٥)، مجلة الواحد، العدد (٥٠): ١٠٣، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٧ برقم (٢٩)، و١٣١ برقم (٨٢).
(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (٩٦).
(٣) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٧٣/٢ برقم (٤٤٢).

طاعته، وألزمْتُ على نفسي إجابته [نسأل] الله أن يسدّد [نا] للصواب، فإنه الموفق للمبدأ والمآب. وبعد. أعلم أن الله سبحانه كامل، وهي في خمس مسائل، وفرغ من هذه الرسالة عصر يوم الخميس ١٥/٢/١٢٤٦هـ^(١).

٢٢ - اللوامع السنيّة في الأصول الدينية: مباحث متوسطة في العقائد الدينية، كتبها المؤلف بطلب من السيد حسن بن السيد درويش بعد أن ألف كتاباً مفصلة ومختصرة في أصول الدين، وهي في مقدمة وستة أبواب وخاتمة، عناوينها كما يلي:

المقدمة: في تعريف الحكمة وأقسامها وموضوعها والغاية منها.

الباب الأول: في إثبات واجب الوجود الحق تعالى.

الباب الثاني: في صفاته تعالى.

الباب الثالث: في عدل الله سبحانه.

الباب الرابع: في إثبات النبوة.

الباب الخامس: في الإمامة.

الباب السادس: في المعاد.

أول الرسالة بعد البسملة: (الحمد لله الأحد، الفرد الصمد، وصلى الله على محمد وآله العمد المفضلين على كل أحد. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: إني كتبت رسائل مختصرات ومطولات في الأصول الدينية وغيرها، وقد طلب مني الأخ المؤمن، السيد السند، السيد حسن بن السيد درويش)، وفرغ من كتابتها في ٦/٨/١٢٤٥هـ^(٢).

(١) مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٥، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٨ برقم (٣٠).
(٢) الذريعة: ٢٣٥/١٨ برقم (٤٩٥)، الأزهار الأرجية: مجد ٤/١١/٤٠٤ برقم (٦)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٥٧ برقم (١٨)، التراث العربي المخطوط: ٤٨٧/١٠، الخلسة الملكوتية: ٢٣ برقم (٣٩)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٦/١ برقم (٥)، =

٢٣ - المجتهد إذا حصل الحكم بعد استفراغ وسعه، وأفتى به، فهو مصيب، وإذا كان كل مجتهد مُصيب، فلو أفتى مفت بقتل نفس محترمة وقتلنا بإصابته، يلزم أن يزيد وقتله للحسين عن اجتهاد، فهو مصيب، ولا قائل به، ونطالبكم بدليل هذا الحكم^(١): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٣) في مجموع الرسائل. وطبعت ونشرت عام ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، في مجلة الفقه العدد (٧ - ٨) من السنة الثانية شتاء وربيع، بتحقيق: أحمد عبد الهادي المحمد صالح.

٢٤ - رسالة في (الميراث): في مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة. أولها: (الحمد لواجب الوجود. والصلاة على محمد وآله معدن الجود. وبعد. فهذه رسالة جامعة لبيان الميراث وتفصيله، راعيت فيها الاختصار وتقريب العبارة للنظارة)^(٢).

٢٥ - رسالة في (النية)^(٣).

٢٦ - إجازة للأخوند الملاً محمد حمزة بن الملاً سلطان محمد القائني الطبسي، أولها: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، شارعي سبل النجاة للعلماء، العاملين القائمين مقامهم بالتبعية، وبحسن الرواية والدراية، وفهم لحن خطابهم ومرامهم من مرامي كلامهم.

=معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٨٣/١ برقم (١٨٩)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٩ برقم (٣٩)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٥ برقم (٥٤)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٥٧٥/٤ برقم (١٠٢١١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٢ برقم (٢٥).

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (١٠٣).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٨ برقم (٦٥).

(٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٣٨/١ برقم (٧١٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥٥).

مبعثرات

وبعد. فيقول الفقير لربه الغفار، محمد بن عبد علي بن محمد بن عبد الجبار: فإن الشيخ الفاضل، العالم العامل، المرتقي للدرجات العاليات، بلغة الله لارتقاء للخيرات)، حصل الفراغ منها ١٢٣٩/١١/١٨هـ، وقد طبعت طباعة حديثة، بتحقيق: ياسر بن عبد الله آل خميس، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، وطبعت طبعة أخرى أيضاً عام ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م بتحقيق الباحث نزار بن حسن آل عبد الجبار^(١).

٢٧ - إذا قلّد المجتهد في حكم ورجع عنه ولم يعلم مقلّده به، فما يدلّ على نجاته، مع أنه حينئذ عامل بالباطل^(٢): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٢) في مجموع الرسائل. وطبعت ونشرت عام ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، في مجلة الفقهة العدد (٧ - ٨) من السنة الثانية شتاء وربيع، بتحقيق: أحمد عبد الهادي المحدث صالح.

٢٨ - إذا قلنا للناس صنفان، مجتهد ومقلّد، والثالث فاسدُ العبادة، لزم فساد عبادة العوام الذين لا يعرفون التقليد، وهذا يحتاج دليل^(٣): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٠) في مجموع الرسائل. وطبعت ونشرت عام ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، في مجلة الفقهة العدد (٧ - ٨) من السنة الثانية شتاء وربيع، بتحقيق: أحمد عبد الهادي المحدث صالح.

(١) الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (٤)، مجلة الموسم، العدد (٩ - ١٠): ٤٢٧، الخلسة الملكوتية: ١٦، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٤٠/١ برقم (٥٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٦ برقم (٤)، مجلة الراحة، العدد (٥٠): ٩٨، إجازة الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي للشيخ الطبسي.

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (١٠٢).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (١٠٠).

٢٩ - أجوبة المسائل: جوابات على سبع مسائل، وردت إليه من السيد عزيز الله الشوشتري: أولها بعد البسملة والحمد: (فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: قد عرض من جناب السيد عزيز الله الشوشتري وأنا على جناح سفر بعض المسائل، ولم أكن أهلاً للدخول في هذه الحلبة، ولكن لم يحصل عذر من امتثال أمره)، والمسائل هي:

الأول: ما معنى ما روي عن عبد الله بن مسعود، قال: «دخلتُ على رسول الله وقلت أرني الحقَّ عياناً، فقال: ادخل المخدع وانظر ما ترى؟ فدخلتُ فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام».

الثاني: في كتاب (الأخبار)، مسندٌ إلى محمد بن حرب الهلالي، قال: (قلت لجعفر بن محمد: مسألة أريدُ أن أسألك عنها، فقال: إن شئت أخبرتك عنها بالفراسة).

الثالث: رُوي في كتاب (التوحيد) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «رأيت الخضر في المنام قبل بدرٍ ليلة، فقلت له: علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء».

الرابع: ما معنى ما رواه الصدوق في (الأمالي) عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: «من قال يعلم الله لِمَا لا يعلم الله اهتز العرش تعظيماً لله عز وجل».

الخامس: ما الوجه في إقدام المعصومين على أكل السم والقتل كالحسين عليه السلام مع علمهم بذلك.

السادس: روي أحمد عن البزنطي، قال: «قلت للرضا عليه السلام: إن رجلاً من أصحابنا سمعني وأنا أقول: إن مروان بن محمد لو سُئل عنه صاحب القبر ما كان عنده علم».

السابع: ما الوجه فيما رُوي عن الرسول في تسمية أهل بيته ثقلٌ أصغر

مبعثرات

والكتاب ثقلٌ أكبر، مع أنّ أهل بيته أفضل وكتاب ناطق، والقرآن كتاب صامت، ولا غنى له عن الناطق^(١).

٣٠- أجوبة المسائل، وهي كثيرة لمسائل متعددة ومسائل بعض الأشراف والسنة التي منها جواب مسائل السيد جواد الشيرازي، في بيان معنى هذه الفقرة من الدعاء: (يا من ذكره الناسي بنسيانه وأطاعه العاصي بعصيانه)^(٢).

٣١- أجوبة مسائل السيد جعفر، وأنها جوابات على اثنتي عشرة مسألة. في التفسير والكلام والفقه. أولها: (وبه نستعين. والحمد لله. وصلى الله على صفوته. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن أحمد آل عبد الجبار: قد وردت بعض المسائل من بعض السادة الأخيار، والأتقياء النجباء، السيد جعفر، أمده الله بتسديده، وأفاض عليه سحائب جوده).

والمسائل على النحو التالي:

الأولى: نسبة المعاصي للمعصومين عليهم السلام والسرّ في ذلك.

الثانية: معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «خلق الله المشيئة بنفسها».

الثالثة: معنى قوله عليه السلام: «انتهى المخلوق إلى مثله».

الرابعة: معنى قولهم عليهم السلام: «اعرفوا الله بالله».

الخامسة: معنى قوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾^(٣).

(١) معجم التراث الكلامي: ١٧٣/١، برقم (٥٢٠)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٥ برقم (١١٤).

(٢) الذريعة: ١٢٧/٥ برقم (٧٧٤) برقم (٧٧٩)، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٢، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣٠، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ١٧ برقم (١٠)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٤)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٣٩/١ برقم (٣٦٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٧ برقم (١٠)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٤٥ برقم (١٠).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

- السادسة: معنى قول الصادق عليه السلام: «الله مشتق من إله».
- السابعة: معنى قولهم: «إنّ الفاعل مقترن بمفعول له».
- الثامنة: معنى قول الصادق عليه السلام: «إن القديم هو هو بلا كيفية».
- التاسعة: السعادة والشقاء وخبث الطينة وحسنها.
- العاشرة: معنى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنك جرم صغير».
- الحادي عشر: معنى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «صور عالية عن المواد عارية عن القوة».

الثانية عشر: بيان ما اشتهر من انسداد باب العلم^(١).

٣٢ - أصول الدين: أوله: (الحمد لله وكفى، وسلام على عبادة) مرتب على مقدمة وستة فصول وخاتمة، فرغ من تأليفه سنة ١٢٣١هـ، ويرى الباحث نزار آل عبد الجبار يصادف الفراغ منه عام ١٢٣٠هـ من تعيين المصنف في الرسالة لعمر الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام^(٢).

٣٣ - أصول الدين: وهذه الرسالة غير الماضية، وتتضمن خمس فصول:

الفصل الأول: التوحيد.

(١) مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٥٦ رقم (١)، مجلة التراث: ١٤٧/٣ برقم (٩)، الخلسة الملكوتية: ١٦ برقم (٢)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٥/١ برقم (٣)، فهرس مصورات المخطوطات: ٨٢ رقم (٢/٦٢)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٦ برقم (٢)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٠ وضع لكل مسألة رقم تسلسلي على النحو التالي: (٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩).

(٢) الذريعة: ١٠٩/٢ برقم (٧٣١)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، معجم المؤلفين: ١٠/١٧٨، الخلسة الملكوتية: ١٦ برقم (٣)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١/٧٠ برقم (١٤٤) و٧٣/٢، رقم (١٤٧)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٦ برقم (٣)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٣٣٧/١ برقم (١٣٣٣)، مجلة الواحة العدد (٥٠): ١٣٤، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٧٨ برقم (٤).

الفصل الثاني: العدل.

الفصل الثالث: النبوة.

الفصل الرابع: الإمامة.

الفصل الخامس: المعاد^(١).

٣٤ - رسالة في (بيان سبب المعجزة)، ذكرها المؤلف بقلمه في شرح الحديث العشرين، ضمن المجلد الأول من (هدي العقول)، وقد ذكر النص التالي: (وذكرنا بعض ما اشتملت عليه بعض الآي من البطون في رسالة مفردة لبيان سبب المعجزة، فليراجعها من أرادها).

٣٥ - تحفة أهل الإيمان لصاحب العصر والزمان، وتسمى أيضاً: (مشكاة الأنوار في إثبات رجعة محمد وآله الأطهار): في مسألة رجعة محمد وآله كما ورد به عنهم عليهم السلام مشفوعاً بدليل العقل على ذلك، إجابة لبعض الإخوان العارفين، أولها بعد البسملة والحمد: (قد سألتني بعض الإخوان العارفين، كتابة رسالة في رجعة محمد وآله، كما ورد به النص عنهم عليهم السلام مشفوعاً بالدليل العقلي على ذلك، وحيث لم أكن أهلاً لتلك، لم يحن لي الدخول في هذا)، وجعلها على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في قيام الأدلة العقلية والنقلية على صحة الرجعة لبعض زمن القائم ودولته، وفي هذا الباب مسائل، والمسألة الأولى في ثبوت الإمام الثاني عشر عليه السلام.

الباب الثاني: في إثبات الرجعة.

الباب الثالث: في كيفية أحوال الإمام والرجعة^(٢)، وطبعت طباعة حديثة عام ١٤٣٦ هـ (٢٠١٥ م)، بتحقيق حامد رحمن الطائي.

(١) مجلة الواحة العدد (٥٠): ١٣٤.

(٢) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٥ برقم (١٥)، فهرس مكتبة الوزير...=

٣٦ - تعليقة على : (خلاصة مختصر الرسالة الحيدرية في الفروع الفقهية)، الأصل لأستاذه الشيخ أحمد الأحسائي، والخلاصة لابنه الشيخ علي نقي، وعلق عليها الشيخ محمد آل عبد الجبار مشيداً بمقام أستاذه وولده، وأشار فيها إلى أن هذه الخلاصة شافية ووافية بالسائل ذات العلاقة^(١).

٣٧ - تفسير : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ﴾^(٢) [سورة هود، الآية : ١٠٨]

٣٨ - تفسير الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، أولها : (وفي تفسير العسكري وغيره في تفسير (العالمين) أنه الجماعات من خلقه)^(٤).

٣٩ - تفسير سورة التوحيد^(٥).

٤٠ - تفسير سورة الفاتحة : أول الكتاب : (يا من تأمل الكتاب والسنة وجدتهما طافحة بأن الاسم غير المسمى)^(٦).

=يزد : ٥٩، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠) : ٤٣٨، الخلسة الملكوتية : ٢٤ برقم (٤٢)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول : ١٨/١ برقم (١٦)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية : ٢٨٩/٢ برقم (٧٩٩) و١٢٤/١ برقم (٣٢٩)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي : ٤٠٠ برقم (٤١)، فهرس مصورات المخطوطات : ٧٢ رقم (٥٠) و٤٠٦ برقم (٣٠٥)، معجم طبقات المتكلمين : ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي : ١٨٠/٢ برقم (٣٣١٣) و١١٦/٥ برقم (١٠٧٧٧)، الواحة، العدد (٥٠) : ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٢٣ برقم (٥٨).

- (١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٤٧ برقم (١٢٨).
- (٢) هدي العقول إلى أحاديث الأصول : ١٩/١ برقم (٤١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٢٥ برقم (٥٩).
- (٣) سورة الأحزاب، الآية : ٣٣.
- (٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٤٦ برقم (١٢٤).
- (٥) هدي العقول إلى أحاديث الأصول : ١٩/١ برقم (٤٤).
- (٦) الذريعة : ٢٤٨/٤ برقم (١٤٨٤)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول : ١٨/١ برقم (١٩).

مبعثرات

٤١ - تفسير سورة القدر: ابتداء بتفسير البسملة، وأول الرسالة بعد البسملة والحمد: «بسم»: جازٌّ ومجرور متعلق بالفعل مؤخرٌ، وهو أصل الاسم مع الأصح، والاسم مشتق من السمة، وهي العلامة على ما هو رأي الكوفيين، والرواية المعاني ومعناها اسم على نفس سمة من سمات الله^(١).

٤٢ - تفسير: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) (٣): ونص السؤال وتفسيره ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٧) في مجموع الرسائل.

٤٣ - تفسير: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤)، أول التفسير: (وفي معنى المعية من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الجواب: هي معية تعلّقيّة، وهي علمه بالمعلوم من حيث [هو]، وهي صفة رسم لأقدم لتعالیه، وهي نفس محبته الأولية وظهور الذات بنفس الظهور)^(٥).

٤٤ - تقليد الموتى: أولها (الحمد لله الأحد، وصلى الله على محمد وآله العمد، وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار: من المسائل التي جرى فيها البحث والنقض والإبرام بين العلماء وأهل الأفهام مسألة تقليد الموتى، ولقد كتبت فيها بعض الكلام بما يشتمل على جميع شقوقها، إلا أنه لم يحضرني الآن، ثم بعد حين عرض من بعض الأشراف الفضلاء والسادة النجباء أمرٌ في بيان هذه المسألة وتحقيق من أقوالها بما يتحقق الحق من الأقوال بحسب الاعتبار، وما تدل عليه الأخبار)^(٦).

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٥ برقم (١٢٢).

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٧ برقم (١٢٧).

(٤) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٥) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٦ برقم (١٢٣).

(٦) الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨١ برقم (٧).

٤٥ - تقليد الميت ، (رسالة أخرى) : أوله : (الحمد لله الأحد. وصلى الله على محمد وآله العمد) ذكر فيها أن السيد ركن الدين محمد الجرجاني اختار جواز تقليد الميت اضطراراً في شرحه على (مبادئ الأصول) للعلامة الحلي^(١).

٤٦ - تكليف الكفار بالفروع : أوله : (الحمد لله رب العالمين)، استدل فيه بالأدلة الأربعة^(٢).

٤٧ - جواب الشيخ حسين الطبسي ، في بيان أن المقتول هل يمكن أن يكون في صلبه نسل أم لا ، وأن القتل والموت واحد أم لا^(٣).

٤٨ - جواب إحدى وثلاثين مسألة من الأخوند ملا محمد البهبهاني : أوله بعد البسملة والحمد : (فقد سأل الأخ أخذ، ملا محمد البهبهاني، الأقل محمد بن عبد علي بن عبد الجبار عن مسائل، وطلب اختصار الجواب)، وتفاصيل الأسئلة أوردها الأستاذ نزار في الفصل الثاني من كتابه (الشيخ محمد آل عبد الجبار) تتضمن تفسير وتأويل بعض الآي، وشرح وتوضيح أحاديث، وبعض المسائل الفلسفية والعقدية^(٤).

(١) الذريعة: ٢٨٦/٤ برقم (١٧٤٢)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣٠، الخلسة المملوكية: ١٧ برقم (٧)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٠)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٧٧/١ برقم (٥٠٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٦ برقم (٧)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨١ برقم (٦).

(٢) الذريعة: ٢٩٦/٤ برقم (١٧٩٤)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣٠، الخلسة المملوكية: ١٧ برقم (٩)، هدي العقول إلى شرح الأصول: ١٨/١ برقم (٢١)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٧٧/١ برقم (٥٠١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٧ برقم (٩)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٢ برقم (٨).

(٣) الذريعة: ١٢٧/٥ برقم (٧٨٠)، الخلسة المملوكية: ١٨ برقم (١١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٧ برقم (١١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٩ برقم (٣١).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٧ برقم (١١٧).

٤٩ - جواب ثمان مسائل من السيد علي البهبهاني : أولها : (الحمد لله . وصلى الله على محمد وآله . وبعد . فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار : سأل السند علي بن السيد محمد البهبهاني عن مسائل ، فأجبت حسب (الوسع) ، والمسائل هي :

الأول : ما المراد بالكاف المستديرة على نفسها .

الثاني : ما المراد بالعمق الأكبر [الوارد] في دعاء السمات .

الثالث : ما معنى عالم الذر ، والذر الأول والثاني .

الرابع : ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : «أنا نذير من النذر الأولى» ، وفي أخرى «نحنُ النذر الأولى» ، وفي بعضها : «أنا نوح وشيث وإبراهيم» ، وأمثال ذلك .

الخامس : ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : «توحيده تميزه عن خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة» ، فما معنى البينونتين ، وما الفرق بينهما .

السادس : ما معنى : السلسلة الطولية ، والسلسلة العرضية .

السابع : ما معنى : الأبحر الاثني عشر .

الثامن : ما معنى : الحجب وما المراد بها^(١) .

٥٠ - جواب مسائل بعض الأشراف التي منها : ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام المروي في (غرر الآمدي) : «ليس الذكر من مراسم اللسان ولا عن مناسم الجنان»^(٢) .

٥١ - جواب مسائل بعض السنّة : وهي مسائل وجهت إلى الحاج موسى بن إبراهيم الأحسائي : فأجاب عنها الشيخ ، أولها : (الحمد لله ، وصلى الله على

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٣٦ برقم (١١٥) .

(٢) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية : ٤٩/١ برقم (٨٩) ، الشيخ محمد آل عبد الجبار : ٨٣ برقم (٩) .

خير خلقه، محمد وعترته الأطهار. وبعد. فيقول أقل الطلبة: إنه قد سئل بعض معاندي هذه الأزمان، الأخ الصالح، موسى بن إبراهيم الأحسائي، ببعض الآي والأسئلة، فوجهها نحوي وهي في خمس مسائل^(١).

٥٢ - جواب مسألة من الشيخ محمد علي الجشي: عن فقرة مقتطعة من كتاب البحار، وهي: (من خطبت لهم الخطباء بسبعة آبائهم ما هم، هم أفضل من يشرب صوب الغمام)، في معناها وما خصوصية العدد، انتهى منها في سلخ ذي الحجة آخر شهر ١٢٤٢هـ^(٢).

٥٣ - حاشية على (مدارك الأحكام) للسيد محمد العاملي المتوفى سنة ١٠٠٩هـ^(٣).

٥٤ - رسالة في (حجية القياس المنطقي)^(٤).

٥٥ - رسالة في حديث حمران^(٥). أقول: لعل حمران بن أعين الشيباني المذكور في (رجال الطوسي)، من أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام.

٥٦ - رسالة في حديث نوم النبي ﷺ^(٦).

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٥٥ برقم (١٨)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣٠، الخلسة الملكوتية: ١٨ برقم (١٣)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١/ ١٩ برقم (٤٠)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١١٠/١ برقم (٢٧٨)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٧ برقم (١٣)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٦، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٥٠ برقم (٥٠).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣١ برقم (٨٠).

(٣) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٠٦/١ برقم (٦٠٢)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٤٠١ برقم (٥٣).

(٤) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٩٣/١ برقم (١٨٩٣)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٤٠١ برقم (٤٧).

(٥) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٣)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٦ برقم (٦١).

(٦) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٥ برقم (٦٠).

٥٧ - حقيقة الخلاف بين السيد كاظم الرشتي وعلماء النجف، وهو جواب لمسألة سائل: لم يذكر اسم السائل في الجواب، أوله: (الحمد لله الأحد. وصلى الله على محمد الأُمجد وآله المصطفين)، وهي تشتمل على مقدمة وفصول وخاتمة، ألف هذه الرسالة في توضيح الجواب وبيان الصواب من كلا الرأيين موضحاً ما اشتمل عليه الموقف من ملاسبات والتباسات، قائلاً: (ولما انتشر هذا الخلاف وظهر في الآفاق حيث أوجب تلبساً على الجهال، وتشكيكاً في مجملات المذهب، أوجبت على نفسي القيام لنصرة الحق فهو به أولى وأحق... إلى أن قال: ولست من أتباع أحد الفريقين بل خارج عن الجميع، وسمعنا أنهم طلبوا من السيد كاظم الرشتي في عام الخمسين المناظرة، فأجابهم بشرط الرجوع إلى حكم خارج عن الفريقين وملتزم بحكمه أو يكتب كل منا ما عنده ونرسل الجميع إلى عالم في الآفاق نرتضي به ونلازم بحكمه... إلى أن قال: فأبى أهل النجف جميع ذلك)، وصرح فيها بمظلومية السيد كاظم مما ألصق به حيث يقول: (ولقد آل الأمر منهم إلى نسبة أقوال للسيد لا يقول بها، ويتبرأ منها في المجالس العامة والخاصة، يُشبهون بذلك على الجهال كالقول بالتفويض إليهم عليه السلام وأنه يقول باستقلالهم عليه السلام، ونحو ذلك مما هو بريء منه، ولا سمعنا منه خلافة... وليس ذلك بأول قارورة كسرت في الإسلام...)^(١).

٥٨ - حكم الزوجات في الميراث^(٢): وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٦) من مجموع الرسائل.

(١) الخلسة الملكية: ١٨ برقم (١٢)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٨٣/٢ برقم (١٨١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٧ برقم (١٢)، فهرس مصورات المخطوطات: ٨٣ رقم (٣/٦٢).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٨٧).

٥٩ - خلاف علماء النجف: وأولها: (الحمد لله الأحد الصمد، وصلى الله على محمد الأجدد، وآله المصطفون. وبعد. فقد حدث خلاف من بعض علماء النجف في بعض حدود عشر الخمسين بعد المئتين والألف، في مسألة كان المذهب على خلافها بين الخاص والعام، قولاً وعملاً في مشاهد الأئمة وغيرها، إلا ما نُقل عن هذا البعض بنقل الثقة عنهم؛ وهو أنه لا يجوز القول بأن علياً وبنيه المعصومين قادرين على أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، وإن كان بإذن الله تعالى). وآخرها: (ونرى هؤلاء الأشباه متى سمعوا ما يخالفهم ما يخالف ما اكتنزه من الجهل، قالوا: نقل مطرح ولا تعريج عليه، ولو ألف حديث وأولوها على تأويل ساقط سمعوه من غيرهم أو أحدثوه بهواء نفوسهم وستسمع بعضاً من ذلك وفيما حصل كفاية لطالب الحق)^(١).

٦٠ - خلسة الأنس في معرفة حديث النفس: وهي عبارة رسالة في بيان معنى الحديث القدسي المنقول عن الإنجيل: «اعرف نفسك يا مسكين تعرف ربك ظاهره للفتنا وباطنك أنا»، أوله: (الحمد لله الذي تعرف لعباده في مجالي آياته، وسطور مصنوعاته، وجعل الواسطة لذلك أكمل خلقه، وأجمع آياته)، فرغ من كتابتها في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٤٠ هـ^(٢).

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٥٥ برقم (١٩)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٤٠، مجلة تراثنا العدد الثاني - السنة السابعة: ١١٤، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٢)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٠٩/١ برقم (٢٧٥)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١ برقم (١٢)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (٢٢)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١١ برقم (٤٢) وبرقم (٤٣).

(٢) الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (٥)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٢٩، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٢/١ برقم (٩٩)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥٦)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ٩٧، والعدد (٥١): ١٣٣ رقم (٤)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٤ برقم (٤٧).

٦١ - رسالة في (دليل الاستقراء)^(١).

٦٢ - رسالة عملية (الرسالة العملية) في الطهارة والصلاة، وتسمى الصلالية الصغرى، أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وكفى. وصلى الله على محمد وآله الذين اصطفى. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن عبد الجبار - أيده الله بحق النبي المختار -: هذه رسالة مختصرة، إجابةً لبعض الطالبين، اقتصر فيها على أكثر الواجبات، وتركت أكثر المستحبات والمكروهات)، وهي مرتبة على بابين الأول في الطهارة، والثاني في الصلاة^(٢).

٦٣ - رسالة في الجمع بين الشريفتين في النكاح، وتسمى: (مزيل المين عن جواز الجمع بين الفاطميتين) أولها: (الحمد لله متقن الصنع ومدبره). ويذكر العلامة الطهراني أن المؤلف اختار جواز الجمع بلا شبهة ولا توقف للإجماع، ونص الرسالة مدمج في صفحة ٦٩ إلى ٧٨ من المجلد الثاني (المطبوع) ضمن شرح الحديث الخامس^(٣).

(١) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٩٣/١ برقم (١٨٩٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ٤٠٠ برقم (٤٦).

(٢) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ٢٠٦/١١ و ١٣٩/١٥ برقم (١٢٨٨)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، الأزهار الارجية: ٤٠٥/١١ برقم (٢٠)، تكملة أمل الآمل: ٤/٥٣٢، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٣، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٥، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٦)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٦/١ برقم (٩) و ١٩/١ برقم (٣١)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢١٢/١ برقم (٦٢٦) و ١٧٣/٢ برقم (٤٤١)، فهرس مصورات المخطوطات: ٣٠ رقم (١/٢٢) و ٣١ رقم (٢/٢٢) و ٣٢ رقم (٣/٢٢) و ٦٤ رقم (٤١) و ٧٧ رقم (٥٧)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، والعدد (٥١): ١٣٥، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٨٩ برقم (٢٢).

(٣) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ٢١٤/٢٠ برقم (٣٢٤٨)، طبقات أعلام الشيعة: ١٢/٤١٧، مرآة الشرق: ١١٤١ برقم (١٢)، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢، منتظم الدرّين: =

٦٤ - رسالة في الرد على الصوفية وخرافاتهم، (مسألة في إبطال وحدة الوجود): من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها، أولها بعد البسملة والحمد: (فيقول المسكين، المفتقر لعفو الغفار، محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار: إن مسألة وحدة الوجود من المسائل الكثيرة الدوران، وأكثر أهل التصوف بل كلهم على اعتقادها، بل أكثر ممن يدعي التعمق في المعرفة والترقي عن الطريقة الظاهرة لم يستضيء بالنور المحمدي الإلهي)^(١).

٦٥ - رسالة في الرضاع (استدلال) أشار لها المصنف في توطئة رسالته (الرضاعية) المختصرة والتي طبعت بعنوان: (ثلاث رسائل) مع الخلسة الملكوتية وغاية المراد، عام ١٤١٦هـ بتحقيق الشيخ حلمي السنان^(٢).

٦٦ - رسالة في الصلاة (رسالة في الطهارة والصلاة)، وتسمى الكبرى. أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد للمعبود بالحق. وصلى الله على محمد وآله صفوة الخلق. وبعد. فيقول المفتقر لرحمة ربه الغفار: لما كتبت رسالة في الصلاة مختصرة لطلب بعض، وبعض الطالبين، فبعد بروزها ونسخها ومضي وقت تجدد لي عزم على إلحاق جملة متفرقة في الواجبات

= ٢٩٩/٣، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٨، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ٢٠ (بدون رقم) و٢٣ برقم (٤١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٢)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٩٢/١ برقم (٥٥٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحى: ٣٩٨ برقم (٢٣)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٤ برقم (١٣).

(١) الذريعة: ١٥٦/١٠ برقم (٥٦٧)، الخلسة الملكوتية: ١٩ برقم (٢٠)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٣)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨٠/١ برقم (١٨٥٣)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحى: ٣٩٨ برقم (٢٠)، معجم التراث الكلامي: ٣٨٦/٣ برقم (٦٦٠٤)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٣ برقم (١١) و١٤٢ برقم (١١٨).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٩ برقم (٦٨).

مبعثرات

والمستحبات وغير ذلك، فكانت بذلك رسالة أخرى كبرى، ورتبتها على مقدمة وبابين وخاتمة^(١).

٦٧ - رسالة في القراءات: وهي في مقدمة وفصول، أولها: (الحمد لله. وصلى الله على محمد وآله. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن عبد الجبار: قد سألتني بعض الإخوان البيان في وجه جواز العمل بالقراءات وواجباتها من فن التجويد ما هو، وبيان بعض منه كافٍ، فأجبت بحسب الوقت من غير مراجعة على أن الآلة غير موجودة، وليس هذا الفن بمتداول في هذه البقاع)^(٢).

٦٨ - رسالة في المواريث، رتبها على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة، قال في أولها: رسالة جامعة لبيان الإرث وتفصيله^(٣).

٦٩ - رسالة في فضل نبينا محمد ﷺ الطاهرين على جميع الأنبياء والمرسلين: كتبها جواباً لبعض الطالبين لزيادة اليقين، وسماه (سيف بن موسى) أولها: (الحمد لله رب العالمين)، فرغ من كتابته ليلة الثالث من شهر شوال سنة ١٢١٦هـ^(٤).

(١) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (١٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٤٠١ برقم (٥٤)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩١ برقم (٢٤).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٤ برقم (١٢١).

(٣) الذريعة: ٢١٩/٢٣ برقم (٨٦٩٨)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٩، الخلسة المملوكية: ٢١ برقم (٣٠)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٢٧/١ برقم (٦٧٨)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٨ برقم (٣٠).

(٤) الذريعة: ٢٦٣/٤ برقم (١٥٧٢) و٧١/١١ برقم (٦١٠) فرغ منها ١٢٣٤هـ، الخلسة المملوكية: ١٦ برقم (٦)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١ برقم (١٤)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٣٣/٢ برقم (٦١١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحاد: ٣٩٦ برقم (٦)، معجم التراث الكلامي: ٤٠٩/١ برقم (١٧١٦)، فهرس مصورات المخطوطات: ٢٢٣ رقم (١٥٦)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٩ برقم (٣٢).

٧٠ - رسالة في حلية الأربيان، أولها: (الحمد لله والصلاة على منتهى الحكم ومنبع الحكم محمد وآله قادة الخلق... إلى قوله: تجدد كلام في عام ١٢١٢ في مسألة لم يكن فيها خلاف بل الإجماع عليها مستمر إلى الآن...) وقد استدل أولاً بالأصل وثانياً بالإجماع^(١).

٧١ - رسالة في رد رسالة أحد علماء آل عصفور في قوله بوجوب الجهر على الإمام في الأخيرتين، وفي (أنوار البدرين) (الحاقة في رد رسالة بعض علماء آل عصفور في وجوب الجهر على الإمام)، أولها: (الحمد لله، والصلاة على خير خلقه محمد وآله)^(٢).

٧٢ - رسالة في قبلة الأحساء، أولها: (الحمد لله، وصلى الله على صفوته. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن عبد الجبار: سؤال وقع من بعض المكلفين عن قبلة أهل الأحساء للشيخ عبد المحسن بن المرحوم محمد بن مبارك اللويحي الأحسائي، فأجاب - دام ظله - بما ستسمعه، وحصل لديّ موجب للكتابة عليه والإيضاح، فذكرت الجواب)^(٣).

-
- (١) الذريعة: ١٢٧/١١ برقم (١١٠٦)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣١، الخلسة الملكوتية: ١٩ برقم (٢١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٢٩)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٥٦/١ برقم (٤٢٨)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (٢١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٧٨ برقم (٢).
- (٢) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (١١)، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٣، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣١، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٤)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٥٢/١ برقم (٤١٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (٢٥).
- (٣) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٥ برقم (١٣)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٦، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٧)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٢٠/١ برقم (٥٢)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٣٥/١ برقم (٧٠٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (٢٧)، مجلة الواحدة، العدد (٥٠): ٩٨، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٥ برقم (٣٩).

٧٣ - رسالة في منجزات المريض، وهي مختصره جداً، اختار فيها أنها من الأصل كما يذكر العلامة الطهراني^(١).

٧٤ - رسالة في وجوب الإخفات بالتسبيح في الأخيرتين كما هو المشهور: أولها: (الحمد لله، والصلاة على خير خلقه محمد وآله)^(٢).

٧٥ - رسالة في: نفع الصلاة على محمد وآله، أولها (جرت بيني وبين المولى محمد باقر مذاكرة في يزد وأنا خارج من عيادة بعض العلماء، هل الصلاة على محمد وآله يعود نفعها لنا أو لهم، الجواب: لكل وجه ولا نقص، أمّا على الأول: فظاهر كما جاء في الجامعة: «وجعل صلواتنا عليكم طيباً لخلقنا»، وأمّا الثاني: فلا يلزم منه انتفاع العالي بالسافل المنافي لأكمليّة العالي لوجوه، الأول) إلى تمام تسعة وجوه^(٣).

٧٦ - سُلّم الأصول في علم الأصول: أو (سُلّم الوصول إلى الأصول) في أصول الفقه، في أربع مجلدات كبار مبسوط. رأى البلادي مؤلف (أنوار

(١) الذريعة: ١٢/٢٣ برقم (٧٨٧٠)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٨ و ٤٣٨، الخلسة الملكوتية: ٢١ برقم (٢٩)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٢)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٣٧/١ برقم (٧١٢)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٨ برقم (٢٩)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٤ برقم (١٤).

(٢) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ٢١/٢٥ برقم (١٤٠)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٣، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٤٠، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٥)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٩)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٨ برقم (٢٦)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٥ برقم (١٦).

(٣) الذريعة: ١٦٢/٢٤ برقم (١٣٦٧)، مجلة تراثنا العدد الثاني - السنة الثانية: ١٦١، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٩، الخلسة الملكوتية: ٢٠ برقم (٢٨)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٣)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١١٣/١ برقم (٢٩٠) و ٢٣٧/٢ برقم (٦٢١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٨ برقم (٢٨)، الشيخ محمد آل عبد الجبار: ٨٥ برقم (١٥).

البدرين) مجلداً واحداً في حجية الإجماع وأقسامه، ووصف: بالمبسوط جداً، وأنه أكبر كتب الأصول^(١).

٧٧ - شرح الإيساغوجي، في المنطق^(٢).

٧٨ - شرح الأصول الخمسة: أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين. الحمد لله الذي ألهمنا معرفته، وشرح نفوسنا بالنظر لسر ملكوته، وآنسها بصفاء جبروته، ونشكره بما أسدل من نعمائه، وكفانا شر الشيطان ونزعاته؛ لعدم الالتفات إلى هذا العالم المنكوس. والصلاة والسلام على عبادة الذين اصطفاهم على خليقته وارتقاها من جميع بريته، خصوصاً أفضلهم، محل معرفته، ومظهر مشيئته)^(٣).

٧٩ - شرح الباب الحادي عشر للحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، ناقصة في أولها، وأول المخطوط: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ

(١) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، الذريعة: ١٥٧/١٢ برقم (١٤٥٧) و ١٥٩ برقم (١٤٦٥)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، مرآة الشرق: ٢/ ١١٤١ برقم (٧)، منتظم الدرّين: ٢٩٨/٣، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٤، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلصة الملكوتية: ٢١ برقم (٣١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٤)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٧٦/١ برقم (٨٣١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٨ برقم (٣١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٩ برقم (٣٣).

(٢) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ٧٢/١٣ برقم (٣٧٤)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (٩)، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٣، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٤، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٥)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٩٤/١ برقم (١٨٩٧)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٤٠٠ برقم (٤٥)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٠ برقم (٣٤).

(٣) فهرس مكتبة الوزيري... يزد: ١٣٢، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٧٥/٢، رقم (١٥٤)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٦ رقم (٥٥)، معجم طبقات المتكلمين: ٥/ ١١٩، معجم التراث الكلامي: ٢٦/٤ برقم (٧٦٣٩).

مَكَانَهُمْ فَسَوْفَ تَرَنِّيَ فَلَئَا^(١)، ودلالاتها على المطلوب من وجوه، والشرح يقع في مقدمة وبابين وأربعة فصول^(٢).

٨٠ - شرح الرسالة الصلالية الصغرى، فقهية، أولها: (الحمد لله الأحد، والصلاة والسلام على محمد وآله أهل الشرف والمجد. وبعد. فيقول الفقير للملك الغفار: محمد بن عبد علي آل عبد الجبار، قد طلب مني بعض الإخوان إعادة شرح الرسالة الصلالية الصغرى، وأن أراعي الاختصار فيه، كما هو المناسب للوقت وأهله، فشرعت فيه كما طلب، مع قلة البضاعة وكثرة الإضاعة، وأنا بالحاضر في بلد الأحساء، و[هي] في هذه الأوقات خالية من العلماء وآلة العلم، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور)^(٣).

٨١ - شرح بيان حقيقة المعرفة^(٤).

٨٢ - شرح (تشریح الأفلاك) في الهيئة للشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي (ت: ١٠٣١هـ)، مجلد مبسوط، فرغ منه في ٢٣ شعبان ١٢٣٩هـ^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٧)، مجلة الواحة، العدد (٥١) ٢٠٠٨م: ١٣٢ برقم (٢)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٩ برقم (٥٢).

(٣) مجلة الواحة العدد (٥١): ١٣٥.

(٤) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٦)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٨ برقم (٦٤).

(٥) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ٩١/١٣، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، الأزهار الأرجية: مج ٤٠٣/١١/٤ برقم (٢)، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤، منتظم الدرر: ٢٩٩/٣، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٤، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة المملوكية: ٢٢ برقم (٣٤)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٦)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨٥/١ برقم (١٨٧٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ٣٩٩ برقم (٣٤)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٨٧ برقم (١٩).

٨٣ - شرح حديث التوحيد المروي في (معاني الأخبار) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «التوحيد ظاهره في باطنه، وباطنه في ظاهره، ظاهره موصوف لا يُرى، وباطنه موجود لا يخفى»، أوله: (الحمد على جزيل إحسانه ونعمائه، ونصلي على صفوة خلقه وأمنائه) ألفه بطلب الشيخ مبارك بن علي آل حميدان، وفرغ منه في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢١٥هـ^(١).

٨٤ - شرح حديث الثقلين: مجلد كبير، وقد حصل الفراغ منه بتاريخ ١٦/٤/١٢٣٩هـ^(٢).

٨٥ - رسالة في شرح حديث الحقيقة^(٣).

٨٦ - شرح حديث: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف). أول الشرح: (الحمد لله. وصلى الله على محمد وآله. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: هذا قليل من الكلام في بيان بعض ما اشتمل عليه الحديث القدسي المروي في (غوالي اللآلي) و(المجلي) لابن أبي جمهور وغيرهما، وتكلم عليه العلماء، وتلقوه بالقبول معرضين عن سنده على أن متنه هو موجود في الأحاديث المسندة المصححة وإن كان متفرقاً)^(٤).

-
- (١) الذريعة: ١١٨/١٣ برقم (٦٧٥)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٤، الخلسة الملكوتية: ٢١ برقم (٣٢)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٧)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٨٠/١ برقم (١٨٠)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (٣٢)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٧٨ برقم (٣).
- (٢) أنوار ابدرين: ١٦٤/٢، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (٦)، الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٣ برقم (١)، منتظم الدرّين: ٢٩٨/٣، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣١، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة الملكوتية: ١٨ برقم (١٥)، أنوار الثقلين: ١٦٤/٢، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٢٢/١ برقم (٣٢١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٧ برقم (١٥)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧.
- (٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨٤/١ برقم (١٨٦٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٤٩).
- (٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٣ برقم (١١٩).

٨٧ - شرح ما ورد: (أنّ ولد الزنا لا ينجب إلى سبعة أبطن): أوله: (في معنى ما ورد عنهم أنّ ولد الزنا لا ينجب إلى سبعة أبطن، وفي حفظي ترجيحاً أنه في حديث إلى سبعين بطناً، فمن أين ظهور عدم النجاسة في مراتب الحلال المتنازلة، كذلك ﴿وَلَا يُزِرُّ وَارِثُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾^(١)).

٨٨ - ضياء الهدى لمن طلب الاهتداء، أو (تحفة الإخوان للرد على سائر الأديان): وهو كتاب في الرد على النصارى أو الرد على كتاب: (مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن)، وهو كتاب صغير في مجلد واحد، أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾^(٢)، [وقال تعالى]: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٣)، نحمد من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته، ظهر لصنعه بصنعه... إلى أن قال: فيقول محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار: إنه في السنة الحادية والأربعين بعد المائتين والألف من تاريخ الإسلام، وردت رسالة لبعض علماء النصارى، رام بها الرد على اليهود وإثبات نبوة عيسى عليه السلام، وأن دينه أفضل الأديان، وإثبات ربوبيته، وإبطال نبوة محمد... ورتبتها على مقدمة وعشرة فصول، والكتابي سمي رسالته: بـ (مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن)، ونحن نسمي رسالتنا بـ (ضياء الهدى لمن طلب الاهتداء، أو بـ (تحفة الإخوان للرد على سائر الأديان))، فرغ منه ١٢٤٩هـ^(٤).

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٤ برقم (١٢٠).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) أنوار البدرين: ١٦٣/٢، الذريعة: ١٧٣/١٠ برقم (٧٢٤)، طبقات أعلام الشيعة: ١٢/

٤١٧، مرآة الشرق: ١١٤٠/٢ برقم (٤)، منتظم الدرّين: ٢٩٨/٣، الأزهار الأرجية في

الآثار الفرجية: مجد ٤٠٥/١١ برقم (١٧)، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤ برقم (٤)، مجلة

الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٨ و ٤٣٣، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٦/٣، =

٨٩ - على القول بتقليد المجتهد، هل وجوبه عقلي أو سمعي، فإن كان الأول، فإنه كان بالأدلة والأحكام تقليد المجتهد في جميع الأحكام قلنا: هيئات دليل العقل دل على وجوب طاعة المعصوم^(١): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٥) في مجموع الرسائل.

٩٠ - غاية المراد في تحقيق المعاد، في إثبات المعاد الجسماني كما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وبضمنها بحوث حول الموت وحالة جسد الإنسان بعده، والقبر والحشر، والجنة والنار، وأشباهها من منازل الآخرة، أوله: (الحمد لله متقن الصنع ومربيه، ومكمل الوجود ومدبره، وصلى الله على محمد وآله، منشأ الوجود وناشره، وعلة العلل ومنتهى المعبود... إلى أن قال: هذه رسالة مختصرة في بيان المعاد والنشأة الثانية التي هي قوس العود يقابل البدء، قصدت فيها الاختصار بغير تطويل)، وفرغ منها نهار اليوم السادس من شهر شعبان سنة ١٢٤٥هـ، وقد حققها الشيخ حلمي بن عبد الرؤوف السنان، وطبعت طباعة حديثة عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م^(٢).

=الجلسة الملكوتية: ١٩ برقم (١٨) و٢٤ برقم (٤٣)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (٢٦)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٢٦/١ برقم (٣٣٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٣٩٨ برقم (١٨)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٤٠٨/٣ برقم (٦٣٣٦)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٣ برقم (٣٧).

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١٠٥).
(٢) الأزهار الأرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (٧)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٦ و٤٥٧ برقم (١٣)، التراث العربي المخطوط: ٢١٥/٩، الجلسة الملكوتية: ٢٣ برقم (٣٨)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٦ برقم (١/٥٦)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١ برقم (١٥)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢/١ برقم=

٩١ - فتح الأبواب في شرح خلاصة الحساب، الأصل للشيخ محمد بن حسين العاملي، شرحها المؤلف ورتبها على ترتيب المصنف للرسالة على مقدمة وعشرة أبواب. أوله بعد البسملة والحمد والثناء: (فإن الفقير إلى الله الغني، وقد زاد بهذا الإقرار منزلة العلا، شيخ الملا، وبهاء الدين، الشيخ محمد ابن الشيخ حسين العاملي، ذو المنزلة الظاهرة علماً وعملاً في كل علم، كما هو ظاهر لأولي الألباب، أنطقه الله بالصواب في يوم الحساب، جزاء إخلاص عمله عن شائبة الارتياب)^(١).

٩٢ - فصل الخطاب في التمسك بالعترية والكتاب^(٢)، وهذه الرسالة تتحد مع (الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب).

٩٣ - كتاب الصلح وبيان الاتفاق بين علماء الأصول والأخبار^(٣)، أقول ولعلّه يتحد مع الكتاب المذكور بعنوان: الأصول والأخبار والجمع والتوفيق بين طريقة الأصوليين والأخباريين، يعني المتقدمين والمتأخرين.

٩٤ - كيف لا يُعمل بكتاب المقلّد في حياته، بعد مماته، ولا يخلو من

= (١٨٥) و٧٦/٢، برقم (١٥٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٩ برقم (٣٨)، فهرس مصورات المخطوطات: ١٢٩ برقم (٤/٩٩)، معجم طبقات المتكلمين: ١١٩/٥، معجم التراث الكلامي: ٣٢٧/٤ برقم (٩٠٧٠)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ٩٩ و١٠٥، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٩٥ برقم (٢٧).

(١) أنوار البدرين: ١٦٤/٢، الذريعة: ١٤١/١٣ برقم (٨٣٦)، طبقات أعلام الشيعة: ١٢/٤١٧، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (٨)، منتظم الدرّين: ٢٩٩/٣، تكملة أمل الآمل: ٤/٥٣٢، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٤ و٤٥٧ برقم (١٤)، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٧/٣، الخلسة المملوكيّة: ٢٢ برقم (٣٣)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٨/١ برقم (١٧)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨٧/١ برقم (١٨٧٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٩ برقم (٣٣)، فهرس مصورات المخطوطات: ١٣٨ برقم (١١١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٠ برقم (٣٥).

(٢) فهرس مصورات المخطوطات: ١٣٧ رقم (١/١١٠).

(٣) الخلسة المملوكيّة: ٢٢ برقم (٣٧)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٣٩٩ برقم (٣٧).

كونه مأخوذاً من الكتاب والسنة، فهو حقٌّ، والحق حقٌّ إلى يوم القيامة، وإلا فهو باطل لا يُنتفع به، ومن ادّعى عدم جواز العمل بها بعد موته فعليه الدليل، وليس الدليل إلّا من الكتاب والسنة^(١): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢١) في مجموع الرسائل. وطبعت ونشرت عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، في مجلة الفقامة العدد (٧ - ٨) من السنة الثانية شتاء وربيع، بتحقيق: أحمد عبد الهادي المحمد صالح.

٩٥ - كيف يكون مثل زرارة وبعض فضلاء الأصحاب لا يعرفون الإمام بعد موت الصادق، حتى أنه يقع في حيرة ويرسل يسأل عنه^(٢): وجواب هذه المسألة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٩) من مجموع الرسائل.

٩٦ - ما الجمع بين ما روي في التوقيع من الناحية القدسية أنه (من جاءكم من يدّعي الرؤية قبل ظهور السفيناني والدجال فكذبوه) وفي حديث المفضل بن عمر الطويل في القائم والرجعة (لا تراه عين حتى تراه أعين)^(٣): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٣٢) في مجموع الرسائل.

٩٧ - ما الدليل من الكتاب أو السنة على جواز العمل بالظن^(٤): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (١٠١).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٩٠).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١١٢).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١٠٤).

جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٤) في مجموع الرسائل.

٩٨ - ما العلة في كون الأئمة المعصومين اثني عشر والمعصومين أربعة عشر، وما الحكمة^(١): وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٨) من مجموع الرسائل.

٩٩ - ما حكم الخمس زمن الغيبة^(٢): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٣٢) في مجموع الرسائل.

١٠٠ - ما حكم صلاة الجمعة زمن الغيبة^(٣): وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٥) من مجموع الرسائل.

١٠١ - ما شرط الاجتهاد التي يجب تحصيلها ويصح بها الفتوة الذي يجب تحصيله ويصح به الفتوى، والحكم وتقليده، ويكون بها مجتهداً، وواسطة بينه والإمام في تحصيل الأحكام^(٤): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٤) في مجموع الرسائل.

١٠٢ - ما معنى المعية في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^{(٥)(٦)}:

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٨٩).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١١١).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٨٦).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (٩٥).

(٥) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٦) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (٩٩).

ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٩) في مجموع الرسائل.

١٠٣ - ما معنى قولهم ﷺ: (لا جبر ولا تفويض لكن أمر بين أمرين)^(١): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٣١) في مجموع الرسائل.

١٠٤ - ما معنى ما ورد عنهم ﷺ في الخطاب وغيرها، كما في (العيون) و(التوحيد) له معنى: (الربوبية إذ لا مربوب)^(٢): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٣٠) في مجموع الرسائل.

١٠٥ - ما العلة في رد الشمس لعلي، وهل وقت الصلاة في الوقت حقيقة أم لا، وفي بعض الروايات أن الرسول كان رأسه في حجره ﷺ فلم يحب أن يوقظه حتى غابت الشمس، فكيف يكون ولم يذكر أن الرسول فاتته أيضاً، فإن كان صلى فعليّ صلى معه جزماً، فما الوجه في ذلك^(٣): والمسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٣) في مجموع الرسائل.

١٠٦ - مجموع رسائل، جمع مجموعة رسائل من تصنيف المؤلف في حياته، وكتب عليه مقدمة، ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله. وصلى الله على محمد وآله خير خلق الله. وبعد. فهذه أسئلة متفرقة من بعض

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١١٠).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١٠٩).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٩٤).

الإخوان أحببت الإجابة عليها حاضر الخاطر مع ضيق الوقت وعدم إمكان المراجعة، وقد أجبت المسائل ولكن متفرقاً فأجمعتها والله الموفق)، وقد ضمّ بين دفتيه على إجابة (٣٥ مسألة)، وتفاصيل أسماء المسائل المذكورة في موضعها ضمن هذا الفهرس، وسأشير لها.

١٠٧ - مجموع رسائل: يتضمن على سبع مسائل، وهي:

الأولى: هل الحسين عليه السلام أفضل الشهداء حتى من جده وأبويه، أم متساوون في الفضل، كما روي مطلقاً، أو من وجه - وبه قائل - أو على ترتيبهم في الفضل يترتبون في الشهادة.

الثانية: هل بين محمد وآله الثلاثة عشر تفاوت في الفضل، أم هم متساوون ذاتاً وصفة وفعلاً.

الثالثة: هل يجوز تقليد المفضول مع وجود الأفضل، وإمكان الأخذ منه أو لا يجب وإنما هو على سبيل الأفضلية.

الرابعة: مما وقع فيه التشاجر ورمى بالكذب ما أورده بن فهد: من أن الله أوحى إلى موسى أن اصحب معك من تكون خيراً منه للمناجاة.

الخامسة: ما وجه الحكمة في خروج الحسين عليه السلام بالنسوة مع علمه بما يقع بهن بعده من السب والسبي.

السادسة: ما الوجه فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «تحذوا أمتي حذو بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، وحذو القذة بالقذة».

السابعة: ما الوجه فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنما ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وأما المحسنون فما عليهم من سبيل» فكيف تختص ببعض ولا تكون في زيادة الثواب مع أنها عامة^(١).

(١) التراث العربي المخطوط: ١/١٩٦، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٤ برقم (٥٣)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٦ برقم (٦٢).

١٠٨ - مجموعة رسائل، منها رسالة جواب بعض الأشراف في شرح كلام الأمير المروي في (غرر) الآمدي (ليس الذكر من مراسم اللسان)^(١).

١٠٩ - مختصر الرسالة العملية، اختصرها تلميذه الشيخ أحمد بن طوق القطيفي، أول الرسالة: (الحمد لله رب العالمين، ومدبر الخلائق بلطف في الدنيا والدين، وصلى الله على سيد العالمين، محمد المبعوث دليلاً على الصراط المستقيم، وعلى آله المخصوصين)^(٢).

١١٠ - مختصر الشوارق الحسينية: في الرد على القول بحجية الظن، رداً على صاحب (القوانين)، أوله: (الحمد لله الأحد، وصلى الله على محمد وآله الصفوة والعمد. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار: إنه جرت مذاكرة في القول الحادث)، وهو مرتب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقد فرغ منه عصر يوم الخميس في ١٢/٢/١٢٤٦ هـ^(٣).

١١١ - مشكاة الأنوار في رجعة محمد وآله الأطهار: تتحد مع (تحفة أهل الإيمان لصاحب العصر والزمان) فراجع.

(١) الذريعة: ١١٧/٢٠ برقم (٢١٨٩)، مجلة الموسم العددان (٩ - ١٠): ٤٣٠، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١٥٨/١ برقم (٤٣٥)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥٧).

(٢) أنوار البدرين: ١٦٤/٢ و ١٨١، مرآة الشرق: ١١٤١/٢ برقم (١٠)، منتظم الدرر: ٣/ ٢٩٩، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٧، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١/ ١٧ برقم (١٠).

(٣) الذريعة: ١٩٩/٢٠ برقم (٢٥٦٤)، الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٤ برقم (١١)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٧، الخلسة الملكوتية: ٢٣ برقم (٤٠)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٣٨)، معجم المؤلفات الشيعية: ٢٧٩/١ برقم (٨٤٢)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠٠ برقم (٤٠)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠٤، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠١ برقم (٣٦).

١١٢ - مصباح الضياء لتنزيه الأنبياء، ذكر هذا المؤلف الشيخ محمد آل عبد الجبار في كتابه (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) في شرح الحديث الثاني عشر من المجلد الأول المخطوط، وقد وضع فيه أن أهل العصمة عليهم السلام مجمع العلم وخزائنه، وإليهم انتهى أصله وغايته^(١).

١١٣ - مصباح المبين لرفع الافتراق بين علماء الأخبار والمجتهدين: في مقدمة وفصول وخاتمة. أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله. وصلى الله على خير خلق الله. وبعد. فهذه كلمات مختصرة يسيرة رسمتها في ضيق وقت وتشتت بال وتراكم بلبال من غير مراجعة، مع قلة البضاعة وكثرة الإضاعة في دفع ما وقع في الفرقة من التشاجر وسب كل الآخر، وبيان اجتماعهم على الحق من غير تفرقة، والنبي والإمام واحد، وكذا الكتاب والسنة، وسميتها بـ (مصباح المبين لرفع الافتراق بين علماء الأخبار والمجتهدين))^(٢).

١١٤ - معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)، أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله المعصومين. وبعد. فقد سأل بعض الطلبة الراغبين في يزد المحروسة عن معنى)^(٣).

(١) أشار لهذا العنوان بـ (رسالة في تنزيه الأنبياء) الباحث الأستاذ نزار آل عبد الجبار في كتابه: الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٨ برقم (٦٦) نقلاً عن هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٩٥/١.

(٢) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٥ برقم (١٦)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٨، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٨٤/١ برقم (٨٥١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥١)، مجلة الواحة (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٧ برقم (٤٩).

(٣) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر: ١٠٧، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٩)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨٤/١ برقم (١٨٦٦)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٤٨)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٧ برقم (١١٦).

١١٥ - مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، وتسمى أيضاً: تحفة الإخوان للرد على سائر الأديان، وضياء الهدى لمن طلب الاهتداء^(١).

١١٦ - رسالة في حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وهي في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة^(٢).

١١٧ - منبع الأسرار وسيف الله على الأشرار: ألفها في الرد والدفاع عن السيد كاظم الرشتي، أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة على صفوة خلقه من جميع بريته. وبعد. فقد حدث في هذه الأزمان أقوالٌ منكراً في العراق، في جانب الله وحججه، أزالته عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وكانوا بها أئمة وحججاً له، وأثبتوا فيها النقائص في الجانب العلي). وآخرها: (كعبادة إبليس وامتناعه عن السجود، وكعبادة من عبد موهوماً، وكفر بالله وأضل، وقد أشير إلى أنواع العبادة المرادة لله والمردودة في الكتاب والكافي والمحاسن وغيرها، أشرنا له فتفكر وتدبر).

وقد ذكر آل جميع في معجمه^(٣)، إن الكتاب عبارة عن رسالة في بيان مقام أهل البيت عليهم السلام وبيان صفاتهم التي وهبها الله إياهم، وردَّ الشبه عنهم^(٤).

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٥، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٣٨، الخلسة الملكوتية: ٢٤ برقم (٤٣) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ١/ ١٢٦ برقم (٣٣٤)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠٠ برقم (٤٢)، مجلة الواحة (٥٠): ١٠٧، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٠٣ برقم (٣٧).

(٢) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٩/١ برقم (٤٨)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٨ برقم (٥١).

(٣) معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢/٢٢٤ برقم (٥٨٤).

(٤) الخلسة الملكوتية: ٢٤ برقم (٤٥)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١ برقم (١١)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠٢ برقم (٥٨)، فهرس مصورات المخطوطات: ٨٤ برقم (٤/٦٢)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١١٢ برقم (٤٤).

١١٨ - منسك في أعمال الحج: يحتوي على مقدمة وثلاث فصول، أتمّه في عام ١٢٢٣هـ^(١).

١١٩ - نور الهدى في فلسفة شهادة سيد الشهداء: وهو في أربعة فصول. أوّله: (الحمد لله ذي الفضل العميم، والعطاء الجسيم، الذي خصّ محمّداً وآله بخصائص جوده، وجعلهم معادن توحيده)^(٢).

١٢٠ - هدي العقول إلى أحاديث الأصول: وأسماء صاحب (أنوار البدرين): (شرح على أصول الكافي) وهو في عدة مجلدات زادت على خمسة عشر مجلداً، وفي الذريعة: إنه أكبر الشروح وهو ١٤ مجلداً منها عشرة مبيضة والباقي مسودة، وهو شرح مشبوع من التحقيق والتدقيق، وقد حقق منه: ج ٢، ج ٣، ج ٤، ج ٥، ج ٦، ج ٧، ج ٨، ج ١٠، ج ١٣، وطبع في تسع مجلدات عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بالاسم نفسه الذي ذكره المؤلف وأثبتناه أعلاه، بإشراف الشيخ مصطفى بن الشيخ عبد الحميد المرهون، الناشر: شركة دار المصطفى لإحياء التراث^(٣). وهذا الكتاب الذي بين يديك هو المجلّد الأول من الشرح.

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٤٧ برقم (١٢٦).

(٢) فهرس مكتبة الوزيري... يزد: ٢٨٥، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٧/١ برقم (١٣)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٢٧٩/٢ برقم (٧٧٢)، فهرس مصورات المخطوطات: ٧٣ رقم (٥١)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٢٢ برقم (٥٧).

(٣) أنوار البدرين: ١٦٢/٢، الذريعة: ٦١/١٣ برقم (٣١٤)، طبقات أعلام الشيعة: ٤١٧/١٢، مرآة الشرق: ١١٤٠/٢ برقم (١)، الأزهار الارجية في الآثار الفرجية: مج ٤/١١/٤٠٥ برقم (٢١)، تكملة أمل الآمل: ٥٣٢/٤ برقم (١)، منتظم الدّرين: ٢٩٨/٣، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٤٠، فهرس مكتبة الوزيري... يزد: ٢٩٠، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١٠٦/٣ برقم (١)، التراث العربي المخطوط: ٣٦٩/١٣، الخلسة الملكوتية: ٢٤ برقم (٤٦)، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٥٨/١ برقم (١٢١)، هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٩/١ - ١٤، أعلام مدرسة الشيخ الأوحّد: ٤٠٠ رقم (٤٣)، فهرس مصورات المخطوطات: ٤٥٢ رقم (٣٥٨/أ) و ٤٥٥ رقم (٣٥٨/ب) و ٣٥٨/ج و رقم =

١٢١ - هل الأخبار تفيد القطع، أم لا، مسألة ضمن مجموع رسائل لاتزال مخطوطة^(١): وهي الرسالة الأخير في مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٣٤) من مجموع الرسائل.

١٢٢ - هل الأفضل زيارة الحسين أو الرضا أو غيرهما عليهما السلام^(٢): وجواب هذه المسألة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٠) في مجموع الرسائل.

١٢٣ - هل الحقيقة الشرعية ثابتة، أم لا^(٣): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٨) في مجموع الرسائل.

١٢٤ - هل الخطاب يخص المشافهة به خاصة ولا يُعمم غير الموجودين مطلق ممن سيأتي أو حتى الغائب عن مجلس الخطاب أو يعم الجميع حقيقة أو مجازاً^(٤): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٩) في مجموع الرسائل.

١٢٥ - هل العلم منسد من الغيبة أم لا^(٥): ونص المسألة وجوابها ضمن

= (٣٥٩) و٤٥٦ رقم (أ/٣٦٠) ورقم (ب/٣٦٠) و٤٥٧ رقم (٣٦١)، ورقم (أ/٣٦٢)، و٤٥٨ رقم (ب/٣٦٢) ورقم (٣٦٣) و٤٥٩ رقم (٣٦٤) ورقم (٣٦٥) و٤٦٠ رقم (٣٦٦)، مجلة الواحة (٥٠): ١٠٦، معجم التراث الكلامي: ٣٠/٤ برقم (٧٦٥٥)، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٥٩ - ٧٧.

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٥ برقم (١١٣).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٩١).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١٠٧).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٤ برقم (١٠٨).

(٥) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (٩٧).

مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٦) في مجموع الرسائل.

١٢٦ - رسالة في مسألة (هل الله يقدر أن يخلق أفضل من محمد ﷺ أم لا؟). أولها: (الحمد لله حمداً لا حد له، ولا منتهى، وصلى الله على محمد وآله صفوة المصطفى. وبعد. فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن أحمد بن علي آل عبد الجبار: إنه قد جرت مسألة من الجانب العليّ الأواه، المحفوظ بعين عناية الله من شر الطوارق)، وهي في مقدمة وفصلين، والمقدمة تشتمل على مسألتين، فرغ منها في يزد ١٢٣٩هـ / ١٠ / ٢٧^(١).

١٢٧ - هل تجري الزيادة لمحمد وآله المعصومين، أو أنهم بلغوا بمحل فما أعطاهم الله لن يقبلوا الزيادة كما توهمه بعض الفضلاء^(٢): وهذه المسألة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٤) من مجموع الرسائل.

١٢٨ - هل كلام الله حادثٌ وقديم^(٣): ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١٨) في مجموع الرسائل.

١٢٩ - هل وقع تغيير في القرآن أو لا^(٤): وجواب هذه المسألة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (١١) في مجموع الرسائل.

(١) الأزهار الأرجية: مجد / ٤ / ١١ / ٤٠٤ برقم (٣)، مجلة الموسم، العددان (٩ - ١٠): ٤٢٩، معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية: ٣٠٣ / ١ برقم (٨٩٨)، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي: ٤٠١ برقم (٥٠)، معجم التراث الكلامي: ٤٤٠ / ٣ برقم (٦٨٩٨)، مجلة الواحة، العدد (٥٠): ١٠١، الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ٨٧ برقم (٢٠).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٨٥).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٣ برقم (٩٨).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ١٣٢ برقم (٩٢).

١٣٠ - هل ولد البنت ولد حقيقة أو مجازاً، وإنما ينسب لأبيه^(١) : ونص المسألة وجوابها ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٦) في مجموع الرسائل.

١٣١ - هل يجب تقليد الأفضل مع وجود المفضول أم لا يجب^(٢) : وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٢) من مجموع الرسائل.

١٣٢ - هل يجوز تجزيء الاجتهاد^(٣) : وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (١) من مجموع الرسائل.

١٣٣ - هل يجوز تقليد الميت، أم لا^(٤) : وهي ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، وتحمل رقم (٣) من مجموع الرسائل.

١٣٤ - وقع كلام من الشيخ عبد المحسن الأحسائي في قبلة الأحساء، فسأل عنه بعض الإخوان فأوضحته بما سيأتي، وليس الغاية بيان ما في كلامه من الغلط فإنه ظاهر بلا خفاء ولكن لبيان قبلة هذه البلدان وإيضاحها، فوقع ذلك عرضاً، ولكل مصوت مجيب : ونص كلامه أو رسالته منشورة ضمن مجموع الرسائل المذكور في هذه القائمة، والذي جُمع في حياة المصنف وكتب له مقدمة، والمسألة هي رقم (٢٧) في مجموع الرسائل.

(١) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٣٤ برقم (١٠٦).

(٢) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٣٢ برقم (٨٣).

(٣) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٣١ برقم (٨١).

(٤) الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي : ١٣٢ برقم (٨٤).

عنوان الكتاب:

لقد نص المؤلف الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار على اسم الكتاب في مقدمة المجلد الأول بالاسم المعروف له، قائلاً: (وسميته «هدي العقول إلى أحاديث الأصول»)، وهذا ما يكفي مؤنة البحث والتنقيب في اسم الكتاب وإن ذكر المؤلف في بدايات شروحه لبعض المجلدات من هذا الكتاب باختلاف طفيف في اسم الكتاب، مثل ما ورد نصه في مقدمة المجلد الثاني: (هذا هو الجزء الثاني من «هدي العقول في شرح أحاديث الأصول»)، ومقدمة المجلد الرابع^(١): (هذا أوان الشروع في المجلد الرابع من شرح الأصول، المسمى بـ «هدي العقول»)، نجده يعود في مقدمة المجلد الخامس ويكتب الاسم الذي دونه في مقدمة المجلد الأول، قائلاً: (هذا أوان الشروع في المجلد الخامس من شرح أصول الكافي، المسمى بـ «هدي العقول إلى أحاديث الأصول»)، وكذا الحال بالنسبة للمجلد الثالث عشر^(٢): (هذا هو المجلد الثالث عشر من «هدي العقول إلى أحاديث الأصول»)، فهذا اسم الكتاب الذي ذكره المؤلف في مقدمة المجلد الأول وأيضاً عرف واشتهر وتداول في كتب التراجم والفهرسة بـ «هدي العقول إلى أحاديث الأصول» وإن شذ البعض وذكره بمسميات أخرى لا يغير من حقيقة ما ذكره المؤلف بقلمه وبصريح عبارته بقوله: (وسميته)، وهذا هو الصواب.

التعريف بالكتاب:

كتاب (الكافي) لثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: شعبان ٣٢٩هـ) والذي جمعه في عشرين سنة، والمشمول على أربعة وثلاثين كتاباً، وثلاث مئة وستة وعشرين باباً، و(١٦٤٧٧) حديثاً، في

(١) الثالث من المطبوع.

(٢) المجلد التاسع من المطبوع.

قسمين الأصول الدينية وفروعها. فهذا الكتاب يتصدر الكتب الحديثية الشيعية، ويعد المرجع الأساسي الذي لا غنى لطالب العلم عنه، فحظي بعناية العلماء الأعلام، بالدرس والشرح، والتدقيق والتنقيح، والعالم الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار (ت: ١٢٥٢هـ) ممن وفق وتشرف بشرحه، وعد هذا الشرح من أكبر الشروح في الكافي، حيث وصل به إلى (١٥ مجلداً)، وشرحه للكتاب اعتماداً على ما فهمه من كلام الوحي وروايات أهل البيت عليهم السلام، لا من رأيي ولا هو بتابع لكل ناعق، وقد أسقط خطبة كتاب أصول الكافي عن كتابه، ولم يتعرض في أثناء شرحه إلى رجال السند؛ لصحة متون جميع أحاديثه لديه كما نوه عن ذلك في المقدمة. وتكلم في أول كل باب بما يتضمنه العنوان من الحكم؛ ليكون به مضمون رواياته متضح بذلك، فما يذكر خلالها يعد زيادة تفصيل له، وطرق في هذا الشرح مجموعة من العلوم مثل القرآن وتفسيره، والحديث وعلومه، والفلسفة وعلم الكلم، والطب القديم وأمور كثيرة؛ لأن (الكافي) نفسه جمع فنون العلوم الإلهية واحتوى على الأصول والفروع.

وناقش المؤلف آراء بعض العلماء الذين شرحوا أحاديث (الكافي)، بعدما يسطر ما يريد التعرض من مقاطع شرحهم، فيوضح مراد كلامهم، ويشير إلى الخلل ويسده بما يرى أنه الموافق للقرآن الكريم وأحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام، وقد تضمن المجلد الأول من الشرح (هذا الكتاب) مقدمة وشرح أربعة وثلاثين حديثاً، وخاتمة.

وصف النسخ المعتمدة:

وقفت على نسختين مخطوطتين من المجلد الأول لكتاب (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) بعد عناء وجهد مضني بالبحث في المكتبات العامة والخاصة وفي فهارس الكتب التي عنت بفهرسة المخطوطات الإسلامية، وجدناها في مكتبة الحاج محمد علي بن الملا عبد المهدي الجشي الخاصة

مبعثرات

- كما أشرنا لذلك في المقدمة - وهما نسختان أصل. ويمكن وصف كل نسخة على النحو التالي :

النسخة الأولى :

وقد أشرت لها بالنسخة (أ)، وهي بخط السيد مكي بن علي بن هاشم الموسوي، وقد فرغ من نسخها عصر يوم الاثنين ٢٦/٣/١٢٤٩هـ، وتقع في (٥٤٩ ورقة) وهي غير مرقمة، ويكتفي الناسخ بكتابة كلمة في يسار الهامش السفلي في بعض الصفحات، فإذا وضعها في الورقة اليمين لا يضعها في الورقة التي تليها وهكذا؛ لتبدأ به الورقة التي تليها. كل ورقة تتضمن (٢٣ سطراً)، والخط ممكن وصفه بالجيد وتسهل قراءته، استخدم الناسخ لونين، الأسود لكتابة البحث، واللون الأحمر لكتابة أقول، ويقول والترقيم الذي استخدمه المؤلف وبعض العبارات البسيطة التي يبدأ بها في موضوع من مواضيع بحثه.

أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. وبه ثقتي. الحمد لله الذي لا ينتهي حمده إلى حدّ، ولا يبلغ له أمد. صلى الله على صفوة خلقه وآله العمد).

آخره: (ولهذا اختصرنا في كثير من المواضع، نقلاً وتحقيقاً، ونسأل الله الزيادة من فضله. صلى الله على خير خلقه عدد ما في علم الله. كمل المجلد الأوّل، ويتلوه المجلد الثّاني، أوله (كتاب العلم). صلى الله على محمد وآله).

ملاحظة: يوجد تقييد على غلاف الصفحة الأولى من المخطوط يفيد ملكية النسخة للمؤلف، وتشمل على وقفه فيها شروط، وهي على الصيغة التالية :

(بسم الله. أوقف هذا المجلّد الشريف الأجل العالم، شيخنا، الشيخ مُحمّد بن المقدّس المبرور، الشّيخ عبد علي آل عبد الجبار على ابنه لصلبه

مبعثرات

عبد الله وعلى العالم من إخوانه من أبيه وعلى أولادهم وأولاد أولادهم وهكذا نازلاً، فإن انقرضوا - والعياذ بالله - فعلى علماء البحرين، فإن انقرضوا فعلى علماء يزد، فإن انقرضوا فعلى علماء مشهد الرضا عليه السلام، ولا يخرج منها، فإن انقرضوا فعلى علماء العجم، ثم علماء الفرقة الاثني عشرية حيث كانوا - قربه إلى الله - وشرط في أصل صيغة الوقف أن لا يعار إلا للنسخ ولغيره لا يعار. وجعل الولاية لنفسه مدة حياته، ثم الأصلح كل طبقة ووقت حتى لا يخفى، وفقاً صحيحاً شرعياً مشتملاً على شرائط الصحة، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨١].

وكتب أيضاً من قبل الناسخ تعريف بالكتاب باللون الأحمر في أعلى الصفحة الأولى من المخطوط، نص عبارته: (المجلد الأول من (شرح الأصول من كتاب الكافي) تأليف شيخنا، الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار، أيده الله تعالى).

النسخة الثانية:

وأشرت لها بالنسخة (ب)، وهي بخط سلمان بن حسين بن علي بن راشد بن سنان، وفرغ من نسخها عصر يوم الأربعاء ١٢٥٠/١/٢٦ هـ. وتقع في (٥٠٨ ورقة) وهي غير مرقمة، ويكتفي الناسخ بكتابة كلمة في يسار الهامش السفلي في بعض الصفحات، فإذا وضعها في الورقة اليمين لا يضعها في الورقة التي تليها وهكذا؛ لتبدأ به الورقة التي تليها. كل ورقة تتضمن (٢٣ سطراً)، والخط ممكن وصفه بالجيد وتسهيل قراءته، استخدم الناسخ لونين، الأسود لكتابة المادة، واللون الأحمر لكتابة كلمات بسيطة في حدود: أقول، ويقول والترقيم الذي استخدمه المؤلف وبعض العبارات البسيطة التي يبدأ بها في موضوع من مواضيع بحثه.

مبعثرات

أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. وبه ثقتي. الحمد لله الذي لا ينتهي حمده إلى حد، ولا يبلغ له أمد. وصلى الله على خلقه وآله العمد).

آخره: (ولهذا اختصرنا في كثير من المواضع، نقلاً وتحقيقاً، ونسأل الله الزيادة من فضله. وصلى الله على خير خلقه عدد ما في علم الله. كمل المجلد الأول، ويتلوه المجلد الثاني، أوله (كتاب العلم)، وصلى الله على محمد وآله).

ملاحظة: يوجد تقييد على غلاف الصفحة الأولى من المخطوط يفيد ملكية النسخة للمؤلف، وتشمل على وقفه فيها شروط، وهي على الصيغة التالية:

(بسم الله. قد أوقف الأجل الأمجد والبهى الأوحى، العالم العامل، والمحقق الكامل، شيخنا الشيخ مُحَمَّد بن المقدس المرحوم الشيخ عبد علي آل عبد الجبار هذا المجلد على ابنه لصلبه حسن، ثُمَّ على العالم من إخوانه من أبيه، ثُمَّ على أولادهم جميعاً وأولاد أولادهم وهكذا نازلاً، فإن انقرضوا - والعياذ بالله - فعلى علماء يزد الساكنين فيها، ولا يخرج منها، فإن انقرضوا فعلى علماء مشهود الرضا، ولا يخرج منها، فإن انقرضوا فعلى علماء العجم، ثُمَّ على علماء الفرقة، حيث كانوا - قربة إلى الله - وجعل الولاية لنفسه مدة حياته، ثُمَّ الأصلح كل طبقة ووقت حتى لا يخفى، وفقاً صحيحاً شرعياً مشتملاً على شرائط الصحة واللزوم، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨١].

وكتب أيضاً من قبل الناسخ تعريف بالكتاب في أعلى الصفحة الأولى من المخطوط، نصه عبارته: (المجلد الأول من (هدي العقول في شرح الأصول)، وفق الله لإتمامه بِمُحَمَّد ﷺ وآله حججه وأعلامه، تأليف الشيخ مُحَمَّد بن عبد علي آل عبد الجبار، سلمه الله).

وهذه النسخة لا تخلو من التقييدات أيضاً، ونصها: (بسم الله. وصل إلى

مبعثرات

شيخ عبد الله الحداد لمحمد... بيد عبد الله بن زبيل. مجلد الأول من شرح الأصول... وبيد أحمد بن إبراهيم...

ووقفت على نسختين وإن لم أرجع إليهما؛ لتساقت بعض الأوراق وتلف كثير من أوراقهما، لكن لا مانع من التعريف بهما على النحو التالي:

- النسخة الثالثة: نسخة نفيسة وقيمة، بخط الشيخ حسن آل خليفة، عليها كثير من الإضافات والتصحيحات والتعليقات بخط المؤلف، النسخة ناقصة من أولها ومن آخرها، ومتأكلة من طرفها الأيمن، وعدد الصفحات المتبقية (١١٤ ورقة)، وعليها وقفية بخط المؤلف، وهذا نصها:

(بسم الله. وقف على شيخ محمد علي [بن الشيخ محمد "الكبير" بن الشيخ حسين آل عبد الجبار]، ثم [على] علماء يزد، ثم علماء مشهد الرضا، ثم علماء الفرقة، ثم الصاحب والولاية على الوقف، ثم ابن عمه ثم ميرزا سليمان.. قربة إلى الله تعالى).

- النسخة الرابعة: بخط الشيخ محمد علي الجشي، كتبها في حياة المؤلف، بعض صفحات المجلد من الأخير متلاصقة ومتأكلة، وتقع في (٤٦٥ ورقة)، وعلى صفحاتها الأولى وقفية:

(بسم الله. هذا المجلد وقف على السيد آقا ميرزا سليمان، ساكن يزد، ثم [على] علماء مشهد الرضا، ثم علماء الفرقة من العجم والعراق، ثم الصاحب قربة إلى الله على الترتيب، حرره فقير ربّه وأسير ذنبه محمد علي بن مسعود الجشي).

منهج التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذا المجلد من كتاب (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) على مخطوطتين مصورتين من أصل. وقد عملت فيه على النحو التالي:

مبعثرات

- تنضيد الحروف والكلمات على الحاسوب.
- تقطيع النصوص وضبطها وتدقيقها.
- اعتمدت أسلوب التلفيق بين النسخ، مراعيًا فيه منهج تحقيق النصوص.
- مقابلة النسخ وإثبات النصّ الصحيح في المتن والإشارة إلى الاختلاف في الهامش.

- تخريج الآيات الكريمة وحصرها بين أقواس مزهّرة ❀ ❀.
- تخريج الأحاديث الشريفة والأدعية وضبطها، وحصرها بين تنصيصين « ، وذلك بالعودة إلى كتب الأحاديث التي أشار لها المؤلف في متن كتابه أولاً، وإذا لم يذكر اعتبر المصدر الأساسي لروايته كتاب الكافي وبالتالي البحث عن الحديث في المصادر المعتمدة.

- خرجت النصوص والنقولات التي ينقل منها المؤلف من نفس الكتب التي ذكرها، وإذا تعسر نقلها بعدم وقوفي عليها نقلتها من مصادر أخرى وأشرت لذلك في الهامش، أو أتركها من غير تخريج، علماً أن المؤلف ينقل بعض العبارات والنصوص بالمعنى والاختصار.

- أشرت إلى الموارد التي اعتمدها المؤلف بعد الرجوع إليها سواء أكان قد صرح بها أم أغفل التصريح.

- قمت وفي أضيق الحدود بإضافة بعض الكلمات ليستقيم سياق المتن، سواء تطلب سياق العبارة على ذلك أو من المصادر التي نقلت منها وأشرت لذلك في الهامش؛ ليتضح المعنى منها، وجعلتُ هذه الإضافة بين عضادتين [] .

- بالمقارنة بين المخطوطتين وجدت سقط كثير وقع فيه النساخ، فأشرت إلى ذلك في الهامش بعدما حصرت بين | | .

- أهملت جميع أخطاء النساخ الفردية التي شاهدها في النسختين ولا

مبعثرات

تعطي فائدة للنص التي صادفتني أثناء التحقيق، فقد وجدت فروقاً تكونت بمجرد سهو وقع فيه الناسخ مثل ترك التنقيط أو الحروف الساقطة، أو الاختلاف بكتابة الإملاء، حتى لا أثقل الحواشي من غير ضرورة، إلا ما لزم التنبيه عليه عند الاختلاف في تغيير المعنى.

- لم أحاول إضافة تعليقات على نصوص وعبارات المؤلف إلا في أضيق الأحوال والتعليق يقتصر على تنظيم مادة النص بما يظهر معانيه ويوضح دلالته.

- وضعت عناوين تفصيلية تسهياً للقارئ ووضعتها بين عضادتين []، أما العناوين التي ليست بين العضادتين فهي من المؤلف ﷺ.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



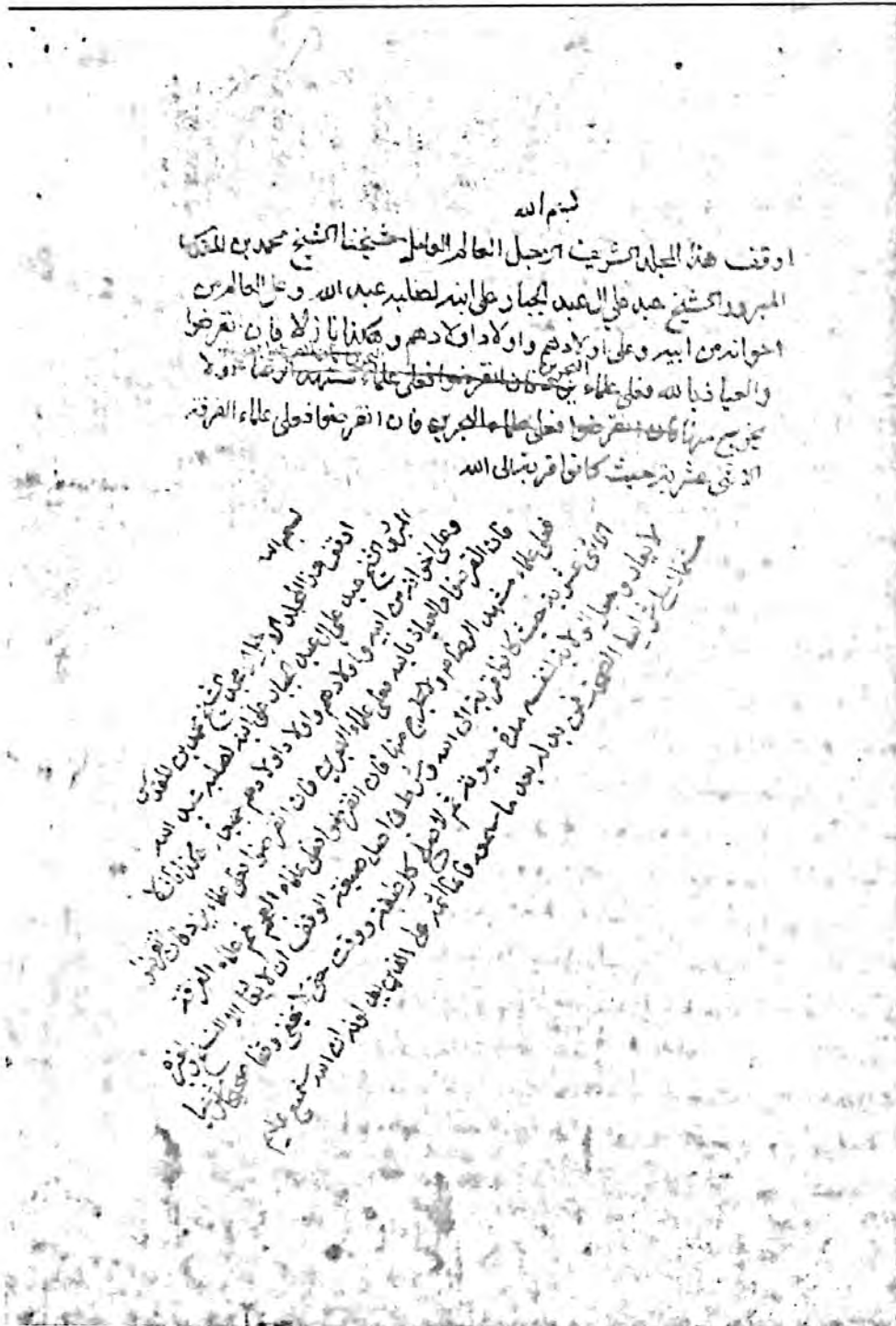
نماذج
من النسخ الخطية

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



صورة الوقفية التي كتبت على غلاف الكتاب النسخة (أ)

صورة الصفحة الأولى من النسخة (أ)

محمد و آلہ

تشریف بکتابہ هذا المجلد المبارك الشريف العبد المذلل الامل الائم مكي علي بن محمد
الموسوي في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ في داره في مدينة بغداد
تكملة كتابه في هذا المجلد من ابي المكارم الشريف فوافي الغرض
من كتابه في يوم الاثنين ١٢٩٠ هـ في شهر ربيع الثاني
الاول اتمه ١٢٩٠ هـ في شهر ربيع الثاني
والثاني في شهر ربيع الثاني
وتمت اتمه في شهر ربيع الثاني

مبعثرات

بسم الله
 هذا وقف الراجل المريد واليهي كرا وحده العالم العامل والمحقق الكامل شيناً شيناً
 محمد بن الموفق المرحوم الشيخ محمد بن عبد الجبار هذا المجلد على الله أصله
 حسن ثم على العالم من أخوانه في تبيينه ثم على أولادهم جباراً وأولادهم
 وهو كذا الأمان القرآن القرآن الله فعل علماء من السالكين فيها
 ولا يخرج منها فان القرآن فعل علماء مشهور الرضا فلا يخرج منها
 فان القرآن فعل علماء الله ثم علماء القرآن حشواً كذا في القرآن
 إلى الله وجعل الولاية لنفسه في حقهم ثم لا يصلح
 وطبقه ووقت حتى لا يخرج منها جباراً شيناً شيناً
 شيناً شيناً في الصلوة والزوم في بطلان بعد ما
 سمح فاعلم الله على الله في بطلان
 ١٥١ الله جميع عالم

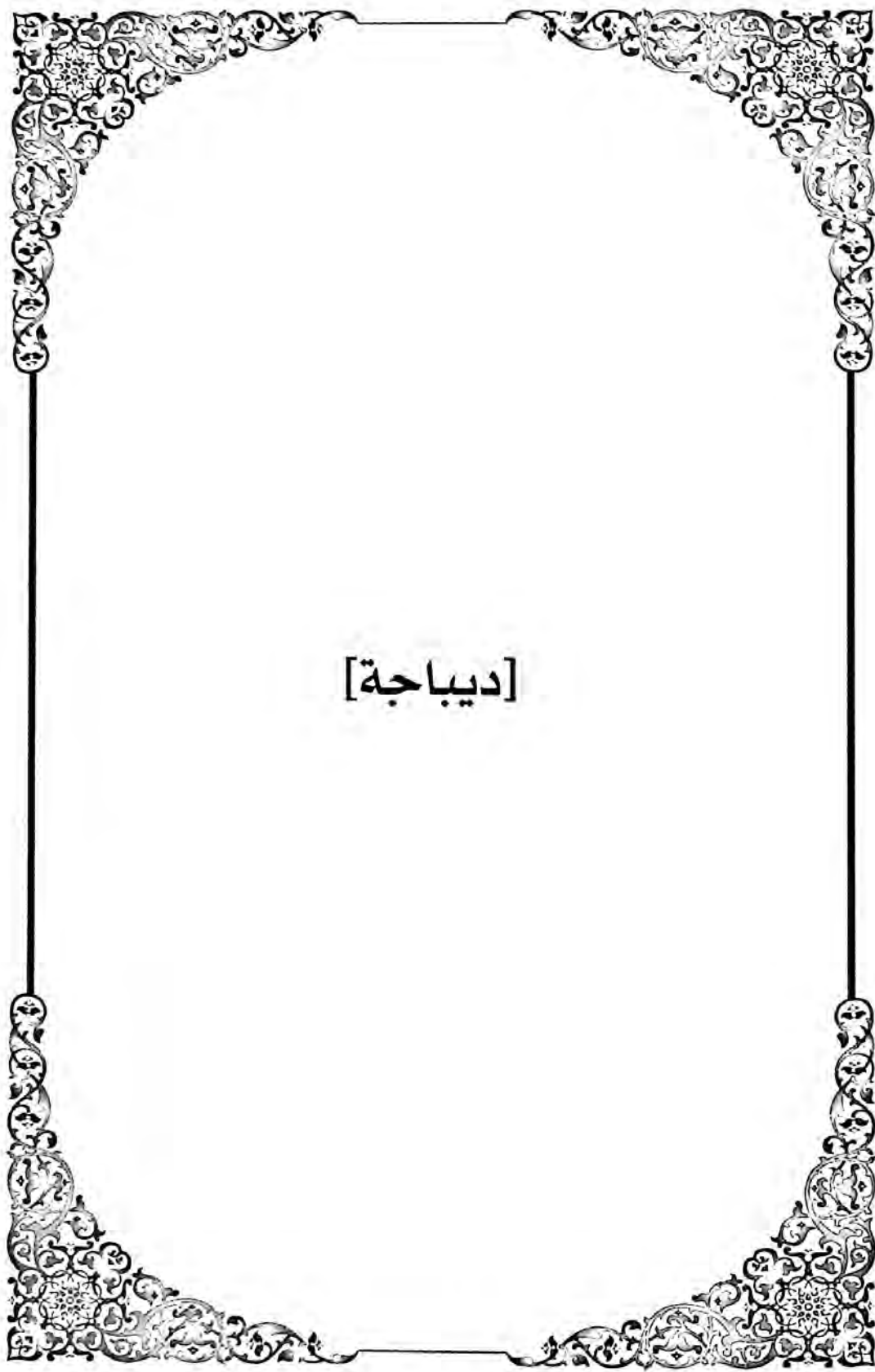
صورة الوقفية التي كتبت على كتاب النسخة (ب)

المجلد الأول من هذا القول في شرح الألف بفتح الله لا تمانع بحمدته وآله حمداً
 ثانياً في شرح محمد بن عبد الله الرحمن الرحيم وبشرى بن عبد الله بن عبد الجبار
 الحمد لله الأحمده الذي لا ينهي حمدنا إلى أحده ولا يبلغ له أمدده وصلى الله على صفوة خلقه
 وآله العمرة وزجوان وحبيبه في كل مقام وحدده والشفعاء مذكراً الأبد وبعد لا يخفى أن
 كتاب الصواعك في مما جرى فيه اشكالات كثيرة من العلماء حتى أنه جرى الناويل الكثير
 من احاديثه على غير المراد منها لظن الخالفين وكل ذلك لعموم الجمل وكثرة القصور
 أو التقصير وكفى شكاً في الكليين من اهل هذه السلسلة الثلاثة ثمانية والثلاثين فكيف في
 هذه الانهاك ولكن الحق منفتح المنار لا يلنبس على طالبيه واني في قصوري عن هذا
 الجمل الزاخرة والجري في حلبة اهل النتي والمفاخره الا أنه اتفق في بعض الاوقات
 في ردة السيد السند العالم العامل السيد عبد الرؤف والشيخ الفاضل الشيخ محمد القزويني
 اصول الكافي قال لم علي السيد في الكافي عليه وكلما قد عرفت لما انا عليه لم يقبل
 فتقوى عزيم الزائره واعصمت بمحمد وآله في بدو وختامه واجوان يكون شرحا
 بفتح بركتهم مفقولة ويجعل مشكله ويوضح دليله ان كلامهم نوب لا ظمير فيه وهذا
 بلا شبهة تعتبر به وان اصل الاشكال والتخريف من مراد كلام معدن العلم والبيان
 الى كلام المقلعة واهل النصوص وفخر في الأدب ان ولورجوا الى المفرغ والملاذ
 في الدنيا ويوم التنازه في سهل الأمور وسدائد هاعشر وعلى المنهل الهني والمورد
 الربيع الذي لا يظلمو شام به ولا يضل طالبيه والأخفاف في ذلك ليس بجاد في
 في هذه الانهاك دبل من وقتهم كما ينبغي عنه كلام المصراع في خطبة الكتاب وغيره
 من النقلة والروايات ايضاً مصرحة بذلك واعلم يا اخي ان جميع ما ذكره في شرح
 الاحاديث فأنما هو على ما فهمت من كلام معدن الوحي والتزيل بما وهب الله من
 العقل الذي به التفسير لا من اللفظ لا يتبع الكل نافع فان وافق قبولاً عند الناظر
 فحسن وان لم يتصور به كذا فليس في ذلك عيب ولا في ما فهمت من بنية لبقية الله
 معه وبيده في هذه الدنيا التي علم محمد بن الحسن بن علي بن هاشم صاحب هذا

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ب)

تُعرف بكتابة هذا المجلد المبارك الشريف العبد الأفل الأثم سلم الحسين
بن علي بن الحسين نسأل الله الأعانة بكمه وجوده والبقاء
في صلاح حال ورفقاء بالكتابة باقي هذا المجلد من الشرح المبارك
الشريف فوافي الفراغ من كتابته عصر يوم الأربعاء الحادي عشر
والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٠٤٠ هـ
الحسين بعد المائتين والألف خامساً أصلياً
والحمد لله حق حمده وصلى الله
على خير خلقه محمد وآله
الطاهرين

مبعثرات



[ديباجة]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقني

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَا يَنْتَهِي حَمْدُهُ إِلَى حَدٍّ، وَلَا يَبْلُغُ لَهُ أَمَدٌ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَآلِهِ الْعَمَدِ، وَتَرْجَمَانِ وَحْيِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَحَدٍّ،
وَالشُّفَعَاءِ مَدَى الْأَبَدِ. وَيَعْدُ.

لا يخفى أَنَّ كِتَابَ (أُصُولِ الْكَافِي) مِمَّا جَرَى فِيهِ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ
الْعُلَمَاءِ، حَتَّى أَنَّهُ جَرَى التَّأْوِيلُ لكَثِيرٍ مِنْ أَحَادِيثِهِ عَلَى غَيْرِ الْمَرَادِ مِنْهَا؛ لظَنِّ
الْمُخَالَفَةِ، وَكُلَّ ذَلِكَ لِعُمُومِ الْجَهْلِ، وَكَثْرَةِ التَّصَوُّرِ أَوْ التَّقْصِيرِ، وَكَفَى
شُكَايَةَ الْكَلِينِيِّ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ (سَنَةِ ٣٣٠ الثَّلَاثِ مِئَةِ وَالثَّلَاثِينَ)، فَكَيْفَ فِي
هَذِهِ الْأَزْمَانِ؟! وَلَكِنَّ الْحَقَّ مُتَضَعُ الْمَنَارِ، لَا يَلْتَبَسُ عَلَى طَالِبِهِ.

وَإِنِّي فِي قَصُورٍ عَنْ لَجِّ هَذَا الْبَحْرِ الزَّائِرِ، وَالْجَرِيِّ فِي حَلْبَةِ أَهْلِ النَّهْيِ
وَالْمُفَاخِرِ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ قِرَاءَةُ السَّيِّدِ السَّنَدِ، الْعَالِمِ
الْعَامِلِ، السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ^(١)، وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ، الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْفَرَسَانِيِّ^(٢)

(١) السَّيِّدُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ بْنِ عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِمْرَانَ الْمَوْسَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الْجَدِّ
حَفْصِيِّ الْبَحْرَانِيِّ.

(٢) هُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ حُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ حُرْزِ بْنِ الشَّيْخِ سَلِيمَانَ بْنِ
الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ الشَّيْخِ الْحُسَيْنِ الْفَارَسَانِيِّ الْبَحْرَانِيِّ، وَلَدَ فِي مِثْقَلِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ بِقَرْيَةِ
الْفَارَسِيَّةِ بِجَزِيرَةِ الْبَحْرَيْنِ، وَهَاجَرَ إِلَى قَرْيَةِ صَفْوَى، وَانْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ سَنَةَ ١٢٥٥ هـ أَوْ
بَعْدَهَا. (مَعْلُومَاتُ أَفَادَنِي بِهَا الْبَاحِثُ: نَزَارُ بْنُ حَسَنِ آلِ عَبْدِ الْجَبَّارِ).

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

(أصول الكافي)، فالزم عليّ السيّد في الكتابة عليه، وكلّما تعذّرت لما أنا عليه، لم يقبل، فقوّى عزمي إلزامه، واعتصمت بمُحمّد وآله في بدئه وختامه.

وأرجو أن يكون شرحاً يفك ببركتهم مقفلة، ويحل مشكلة، ويوضح دليله، إن كلامهم نور لا ظلمة فيه، وهدى بلا شبهة تعتريه. وإنّ أصل الإشكال والتحريف من ردّ كلام معدن العلم والبيان إلى كلام المتفلسفة^(١) أو أهل التصوّف^(٢) ومنحرفي الأديان، ولو رجعوا إلى المفزع والملاذ في الدّنيا ويوم التناد في سهل الأمور وشدائدها، عثروا على المنهل الهني، والمورد المريّ، الذي لا يظماً شارب، ولا يضلّ طالبه.

والاختلاف في ذلك ليس بحادث في هذه الأزمان، بل من وقتهم عليه السلام، كما ينبئ عنه كلام المصنّف رحمته الله في خطبة الكتاب وغيره من النقلة، والروايات أيضاً مصرّحة بذلك.

واعلم يا أخي: إنّ جميع ما أذكره في شرح الأحاديث، فإنما هو على ما فهمت من كلام معدن الوحي والتنزيل، بما وهب الله من العقل الذي به التمييز، لا من رائبي ولا تبعاً لكل ناعق، فإن وافى قبولاً عند الناظر فمن بركتهم وإلا فمن قصوري، وكثرة تضييعي وخطئي.

= وورد اسمه في كتاب (أنوار البدرين: ١٨٣/٢) ضمن ترجمة الشيخ أحمد بن صالح، بأن

الشيخ محمد الفرساني وجه أسئلة لصاحب الترجمة، وذكر إن الفرساني من قرية صفوى.

(١) يشير إلى حوكة الآراء الفاسدة، والموهومات الكاسدة، الذين تلبسوا بلباس أهل الفلسفة.

(٢) الصوفي في اصطلاح الفلاسفة: هو الذي يزعم أنه يستطيع أن يرتقي من المعطيات التجريبية

والرموز الحسية إلى الكشف عن الحقائق الخفية، أو الذي يزعم أنه يستطيع أن يدرك

الحقائق الإلهية بحدس متعالٍ، إما بطريق الإلهام، وهو طريق الأولياء، وإما بطريق الوحي،

وهو طريق الأنبياء، فإذا اعتقد الصوفي أن الله سام ومتعالٍ، جدّ واجتهد، وصفى نفسه،

وطهر قلبه، وصعد مرتبة مرتبة حتى يصل إليه، وإذا اعتقد أن الله كامن في أعماق نفسه،

غير منفصل عنها، تعمق في إدراك ذاته لكشف الحجب عنها حتى يصل إلى إدراك الذات

الإلهية. (راجع: المعجم الفلسفي (صليباً): ١/٤٧٤ مادة: الصوفي).

وجعلته هدية لبقية الله في أرضه، وحجته على بريته، الإمام الثاني عشر، مُحَمَّد بن الحسن المنتظر، صاحب هذا الزمان والعصر، عَجَّلَ الله فرجه، وسَهَّلَ مخرجه، وأظهر به دينه، صَلَّى الله عليه وعلى آبائه المعصومين، أعظم صلواته وتسليماته، عدد ما في علم الله وما تبدو به شؤونه، اللهم أحفظه من جميع جهاته، وأنجز له ما وعدته في كِتَابِكَ، وعلى ألسن أنبيائك.

ووثوقي بتسديده ومعونته هو الذي قَوَّى العزم مني، فشرعتُ في الشرح، وسمَّيته بـ (هدي العقول إلى أحاديث الأصول).

ولم أتعرض فيه لرجال السَّند؛ لصحة متون جميع أحاديثه، وما تضمَّنته؛ لمطابقتها للكتاب وصافي الاعتبار^(١)، كما يظهر لذوي الأبواب، والمشهور من السنة، ولا حاجة إلى^(٢) التَّصحيح بالسَّند مع حصول الأقوى من وجوه، كما ستعرفها في المجلد الثاني^(٣)، إن شاء الله.

نعم، يحتاج إلى الوزن به مع تعذر الأقوى، وهو كذلك، كما دل عليه العقل والنقل، وعمل المتقدم والمتأخر.

ولنتكلَّم في أوَّل كُلِّ باب من أبوابه الآتية بما تضمَّنه العنوان من الحكم؛ ليكون به مضمون رواياته متَّضح بذلك، فما يُذكر خلالها بعد زيادة تفصيل له، مع أنه لا يخفى من تأسيس وتجديد فائدة.

وتعرَّضْتُ فيه لجملة كافية متفرقة في نقل كلام المَلَّا الشيرازي^(٤)،

(١) يشير إلى خلاصة الروايات المعتبرة الصحيحة.

(٢) في نسخة (ب): إلا.

(٣) راجع: هدي العقول المطبوع: ٣٨/١ و ٧٢/٢.

(٤) صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي القوامي المشتهر بالملا صدرا. المتوفى سنة ١٠٥٠هـ بالبصرة. صاحب مؤلفات كثيرة منها: شرح أصول الكافي، كتاب شواهد الربوبية، كتاب الأسفار الأربعة، شرح حكمة الإشراق، الواردات القلبية، رسالة في حدوث العالم، =

وتلميذه^(١) أتباع ابن عربي^(٢) والمتصوفة، اعتقاداً لتحريفهم الكتاب والسنة به، وظنّ جملة من القاصرين أنهم أهل معرفة، بل حكمة، وهم بخلاف ذلك كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

=كتاب الحكمة العرشية المعروف بـ المشاعر. (راجع: أمل الآمل: ٢٣٣/٢، لؤلؤة البحرين: ١٢٧، روضات الجنات: ١٢٠/٤، خاتمة المستدرک: ٢٣٩/٢، أعيان الشيعة: ١١٤/١٤، معجم المؤلفين: ٢٠٣/٨).

(١) مُحَمَّد بن المرتضى بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المدعوّ بمحسن، الملقّب بالفيض الكاشاني. المتوفى في ١٠٩١/٤/٢٢هـ. له كتب منها: كتاب الوافي، وسفينة النجاة في طريقة العمل، تفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط، وعين اليقين، وحق اليقين، والكلمات الطريفة، رسالة في التفقه، رسالة في نفى التقليد. (راجع: روضات الجنات: ٧٩/٦).

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن محمد بن محمد المغربي الحاتمي الطائي الإشبيلي الأندلسي، ثم المكي، ثم الدمشقي الشامي، الملقب محيي الدين ابن عربي، المتوفى ليلة الجمعة ٢٢/٣/٦٣٨هـ وقبره في الصالحية بدمشق، وهو من كبار الصوفية، من مؤلفاته: الفتوحات المكية، الوصايا، فصوص الحكم، مواقع النجوم، إنشاء الدوائر، لطائف الأسرار. (راجع: روضات الجنات: ٥١/٨).

مبعثرات

[كتاب العقل والجهل]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

قوله: (كتاب العقل والجهل).

أقول: هذا على عدّ النجاشي^(١)، وغيره لكتب الكافي، فعّد ما قبل كتاب التوحيد اثنين^(٢)، وأكثر النسخ على ذلك. وفي بعضها: وفضل العلم على نسخة الفهرست^(٣)، حيث ما قبل التوحيد كتاباً واحداً^(٤)، وفي بعض النسخ: (كتاب العقل وفضل العلم)^(٥)، والأمر سهل كما لا يخفى.

واشتمل هذا الكتاب^(٦) وما بعده على ثلاثة وعشرين باباً^(٧)، وصدر المصنف الكتاب، الذي جعله جواباً لمن سألّه، بذكر العقل وما يتبعه من الصفات، وكذا الجهل^(٨)؛ لأن^(٩) به يقع التمييز ويصح التكليف، وهو شرط في العمل والعلم.

(١) رجال النجاشي: ٣٧٧، ترجمة رقم (١٠٢٦).

(٢) وهما: كتاب العقل وكتاب فضل العلم.

(٣) الفهرست: ٢١٠، ترجمة رقم (٦٠٢).

(٤) وهو: كتاب العقل وفضل العلم.

(٥) نقد الرجال: ٣٥٣/٤.

(٦) كتاب العقل والجهل.

(٧) بعده: كتاب فضل العلم وفيه اثنين وعشرين باباً، وقد شرحهم الشارح في مجلدين وهما

الثاني والثالث، وقد طبعاً برقم المجلّد الأول في ص ٤٤٢، والمجلّد الثاني في ص ٣٨١.

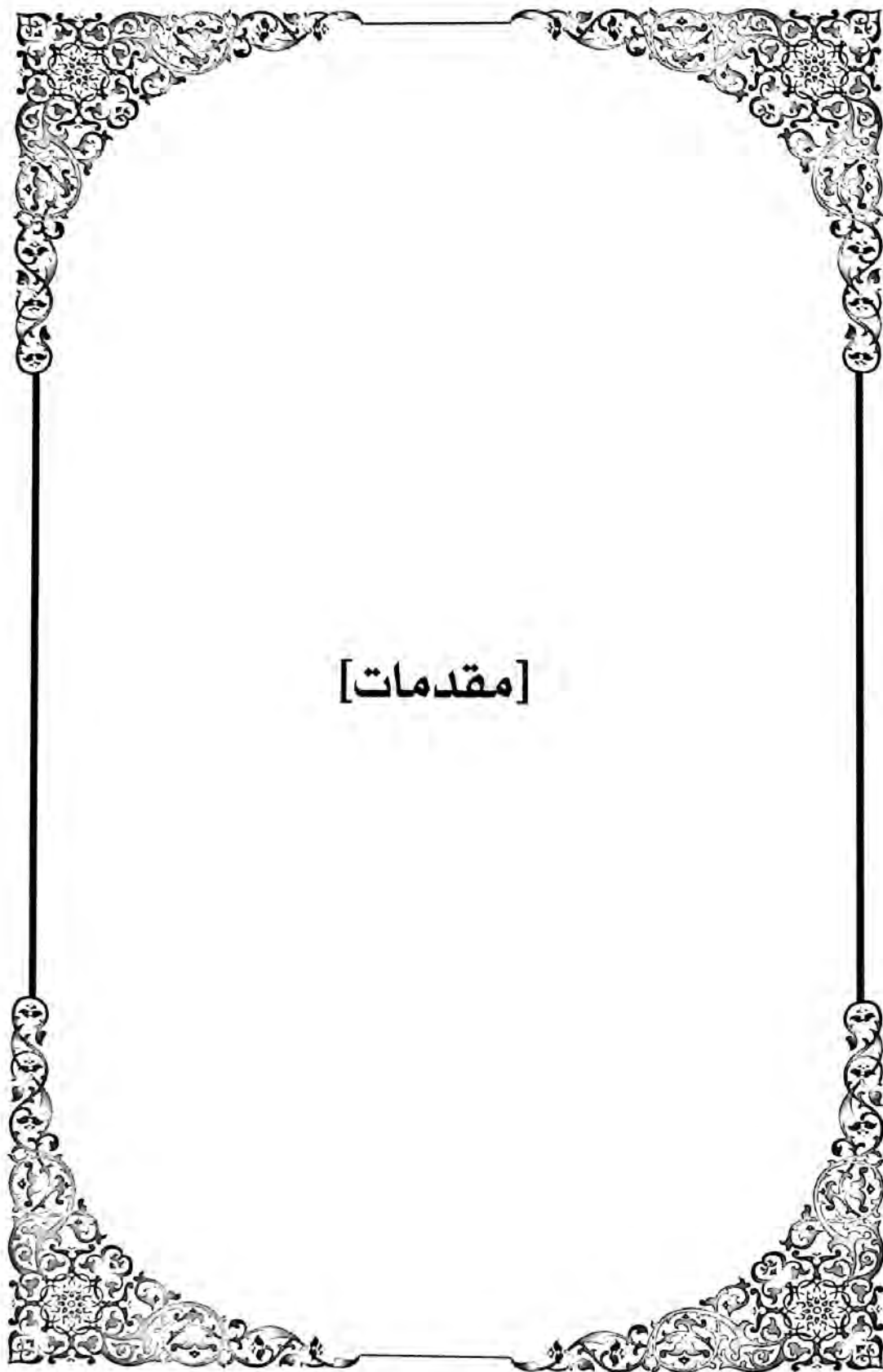
(٨) التّصدير في ست وثلاثين رواية، وقد شرح الشارح أربعاً وثلاثين رواية، ولم يشرح الحديث

٣٥ و٣٦ من كتاب العقل والجهل.

(٩) في النسختين: لأنه.

أيضاً فهو مادة كُلّ كمال وسعادة، والجهل بعكس ذلك، وكفى في ذلك
توجّه الخطاب له أولاً في كُلّ مقام، كما ستعرف، فهو البداية.
وللعقل والجهل معان متعددة، وستعرفها من الأحاديث الآتية، إن شاء
الله.

وأسقطُ نقل خطبة الكتاب استعجالاً؛ ولِتضمن الشرح بيان ما تضمّنته
من الأحاديث.
ولنقدم مقدمات قبل الشروع في شرح الأحاديث، بها يتضح المقصود،
إن شاء الله.



[مقدمات]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[المقدمة] الأولى في أقسام العقل: فإنه قد يقع بسبب الجهل بها اشتباه على الناظر في بعض الأحاديث فيؤوّلها على غير المراد.

[العقل بمعنى إطلاق كلام الفقهاء]:

الأول: القوّة التي يكون بها المكلف عارفاً بتدبير معاشه وحفظ ماله، بحيث يضعه في مواضعه، وعليه يدور رفع الولاية مع البلوغ وعدمه.

وفي المعنى في إطلاق كلام الفقهاء (والبلوغ والعقل) ولا يشترط فيه كونه ذا قوّة نظريّة، بل ولا معرفة الحقّ، ويحصل لكثير من الكفّار، وهذا له اختلاف في الأفراد في كلّ بما يناسبه ومن الذكور أو الإناث. وليس هنا موضع بيانه.

[العقل بمعنى القوة المحصلة للعلم]:

الثاني: القوة المحصلة للعلم أو العمل الناجي، وهو المعبر عنه في بعض النصوص الآتية: «ما عُبد به الرّحمنُ واكتسبَ به الجنان»^(١)، وإن استعملت في غير ذلك فهي النّكريّ كما في معاوية، وهي الشّبيهة بالعقل، لما فيها من النظر والحدّاقة^(٢) الظاهرة، وليست بالعقل؛ لعدم صفائها وعدم

(١) الكافي: ٢٥/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (٣/٣).

(٢) هكذا رسمت في النسختين، ولعل الصواب: والحدّاقة.

عبادة الله بها، ولا يعبد غيره بالعقل. وقد يُسمى عند الناس عاقلاً لشدة حيله وخدعه، ولك إدخال [المرتبة] الأولى^(١) في العقل النظري.

[المرتبة] الثانية^(٢): إن استعمل الدنيا للآخرة فهو الكيس، وذو النكري بالعكس، كما في معاوية، واستكمال الأولى وزيادتها باستكمال الثانية إذا طابقت الأوامر الشرعية ظاهراً وباطناً، كتطهيره من الأخلاق الذميمة، كالحقد والحسد والشحناء وغير ذلك من آفات النفس وما تضره. بل تكون نفسه....

بل تكون نفسه راضية مرضية مطمئنة، مقتصداً في العبادة، مقبلاً عليها، مشغولاً بالفكر وحفظ اللسان. وهي المرتبة الثالثة.

[المرتبة] الرابعة^(٣): الإتيان بالنوافل، [ببذل] جهده في الأقوال والأفعال وجميع الحالات.

[المرتبة] الخامسة^(٤): انهماك النفس في الفكر في الموجود بحسب غيبه، والنظر إلى جلال الله وعظمته من غير ملاحظة لعمله، وإن كان فيه حينئذ أشدّ وبه أقوم، وحفظ النفس عن الخطرات القبيحة.

ولكل مرتبة مراتب، بل هي بعدد الأنفس^(٥)، ولكن المراد التنبيه على تفاوت العقل العملي كما تفاوت النظري، بل النظر عمل، وكلّ مرتبة فهي أشقّ وأشدّ ممّا قبلها.

قال ﷺ، وقد رجع من بعض الغزوات لأصحابه: «قد رجعت من

(١) في النسختين: الأول.

(٢) في النسختين: الثاني.

(٣) في النسختين: رابعها.

(٤) في النسختين: خامسها.

(٥) في المخطوطتين: الأنفاس.

الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وأي جهاد أكبر من ذلك؟ قال ﷺ: جهاد نفسك التي بين جنبيك^(١).

وورد: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢).

وفي الحديث القدسي: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» إلخ^(٣). فجعلها بعد قرب النوافل التي هي بعد الواجبات مطلق.

[العقل بمعنى القوة الحاصلة للنفس]:

الثالث: العقل بالمعنى المتداول على لسان حكماء النظر، ويسمى بالقوة الحاصلة للنفس، باعتبار تحصيلها النظر واستكمالها به وبغايته، وهي بحسب تأهلها للاستكمال وقربها وبُعدها تنقسم إلى مراتب أربع^(٤)، وإن كانت متكررة بحسب الأشخاص واختلاف النفوس قوة.

[مرتبة العقل الهولاني]:

[المرتبة الأولى: العقل الهولاني^(٥)، وهو أول وجود النفس، والولادة الإنسانية، باعتبار أن فيها قوة القبول، ولكنها حينئذ خالية عن جميع العلوم، فسُميت بالهولانية، تشبيهاً لها بها، الخالية من الصور، فجوهريّة النفس حينئذ ضعيفة كالهولي^(٦)، وهذا في غير نفس المعصوم ﷺ، فإنه

(١) معاني الأخبار: ١٦٠، وسائل الشيعة: ١٥/١٦١.

(٢) عوالي اللآلي العزيزة: ١١٨/٤.

(٣) عوالي اللآلي العزيزة: ١٠٣/٤ بتفاوت في بعض الكلمات.

(٤) مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها وبعدها عن ذلك، لها مراتب أربع: العقل الهولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد.

(٥) الهولاني: هو المنسوب إلى الهولي، تقول: العقل الهولاني، وهو قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجردة عن المادة. أو هو استعداد محض لإدراك المعقولات. وهو مقابل للصور. (راجع: المعجم الفلسفي (صليبي): ٥٣٧/٢).

(٦) الهولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل=

بالفعل حينئذ على ولادته العقلية الأولية، ولهذا يقرأ جميع الكتب من أن ما يخرج من بطن أمه، وهو فيه يسبح بصوت تسمعه أمه^(١)، ويتعلق به التكليف من أن الولادة، ولا كذلك غيره.

فباعتبار خلق الإنسان قابل ومستعد، أو على صورة التوحيد، ورد عن النَّبِيِّ ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»^(٢)، كما قال تعالى: ﴿فَطَرَنَاهُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى فِطْرَتِهِ﴾^(٣)، وهي العقل المطبوع؛ وذلك لأنَّ الوجود مطلق لا ينفك عن الإدراك مطلق.

فإن قيل: كيف تحكم على أول فطرة الإنسان، بأنه خال عن جميع الصور العلمية، بل كالهولي الساذجة، بل أضعف، فالنفس حينئذ قوة محضة، مع إن النفس عالمة بذاتها علماً فطرياً غير مكتسب، وبدونها متعدد رتبة الجماد والمعدن والنبات، ولكل خواص وقوى مع سبق الاستنطاق والتكليف لها في عالم الأرواح.

لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية. (راجع: التعريفات: ٣٢١).

الهولي: بضم الياء مخففة أو مشددة: مادة الشيء والتي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية، وعند القدماء: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية. (المعجم الوسيط: ١٠٠٤/٢ (هال)).

(١) مشارق أنوار القين: ١٤٠ الفصل الثاني [٦٤] في أسرار أمير المؤمنين ﷺ، و١٥٧ الفصل الثالث [٦٦] في أسرار فاطمة الزهراء ﷺ، و١٧٨ الفصل الحادي عشر [٧٤] في أسرار أبي جعفر محمد بن علي الجواد النور المضيء ﷺ، و١٨٣ الفصل الرابع عشر [٧٧] في أسرار الإمام المهدي محمد بن الحسن ﷺ. ومشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان: ٨٧ و١١٥ و١٢١.

(٢) الكافي: ٣/٣٥، باب ٦ فطرة الخلق على التوحيد من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٤/١٤٦٩).

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

مبعثرات

ولذا ورد: إن بكاء الطفل أربعة أشهر - على ما أظن في تعيين المدة - شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أخرى إقرار بالنبوة، وأربعة أخرى ترحمًا لوالديه^(١).
وستسمع^(٢) إن فطرة الإنسان مخالفة لفطرة المعدن والنبات والحيوان، وليس قولنا بأنها في مبدئها كالهولي بأي اعتبار مطلق، بل باعتبار ما بعدها من المراتب، كما هو الحال في كل مرتبة إذا قيسَت بما بعدها، فهي كالمادة.

وباعتبارها بحسب صورتها حاصلة لها ومقامها، وباعتبار ما قبلها ذات صورة كاملة ليست بهولي، فتكون حينئذ عالمة بذاتها.

وإن كان كمال علمها بها وبلوازمها، بحيث تكون كالعقل متوقف على كمالها في القوتين العلميّة والعملية، كما قال عليّ عليه السلام في وصف العالم العلوي: «وخلق الإنسان ذو نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابّهت جواهر أوائل علّلهّا، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد شابّهت السبع الشداد»^(٣)، وأشار عليه السلام في هذا الكلام لرتبتها النظرية.

وهي العقل بالملكة، ومرتبة العقل المستفاد، وبالعقل أدرجها في مشابعتها لجواهر أوائل علّلهّا، فلا تكون أولاً عالمة بذاتها علماً تاماً كاملاً؛ لعدم بلوغها إلى العقل بالملكة، فضلاً عمّا فوقه، ولا ينافي ذلك علمها بباريها؛ لعمومه بكل موجود وإن تفاوتت في ذلك، إذ كل موجود يعلم باريه، وإن كان الحيوان أقوى من المعدن والنبات وفطرة الإنسان بعد ذلك، وأولها آخر فطرة الحيوان، وقبل صيرورتها عقلاً فعلها فعله.

(١) التوحيد: ٣٣١ حديث رقم (١٠)، علل الشرائع: ٨١/١، وسائل الشيعة: ٤٤٧/٢١.

(٢) في نسخة (أ): واستمع، وفي نسخة (ب): واستمع.

(٣) سئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: «صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، وطالعتها فتلاّأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة. إن زكّاها بالعلم فقد شابّهت جواهر أوائل علّلهّا، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد». (راجع: مناقب آل أبي طالب: ٦٠/١).

وهي في رتبة التوهم أو الإحساس وغير مفارقة للأضداد، وهي عالم العناصر المتضادة بأن تكون معتدلة كما قال عليّ عليه السلام، لكن لها استعداد الوجود العقلي، وتحصيله بالقوتين؛ لأنها مفطورة على صورة التوحيد حتى تصير عقلاً ومعقولاً، ومعقولاتها بالفعل.

النفوس لا تخرج عن رتبة التخيل والتوهم، فنفس الحيوان وإن كانت بصورة الإنسان فهو إنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان، ولا ينافي ذلك أخذ العهد عليها أولاً في عالم الأرواح، وهو وجود عقلائي.

وهي حينئذ كانت بالقوة، حيث أعيدت للجسداني، ولولا ما فيها من الشعور والمعرفة ما أقرّت وقبلت، فهي في أول الولادة آخر العالم الجسماني وأول العالم العقلي الروحاني، وبالنسبة له حينئذ قوة صرفة كالبذر بالنسبة إلى الشجر، وليس لها حينئذ إلا إدراك الأوليات الغير المتوقفة على عمل وفكر كالحرارة، والسماء أعظم من الذرة، والاثنين نصف الأربعة، ولكن بقبولها وما فيها من الشعاع الذي هو فاضل العقل المجرد ونهاية أدباره، كما سيتضح لك لها قوة الخروج إلى الفعل واكتسابها للصور، إلا مكاناً مستحيلاً في شأنه، ذلك كالواجب تعالى لبهر سلطانه وعظمته الوجود، وقهره له كالشمس والخفاش وذلك لشدة الظهور.

[مرتبة العقل بالملكة]:

[المرتبة] الثانية: العقل بالملكة، وهو قوة للنفس، بها يكتسب النظرية بما فيها من الشعاع السابق مع حصول الأوليات في خزانها^(١)، فتكتسب الثواني إذا لم يهوّدها أو ينصّرها أو يمجّسها أبوا قوتها بواسطة استعمالها لجانب الشمال بما تقتضيه الطبيعة، وعروضها عن جانب العقل، وهو

(١) مرتبة العقل بالملكة: وهو العلم بالضروريات، واستعداد النفس بذلك لاكتسابها النظريات. (راجع: التعريفات: ١٩٧، المعجم الفلسفي (صليبا): ٨٥).

اليمين بحسب فطرتها، فتعقل حينئذ ما لا تعقله أولاً، وهو العقل بالملكة، وتكون حينئذ كمالاً بالفعل؛ لما هو بالفعل.

وإن كانت بالنسبة لما بعدها بالقوة، وتكون حينئذ ذات صورة، بل صورة، بل هي الصورة.

[مرتبة العقل بالفعل]:

[المرتبة] الثالثة: العقل بالفعل، وهو صيرورة^(١) النفس بعد حصول القوة السابقة لها^(٢)، وهو العقل بالملكة، ذو معرفة بالحدّ والدليل والنتيجة واستحضار له بغير تعمّل^(٣) وفكر، بل تصير كالأوليات بالنسبة لها أولاً، وذلك بزيادة إمداد لها وفيض من عالم العقل، فمن تقرب إليه شبراً، تقرب إليه ذراعاً^(٤)، فالنظري بالنسبة لها كالأولي، فللنفس أن تشاهده حتى شاءت.

فلهذا سُمّيت عقلاً بالفعل بعد حصول هذه القوة لها وبلوغها لهذه الدرجة، وذلك لكثرة مراجعتها للمعقولات ورجوعها لعالم العقليات، وتكون حينئذ منقلبة عن فطرتها الأولى، مشابهة لجواهر أوائل عللها؛ لإفاضة قسط زائد، فمن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً.

[مرتبة العقل المستفاد]:

[المرتبة] الرابعة: العقل المسمى بالعقل المستفاد، وهو بعينه العقل

(١) الصيرورة: وهو أن يصير الفاعل صاحب شيء اشتق من الفعل.

(٢) مرتبة العقل بالفعل: هو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب، بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، لكنه لا تشاهدها بالفعل. (راجع: التعريفات: ١٩٧).

(٣) هكذا مرسومة في المخطوطتين.

(٤) أمالي المرتضى: ٣٢٤/١، مجلس ٢٣ آخر المجالس.

بالفعل^(١)، ولكن باعتبار مشاهدة المعقولات حال الاتصال بالمبدأ الفارق، وتكون حينئذ بالفعل كالعقل، بل عقل لفعليتها وتماها، فتتحد به، لا كما يظهر من ظاهر اللفظ، فإن الاتحاد محال، بل إطلاقه عليه بنوع تجوز، وذلك عبارة عن كمال بساطتها وظهور وحدة جنسيتها، فهي عالم تام من جنس العقل ونوعه، فالوحدة نوعية لا شخصية، إذ من المستحيل أن تعود عود ممازجة، فلا اتحاد، بل الهويتان وأفاعيل كل باق.

[الغاية من خلق الإنسان مع نيته استحقاقه]:

وغاية خلق الإنسان السلوك مع عالم العقل والاتصال بالملا الأعلى، فخلق سائر الأكوان من المعدن والنبات والحيوان فلاستخدامه ولأجله ولكمال تكونه.

مع أنها مراتب وجود ولا تعطيل فيها، وقد اقتضت العناية الإلهية أن لا يفوت ذا حق مستحقه، وأن يوفى كل نصيبه وقسطه، ﴿لَا يَلِينَا كُلَّ نَفْسٍ هُدْنَهَا﴾^(٢)، ﴿وَأَنَا لَمُوفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾^(٣)، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ الآية^(٤)، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الآية^(٥)، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٦)، ﴿يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي

(١) مرتبة العقل المستفاد: وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لا تغيب عنه. (راجع:

المعجم الفلسفي (صليبا): ٨٦/٢).

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٦) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٧) سورة النمل، الآية: ١٨.

الْأَرْضِ جَمِيعًا^(١)، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾ الْآيَةَ^(٢)، ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ الْآيَةَ^(٣)، وفي القرآن والنص كثير، وقد صححه الاعتبار.

[جهات النفس]:

فالحاصل: إن النفس ذات جهتين: يمين وشمال، وعلى كُلِّ ملك، وبالأولى يكتسب المعقول لنظرها للثانية استعانة واستخداماً، وتكون حينئذ مطمئنة للأمانة. فالنفس باعتبار القرب والبعد الاستعدادي. والفعل الذي هو مناط القبول.

والانفعال والتوسط فيهما يكون لها حالات أربع، وهي مرتبة قوة^(٤) - كما سمعت - وربما يقال: إنَّ المستفاد قبل العقل بالفعل، وله وجه مصحح فتدبر.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٣) سورة يس، الآية: ٧٢.

(٤) مراتب القوة النظرية، أربع، هي: ١ - استعداد بعيد للكمال، وهو محض قابليتها للإدراك، ويسمى عقلاً هيولانياً تشبيهاً بالهيولي المجردة عن الصُّور احترازاً عن الهيولي الثانية التي أخذت الصُّورة فيها، وهي الجسم. ٢ - استعداد متوسط لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريات بالأولى، ويسمى عقلاً بالملكة، يعني بالقوة لا بالفعل. ٣ - استعداد قريب لاستحضار النظريات متى شاء، ويسمى عقلاً بالفعل، وقيل: يسمى هذا عقلاً مستفاداً. ٤ - الكمال، وهو تحصيل النظريات مشاهدة، ويسمى عقلاً مستفاداً، وقيل يسمى هذا عقلاً بالفعل، وقد يعتبر هذا بالقياس إلى جميع مدركاته، بحيث لا يغيب عنه شيء، وهو بهذا المعنى إنما يكون في الآخرة.

مراتب القوة العملية أربع، هي: ١ - تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع المعنوية. ٢ - وتهذيب الباطن من المهلكات الرديئة، وترك الشواغل عن عالم الغيب. ٣ - وتحلي النفس بالصُّور القدسية بعد القرب والاتصال بعالم الغيب بمباشرة روح اليقين. ٤ - انجلاء المعرفة بالفؤاد واستغراقه بأنوار الجلال والجمال، وهو مقام الصدق في المحبة مع الله في جميع المواطن، بحيث لا يفقده حيث يحب ولا يجده حيث يكره.

مبعثرات

تنبيهان:

[التنبيه] الأول: ربّما يشكك في صيرورة الهيولاني عقلاً بالفعل أو مستفاد، ويقال: يلزم انقلاب الحقائق. وانقلابها محال.

بيان: لزوم انقلاب الحقائق:

إن النفس الإنسانية من جملة الصور الطبيعية للأجسام، وفصل من فصولها الاشتقاقية المحمولة عليها، وقد حصل من انضمامها مع الجسم الحيوانية نوعاً طبيعياً واحداً، هو الإنسان الطبيعي، فكيف يكون جوهرًا عقلياً، وصورة معقولة من الصور المفارقة التي لا تعلق لها بعالم المواد؟ والجواب: لا انقلاب، فإن الحركة الجوهرية ثابتة، خصوصاً للوجود، وهو مما يقبل الاشتداد والضعف، فإنّ التحقق له قد حققناه في محله كما عليه المتألهون والمحققون^(١). وهذا مما يخرج الشخص من فرد لآخر، وإن لم يخرج عن حقيقة جنسه كالحركة الكمية والكيفية وغيرها^(٢).

(١) للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ) شرطان للحركة الجوهرية الثابتة، الأول: أن يتحرك الجوهر هذه الحركة، بشرط حصول المدد، وصحة القبول، لا أنه يتحرك الجوهر بنفسه؛ لأن الشيء لذاته لا يصح أن يتجاوز مبدأه، وذلك من قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الْإِلَٰهَ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٦٤]. الثاني: أن يكون ترقّيه في مراتب أفراد نوعه، ولا يتعدّى جميع مراتب أفراد النوع، وإن جاز أن يكون في أعلاها ما دام بتلك الحقيقة، فلا يكون أحد من المؤمنين نبياً بعمله وتعلّمه، إلّا إذا أراد القادر تعالى أن يجعله نبياً، بأن يقلب حقيقته، فإنه على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَتِائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٦٠]. (راجع: شرح العرشية: ٣١٢/٢).

(٢) من الحركات وهي:

الحركة الكمية: وهي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى، كالنمو، والذبول.
الحركة الكيفية: وهي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى كتسخين الماء، وتبريده، وتسمى استحالة.

الحركة الأينية: وهي حركة الجسم من مكان إلى آخر، وتسمى نقلة.
الحركة الوضعية: وهي الحركة المستديرة التي ينتقل بها الجسم من وضع إلى آخر، كما =
مبعثرات

على أنا نقول له: في نفسه قوة القبول، فلا انقلاب، فمتى جلا استنار واشتدّ على قدره، على أنه فضل شعاع العقل، بالمعنى الآتي أخيراً، الذي صفته الفعلية، فحصلت الرابطة في الجملة، فصحت حركة الرجوع الموجبة للمشابه، هذا والمادي يلفظ ويشابه جنساً آخر. فكيف العقلي في الجملة، وليس الفصل إلا الوجود.

ونقول بوجه أدق: النفس لا تنقلب وتكون عقلاً حقيقية، فهو محال. والحركة الجوهرية بمحرك خارجي للشيء، ولكن الإنسان في تحركه في هذه المراتب وبلوغه إلى ما لا نهاية له في مقامه حركة عرضية لا طولية، فهو لا يعدو مقام بدئه، وبدء النفس دون العقل. فتدبر! وللبيسط مقام آخر.

[إثبات الحكماء في تركيب الجسم]:

ويشكك أيضاً بأن الحكماء أثبتوا تركيب الجسم من هيولي وصورة؛ لأن فيه صورة اتصالية، وقوة أشياء أخرى، والواحد البسيط لا تكون فيه قوة أمر آخر وفعلية معاً، فلا بد من تركيبه من جزأين، يكون أحدهما بالفعل والآخر بالقوة. فإذا كان كذلك، فكيف يجوز كون النفس هيولي لصورة عقلية، وقد استدل على بقائها بعد البدن، بأنه ليس فيها قوة أن تفسد وأن تبقى وإلا تركبت. وهي بسيطة الجواب. إنما يلزم التركيب أن لو كانت الفعلية والقوة بالقياس إلى كمال واحد أو كمالات في نشأة واحدة محسوسة أو معقولة، فإن الصورة الجسميّة وبالقوة بحسب الصورة العقلية، فلا يلزم اختلاف الحثيتين ويتعدد الموضوع بحسبهما.

=في حركة حجر الرحا، أو حركة الكرة في مكانها.
الحركة العرضية: وهي التي يكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لشيء آخر بالحقيقة، كالجالس في السفينة، فإنه لا يوصف بالحركة إلا تبعاً لحركة شيء آخر.
الحركة الذاتية: وهي التي يكون عروضها لذات الجسم نفسه. (راجع: المعجم الفلسفي (صليبا): ٤٥٨/١).

مبعثرات

وكذا كون النفس آخر الصور الكمالية لهذه الموجودات الطبيعية لا يخالف كونها أول المواد العقلية للموجودات، فغلبة الصور الجسمانية وقوتها حيثتان مختلفتان، فوجب تكثر الموضوع.

وأما كون الشيء بالفعل بحسب الصورة الإلهية، بل يؤكد؛ لأن المَوْجُود ما لم يتجاوز حدود الجسمية والجمادية، والنباتية والحيوانية، لم ينحط إلى أولى درجات العقلية، بل جميع الطبيعية، يمكن كونها معقولة، إما بنزعه وتجريده عن المادة، وإما بكونه بنفسه صالحاً لذلك.

ومعلوم: إن نقل المحسوس معقولاً ليس بإضافة شيء له أو نقص جزء منه، بل نقله من الحسي إلى العقلي بواسطة نقله للحس أولى، ثم الخيال، ثم إلى العقل. هذا على الجري على الحكمة الظاهرة المشائية.

وكذا القول في بل مثلها أمر الحيوان من ابتداء نباته إلى حصول حيوانيته التي هي مادة عقلية، وأول المعقول، وهو الهيولاني وإن نظرت بباطن الحكمة فاندفاعه أظهر.

وتأمل فيما سبق آخر الأشكال الأول، وبساطته إضافية، ولا نهاية له في قبول الزيادة في مقامه من الإمكان إلى الكون، فتدبر.

وليس بساطة المجرد بساطة حقيقية كبساطة الواجب تعالى، فلا ينافي التجرد القوة والفعل فيه، إذ ليست قوة استعداد كالمادي، بل المادي الكثيف فيه فضل وجود، وقسط نوري في الجملة.

ولذا كانت الأرض مقتضية للتماسك، والنحو للمركز واليبوسة والبرودة والسكون وغير ذلك، ويصح تلطيفها من الكثيف وتصفيتها حتى يلحق غالبها بجنس فوقها، واعتبر بتكون المواليد الثلاثة^(١).

فكيف الفضل العقلي وقسطه، وهذا ظاهر للعارف.

(١) وهي: المعادن والنباتات والحيوانات.

ويشكك أيضاً بأنه إما ينعدم حال طرف الملكة فلا صيرورة أو يبقى فتجتمع الأمثال، بل الأضداد.

قلنا: يلزمك في الحركة الكيفية والكمية والوضعية، وما يستدفع به هناك يستدفع به هنا، مع ثبوت الحركة الجوهرية واشتداد الوجود كما عرفت، بل هذه حركة كيفية فإنها تتزايد^(١) قوة وانشراحاً^(٢)، واعتبر بدرجات المني من حالة إلى درجات الإنسانية الحيوانية فإنه يرد، وما يدفع به جارٍ هنا. ولا يقال: التغير في الأعراض، وإلا لم تزد الأقطار، ولم يحدث النطق، ويكون فصلاً ذاتياً.

أمّا ما يشكك به إمام المشككين في المباحث المشرقية على (خروج الشيء من القوة إلى الفعل تدريجياً)^(٣)، فمن أتقن حدود ما أسلفناه لا يوقفه لو سمعه.

[تحقق المعقول في رتبة العاقل]:

[التنبه] الثاني: الخلاف بين العلماء مشهور، في أن اسماً من العقول الأربعة السابقة: هل هي واقعة على النفس نفسها في هذه المراتب أو على تلك المراتب أو على المدركات التي فيها، وليس في التعرض فيه كثرة فائدة.

والذي انتهى إليه تحقيق أهل الإشراق، وحكماء النظر، حتى ابن سينا في تحقيقاته: إن النفس في تعلقها ليس بأن ينضاف إلى أمر خارجي لها،

(١) رسمت الكلمة في النسختين: تزايد.

(٢) في النسختين: قوة وانشراحها.

(٣) في الحركة والزمان يذكر الفخر الرازي ضمن الفصل الأول في رسم الحركة: (واعلم أن البحث المهم في هذا الموضوع بيان أنه هل يعقل أن يكون للشيء الواحد خروج من القوة إلى الفعل على التدرج فإن هذا متفق عليه بين الحكماء ولي فيه شك). (راجع: المباحث المشرقية: ٦٧١/١).

وأما هو كالمعد أو المخرج لما فيها، حتى تكون بالفعل بعد أن كانت بالقوة، ولا بنسبة فإنها عارضة، بل من أضعف الأعراض، بل عبارة عن رجوعها لذاتها وصيرورتها بالفعل بعد القوة فتدرك، فالعقل والمعقول واحد، ولا انعدام لهوية المعقول ولا اتحاد للعقل به في مقامه، وبحسب تقييده الخارجي فإن هذا الاتحاد محال من جميع العقلاء وأهل النظر، وإحالة الأشياء.

أقول: وهو غلط وخبط ظاهر، والاتحاد محال مطلق، والعقل لا يكون نفس المعقول^(١) بوجه.

نعم، يكون المعقول نفس التعقل، والمعنى المشار له يوجب اتحاد الوجود ووحدته في نفس الأمر، وتحقق المعقول في رتبة العقل، وهو محال، كما سيأتي متفرقاً عقلاً ونقلاً.

وما أشير له في الأحاديث، فالمراد به كمال البساطة الإضافية والاتحاد الفعلي، وهو [ال]حادث لا الذاتي، فالعلم نفس المعلوم، وللنفس العلم الانفعالي زيادة ولا اتحاد مطلق.

وحينئذ لا إشكال في حديث قرب النوافل: «كنتُ سمعُهُ الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصر به» إلخ^(٢)، وفي دعاء رجب، في مصباح شيخ الطائفة: «لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك» إلخ^(٣)، وعنهم عليهم السلام: «لنا مع ربنا حالات، لا فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل، نحن فيها هو، وهو فيها نحن، إلا إنا نحن نحن، وهو هو»^(٤)، ومثل ذلك كثير، كقوله: «أنا جليسُ

(١) في نسخة (ب): والعقل لا يكون نفسه المعقول.

(٢) المحاسن: ٢٩١/١.

(٣) مصباح المتعبد: ٨٠٣.

(٤) هكذا أورد المؤلف الرواية، وفي (الكلمات المكنونة: ١٧٤) قولهم: «لنا مع الله حالات، هو فيها نحن، ونحن فيها هو، إلا أنه هو هو، ونحن نحن».

من ذكرني»^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢) على بعض الوجوه. فتأمل.

وجميع ما سطر واشتهر في أبطال الاتحاد بين العاقل والمعقول، بناء على ما يتبادر أن هنا اتحاداً، ونحن لا نقول به، بل نحيله ببراهين زائدة، وما يعنون لا نقول به.

وعرفت معنى قولنا: اتحاد بيان برهاني، العاقل عاقل بنفسه، والمعقول معقول بنفسه، فلا يصح كون العاقلية بحركة أو صفة من العاقل له وإلا لم يكن عاقلاً بذاته ولا من المعقول كذلك، وإلا لم يكن كذلك، فإنه حينئذ بذاته خالٍ من المعقولية وذلك من العاقلية، وإنما وقعت أو حصلت بأمرٍ خارج، فهو العاقل - هذا خلف - أو على أمر خارج فكذلك أيضاً، فلا بد من كون العاقل من نظرة لذاته بحسب كمالها، هو عقل ذلك خصوصاً إذا كان علة. وفي هذا الكلام إجمال.

فنقول: فيلزم أن يكون العاقل بذاته يعقل الأشياء في مراتبها؛ لأن التعقل نفس المتعقل، وليس في رتبة الذات عاقله ولا لا عاقله، ويجري في النفس التعقل الفعلي والانفعالي أيضاً - وسيأتي بسط ذلك في (باب العلم)^(٣) إن شاء الله تعالى - فانكشف سر «عالمٍ إذ لا معلوم»^(٤)، وليس للمعلوم وجود في هذه الرتبة وإلا جاء الاتحاد.

ووجه آخر: العلم هو: الظهور أو لازمه، فسيبه إما المعلوم بذاته، وهو في ذاته مظلم ولا يكون مبدأ الظهور ذات العاقل، وكلاهما محالان، أو

(١) الكافي: ٣٦٠/٤، باب ٢١ ما يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس من كتاب الدعاء، حديث رقم (٤/٣١٨٨).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) راجع: المجلد الأول المطبوع من (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) (باب العلم).

(٤) الكافي: ٣٤٢/١، باب ٢٢ جوامع التوحيد من كتاب التوحيد، حديث رقم (٦/٣٥٥).

الظهور بأمر ينضاف إلى الذات العاقلة، فهو العاقل وتردد بين النفس، وهذا الأمر ومبدأ الذات بحسب كمالها وفعليتها، فالظهور الذي هو العلم نفس الذات في الذات، ولا عالم ومعلوم حينئذ، وفي الفعلي نفس المعلوم، فالعلم نفس المعلوم مطلق.

[العقل بما يمايز به الإنسان عن البهائم]:

الرابع: ما يمايز ويغايير به الإنسان سائر البهائم، وهو يرجع إلى القوة العلمية والعملية بمراتبهما، وقد سبقا، فإفراده لا وجه له كفعل بعض.

[العقل بمعنى الجوهر]:

الخامس: العقل: بمعنى الجوهر المفارق للمدة والمادة والصور، وهو أول صادر وعائد، وهو الواسطة الكلية والكلمة المحمدية، والكل من فاضل طينته، وهي الطينة النورية، وهو الاسم الذي ملأ كل شيء، فكل كمال فمن أشعته متنازلاً حتى ينتهي إلى العقل الهولاني، الذي عرفته قبل، وهو المعني في أول الأحاديث الآتية وما ماثلها من أحاديث الإقبال والإدبار^(١).

وحيث اشتبه الأمر على جمع، فنفوا ثبوت المجرد وكونه أول صادر، وتأولوا مثل هذه الأحاديث بالعقل بأحد المعاني السابقة، ولا دليل يدل على نفيه، بل هو قائم على ثبوته عقلاً ونقلاً.

[العقل أول مخلوق]:

أمّا الأول: فلمثل هذه الأحاديث، فإن الأولية الثابتة له بالنسبة إلى الرّوحانيين، وإنه عن يمين العرش، وفي الغوالي: «أول ما خلق الله العقل»^(٢) لا يتم إلّا إذا كان معناه ما نقول. وإنه جوهر قائم، وإلا لم يتوجّه

(١) الكافي: ٢٣/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (١/١).

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ٩٩/٤.

له حجاب الإدبار والإقبال، فإنَّ ما سِواه من العقول يرجع إلى قوة في النفس متفاوتة، وهذه ليس وجودها أولي بل بعد الغير، ولا يصح جعل الأوليّة والخلق تقديراً وإلا فلا مزية له على غيره، ولم يسبق حتى يقال له ذلك، ولم يصح أن يقال كما ستسمع من النص: (إنه عقل خاطبه الله)، وليس هؤلاء ممّن خاطب، مع أن لهم تلك القوة، وإن تفاضلت فيهم.

وفي حديث الوصيّة من الفقيه^(١) أيضاً: «إِنَّ الْعَقْلَ أَوَّلَ الْخَلْقِ» كما في حديث الغوالي^(٢) بغير قيد الروحانيين - كما سيأتي - وإن كان غير ضائر، بل مؤكداً، كما ستعرفه.

[كلام المجلسي في أول ما خلق الله]

فقول محمد باقر، في أوّل جزء من البحار^(٣): (إن [خبر] «أول ما خلق الله العقل» ليس من الأخبار المعتبرة، بل مأخوذ من أخبار العامة، وظاهر أكثر أخبارنا «إِنَّ أَوَّلَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَاءَ وَالْهَوَاءَ» غلط ظاهر؛ بل هو في الكتب المعتبرة، بل متواترة معنى؛ لأن المعنى به روح مُحَمَّد ﷺ الذي تشعبت من فاضله سائر الكمالات ذاتاً وصفةً، ومّا في بعض الأحاديث من إثبات الأوليّة للهواء والماء أو النور^(٤) لا تنافيه معنى.

وفي كنز الفوائد^(٥) للكرّاجي: (بأنّ حكم خبر «أول شيء خلق الله [تعالى] العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، ثُمَّ قال له: أدبر، فأدبر. فقال: وعزّتي وجلالي» إلخ، وستسمعه مشتهراً بين العامة والخاصة). ولا ينافي ذلك.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٧٨٣/٤.

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ٩٩/٤ رقم (١٤١).

(٣) بحار الأنوار: ١٠٢/١ و ٣٠٩/٥٤.

(٤) بحار الأنوار: ٧٣/٥٤، عمدة القاري: ١٠٩/١٥، تفسير القرطبي: ٨٠/٢٠.

(٥) كنز الفوائد: ١٤.

وكذا ما ورد من: إنه أول ما خلق الله القلم^(١)، أو الروح^(٢) أو كلمة^(٣) أو ذرة، ثم نظر لها بعين القدرة فذابت^(٤). إلخ، أو أنه نور محمد ﷺ^(٥).

[تعليق الشارح على أول ما خلق الله]

فكله حقّ والمسمى واحد، وهو النور المحمدي والعنصر الكلّي، ولكن لكونه الواسطة لكل والخزانة الكلية، ومحل الصفات، ومظهر المشيئة التي قام بها كلّ شيء، ودانت لها الأشياء، وهو ذو جهات متعددة وقع التعبير عنه بتلك الأسماء، فباعتبار صفاته وحياة كلّ شيء منه وبه، سمّي بالماء.

وباعتبار إنه مادة الكل وأصله، سمّي بالجوهر.

وباستنارة الوجود بواسطته بما أقامه باريه وجعله كذلك سمي نوراً، فإن النور راجع للظهور والإظهار، وليس خاصاً بالمحسوس العرضي، وإن اختصّ به لغة، لكن برهان العقل والنقل يأباه.

(١) تفسير القمي: ١٩٨/٢، مشارق أنوار اليقين: ٥٠، بحار الأنوار: ٣١٣/٥٤، سنن أبي داود: ٤١٣/٢، سنن الترمذي: ٣١١/٣، السنن الكبرى: ٢٠٤/١٠، كنز العمال: ٦/١٢٢، التاريخ الكبير: ٩٢/٦.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة» (راجع: علل الشرائع: ٥/١، عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢٣٧/٢، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٤٢، بحار الأنوار: ٥٨/٥٤).

(٣) في الروايات: الكتابة بالحروف أو الكتابة حروف المعجم. راجع: التوحيد: ٢٣٢ رقم (١) من باب تفسير حروف المعجم، عيون أخبار الرضا ﷺ: ١١٨/٢، أمالي الصدوق: ٤٠٤ رقم (٥٢١)، معاني الأخبار: ٤٣.

(٤) في تفسير الرازي: ٧٨/٣٠: (وفي خبر: أول ما خلق الله تعالى جوهره فنظر إليها بعين الهيبة فذابت وتسخت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السماوات ومن الزبد الأرض).

(٥) في بحار الأنوار: ٢٢/٢٥، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته»، وفي عوالي اللآلي: ٩٩/٤ قال ﷺ: «أول ما خلق الله نوري».

وباعتبار إنه المعلم والمتلقي للوحي أولاً ومحل العلم سمي القلم، وكذا ورد في كتب الصدوق^(١) وغيرها^(٢)، إن اللوح والقلم ملكان، وباعتبار تعقله وحصول التعقل به سمي به، كما إنه باعتبار كونه مظهر عالم الأمر، وهو المشيئة.

لك أن تقول: محل الكلمة والوجود المطلوب.

وباعتبار وساطته الكلية البرزخ، إلى غير ذلك من اختلاف الاعتبارات. وسر جميع ذلك: إنه مخلوق له تعالى وخزائنه وعرشه، فلا بد وأن يكون مجمع الوجود، فتختلف الجهات فيه، وبحسبها تختلف الأسماء، ولكنها لا تنافي وحدة الواجب تعالى - كما سيظهر لك، إن شاء الله تعالى -.

[في تجرد النفس]:

وكذا ما يدل على تجرد النفس، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٣)، أتى بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي رتبة، ووصف الخلق بالآخر الدال على التغير ذاتاً لا صفة، فإنه ثابت في المراتب السابقة.

وكذا حديث الاحتجاج، وما دلّ على سبق الأرواح وعلى مغايرتها للبدن. وكذا البرهان العقلي، فإن إثبات تجردها يقتضي إثباته وتجرده بطريق أولى كما يظهر لدى التدبر.

وفي كلام عليّ عليه السلام لما سُئل عن النفس، قال: بعد أن عدد له النفس وقواها، و«العقل جوهر درّاك محيط بالأشياء، عارف بها قبل كونها»^(٤)، فهو علّة العلل ونهاية المطالب.

(١) معاني الأخبار: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٨/٥٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٤) قرّة العيون في شرح المكنون: ٧١.

وفي بيانه عليه السلام [ذكر] أقسامها^(١) لكميل، قال: «والعقل وسط الكل»^(٢). وكذا قوله: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^(٣)، فكونها خلقاً أعظم [من] الملائكة وأشرف، وصفوة الكل، حتى أضافها لنفسه تقتضي كونها مجردة، كيف والصفوة تخالف الفاضل ذاتاً وصفةً وفعلاً، كما هو مشاهد، والله المثل الأعلى في السماوات والأرض.

[النفس في العالم العلوي]:

وقال علي عليه السلام، في إثبات العالم العلوي كما رواه الآمدي في كلمات علي عليه السلام، والدَّيْلَمِي في إرشاده، والكَاشَانِي، وتلقَّوه العلماء بالقبول، واعتنوا ببيانه، وأظن أنه في مدينة المعاجز للسَّيِّد هاشم البحراني: «صور» عالية عن المواد عارية عن القوة والاستعداد، تجلَّى لها فأشرقت، وطالعتها فتألأت، وألقى في هويّتها مثاله فأظهر منها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكَّاهما بالعلم والعمل فقد شابَّهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد شابَّهت السَّبع الشُّداد»^(٤)، ويدل إما على تجوهر النفس أو وجود الهولي ما في بعض خطب [كتاب] التَّوْحِيد^(٥): «ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسَّم الأجسام، ومصور الصُّور»، فذكر الجوهر بعد لا بدَّ وأن يكون أعمَّ من الجسم، ومخالف للصُّورة وإلا فلا فائدة، فإمَّا إشارة للهولي أو للنفس، فلا تكون حينئذ جسماً ولا عرضاً ولا صورة، وهو المجرد، بل إرادة النفس أولاً،

(١) أقسام النفس.

(٢) بحار الأنوار: ٨٥/٥٨.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٧٢.

(٤) راجع: غرر الحكم: ١٧٨، رقم (٤٧٣٨)، ومناقب آل أبي طالب: ٦٠/١، وبحار الأنوار: ١٦٥/٤٠.

(٥) التوحيد: ٨١.

وتكون الهيولي داخله في الصورة المذكورة قبل، إذ لا استقلال لها بدونها؛ لأنها قوة محضة، والجسم أعظم من البسيط والمركب الثانوي. وكذا الروايات الحاكمة بأن طينة الإنسان من قبضات عشر^(١) : فسموات السبع والعرش والكرسي والأرض، فإذا كان جسمه من هذه القبضات من غير ضمّ غذاء منافي، وهي أضفى الأجسام وأعلاها، فكيف نفسه التي هي فوق ذلك، ومن عالم آخر فضلاً عن العقل. وبالجملّة: فلا مزية لمن له أدنى فطنة في الروايات إنها متواترة معنى على ثبوت المجرد، ومنه يلزم إثبات العقل.

ومما يدل على ثبوت المجرد، بل وعلى ثبوت عقل الكل، وإنه مجرد ما رواه الشيخ في مصباح الأنوار، وأظنه في تأويلات النجفي^(٢) أيضاً، في رواية جابر، عن الإمام عليه السلام،... إلى أن قال عليه السلام: «أنوار لاهوتية، ألّبت قوالب بشرية، لتطيق الناس رؤيتهم»، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيشُونَ﴾^(٣)، وعنى بذلك أنفسهم، وليس المراد بالثور معناه الظاهر المحسوس، وإلا فلا معنى لقوله: (لاهوتية) إلخ، بل المراد به ما سبق.

وكذا ما دلّ على أن أول الخلق إبداع واختراع، وستأتي بعض أدلته. ولا ينافي ذلك ما ورد في البحار، عنه عليه السلام: (لا مجرد سوى الله)^(٤)،

(١) راجع: جوامع الكلم للأحسائي: ٢٦٢/٢، جواب السؤال الثاني من أسئلة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن سالم بن طوق، وهو: ما حقيقة جسم الإنسان المثاب أو المعاقب المفاضة عليه النفس بعد إلقاء ما لحقه من النبات ولحوم الحيوانات التي نما بها ولحقته، ولحوق كلّ بجسمه السابق؟

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي من أعلام القرن العاشر.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٤) وهي كلمة استدلالية أو بيان ذكره العلامة المجلسي بكتّة في الفقرة السادسة من بيان ماهية العقل، في كتاب العقل والعلم والجهل: ١٠١/١.

فإنَّ التجرّد الذي نثبته للعقل وغيره إنّما هو تجرّد إضافي بالنسبة لمن دونه لا حقي واجبي، ولكلّ مخلوق مادة من جنسه وتنتهي إلى مادة إبداعية، هي مادة نفسها، ومن جعل تجرّده وتجرّد الواجب واحداً فقد أّحال^(١). فتدبّر. وأما الثاني: فله وجوه.

[القوة العاقلة وخروجها بالتدريج]:

الأوّل: وجود القوة العاقلة وخروجها من الهيولاني إلى الفعل على سبيل التدريج، ولا بد لهذا من مخرج ذي عقل فعلاّني ينتهي إليه، وإذا كانت هذه القوة مجرّدة وإن كان استعمالها بالمادة لضعفها، فما كان بالفعل ليس بمادي وليس عمله بمتوقف عليها. فافهم.

[العقل سبق الماديات]:

الثاني: مما اتفقت عليه كلمة المتألهين، وأثبتته قاعدة الإمكان الأشرف، وهو أنه لا يوجد الممكن الأخس إلّا وقد وجد الأشرف قبله، إذ لو وجد قبل لم تبق جهة لإيجاد الأشرف ولم ترتبط الأسباب بمسبباتها، ولم يكن الأشرف أقرب، فالمجرّد سابق المادي، والعقل المجرّد أشرف الإمكانات، فلا بد من سبقه، ولا تجري هذه القاعدة إلّا في الإبداعيات لا في الزمانيات، إذ طبعها الأعداد المبنيات على الحركات والأسباب الخارجية عن الذات؛ لجواز حرمان الأكمل عن الوجود في المكونات ممانعة أسباب سماوية وعلل طبيعية، تابعة لاستعدادات أرضية تابعة لحركات سماوية، فالأخس من الأشياء الكائنة وإن أمكن تقدمه على الشريف زمنياً وطبعاً بحسب الأعداد، كالنطفة المتقدمة على الحيوان، والبيضة على الطير، والبذر على الشجر، لكن عند التأمل يظهر أنّ الشريف

(١) راجع شرح الفوائد للأحسان: ١٥/٢.

متقدّم على الخسيس ذاتاً بحسب الإيجاد والفضل والكمال. فإذا العقل قبل؛
لأنه أشرف المجردات إذ الأشرف قبل.

[العالم المادي وارتباط الضد بضده]:

الثالث: إن هذا العالم المادي عكس غيره؛ لأنه ظاهر وله غيب، وكلّ
سافل عكس العالي.

ولذا ترى كلّ متأخر رتبة فيه، ولكن في^(١) سلسلته المرتبطة أشرف.
واستدراكي للأحتذار^(٢) عن تأخر كثير من الشياطين عن المعصومين عليه السلام،
فإنهم أخس مع تأخرهم الزماني، ولكنهم بهذا الاعتبار الذاتي أبعد، وإنما
ارتباطهم ارتباط الضد بضده، فلا بدّ من كون هذا العالم فاضل غيره، فلا
يصح كونه مادياً، ولا بدّ من رجوعه لشيء واحد؛ لكمال النظام والارتباط
المقتضي لذلك، ويؤوّل إلى ما نقول.

[المادة والزمان لو نفى المجرد]:

الرابع: لو نفى المجرد، فالكل مادي. فإما أن تذهب المادة لا إلى نهاية
أو تنتهي إلى مادة ليست مادة.
وكذا الزمان، إمّا أن ينقطع إلى زمان فلا انقطاع أو إلى غيره، وحينئذ
فقد انتهت الأشياء إلى ما هو عار عن المادة والزمان، وهو المجرد
الإبداعي.

[المناسبة بين العلّة ومعلولها]:

الخامس: لا بدّ من مناسبة في الجملة بين الواجب تعالى - وهو العلّة
التامة - ومعلولها.

(١) في نسخة (ب): من.

(٢) هكذا وردت في النسختين، ولعل الصواب: للأحتراز.

وأعني بالمناسبة: كونه أهلاً لأن يكون أول صادر بالنسبة إلى ما بعده، لا مناسبة ذاتية أو صفاتية تعالى الله، فالله خلو من خلقه، وخلقته خلو منه^(١)، وليس إلّا المجرد، وأكمّله العقل.

[الهيولي والحركة ما بالقوة]:

السادس: من جهة الهيولي والحركة، إذ من المتضح أنّ ما بالقوة ذاتاً لا يكون بالفعل إلّا بعلةً والهيولي والحركة، وما يتعلق بهما إنما يكون كذلك بالعلة الفاعلة للكّمالات التي بالقوة، تخرجها بالفعل وتتلبس هي بها أخيراً في الفطرة الثانية. وليس يصح ذلك للإبداعات الغير الموصوفة بالإمكان الاستعدادي.

ثمّ الهيولي والحركة مختصان من بين الممكنات بأن لكلّ منهما فوق ماله عن طباع ما بالقوة على السبيلين منهما، إنّ اعتبار ما بالقوة مضمن ومدمج في اعتبار ما بالفعل في هويّتها الشخصية الحاصلة بالفعل، فذاتها الشخصية من حيث هي موجودة بالفعل، مدمج في فعليتها القوة ولا كذلك شيء من الموجودات غيرهما.

ولذا يقال: هما من الأمور الضعيفة الوجود.

وكذا الزّمان، الذي هو مقدار الحركة المتصلة، فإذا كيف يستند المتراكم النقص والضعف والقوة إلى الواجب بالفعل، الذي هو فوق التمام بغير نهاية، بغير توسط، ما يناسب الطرفين من وجه.

وكيف ينبعث أولاً عمّا هو فوق التمام بما لا يتناهى، ويترتب على ذاته بغير واسطة شيء ناقص باطل مضاعف فيه. ولا يسوغ توسط النفس؛ لعدم

(١) يشير إلى رواية في الكافي: ٢٠٢/١، في الباب ٢ إطلاق القول بأنه شيء من كتاب التوحيد، رقم الرواية (٣/٢٢٤)، وهي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال: إنّ الله خلّو من خلّقه، وخلّقه خلّو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله».

تمام فعلها إلّا بالمادة والآلة، فلا مناص عن جوهر عقليّ ذي جهتين، لا تقرير في فعليّته معنى ما بالقوة، وهي جهة القبول الانفعالي.

وإن كان هو الأكمل بالنسبة لمن دونه، ولا بد من كونه من كمالاته الفروعيّة، فبجهته الأكملية بها يتلقّى من أمره ما يشاء الله، يناسب جهة الصّدور وبجهة القبول، وما فيه من الإمكانية يكون واسطة لغيره. وسيأتي معرفة ترتيب الموجودات المقيّدة، إن شاء الله.

[الوجود جوهر عقلي مجرد]:

السابع: وجوده، وهو جوهر عقلي مجرد عن المادة المادية والإمكان الاستعدادي، وعن الصّورة والزمان. ليس بمستحيل ولا مانع من إمكان وجوده، لا بحسب عالم الكون ولا من جهة القدرة والرحمة العامة ولطفه بخلقه، فإن الكون بجود مثله أكمل، فتعين من ذلك وجوب وجوده، بل وجود النّفس بحسب الوجوب الحكمي، وينحل هذا البرهان إلى اثنين وهو من مقام الموعظة.

[كل متحرك له محرك]:

الثامن: الفلك السّماوي متحرك، وكلّ متحرك فله مُحرك من خارج غير قابليته الجسمانية؛ لاستحالة كون جهة القابلية والفاعلية متحدة، وأن يكون كاملاً مستكماً بجهة واحدة، ولا يذهب ذلك لا إلى نهاية كما لا يخفى، فلا بدّ من الانتهاء إلى محرك ليس بجسماني ولا بالقوة المحضة، بل بالفاعلية الإمكانية.

[الخروج من القوّة الكونيّة إلى الفعل]:

وكذا من جهة المخرج من القوة الكونية إلى الفعل، فإنه لا يصلح كونه النفس ولا جهة الجسمانية، وبه يحصل المطلوب.

مبعثرات

والمتحرك أيضاً حركته إمّا بالعرض أو بالتسخير أو بالقسر أو بالطبع^(١).
والأخير إمّا بالإرادة ومبدؤها النفس أو بالطبيعة. وهي قوة جوهرية منبئة في
الجسم، كما الحال في سائر القوى الجسمانية التي مبدأ أفاعيلها الطبيعية.
والمحرك لا يكون قوة جسمانية ولا نفسية بالاستقلال، وتحريكه إمّا
بإعطاء المبدأ القريب الذي به التحرك، أو يكون هو المؤتم به والمعشوق
لجوهر المتحرك والموجب له أشواقاً متعالية، بما فيه من قوة القبول.

والحركة المستديرة المتصلة، مبدؤها التثبيت والشوق إلى الكمال الممكن
لها، ولا بدّ وأن ينتهي إلى العقل، ويكون الفيض عليها بحسبها، فإن لم
تحصل إلى مقام العقل، ولما اختلف مقام كل جسم وحركته بحسب الكم
والقدر والجهة وجب منه تعدد العقول.

وإن ترتبت ورجعت^(٢) للعقل الكلي فله عقول جزئية في حوزته مترتبة
بحسب المقام كما النفوس، والنفس الكلية كذلك.

والحاصل: إن استدارة الفلك أيضاً دليل على وجود العقل، كما أنها
دليل على بساطة الفلك، وهي أبسط الحركات، وأشبهها بالحركة
الصدورية. فتفطن.

[المثال التخيلي والصور وما يصدق عليها]:

التاسع: مما لا خفاء فيه وجود المثال التخيلي، والصورة النفسية،
والصور الوهمية، ويصدق عليها التجرد، وأنها قابلة للتجريد من الصورة
كما جرّدت هذه المدة والمادة والزمان، فيصدق عليها إنها معقولة بالقوة،
وإذا أمكن فيها ذلك فلا بدّ من انتهائها إلى عاقل كذلك، وهو العقل، أي
الجوهر المجرد عن المادة والمدة والصورة ويدرك المعاني، وإلا لزم

(١) في نسخة (أ): أو الطبع.

(٢) في نسخة (ب): رتبت ورجعت.

التسلسل، وهو محال، ولا ينتهي لذات الواجب؛ لاستحالته، فانتهاؤه إلى ممكن مثله، وهو فعل الله، وهو انتهاء إلى الله تعالى؛ لأنه في قبضته وتصرفه ومبدأ الصدور، والله أجل وأعز من أن يعاين الأشياء بذاته أو تبدو منه بدو انفصال أو في رتبته، فكذا في الرجوع والعود، فهو على قياس البدء، ولا يتم ذلك بالنفس، ومعلومها الصور وفوقها رتبة أخرى، ولا يكون هي المخرج، فلا بدّ من إثبات العقل.

ولا خفاء على الفطن أنه يلزم منه الإقرار بالمفاهيم الكلية، المجرد عن المادة والمدة والصورة [ل] ثبوت العقل المجرد، فإنه المخرج لها، كذلك حتى تحصل تلك في الأذهان، ولو كان ذلك بواسطة النفس فهي له كآلة، فهو لا ينافي ما نقول. فتفطن.

[للمعقول ومفاهيمه خزائن وإمداد قدسي]:

العاشر: كما أن للمحسوس المتخيل خزائن جسمانية من ألواح حسية ومشاعر خيالية تحفظ عليه وتمده، وله مدد من أعلى، فكذا للمعقول ومفاهيمه خزائنه وممد من ألواح كلية وإمداد قدسي.

وإن كان قيام المحسوس بالمعقول وهو ظهوره التجسدي، ويكون مقام النفس وفعلها به، وهو يدرك الصور بها في مقامها، والمعاني في مقامه، ويدرك ما تدركه القوى بواسطة | النفس، كما إن النفس تدرك مدركات القوى بواسطة |^(١) القوى.

[المطابقة بين العالم الصغير والعالم الكبير]:

الحادي عشر: إذا فكرت بين العالم الصغير والعالم الكلّي فإنه يميز له إنسان، وجدت وجوب المطابقة بينهما لازمة، فهما صنع واحد وبينهما

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

ارتباط، والعالم الإنساني فيه صفوة تلك العوالم، وفيه قبضة من كل عالم - وتفاصيل ذلك مما لا يسعه المقام، والعقل والنقل عليه ظاهران -.

فإذا وجبت المطابقة في^(١) الإنسان الذي هو عالم صغير الصور العقلية، والعقل الذهني والتعقل، فلا بدّ من مُطابق العالم الكبير، وهو العقل الكلي، أي عقل نسبته إلى العالم نسبة عقلك إلى بدنك، ولا تصلح النفس لذلك.

نعم، إذا اكتملت^(٢) النَّفس شابَهت جواهر عقلها، وهي وجهها من العقل الكلي، وتكون حينئذ كأنها هو، وتكون عقلاً. وهذا دليل آخر على إثباته غير ما سبق. فافهم.

[تجردها في الأنفس والمعقولات]:

الثاني عشر: إذا نظرت إلى أفراد الأنواع، وجدت لها حقيقة واحدة جامعة لها، غير متّصفة بصفات أفرادها ولا مادة لها، وأين، ومكان. وكذا لو اعتبرت الأنواع أو الأجناس، فإذا اعتبر الحقيقة الجامعة لها في مقامها ومخالفتها لأفرادها في ذلك أثبت تجردها ونحو ذلك في الأنفس والمعقولات، فتعين من ذلك ثبوت الجوهر عقلي، وأنت إذا لاحظت الأدلة ربما ترى بين بعض وآخر تلازم أو مغايرة بوجه لا غير. وهذا لا ينافي التعدد، بل جميع الأدلة المتكثرة، إذا كانت حقه لا يكون إلّا كذلك.

نعم ما يكون فيها بإطلاق أو جميعها لا يكون كذلك، فالعلم واحد كثره الجاهلون^(٣).

(١) في النسختين: وفي.

(٢) في النسختين: أكملت.

(٣) إشارة إلى رواية مذكورة في عوالي اللآلي العزيزية: ١٢٩/٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم نقطة كثرها الجاهلون».

[كل ما يدرك في العقل له تحقق ومصدق في الخارج]:

الثالث عشر: كل ما يدرك في العقل أو الوهم فله تحقق ومصدق في الخارج تحقق استقلالي، إمّا في الزمان أو الدهر أو السرمد في جانب الحق أو الباطل. ومن ذلك الكلّي الطبيعي وغيره.

ومعلوم أن وجوده ظليّ وفرعي، فلا بدّ وأن يوجد الأصل، ومحل الانتزاع والإفاضة والإشراق، إمّا في مقام الملك أو أعلى، والمراد بالخارج أعمّ من الزمان، بل يشمل، والدهر والسرمد، ولو لم يكن لها مطابق خارجي.

أمّا في الدهر أو قسيميه، كان المتصور سفسطة باطلة مجتثة لا أصل لها، وليس كذلك، وإلا كان له أصل متحقق، هو شعلة منه بوسط أو وسائط، ومنه يحصل اسمه ورسمه وحدة بحسب ظهوره له في مقامه، وحينئذ لا يقال: إنه وجود له.

وإذا ثبت ذلك، ثبت وجود العقل المجرد في الخارج، وإنه الخزانة الكلية للمعقولات والواسطة للعقول، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الآية^(١)، وتدخل المعقولات فيها جزماً، فتزِيلُها بقدر، فلها أصل ومحتد ومطابق خارجاً، فلها وجود في الخارج، خارجة عن زمن التجدد والحدوث الظاهريّ، وراء هذا العالم. وله وجود آخر فرعي بحسب ما ينزل فيه ويظهر بأمر الله وبواسطة جريانه في أشعة الكواكب بالملائكة الموكلة بها في عالم العناصر، فتجري في أفرادها المتشخصه بمشخصات الأفراد، وهذا وجود ظهوري، وهو لا ينكر، وهو يثبت الأوّل لها أيضاً بحسب أنفسها.

وهنا خلاف كثير في: إنّ الكلّي الطبيعي - مثلاً - موجود في الخارج في

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

نفسه أم لا، بل وجوده في ضمن أفرادهِ، وحينئذ هل وجوده في ضمنها ذاتي أو عرضي، أو أنه ليس بموجود حتى في الذهن، أو هو فيه خاصة.

حتى إن بعضاً، كالملا الشيرازي^(١) وأمثاله انجروا إلى أنه هو الله أو معه أو مفهوماً معه، وإن لم يتلفظوا بهذا، لكن مفهوم كلامهم يدل عليه، ويعنون بالكلّي الطبيعي الماهية إذا أخذت بلا شرط. ولا يسع المقام نقل الأقوال، والبحث معهم وردها، مع أن ذكرها استطرادي^(٢)، وكلامنا هذا بالنسبة إلى ملاحظة الأمور الاعتبارية ومطابقتها لما في رتبة الكون وما عليه الوجود الإمكانى بما هو موجود.

وليس الوجود الخارجي منحصراً في الأفراد، فالشعاع يدل على النور وهو على المستنير، ولكل مقام، والوجود للشيء تارة يكون^(٣) باعتبار^(٤) عنوان^(٥) الكلية في نفسه أو الاعتبار الظلي أو في مرتبته الجزئية أو بظهور عرضي، ومن ذلك يظهر بطلان قول جماعة من الحكماء: إن الوجود الذهني اعتباري محض.

وقول جماعة: إن الماهية المأخوذة بشرط لشيء غير موجودة لا خارجاً ولا ذهنًا.

وكذا ما قيل: إنها إذا أخذت لا بشرط موجودة ذهنًا لا خارجاً إلا تبعاً وعرضاً في أفرادهِ.

وكذا ما قالوا: من عدم وجود الكلّي المنطقي والعقلي في الخارج. حتى نقل بعض الاتفاق عليه. وهو غلط، بل موجود في مقام الماهية لا

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة: ١٩/٦.

(٢) يعني الفيلسوف الملا صدرا.

(٣) في النسختين: تكون.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من نسخة (ب).

(٥) في النسختين: بعنوان.

بشرط شيء أو ما أخذ بشرط لا شيء، وهو عند الكليات، وكلّ مخلوق كليّ أو غيره واحد شخصي في مقامه بما يناسبه. فافهم.

[إحاطة الأفلاك بعضها ببعض]:

الرابع عشر: إحاطة الأفلاك بعضها ببعض ظاهر كما بُرهن عليه في موضعه، ولا بد لها من موجد، لا جائز كونه جسماً أو جسمانياً داخل أو خارج لاشتراك الكل في الجسمية.

[مراد الشارح من العلة والعلية]:

ومرادنا بالعلّة، العلة الوسطية^(١)، ولو أريد الواجبة عاد البحث إلى إثبات العلة الوسطية، فإنه ليس كل موجود يمكن استحقاقه الوجود الكوني على كل نحو، بل قد يكون بوسط، ولا بدّ من كونه مخالفاً فيخالف الأجسام حينئذ، والله عمل بمقتضى القوابل وما به كمال الوجود لا بمقتضى الأسباب، وإلا بقي أكثر الوجود في الإمكان، ولم يظهر مقتضى الأسباب، فوجب من ذلك وجوب وجود علة خارجة هي السبب والواسطة لوجود الفلكيات. ولك أن تقرّر هذا دليلاً مستقلاً.

وأيضاً: الفلكيات حاوٍ ومحوي، لا جائز أن يكون الحاوي علة للمحوي وإلا تقدم عليه وجوداً ووجوباً تحصيلاً للعلّة السببية. ويلزم الخلاء، وهو محال كما بيّن في موضعه عقلاً ونقلاً، مع أنهما^(٢) متضايقان فلا يكون أحدهما علة للآخر، ولو أمكن كونه علة في نفس الأمر الخلاء.

وكذا يلزم لو فرضت العلّة لهيولاه أو صورته، مع إن الهيولي لا وجود لها إلّا بالصورة، ولا تشخص للصورة إلّا بالهيولي.

(١) أي: العلة غير المباشرة.

(٢) الحاوي والمحوي.

ولا يكون أيضاً المحوي ولا شيء من لوازمه وصفاته، علةً وواسطةً للحاوي، ضرورة كونه أنقص وأصغر مع إنهما متضايقان، بل متلازمان، فلا بدّ من خروج علتها عنهما، فلا بدّ من علة خارجة، وهي: إمّا الواجب أو النفس أو العقل. لا جائز أن يكون الواجب؛ لأنه أحديّ تام مطلق، والجسم مركب، سواء كان من هيولي وصورة أو من أجزاء لا تتجزأ، فلا يصدر عنه أولاً وإلا صدرت الكثرة دفعة عنه تعالى. وستعرف عدم إمكانه عقلاً ونقلًا، مع أنه تعالى لا يباشر الأشياء ويعاينها، فلا بدّ من واسطة شرط سببي بلطفه تعالى، ولا يكون نفساً؛ لتوقفها على الجسم، وهو العقل، ويكون سابقاً عليها ومخالفاً لها ذاتاً؛ لكونه علةً، فلا يكون جسماً ولا جسمانيّاً.

ونعني بالعلية: العلية الوسطية، لا أنه فاعل مستقل، وإلا لم يكن معلوماً بالواجب تعالى.

[قولهم في العقول المجردة]:

قيل: لا نسلم امتناع الخلاء لذاته وإلا كان عدمه واجباً لذاته، ولو كان عدمه واجباً ذاتاً لم يكن وجود ما يلزمه، وهو وجود المحوي بالغير، فإن المتلازمين لو وجب أحدهما بالذات والثاني بالغير أمكن ارتفاع ما بالغير وامتنع ارتفاع ما بالذات.

ومن البين أن الشئيين إذا أمكن ارتفاع أحدهما وامتنع ارتفاع الآخر أمكن الانفكاك بينهما فلا تلازم، كما إذا تحقق الانفكاك، لكن أحد المتنافيين، أعني وجوب المحوي للغير؛ لكونه ممكناً واقعاً في نفس الأمر، فالمنافي الآخر، أعني وجوب عدم الخلاء بالذات ليس بواقع في نفس الأمر. فثبت أن الخلاء ليس بممتنع بالذات. هكذا ردّ به الدليل كما في شروح التجريد^(١) وغيرها.

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للخواجة نصير الدين الطوسي: ٢٧٤.

لكنما نقول: أمّا وجود الخلاء مع فرض عدم المحوي فبديهى، بل عدم الخلاء بعينه وجود المحوي، فليس الخلاء أمراً آخر غير وجود المحوي بينهما تلازم كتلازم الشئيين.

مع أنا نقول: هو لازم لوجود الحاوي مع عدم المحوي، وهذا محال ذاتي، فكذا هو، بأنه هو الخلاء، مع جواز كون أحد المتلازمين واجباً ذاتاً وآخر بالغير، ولا يلزم وقوع الانفكاك إذ إمكان ارتفاع ما بالغير بوجه غير كافٍ في تحقق الانفكاك؛ لجواز أن لا يقع بوجه آخر، وليس الممكن بممكن على أيّ وجه فلا محذور.

مع أنّ لقائل أن يقول: وجوب المحوي بالغير، أي غير الحاوي يلزم وجوب عدم الخلاء بالغير أيضاً، ولا تنافي في ذلك.

أو نقول: إن أردتم أن عدم وجوب الخلاء لذاته ينافي كون ما يلزمه، أعني وجود المحوي واجباً بالغير أنه ينافي كونه واجباً بغيره الذي هو الحاوي، فمسلّم إذاً وجوب المحوي بالحواي يستلزم أن لا يكون عدم الخلاء واجباً في مرتبة وجود الحاوي ووجوبه، لكن عرفت استحالة كون الحاوي علّة، وإن أردتم أنه ينافي كونه واجباً بالغير مطلق فلا نسلم المنافاة بينهما، فإن وجوب المحوي بعلة أخرى غير الحاوي لا تستلزم أن لا يكون عدم الخلاء واجباً في مرتبة وجود تلك العلة ووجوبها، بل يستلزم أن يكون وجود المحوي ممكناً في تلك المرتبة، ولا يلزم من إمكانه فيها عدم الخلاء فيها إذ ارتفاع المحوي في تلك المرتبة لا تستلزمه.

وأيضاً: لم تستدلوا على دعواكم بأن المتلازمين لا يختلفان بالوجوب الذاتي.

قولكم: إذا ارتفع أحدهما وقع الانفكاك.

قلنا: بجواز أن لا يقع ذلك الارتفاع لعلة، فلا يقع الانفكاك، وأليس الواجب مختاراً، وهو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك، وعدم وقوع القبيح منه،

مبعثرات

وعدم فعله له أصلاً؛ لكمال علمه وحكمته، وعدم الداعي إليه والقاهر له لا ينافي عموم قدرته للكل، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَّنْذَهَبَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾^(١)، مع أنه لم يذهب، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾^(٢)، وهذا مما هو في العلم الإمكانية، ولا يبرز في الكون أبداً ولا منافاة، ولها نظائر أخرى.

أمّا الأقوال الوهمية: فهذا كقول: إنا لا نسلم كون الحاوي أعظم أو إن السافل لا يكون واسطة^(٣) للعالي أو إن الواجب ليس بواجد حقيقي، فساقط سقوط من نفي الجوهر العقلي، فإنه لم ينفه إلّا حثالة المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة.

أمّا ظاهر عبارة الطوسي رحمته الله في التجريد، الدال على التوقف فيه، وتنظيره فيما نقله من حجج إثباته، فإنه وقع منه في مبدأ أمره، وإلا فقد أقر بإثباته وأقام الدليل عليه، وردّ ما ردّ به في التجريد في غير موضع من غيره - وحاشا مثل الطوسي والخروج عمّا أول الفطرة تشهد بثبوته -، وكثير من المقلّدين بغير تمييز يحد على عباراته في التجريد بغير تجويد. وليته يتبع كلامه رحمته الله.

[نص عبارة الطوسي من التجريد]

قال في التجريد: (أمّا العقل فلم يثبت دليل على امتناعه، وأدلة وجوده مدخولة، كقولهم: (الواحد لا يصدر عنه أمران)؛ ولا سبق لمشروط باللاحق في تأثيره أو وجوده^(٤)، وإلا لما انتفت^(٥) صلاحية التأثير عنه^(٦)؛ لأن المؤثر مختار.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٣) في النسختين: أو إن السافل لا يكون السافل واسطة.

(٤) في النسختين: ووجوده.

(٥) في النسختين: لما اتفقت.

(٦) في النسختين: عليه.

وقولهم: استدارة الحركة توجب الإرادة المستلزمة للتشبه الكامل، إذ طلب الحاصل فعلاً أو قوة يوجب الانقطاع. وغير الممكن محال، لتوقفه على دوام ما أوجبنا انقطاعه، وعلى حصر أقسام الطلب مع المنازعة^(١) في امتناع طلب المحال.

وقولهم: لا علية بين المتضايين، وإلا لأمكن الممتنع أو علل الأقوى بالأضعف (لمنع الامتناع الذاتي)^(٢).

وما في الوجهين الأخيرين، ظاهر رده مما سبق، وما في الأول ستسمعه إن شاء الله تعالى. وأثبتته في رسالة مفردة.

[قول الطوسي في الأحكام اليقينية]:

قال رحمه الله: (إنا لا نشكك في كون الأحكام اليقينية التي قد حكمت^(٣) بها أذهاننا، مثلاً: الحكم بأن الواحد نصف الاثنين، أو بأن قطر المربع لا يساوي ضلعه، أو يحكم به مما لم يسبق إليه ذهن أصلاً، بعد أن يكون يقيناً - مطابقاً لما في نفس الأمر، ولا في أن الأحكام التي تعتقدها الجاهل، بخلاف ذلك.

ونعلم يقيناً: إن المطابقة لا يمكن أن تتصور إلا بين شيئين متغايرين ومتحددين فيما يقع به المطابقة. ولا شك في أن الصنفين^(٤) المذكورين من الأحكام متشاركين في الثبوت الذهني، فإذا يجب أن يكون للصنف^(٥) الأول منهما دون الثاني ثبوت خارج عن أذهاننا يعتبر المطابقة بين ما في أذهاننا وبينه، وهو الذي يعبر عنه بنفس الأمر.

(١) في النسختين: المنازلة.

(٢) تجريد العقائد: ٩٥، فصل الرابع في الجواهر المجردة.

(٣) في النسختين: حكم.

(٤) في النسختين: المصنفين.

(٥) في النسختين: الصنف.

فنقول: ذلك الثابت الخارج، إمّا أن يكون قائماً بنفسه أو متمثلاً^(١) في غيره، والقائم بنفسه يكون إما ذا وضع أو غير ذي وضع، والأوّل محال [لوجه]:

أمّا الأوّل: فلأن تلك الأحكام غير متعلّقة بجهة من جهات العالم ولا بزمان معيّن، وكلّ ذي وضع متعلّق بهما. فلا شيء من تلك الأحكام بذوي وضع.

فإن قيل: إنها تطابق ذوات الأوضاع لا من حيث هي ذوات أوضاع، بل من حيث هي معقولات، ثمّ أنها لا تقارن الأوضاع من حيثية أخرى كما يقال في الصور المرتسمة في الأذهان الجزئية أنها كُليّة باعتبار جزئية باعتبار آخر.

لأنا نقول: [أولاً] الصور الخارجية إذا كانت كذلك، كانت قائمة بغيرها. وفي هذا الفرض كان قائماً بنفسه - هذا خلف -.

وأمّا ثانياً: فلأن العلم بالمطابقة لا يحصل إلّا بعد الشعور بالمتطابقين. ونحن لا نشك في المطابقة مع الجهل بذلك الشيء من حيث يكون ذا وضع.

وأمّا ثالثاً: فلأن الذي في أذهاننا من تلك الأحكام إنما ندركه بعقولنا، وأمّا ذوات الأوضاع فلا ندركها إلّا بالحواس أو ما يجري مجرى الحواس، والمطابقة بين المعقولات والمحسوسات من جهة ما هي محسوسات محال. والثاني: أن يكون ذلك القائم بنفسه غير ذي وضع، وهو أيضاً محال لأنه قول بالمثل الأفلاطونية.

وأمّا أن يكون ذلك الخارج المطابق به ممثلاً في غيره، فينقسم أيضاً إلى

(١) في النسختين: أو ممثلاً.

قسمين، وذلك لأن ذلك الغير، إمّا أن يكون ذا وضع أو غير ذي وضع، فإن كان ذا وضع كان المتمثل فيه مثله وعاد المحال المذكور.

فبقي القسم الأخير: وهو أن يكون^(١) متمثلاً في شيء غير ذي وضع.

ثم نقول: ذلك المتمثل فيه لا يمكن أن نقول بالقوة، وإن كان بعض ما في الأذهان بالقوة، وذلك لامتناع المطابقة بالفعل بين ما هو بالفعل، أو يمكن أن يصير^(٢) وقتاً ما بالفعل وبينما هو بالقوة.

وأيضاً: لا يمكن أن يزول أو يتغير أو يخرج إلى الفعل بعدما كان بالقوة، ولا في وقت من الأوقات؛ لأنّ الأحكام المذكورة واجبة الثبوت أزلاً وأبداً من غير تغير واستحالة، ومن غير تقييد بوقت وزمان ومكان، وواجب أن يكون محلها كذلك، وإلا لأمكن ثبوت الحال دون المحل، فإذا ثبت وجود قائم بنفسه في الخارج من غير ذي وضع مشتمل بالفعل على جميع المعقولات التي يمكن أن تخرج إلى الفعل، بحيث يستحيل عليه وعليها التغير والاستحالة والتجدد والزوال، ويكون هو وهي بهذه الصفات أزلاً وأبداً. فإذا ثبت ذلك، فنقول: لا يجوز أن يكون ذلك الوجود هو أوّل الأوائل، أعني واجب الوجود لذاته - عزّت أسماؤه - وذلك لوجوب اشتغال ذلك الموجود على الكثرة التي لا نهاية لها بالفعل، وأوّل الأوائل يمتنع أن تكون فيه كثرة وأن يكون مبدأً أولاً، فإذا ثبت وجود موجود غير الواجب تعالى وتقدّس، ولنسمّيه بعقل الكل، الذي عبّر عنه في القرآن المجيد تارة باللوح المحفوظ، وتارة بالكتاب المبين المشتمل على كلّ رطب ويابس، وذلك ما أردناه. والحمد لله. انتهى.

ومرّ لك تقرير هذا الدليل بوجه أخصر.

(١) ذلك القائم بنفسه.

(٢) في النسختين: يصيره.

[العذر للطوسي وباقي العلماء]:

وبالجملة: فمن راجع سائر مصنفاته كشرح رسالة العلم^(١) وأجوبة مسائل القانوني^(٢)، وسائر شروحه، لا يرتاب في موافقته لما عليه العلماء الأعلام قديماً وحديثاً، وإن كانت في الفصول سلك فيها مسلك المتكلم، فقد ردّ ما عارض به فيها في غيرها، وقد تكون دواعي للعالم أن يصتّف مثل ذلك، أو يكون في مبدأ أمره نظر كشرح الشمسية للقطب^(٣)، مع أنه متأخر عن شرحه للمطالع^(٤)، ومن قابلهما رأى شرح الشمسية ساقطاً عنها مردوداً بها، ولكن صدر منه لبعض الطلبة، وقد علم قوّة سعيه.

هذا والإنسان محل الخطأ والنسيان، وكذا ابن أبي جمهور وكلامه في تصنيفاته تجده مختلفاً.

إذاً المكتسب المنصف في ترقية مختلف وهو ظاهر.

- (١) رسالة العلم عبارة عن مجموعة من الأسئلة تشتمل على أربع وعشرين مسألة من مسائل علم الله تعالى وما يناسبه. الذريعة: ٢٨٧/١٣، رقم (١٠٤٥).
- (٢) يعرف بالمفاوضات بين المولى صدر الدين محمد بن إسحاق القانوني المتوفى سنة ٦٧٢ أو ٦٧٣ والمحقق الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢، وهي مسائل كثيرة، مثل: إن وجود الواجب زائد عليه أم لا؟ ومنها: إن الماهيات الممكنة مجعولة أم لا؟ وهي وجودية أو عدمية؟ والواحد يصدر عنه إلا الواحد أم لا؟ وما حقيقة النفس الإنسانية؟ (راجع: الذريعة: ٣١٢/٢١، رقم (٥٢٣٧)).
- (٣) تحرير القواعد المنطقية: في شرح الرسالة الشمسية في المنطق تأليف نجم الدين علي بن عمر القزويني الكاتبي، للمولى قطب الدين محمد بن محمد البويهري الرازي المجاز من العلامة الحلي سنة ٧١٣هـ. (راجع: الذريعة: ٣٨٨/٣، رقم (١٣٩٥)، الكنى والألقاب: ٣/٧٠).
- (٤) موسوم بـ "لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار" الأصل هو تأليف سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة ٦٨٩هـ، وشرحه قطب الدين محمد بن محمد الرازي البويهري النحساني المتوفى سنة ٧٦٦هـ. (راجع: الذريعة: ١٣٢/٦).

[الواجب تعالى واحد حقيقي]:

الخامس: قد عرفت كما أقر في مقرّه، وسيأتيك أول المجلد الثاني^(١)، إن الدليل قد تضاعف من السبيلين على إن الواجب تعالى واحد حقيقي من كلّ وجه، ليس بمتكثّر، لا خارجاً ولا وهماً، ولا عقلاً ولا اعتباراً بوجه أصلاً.

والواحد كذلك، ما صدر عنه كوناً بحسب المشيئة إلّا واحد، فلا يكون جسماً لعدم الوحدة، ولا عرضاً لعدم الاستقلالية، ولا هيولي وحدها ولا صورة لعدم استقلال الكل^(٢) عن الأخرى، مع عدم صلاحية كلّ للتوسط، ولا نفس لتوقف تأثيرها على الجسم، فتعين العقل وهو المطلوب.

وينعكس قولنا: الواحد الحقيقي لا يصدر عنه إلّا واحد بعكس النقيض... إلى قولنا: كلما تصدر عنه الكثرة فليس بواحد حقيقي، ليس بواجب، فما تصدر عنه الكثرة ليس بواجب.

واعلم أن من راعى الوحدة الحقيقية والصدور، فإنه ليس المراد بالصدور المعنى الإضافي المصدري الذي هو نسبة إضافية متعلقة بالغير، بل المبدأ الفاعلي، وهو الذات بفعالها لا بنفسها، لا يشكك في أن الحكم بذلك بديهي لا مناص عنه، إلّا أن تتلوّث ساحة النفس بالشبهات الوهمية والتخيّلات الظلمانية.

[قول السيد الداماد في الواحد]:

قال: السيد الدّاماد تَبَيَّنَ في القِيسات: (من أمّهات الأصول العقلية، إن الواحد بما هو واحد لا يصدر عنه من تلك الحيثية [الواحدة إلّا واحد، إذ

(١) بل في المجلّد الرابع من المخطوط، والمتضمن المجلد الثالث من (هدي العقول) المطبوع: ٣٠.

(٢) في النسختين: الاستقلال لكل.

ليس في طباع الكثرة بما هي كثرة أن تصدر عن علّة واحدة من حيثيّة واحدة، فلعلّ هذا الأصل بما تلوناه عليك في الضابط، من فطريّات العقل الصريح إذا كان القلب سليماً، والقريحة غير ملوثة^(١). إلّا أن لشركائنا في [تعليم] الصناعة والرئاسة تبيانات^(٢) تنبيهيّة يتشكّك فيها اللّدديون من أهل الجدل [وحزب التشكيك]^(٤).

ثمّ أخذ في النّقل والدّفع، وكلام المتقدّم والمتأخّر منسحب على ذلك.

[تعليق الشارح على كلام الداماد]:

وستسمع الدّليل التنبيهي، لكن نقم لك ما شبّه به الوهم السّفلي هنا بتوهمات.

منها: إنّنا لا نسلم بتلك^(٥) المقدّمة، وإلا كان الواجب تعالى عاجزاً عن إيجاد الكثرة، وقدرته عامة قاهرة، وإثبات ذلك ينافيه، حتى أنّه غلب الأمر على أهل الكلام، كما صرّح به بعض شراح الأصول في التوحيد وغيره، وعدّوا القول بعدم قدرة الله تعالى على إيجاد الكثرة قولاً للحكماء، بناء على منع هذه القاعدة، وحسبوه في عداد من منع من عموم قدرته تعالى من أقوال المتكلمين.

ويا لله العجب من عدم التمييز، فصريح عبائهم: إن قدرته عامة، وعدم صدور ذلك لنقص الكثرة وعجزها لا لعجز في الواجب تعالى، فليس الممكن بممكن على أي وجه أخذ، فالعَرَض لنقصه وعجزه لا يوجد إلّا بعد الجوهر، بل وجوده وجوده.

(١) في المصدر: مؤفة.

(٢) في المصدر: ورئاستها هنا لك تبيانات.

(٣) في المصدر: امّة.

(٤) القيسات: ٣٥١.

(٥) في النسختين: تلك.

وكذا المسبّب لا يوجد إلّا بعد سببه، لا لنقص في الموجود بل في القابل.

وكذا القبيح لا يفعله الله تعالى، ولا يلزم عجزه، ولم^(١) يقل حكيم بأن العقل فاعل استقلالي، كيف وهو مخلوق له. بل نسبة الفعل له نسبة إلى السبب والشرط، إلّا أن تنكر كالأشاعرة، فتخرج حينئذ عن رتبة العقلاء، بل صريح كلامهم عموم قدرته تعالى، كما يظهر لمن راجع كتب أرسطو، والفارابي، وابن سينا.

وقال في غير كتاب، منها ما في الشواهد: (بعد أن ثبت إن أوّل صادر عنه تعالى العقل؛ لعدم الوحدة في الجسم، والتأثير في الهولي، واستقلال الوجود في الصورة والعرض، واستقلال التأثير في النفس... إلى أن قال: والكل منسوب إليه تعالى بالذات، وقد علمت الفرق بين فعله وأثره) إلخ^(٢).

أقول: لكن كلامه المموّه باطل؛ لإثباته الأعيان الثابتة، وإنها غير مجعولة، وهي أشياء^(٣) ثابتة، وإن لم يكن وجود استقلالي غير وجوده تعالى. وجعله الله لوازم. وجعله النسبة للذات الأحدية، وغيرها من المفاسد، كما ستسمعها في مواضعها متفرقة.

فمراده^(٤) بالعموم الخاص، ونقل صريح إجماع الحكماء على أن الفاعل الحقيقي هو الله، وإنما ذلك شرط للمعلول، متمم له بلطفه تعالى، ونسبة الفعل له نسبته إلى الأسباب الظاهرة، كالخاصة لملك الأرحام، والقبض لعزرائيل، والرزق لإسرافيل: ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥).

(١) في نسخة (ب): ولا.

(٢) الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية: ١٤٠، الإشراف الرابع.

(٣) في النسختين: شيء.

(٤) في النسختين: فمراد.

(٥) سورة المؤمن، الآية: ١٤.

تأمل في عبارة الداماد السابقة، حيث قال فيها: (إذ ليس في طباع الكثرة بما هي كثرة) إلخ، ولم يقل لعجزه تعالى.

وفي الهياكل: (والجواهر العقلية المقدسة وإن كانت فعاله إلا أنها وسائط وجوده^(١) الأول، وهو الفاعل بها، وكما إن النور الأقوى لا يُمكنُ النور الأضعف^(٢) من الاستقلال بالإنارة، فالقوة القاهرة الواجبة لا تمكن الوسائط من الاستقلال، لوفور فيضه، وكمال قوته. كيف لا، وهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، فكل شأن فيه شأنه^(٣)). انتهى.

وجرى الشراح على ذلك بتأييد من غير اعتراض، واستقصاء النقل مما يطول، لكن ذلك ظاهر، فإن لزمهم من ذلك فيلزم المعترض في عدة مسائل، أشرنا لبعضها أن يخالف مقتضى فطرته ويدخل في عداد الأشاعرة السوفسطائية، فيسقط عن درجة الاعتبار ويلحق بالأغيار. والحق عليه في غاية الظهور والاشتهار.

[في صدور المعلول الواحد عنه تعالى]:

ومنها: إذا صدر المعلول الواحد عنه تعالى بتلك الخصوصية فلم يكن مصدراً بنفس ذاته، بل بحسب تلك^(٤) الخصوصية، فلم يكن واحداً حقيقياً، مع إن تلك الخصوصية صادرة عنه تعالى؛ لبطلان تعدد الآلهة، فتصدر الكثرة عنه تعالى، فلا مناص عنها، فالواحد لا يصدر عنه أيضاً واحد.

قلنا: ليس التعبير بالخصوصية لأجل إثبات أمر زائد على الذات، وكلا، بل المراد به المبدأ، وهو الذات بفعلها ليس إلا، ولكن قد يعبر بذلك اللفظ

(١) في المصدر: جود.

(٢) في المصدر: الضعيف.

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ٢/٢١٩.

(٤) في النسختين: ذلك.

لغور العبارة، وذلك المبدأ في صدور الواحد عنه تعالى عين ذاته، أي ذاته الفاعلية من دون أمر زائد عليه تعالى.

أما في صورة صدور المتعدد فلا مناص من إثبات كثرة في الذات المبرأة عنها حتى بالحيثيات والاعتبارات.

ومن المنصرح أن الأشياء إذا تساوت نسبتها إلى موجودها من كل جهة في رتبة واحدة، وتساوت نسبة، فيوجد لها.

كذلك لزم تساويهما في جميع مالهما، فلا تكون أشياء، بل شيء واحد - هذا خلف -.

ولذلك قلنا ببداية هذا الحكم، واحتفظ على هذا الدليل.

أما الصدور فهو بالمعنى العرضي، عبارة عن المصدر ولازمه، وهو أثره، ولا يحتاج إلى مصدر آخر، فلا تعدد حال صدور الواحد خاصة، فافهم. كذا قالوا.

[التعليق على عدم التسليم في أن الواجب تعالى واحد حقيقي]:

ومنها: ما اشتهر على ألسنة المجادلين في شرح الفصول، وباب الحادي عشر، وشروح التجريد، وشرح المواقف^(١)، وغيرها، وهو: إنا لا نسلم أن الواجب تعالى واحد حقيقي مطلق، فإن له سلوباً وإضافات متعددة كالخالقية والرازقية وغيرهما، وكسلب الجسمية والمكانية والعرضية وغيرها. وكذا الحيثيات فله وجود خاص ووجود مطلق، فيجوز صدور الكثرة عنه بحسبها، وإن كانت أموراً اعتبارية، كما جوزتم تعدد آثار المعلول الأول

(١) شرح المواقف: المتن للقاضي عضد الدين الإيجي المتوفى ٧٥٦هـ، وعليه شروح منها: شرح المواقف للسيد الشريف علي الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ، فرغ منه في شوال ٨٠٧هـ (راجع: الذريعة: ١٣٧/٦).

بحسب ذاته الاعتبارية، فتعدد آثار الواجب تبارك وتعالى، ولا يلزم تعدد ذاته حيث إن تلك اعتبارية.

قلنا: من خرج عن الاستقامة وقع في المضيق وأخذته الأهواء، فتلك الأمور الاعتبارية من السلوب والإضافات، إنما نشأت بعد وجود المعلولات، ولاحظ الوهم بعجزه أحوال الممكنات وصفاتها وأعراضها، فسلب تلك عنه تعالى، وذلك من غلبة أحكام الوهم على العقل حذراً من اعتقادها في شأنه تقدس وتعالى، بل اعتقدتها العامة على تفرقهم في ذلك، كما ستسمعه في الجزء الثاني، وإلا فهو بذاته منزّه عن هذا التنزيه، فإذا كانت بعد لا تصلح أن تكون سبباً وعلة وسطية لما هو قبل، وهذا ظاهر لا شك فيه لمنصف.

وأيضاً: هذه السلوب والإضافات ترجع لسلب واحد، هو سلب الإمكانية. وكذا الإضافات لإضافة واحدة، فلا تعدد، ومرجعها لفعله ومنتهى الممكن إلى الإمكان، ولا نسبة بينه وخلقه ولا إضافة، والله خلو من خلقه وخلقه خلو منه تعالى، كما سيأتيك عقلاً ونقلًا.

وأيضاً: إن كان مثل هذه السلوب والإضافات سبب لصدور الكثرة فهي سابقة عليها ضرورة، فأما زائدة قائمة بالذات تبارك وتعالى، ولا شيء معه لا ذاتاً ولا اعتباراً من الاعتبارات، وإن كانت داخلة تركبت الذات، فتكون وحدته تأليفية أو امتزاجية - تعالى الله علواً كبيراً -.

ويا لله العجب! تقولون: بأنها اعتبارية وأنها مبدأ للصدور، وكان الله ولا اعتبار ولا معتبر، ثم خلقهما، ما هو إلا تناقض تضحك منه الثكلى.

وأيضاً: ليس للواجب تعالى وجودان، وستسمع إبطاله في الجزء الثالث نصاً وعقلاً^(١). وما أشدّ جرأة من يقول بذلك القول، ولم يتفكر إلى لزوم

(١) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٣/ ٨٢ - ٨٥.

عدم كونه تعالى أحديُّ الذات والمعنى مطلق، وإن لم يقرّ بلسانه فلا مناص له من ذلك مع لزوم قيام المتجددات بذاته كالإرادات، وأن يكون الباعث له على فعليته أمراً زائداً، فهو غيره مع أن ما سواه معلول له تعالى. فتفتن.

ثم وازن اعتبارات المعلول الأول، هذا الوزان مطلق، فإنها في المعلول الأول ترجع إلى تركب ذاته، ولكن تركباً لا ينافي الوحدة، مثلاً الصادر عنه الوجود، وهو معلول وبجهة انفعاله كانت الماهية، فله جهتان، فكان الاعتبار مطابقاً لنفس الأمر بحسب ذات المعلول، وليست اعتبارية ساذجة محضة، وإلا لما كان بها واسطة، وسبب لوجود ما بعده، إذ الإعدام والاعتبارات المحضة لا تكون سبباً لأمر وجودي، وما يتراءى من مثل زوال المانع وما ماثله فإنما هي الإعدام كاشفة عن أمور وجودية، هي سبب في الحقيقة، وإلا فسببية المعلول الأول لما بعده بذاته، فلا بد وأن يكون مبادئ تلك ذاته، لكن جعل اللازم والملزوم جعلاً واحداً في نفس الأمر، بل المجعل ذاتاً هو الوجود إلا أنه لمّا لم تكن هذه الكثرة بانفكاكية ولا تأليفية، سميت اعتبارية.

وأيضاً: للاعتبار العقلي أن يعتبرها، وليست وحدة المعلول كوحدة الواجب تعالى وتقدس، فظهر الفرق، وعدم صحة وزان الواجب بالممكن. وبالجملية: فلا يخفى على من راجع ما أسلفناه، وتأمله في معنى الصدور الذي نريده لا بالمعنى المصدري، لا يشكك في عدم صلوحية ما ذكر للصدور.

إلا أن يقال: بأن الواجب تعالى ليس واحداً حقيقياً بذاته تبارك وتعالى. فنقول له حينئذ: كلامنا في الواجب تعالى، وما ليس بواحد حقيقي ليس بواجب، وغير الواجب نوافق في شرطيته وسببته للكثرة^(١). فتفتن.

(١) في النسختين: لكثرة.

ومنها: لو لم يصدر عنه أكثر من واحد لم يكن مختاراً، إذ المختار من تعددت^(١) أفاعيله حسب تعدد الإرادة، وهي متعددة، فيتعدد المعلول في رتبة واحدة.

قلنا: أمّا إرادته فليست متعددة قائمة بذاته تعالى، وإلا قامت الحوادث بذاته ولا غير ذاته، بل هي في نفس الفعل، وهو الإبداع والإحداث، ليس إلا كما ستعلمه في بابه، وقيامها به قيام صدور لا عروض، وإنما تعددت بحسب القابل، وليست بمتوقفة على إرادة ليلزم التسلسل، بل هي إبداع بنفسها كالنية لا تتوقف على نية أخرى ولم يسبقها إلا العلم الذاتي.

ثمَّ وعدم صدور الكثرة لمانع هو نقصها وقصورها أن تكون أول صادر لا لنقص في الفاعل ولا ينافي اختياره. كيف واختياره أعلى الاختيارات، فلا يختلف. أليس الحكماء وقد وافق عليه عمد المتكلمين أن صدق الشرطية ليس منوطاً بوقوع طرفيها، فهو إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وإن لم يقع مصدوق الثانية لمانع، بل موانع، فلا ينافي الاختيار، ولا نافاه عدم وقوع القبيح والجور منه تعالى. وهذا التعريف للمختار جرينا فيه على مذاق حكماء النظر، وهو خلاف التحقيق، | بل إن شاء فعل وإن شاء الترك ترك ومتعلقهما واقع، وليس هنا موضع البسط.

وأيضاً: إنّنا إنما نجعل مثل العقل من مثيل الشروط، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله، فقد صدر عنه أكثر من واحد، وإن كان على اتساق السبب والمسبب، وليس صدور الكل في رتبة واحدة متساوية من كل وجه هي المصححة للاختيار، وعليها المعيار. كيف وبإثبات الترتيب الكل مستند له تعالى. فافهم.

ومنها: ما جادل به الغزالي وأضرابه راموا إطفاء الحق بأفواههم، وهو إن تعقل المعلول الأول لنفسه ليس عينه، بل غيره، فكذا الواجب.

(١) في النسختين: تعدد.

إذاً العلم غير المعلوم، ففيه كثرة وبطلانه ظاهر مما مر، وسيأتيك في أبواب الصفات.

[فيمن قال: إن الله صانع العلم تلبيس]:

قال الغزالي وأضرابه: ما ذكره الحكماء من أن الله صانع العالم تلبيس، بوجوه ثلاثة:

الأول: إن الفاعل هو المختار، والواجب عندهم موجب، لكن ستعرف اتفاقهم على الاختيار وتصريحهم، إلا أن اختياره واجبي فعلي مطلق ليس كاختيارنا، ولم يقل بإيجاب الطبائع إلا من يقول: الصانع الطبيعة، ليس إلا وهم الدهرية وليسوا من الحكماء، ولا المعنيين.

الثاني: العالم قديم، فلا يكون فعلاً له تعالى، لكن ستعرف اتفاقهم على حدوثه، وإنما نفوا حدوثه بجملته زماناً، إذ الزمان جزء منه، والله منزّه عنه، ولا قضاء سابق.

الثالث: إن الله عندهم واحد حقيقي مطلق، والواحد كذلك لا يصدر عنه إلا واحد، والعالم مركّب من مختلفات لكن أي منافات، فإن المختلفات مرتبطة بما أقامها الله من الأسباب، فترجع إلى واحد معلولي هو الصادر، فصح أنه واحد حقيقي وأنه لا يصدر عنه إلا واحد، وفيها المركبات والمتعاديات، وسبحان المؤلف بين متعادياتها.

[الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وهو العقل]:

إذا زالت عنك تلك النزغات، فاستمع الدلالة على أن الواحد الحقيقي لا يصدر عنه إلا واحد.

[الدليل الثقلي]^(١): ما ورد «إنَّ أوَّل ما خلق الله العقل» في غير الأصول

(١) في النسختين: نقلًا.

وفيه. «وهو أول خلق من الروحانيين»^(١)، وهم قبل غيرهم، وهو أولهم، فمعناها: والأولية في الحديث الأول واحدة. ويعضده كثير من الروايات، كأول ما خلق الله القلم، وفي آخر الروح، وفي آخر الماء، وفي آخر روح محمد ﷺ، وهو المعنى. واختلاف الأسماء لاختلاف جهاته.

فإذا كان هو أول صادر، وهو واحد، فلا بد وأن يكون ما سواه خلقه بعده، وهو شرط له، وذلك ما نريد، والروايات أيضاً صريحة^(٢) على أنه أول [ما] خلق الله روح محمد ﷺ، ففتق منه نور عليّ ﷺ، ثمّ الحسين ﷺ، ثمّ فاطمة كثيرة، وكانوا يسبحونه حيث لا سماء ولا أرض ولا ملك، ثمّ خلق سائر ذلك متواترة معنى^(٣).

فإذا لا يصحّ سبق غيرهم في المخلوقية لهم وإلا لم يكونوا أولاً، وليس المراد بالخلق التقديري وإلا فلا مزية.

وأيضاً: التقدير يحتاج إلى مقدّر ووضع حدود وغير ذلك. ويلزم منه الإيجاد، ثمّ حينئذ وما ستسمع في النصّ «وما خلقت خلقاً أكرم منك» لا يدل على تقدم خلق شيء قبله؛ لأن خطابه له بذلك بعد إقباله وإدباره، وذلك بعد بروز مراتب الوجود من فاضل طينته على مراتبهم، فصحّ ولا خلقه خلقاً^(٤)، وإن الأولية إضافية بالنسبة إلى جميع مخلوقاته لا الواجب تعالى، وهو ظاهر.

إلا أن يقال: إن لفظ الأول لغوي في الحديث، فيخرج بذلك من الخطاب قائله عند أولي الألباب.

وما ورد في غير حديث وتضاعف عليه البرهان: إن محمداً ﷺ أفضل جميع مخلوقاته الروحانية والجسمانية.

(١) المحاسن: ١٩٦/١، الخصال: ٥٨٩، علل الشرائع: ١١٤/١، بحار الأنوار: ٣٠٩/٥٤.

(٢) في نسخة (أ): صريحاً.

(٣) مدينة المعاجز: ٤٢٠/٣.

(٤) في المخطوط الكلمة غير واضحة.

ومعلوم: إنها ثابتة ذاتاً وصفةً وفعلاً، وإلا لم يكن أفضل الكلّ في الكل؛ لثبوت حينئذ أن مخلوقاً أفضل منه؛ لكونه أقرب منه إلى الله تعالى، وذلك مقتضٍ للأفضلية؛ لاستحالة كون القريب إليه تعالى بعيداً والبعيد قريباً. ومن نازع فقد كابر وعاند.

[معنى أفضلية أهل البيت عليهم السلام]:

وليس معنى أفضلية، كذلك مجرد حروفها من دون إثبات معناها ومطابقة الواقع لها، فلو كان في مرتبتهم خلق آخر لم يكن الأمر كذلك قطعاً، ومن المستحيل أن ينال إلّا بعد بدون واسطة الأقرب، وإلا لم يكن الأقرب أقرب ولا الأبعد أبعد ضرورة، وهو المطلوب.

فهم السابقون واللاحقون، كما تمدحوا بذلك في كلماتهم وخطبهم^(١)؛ ليتعرفوا بذلك للناس بالنورانية فيعرفونهم بها^(٢)، ولإظهار نعمة الله لا للتكبر والافتخار، وحاشاهم.

[أهل البيت عليهم السلام علة فاعلية]:

وما ورد في غير حديث من الدلالة على أنهم علة فاعلية، كما في التوقيع الخارج من الناحية المقدسة، كما في احتجاج الطبرسي، وغيره: «أما بعد... فنحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا»، وفي نسخة (صنايعنا)^(٣)، وفي^(٤) | مشارق البرسي^(٥) [ال] حديثان هذان^(٦)، إلّا نسختنا.

(١) مشارق أنوار اليقين: ٧٧، فصل: أخبار في سبق نورهم ومناقب أخرى.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٣، فصل: الخطبة المعروفة بالنورانية. (راجع: بحار الأنوار: ٢٦/

١، باب: نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية).

(٣) في النسخة المطبوعة من الاحتجاج: ٥٣٦/٢: «ونحن صنائع ربنا والخلق صنايعنا».

(٤) ما بين | | ساقط من نسخة (ب)، وهي صفحة كاملة.

(٥) مشارق أنوار اليقين: ٧٧.

(٦) في النسختين: هذا.

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: الخلق من هذا، وأشار إلى ظهره، وأمثال ذلك من الروايات الدالة عليه كما يظهر للفتن.

وليس المراد الفاعلية الذاتية الاستقلالية، وحاشاهم من ادعاء الربوبية، بل قالوا: نزهونا عنها^(١)، بل هم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٢)، فهم سبب واسطي لجميع الخلق طرّاً، فيتأخرون عنهم، فهم الملاك. ومعلوم: إن طينتهم وإن كانت واحدة إلا أن محمداً ﷺ أفضلهم والسابق لهم^(٣).

[أهل البيت عليه السلام علة غائية]:

وما ورد في غير حديث، الدال صريحاً على أنهم علة غائية، الموجب لكونهم أولاً لمقتضى الغائية ذلك، لكنه مبرأ عن التفكير، فالغائية حتى الوسطية والفاعلية مطلق في شأنه واحد. فتفطن.

وعن عليٍّ عليه السلام: «علة [ما] صنع صنعه»^(٤)، فمن فعله بدأ الكون، وإليه يعود، ولقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾^(٥)، وفي الدعاء للإمام الثاني عشر، في رجب، كما ذكره شيخ الطائفة في المصباح وغيره: «[أعضاء] وأشهداد [ومناة] وأذواد»^(٦)، وروايات الأصول طافحة بأنه^(٧) أشهدهم الله خلق الأرض طرّاً.

(١) مشارق أنوار اليقين: ١٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٣) الكافي: ٤٣٧/٢، باب ١١١ مولد النبي ووفاته من كتاب الحجة، حديث رقم (٢/١١٩٣)، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما برأ الله نسمةً خيراً من محمد ﷺ».

(٤) ملحق نهج البلاغة برواية ابن ناقة: ٤٠، من الخطبة المعروفة بالدرة البيّمة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٦) مصباح المتعبد: ٨٠٣.

(٧) في النسختين: بأنهم.

ودلالة الآية على كون الصادر الأول واحداً من وجهين:

إحدهما: إن إشهاد واحد خلق آخر يقتضي اطلاعه على ابتداء خلقه ولا محالة من سبقه وإلا فلا إشهاد بل إخبار، ومضادته للبيان ظاهر، فإذا سبق الكل، وشهد خلق الكل، وهو مخلوق واحد، فصحة تلك القضية، إلا أن يمنع مكابرة أحد قضايها الثابتة عقلاً ونقلاً.

ثانيهما: قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(١)، فالتقييد بالصفة ومفهومها حجة كما قرّرناه محققاً في موضعه، وكذا العلماء - شكر الله سعيهم - ولو قيل: بعدم حجية مفهوم الصفة، فهي هنا حجة، لما ورد في الدعاء السابق وغيره، بأنهم «أعضاد»، فلا بد من سبقهم على الكل؛ ليكونوا عضداً، وليس العضدية والسببية للواجب تعالى، وأنه عاجز عن الخلق بغير معاون، والروايات والعقل بخلافه، بل لتتميم معلولية من سواهم، وكانوا سبباً متمماً لمن دونهم بفضلهم وإقامته لهم كذلك؛ لأنه علته، وهو معلوله إلى غير ذلك من الروايات.

[في النور المحمدي]:

فإننا نقول: المخلوق الأول هو النور المحمدي، ولكمال وساطته لكل يعبر عنه بأسماء مختلفة كما مرّ، وفي كلام الرضا عليه السلام لعمران الصّابيّ، كما رواه الصدوق في التوحيد والعيون: «إن الله واحد وخلق واحد»^(٢)، فكون خلقه كذلك يقتضي أن يكون له وحدة تامة جامعة في نفسها، فلا بد وأن يكون موجوداً، وأن يكون متعدداً بوجه.

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٢) لعل المؤلف يشير إلى: (والله تبارك وتعالى فردٌ واحدٌ لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يمسكه، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيئته) كما في: التوحيد: ٤٣٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٥٦/٢.

وبالجملة: فالروايات متواترة معنى على صحة تلك [الرواية] المقدسة، وعلى دفع الشبهات المعارضة لها، كقول: أنه ليس بواحد حقيقي أو أنه جسم؛ لتصريحها بالعقل وغير ذلك، مع قيامها على ثبوت المجرد، ويدلُّ على ذلك عقلاً، أدلة:

الأول: ما مرَّ لك في دفع شبهتهم الثانية واختصرناه، لكنه ظاهر للفظن.

[البسيط الحقيقي لا يمكن أن يعتبر فيه لذاته]:

الثاني: ما قاله أستاذنا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي - دام ظله - في أجوبة مسائل سُئل عنها بعد أن صرح: (بأن الواحد الحقيقي البسيط من كُلِّ جهة، بحيث لا يمكن أن يعتبر فيه لذاته جهة وجهة، ولا حيث وحيث، ولا اعتبار واعتبار، لا يصح أن يوصف بصفات متعددة من هذا الاعتبار... إلى أن قال: فأما الواحد بالاعتبار الأول فلا يصح أن يصدر عنه أكثر من واحد، لأنه لو صدر عنه أكثر من واحد لكان ما زاد على الواحد إما أن يكون صادراً عنه أو لا، والثاني خلاف المفروض فلا يصح، والأول إن كان ما زاد على الواحد هو الواحد ولا تميز بينهما ولا اثنيّة فلا زيادة، وإن تحققت الاثنيّة ثبت خلاف المفروض، وهو باطل؛ لأن المفروض إلّا جهة وجهة، فلا يكون التعدّد إلّا من^(١) متعدد ولو بالاعتبار المفروض إلّا تعدد ولو بالاعتبار. وأما الواحد بالاعتبار الثاني فيصح [أن يصدر] عنه أكثر من واحد لاعتبار تعدّد الصفات، فإن زِيدَ إذا كان عالماً وصايغاً ونجاراً صح أن يصدر عنه العلم باعتباره علمه والصياغة والنجارة كذلك، ولكن الواقع ما صدر عنه [سبحانه] إلّا واحد إلّا أن ذلك الواحد قد جمع مظاهر صفات الذات، فهو في نفسه واحد ومتعدّد باعتباره، فتكثرت الأفاعيل

(١) في المصدر: عن.

باعتبار تعدده؛ لأن الواحد الحق واحد باعتبار دون ذلك، وصف نفسه بصفات... إلى آخر كلامه^(١).

[العالم صادر عن واجب الوجود]:

الثالث: لا مزية في أن واجب الوجود، الخالق، واحد، وإن العالم صادر عنه، فلا بد من ارتباطه ارتباط السببية والمسببية، كما ستعرفه مبرهناتاً في جزء التوحيد^(٢)، فلا بدّ من انتهائه إلى واحد يرتبط به من دونه، بل يكون العالم من حيث هو كشخص ذي أجزاء ومراتب، فلا يصحّ قيام اثنين في رتبة متقابلين ومتساويين بدون تلازم، وبه يتم المطلوب، مع أنه حينئذ ليس جعل أحد قتيماً على الآخر أولى من العكس، فإن جعل ثالثاً نقل الكلام إليه وحل المطلوب، ولا يصحّ الجسم لذلك ولا أحد أجزائه، بل ولو جعل بسيطاً كرأي أهل الإشراق لما عرفت؛ ولحكم بديهية الفطرة، بوجوب كونه أفضله الكل وبه ارتباط، فهو أشرف وأقرب.

ومعلوم استحالة ذلك في الجسم والعرض والنفس، كيف وهي مجمع الصور. ففي الموجود رتبة أعلى منها. فتأمل.

فانصرح أن الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد، وإنّه العقل، لكن مرادنا بالارتباط أول البيان بين المفعول وفعل الفاعل، لا بينه وذات الفاعل، فالله خلو من خلقه ولا اعتبار لخلق في ذاته بوجه.

هذا ما يوافق الحق، وإن كان خلاف ما عليه المملّ وتلامذته وأهل التصوف؛ لأن مباينة خلقه له مباينة صفة، والمداخلة مداخلة ظهور صفة. فتدبر.

(١) أجوبة الرسالة القطيفية في جواب الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن سالم بن طوق القطيفي المتضمنة عشر مسائل، ضمن جوامع الكلم: ٢٧٠/٢.

(٢) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٢٠٤/٣.

[النبي محمد ﷺ أفضل الكل]:

الرابع: ما دل عقلاً على أن محمداً ﷺ أفضل الكل، وإنه الواسطة لكل في الكل، يدل على أنه أول الصادر، وهو واحد، وشرح البيان بمعونة ما سبق في الدليل النقلي ظاهر.

[الواحد الحقيقي لو كان مصدراً حقيقياً]:

الخامس: ما ذكره الحكماء أنه لو كان الواحد الحقيقي مصدر الأمرين كانت مصدريته، لهذا غير مصدريته لذلك، فإن كان نفس الواحد الحقيقي كان له حقيقتان مختلفتان، وإن دخل فيه أحدهما لم يكن واحداً حقيقياً، وإن خرج أو خرج أحدهما وكان الآخر عينا فمع استحالته يلزم التسلسل في الخارج، إذ المصدرية الخارجية لا يمكن استنادها لغيره وإلا لم يكن وحده مصدراً. هذا خلف.

فلننقل الكلام إلى مصدرية تلك المصدرية إلى أن تتسلسل أو تنتهي إلى داخل أو مصدر آخر، وجميع الفروض باطلة، فتعين أنه لا يصدر عنه إلا واحد.

[نقد القوشجي]:

ورد نقضاً كما في القوشجي وتعاطاه جيل تقليداً: بأنه لو صدر عنه شيء فمصدريته له مغايرة له لأنها نسبة، فتغاير المنتسبين، فإما داخله فيه فيتركب أو خارجة معلولة له كما مر فننقل الكلام إلى مصدريتها، فيلزم التسلسل. أو نقول: الصادر حينئذ شيان، ذلك الشيء ومصدريته لذلك الشيء، وهما اثنان، فينافي ما ادّعيتم من اتحاد المعلول عند اتحاد العلة، لكن من لم يكن له قلب يشبه بذلك، فإن مصدريته وهي النسبة ليست بموجودة خارجاً بل قائمة بالمعلول وبمعنى المصدور وقيامها بالواجب قيام صدور قيام الذات المعلولة الواحدة به. وكلامنا في المصدورية، أي: مبدأ تلك،

مبعثرات

وهي عين الواجب تعالى، ليست بإضافة ولا نسبة بين أمرين ولا داخله ولا خارجه، ورجوعها لفعله، وفي التحقيق ليست بنسبة ولا إضافة، بل نفس الفعل المجعول ولا نسبة لها، والذات الأحدية لبراءتها من ذلك فلا نقل، ولا ينافي الوحدة كونه شيئاً ومصدريته إذ ليست موجوداً آخر مغايراً للمعلول في رتبته، بل هي أمرٌ اعتباريّ بجهة ملاحظة كونه موجوداً صادراً عن الواجب.

فمنشأ الخطب جعل الحادث قديماً وبالعكس واحد الاعتباري حقيقي، مع أنه لا يجري إلّا في الممكن.

ورد أيضاً على سبيل الحل بأن المصدرية أمر اعتباري فتستغني عن المصدر، لكن رده ظاهر ممّا سبق.

وأيضاً: العلة موجودة قبل المعلول، ولا بد من كون لها خصوصية مع معلولها المعين باعتبارها تصدر لا يكون لها تلك الخصوصية مع غيره، إذ لولاه لم يكن اقتضاؤها لهذا المعلول بأولى من اقتضاها لما عداه، فلا يتصور صدور عنها، وهذه الخصوصية هي المصدرية، ولا بد من كونها موجودة، فإن كانت العلة بسيطة مطلق فهي نفسها ولا محال، المعلول واحد وإن لم تكن كذلك تعددت آثارها لاختلاف الخصوصيات بحسب مبدئها في ذاتها فتختلف أفاعيلها، فلا يصحّ جعل هذه المصدرية اعتبارية، ولا تعدّد لها. فاندفع المنع والنقض.

أما الدّفع بجواز كون خصوصيتها مع واحد عين خصوصيتها مع آخر وهكذا، فظاهر البطلان ممّا سبق، كقول هذه المصدرية عدميّة أو هي السّلوب، وهي متكررة، ولا يتوقف على تحقق مسلوب ومسلوب عنه، بل على مسلوب عنه، والسّلوب معتبرة وإن لم تكن متحققة.

وكيف تكون معتبرة غير متحققة خارجاً وهو يستدعيه، وقد كان ولا

اعتبار، فإن اتصافه تعالى بالسُّلوب ليس بالنظر إلى الذات البحتة الخالصة كاعتباره تعدّد الصفات.

[تقرير دليل في البسيط الذي لا تركيب فيه]:

وقد يقرر دليل هكذا: لو صدر عن الواحد اثنان ك (أ، ب) مثلاً، فمن حيث أنه يجب عنه (أ) مثلاً لا يجب عنه (ب)، إذ خصوصية العلة مع معلول غير خصوصيتها مع آخر، فمن حيث أنه يجب عنه (أ) لا يجب عنه (ب)، فلو وجب عنه (ب) لكان وجوبه من حيثية وجوب (أ) عنه، إذ لا تعدّد بوجه، إذ كلامنا في الواحد الحقيقي، فيلزم التناقض؛ لأنه من حيث إنه يجب عنه (أ) وجب (ب)، وقد ثبت أنه من حيث يجب عنه (أ) لا يجب (ب) وهو ظاهر.

ولما كتب بهمنيار إلى ابن سينا وطلب منه البرهان على هذا المطلب، أجابه: (بأن لو كان الواحد الحقيقي مصدراً لأمرين: ك (أ) و (ب) مثلاً، [كان] مصدر الألف ولما ليس (أ)، لأن (ب) ليس (أ) فيلزم اجتماع النقيضين.

[وقال الرازي]^(١): نقيض صدور (أ) لا صدور لا (أ)، أعني صدور (ب)^(٢).

لكن غير خفي أن صدور (ب) نقيض، وغير خفي على من له أدنى تأمل وإنصاف أنه لا مفر له عن هذا المطلب المقرر عقلاً ونقلاً إلا بالتزام أن الواجب تعالى ليس بواحد حقيقي، سوى كان بحسب الذات أو الصفة العارضة، وهي تستلزمها مع لزوم قيام الحوادث به.

(١) في النسختين ورد في مابين العضادتين: قبل.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ١٦٩/٢. وراجع أيضاً: المباحث المشرقية: ٥٩٠/١.

قال إمام المشككين في التشنيع على الحكماء، والعجيب يفني عمره في تعليم الأدلة العاصمة عن الغلط، ثم إذا جاء في هذا المطلب الأشرف أعرض عن استعمالها حتّى يقع في غلط يضحك منه الصبيان، وبالله العجب ولا عجب منه، ولكن ممّن يغتر بزخرفته. فأبي برهان فيه غلط، وأي مقدمة مع أنها عدّة تنبيهية لا تدفع ما شبه به عليها، فهل يضحك الصبيان.

قول: إن الله واحد حقيقي، حيث إنهم يجهلون ذلك، فالثنوي وعبدة الأصنام يضحك من إثبات ذات واحدة قديمة، فكلام الحق إن ضحك منه الجاهل الصبي فهو عدو الحكمة، فمن كلامه وكلامهم يضحك ويتعجب منه العاقل ذو النقد الجلي.

شك وإزاحة:

طالما يتردد في أفواه المجادلين، ويتعاطونه في معارضة الحكمة الموافقة للنقل: إن المعلول الأول له جهات تكثر بها صحّة الكثرة، كما قلتم، فإن كانت اعتبارية فهي من قبيل الإعدام أو آيلة له^(١)، فكيف تكون علّة للصدور والوجود، وإن كانت وجودية جاءت الكثرة من الواجب تعالى، فليدفع ذلك بأنها أمور اعتبارية، بمعنى: إن للعقل أن يعتبرها وهي مطابقة لما في الذات وما هي عليه، فلا يلزم كونها اعتبارية محضة ليرد عدم إمكان كونها علّة وجوداً ولها دخل فيه أو إمكان جريانه في الواجب تعالى، وليست خارجاً كذلك، إذ الجزئية لم تعتبر خارجاً، ولكن لا يحكم بالوحدة في نفس الأمر وما عليه الذات، واعتبر بالجنس والفصل، مع أن جعلهما في الخارج واحد لا تقدم للجزء فيه على المركّب، حيث إن الجزئية ليست خارجاً مع أنه مركّب في نفس الأمر والذات، وإن كان الاعتبار واعتباره بعده وليس بمتوقف على الاعتبار وملاحظته.

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (أ).

ومعلوم عدم إمكان ذلك في الواجب تعالى إلا بقول: إنه مركَّب ذاتاً. ولا يلزم صدور الكثرة عنه تعالى، إذ ليس إلا وجود معلولي، فهو بسيط، وإن كان بحسب معلوليته له جهة غير جهة كونه أثر ولكن لا خارجاً، إذ ليس مع الله مادة قديمة.

وليست الأشياء بذاهبة لا إلى نهاية، مع أن المتكلمين يجوزون كون مثل الإعدام عللاً، كالشروط وزوال المانع لموجود.

[اعتراض الرازي]:

واعترض الرازي بأن الكثرة المثبتة في المعلول الأوّل كالوجود، والوجوب الغيري، والإمكان الذاتي كلها اعتبارات عقلية لا تصلح كونها علّة للأمور الخارجية^(١).

ولمّا كان ظاهراً أنها ليست عللاً مستقلة، بل شروطاً وحيثيات تختلف بها أحوال العلّة الموجودة، اعترض بأنه لو كفى مثل هذه الكثرة في كون الواحد مصدراً للمعلولات الكثيرة لصلح كون الواجب مبدأ لها باعتبار السلوب والإضافات من غير جعل المعلول الأوّل واسطة.

وأجيب: بأن السلوب والإضافات لا تثبت إلا بعد ثبوت الغير، فلو كان لها دخل في ثبوت الغير لزم الدور.

[قول القوشجي]:

وقال القوشجي: (إن سلب شيء عن شيء لا يتوقف على تحقق شيء من الطرفين. وأما الإضافة بين شيئين فلا يتصور تحققها إلا بعد تحققهما).

وأقول: ليس باعتباريّة محضّة، كيف والحقيقة الخارجية هي وجودها

(١) المباحث المشرقية: ٥٩٤/١، الفصل الثاني في أن المعلول الواحد هل يستند إلى علل كثيرة أم لا؟

الغيري، وهذا مركب من أمرين، والتحقق كما اخترناه للوجود، وقد تواتر البرهان عليه، مع عدم نفع جعل التحقق للماهية لهم، فليست اعتبارية محضة وإلا لما كانت واسطة لما يحدث بعده، بل كما عرفت معنى كونها اعتبارية، أنها إنما تحصل كثرتها في الاعتبار، ونفس الذات تطابقها، وإلا لزم الكذب، لا أنها خارج كذلك، وإلا لزم كون وحدة المعلول الأول وحدة تأليفية، وتركيبه تركيباً مزاجياً، فيكون كالسكنجبين، فيكون مادياً، هذا خُلف.

وليس الأمر في الواجب كذلك فإنه بحسب بحث الذات لا تعدد فيه بوجه، وكذا الصفات كُل وحدة عين الأخرى وعين الذات، فهي علم ويعلم بما ينصر إلخ، كما سيأتيك في بابه، واعتبار تعدد الصفات بعد ذلك بحسب المظهر الدال، فكيف السلوب والإضافات الناشئة بحسب النظر إلى لوازم التقيدات والتجليات الفعلية؛ لغلبة الوهم، فهو منزّه عن التنزيه. وأما فرق القوشجي فردّه ظاهر.

توضيح تحقيقي:

اعلم أنا جرينا في كثير من المواضع السابقة على طريق أهل النظر أو الإجمال اللفظي، والذي يقتضيه التحقيق المطابق للعقل والنقل، هو: إن الله واحد، أحدي الذات من كل وجه واعتبار، ولا تقوم فيه نسبة ولا إضافة، لا قبل الخلق ولا بعده ولا معه، ومرجع النسب والإضافات لفعله، وهو أول صادر صدر عنه، وله أسماء كثيرة متعدّدة؛ لتعدّد جهاته، وستعرفه في المجلّد الخامس - إن شاء الله - في بحث الإرادة، وظهوره بخلقه لخلقه لا بذاته، وخلق الخلق بالمشيئة، فلم يبرز من ذاته، ولا تقوم به الحدود والجهات والاعتبارات، ولغلبة صفة ظهور الفاعل تغلب الوحدة، فيكون الصادر الأول واحد بسيط لمن دونه من المفعولات، وإلا فهو مخلوق، وكلمة مخلوق مركّب، وأقله من ماهية ووجود، وأقل جهاته ثلاث، فهو

متكرر، حتى فعله المجمعول بنفسه؛ لنص: «خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الخلق بالمشيئة»^(١).

وعنهم عليهم السلام: «تَجَلَّى لَهَا بِهَا»^(٢). وهذه الوحدة وحدة صفات فعلية مخلوقة، دالة على الأحدية المحضة، دلالة تعريف لا إحاطة، والكون ترتيبه على الأشرف فالأشرف، فصلاح النظام يوجبه، ولزوم الطفرة الوجودية لو تقدم الأخس على الأشرف، ومقتضى المطابقة بين العوالم تقدم السر على مقام المعاني أي العقل، ثم هو على النفس، ثم هي على الخيال، ثم المواد، ففي العالم الكبير كذلك، فيكون أول ما صدر واحد وحدة إضافية، وإلا فهو متكرر مركب، ولا يلزم شيء مما سبق.

وهذه الأولوية بحسب الوجود المقيّد والأولية الحقيقية الإمكانية، هي ما للفعل، وهي صفة الدلالة، وعالم الوجود المطلق، وبها المفعولات، ولا منافاة بين الأوليتين.

[تعليق على الواحد لا يصدر عنه إلا واحد]:

ولا يصح القول: بأن الواحد ما يمكن أن يصدر عنه إلا واحد، وألا يراد من وحدة الصادر الأول الحقيقة الواجبة، بل الإضافية، وهو ظاهر تلك الوحدة، فيكون فيها جهة كثرة، وإن غلبت عليها الوحدة بحسب الظهور، فهو استنارة، كما تقول للسراج المشعول في مكان الضياء بالسراج، وهو الظاهر، وإن كان ظهوره بالشعاع والاستنارة، وكذا استنارة المكان.

ولا نسبة بين الذات الأحدية والصادر الأول، وليس ظُهوره له بذاته، فلا يلزم تكثره من تكثره، ولا كونه مادة له، ولا قيام الحدود به تعالى وتقدس.

(١) الكافي: ٦٤/١، في باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، رقم (٤): عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ».

(٢) الاحتجاج: ٤٨٠/١ رقم (١١٧)، شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد: ٣٤/١٣ رقم (٢٣١)، نهج البلاغة لمحمد عبده: ٢٤٠/٢ رقم (١٨٥).

نعم، المشيئة، وهو الصّادر الأوّل، اقتضت أن يكون أوّل الوجودات المقيدة، وهي عوالم الكون، العقل الأوّل، وهو واحد، وهو عقل الكل، كأنه واحد شخصي له عقل واحد، وما سواه عقول جزئية كثيرة تزيد على العشرة والمئة.

وكذا نقول في النّفس الكلّية، ولها نفوس جزئية، وهكذا في الروح والطبيعة، وشكل الكل وخيال الكل، لا كما قاله حكماء المشائين، ولا يلزم شيء ممّا ذكره الحكماء هنا، لو كان الصّادر الأوّل متكثر على ما سمعت، وإن كان مختصراً، فوحدة العقل الأشرف الأوّل مع ذات كثرة وإن كانت معنوية، ولا ينافي تجرده، فإنه تجرد إضافي بالنسبة إلى ما دونه من النفوس والأرواح، والخيال، والطبيعة، والمواد، وسائر الأجسام لا بالنسبة إلى فعل الله الذي فوقه، ووجد به عن ذات الله، ولا اعتبار لغيرها بوجه ثبوت ولا ينفي، بل الأشياء كلها عدم معها وفي رتبها عدم، بمعنى وجودها في مقام الحدوث لا عن ملاحظة للمعدم في مقام الذات وإلا قام الغير وصلح الثبوت وهو الضّد، والله منزّه عن جميع ذلك، أو البيان أقصى ما يمكن في التعبير عن نفي الغيرية عنه تعالى^(١)، «وغيوره»^(٢) تحديد لما سواه»^(٣)، كما قال الرضا عليه السلام. فتدبر.

فالواحد المتكثر بالمعنى كذلك هو العقل وتشعبت منه العقول، فعقول

(١) نفي الغيرية بمعنى أن الصفة ليست غير الموصوف، لأن الغيرية تستلزم الاثنية، تعالى الله عن ذلك وتقدس. (راجع: خلاصة علم الكلام: ١٩٦).

(٢) قال المجلسي رحمه الله: الغيور: إمّا مصدر أو جمع: غير، أي: كونه مغايراً له تحديد لما سواه، فكلّ ما سواه مغاير له في الكنه، ويحتمل أن يكون المراد بالمغايرة: المباينة، بحيث لا يكون من توابعه أصلاً لا جزءاً له ولا صفة، أي: كل ما هو غير ذاته فهو سواه فليس جزءاً له ولا صفة. بحار الأنوار: ٢٣٤/٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٣٦/٢، الاحتجاج: ٣٦١/٢ رقم (٢٨٣)، بحار الأنوار: ٤/٣٢٨.

الخلق على مراتبها من أشعته، ويسمى ذلك بعالم العقول، وعالم الجبروت، ومقام العقل مقام الإجمال، وما دونه من مراتب التكوين بدءاً وعوداً مقام تفصيل، والأول أشرف وأسبق وأقدم في الوجود، لكنه تقدم ذاتي لا زمني، بل ظهور النفس والعقل معاً، وإن كان وجوده سابقاً على وجودها رتبة فلا تحقق لها في رتبة العقل، بل خلق قبلها بألفي عام، وإن كانا معاً ظهوراً كتقدم السراج على الأشعة، وإن كانا معاً والعقل أول موجود برز من الوجود المطلق وبأمر الله ومشئته، وتخفى الأشياء دونه عند ظهور نوره وعمومه، وهو الركن الأيمن الأعلى من العرش ولونه البياض، ونسبة غيره إليه نسبة الجزئي إلى الكلّي الشمولي، وليس له في مقامه ما يصرفه عن الله، فلا يتوجه إلا إليه تعالى، ودليله الحكمة والموعظة، وصفته اليقين والاستقامة، وطريقته علم اليقين، ووقته الدهر، وهو ثابت مستقر، وفيه تجتمع المختلفات الزمانية ويفرق المجتمعات، وهو أول غصن أخذ من شجرة الخلد^(١)، وأول من ذاق حدائقهم الباكورة^(٢)، والقلم الثاني المذكور في قوله تعالى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ﴾^(٣)، وستعرف صفاته وأركانه وصورته، وهي هيكل التوحيد، وحكمة الاحتياط دائماً في الأقوال والأفعال، فهو المحصل لليقين، وإمكانه كل الممكن فهو كل إحاطة؛ لأنه أول شيء برز في الوجود بمشيئة الله، كما عرفت، فأظهر به كما عرفت، ويأتي بإقباله الذي هو عين إداره لما خاطبه بما سمعت حقائق الأكوان ومخفي الإمكان مما استجن فيه.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَدَأْمُ هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَنْ لِي لَا يَبْلُغَ﴾ سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٢) إشارة إلى الحديث المروي في بحار الأنوار: ٣٧٨/٧٥: (روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة).

(٣) سورة القلم، الآية: ١.

فأول مراتب نزوله عالم الأرواح، ثُمَّ النفوس، ثُمَّ الطبائع، ثُمَّ المواد الجسمانية، ثُمَّ عالم المثال، ثُمَّ عالم الأجسام، وهكذا حتّى انتهى إداره إلى الأرض وتراكمت فيه الطبائع واجتمعت، فأول صعود من المعدن، ثُمَّ النبات، ثُمَّ الحيوان، ثُمَّ الجن، ثُمَّ الملائكة، ثُمَّ الإنسان، ثُمَّ الجامع، حتّى استدار على مبدئه.

وعالم العقول، عالم الوحدة والبساطة الإضافية، كما عرفت، والعقل الكلّي الأصل، وهو عقل نبينا ونبي الكلّ محمد ﷺ وآله ﷺ على مراتبهم، ثُمَّ عقول سائر الخلق من الأنبياء والأولياء على مراتبهم، ثُمَّ أشياعهم وأتباعهم، وتشعشعها تشعشع، كانبعاث النور من المستنير، والأشعة من الشمس على مراتبها، وهكذا.

ومما سمعت يظهر غلط المشائي في قوله: الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد، بحسب الإمكان، وإن الواحد الصّادر وحدة حقيقية، وكذا القول بحصر العقول في عشرة^(١)، وإن الصّدور أمر اعتباري. أليس فوق العقل ممكن؟ فهو أوّل صادر، وهي أولية مقيدة وقبله المشيئة المحدثة، وأنه برز من الذات والله فاعل بذاته، وأمثال هذه الأقوال المجتثة.

(١) المشهور عند الفلاسفة أن عدد العقول عشرة، العقل الأوّل والعقول التسعة بعدد الأفلاك. ومنهم من يقول إنها أحد عشر. لأنه أثبت لمجموع العالم العنصري عقلاً آخر وهو المدبر لأحوال هذا العالم، وسماه بالعقل الفعال. وأمّا المتأخرون فقالوا: إنه وإن كان عدد الكرات الكلية تسعة إلّا أن كل منها ينقسم إلى عدد من الكرات، وهي الحوامل والتدويرات. ويجب أن يكون لكل واحد منها نفس على حدة وعقل على حدة بالاستدارة. ومنهم من زاد فقال: الدليل الذي يدل على أن هذه الكرات الفلكية متحركة بالاستدارة هو أيضاً يدل على أن الكواكب متحركة بالاستدارة. فوجب أن يثبت لكل واحد منها أيضاً عقل ونفس. (راجع: موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، النص: ٤٦١).

[في الاختيار]:

وكذا المختار ليس معناه ما سمعت من قولهم: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل^(١)، بل: إن شاء فعل وإن شاء ترك^(٢).

واختياره اختيار المشيئة، وهذه أتم وأكمل أنواع الاختيار، لا معنى لقوله: إن لم يشأ لم يفعل، فيكون اختياره جزء الاختيار، لا الاختيار التام، ولا يستلزم التعدد، التعدد فيه والتركيب لرجوعه إلى فعله بجهة واحدة، فالاختيار التام، أي: المركب، أي: إن شاء فعل وإن شاء ترك من أمره ومشيئته، فهي الخزانة الكلية، فتنسب له نسبتها إلى جهة فعله، وينسب له المتقابلان بجهة واحدة، هي اجتماع في ارتفاع، فهي صفة فعل، وترد إليه لا لنفس ذاته الأحدية، فالمشيئة محدثة بالأمر الفاعلي بنفسه فشاء بها ما يشاء.

وكلام المأ والكاشاني وأمثالهما هنا ضلال ساقط، سيأتي في موضعه، وسيأتي زيادة بيان في الحديث، وفيما سيأتي إن شاء الله.

[تعدد العوالم وأصولها]:

ثم أعلم: إن الله بكمال لطفه ورحمته ومشيئته عمل بمقتضى الأسباب والقابليات المتعددة من انوجد الوجود، وتعدّد الحدود، المساوقة للمشيئة بجهة السفلي منها، وهكذا كلّ سافل بالنسبة إلى العالي، ولولا ذلك بقي الوجود في الخفاء ولم يكن لنوره استنارة وهكذا.

فلا يكون دليله وآيته ويبطل الكون. ولم نقل الحجة وتظهر له على الكلّ، فتكثرت العوالم وتعدّدت، وإن كان أصولها ثلاثة: جبروت، وملكوت،

(١) رسائل ابن سينا: ٢٥١، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ٢٢٤/٢.

(٢) شرح الفوائد: ٤٣٦/٢.

وملك. وترجع لواحد عقلي، أوّل مكون بالوجود المقيّد، ويرجع إلى أمره ومشيّته.

[صدور الموجودات عن الواجب]:

ولنشر باختصار لكيفيّة صدور الموجودات عن الواجب تعالى على تكثرها بما لا ينافي أحديّته الخالصة، كما اقتضته حكمته البالغة.

فأوّل صادر عن الله تعالى عالم المشيئة، وهي الإرادة والإبداع واحد ومعناها مختلف، كما هو صريح حديث الرضا عليه السلام لعمران وغيره، وخلقها بنفسه، وهي قلب محمد وجهته العليا المطلقة، وعنهم عليهم السلام: «نحن محال مشيئة الله وإذا شئنا شاء الله»^(١)؛ لأن مشيئتهم عليهم السلام مشيئة الله تعالى، وهو عالم الأمر، و(كن) المعبر عنه في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢) و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، ويعبر عنه بالكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، كما في دعاء السمات^(٤). وهذا بسيط، يتعدّد بتعدّد قابليّته واختلافه، وهو نفس الإيجاد وفعل الله، وليس انفكاك وتمايز خارج بين فعله ومفعوله.

نعم، بالرتبة متساوقان^(٥) ظهوراً، ثمّ صَدَرَ عن الله بواسطة المشيئة

(١) ورد في حديث المعرفة الوارد عن جابر: (وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عبادته، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلنا الله عز وجل هذا المحل واصطفانا من بين عبادته، وجعلنا حجة في بلاده). (راجع: بحار الأنوار: ١٤/٢٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) راجع: مصباح المتعبد: ٤١٦، جمال الأسبوع: ٣٢١.

(٥) في النسختين: ومتساوقان.

العقل، ثُمَّ الرّوح بواسطتهما عن الله تعالى، ثُمَّ النّفس الكلّية عن الله بواسطة ما تقدّم.

[معنى الروح والنفس]:

والروح: هي البرزخ بين العقل، وهو الذوات الأولى للمكونات، ومادة المواد ومجمع المعاني^(١)، فتكثرت معنى لا شخصاً.

والنّفس: التي هي مجمع الصور المجردة عن المادة والمدة، واللوح المحفوظ، والكتاب المسطور، والنور الأحمر الذي احمرت منه الحمرة، والألف المبسوط. كما أنّ العقل الطور والقلم، والألف القائم والنور الأبيض وهو العلم، ومنه البياض وضوء النهار، وهو البرزخ الأوّل، وهو نور أصفر، كما أنّ الأوّل باعتبار الحقيقة المحمدية البرزخ الكلّي، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ محمد ﷺ: ﴿لَا يَتَغَيَّرُ﴾^(٢)، ثُمَّ الطّبيعة الكلّية، وصدرت عن الله بواسطة جميع من تقدّم، ثُمَّ صدرت عنه هبولى الكل بواسطة جميع ما مرّ، ثُمَّ شكل الكلّ، وعالم المثال صَدَرَ عن الله بواسطة جميع ما مرّ، ثُمَّ جسم الكلّ صدر عن الله تعالى بواسطة جميع ما مرّ، ثُمَّ [فلك] الأطلس بواسطة [جميع] ما مرّ، ثُمَّ فلك البروج بواسطة [جميع] ما مرّ، ثُمَّ المكوكب بواسطة [جميع] ما مرّ.

واعلم: إنّ الصّادر الأوّل حيث كان الحقيقة المحمدية، فله مراتب أعلاها مقاماً أو أدنى، وهو بحر المشيئة، وهو مقام لا يسعني. إلخ^(٣).

ودونه مقام العقل، وهو ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، فالمراد بـ (أو) في ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

(١) شرح الفوائد: ١٠٠/٢.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) في الحديث القدسي، قال الله عز وجل: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن). (راجع: عوالي اللآلي: ٧/٤، وباختلاف بسيط في بحار الأنوار: ٣٩/٥٥).

أَدَقُّ^(١) التقسيم لبيان الدرجتين لا التشكيك، وهو مقام الإفاضة وجهته بالنظر لمن دونه، ودونه مقام الحجب، وهو مقام الروح، وهو الروح الذي على الملائكة الحجب التي تحته.

أما الروح التي من أمره وهي المختصة بهم، وإنما كان فيمن سواهم حتى الأنبياء السابقة، فقبس وأشعة مختلفة شدة وضعفاً، فصَحَّ التعبير عن الصادر الأوَّل بالروح والفعل، كما أنَّ له مقاماً أنزل من هذه، هو من مقامه البشري بتقييد، حتى يتحدَّد له الأمر الجزئي في قالب المثالي الثانوي الملكي.

ثمَّ نقول: بعد ذلك صدر عن الله بواسطة جميع ذلك الشمس؛ لأنها شمس الحياة، وتضيء لأهل السماء بجهتها العليا كما تضيء لأهل الأرض بجهتها السفلى. وهذا الترتيب باعتبار الغيب، وهو لا ينافي توسط فلکها بين الأفلاك، وكون أوَّل صادر بواسطة الكوكب زحل، كما عليه أهل الهيئة وجرت عليه كلمة المشائين والإشراقين، فإننا لا ننكر ذلك من جهة الظاهر والترتيب الحسي، خصوصاً الظاهر في الرصد الجسماني. وهو حق.

وكلامنا باعتبار الترتيب الشرقي، والارتباط العيني الذي به السببية والمسببية. وإن أراد أن الشمس تضيء لأهل السماء، مع أن السماوات ليس فيها هذا الضياء العرضي، فليس إلّا أمدادها، فلذا قدّمناها، ففيها مجمع الطبائع.

ولذا ترانا فيما سيأتي نجمع بين كُلِّ علوي من الثلاثة ومقابلة من أسفل، ونذكر فيه الخصوصية الغالبة، ثمَّ عن الله بواسطة ما مرَّ والشمس وخصوص العقل الأوَّل.

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

[ترتيب كليات الأفلاك]:

ولذا زحل سعد، وهو نجم عليّ عليه السلام، كما روي فلك زحل والقمر، وصَدَرَ عن الله بواسطة ما سبق، والشمس وخصوص الطبيعة الكلية المشتري وعطارد، ويصدر عن الله بواسطة ما سبق والشمس، وخصوص الطبيعة الكلية المريخ والزهرة، وصدر عن الله بواسطة جميع ذلك كرة النار، ثُمَّ بَاقِي الكرات، ثُمَّ المعدن، ثُمَّ النبات، ثُمَّ الحيوان والملك والجان والإنسان، وهذا ترتيب الكليات مختصراً أيضاً.

[المراد بالأفلاك]:

ومرادي هنا بالأفلاك، الأفلاك الغيبية، وجسم الكل^(١) كالظل له، فهو موجود عرضاً ومستجن خصايص من دونه، وهو الصادر الأول، له جهات متكررة، صلح للواسطة لكثير من الأشياء؛ ولتجدد الإفاضة غيباً، الذي هو عبارة عن المدد، وفي الظاهر في محل الزمان وهو الحركة الظاهرة، فإن السماوات مستجنّ الأسماء، وخصائصها مع المادة الثانية المادية القابلة، فيتجدد الفيض ظاهراً لا إلى نهاية، وآخر المجردات هيولي الكل، وجميع النفوس ارتباطها بالنفس الكلية ومن فاضل نورها، وكذا النسبة مع العقل.

[في بيان التأخير الزمني أو الفصل]:

وقولي: ثُمَّ لا لبيان التأخر الزمني أو الفصل، إذ لا فصل في الوجود ولا وصل، والبرازخ ثابتة من كثرة، وصدور المراتب المجردة قبل، والسماوات في أقل من لمح البصر بمشيئته، ولكن لما تَفَاضَلَت الأشياء وارتبطت وتعددت المشيئة باعتبار ما ظهر ظهرت تفاوت الرتب ودار كُلّ فلك في مقامه فأتى بـ (ثُمَّ) لذلك هنا، وفي الروايات وأملاك كل رتبة بما

(١) في النسختين: كل.

يناسبها، والإنسان الكامل له المقابلة لكل سرّاً وغيباً وظاهراً. وسيأتيك بعض تفصيل هذا الإجمال في باب النوادر من جزء التوحيد^(١).

وحيث اعتبر الحكماء الترتيب بحسب الظاهر، وعندهم الإرادة نفس علمه بالنظام عين ذاته، ولم يعتبروا إبداعاً أولاً بل هو العقل، ولم يعتبروا باقي المراتب الغيبية، ونظر بالترتيب الحسيّ لأقل ما يمكن من العقول رتبوا أوّل صادر العقل، ثمّ عقل ونفس وجسم الأطلس، ثمّ فلك الثوابت، ثمّ زحل، وهكذا إلى القمر، ثمّ العناصر الأربعة، ثمّ المواليد الثلاثة، ولم يعتبروا العقل بجهة سرّه، وهو قلبه وعرش الكيفوفة والبدء، وعلل الأشياء وهو فؤاده.

وباعتبار إفاضته القلم، ولم يعتبروا هيولي مجرّدة. ولم يعتبروا الشمس من حيث إنها للإنسان مظهر الوجود، والإنسان الكبير والصغير متطابقان، فهي^(٢) تفيض على الكل، كمظهرها في العالم الصغير، وهو منخره^(٣) الأيمن. ولم يعتبروا العقل بحسب ذاته النورية وصفته الظاهرة، وجعلوا له ارتباطاً بزحل والقمر، وكذا في النفس والطبيعة، فظهر الفرق، وإن كان ما رتبوه أسهل تناولاً وما رتبناه باعتبار تطابق العالم الآفاقي والإنساني.

وقولي: قبل، صَدَرَ عن الله بواسطة كذا وكذا، الوسطة للمعلول الأخير، وبالنسبة للواجب تعالى هما كالشيء الواحد، بل واحد.

[صدور الكثرة عن الواحد]:

وتصريحني بالمصدر عن الله؛ لدفع توهم الجاهل من نسبة الصدور

(١) راجع هدي العقول (المطبوع): ٩/٧ - ١٠٥.

(٢) في النسختين: فهو.

(٣) هكذا في النسختين.

للسبب إنه سبب مستقل، كما توهمه المتكلم من عبارة الحكيم، إذ قال: صدر عن العقل، عقل ونفس.

ومن سوء فهمه، يجعل النسبة المجازية حقيقية، ومنشأ هذا الغلط الأشاعرة، منكرة الأسباب، وإلا فلَكَ أن تقول: صدر عن الله عقل، وعن العقل، باعتبار كونه وسطاً، باعتبار موصوفه وواسطته، وإلا لم يكن صفة لغيره، بل ذات واجبة استقلالاً عقل، وباعتبارهما نفس، وبجهة توسطه في نفسه فلك، ثم تتكثر الأسباب الوسطية. مع أنك قد عرفت أن للمعلول الأول جهات كثيرة، وإن كانت كالشخص فيه، بل شخص، ولكن مظاهرها ومشروطاتها المرتبطة بها مترتبة.

[تنبيه نقلي]:

قال الطوسي رحمته الله في أجوبة مسائل للحكيم صدر الدين القونوي في خلال الأجوبة^(١): (ولمّا كان المبدأ [الأول] عندهم واحداً من جميع الوجوه، كان [معرفة] الوجه في صدور الكثرة منه محتاجاً إلى لطف قريحة، فنورد الوجه في صدور الممكن [فيه]، وهو: أن نفرض الواحد الأول (أ)، والصادر عنه (ب) وهو في المرتبة الأولى. قل (أ) بتوسط (ب) أثر، وليكن (ج). ول (ب) وحده أثر وليكن (د)، وهو المرتبة الثانية.

ثمّ يكون ل (أ) مع (ج) أثر فليكن (هـ). ولا (ب - أ) مع (ج) أثر وليكن (د). ول (أ) مع (د) أثر، وليكن (ط). ول (ب) مع (د) أثر، وليكن (ي). ول (أ - ب) مع (هـ) أثر، وليكن (ك).

ول (ج) وحده أثر، وليكن (ل). ول (ل - د) وحدة أثر، وليكن (م). ول (ج) مع (د) أثر، وليكن (ن).

(١) أجوبة نصير الدين الطوسي عن مسائل صدر الدين القونوي ضمن أجوبة المسائل النصيرية (٢٠ رسالة) جواب المسألة الرابعة: ٢٣٠.

ومن (أ ج د) أثر، وليكن (س). ومن (ب ج د) أثر، وليكن (ع).

ومن (أ ب ج د) أثر، وليكن (ف).

المرتبة الأولى (أ). المرتبة الثانية (ب) من (أ). من المرتبة الأولى (أ) الثانية (د) من (ب). الثالثة (ل) من (ج) أثر الرابعة (م) من (د). فهذه اثنا عشر. وهي في المرتبة الرابعة.

فإن اعتبرنا الأسافل بالنظر إلى الأعالي مثلاً (ب) بالنظر إلى (أ). و(ج) بالنظر إلى (أ)، وإلى (ب) (ب/٤٦) وإليهما، وكذلك في (د) بالنظر إلى (أ) وإلى (ب) وإلي كليهما^(١). وعلى هذا القياس فيما دونهما صارت الآثار

(١) بمطابقة النسختين والمصدر لاحظت سقطاً مما أربك العبارة، ففضلت إبقاء ما كتب كتبت في المتن كما هو، ونقل ما ذكر في المصدر نصاً في الهامش: (أن نفرض الواحد الأول (أ)، والصادر عنه (ب) وهو في المرتبة الثانية. قل (أ) بتوسط (ب) يكون أثر، وليكن (ج). ول (ب) وحده أثر وليكن (د)، وهما في المرتبة الثالثة. ثم يكون ل (أ) مع (ج) أثر وليكن (هـ). ول (أ - ب) مع (ج) أثر وليكن (ز). ول (أ) مع (د) أثر، وليكن (ح). ول (أ - ب) مع (د) أثر، وليكن (ط). ول (ب) مع (ج) أثر، وليكن (ي). ول (ب) مع (ج) أثر، وليكن (ك). ول (ج) وحده أثر، وليكن (ل). ول (ل) وحده أثر، وليكن (م). ول (ج د) معاً أثر، وليكن (ن).

ومن (أ ج د) أثر، وليكن (س). ومن (ب ج د) أثر، وليكن (ع).

ومن (أ ب ج د) أثر، وليكن (ف).

المرتبة الأولى (أ). المرتبة الثانية (ب) من (أ). المرتبة الثالثة (ج) من (أ - ب) و(د) من (ب).

المرتبة الرابعة: (هـ من أ، ج. ز من أ ب ج. ح من أ د. ط من أ ب د. ي من ب ج. ك من ب د. ل من ج.

م من د. ن من ج د، س من أ ج د. ع من ب ج د. ف من أ ب ج د.

وهذه اثني عشر. وهي في المرتبة الرابعة.

وإن اعتبرنا الأسافل بالنظر إلى الأعالي مثلاً (ب) بالنظر إلى (أ). و(ج) بالنظر إلى (أ)، وإلى (ب) وإليهما، وكذلك (د) بالنظر إلى (أ) وإلى (ب) وإلي كليهما.

والاعتبارات أكثر من ذلك. فإن تعدّينا هذه المراتب إلى الخامسة والسادسة وما بعدها، صارت الآثار والاعتبارات بلا نهاية.

ويمكن أن يكون للأوّل باعتبار كلّ واحد منها فعل وأثر، فيصدر [منه] بهذه الاعتبارات موجودات لا نهاية لها غير متعلّق بعضها ببعض.

قالوا: ويكون في العقل الأوّل أربعة اعتبارات:

أحدها وجوده، وهو من الأوّل، [تعالى، وماهيّته، وهي له من ذاته، وعلمه بالأوّل، وهو له بالنظر إلى الأوّل]؛ وعلمه بذاته، وهو [له] بالنظر إلى نفسه. فيصدر عن الأوّل بهذه الاعتبارات صورة فلك ومادّته وعقله ونفسه.

وإنما أوردوا ذلك بطريق المثال، ليوقف على كيفيّة صدور الآثار الكثيرة بسبب الاعتبارات الكثيرة، مع القول بأن (الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد، باعتبار واحد). ولم يدّعوا أنهم واقفون على كيفيّة صدور سائر الموجودات الكثيرة، ولم يتعرّضوا لغير الأفلاك التسعة.

وإنما أثبتوا عقولاً عشرة لا يمكن أن تكون أقلّ منها، وأمّا الأكثر، فقد ذكروا أنّ الأفلاك كثيرة، وحركتها مختلفة، ويجب أن يكون لكلّ واحد عقل ونفس. ولم يتعرّضوا للكواكب المتحرّكة والثابتة. وإنّما يصدر ذلك بسبب اعتبارات مختلفة متكررة، كلّ واحد من هذه الأجرام من نفوسها وعقولها نوعه منحصر في شخصه.

وجوّزوا أن يصدره المبدأ الأوّل وجود جميع هذه الموجودات، بعضها بتوسّط بعض، وباعتبار دون اعتبار. فهذا ما فهمت من كلامهم وأقوالهم.

وقد ظهر أنّ هذه الاعتبارات [ليست] مفروضة وليست بعلة تامّة لشيء، إنّما هي اعتبارات انضافت. إلى مبدأ واحد، فتكثر بسببها معلولاته. ولا يجب كون الاعتبارات أموراً وجوديّة عينيّة، بل يكفي كونها عقليّة؛ فإنّ الفاعل الواحد يفعل بسبب اختلاف أمور عقليّة أو عدميّة أفعالاً كثيرة.

أمّا نفي تأثير الحقّ في الموجودات [ونفي] وتعلّقه بالجزئيات [فمما] أحال عليهم من لم يفهم كلامهم. وكيف ينفون تعلّقه بالجزئيات، وهي صادرة عنه، وهو عاقل لذاته عندهم، ومذهبهم أنّ العلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول) فقد أحال ولم يفهم كلامهم. انتهى.

وكلامه في شرح الإشارات (في بيان كيفية صدور الكثرة)^(١)، لا يخرج عمّا سمعت، وقد تُلقِي بالقبول.

لكن لي في بعض تفصيله نظر، لا من جهة نسبة مثلاً الصدور ل (ب) فإنها نسبة مجازية ليست بالحقيقة، ولكن لا يصحّ أن يقل: ل (ب) وحده بدون (أ) أثراً، إذ لا يصدر عن الصّفة أثر بدون توسّط موصوفها وإلا لم تكن صفة، إلّا أن يقال: صلح، قول بدون (أ) باعتبار ملاحظته في نفسه، وإن كان بعّلته، وهو المراد، فيصلح بهذه العناية، إلّا أن يبقى (ح) صدور عن (ب) شيء بواسطة (أ) بأن يكون علته نسبته إلى (أ) أولى.

ثمّ قوله في شرح الإشارات، بعد أن قال: (ثمّ من الجائز أن يصدر عن (أ) بتوسط (ب) شيء وليكن (ج)، ثمّ عن (ب) وحده شيء وليكن (د) - فيكون في ثاني المراتب شيان - لا تقدّم لأحدهما على الآخر)^(٢).

إذ محال كون معلولين لا تقدّم لأحدهما على الآخر.

وأيضاً لا يكون ل (أ) مع (د) أثر، وهو (ط) بدون توسّط (ب) و(ج) لكونهما بالنسبة لها علل وسطية.

وكذا (ب) مع (د) لا يكون إلّا بتوسط (ج). وباقي الاستدراك في باقي المقدمات ظاهر.

(١) شرح الإشارات والتنبيهات: ٢٤٤/٣، عنوان: زيادة وتحصيل في بيان كيفية صدور الكثرة عن المبدأ الأول.

(٢) المصدر السابق.

وقوله: (فإن اعتبر الأسافل بالنسبة إلى الأعالي) لابد من اعتباره و(ح) تعتبر (ب) بالنسبة إلى (أ) و(ج) بالنسبة إلى (أ) و(ب - أ). وكل واحدة كما قال، ولكن (د) بالنسبة إلى (أ) وحده، أو (ب) وحده، أو (ج) وحده، أو (أ) و(ب) أو (أ) و(ج) أو (أ) و(ب) و(ج)، وهكذا السبيل في الباقي، ولكن النزاع في ترتيب المثال بعد ظهور أن المراد بيان صدور الكثرة مع عدم ثلم الوحدة الحقيقية هيّن، وإصلاحه خفيف، ونحن قد أوضحنا لك المرتبة بغير تكنية، بحرف، ليكون أتم وأوضح.

فانصرح لك من السبيلين: إن الواحد الحقيقي لا يصدر عنه إلا واحد، وعدم منافاته لعموم القدرة، إلا أن تمنع الأسباب مطلق.

ويقال: إنه يعاين الأشياء بنفسه فتمتنع وحدته الحقيقية أو يعود له من خلقه ما ينافيها، وحينئذ يسقط ذلك وملزمة عن درجة الاعتبار، ويلحق بالأغيار.

وكذا استبان لك دفع الشكوك عن الوجوه التي عدت تنبيهية مما سبق، وذكر خلالها.

فإذا استقرت، تعيّن واتضح لك: إن الصادر الأول العقل، وإنه بظاهر، ويراد به: موجود مبرأ عن المادة والمدة والصور، وإنه مجمع المعاني.

واتضحت به أحاديث ستسمعها، وانجلي مشكلها، لكنها مسألة تحتاج إلى زيادة لطف. فتدبر.

وقد بسطنا الكلام هنا في الجملة لأن الحق حقيق بالانتصار.

[أقسام الجهل]:

وأما الجهل، فينقسم باعتبار أقسام العقل السابق، وبملاحظة المقابلة تظهر، وتفصيله والاستشهاد يظهر بالمقايسة، ومقابل الخامس الجهل

مبعثرات

المركب ذو العناد، وهو المذكور في حديث الإقبال والإدبار، ولك إرجاعها إلى قسمين كالعقل. فتأمل.
إذا استبان لك ما سبق فلنشرع في شرح الأحاديث.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

شرح
[كتاب العقل والجهل]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

إذا استبان لك ما سبق فلنشرع في شرح قوله: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ.

أقول: الظاهر إن هذا من النسخ الرواة عنه أو منه على لسانهم أو من قبيل التجريد.

وفضله علماً وعملاً غير خفي، غني بالشهرة عن البيان، فلنعرض عنه، فجزاه الله عن الدين خير الجزاء، وجعله جوار سيد الأنبياء وآله النجباء.

وفي بعض النسخ لم توجد^(١) هذه الزيادة، وجمع (الكافي) في عشرين سنة، وتوفي ببغداد، وقبره فيها معروف إلى الآن، لكن خفي زمناً وظهر، ويأتي على يسار الداخل من أول سوق بغداد، بعد ثلاثة أو أربعة دكاكين من جانب الشرقي، سنة ٣٢٨^(٢) أو تسع وعشرين وثلاث مئة، سنة تناثر النجوم^(٣)؛ لفقد جملة من العلماء فيها، وفيها مات آخر السفراء الأربعة عن الناحية القدسية، وهو أبو الحسن علي بن محمد السمری، ووقعت الغيبة التامة وانقطعت السفارة الظاهرة^(٤) إلى ما يشاء الله، عجل الله فرجه، وأظهر الدين والنصر به. آمين رب العالمين.

(١) في النسختين: يوجد.

(٢) الفهرست: ٢١١، رقم (٦٠٢).

(٣) رجال النجاشي: ٣٧٨، رقم (١٠٢٦).

(٤) في النسختين: الظاهر.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الأول]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ. فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ. فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً [هو] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ، أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ أَمُرُ وَإِيَّاكَ أَنْهَى، وَإِيَّاكَ أَعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ».

[شرح النص: المراد بالعقل]:

أقول: في المحاسن، عن البرقي، عن الحسن بن محبوب مثله ^(١)، وفي مجالس الصدوق مثله أيضاً ^(٢).

وبالجملة: فهذا الحديث قد روته الخاصة في غير أصل ^(٣) وكذا العامة ^(٤).

والكلام فيه يقع في مواضع:

الأول: إنَّ العقل المذكور فيه مراد به أي معنى من المعاني السابقة؟

(١) المحاسن: ١٩٢/١، حديث رقم (٦).

(٢) رواية الصدوق في المجالس عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب.

(٣) يعني: روي هذا الحديث في أكثر من أصل من الأصول الحديثية.

(٤) كنز العمال: ٣٨٣/٣، رقم (٧٠٥٧ و ٧٠٥٨).

فظهر جماعة من الأعلام كملاً خليل في الشرح^(١)، والمحشي مثلاً رفيع^(٢)، والحر العاملي في الوسائل^(٣)، إنَّ المراد به العقل التكليفي، ومثلاً صالح لا يبعد إرادة النَّفس، وتسمى عقلاً؛ لعقلها نفسها عن المعاني، واحتمل أخيراً إرادة الجوهر المفارق^(٤).

وغير خفي على من تأمل فيما أسلفناه من ثبوت الجوهر العقلي المفارق، وهو النور المحمدي، لا مناص عن حمل الحديث عليه، وأنه المراد منه.

أمَّا التكليفي وكذا قوى النفس النظرية كما سبق بيانها، فهي من فاضل طينته النورية، وآثار ذاته القدسية.

وكيف يراد به التكليفي؟ وهو قوة حاصلة للنفس. فكيف يكون أحب مخلوقاته وتمثيل إقبالاً وإدباراً بغير تراخٍ كما أخبر عنه؟ فإن أريد به الكامل فهو الذي في محمد ﷺ ليس إلا، فالمحل القابل لهذا الخطاب والمكمل فيه الذي هو محبوبه وعين العيان، لا بد من كونه أشرف الكل، مباين لهم ذاتاً وصفةً، فهو مفارق، والتكليف الكامل، وكماله خاص به وصفة عقله، ولا يناسب الحديث العقلي، «وهو أوَّلُ خلق من الروحانيين عن يمين العرش»^(٥).

وكذا ما في غوالي اللآلي: «أوَّلُ ما خلق الله العقل»^(٦)، وباقي ما دلَّ

(١) الشافي في شرح أصول الكافي: ١/١٦٥.

(٢) الحاشية على أصول الكافي: ٤٤.

(٣) وسائل الشيعة: ١/٢٧، باب ٣ اشتراط العقل في تعلق التكليف.

(٤) شرح أصول الكافي: ١/٦٦.

(٥) راجع الحديث رقم: ١٤ من أصول الكافي.

(٦) غوالي اللآلي العزيزية: ٩٩/٤.

على إثبات أولية مخلوق إلا جعل العقل فيه ذاتاً مجردة، قائم بنفسه، مستغن عن المادة والمدة، مفتقر لباريه.

ولا تنوهم من قولي: قائم بنفسه، أي: مفتقر لأحد، وكلاً، بل طبعه الافتقار، ولكن أردت التجرد.

أمّا التكليفي فليست له أولية، وكذا إذا أريد به سائر معاينة السابقة، بل لو تأملت: أمكنك إرجاع ما سواه للتكليفي. فافهم.

[ثبوت جوهر مفارق عار عن المدة والمادة]:

قال الشارح محمد صالح، بعد أن ذكر مراتبه بما يرجع للنظري كما عرفته، وأنه قد يطلق على الجوهر المفارق عن المادة في ذاته وفعل، ويقال: إنه أول خلق من الرّوحانيين. قال: (والحق أن وجود ذلك الجوهر أمر ممكن دل عليه ظاهر كثير من الروايات لكن لا على الوجه الذي ذهب إليه طائفة من الفلاسفة مع^(١) أنه موجود للأفلاك وما فيها وما تحتها من الأجسام والعناصر وغيرها، فإن وجوده على هذا الوجه غير ثابت لا عقلاً ولا نقلاً، بل باطل بالنظر إلى الآيات والروايات الدالة على أن موجد ما ذكر ليس إلا الله سبحانه وأن تكثره وتعلقه بالنفس على الوجه المذكور... [إلى أن قال، وهو]: أنه إذا جاز تعلق النفس بالبدن مع المباينة بينهما من التجرد والمادة^(٢) جاز تعلق ذلك الجوهر بالنفس مع المناسبة بينهما في التجرد بطريق أولى^(٣). [والحق أن وجود ذلك الجوهر] أمر ممكن.... [إلى أن قال]: وأن انتساب الثواب والعقاب إليه غير بعيد، إذ كما أن الثواب البدني وعقابه باعتبار متعلقه وروحه الذي هو النفس، كذلك يجوز أن يكون

(١) في المصدر: من.

(٢) في المصدر: والمادية.

(٣) في المصدر: الأولى.

ثواب النفس وعقابها باعتبار متعلقها وروحها الذي هو ذلك الجوهر، إذا عرفت هذا فلا يبعد أن يراد بالعقل في الروايات الدالة على أنه أول ما خلق الله^(١) من الروحانيين، وأنه حالة من أحوال النفس، كما في حديث الجنود وغير ذلك الجوهر^(٢). انتهى ما نقل، ولا يخفى ما فيه من الخلل.

[نقد الشارح لكلام الملا]:

وأما تصريح النقل وكذا العقل بثبوت جوهر مفارق عارٍ عن المدة والمادة فمتواتران معنى وواقع، ولم يبق في حيز الإمكان كما عرفت.

كيف وهذا الوجود والنظام أكمل النظامات وأجودها، فلا بد من إيجاد الجواد المطلق له.

كيف وفي النص «أحببت أن أعرف»^(٣)، وبديهة كونها صفته أن جعلت أعلى من العلم، أو فاضل نوريته أن جعلت مرادفة له، وهي بعينها موجودة مشرقة الأنوار في الصدور وقلوب الأخيار، فلا بد من وقوعه.

وتأمل فيما قدمناه لك، وما نسبته للحكماء، فقد عرفت في المقدمة أنهم لم يجعلوه، بل نسبة الفعل له نسبته للشرط والسبب.

وكقول المسلم: أَثَبَّتَ الرَّبُّعُ الْبَقْلَ، وكما قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى كما أوحى لنبيه في تفسير: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾^(٥)، بعث

(١) في المصدر: أول خلق.

(٢) شرح أصول الكافي: ٦١/١ - ٦٨.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٥٧، فصل: ٢٣، ورسائل الكركي: ١٥٩/٣.

(٤) سورة المؤمن، الآية: ١٤.

(٥) سورة الحج، الآية: ٥.

ملكين خلّاقين بعد الأربعة الأشهر، يخلقان في الأرحام ما يشاء، فيقولان: يا ربُّ، ما نخلقُ، ذكراً أم أنثى؟ الحديث. وهو في الأصول^(١) متكرر.

وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ بِتَوْفِيقِ الْمَلِكِ الْمَوْتِ﴾^(٣)، إلّا أن ينفي الأسباب أصلاً، ويلتزم قول الأشاعرة وتوهمهم إثبات الشريك لله تعالى من إثبات السبب، ونسبة الفعل له في الجملة كما قالوه في مقام الرد على المعتزلة أهل التفويض، وحاشاه، وليته نقل عبارة لهم تدل على ذلك، ولكنه توهم مما يوجد من النسبة للعقل أنها واجبة. وكيف يتوهم مع إجماع الحكماء على إن العقل معلول لله تعالى، وصرحوا بأنه لا موجد إلّا الله، كما يظهر لمن راجع كلامهم في مسألة الأفعال، وهذه، وبيان كيفية صدور الكثرة وترتيبهما. فإن أراد أن الآيات والروايات مصرّحة بعدم نسبة الفعل الواسطة أصلاً أو بعدم كون المعلول الأوّل واسطة للكل فكلاً، بل هي متواترة في العكس فيهما كما أشرنا لجملة منها.

كيف والأشياء مرتبطة، والله يقول: ﴿وَأَلَيْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(٤)، و: «أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بأسبابها»^(٥) كما روي عن الصادق عليه السلام.

وأيضاً سببية الشيء وكونه واسطة للكل. ومعنى خلقه أولاً وتقدمه على الكل واحد بلا فرق معنى لا أقل من تلازمهما، ولكن لا ينافي تصريحاً

(١) الكافي: ٣٦١/١١، باب ٦ بدء خلق الإنسان وتقبله في بطن أمه من كتاب العقيقة، حديث رقم (٦/١٠٤٥٩).

(٢) سورة الرمز، الآية: ٤٢.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٥) بصائر الدرجات ص ٢٦: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب).

متواتراً على أن موجد الكل هو الله تعالى، فلا خلاف في ذلك لعاقل إلا من الثنوية^(١) وما شابههم، وليسوا بالحكماء ولا بالمعنيين.

ثم وجعله هذا متعلقاً بالنفس تعلقها بالبدن فيكون متعدداً في كل فرد كما يفهم من ظاهر عباراته، فإن المعنى واحد.

[المخاطب بالثواب والعقاب]:

وكذا المخاطب أولاً وبالذات بالثواب والعقاب، وليس الكل مما عني به هذا الخطاب، كما يفهم من بعض أحاديث هذا الباب، ثم وكيف يمكن ولا يستبعد حمل جميع ما ورد من أحاديث العقل عليه.

وفي بعض منها أنه قوة للنفس، فهذا لا يراد به الجوهر المفارق، مع أنه أثبت في باقي كلامه، ببيان معانيه، وإن اشترك الكل في أنه ليس بجسم ولا جسماني، إلا أن يقول: ليس له إلا معنى واحد هو قوة النفس، مختلف الأسماء اعتباراً. وظاهر عبارته بخلافه.

ثم وكيف يقول: بأن جميع معانيه ليست بجسم ولا جسماني. ومعانيه قوى النفس - كما عرفت - بل النفس باعتبار كونها ذات القوة، وهي جسمانية الحدوث إليه.

وبالجملة فكلامه تعالى غير منتظم على نظام، وساقط عن الاستقامة^(٢)، وذلك ظاهر للفتن المتدبر.

(١) الثنوية: فرقة تقول بالهين اثنين: إله الخير، وإله الشر، قالوا: نجد في العالم خيراً وشرّاً، والواحد لا يكون خيراً وشرّاً بالضرورة، فكل من الخير والشر فاعل إذن على حدة، وفاعل الخير هو النور، وفاعل الشر هو الظلمة. (راجع: المعجم الفلسفي - صليبا: ٣٨٠/١).

(٢) في النسختين: الاستقام.

[في معنى استنطاق العقل]:

الثاني: الاستنطاق هو: طلب النطق والكلام، أي جعله ذا نطق وقوة، وذلك لإظهار ما جنّ فيه من الكمال إلى الفعل بحسب التنزلات، حتّى أنه قال له بعد: أقبل. إلخ.

ولمحمد صادق هفوات في شرح هذا الحديث، أعرضنا عن نقله استعجالاً، وليس الكلام خاصاً بالحرفي، بل يعمّ الوجودي أيضاً، فمطلق الموجودات كلمات، وقد سميت نصّاً، واتفقت عليه كلمة المتألهين، كما ستعرفه في الصفات في التوحيد. ويحتمل - وهو أظهر - أن يكون معنى استنطاقه جعله ذا نطق وقوة بذاته، حسب ما ألقى فيه من الدلالة، حيث إنّه محل مشيئته والمظهر الكلي لصفاته وأفعاله، فكان نطقاً، وهو إشارة إلى مرتبته في نفسه واستكمال بهذاته بجهة باريه.

ثمّ بعد قال له: أقبل وأدبر، قول إيجاد تكويني - كما ستعرفه - ويدلّ على هذا قوله ﷺ. ثمّ قال: إذ لو كان استنطاقه قوله: أقبل. إلخ، لما كان في الفصل ب (ثمّ) فائدة، ولكان الأولى استنطقه، فقال أو بأن قال أو ما مثله، فهذا الاستنطاق إشارة إلى مرتبته الذاتية والتجلي الإلهي، وإظهاره بما ألقى في هويته الذي يلزم منه أن يكون له جمال وهكذا، وإلا لم يكن نور شعشعاني، وهو الإقبال والإدبار. وفي كلام عليّ عليه السلام: «تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتألأت» إلخ^(١)، وقد مر.

فقول الشارح محمد صالح، هنا: (استنطقه) ناظقه واستنطقه، أي كلمه^(٢)، وفي استنطاقه إخراج له عن الوحشة وتأنيس له بالقربة وتكريم له بالعزة، كما يقع [مثل] ذلك كثيراً بين المحبّ والمحجوب، ومن هذا القبيل،

(١) مناقب آل أبي طالب: ٦٠/٢.

(٢) مجمع البحرين: ٣٣٠/٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَتُوسَى﴾^(١) [مع] علمه [تعالى] بحقائق^(٢) الأمور^(٣) انتهى.

لا يخفى ما فيه، إذ هو كلام ظاهري، وستسمع في كتاب الإيمان والكفر، «كيف أجابوا وهم ذر؟» قال ﷺ: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه^(٤).

وقال ملا خليل القزويني في شرح الأصول: أي جعله دالاً لصاحبه إلى أن يفعل في أوقات أموراً فيها الرشد، سواء كانت متعلقة بالمعاش أم بالمعاد، فكأنه ذا نطق.

وهذا الكلام مبني على أن المراد بالعقل: قوة النفس على مراتبها أو يراد به العقل المعاشي. وعرفت الوجه الذي حملهم على هذه التحملات مع رده. فلذا ارتكب المجاز بناء على أن النطق هو المحسوس والمعروف، فإطلاقه على الدلالة مجاز، وستسمع من أحاديث الباب أن هذا الجنس ليس ممن عنى، بل عقل خاص.

[شرح الإقبال والإدبار]:

الثالث: الإقبال والإدبار يقتضي الحركة من جهة لجهة وبالعكس، كالنزول والإنزال، إلا أن اعتبار ذلك هنا غير جائز عقلاً ونقلاً، وإلا كان الواجب في جهة ولم يكن العقل مجرداً.

فليس كل معنى لغوي يصح في الجنب القدسي، الذي هو منزّه عن

(١) سورة طه، الآية: ١٧.

(٢) في المصدر: بخفيات.

(٣) شرح أصول الكافي: ٦٨/١.

(٤) الكافي: ٣٣/٣، باب ٥ كيف أجابوا وهم ذر، من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٤٦٥).

المحسوس والمعقول، بل المراد بالنزول، وهو الإقبال والعروج، وهو الإدبار الحركة العقلية، وهو التوجه السفلي، وظهور المعقول محسوس، لما فيه من الفضل النوري لفاضل طينته النورية فاضل. وهكذا، إلى آخر المراتب السفلية، من غير أن تعدم مرتبة عالية من مراتبه الظهورية الإيجابية.

[من المراتب العالية إلى السفلية]:

كيف والمرتبة السافلة من فاضلة العالية وعكسها، فتوجهه وظهوره في المراتب السفلية بحكم الشرطية ولترقيه، وما سواه من فاضله، وهو الحركة المعنوية بغير اقتضاء تنقل، وخلق وتفكر في توجه نفسك الكلية حتى يظهر أثرها في المعضلات الدورية، ثم تمثل ما أراد إيجاده خارجاً، فأولاً: العاقلة، ثم المفكرة، ثم الذاكرة، ثم الوهم، ثم الخيال، ثم الحس، ثم قوة النطق، ثم النطق، ثم الأسماع، وعكسه في العكس، وهو الترقى الصعودي، والإقبال الإدباري من غير أن يخل مرتبة من المراتب سافلها، إذ هو فاضلة. فلو لم يحصل له التوجه ويكون فيه تلك القوة، فهو عنصر العناصر لم يكن مدركاً ولم تظهر سائر المراتب الوجودية، ولو لم يصف عن لوازمها ولم يفارق مكانته العقلية لم يكن أولاً خارجاً عن الزمان والزمانيات ولم يكن فيه هذا الفضل النوري، والروايات الناصّة المحكمة الموافقة للقرآن كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ﴾ الآية^(١)، وغيرها.

وكذا الاعتبار الخالي عن الأغيار الحاكم بأن محمداً ﷺ أول المخلوقات، وإنه من نور عظمته، ثم جعل ذلك النور نصفين: محمد ﷺ وعلي ﷺ^(٢)، ثم الأئمة ﷺ، وإن ما سواهم من فاضل طينتهم كما ستسمع «شيعتنا خلقوا من فاضل شعاعنا وإن أرواحهم من فاضل طينة

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٤، من الخطبة النورانية.

أجسادهم وإن سائر الموجودات من فاضل الأناسي»، ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ﴾، ﴿وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ﴾^(١)، وإن الجهل خلق من يسار العقل إلى غير ذلك كثيرة، فيكون الكل من فاضل طينتهم، فإن اختلفوا بغير وسط أو بوسط قريب أو بعيد، لكن مع كثرة الوسائط، لا نقول: الكافر من فاضل طينتهم؛ لكونه آخر المراتب، فهو فاضل طينة، مثل النبات والجماد الذي هو فاضل طينة سائر المؤمنين؛ لاقتضاء تلك العبارة كمال القرب، كما لا يحسن أن تقول لجدول: إنما يصل له الماء من البحر بعد مئة موضع مثلاً أو أكثر، إنه يستجر ويستمد من البحر. وحينئذ يظهر لك السر في معنى عروج الملائكة ونزولهم مع تنزهه عن الجهة، وإنما هو اتصال وتوجه غيبي لبعض مراتب الوجود الغيبية، ثمَّ ظهور في صورة خيالية. واعتبر بنفسك ومصوراتها:

[وتحسب أنك جرّم صغير] وفيك انطوى العالم الأكبر وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر^(٢)

فتبين أن الكل من أشعة نوره، فإنه النور الأعظم الذي به أشرقت السماوات، ومنه وجدت الملائكة وسائر الموجودات، حتى المواد العنصرية من فاضل المواد النورية كالثلج من الماء.

[في معنى كلمات المعرفة بالنورانية]:

ومعنى ما مرّ في الحديث المشار له: «فقسمهما نصفين»، ظهور الاثنينية، وأنه لا كثرة بينهما، باعتبار الوحدة الجنسية والنوعية فطينتهم واحدة، وإن كانت الكثرة الشخصية متحققة لا ترتفع أصلاً، وكذا الرتب؛ لبطلان الاتحاد عقلاً ونقلاً، بل يعود كل عود مجاورة لا ممازجة، ولا تفنى الوحدة الشخصية؛ لاقتضاء الزمانيات والمواد الحسية ذلك.

(١) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٢) في النسختين: فيك انطوى العالم الأكبر، وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر. وهو من الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٦٩ قافية الراء.

تمة :

قد استبان لك أن محمداً ﷺ سبق الأشياء خلقاً، فسبقه سبق حقيقي، وهو سبق عالم المشيئة؛ لأنه محلها كما ورد عنهم ﷺ: «نحن محال مشيئته، وإذا شئنا شاء الله»^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٢)، «لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك» إلخ^(٣)، كما في دعاء رجب.

وله السبق بالزمان والطبع والرتبة أيضاً على سائر الأشياء، ولكن باعتبار ظهوره بما ظهر، فإنه الواسطة ومحل النبوة الكلية والولاية المطلقة المقتضي لأن يظهر فاضلها وأثر فعله تعالى.

وهو محل فعله في كل شيء بحسبه، فهو علة فاعلية على [ما] بينا بقولنا فاعلية، كما في التوقيع [الصادر من الناحية المقدسة في] [الاحتجاج]: «نحن صنائع الله والخلق بعد صنائعنا»^(٤)، وقال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ الآية^(٥).

وكما قال تعالى، لعقله: «أَقْبِلْ. فَأَقْبَلْ» فظهرت سائر مراتب الوجود بإقباله، ومراتب الشعور والإشعار بإدباره، وعاد الكل إلى بدئه.

[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة صورية]:

وهو أيضاً علة صورية؛ لأنه الواسطة للكل، ذاتاً وصفةً، والكل من

(١) ورد في حديث المعرفة الوارد عن جابر: (... وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عبادته، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلنا الله عز وجل هذا المحل واصطفانا من بين عبادته، وجعلنا حجته في بلاده). بحار الأنوار: ١٤/٢٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٣) مصباح المتعبد: ٨٠٣.

(٤) الاحتجاج: ٥٣٦/٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

فاضله كما عرفت، وقال عليّ عليه السلام لكميل: «نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره»^(١)، فالنور هو عليه السلام، و«صبح الأزل» هو عالم المشيئة، وهو الوجود المطلق، وهو هو، إذ لا أقرب منه، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٢)، ولحديث قرب النوافل^(٣)، و«هياكل التوحيد»، الصور القائمة به، كما تقوم صور نفسك بها، بل هي مجمع الصور وإن اختلف القيام، حتى يكون للعقل الهولاني، فالمشيئة وهو الوجود المطلق عام به قام كل شيء، والآثار مظاهر الوجود المطلق وتجلياته، | فهيأتها تحكي كينوناته، فالصور صفاته وصفاته بالذات أو بالعرض قرباً أو بعداً.

فتلوح تجليات الوجود، أي تبرز على هيئات تلك الهياكل، فجميع الصور صور شؤونه وتطوراته.

وعنهم عليهم السلام كما في المشارق^(٤)، وخطبة الافتخار^(٥)، وكلامهم عليهم السلام لسلمان وغيره: «وإنا نتقلب في الصور كيف ما شاء الله»^(٦)، [و]: «من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ومن رآني [في المنام] فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي، [ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة]»^(٧)، على أحد الوجوه التي تنصرف إليه كلماتهم، ولهم في الكل مخرج^(٨).

(١) روضة المتقين: ٨١/٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) المحاسن: ٢٩١/١، التوحيد: ٤٠٠، علل الشرائع: ١٢/١، عوالي اللآلي: ١٠٣/٤.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٦، فصل (٣٠٣) من الخطبة المعروفة بالنورانية: «أنا أنقلب في الصور كيف شاء الله».

(٥) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٩، فصل (١٤٨).

(٦) حلية الأبرار: ١٧/٢، باختلاف بسيط.

(٧) بحار الأنوار: ٢٤١/٥٨.

(٨) في نسخة (ب): ولهم في كل المخرج.

وفي خطبة العجما وغيرها: «أنا النافخ في الصور وفي جيب مريم»، ومثله كثير، وستسمع بعضه في كتاب التوحيد.

ويشير إليه ما قالوه ﷺ، كما روي في غير كتاب: «فسبّحنا فسبّحت الملائكة [بتسبيحنا]»^(١).

وإن الأرواح والنفوس التي بها تكمل الصور وتكون المادة كاملة بالفعل بحسب مرتبتها بعد أن كانت بالقوة من فاضل طينة أجسادهم، فتأمل.

[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة مادية]:

وأما كونه علة مادية فظاهر أيضاً؛ لتصريح الروايات بخلق الموجودات من فاضل طينتهم على مراتبها في القرب والبعد، فجميع مواد الأشياء مركبة من تلك الأشعة وفاضلها، فالجسم مركب من المادة والصورة كما عليه جماعة المشائين. وليس هذا موضع البيان.

فالأشياء: مادة وصورة.

أما المادة فعرفت، وأما الصورة سواء كانت جنسية أو نوعية أو شخصية فهي وجود تلك الأشعة على قدر قربها وبعدها وغلبة مقام الحسي أو غيره على غيره، فإننا نختار كما هو الحق الواضح للتحقيق.

إن الصورة هي الوجود ليس إلا، إلى أن ينزل الأمر إلى الصورة والمادة الجسمائين فإنهما من فاضل النورين أيضاً كالثلج من الماء. فافهم.

[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة غائية]:

وهو أيضاً علة غائية كما أفصح عنه [في الحديث القدسي]: «خلقتك

(١) عوالي اللآلي: ١٢٢/٤، رقم (٢٠١). حلية الأبرار: ١٤/١. مدينة المعاجز: ٣٧٢/٢. بحار الأنوار: ٨٨/٢٤.

لأجلي وخلق الأشياء لأجلك»^(١)، «لولانا ما كانت سماء مبنية ولا أرض مدحية»^(٢)، ومثله كثير، وكذا ما ورد في التوقيع السابق، فإن مثل هذه الروايات يصلح الاستدلال بها للعلة الفاعلية والغائية، فإنهما متلازمان، بل مثلان، واستجماعه لخواص الوجود، وظهور خواصه فيه من أظهر الدلالة على أنه غاية وفاعل. فتدبر.

فإذا كان المخلوق الأول بهذه الرتبة، صحَّ أن يقال له: «أقبل» - أمر إيجاد تكويني تنزلي - فظهرت سائر المراتب الوجودية، كما سمعت تعددها إجمالاً في بيان صدور الكثرة، وستسمعها أيضاً في كتاب التوحيد وغيره. حتى نزل إلى المراتب الفلكية، ثمَّ العنصرية، ثمَّ النباتية والمعدنية والحيوانية والإنسانية، وهي جميع مراتب الوجود باعتبار قابليتها، وكل ذلك سرَّ الحركة الجوهرية بأمر الله. والعقل جوهر متحرك.

[في معنى الإدبار]:

ثمَّ قيل له: أدبر عن العالم العنصري وظهور عالم الكثرة في الجنب القدسي وعالم الوحدة، فأدبر مترقياً في مراتب النفوس الرجوعي، بحسب استكمال كل صورة بما يناسبه من القوس، ثمَّ الإنسان بحسب مراتبه العقلية من الهولاني إلى العقل المستفاد، والعقل إلى مرتبة الجامع. وهي نفس مقامه الأول الذي نزل منه نزول غيبي توجهي من غير اقتضاء نقله أو خلو مكان.

(١) في الحديث القدسي أن الله يقول: (عبدى خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي). مشارق أنوار اليقين: ٣٣٣.

(٢) يروي شاذان بن جبريل في (الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ١١١)، وفي (الفضائل: ١٢٨)، وكذلك ذكر السيد هاشم البحراني في (حلية الأبرار: ٥٩/٢)، وفي (مدينة المعاجز: ٥٥/١)، وروى العلامة المجلسي في (بحار الأنوار: ٢٣/٣٥) في حديث إلى أن يقول: (يا آدم، لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا).

ولكون الإقبال والإدبار ليسا بحسين، ولا بنقله ولا بأعراض الجانب القدسي، بل هو عبارة عن القوس النزولي الظهوري، الإيجادي التكويني، والقوس العروجي الشعوري، وكلّ ذلك عن امتثال وطاعة في جميع ذلك التنزلات والصعودات قديم في حديث الإقبال على الإدبار، كما في هذا الحديث، وعكس في حديث آخر كما ستسمعه.

إذا قبالة إدباره إقبال، فهما شيء واحد، بل هما شيء واحد، فلك أن تعبر بكل عن الآخر - وتقدم - وكشف الحال حسب الإمكان في طي سجل الكتاب، والعمدة على فطانة أولي الأبواب. إن قوس الإدبار هو مهبط الأنوار، وأرض الاستعدادات، ومحل الارتسامات، وهي من العقل إلى رتبة الإنسان، فالحيوان والنبات والمعدن من قوس الإدبار، والإقبال على حسب التعبير، فإنها من أرض الاستعدادات، ومهبط الأنوار، ومحل ارتسام.

أيضاً: وما لهذه من الجهات الغيبية باعتبار الجبروت، ومظهر الأسماء، ورتبة الألوهية. وظاهر الوجود قوس الرجوع والصعود المعبر عنه بالإقبال تارة والإدبار أخرى، فإنّ الرجوع ثابت لكل رتبة من رتب الوجود التنزلية، فلكية كانت أو عنصرية أو غيرهما، فصح أنهما شيء واحد، مختلف بحسب استعداده، وقبوله ظاهراً أو إعداده وإكماله غيباً، فهما القوسان، فليس قوسان متباينين، بل كل مرتبة دائرة تدور على نفسها، وإن كان نسبتها إلى ما فوقها نسبة الشخص من النوع^(١) أو النوع من الجنس.

وحينئذ يظهر لك ما في عبارة ملا محسن من الخلل، وهي لا تخرج عن كلام أستاذه، وقد تلقى بالقبول، إلّا أن يقال: إن مراده بيان مطلق الإقبال والإدبار في الجملة. وفيه أيضاً ما لا يخفى.

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (أ).

[نص كلام المَلّا محسن]:

قال في الشرح لهذا الحديث: («أقبل»، أي إلى الدنيا واهبط إلى الأرض رحمة للعالمين... [إلى أن قال]: «فأقبل» تنزل إلى هذا العالم، فأفاض النفوس الفلكية بإذن ربه، ثم الطبائع، ثم الصور، ثم المواد، فظهر في حقيقة كُلِّ منها وفعل فعلها فصار كثرة وأعداداً وتكثر أشخاصاً وأفراداً. ثم قال له: «أدبر»، أرجع إلى ربك «فأدبر»، فأجاب داعي ربه، وتوجه إلى جناب قدسه.

بأن صار جسماً مصوراً من ماء عذب وأرض طيبة، ثم نبت نباتاً حسناً، ثم صار حيواناً ذا عقل هيولاني، ثم صار عقلاً بالملكة، ثم عقلاً مستفاداً، ثم عقلاً بالفعل، ثم فارق الدنيا ولحق بالرفيق الأعلى. كذلك فعل كُلٌّ من تبعه وشيَّعه من الأرواح المنشعبة من نوره أو المنبجسة من شعاعه، ويلحق به الجميع، ويحشر معه في رجوعه إلى العالم الأعلى، ورجوعه إلى الله.

فإقباله عبارة عن: توجهه إلى هذا العالم الجسماني، وإلقائه عليه من شعاع نوره، وإظهاره الأعيان فيه، وإفاضة الشعور والإدراك والعلم والتطرق على كُلِّ منها بقدر استعداده له، وقبوله منه من غير أن يفارق معدنه، ويخلي مرتبته ومقامه في القرب، بل يرشح بفضل جوده الفائض من الله تعالى على وجود ما دونه.

وإدباره عبارة عن: رجوعه إلى جناب الحق وعروجه إلى عالم القدس باستكمال بذاته بالعبودية الذاتية شيئاً فشيئاً من أرض المادة إلى سماء العقل حتّى يصل إلى الله ويصل^(١) إلى مقام الأمن والراحة، ويبعث إلى مقامه المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فإقباله في جميع المراتب إيجابي تكويني، لا يحتمل العصيان، وأمرّي دفعي لا يدخل تحت الزمان.

(١) في المصدر: ويستقر.

ولا يتطرق إلى السابق عند وجود اللاحق بطلان ولا نقصان، وإدباره في الأواخر تكليفي تشريعي، وكلّه خلقيّ تدريجيّ مقيد بالزمان، يبطل السابق عند حدوث اللاحق شخصاً وجسماً لا حقيقةً وروحاً، وكلّ مرتبة منهما عين نظيره من الآخر حقيقةً وغيره شخصاً.

ومثل نور العقل في عالم الغيب مثل نور الشمس في عالم الشهادة، فكما أنّ عين البصر تدرك بنور الشمس المحسوسات في هذا العالم ولولاه لما أبصرت شيئاً، فكذلك عين البصيرة تدرك بنور العقل المعقولات في ذلك العالم، ولولاه لما أبصرت شيئاً، وكما أنّ من عمي بصره لا يدرك^(١) بنور الشمس شيئاً، فكُلّ من عميت بصيرته لا يدرك^(٢) بنور العقل شيئاً^(٣) انتهى ما نقلناه.

[تعليق الشارح على قول الملا محسن]:

فإنه جعل آخر النزول الأرض، وجعل مرتبة المعين والنبات ومراتب العقل في الإنسان من الرجوعي، وليس كذلك، بل الكل مرتبة إقبال وإدبار، ولكلّ مرتبة إقبال وإدبار بحسب دائرتها، بحسب جهتها الغيبية الشعورية الإلهية الذي عدّه في النزول، وبحسب ذاته وقابلياته، وهو النزول، فرجوعه استكمال مراتب النزول التي فيها، وكانت من الله بواسطته لا استكمال هو خاصة، ورجوعه مع من شايعه من الأرواح، فالكل في شوقه وفي التوجه له وإن اختلف ذلك، ففي بعض اقتضى الحركة دائماً وآخر السكون، وللأرض من كأس الكرام نصيب.

وقوله: بأن الإقبال لا يدخل تحت حيلة الزمان، ولا يبطل السابق عند

(١) في المصدر: لا يبصر.

(٢) في المصدر: لا يبصر.

(٣) الوافي: ٥٣/١.

عروض اللاحق. ليس مطلق، بل آخر قوس الإقبال يدخل تحت حيطة الزمان، إذ منه العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، والملك والجنّ، ولا خفاء في عروض الفساد للسابق عند لحوق اللاحق، ولكن ذلك متحقق في كل مرتبة بحسب مراتبها الوجودية في نفسها وبحسب ذاتها حتى تكون بالفعل.

نعم، لك أن تسمي إداره تكليفاً، لكن هو قسمان، فالتكليف اللازم للوجود الأولي المقتضي للقاهرية، فإن الله قاهر كل شيء، [قال تعالى]: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١)، [وقال]: ﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٢)، [وقوله]: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^(٣)، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية^(٤). هذا لا يحتمل العصيان ولكن يوجب الثواب للكل، وبه يستحق الكل مطلق الوجود، وهو حاصل للمؤمن والكافر، وليس كله داخلاً تحت حيطة الزمان، إذ سگان الملكوت والجبروت لها قوس إدار، وليست من سگان هذه الدار دار التحدد والأغيار والمحن والأكدار، ولكن قوس إدارها وإقبالها مختلف باعتبار ملاحظته بذاته أو كونه مظهراً وصفه الغير - ولذا قلنا كما سمعت هنا واحد - فهو باعتبار المبدأ إقبال هو إدار، وما مثل به ليس مطابقاً فيه المثال الممثل كما المطابقة كما سيتضح لك من مثالنا.

نعم، ظهور قوس الرجوعي، والحركة الثانية الانعطافية، وهي التكليف الشعوري الثانوي، مختلف بحسب اختلاف المراتب في القرب وسعة القوس. فأين ظهور ذلك في السماء والأرض، أو العقل الذي هو عقل محمد ﷺ، والجهل المركب، فعرج لما أشرنا لك قبل ورددت.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٥.

[بيان تمثيلي بالسراج والأشعة]:

وأزيدك ببيان تمثيلي: حيث إنك عرفت أنه العلل الأربع، ولذا كان به الإقبال والإدبار، وخوطب بعد بما خلقت. إلخ، وستعرفه.

وأمثل لك بالسراج والأشعة أو الشمس، كلاهما واحد، حيث إنهم ﷺ أنوار الله، وخلقوا من نوره، فكثيراً ما يمثلون به، كما مثل بالسراج الرضا ﷺ لعمران كما في (العيون)^(١) و(التوحيد)^(٢).

وعنهم ﷺ: تنفصل عنه كما ينفصل الشعاع عن الشمس، فالسراج وأشعته كلما قرب منه كان أضوأ وأشد، وكلما بعد فهو أضعف، وليست الأشعة إلا من فاضله، وله ظهور فيها وظهورها به والكل من فاضله، والشعاع منير بالسراج، وما من السراج شعاع، ولا يتولى السراج شعاع الأبعد الأقرب وإلا لم يكن أبعد وأقرب، فاختلف بُعداً وقرباً منه.

ونسبة السراج لكل نسبة واحدة ظهورية فعلية لا ذاتية، فلو تولى الأبعد بدون الأقرب كانا في مرتبة، فلم يظهر للسراج بها، ويلزم أن لا توجد أصلاً، إذ ليس ظهوره بانفصال جزء منه، بل يتجلى منه تعالى وظهور.

فإذا كان يتجلى ظهور جماله فلا بد وأن يكون لجماله جمال وظهور، وإلا لم تكن صفة ظهور وجمال، إذ هي لها فضل نوري، لا جائز المساواة بين الجمال وجماله، وإلا لم يكن جماله.

ثم نقول في جمال الجمال كذلك، فلا بد من الفاضل، وهكذا.

فلو كان في مرتبة لم يكن للجمال جمال.

ثم نقول في الجمال الأول، وهو الموجود الأول، لا جمال له زائد،

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١٥٠/٢.

(٢) التوحيد: ٤٣٠.

فليس هو بظهور جمال، وإلا لكان له لما عرفت، فيلزم نفيها كلها، وظهرت الملازمة.

ولا يصدر عن الصفة صفة بدون توسط موصوفها وإلا لم تكن صفة، بل ذاتاً. ثم هذه الأشعة لها نسبة للسراج عليه تدور، وبه ارتبطت بما هو أعلى منها، وما هي فاضله، ولها جهة في نفسها، بحسب كونها شعاعاً في نفسها، متكثرة المراتب والدرج، وهذا قوس النزولي، لا قرب الأشعة للسراج أو بدخوله للسراج نفسه.

والجهة الأولى التي بها الشعور والظهور العقلي، ورجوع كلّ عود إلى بدئه هو القوس العروجي والإقبال من غير أن تعدم رتبة عالية بظهور الساقطة، بل هي لازمة لها في مقامها عندها. فتأمل.

ومنه يظهر أيضاً مسألة الصدر، فقد أراك الله آياته في نفسك والآفاق.

إزاحة وإمالة:

[في بيان الإقبال والإدبار عند محمد صالح]:

قال الشارح محمد صالح في بيان الإقبال والإدبار: (كأن المراد إقباله إلى ما يصلح أن يؤمر من الطاعة وإدباره عما ينهى عنه من المعصية أو إقباله إلى المقامات العالية والدرجات الرفيعة التي يمكنه الوصول إليها، وإدباره عن تلك المقامات ونزوله في منازل الطبيعة الجسمانية، وهبوطه إلى مواطن الظلمة البشرية، ولعلّ الغرض من الأمر بالإقبال إراءة مقاماته، وإظهار درجاته؛ ليستيقظ في العالم السفلي من نوم الجهالة وسنة البطالة، ويتذكر بأن له سوى هذه النشأة الدنيوية^(١) نشأة أخرى أحسن وأفضل منها، بل لا نسبة بينهما، أو إقباله إلى الدنيا وإدباره عنها عدم ركونه إليها.

(١) في المصدر: الدنية.

وقيل: المراد بالأمر بالإقبال والإدبار هو الأمر التكويني الإيجادي لا التكليفي، والإقبال والإدبار التزايد والتناقص في كل مرتبة من مراتب القوة العاملة بالقياس إلى العلوم والأخلاق كماً وكيفاً، بحسب كل من الاستعداد الأولي الجبلي في الفطرة الأولى والاستعداد الثاني المكتسب في الفطرة الثانية، فإن بالإعمال والتعطيل في الفطرة الثانية يربو ويطفو ما في الفطرة الأولى.

والذي من لوازم الذات هو القدر المشترك السیال بين حدي الربو والطفافة، وهو متحفظ غير متبدل ما دامت الذات في مراتب التزايد والتناقص.

وفيه: أن تكوينه على قبول الزيادة والنقصان، إنما هو في مرتبة تكوين ذاته لا بعده كما تشعر به لفظه «ثُمَّ»^(١) انتهى.

[تعليق الشارح على قول الملا محمد]:

وغير خفي: أن الاحتمالين الأولين مؤداهما واحد، فالطاعة التي يصلح بها الوصول إلى المقامات العالية، ولكن الفرق باعتبار الغاية، وهي المقام العالي أو السبب الموصّل لها، وهو الطاعة، والفرق هين، فهما متلازمان. ثُمَّ وإدباره عمّا ينهى عنه هو إقباله على ما يصلحه، ولكن فرق باعتبار المنهي عنه والمأمور به.

وأما تفسير الإدبار بإدباره عن تلك المقامات، والظاهر أنه أراد المقامات العالية، وهي المذكورة قبل، ونزوله في منازل الطبيعة والظلمة البشرية فغير تام؛ لاقتضاء أمر الله تعالى له بالمعصية، مع أن هذا العقل هو الجوهر الملكوتي، ثُمَّ ينزل لهذه المقامات الظلمانية لتكثر الوسائط، وإن

(١) شرح أصول الكافي: ٦٨/١.

كان بالضد منه فهي فاضل الطين التي من فاضله، وإلا وقعت منه المعصية، وحاشاه.

ويكون إدباره كإدبار الجهل، كما ستعرفهما.

ومع ذلك كله فعليهما لا يكون نزوله نزول إيجاد، وتسبب لباقي المراتب، ولا يكون ما سواه من فاضل طينته وأشعة نوره، وهو السبب في خلقهم، المقتضي للارتباط الذاتي بينهم وبينه، وظهور كمال منه فيهم بصيغة الوجود بما أقامه الله تعالى وجعله كذلك.

والروايات والاعتبارات بخلاف ذلك، ومع ذلك فيكون عبارة عن ترقية بصفات العرضية أو تنزله، ولا خصوصية له بذلك، مع إنه كلام ظاهري.

[قول ملا ربيع في حاشيته عن الإقبال والإدبار]:

ووجه الثاني: لا يخرج عما ذكره ملا ربيع في الحاشية، حيث قال: (إقبال العقل عبارة عن توجهه إلى المبدأ، وإدباره عبارة عن توجهه إلى المقارنات.

ويصح إطلاقها في أول خلق من الروحانيين، وفي القوة النفسانية الداعية إلى اختيار الخير والنافع، وفي قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما)^(١) انتهى.

[نقد الشارح على ما تقدم]:

ولكن إرادة الجوهر الملكوتي المستقل منه مع تفسيرهما فيه بذلك غير خفي ما فيه.

(١) حاشية على أصول الكافي: ٤٤.

وأما قوله^(١): (ولعلّ الغرض من الأمر بالإقبال) إلخ.

غير خفي بطلانه، إذ لا انغماس فيما ذكر، بل الغرض ما أبتاه لك قبل.
أما احتمال الثالث: فلا يخرج عن الأول، وليس في تكثير العبارة
لفظية فائدة، إن أريد بالإقبال إلى الدنيا الإقبال عليها للدين، وإن أريد به
طلق الإقبال وإن كان ضعيفاً، حيث فسر الإدبار بعدم الركون إليها، فلا
معنى له محصل أصلاً. فافهم.

أما اعتراضه على الوجه الأخير بأن (تكوينه على قبول الزيادة والنقيصة،
إنما هو في مرتبة تكوين ذاته لا بعده كما يشعر به لفظه «ثم»). الدالة على
إنهما بعد ذاته، فلا يكونان مع الذات، فلا يخفى دفعه، فإنه جعله بعد
الفطرة الثانية، وهي بعد الأولى الجبلية، فيصح حينئذ «ثم» وإن آل إلى
الذات كمحتملاته بلا فرق، لكن لفطرة التزائد والتناقض يقرب أن يكون
حينئذ مادياً ذا قوة وإمكان استعدادي، وهو ليس كذلك، مع أن طريق
تحصيل العلوم لكل ليس حاصلًا بهذا التكسب التدريجي، بل منه ما ليس
كذلك كالمعصومين من أول الفطرة.

[معنى الإقبال والإدبار عند ملا خليل]:

ومما يتعجب منه ذو اللب ما فسرهما به ملا خليل القزويني في الشرح،
حيث قال: (هذا كما في نظيره في العقل استعارة تمثيلية، والمقصود أنه
جعله بحيث يتأتى بسببه لصاحبه الإقبال على الله بالعبادة وبالذكر في أوقات
الإدبار، أي: ترك الإقبال بترك العبادة حين الملل والنوم ونحو ذلك،
وبالغفلة، فإنه يستحيل أن يكون العاقل دائماً في العبادة، ولا تعقل أصلاً).
انتهى بعبارة من شرحه العربي، فإن له آخر فارسياً، وليس بمتطابقين، بل
مختلفين بساطة وإن لم يختلفوا مجرى.

(١) قول الملا محمد صالح.

[تعليق الشارح على كلام ملا خليل]:

ولا يخفى أن من الخلق العالين^(١) من [لا] يفتر عن العبادة، ولا يسهر ولا يسأم، وروح القدس لا تنام، كما ستسمعه في الحجة والمعصوم، تنام عينه ولا ينام قلبه، فالإحساس والشعور باق، وكذا العبادة فما استحالة ظاهر البطلان، مع أن ظاهره إرادة العقل التكليفي، وهو من فاضل طينة هذا العقل المعني، فهو جهة الإنسان ومرآته المواجهة له، ورأسه المشار له في حديث العلل: «إن العقل ملك له رؤوس بعدد الخلائق»^(٢)، وعلى كل رأس ستر، فإذا بلغ الرجل كشف الستر ووقع عليه التكليف، فأين وأين «ثم». وتنزيله على الكناية التمثيلية اللغوية لا وجه له، بل ما أشار له المعصوم عليه السلام وعناؤه، أحق الحقائق بالتحقيق، بل الإقبال والإدبار الحسي المعروف هو المجاز، والطريق لذلك لا أقل من إطلاقهما على معان متخالفة.

وما أحسن التسليم مع عدم ظهور نور النور، فكلامهم نور، فاستقم. وحيث ظهر لك الفرق بين القوسين فأحدهما غيب الآخر والآخر ظاهره بحسب التقيدات والتعينات.

[الفصل ب ثم بين الإقبال والإدبار]:

فَصَّلَ عليه السلام ب «ثم» بين رتب الإقبال والإدبار؛ لمباينة الغيب والشهادة، والاختلاف في الرتبة لا للتراخي الزماني، وإن أمكن إجراؤه في بعض الإقبالات والإدبارات المتعينة بحسب القوابل. فإن أصل الإقبال والإدبار وإن كان واحداً لكنه يصح نسبة التعدد له

(١) في النسختين: العاقلين.

(٢) علل الشرايع: ١٢٣/١، باب ٨٦ العلة التي من أجلها صار العقل واحداً في كثير من الناس رقم (١).

بحسب المراتب القابلية، وتعددها باعتبار النظر إلى الفاضل وفاضله وهكذا إلى آخر، كما قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا﴾^(١)، وقال علي عليه السلام: «تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا احتجب عنها»^(٢)، وستأتيك تنمة الكلام في حديث جنود العقل والجهل.

[خروج العقل إلى الفعل]:

[الاحتمال] الرابع: ربما يغلب عليك خمود نار النفس للبعد عن فسحة الأنس.

ونقول: قد أوضحت الوجود أولاً للعقل، وجعلته أول صادر في الكون المقيّد، والفعل سابق، فهو يكون بالفعل كامل الوجود، بحسب وجوده، كما دل عليه استنطقه.

وكون كل ما سواه من فاضله، فإذا ما^(٣) الفائدة في إنزاله إلى عالم الضيق والمحن، وتنزله في الدرجات السفلية، ولا يصح أن يسبح له سانح يجعله بالقوة حتى يعود لها.

وأيضاً: كيف يكون مادة والذي يعرف من أحكام المشائي أنها قوة محضة قابلة للصور، فلا يصح جعله مادة. فاستمع أرشدك الله، فإن لم^(٤) تدر بما تلي عليك، فالتق سمعك وهو حاضر.

أما كونه العقل الجوهرية، القائم بنفسه، لا كما قاله الشراح: الدال على أن المراد به الهيولاني ورجوعه بدرجة، فلما سمعت عقلاً ونقلاً.

وأزيدك: إن الخروج إلى الفعل يحتاج إلى مخرج بالفعل، فالفعل سابق

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦١/٤.

(٣) في نسخة (ب): فأما.

(٤) في النسختين: فلم تدر.

القوة، كما عليه كلمة المتألهين، وساعده كلام سيد المرسلين، والله لمن قرأه دراية. وآية.

كيف وقد سمعت عن علي عليه السلام: «إن زكّاهما بالعلم والعمل فقد شابها جواهر أوائل علّلهما»^(١)، ولا يكون ذلك إلّا والمشابه سابق، فأين قول الشُّراح؟ كيف وقد سمعت: أنهم كانوا يسبحون حيث لا سماء ولا أرض ولا غير ذلك^(٢). وفيما مرّ كفاية.

[معنى النزول]:

لكن النزول كما عرفت ليس بنزول تخلّ ونقله؛ بل ظهور تجل كما عرفت.

ومعلوم أن النزول الذي هو الإقبال والإدبار لإخراج سائر المراتب الوجودية بالفعل، وإظهار مراتبه؛ ليتعرف الواجب له في كل شيء لكل شيء، وليعرفه الإنسان الكامل في كل شيء، فإنه مجمع الأسماء وكلمته العظمى، والعالم الأكبر والغاية القصوى، فلا بد من نزول سائر المراتب.

ونزوله كما عرفت من معنى النزول من حيث فضل نوريته بما أقامه الله فيه وجعله السبب الكلّي، فلا بد من مخرج ومكمل وظهور، حتى في الحسّي، ولذا إنه ظهر أخيراً لكونه الغاية، وكذا كان مظهره الحسّي بالفعل من كل وجه من أن كونه في بطن أمه، وكانت روح القدس مختصة به، وفيما سواه قبس منها على التفاوت قرباً وبعداً.

ومبنى سؤالك على إرادة النقلة والرجوع إلى القوة، وكلاً لا رجوع له، بل أشعته ملأت السماوات والأرض، واستنارت به سكان الأصقاع، فلا

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٣٠٤، بحار الأنوار: ١٦٥/٤٠

(٢) مدينة المعاجز: ٤٢٠/٣، غاية المرام: ٤٣/١، بحار الأنوار: ١٦/٢٥.

سنوح له. كيف؟ وله فضل نوري، وقد مثلت لك بالأشعة المترتبة والمرايا المتعاكسة المتقابلة المستنيرة دفعة، والنفس ومراتب تنزلاتها النورية.

وأيضاً: كونه الأكمل يوجب نزوله، فإنه أكمل في كل مقام وحيز، فلا بد من قيامه وبه فيه، فأذن نزوله للكمال والتكميل، وبينهما تلازم.

وأيضاً: لما ألقى فيه المثل الدال عليه وأقامه مقامه في التبليغ في عوالمه، وجب نزوله، وإنزاله للتكليف التكويني والتشريعي، فهو الوسطة لهما والمبلغ. لكن مع ذلك لم يعرض عن باريه ومبدئه، ولم يتدنس بعوارضها وتنزلاتها، فإنه مطهر عن منافيات الأكوان نفساً وخيالاً، وطبيعة وجسماً كما ستعرفه إن شاء الله.

وله كمال في نفسه، وبحسب غيره فيتكمل بنزوله، لكنه تكمل ثانوي ككمال الشجرة بأغصانها وورقها، فتأمل.

وفي حديث المفضل، وجابر كما في مصباح الأنوار للشيخ: «[فحقيقتهم]^(١) أنوار لاهوتية، ألبسوا قوالب بشرية، لتطيق الناس رؤيتهم»، فهذا الهبوط سبب عمار الكون، والظهورات السافلة لازمة للظهور الأولي، ولولا الهبوط والصعود لما عمّرت الأكوان وظهرت، فعليه سكان الإمكان وتنزل للنفس؛ لترتاش وتطير، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٢)، وقال ﷺ: «رحم الله امرأً عرف يومه، واستعد لرمسه، وعلم من أين وإلى أين»^(٣)، كما ستسمعه في الجزء الثاني.

وأما ما قلت في المادة: فكلام المشائين في المادة إنما يعنون القوة الجسمانية التي تقابلها النفس الهيولانية.

(١) ما بين [] فراغ في المخطوط.

(٢) سورة التين، الآيتان: ٤ و٥.

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام: ٥/١.

أما المواد النورية، فهي بالفعل وجود الأشياء فيها أقوى من وجودها في أنفسها، لأنها مجمع المعاني، ووجود الشيء في الفاعل أقوى من وجوده في القابل.

وكلمات المتقدمين مصرحة بتسمية المعلول الأول العنصر، وأنه العقل، كما يظهر لمن تتبع كلماتهم من مبسوطات الصدر وأمثاله، وكتاب الشهرستاني، ومحجوب القلوب، وأمثالهم، بل المشائي لا ينكر وجود العقل، بل يقرّ به، وإنه الواسطة لمن دونه، فلا بد من الإقرار بما قلناه وما تكلموا به في المادة فيعنون به المادة الجسمانية وهي فاضل فاضل، فاضل تلك المادة. وهنا أمر بل أمور وراء ما يتكلمون ويعنون.

[شرح فقرة: وعزتي وجلالي]:

[الاحتمال] الخامس: اعلم أن الله بكمال حكمته لمّا خلق الإنسان الكامل، مجمع الوجود، وأظهر به المراتب، كلاً بحسبه وبقوة استعداده، وانعطف كل عود على بدئه، وعاد الفروع على الأصول، أظهر شرفه على من دونه زيادة في تبجيله وتعظيمه، وأقسم بذاته بأنه ما خلق خلقاً أحب إليه منه؛ لأنه أقرب الكلّ، وكمال القرب ويقتضي الفضل، وكونه الواسطة والشفيع لمن دونه، فما سواه مخلوق بعده، إذ لو كان قبله خلق لكان هو الأقرب والأحب بديهية؛ لاستحالة كون المفضول واسطة ذاتية للفاضل والأبعد أقرب، فهو العلة الغائية، فتتقدم، فقول الله له: «ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك» يدل صريحاً على أنه أول مخلوقاته، فلا تخالف بين هذه، وما دل أنه أول.

ولا ينافيه قوله: «قبل ما خلقت» لما عرفت من أن هذا الخطاب الواقع بعد: «ثم» ثالثاً بعد الهبوط والصعود، فهو خطاب ثالث، وهو بعد خلقه الأولي وخلق غيره ورجوعه، واستحق ذلك لأنه رجع ظاهراً على فعليته الأولى، لم يقيدته مقام عن باريه، إذ نزوله للتبليغ والإهداء، ولتفنن معرفته

مبعثرات

كما سبق، لا عن معصية أو مداخله قوة كحال النفس، فلا خلق أحب إليه منه عوداً كما كان بدأ.

فما توهمه الشارح محمد صالح من دلالة ذلك على أنه ليس أول مخلوق بمعزل عن التحقيق، حيث قال في الشرح لقوله: «ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك» دل على أن العقل ليس هو أول المجعولات كما زعم^(١). كل ذلك لما توهم من قوله: «خلقت».

وعرفت بيانه، ودفع توهمه. ومع ذلك فإن حمل الأولية الثابتة لأول مخلوق في أول حديث سمعته على الإضافة بالنسبة إلى بعض، فمع عدم تصريح حديث بهذا الجمع ولا بإشارة، ولا قيام دليل عقلي من الطرق الثلاثة عليه المقتضى لكونه غير مقبول لا مزية للجمع بهذه الخاصية ولا اختصاص له بها، فإن الأولية الإضافية ثابتة لكثير من الأشياء حتى من الماديات.

[الحب في القرآن والروايات]:

[الاحتمال] السادس: ما أثبتته هذا الحديث له بقوله «أحب إليّ منك» وهو ثبوت الحب له تعالى ظاهر في القرآن والنص، كقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢)، وفي الخبر المشهور: إن ملك الموت لما أتى إلى إبراهيم عليه السلام قال له: «هل رأيت خليلاً يميم خليله»، فأوحى الله إليه، «هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه»^(٣)، فقال: يا ملك الموت، الآن فاقبض روحي.

وكذا ما دل من النص على إثبات حب العبد له، يدل [أيضاً] على حب الله له بالآخرة، كما في حديث شعيب، المروي في علل الشرائع... إلى أن

(١) شرح أصول الكافي: ٦٩/١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٦٤، علل الشرائع: ٣٦/١، قصص الأنبياء: ١٣٦.

قال: «ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي، فلست أصبر» إلخ^(١).

وعن عليّ عليه السلام في دعائه الذي علمه كميل: «إلهي وسيدي [ومولاي وربّي] صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك»^(٢).

وفي دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك»^(٣) إلى غير ذلك، كما ستسمعها في تفاصيل جنود العقل^(٤).

ومن الناس من أنكر ثبوت المحبة له واللذة، زعمواً منه إنها مقتضية للمزاج الموجب للانفعال إن كانت المحبة حسية، أو فقد كمال أو عروض سائح إن كانت عقلية مع لزومهما من الأولى أيضاً.

بل كيف يحب خلقه وهو مقتضٍ لحدوث أمرٍ فيه وتغير.

قلنا: أما المحبة الثابتة له تعالى فليست بأحد هذه المعاني فإنها نقص، وصفات الحادث لو كانت كذلك لزم ما قلت وزيادة، وكل ذلك ينافي الوجوب الذاتي والفعلية الكاملة التي فوق ما لا يتناهى الثابتة لذاته بذاته لا باعتبار أمر آخر لا محقق ولا مقدر، إذ لا شيء معه لا معلوم ولا مجهول، ولكن وزان حبه وزان علمه. فهو عبارة عن كون كمالاته على ما عليه ذاته أولاً بذاته، وأول فعل له، وهو مقام: «فأحببت أن أعرف» كما في الحديث^(٥)، مقام المشيئة، ومبدأ ذلك الجود المطلق الحاصل له بتجليه له

(١) علل الشرائع: ٥٧/١.

(٢) مصباح المتعبد: ٨٤٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

(٤) انظر في هذا المجلد شرح الحديث (١٤).

(٥) مشارق أنوار اليقين: ٥٧، فصل: ٢٣. رسائل الكركي: ١٥٩/٣.

به، وبما ألقى فيه من الدلالة عليه، بل هي حقيقة، و«علة ما صنع»^(١) صنعه» كما روي.

والمحبة صفة فعل ترجع لفعله، وهو مظهرها. والمحبتان شيء واحد يختلفان بالاعتبار، ونسبتهما له تعالى تعظيماً وتشريفاً، هذا في الفعلية لا الذاتية. فتدبر.

فلا بد وأن يظهر وجوده وإلا لم يكن له جود، فلم يكن واجباً إذ كل واجب جواد، وكل جواد مفيد له، فلا واجب أصلاً. هذا خُلف.

وهو أجل مبتهج بذاته لذاته، فمحبه غير راجعة إلى حدوث أمر له، ومحبة خلقه له عبارة عن كمال التخلق بمجالي الصفات وكمال الارتباط الثانوي، الذي هو صفة الارتباط الأول، المنبئ عن كمال معرفة الكمال وحب التخلق به، فليس حبه لخلقه إلا حبه لذاته الثابت له مطلق من غير مغايرة بوجه.

وقولي: لذاته: في مقام المحبة، المراد به ذات الظهور والدلالة، وظهورها بالفعل، لكن ظهورها يغيب حكم الصفة لا باعتبار أحدثتها. فافهم.

وحيث فعله وأمره واحد هو كل الأوامر، وجميع مخلوقاته المتعددة قائمة بمشيئته التي هي فعله، وسار نورها في الكل، وإن تعددت باعتبار القابل والعقل الذي هو عقل محمد ﷺ محل ظهورها الكلي الشخصي، شخص المحبة به، حيث لا واسطة بينه وبينه، ولا ينافي خلق بعض الشرور، وكراهة بعض أفعال الخلق، وتعذبه عليها، إذ شرور الوجود لم تصدر عنه، وما دخلت في الوجود، فعلى سبيل العرض لتكميل الخير، فبجهة الصدور خير، وبجهة شرها عدم، فشاء وقضى وقدر، ولم يجب كما ستسمع بيانه في التوحيد.

(١) في النسختين: علة صنعه.

فكما تقول للمعلول معلوم بحسب الانطباق وعلمه قبل ثابت له ولا معلوم لم يفده المعلوم علم، فكذا هو محبوب ولم يفده، بل هو جواد بذاته حيث لا موجود.

وبالجملة: فما أوجب لهم إنكار المحبة له تعالى لما يلزم لا تنازعهم فيه ولا نشبتها له بهذا المعنى. وما نقوله لا يلزم إثبات نقص فيه تعالى، لرجوعه إلى الوجود والكمال، وهو كذلك بذاته وجواد كذلك.

[توجيه آخر للمحبة]:

وقيل: هي بالنسبة له بمعنى الغايات، حيث فعل بلطفه من اللطف والثواب والتبيين فعل المحب بحبيبه، فقطع اعتبارها بذاته، وأثبتها غاية، باعتبار فعله، كما قالوا في وصفه بالرحمة، حيث خصوها برقة القلب، وستسمع في التوحيد في تفسير البسملة ما يبطل ممّا قالوه في الرحمة.

وكيف تكون المحبة كذلك؟ وقد قال: «فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق»، وكيف يكون كماله بالقوة؟ وإنما يكون بالفعل بعد الإيجاد والإفادة، حتى تتحقق محبته حينئذ ويوصف بها، ويشق له معنى كمالي من خلقه، وكيف يثبت له نهاية ما ليس له بداية؟ وهو المبدأ لجميع الكمالات والمفيض له، وهو أولى به منه بذاته إلى غير ذلك.

نعم، إن جعلت صفة فعل فترجع لفعله، وهو مبدؤها، وبحسب الذات ترجع إلى الهداية والحياة باعتبار ما ظهر، وستأتي زيادة عن قريب.

[قول ملا محمد صالح في المحبة]:

وقال الشارح محمد صالح في خلال توجيه وصفه بالمحبة: (وقيل: الوجه فيه أن المحبة تابعة لإدراك الوجود؛ لأنه [خير] محض^(١)، فكل ما كان وجوده أتم كانت خيريته أعظم والإدراك المتعلق به أقوى، والابتهاج به

(١) في النسختين: غير محض.

أشدّ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل؛ لأنّ إدراكه لذاته أشدّ إدراكاً لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور، والجلال الأرفع، فذاته سبحانه أحبّ الأشياء إليه، وهو أشدّ مبتهج به، ومحبته لعباده راجعة إلى محبته لذاته؛ لأنّ كلّ من أحبّ شخصاً أحبّ جميع حركاته وآثاره وأفعاله لأجل ذلك المحبوب؛ فكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه، وجميع الممكنات على مراتبها آثار الحقّ وأفعاله، فالله يحبّها لأجل ذاته، وأقرب المجعولات إليه هو العقل، فثبت أنّه أحبّ المخلوقات إليه.

ومن المتكلّمين من أنكر محبة الله تعالى لعباده، زعموا منهم أنّ ذلك يوجب نقصاً في ذاته، ولم يعلموا أنّ محبة الله لخلقه راجعة إلى محبته لذاته. انتهى. وفيه نظر من وجوه: أمّا أولاً: فلأنّ قوله: (المحبة تابعة لإدراك الوجود)، ممنوع وما ذكرناه لإثباته من أنّ الوجود خير محض مدخول، والبحث عنه مشهور، مذكور في موضعه. وأمّا ثانياً: فلأنّ كون^(١) العقل المبحوث عنه أقرب المجعولات كلّها إليه سبحانه ممنوع. وأمّا ثالثاً: فلأنّ المحبة والبغض متقابلان، وقد نسب البغض لبعض المخلوقات إليه سبحانه، ولا شكّ أنّ بغضه له ليس لأجل أنّه من آثاره بل لأجل شيء آخر [فلم لا يجوز أن لا يكون محبته لخلقه لا لأجل أنّه من آثاره بل لأجل شيء آخر]. وأمّا رابعاً: فلأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾^(٣)، صريح في أنّ محبته لهم لأجل إحسانهم وتوبتهم وطهارتهم لا لأجل أنّهم من آثاره، ولو أريد أنّ الاحسان والتوبة والطهارة من فعله وآثاره؛ لرجع هذا إلى قول الشاعر، وتتنسّع دائرة المناقشة، فليتأمل^(٤) انتهى كلامه.

(١) في النسختين: إثبات كون.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) شرح أصول الكافي: ٧٠/١.

أقول: قد تأملناه فوجدنا الدليلين لا يساعدان عليه بل يردانه.

[تعليق الشارح على: إن لم يكن خير محض]:

قوله: (أما أولاً) إلخ. فغير خفي أنه عبارة عن إدراك الملد، وغير خفي عدم تعلق ذلك بالمعدوم مطلقاً، بل بالموجود وإن تفاضل. وأما منعه من كون الوجود ليس بخير محض تبعاً لمنع بعض المحشين على شرح التجريد لما يتوهم من الشرور الظاهرة، وعدم إدراك خيريتها، وعدم الفرق بين الخير الذاتي والعرضي. وقد أقيم البرهان عليه ودفع ما توهم منه خلافه، فليطلب كتب المتألهين المبسوطة، ولنعرض عن النقل لأعراضه.

كيف، وإذا لم يكن خيراً محضاً فليكن مقابله وضده وهو العدم خير كذلك، وبطلانه بديهي.

وأيضاً: لو كان بعض الوجود خيراً بذاته والبعض الآخر شراً كذلك، وكله صادر عن الواجب، كانت فيه جهة قبح، فتكثر ذاته، ويفعل القبيح أو يثبت مبدأين والكل باطل. فتأمل.

[تعليق الشارح: أول خلقه أحب خلقه له]:

قوله: (وأما ثانياً) إلخ.

إن لم يكن الذي خلقه قبل كل شيء وهو أحب خلقه له، وهو الواسطة في الثواب والعقاب وغيره، وعليه دارت رحى الوجود بدءاً وعوداً، وجعله الشافع المشفع، كما ستسمع من النص، أقرب خلقه له، فمن الأقرب؟ بل أتمس من الناظر أن يتصور معنى القرب وما يتحقق به، ثم يتأمل، هل هو متحقق فيه أم لا؟

هذا وقد عرفت نصاً وعقلاً أن العقل الأول هو عقل محمد ﷺ، وكونه أقرب الكل له، وأفضل مخلوقاته متفق عليه عقلاً ونقلًا وإجماعاً.

وخلاف بعض العامة العمياء غير ضائر ومعتبر، كقول: أن الواجب تعالى القديم الذاتي أكثر من واحد ولكنه نظر بذلك، حيث توهم كما يظهر من كلامه خلال هذا الحديث إن العقل المبحوث عنه هو التكليفي، أي قوة النفس النظرية الحاصلة لها بعد الإيجاد، بل العقل الهولاني لتفسيره الإقبال بالإقبال على الطاعة أو الدرجات العالية، كما سبق، لكن بطلانه ضروري.

فكيف يكون ما هو قوة محضة أو لا، وكيف يتحقق استنطاق أو لا بحسب ذاته المقتضي لكماله بذاته، ثم إقبال بدرجاته، لكن أحملت، ثم أدبار، وكلا القوسين وجود وخير، ثم خطابه بقوله: «وعزتي» إلخ، فهو جعل الأسافل أعالي، فاختل النظام وبطل الانتظام، وبطلانه ظاهر مما سبق. فتذكر.

[تعليق الشارح: في تقابل المحبة والبغض]:

قوله: (وأما ثالثاً) [إلخ].

فقد سبقت الإشارة إلى أن البغض لا ينافي هذه المحبة من جهة الصدور، فيقابل هذه محبة ورضا، وهي التي للمحسن خاصة به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، مع أنه مع كل شيء، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية^(٢)، إذ جهة المحبة من جهة الوجود لمثل هذا الفرد عرضاً، فيجب عرضاً، لكن محبة عامة مرادفة للرحمة العامة، وتلك مرادفة للرحمة الخاصة، فهي رحمة خاصة بالمؤمنين، حيث قبلوا اختياراً وأقبلوا.

ثم وأي ملازمة بين كون بغضه له لأجل شيء آخر هي المعصية مثلاً التي هي بالله، ومن العبد ذاتاً كما ستعرفه، لا لأجل أنه من آثاره، وتجويز أن لا يكون محبته لخلقه لأجل أنه من آثاره؛ بل لأمر آخر، إذا لم تكن محبته له

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٤.

لأجل أنه من آثاره، فما هذا الأمر وجهه الحَسَنُ إلّا كونه أثره الدّال عليه المتصف بمجالي الصفات الكمالية بحسب ظهوره مجالياً، بل بغضه لذلك الشيء آخر، وفعله ما ينافيه، وما لم يطابق فعله ومشيتته الذاتية التي هي الوجود دليل على أن محبته للآخر لأجل ذلك. فافهم.

وليته: يبين هذا الأمر الآخر^(١)، وكيف تتحقق المحبة لما ينافي الشيء ويضاده، فإنه إذا قيل لأمر آخر لا مناص له عن الضد.

[في محبة الله للمخلوقات]:

قوله: (وأما رابعاً: فلأن قوله تعالى) إلخ. هذه الآيات وما ماثلها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾^(٢) تدل على حبه للطاعات؛ لكونها صفة الوجود المجعول والمفاض ذاتاً، فهي مطابقة لمشيتته الذاتية، كما أن المعصية مطابقة لمشيتته العرضية العزيمة.

قوله: (ولو أريد أن الإحسان والتوبة) إلخ^(٣). رجوعه إلى قول الأشاعرة ممنوع. وستسمع في موضعه، «أنا أولى بحسناتك منك»^(٤) في غير حديث، وقال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾^(٥)، فكما أن الوجود منه فكذا صفته، ولا جبر، ولا يلزم نقص ولا نسبة قبح من جعل الطاعة منه، أي: من فعله، ونسبه له تعظيماً وإمداداً. فتأمل. ويثيب عليها.

والمعصية من العبد وبالله، وليس هذا بجبر ولا تفويض إلّا أن يقول: باستقلال العبد مطلقاً، كما عليه المعتزلة، وهم المفوضة - وحاشاه -.

(١) في قوله في النظرة الثالثة: (ولا شك أن بغضه له ليس لأجله أنه من آثاره؛ بل لأجل شيء آخر).

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) راجع: آخر النظر الرابع لملا محمد صالح.

(٤) الكافي: ٣٨٢/١، باب ٣٠ الجبر والقدر والأمر بين الأمرين من كتاب التوحيد، حديث رقم (٣/٤٠٣)، والتوحيد: ٣٣٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٩.

والبحث في هذه المسألة موكول إلى باب الجبر وما ماثله من أبواب التوحيد^(١)، وسيأتي. فقد دفعنا فيه المناقشات، وأبطلنا فيه الغلو والتقصير، وأبنا الأمر بين الأمرين^(٢).

ثم نرجع ونقول: بما يتحقق به الحق، ويظهر ما في كلام الشارح من الرد: مقام المحبة، مقام فعلي، وصفته لا ترجع للذات إلا كنسبة صفات الفعل له، ومحبة لخلقه بما ظهر لهم بهم وبه نظروا له، وبما ظهر لهم بهم نظرهم وأحبهم، ظهور فعل دلالة لا إحاطة، وليس للأشياء تحقق في الأزل إلا بموافاة، ولا منافاة، ولا بوجه أصلاً ولا اعتبار في مقام الذات، ومعتبر أصلاً، فحقق هذا ودع المباحثات اللفظية منه، وعليه وبه يتضح الأمر، وما في الكلامين من التدارك، ومقام المحبة، مقام المشيئة، مقام «أحببت أن أعرف»، ولا كلام في الذات.

وبحث هذا يأتي في أبواب الصفات^(٣)، إن شاء الله تعالى.

تتمة:

غير خفي أن كون العقل أحب خلقه له، يوجب كون الله أحب الأشياء له، فلا يخالفه أصلاً، ولا يسبقه بالقول، وما يشاء إلا ما يشاء الله، وذلك ظاهر من كونه محبوباً. فافهم.

[العقل الكامل لا يكون إلا فيمن أحبه الله]:

[الاحتمال] السابع: قد عرفت قبل في تقاسيم العقل إلى أنه بمعنى القوة

(١) راجع: المجلد السابع من النسخة المطبوعة: ٣٦٩ إلى ٥١٦.

(٢) هدي العقول: ٤٧٧/٧، حديث رقم (١٣) من الباب الثلاثين (الجبر والقدر والأمر بين الأمرين)

(٣) مثل: باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، باب صفات الذات، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر الصفات.

النظرية علماً أو عملاً أو بمعنى التمييز قابل للتفاوت، وهو درجات كأشعة الشمس، وينتهي إلى العقل الهولي، وهو المطبوع، كتنقية الأرض وقبولها للزراعة، فليس هو إلا قوة القبول وهو سابق على المسموع الحاصل بالكسب، ولكل درجة من درجاته صفات وأحوال، فانقسم إلى ناقص وأنقص، وكامل وأكمل، ولزم أن ينتهي إلى كامل لا أكمل منه، تكون جميع الصفات فيه فعلاً، ويكون هو الواسطة لسوق السافل للعالي.

ومعلوم إن هذا الأكمل لا يكون إلا فيمن أحبه الله، إذ صفوته ومختارة من ذريته هم الأنبياء وخلفاؤهم المعصومون، لكن محمداً ﷺ وآله ﷺ أفضلهم، وهم أتباع له، وهو المعلم لهم والواسطة، فمحبوبه وخاصته كمال الاختصاص، والمحبة واحد، ولذا قال ﷺ: «لو لانا ما كان»^(١) كذا ولا كذا، وقال ﷺ: «أنا مكلم موسى»^(٢) وأخذت ولا يتنا على جميع الأنبياء، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَجَعَلْنَاكُمْ رُسُلًا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٣)، وقال ﷺ: «يا علي: أيدت بك الأنبياء سرّاً وأيدت بك جهراً»^(٤)، وورد في تفسير: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾^(٥)، إن السلطان عليّ ﷺ^(٦)، ومثله كثير.

(١) في مشارق أنوار اليقين: (لولانا ما عرف الله، ولولا الله ما عرفنا).

وفي (الدر النظيم: ٧٦٥)، وفي (بحار الأنوار: ٣٣٣/٢٦) عن النبي ﷺ: (لولانا ما سارت السفينة بأهلها).

وفي (بحار الأنوار: ٣٤٩/٢٦) عن النبي ﷺ: (لولانا لم يخلق الله الجنة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة).

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٤، ٣٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) قال رسول الله ﷺ: (يا علي إن الله أيد بك النبيين سرّاً، وأيدني بك جهراً). راجع: مدينة المعاجز: ١٤٤/١، وحلية الأبرار: ١٧/٢.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٦) تفسير مجمع البيان: ٣٦١/٣، التبيان: ١٥٠/٨، مناقب آل أبي طالب: ٢٠٩/٢.

[شرح: ولا أكملتك إلا فيمن أحب]:

فإن قيل: خطاب العقل بقول: «ولا أكملتك إلا فيمن أحب» يدل على أنه درجات، ويقال على جميعها، فكيف تقول: إنه في هذا الحديث جوهر ملكوتي مخلوق من نوره، وهو أول صادر، بل يقرب كونه، بمعنى القوة الحاصلة للنفس؟

قلنا: لا ينافي ذلك، فإن هذا العقل كما عرفت باقي العقول بمراتبها من فاضل طينته النورية، ولمحمد ﷺ مقامات؛ لأنه الإنسان الكامل مقاماً أو أدنى، وهو مقام المشيئة، وغيب العقل، ومقام الروح، ومقام العقل، ومقام ظاهر البشرية، وما فوق العقل عالم الأمر، وهو الإبداع الأول الذي به العقل لأنه نفس الوجود، فالعقل أول مخلوق بالخلق الإبداعي الثانوي، وله صفات وجنود، كما ستعرف عددها في [هذا] الباب، وإنها لم تكتمل إلا فيهم ﷺ، ولذا قال: «ولا أكملتك». أما من دونه فله عقل وجنود متفاضلون في ذلك، وهو من أشعته، ولكونه أول مخلوق لم يسبقه إلا عالم الأمر، وهو فعل الاستقلال له، بل هو والمفعول واحد، إذ مشيئته إيجاده لا غير - كما ستعرفه - فهو مخلوق من نور مشيئته التي خلقت الأشياء بها المنبجس من ذاته الفاعلة للمشيئة؛ لنص: «خلق الله المشيئة بنفسها»^(١)، وغيره بغير ترو ولا فكر، وأنه أولى بالخير منه.

قال: «أكملتك» ونسبه لنفسه تشريفاً وتعظيماً إعلاءً لحجته، إذ فعلهم فعله، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ الَّذِي يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكَ اللَّهُ الرَّحْمَى﴾^(٤)، مع أنه تعالى الرب

(١) الكافي: ٢٦٩/١، باب ١٤ الإرادة أنها من صفات الفعل من كتاب التوحيد، حديث رقم (٤/٣٠٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

والمربي للعالمين، وجوده لا ينقطع مدده؛ لكمال افتقار الأشياء له حال وجودها أيضاً بلا فرق بوجه، فصَحَّ قول: «أَكْمَلْتُكَ» وهو كمال كامل بحسب ذاته، ومن دونه متجدد بالنسبة لمن فوقه، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١). فتأمل.

[قول الملا محمد صالح]:

قال الشارح محمد صالح: ((ولا أكملتك إلا فيمن أحبّ» دلّ على أن كمال العقل كأصله جاء^(٢) من الله جل شأنه، ولكن لكسب العبد وعنايته مدخل فيه كما يدل عليه قول موسى بن جعفر عليه السلام: «من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة [في الدين]، فليتضرع إلى الله تعالى في مسأله بأن يكمل عقله»^(٣) ويرشد إليه التجربة، فإن من نشأ في التعلم وطهارة النفس، وصرف [القوة] العلمية والعملية في تحصيل العلوم والأعمال والأخلاق المرضية ازداد عقله ضوءاً ونفسه نوراً، يكاد يبصر ما فوق العرش^(٤) وما تحت الثرى، وتلك العناية التي هي من التوفيقات الربانية إنما تتوقف على وجود أصل العقل لا على كماله فلا يلزم الدور^(٥) انتهى.

[نقد شرح الملا صالح]:

لكن إذا قال هذا: بأن هذا يدل على أنه كأصله، جاء من الله تعالى، فيكون من فعله. فكيف ينظر على ما حكاها كما نقلناه عنه في المسألة

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) في المصدر: جاء.

(٣) الكافي: ٣٨/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (١٢/١٢).

(٤) في المصدر: ما تحت العرش.

(٥) شرح أصول الكافي: ٧١/١.

السادسة بقوله: (ولو أريد إن الطهارة والتوبة من فعله وآثاره لرجع لقول الأشاعرة) إلخ.

فإن فرَّ عنه بقوله هنا: إن لكسب العبد وعنايته مدخلاً فيه فليقل هناك، لكن قد عرفت أنه معدن الجود ومنشأ الكمال، ثمَّ وما استدل به من كلام الإمام عليه السلام وأنه يدل على أن للتصريح الذي هو من فعل العبد له مدخل فإننا لا نمنعه، ولكن العقل المسؤول استكمالاً غير هذا، فإنه خاص بنبي أو وصي نبي، لكنه تام على مقصده، حيث نزل العقل المبحوث عنه على العقل التكليفي.

نعم، هو لازمه وصفته، فكمالها ليس إلّا في فرد خاصة.

وأقول لك: إذا كان الإنسان لا يبصر ما فوق العرش^(١) إلّا إذا قويت بصيرته وقوي عقله لصيرورته حينئذ عقلاً بالفعل، فدخل في جنس من فوق العرش، فلا بد من كون ما فوقه عقلاً بالفعل، وسابق يسبقه على هذا الإدراك واستكمال قوة النفس، فكلامك صريح في ثبوت الجوهر العقلي القائم بنفسه فاجعله المراد في هذا الحديث، وفسر الإقبال والإدبار كما قلنا، خصوصاً والحركة الجوهرية قد أثبتها المحققون، وأشار لها النبيون وأوصياؤهم المطهرون، ولكن السبب ظاهر.

ثمَّ وكيف يقول: (بعد وتلك العناية التي من التوفيقات الربانية) إلخ.

كيف لا تتوقف على أصله، ولا بد لها من مخرج من العقل الهولائي، وهو الأصل الذي عناءه إلى أن بلغت إلى الكمال.

ومعلوم أن الله لا يباشر خلقه، بل وجود الأصل الذي عناءه وهو آخر الدرجات نزولاً، الذي هو فاضل غيره، يقتضي وجود ذي الفضل قبله، إذ

(١) في المصدر: تحت العرش.

لا وجود للفرع والصفة بدون الأصل والموصوف، والدور الذي توهمه على التقدير الآخر غير وارد. فتأمل.

[المراد بإكمال العقل]:

وعلم من الحديث مطابقة إن إكماله لا يكون إلا فيمن أحب، ولا يكون محبوبه إلا واحداً، وهو الخاصة الكلية، وإن تعدد المحبوب بمقام آخر؛ لأنه الصفة وغاية الاصطفاء.

والاختيار لا يكون اثنان، إذ لا اثنيّة تقتضي وجود صفات في واحد غير صفات الآخر تحصيلًا للاثنيّة، فلا بدّ من غلبة واحد على الآخر أو يكون كل ضدًا للآخر، فوجودهما اثنان، أو يكون الواجب متكثرًا، وجميع ذلك باطل، فنظره لمن دونه بواسطة.

ولذا قالوا ﷺ - كما ستسمع في التوحيد والحجة، والبصائر، والمحاسن، والخطب، وغيرها -: «نحن جنب الله، ويده، وعينه الناظرة»^(١)، و«بنا عرف الله، و[بنا] عبد»^(٢)، وفي [الزيارة] الجامعة «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدْءًا بِكُمْ»، «وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثُ»، «وَيَكْشِفُ الضُّرَّ»، ومثل ذلك كثير. فلا يكون الإنسان الكامل إلا واحداً هو عنصر الوجود، ومرجع جميع المعبود، وهو محمد ﷺ وبنوه المعصومون ﷺ لهم المقالة التامة له، وطينتهم واحدة، وما سواهم مظهر من فاضلهم أو من آثار فاضلهم وعبيد لهم، أخذت عليهم الطاعة لهم والإقرار، وهم الشهداء على الكل، وإليه يرجع الأمر، وهم الشهداء على الناس: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣)،

(١) مقطع من زيارة ودعاء يقرأ عند مشهد أمير المؤمنين ﷺ: (السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن، وعينه التي من عرفها يطمئن، السلام على أذن الله الواعية في الأسم ويده الباسطة بالنعم، وجنبه الذي من فرط فيه ندم). بحار الأنوار: ٣٣١/٩٧.

(٢) التوحيد: ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وحينئذ يراد بالإكمال إكماله من آن الولادة مطلق كما دل عليه صحيح الاعتبار.

[كمال أوليائه ليس مكتسب]:

وصريح الأخبار، واستقام عليه إجماع الإمامية، فإن كمال أوليائه ليس تدريجياً مكتسباً، وإن قبلوا الزيادة فتدبر، وإلا لسادوا غيرهم، وذلك لكمال قربهم، وكونهم الصفوة. ولا يراد به ما وقع في النهاية وإلا لم يكمل فيهم في بعض الأوقات، فلم تعم عصمتهم مطلق، ولم يرد مطلق الاكتساب، فإن كمال من دونهم ﷺ حتى لو بلغ الغاية ناقص بالنسبة لهم، فهم غير كاملين، وإن اتصفوا به بوجه.

وحينئذ يظهر لك ضعف ما قاله الشارح ملا خليل القزويني في شرحه العربي لقول ﷺ: «ولا أكملتكم إلا فيمن أحب» حيث قال: (المراد أن الإكمال من جهة الكسب لا يكون إلا فيمن أحبه الله من أوليائه. ويحتمل أن يراد إن الإكمال من جهة الفطرة إلا فيمن أحب الله الإكمال فيه، سواء كان مؤمناً أو شقيماً، ويحتمل أن يكون المراد بالإكمال أعم من الجهتين) انتهى. بل فيه أيضاً ما لم نشر له. فتدبر.

[شرح: أما إني إياك أمر وإياك أنهي]:

[الاحتمال] الثامن: (أما إني إياك أمر وإياك أنهي) إلخ. حيث عرفت إن الوسطة التي أخذت الولاية له والإقرار به على الكل في الكل، فيه العقاب والثواب، وهو قسيم الجنة والنار، أو إياك أثيب الثواب الذي لا يصل إليه حد، كل ذي^(١) قد فاز في الجنة رتبة، لا تكون إلا له، وهي الوسيلة والشفاعة المطلقة خاصة به، وباقي المراتب قاصرة عنها، فحقيقة الثواب

(١) هكذا وردت الكلمة في النسختين.

أولى وبالذات له لأنه الغاية وهو المسكن لأهل الجنة في مراتبهم ودرجاتهم، والمضيء لهم بفضل نوره، والزائر لهم في مراتبهم، فولايته التي هي متابعتها قلباً وقالباً سبب الجنان والحدود، بل هي ما دتها.

وورد عنهم عليهم السلام: «إنما هي أعمالهم رُدَّت إليهم»^(١)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وعن الباقر عليه السلام^(٣) في حديث: «أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا تخرجوا منها»^(٤).

ومعلوم إن من كان كذلك لو عصى كان إياه يعاقب، ويكون في الدرك الأسفل من النار وأشد أهلها عذاباً، ولا يقتضي ذلك الوقوع منه، لكنه لكونه مختاراً جامعاً صحَّ توجههما له، فإنه قادر على المعصية وإن لم تقع منه.

قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(٥)، [وقال عليه السلام]: «ولو عصيت لهويت»^(٦). ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٧)، مع أنه لم يذهب به، ولكنه قادر، فيكون ذلك تحذيراً له وإن لم يقع منه لكمال اختياره كما عرفت، كما خوطب بـ (أقم الصلاة)^(٨)، ولا تشرك، و﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَنَّ عَنْكَ﴾^(٩)، وغير ذلك كثير، وإلا فهو أجل من أن يسكن مساكن

(١) قال الرسول عليه السلام: (إنما هي أعمالكم ترد إليكم). راجع: كتاب فكر: ١٢٢.

(٢) سورة الطور، الآية: ١٦، وسورة التحريم، الآية: ٧.

(٣) عن الصادق عليه السلام.

(٤) المحاسن: ١/١٦١، رقم (١٠٥).

(٥) أمالي الصدوق: ٩٣ و٢٥٤، التوحيد: ٢٠٧.

(٦) الإرشاد: ١/١٨٢، بحار الأنوار: ٤٦٧/٢٢، شرح نهج البلاغة: ١٠/١٨٤.

(٧) سورة، الآية: ٨٦.

(٨) سورة هود، الآية: ١١٤، وسورة الإسراء، الآية: ٧٨، وسورة طه، الآية: ١٤، سورة

العنكبوت، الآية: ٤٥، سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٩) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

الهوى، وعبدته من ضلّ وغوى، بل توجه الأمر والنهي له، وإن أُريد ببعض أتباع خلقه، ولكن التوجه له يقتضي توجه الاثنين الباقيين. والخطاب بهما له أيضاً.

وحيث كان خطابه له قبل بالإقبال والإدبار المقتضي لظهور قوسي الشعور والإشعار والخلقي والتكليفي دالاً على توجه الأمر والنهي له. إلخ. وأنه الواسطة لجميع ذلك، ولكن الأمر والنهي خطر عظيم، فأصل الإيجاد بأمر (كن) ذكره بعد، أما بالدلالة على كمال العناية بما بعدها من الجملة وإن لها خطراً، وهو إن العلة في أمرك بالإقبال والإدبار بعد الاستنطاق، وإنك الصفوة والمحجوب، ولا أحبّ منه، فإنهم المختارون من جميع العالم كما صرح به في أحاديث الطين وغيرها، وآيات القرآن كثيرة، أني إياك أمر وإياك أنهي، أولاً وبالذات؛ لأنك أول موجود، فانعطف الحديث على نفسه، وهو لا يتخلف عن الأمر لا إيجاداً ولا تكليفاً، ولمطابقة فعلهم ومشيتته دائماً نسب فعلهم له كما سمعت.

ولما سئل الحسين عليه السلام عن الخروج لكربلاء مع الحرم، قال عليه السلام: «شاء الله أن يراني قتيلاً، وأن يراهن سبايا»^(١)، ولذا عقب الأمر بالإقبال بالفاء وكذا الإدبار.

[العقاب والثواب يتوجه من أهل البيت عليهم السلام]:

وحيث فسر أكثر الشراح العقل بالتكليفي أو القوة النظرية، قالوا توجه الأمر والنهي له، وكذا الثواب والعقاب؛ لأنه مناط التكليف، فكأنه المثاب والمعاقب، والمأمور والمنهي، وما فيه ظاهر مما سبق.

وبوجه آخر، نقول: أدقّ جميع الخلق تفاصيل كمالهم وفاضلهم بحسب الذات والصفة والأحوال، في اليمين وفي الشمال، من إنكارهم من فاضل

(١) مقتل الحسين لابن المقرّم: ٦٤.

طينة مواليهم، وهم محل المشيئة التي قام بها كل شيء. فالثواب والعقاب الفعلين يتوجه لهما بحسب الموالاة والمعاداة، وبحسب مقامهم، وهو في كل بحسبه، فإن بأمره قام كل شيء، فالخطاب له على حد (إياك أعني واسمعي يا جاره)، ولا يدل على نفي الثواب والعقاب عن البدن، بل يشملهما ولا لم يثبت له. فتدبر.

تنبيه: [في شرح حرف (أما)]:

قال محمد صالح: «أما» حرف تنبيه يصدر بها الكلام الذي لمضمونه خطر وعناية لتنبيه المخاطب وإيقاظه طلباً لإصغائه، وتقديم المفعول للاختصاص، فإن العقل وإن استشعر من الأمر بالإقبال والإدبار أنه مخلوق يتوجه إليه الأمر والنهي، لكنه استشعر [أيضاً] بأنه مقارن مع مخلوق آخر، فكأنه غفل عن ذلك لشدة شغفه بمخاطبة ربه جلّ ذكره، وتوهم أن الأمر والنهي والثواب والعقاب يتوجه إليه مع مشاركة الغير أو يتوجه إلى الغير وحده لا إليه، فأتى الله سبحانه وتعالى بحرف التنبيه إيقاظاً له عن تلك الغفلة وإظهاراً بأن الكامل [لا بد] من أن لا يصير مغرور بكماله، بل هو دائماً يحتاج إلى تنبيه وتذكير، [و]بطريق الحصر دفعاً لما عرض له من التوهم وإشعاراً بأن القابل للخطاب هو دون غيره، وحصر الثواب والعقاب فيه باعتبار أنه بذاته، أو بواسطة قوة وروية فيه منشأ للطاعة والعرفان، ومبدأ للمعصية والطغيان في مواد الإنسان، ومستحق لهما في ضمن تلك المواد. فلا يدل الحديث على ثبوتها له مجرداً عنها [أصلاً] فضلاً عن أن يدل على نفي المعاد الجسماني. وانطبق معنى الحديث على العقل بالمعنى الأول، وهو النفس، باعتبار التجرد ظاهر، وبالمعنى الثاني وهو حالة النفس وقوتها الداعية إلى الخيرات في المراتب المذكورة، يحتاج في قوله: «إياك أعاقب وإياك أثيب» إلى تكلف، بأن يقال معناه: بك أعاقب وبك أثيب على سبيل التوسع؛ لأن المعاقب والمثاب هو النفس، أو يقال لما كانت تلك القوة

منشأ تكليف النفس نسب الثواب والعقاب إليها على سبيل التجوز، والمعنى الأخير وهو الجوهر النوراني المفارق عن المادة في ذاته وفعله، يحتاج في هذا القول، وفي قوله: «ولا أكملتك إلّا فيمن أحب» إلى تكلف، بأن يقال: المراد بإكماله إكمال إشراقاته على النفس، وبثوابه وعقابه ثواب النفس وعقابها، باعتبار الاستضاءة من مشكاته وعدمها^(١) انتهى، وفيه ما لا يخفى.

[تعليق على شرح الملا محمد صالح]:

قوله: (طلباً لإصغائه) إلخ. إذا استشعر العقل بالإقبال والإدبار توجه الأوامر والنواهي له، مع أنك إذا فسرت الإقبال سابقاً بترقية للدرجات أو على الطاعة وإدباره عن المعصية، فكيف لا يعلم توجه الأمر له مع أنه عمل بالطاعة، ولذا قال الله تعالى في شأنه: «فأقبل»، أي: فعمل بذلك. وتعقبه بقاء الاتصال يقتضي حصوله في أقل زمان الممكن.

فكيف يتصور أن يحصل له الغرور بعد، أو كيف يكون هو العقل التكليفي مع أنه تدريجي و«فأقبل» تنافيه.

ثم وأي شيء مع العقل في رتبته، ولا دليل يدل عليه لا عقلاً ولا نقلاً، بل هما على العكس، والهوسيات لا تعارض البرهانيات، ثم ولو كان في مرتبته غيره، كيف يتوهم مشاركته أو انفراده، وقد قيل له: «أقبل. فأقبل، وأدبر. فأدبر»، حتى يلحقه الغرور والاستكبار بكماله، ولو كان كذلك لما وصف بهذه الصفات، ولا جمع في محبوبه. إلّا أن يقال الخطاب لا نقص العقول، فيدخل في الفضول.

ويقول: (أن أقبل وأدبر وبك) إلخ. لم يقع بعد، بل كلها | على الاستقبال، فلا إقبال نافي الظاهر والتأويل، ولم تلتئم الروايات، ونزلت على أنزل الدرجات، فقد عرضت الولاية، وأقرّ مَنْ أقر، وعنده معرفة أهل

(١) شرح أصول الكافي: ٧١/١.

الجنة والنار وغير ذلك، فلا تتوهم الجبر ومنافاته للتكليف - كما سنحققه في أحاديث الطينة، إن شاء الله تعالى - ثم وكيف يكون حصر الثواب فيه بواسطة قوة فيه أو شعور، وهو قوة الشعور لديها، بل لو أتى بالإسناد الحقيقي لكان أولى.

قوله: (فلا يدل الحديث على ثبوتها له مجرداً عنها أصلاً فضلاً عن أن تدل) إلخ.

أمّا ظاهر الحديث فيدل على ثبوتها له مجرداً لقوله: «بك» ولكونه مجرداً عن المادة والصورة، ولكن لعلّه لاحظ به معنى القوة التي للنفس، فوقع فيما وقع، وعرف بطلان إرادته هنا وسابقاً. ثم وإثبات كمال الثواب له لا ينافيه حصول غيره وهو الحسي، بل دخوله بطريق أولى لاقتضاء الأكملية الجامعية، وكذا لطفه تعالى، كما هو ظاهر عنهم عليهم السلام: «الجنة لسلمان أشوق إليه منه لها»^(١)، مع أن نقول: أي دلالة من قول الثواب به وكذا العقاب كما عرفت على نفي المعاد الجسماني، كيف؟ وهو يقول: به الثواب، وهو يشمل العقلي والحسي حتى يلتجئ إلى هذه المضائق ويجعله مادياً، والعالم العلوي مجرداً عنها فضلاً عن واسطتها المخلوق من نوره، حيث لا سماء ولا أرض ولا جنّ ولا غير ذلك، لكن يسبحه ويقدسه، حتى أظهر في قالب بشري بالتعلم والإهداء، وتوفيه كلّ رتبة حقها وظهوره على مراتب الوجود ومقاماً سرّاً وغيباً وظاهراً.

ومن الناظر التأمل في الحديث فمزاياء واتصالاته وانفصالاته مع التعبير بالمضي، فهو إخبار عمّا وقع، وباقي روايات الباب المماثلة، مع ما نقلناه وننقله عن (الخصال) بنوره الإلهي، ويعرض عني وعمّن خالفته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢).

(١) في روضة الواعظين للنيشابوري: ٥٧/٢، رقم (٦٣٨): «إنّ الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة، وإنّ الجنة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة».

(٢) سورة النكبات، الآية: ٦٩.

قوله: (وانطباق، ومعنى الحديث على العقل بالمعنى الأول) إلخ. أول ما صدر تفسير الحديث، بإرادة النفس؛ لكونها تعقل، ودليل النص كتقسيم عليّ ﷺ لكميل، ثم للأعرابي: النفس، ثم ذكره العقل بعد، وكذا باقي الروايات، كالدال على أنها أنزلت لمعصية، كما في حديث (التوحيد) مع عدم وقوعها من العقل، وإنما أنزل لما عرفت ولتكميل زائد كما كان، وغير ذلك، كقوله ﷺ في الصور يدل على المغايرة، وكذا حديث (الخصال) وستسمعه، فهو مجرد عن المادة والصورة ولا كذا النفس.

وأما قيام الدليل العقلي وإجماع الحكماء على المغايرة فظاهره في جميع الكتب - سبق شطر منها - فلم أدر أي داع له ودليله ذله على أن العقل النفس حتى ارتكب في التسمية كما سبق لنسبة إلى عالم القدس، ثُمَّ قَبْلَ.

قال: له مراتب وعدد الهيولاني والملائكة وباقي الأقسام، فهو حينئذ قوة النفس. وقد قال قبل: هو النَّفْس، إلا أن يقول مسمى بالعقل مجازاً لكون القوة العاقلة الحاصلة لها على مراتبها الأربع حاصلة لها. وفيه من الوهن ما لا يخفى.

كما أن قوله هذا بظهور معنى الحديث وانطباق معناه على حمل العقل فيه على النفس كذلك كما هو ظاهر لمن تأمل فيما سبق.

وبالمعنى الثاني: (هو حالة النفس) إلخ. التكاليفات اللازمة حينئذ كثيرة، والاعتراضات متظاهرة كما يظهر للمتأمل أيضاً مع أن المثاب والمعاقب ليس هو النفس وحدها، بل مع البدن وقواه إلا أن ينكر المعاد الجسماني، وليس القوة منشأ تكليف النفس، بل الأمر بالعكس وإلا كانت القوة أصل لها، فتكون النفس قوة من القوة، وهو لازم حق، وبطلانه واضح.

قوله: (وبالمعنى الأخير وهو الجوهر النوراني) إلخ. بل ما أوضحه فغير محتاج إلى مكلف كما يظهر من هذه المسألة وسابقتها.

أما حمله إكمال إشراقاته على النفس مع أنه جوهر قائم بنفسه، كما هو

فرضه حينئذ، فلا قائل به، بل تكون النفس حينئذ أحب له منه؛ لقوله: «أحب».

ومعلوم إرادة بيان أنه أحب قضية للإكمال المنصرف إلى الأكمل، ثم وكيف تكون جميع إشراقاته كاملة في النفس، فإذا كملت فيها بالفعل....^(١)، وليس كذلك لارتفاع الاقتباس حينئذ، وأبعد منه لفظاً.

ومعنى قوله: بأن ثوابه وعقابه ثوابها وعقابها، بل إذا كان ذلك لها باعتبار استضاء النفس منه، فلأن يحصل له أولاً وبالذات بطريق أولى.

وبالجملة: فبطلان كلامه ظاهر عن الطريقين غير ما أشرنا له، وفيه كفاية ولا حاجة إلى هذه التكلفات الواهية، ومن راجع كلامه، وجده متناقضاً غير منضبط القاعدة.

ثم ذكر بعد كلامه السابق وجهاً في حلّ الحديث،^(٢) ولم يعين قائله، بل عبّر بلفظ: (قيل: المراد بالعقل هنا العقل النبوي والحقيقة المحمدية، وهو الروح الأعظم المشار إليه في قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣)، وأحبّ الخلق إليه، استنطقه الله تعالى بعدما خلقه، فجعله ذا نطق وكلام يليق بذلك المقام، ثم قال له: أقبل إلى الدنيا واهبط إلى الأرض رحمة للعالمين، [فأقبل] وكان^(٤) روحه مع كلّ نبي باطناً ومع شخصه المبعوث ظاهراً، ثم قال له: أدبر، [يعني: أدبر] عن الدنيا وارجع إلى ربك، فأدبر عنها ورجع إليه ليلة المعراج، وعند أدبر، يعني^(٥): المفارقة من دار الدنيا، ثم أعلمه تشريفاً وتكريماً له بأن أحبّ الخلق إليه، وأكد ذلك بالقسم، ثم قال: «إياك أمر وإياك أنهى، وإياك أثيب، وإياك أعاقب».

(١) في نسخة (ب) فراغ بمقدار كلمة.

(٢) ما بين | | ساقط من نسخة (أ).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) في المصدر: فكان.

(٥) في النسختين بدون: يعني.

والمراد «بك أمر وبك أنهى وبك أعاقب» من جحدني وجحدك من الأولين والآخرين، «وبك أثيب» من عرفني وعرفك منهم، كُلّ ذلك لأنك سبب الإيجاد^(١)، «ولولاك لما خلقت الأفلاك».

والمراد^(٢): «إياك أمر وإياك أنهى» لأنك ملاك التكليف. «وإياك أعاقب» بحبسك في الدنيا مدة، ودخولك في المنزل الرفيع من الجنة. «وإياك أثيب بكما»^(٣) باعتبار غاية كمالك، وكمال قربك، ومنزلتك لدينا، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٤). والله أعلم بحقيقة كلامه^(٥).

ولم يتعرض بوجه، لكن كونه الروح المحمدي حق، لكن ظاهر قوله: إن إقباله وهو إنزاله النزول الحسي بعد إيجاد الموجودات وهو النقلة، وعرفت أن إنزاله إنزال وجودي وإبراز لمراتبه المتفاضلة النازلة دون نزوله في شبح حسي للتشريع، بل هذا لازم ذاك، إذ هو الوسطة في الأوائل والثواني، ثم وإذا كان إهباطه إلى الأرض لأجل الرحمة خاصة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦)، كيف يصحّ احتماله بعد.

(«وإياك أعاقب» بحبسك في الدنيا مدة). فإذا كانت حبساً له وعقوبة، فقد كان إنزاله لذلك لا لرحمة خاصة.

وأيضاً روحه روح القدس، ومعيتها وظهورها التام معهم خاصة؛ لأنها روحهم وما مع كل نبي فوجه منها ويختلف، ونهايتها مع شيعتهم وأوليائهم، حتى قال ﷺ لحسان: «مازلت مؤيداً بروح القدس ما دمت ناصرنا

(١) في المصدر: للإيجاد.

(٢) في المصدر: أو المراد.

(٣) لا توجد (بكما) في المصدر.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٥.

(٥) شرح أصول الكافي: ٧٢/١.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

بلسانك»^(١)، وقالوا ﷺ في غيره أيضاً، كما يظهر للمتتبع، وظاهر كلامه يعطي المساواة، وكلاً.

فالروح معهم ظاهراً وباطناً لا تفارقهم، والأنبياء ﷺ مؤيدون بهم سرّاً، وإن كانوا ظاهرهم ﷺ لأنهم مُقدّمات.

وغير خفي ضعف تفسير الإِدبار بِإِدباره ليلة المعراج أو عند مفارقتها أي: بالموت، فإن أراد كمال الإِدبار عنها بكل وجه، فلا. فإن أعمالنا تعرض عليه والإمام الخلف الساد مسده، المنصوب من قبله، موجود لا ينقطع حتى الساعة؛ لأنها سنّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ويجتمع الإمام ﷺ معه ﷺ في كل جُمعة فيفيض عليه كما هو ظاهر أحاديث الحجة من الأول والبصائر، وغيرها من كتب الأصول.

وإن أراد عدم الركون، وإن كان خلاف ظاهر عبارته، فهو متحقق له في كل وقت، بل قالوا: «لنا مع الله ربنا حالات» إلخ، وهذه غير العروج الحسّي، وهم حينئذ مدبرون عن الدّنيا، لباقي الحديث «لا يسعني» إلخ. ثمّ واستدلّاه بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، يدل على ما قلناه في النزول، فإن سبب الشيء يؤثر فيه لازمه، فليس إقباله نزوله بعد بروز مراتب للوجود الوجود، وإن كان معناه الحسّي كذلك.

لكن ورد لغير هذا المعنى في: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(٢)، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾^(٣)، بل كونه الأكمل والواسطة لكل يوجب ذلك بحسب التكوين أيضاً، وكذا تأمل وساطته وولايته، وفيما أشرنا له كفاية.

(١) خصائص الأئمة: ٤٢، أقسام المولى: ٣٥، الفصول المختارة: ٢٩١، كنز الفوائد: ١٢٣، موسوعة الغدير: ٦٥/٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة ق، الآية: ٩.

ويدلّك على بعض ما قلناه في شرح هذا الحديث الذي اشتمل على حكاية الوجود صعوداً ونزولاً، وعلى كمال فضل محمد ﷺ على جميع خلقه، كما يبطل كثيراً مما قاله أكثر الشراح.

هذا ما رواه الصدوق في (الخصال) مرسلًا، عن علي بن أبي طالب، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق العقل من نور مخزون مكتون في سابق علمه التي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينيه، والحكمة لسانه، والرفقة همّه، والرحمة قلبه، ثمّ حشاه وقواه بعشرة أشياء: باليقين والإيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق، والعطية والقنوع والتسليم والشكر، ثمّ قال عز وجل: أدبر. فأدبر، ثمّ قال له: أقبل. فأقبل، ثمّ قال له: تكلم، فقال: الحمد لله الذي ليس له ضد [ولا ند] ولا شبيه ولا كفو ولا عدل ولا مثل. الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ولا أطوع منك ولا أرفع منك ولا أشرف منك ولا أعز منك، بك أؤاخذ، وبك أعطي، وبك أؤحد، وبك أعبد، وبك أدعى، وبك أرتجى، وبك أبتغي، وبك أخاف، وبك أحذر، وبك الثواب، وبك العقاب، فخر العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده ألف عام، فقال الرب تبارك وتعالى: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع. فرفع العقل رأسه، فقال: إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه، فقال الله جل جلاله لملائكته: أشهدكم أنني قد شفّعت فيمن خلّقه فيه» (١) (٢).

إنه فرع غيره أو قوة منه أو معه غيره، بل لما عرفت قبل أن لما سواه من فاضله، والمؤمنون خلقوا من فاضل نور طينته، ومن أقر لهم وتبعهم فقد تحقق فيه قبس من نوره، وصحّ خلقه فيه، وعمّته شفاعتهم حينئذ.

(١) ما بين | من المصدر.

(٢) الخصال: ٤٢٧.

ولا شك في عمومها لمن تبعهم لأنهم الذي ارتضى الله دينهم، اللهم
 حقق ارتباط نفوسنا بشعاع نورهم إنك جواد كريم.
 [الاحتمال] التاسع: في مسائل متفرقة.

[معنى العوالم عند الحكماء]:

[المسألة] الأولى: الذي في عرف الحكماء تخصيص الخلق بعالم
 التكوين، وهو الأجسام، ومقابلة عالم الأمر، ويعنون به المجرد مطلق،
 وهو خلاف النصّ وصحيح الاعتبار، بل عالم الأمر هو الوجود المطلق،
 وهو عالم المشيئة، وعالم الخلق يشمل الوجودات المقيدة بتفاصيلها من
 العقل الأكبر إلى الإنسان الجامع العاقل، وهو محمد ﷺ، فهو الأول
 والآخر، كما ورد في خطاب الشمس لعلي عليه السلام وغيره.

وإذا سمعت في الأحاديث: «أول ما خلق الله»، فأطلق الخلق على أول
 المبدعات من الإبداع الثاني من المفعولات، يشتمل الجبروت، وهو
 المجرد، ومن العقول والأرواح والملوكوت، وهو عالم النفوس والملك،
 وهو عالم الأجسام.

والحق اختصاص الجبروت بالعقول، والملوكوت بالنفوس.

أما الأرواح فبرزخ بينهما، إن أضيفت إلى الأول كانت من الثاني، وهو
 الملوكوت لقصورها عنه، وإن أضيفت إلى الثاني كانت من الأول لعلوها،
 وهو البرزخ الأول، والبرزخ الثاني عالم المثال الواقف بين عالم الدّهر
 والزمان، وهو مقابل للدّهر بوجهته، وواقف على حدّ الزمان بظهره.

ومتى أطلق الدّهر فيراد به ظرف المجردات من المفعولات التقيديه
 كالعقول والأرواح والنفوس، والطبائع الدهرية، وقد يخصّ بالاختراع
 التكويني.

وأما الزمان: فظرف الكلية، والمراد منه عالم الأجسام وعالم الشهادة،

مبعثرات

أوله جسم الكلّ ومحدد الجهات، وهو الأطلس، وآخره الأرض المعروفة الظاهرة. والحقّ عدم دخوله في ظرف الدهر وسكانه غير سكان ذلك.

وأما السرمد: فهو ظرف عالم الأمر، أي: المشيئة والوجود المطلق، والكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر^(١)، وصبح الأزل، والنقطة المجللة بالسرّ المجللة بالسر المجللة بالسر، وهي النفس الرحماني، والوجود المنبسط الظاهر في كل بحسبه، وهو جهة العقل الكلي اليميني، وقلب محمد ﷺ، لأنه فعل الله وإرادته، وعنهم ﷺ: «نحن محال صفات الله»، و«نحن محال مشيئة الله»، ولا تمايز بين الفعل والمفعول وجوداً، وقيامه بالواجب قيام صدور، وهو رتبة الأربعين وأزل الآزال، ويعبر أيضاً بمنقطع الإشارات؛ لنص: «كلما توهمتوه فهو مخلوق» إلخ^(٢)، ومجهول النعت، لأنه ذاته، والوجود البحت، إذ ليس للواجب تعالى وجود وماهية، بل وجود أحدي خالص، أوليته عين آخريته، وآخريته عين أوليته، ولا تتوهم من قول ظرف عالم الأمر السرمد وظرف المجرد الدهران هنا ظرفاً ومظروفاً؛ لعدم صحّة ذلك، وإلا لم يكن مجرداً، ولم يكن عالم الأمر محيطاً بالكل، ولزوم الفضاء الموهوم، وقد حاله النص والعقل.

ولكنني أردت رتبة الوجود، حيث كانت جميع هذه الوجودات المقيدة معلولة، فهي مفاضة، عبّرت بالظرفية قضية للمعلولية وإعلاماً بقصور الرتبة، ولذا في الواجب لم أعبر بالظرف، بل قلت: رتبة ألا تعين، مع وجوب تنزيهه تعالى عن تقييد العبارات وما يلزم من الإشارات، أو أزل الآزال أو منقطع الإشارات إلى غير ذلك؛ لجريان جميع ذلك في المراتب الوجودية التقييدية. فتدبر، هدايا الله وإياك لمحض الحق.

(١) مستفاد من دعاء السمات المذكور في مصباح المتعبد: ٤١٩، المصباح: ٤٢٥.

(٢) عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم» بحار الأنوار: ٢٩٢/٦٦.

إشارة:

[ال]عالم المادي إذا لطف وخفت وشف وألقى عنه ما لطف زمانه، وظهر بنوعية الدّهر والتحقيق بسكانه لصلوحه لذلك بالقوة، كشف الصالحة للخروج فعلاً، وإن كان تدريجاً.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الْدِّينِ﴾^(١)، على بطن التأويل، وقال عليّ عليه السلام في النهج: «تخففوا تلحقوا»^(٢)، على أحد الوجوه، فإن كلمتهم تنقسم إلى نيف وسبعين وجهاً، ولها ظهر وبطن، وحدّ ومطلع، وقال عليه السلام كما في إرشاد القلوب وغيره في العالم العلوي: «وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل، فقد شابّهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد شابّهت السبع الشّداد»، تأمل في المشابهة والفرق بينهما، سلكن الله وإياك في عدد أوليائه، ونظام أحبائه.

[إطلاقات الخلق]:

[المسألة] الثانية: اعلم - رحمك الله - إن الخلق يطلق على التقديري وعلى التكويني مطلق الإيجاد بما يشمل التكويني وغيره، إن خصّص التكوين بالتدوين، وهو عالم الأجسام المتحدة.

والمراد بالخلق هنا - كما عرفت - الخلق الإبداعي الأقوى لا التقديري، فإنه ضعيف، ولا مزية لهذا العقل به على غيره، مع أنه إنما يجري ويظهر فيما تظهر فيه الأشياء السبعة، التي لا يكون شيء في السماء ولا في

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.

(٢) روضة الواعظين: ٤٩٠، مناقب آل أبي طالب: ٣٢٦/١، شرح نهج البلاغة: ٣٠١/١، رقم

(٢١)، نهج البلاغة: ٥٨/١، رقم (٢١).

الأرض إلّا بها^(١)، كما ستعرفها في [كتاب] التوحيد^(٢)، وهي التوحيد، وهي وإن كانت مراتب وجود لكنها متفاوتة قوة وفعلاً، قريباً وبعداً.

أمّا في عالم الإبداع وسكانه فتجري السبع فيه، أن أريد جريانها باعتبار اختلاف الجهات الوجودية. فافهم.

أما التكويني التدريجي: فعدم إمكان إرادته هنا ظاهر لا سترة عليه.

[التجدد الزماني في الظاهر]:

[المسألة] الثالث: قد عرفت إن إقبال العقل عبارة عن مرور المراتب الوجودية التفصيلية منه وبه وفيه من أشعته أو من عكوس آثاره بالنسبة إلى قبضة الشمال، وقد عرفت عدادها إجمالاً قبل، فتعقيب قول: «أقبل» بالفاء الدالة على الاتصال بغير مهلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، صريح في أن إيجاد الأشياء بحسب الكليات، وبروزها لم يقع على سبيل التدرّج والتأني، بل في أقل من لمح البصر وجدت النفوس والعقول الكلية، والسموات، وإن وقع بينها التقديم بالرتبة، وإنما التدرّج في عالم الزمان، فأصل وجود العالم منه ليس كوجود الدار من البناء، الذي هو من قبيل التأليف والتركيب، وإلا كان مع الله غيره، ولم يكن إبداع واختراع موجود لا من شيء.

ولا أيضاً كوجود الكتابة من الكاتب الثابتة العين المستقلة ظاهراً، ولا بانفصال شيء منه، ولا بمعالجة ومزايلة بذاته، بل بفعله وبفضل نوريته وكمال جوده.

(١) في الكافي: ٣٦٦/١، باب ٢٥ في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلّا بسبعة من

كتاب التوحيد، حديث رقم (٢/٣٨٦).

(٢) هدي العقول: ٢٤٥/٧ - ٢٦١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٠.

وقصارى ما يمكن في التمثيل أن يقال: كإشراق شمس وأشعتها على الأكوان في أقل ما يمكن من زمان طلوعها يعمّ الأكوان أشعتها، وإن تفاضلت، لكن يجب أن تعرف ذلك بعد أن تجعل نفس الأشعة بمنزلة الموجودات التقيدية من العرش الكلّي الغيبي إلى العرش، لا أن هنا مضيئاً وضوءاً ومستضيئاً بالضوء، بل الضوء والمستضيء واحد، فإنك لا تجد ترتيباً زمنياً وتخللاً تعقيباً بين الأشعة مع ما بينها من المراتب وأبعدها.

وحينئذ فليس ستة الأيام المشار إليها في القرآن^(١) بوقوع خلق السماوات والأرض فيها الزمان، ولا إشارة إلى كونه تدريجي، بل إلى مراتب وجودية، إلا أن تخصص بالماديات، فيصح في بعضها تدريجياً لكنها في الزمان تطابقها، فالسنة محفوظة في كل عالم، وسينكشف لك^(٢) في مجلد التوحيد - إن شاء الله تعالى -

وليس أيضاً الضوء بجزء منفصل من الشمس، بل بظهورها بفعلها له به، ولا تحقق له في مقامها بوجه مطلق، ولا تأخذ من مثالي الجبر، فإن الله مختار اختياراً أجلاً وأعلى مما يتصور، وأقوى من اختيار المتكلم المخلّ ونفسه، ولا يصح عليه الغيبة بوجه، ولو أمسك لتاه الأكوان، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٣)، فالله^(٤) [يمسك بهم في] أقل من لمح البصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٥)، صب الوجود وفاضت، صبة واحدة ولا حركة ولا زمان، ولا تنقل ولا حدثان، ولا في حيز الإمكان، بل قبل القبل بلا قبل، وبعد

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤، سورة يونس، الآية: ٣، سورة هود، الآية: ٧، سورة الفرقان، الآية: ٥٩، سورة السجدة، الآية: ٤، سورة ق، الآية: ٣٨، سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) لك: غير موجودة في نسخة (ب).

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٠.

(٤) هكذا في النسختين.

(٥) سورة القمر، الآية: ٥٠.

البعد بلا بعد فعله، وكل في مقام وجوده كوناً أو إمكاناً، وهي وحدة أمرية ولا أزلية ذاتية^(١)، فلا تحقق للأشياء في الأزل بوجه مطلق، ويتعدد إلّا بمقارناته، وجهات ظهوراته، فيتعدد المفعولات، فكان بعضه زمانياً ظرف المتغيرات والمتجددات، والحركة التي هي مقدار الزمانيات، إذا لوحظ بعض لبعض لا إذا لوحظ للواجب، فليس عند ربك صباح ولا مساء، ولا أين ولا متى، فالأمر في جانب الواجب واحد، لكن ليست بوحدة انقطاعية وانفصالية، بل افتقارية أيضاً حال الوجود لها، فهي دائماً مفتقرة للمدد وهو الفيض، فصَحَّ التجدد الزماني في الظاهر، وصَحَّ ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ﴾^(٣).

[في الزمان الظاهري والغيبى]:

فالزمان في ظاهر الظاهر معروف، وفي باطن الغيب، عبارة عن: عدم انقطاع المدد. فإن الممكن مطلق لا غنى له عن الواجب تعالى بطبعه مطلق، فبطل قول اليهود، فروى الصدوق في (الفقيه) وغيره^(٤) أيضاً، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٥)، قال: لم يعنون إن الله هكذا، ولكنهم قد قالوا: إن الله قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٦)، ألم تسمع أن الله يقول: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٧).

(١) ذاتية: من نسخة (ب).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٤) التوحيد: ١٦٧، معاني الأخبار: ١٨، نور البراهين: ٤١٩.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

فانقلعت^(١) شبهة القول بنسبة المتجدد الزماني للمبرأ عنه وشبهة اليهود وأمثالهم، واحتفظ على هذه المسألة فإنها تنفعك في مواضع من التوحيد وإن اختصرناها هنا.

ثم ولعلك - إن هداك الله وإيانا بهداه - تقول مسترشداً: قد أفدت ووجهت كيفية الصدور بما نزهت به الواجب تعالى عن التآني والتجدد، وكيف وجود الأفضل يستلزم وجود فاضلة لزوماً، إذ الأفضل والعلّة التامة لا يتخلف أثرها عنه، فما توجيه: كان محمد ﷺ مخلوقاً قبل السماوات وغيرها بألفي عام.

وورد غير هذه النسبة أيضاً، وورد في بيان كيفية ترتيب الموجودات خلق الماء، ثم أرسل إليه الهواء، فأثير دخاناً فأزيد، ثم خلق من الدخان السماء ومن الزبد الأرض، الحديث، وقد كان العرش على الماء^(٢)، وغير ذلك من الروايات، إن الله قادر أن يخلق السموات والأرض دفعة ولكن خلقها في ستة لتستدل الملائكة بذلك، ولتأتي في الأرض - ولتسمعها في كتاب التوحيد، في الكلام على أول سورة الحديد في مخلوقات الدهر - وبظاها تدل على التراخي والتآني في ذلك الخلق، فكيف التوفيق بين منطوقها والدفع وقوع التي أشرت لها وجعلتها أعظم وأعلى من الدفع الزمانية، حيث إنها سابقة.

والزمان عرض لبعض الأجسام باعتبار نسبة بعضها لبعض. فاستمع لا زلت مسترشداً لما أشكل عليك.

أما الحديثان الأخيران فخلقه لهما تدريجياً؛ ليستدل بها الملائكة أو

(١) قلع: القلع: انتزاع الشيء من أصله، قلعه يقلعه قلعاً وقلعه واقتلعه واقتلع واقتلع. قال سيويه: قلعت الشيء حولته من موضعه، واقتلته استلبته. راجع: لسان العرب: ٢٩٠/٨، مادة (قلع).

(٢) التبيان: ٤٥٢/٥. بحار الأنوار: ٢٠٧/٥٤، رقم (١٦٠).

التعلم التآني، فهو أعم من أن يكون بالتفاوت بالذات وتفسيرها، فإنه إذا تفاوتت الأجزاء وإن لم يتخللها زمان يقال بأنها شيء بعد شيء إشارة إلى التأخر الذاتي.

[إشارة إلى معنى الستة]:

والستة إشارة إلى ست مراتب وجود - ستسمعتها - فتحقق التآني والاستدلال، وهذا استدلال عليه بالآفاق وإلا فالملائكة يعرفونه بنفوسهم، فهو دليل عليه أيضاً نصاً وعقلاً، بل من أقوى الأدلة. ودليل آخر، وهو أن المقيّد بالستة المبرز تدريجياً إشارة إلى ظهور خلقها الكمالي بما أودع فيها بسرّ إشراقات الغيب عليه.

[المراد باليوم]:

ويراد باليوم: يوم الربوبية، وهي لم تكن كاملة بالفعل حتى رجع العود إلا برجوع عالم النبوات؛ لأن محمداً ﷺ من أشراط الساعة، كما روي، وعنه ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١). ومعلوم في ذلك آخر لتجدد الشؤون؛ لنص ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢). والمراد باليوم مطلق الزمان.

[معنى آخر للحديث]:

وجواب آخر: وهو أن العالم بقضه لكمال افتقاره حال وجوده تدريجي الوجود وكلّمًا كان كذلك، فزمان حدوثه زمان وجوده، فهو متجدد، ولم أدر بالتجدد الزماني بمعاني الحركة الثلاثة؛ لعدم صحّة هذه الإرادة، فيكون

(١) أمالي المفيد: ١٨٨ و ٢١٢، أمالي الطوسي: ٣٣٧، حلية الأبرار: ٢٦٣/١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

بكله بمنزلة الشخص وله الست، فصَحَّ القول: بأنه خلق في ستة أيام، ولا حاجة إلى قول من حمدت طبيعته على الزمان وأحكامه إلى أن جعل الستة مقدرة في مدة أو قضائه لو قدر بهذا الزمان، كان مقدار ستة، أو لو فعل غيره احتاج إلى ذلك المقدار للزوم وجود الزمان حال فرض عدمه، وهو تناقض على الأول وبطلان على الثاني بديهي، لو اجتمعت الأنس والجن على أن يخلقوا عشر عشر معشار جزء منه مقدار الدهور ما أمكنهم، ولا قائل بالأخير منّا مع منافاة جميع ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ﴾ الداخل فيه البداية من أولها، ﴿وَلَا بَعَثُكُمْ﴾ هو قوس العود، ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ الدال على وقوع تلك وقعة.

ولا تحمل الآية وما مائلها على المبالغة اللغوية التخيلية، فالله أجل أن يستعملها، بل تعود إلى الكذب بالآخرة والإخبار بما ليس عليه الأمر بأنه عليه، فكأنك بطلب الدفعة المنفي خلقه تعالى لهما فيها، وعدم تعلق مشيئته بالإيجاد فيها.

فنقول: هي الزمانية، فأصل مشيئته منزهة عن الزمان لما عرفت في المسألة الأولى وغيرها، أو إخراج كمالها بحسب المواليد الثلاثة، وهذا لكمال المتجدد، لم يرد. وإنما كان المطابق للحكمة بحسب علمه بالأشياء قبل وقوعها، أن يكون هذا العالم ظاهراً تدريجي، متوقف على زمان واستعداد، وسبق سرّه بالإشارة، فالتأمت الروايات والآيات.

وأما الروايات السابقة، فإشارة إلى التقدّم بالرتبة، فالألف والألفين إشارة إلى الدرّج الكلية أو إلى تعيين مقدار النسبة بين كل سافل وعاليه، كما مرت الإشارة لك بالتباين بين مراتب الشعاع مع الاتصال، وكيف يكون كذلك، وستسمع في التوحيد نصّاً وعقلاً ما يدل على ارتباط العالم ارتباطاً^(١)، | سبب بمسبب، وبعضه ببعض محيط، وكذا الأشياء ممسكة

(١) في نسخة (ب): ارتباط بعضها ببعض.

بعضها ببعض^(١)، وفي حديث هشام في الرؤية، وفي (الاحتجاج) أيضاً، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات، وبديهة منافاة هذه الروايات المتواترة معنى كما قام عليها الدليل.

كذلك لوقوع التفكيك والتراخي في عالم الإبداع والاختراع، والتقدم بالأزمان والأصقاع.

كيف، ولو تقدم المعلول الأول به على من سواه ممن دونه لم يصح ما روي عنهم في كتب (الأصول) وكتب (الفضائل)، «كنا نسبح حيث لا سماء ولا أرض ولا زمان ولا مكان».

وكذا الواجب منزّه عن جميع ذلك، إلا أن يثبت معه تعالى زمان مساوق أو مسابق عليه، ولا مفرّ عن ذلك؛ لرجوع الأمر ولو بالآخرة إليه.

فتأمل، فقد طويت لك واكتفيت بالإشارة بالدليل والرواية طلباً للاختصار، ورد المتشابه للمحكم، فإنه جارٍ في كلامهم كالقرآن، فزال الإعضال وظهر السرّ في التعبير عن قوس النزول والصعود بوحدة الإقبال والإدبار في لفظ المقال، وإن كان بحسب التفصيل والقوالب متكرر الرتب ومتفاوت الدرج بما لا يعلمه إلا الله، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٢).

هذا ما حضرني من الكلام على هذا الحديث بما اقتضاه الوقت والواردة، ومن الله أستمّد الزيادة والتأييد، والتأمل والإنصاف من الناظر مقصود، فقد اكتفيت بالإشارة في مواضع.

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

(٢) سورة البروج، الآية: ٢٠.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الثاني]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى آدَمَ (١) فَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَأَخْتَرْتُهَا وَدَعَيْتُهُنَّ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا جِبْرِيلُ وَمَا الثَّلَاثُ؟ فَقَالَ: الْعَقْلُ، وَالْحَيَاءُ، وَالذِّينُ، فَقَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ لِلْحَيَاءِ وَالذِّينِ: انْصَرِفَا وَدَعَاهُ، فَقَالَا: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ، قَالَ: فَشَأْنُكُمَا وَعَرَجَ (٢)».

[شرح الحديث: اختيار نبي الله آدم العقل]:

أقول: وفي كتاب (المصابيح من محاسن) البرقي (٣)، وفي (الخصال) (٤)، و(أمالِي) الصدوق مثله (٥).

والمراد بالعقل فيه المستفاد أو الفعل، أو ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، والتخيير لا يدل على عدم حصوله قبل. كيف وقد نزل عليه

(١) في النسختين من المخطوط: إلى.

(٢) في النسختين المخطوط: فعرج.

(٣) المحاسن: ١٩١/١، رقم (٢).

(٤) الخصال: ١٠٢.

(٥) أمالي الصدوق: ٧٧٠.

جبرائيل، فلا بد وأن يكون بعد معرفته الأسماء. وقيل له: اختر، فاختار، فليس التخيير إلّا بمعنى إظهار تفاضل الأشياء، ولزوم بعض لآخر وخصاله؛ ليرغب العادم له في تحصيله ويتمسك بأذياله.

وكذا استفهام آدم لجبرائيل عن الثلاث لا يدل على عدم معرفتها، فهو يقع لمزايا آخر الاستعلام، وذلك ظاهر. أو يقال: هو داخل فيما لم يكن، ولا ضرر فيه بالنسبة لغيرهم ﷺ.

وأما معنى الحياء والدين فسيأتيك في جنود العقل، إن شاء الله تعالى.

وقولهما: «إنا أمرنا أن نكون مع العقل» إلخ، صحيح صريح في نطق القوى، وهو بلسان الوجودي، وهو أعمّ من المقالي عكس اللسان اللغوي، ومعلوم نطقهم، كيف، وهم قوى للعقل لازمة له، وهو دراك. أليس نطق الجوارح وغيرها ثابت؟ فلا حاجة إلى ارتكاب ما قاله أكثر الشراح من اللسان الحالي المجازي، أو استعارة تمثيلية، بل جعلوه كذلك، فإنها تخمينات لا دليل عليها.

وفيه دلالة على أن القوى إنما أصل تكليفها الكون مع العقل والطوع له، حيث إنه الجهة العليا والمنادي من جانب الطور الأيمن، ولذا قالوا: «إنا أمرنا»، أي لم نؤمر بخلافه قضية للحصر، فعملهم بخلاف ما يقتضيه عصيان وخروج عن مقتضى الفطرة، وجبرائيل ﷺ وإن كان عالماً بلزومهما له، واللازم لا يتخلف عن ملزومه، بل حيث ما تحقق تحقق اللازم، ولكن لإظهار استنطاق طبائع القوى وإقرارها له حتى يكون على بصيرة وليظهر شرفه زيادة، وإن له الرياسة، وهو أخذ عهد.

وقوله: «فشأنكما». دليل على تخلية كل واختياره، وربما يستأنس بقوله ذلك على علمه باللزوم قبل.

والشأن: الأمر والحال والقصد، وهو منصوب بالزوم، أي: ألزما شأنكما، أمّا الضمير في دعاه فعائد للعقل، إذ التخيير واقع بينه وبينهما، وهما لا زمان له. أما احتمال عودة لآدم فضعيف.



[شرح الحديث الثالث]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: مَا الْعَقْلُ؟ قَالَ: مَا عُيِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجَنَانُ، قَالَ: قُلْتُ: فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ؟ فَقَالَ: تِلْكَ النَّكَرَاءُ تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ».

[شرح نص الحديث: المراد بالعقل]:

أقول: روى في (معاني الأخبار)^(١) و(المحاسن) مثله^(٢).
والمراد بالعقل هذا، العقل النظري والعملي، وقد عرفتُهما بمراتبهما قبل الحديث الأول.

ف«ما عبد به الرحمن» إشارة للقوة النظرية، واكتسب به الجنان للعملية.

[قوى النفس]:

واعلم: إِنَّ الإنسان لنفسه قوتان: عالمة، وعاملة. متلازمتان، لا ينفك أحدهما عن الآخر بخلاف سائر الحيوانات؛ لقصورها وبعدها عن الجمعية والقوة العاملة، قد يكون حس مدرك بكسب أو بغيره، وقبيح كذلك أيضاً.

(١) معاني الأخبار: ٢٣٩.

(٢) المحاسن: ١٩٥/١، باب العقل، حديث رقم (١٥).

ولا شك في توقف المكتسب على تحصيل مقدمات الاكتساب، بل بملامة، فإن كانت القوة طوع العقل سلكت الحسن وطريق اكتسابه، وتكون حينئذ مستقيمة مطمئنة وإلا خرجت للجريزة والاعتقادات الباطلة، والحيل والمكر والخدع، وانهمكت في الأفعال والأعمال الزائلة لعصيانها، كالتى في معاوية - لعنه الله -.

[معنى نكراء]:

وتسمى حينئذ: نكراء، بالمد وفتح النون بعدها ساكن. والتكر بالضم وبضميتين المنكر وما يقبّحه العقل والشرع، فإنه لا يجب ظهور قبح كل جزء جزء عقلاً، بل الواقع بخلافه، فلا ينافي ثبوت الحسن عقلاً^(١).

وتسمى أيضاً بالجريزة والدّهاء، ومن تكون فيه لا يسمى عاقلاً لا شرعاً ولا عند الحكماء، وإن سمّته العامة كذلك لنظرهم لما تحت أرجلهم. أما العقل المقابل للرشد الذي يوجب حصوله رفع الحجر المالي عنه، وإن كان فاسقاً أو منافقاً فليس بمعترض له هنا، فإنه متحقق فيه وإنما المسلوب عنه.

[معنى: ما عُبد]:

قوله: «ما عبد» إلخ، فينتج من ذلك أن يكون حينئذ شيطان من شياطين الإنس، وهو كذلك.

وشرح مكره وخدعه، وعدم وفائه، بل وكفره غني عن البيان بالاشتهار، كما يظهر لمن راجع (شرح النهج) لابن أبي الحديد^(٢)، وكتب أحاديثهم وسيرهم، فضلاً عن كتبنا.

(١) راجع: لسان العرب: ٢٣٢/٥، فصل النون، مادة (نكر). وتاج العروس: ٥٥٩/٧، مادة (نكر).

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٨٧/١.

[أصل خلقه هذه القوة]:

واعلم إن هذه القوة من جنود الجهل، وشرك الشيطان، ولما كان وجوده عرضاً من شمال العقل، وجعل له جنوداً كالعقل، وجعله مختاراً فالقوة صالحة للأمرين ولاكتساب السبيلين، فكل قوة وجند يصلح للداعين، وإن كان أصل خلقه للخير وطوع العقل، لكن حصول ذلك وكماله بكونه صالحاً لهما مع عموم الوجود لكل.

[معنى: شبيهة بالعقل]:

قال عليه السلام: «وهي شبيهة»، أي: إما نوع شبه بالعقل ولا يلزم من ذلك كونه مثله أو مشتبهاً، فقد يشارك الضد الآخر في صفة أو جنس.

وجه الشبهة في الجملة عرفته «وليس بالعقل»؛ لعدم وجوب ذلك له ولزومه، بل ولا يلزم الاشتباه الموجب لعدم التمييز، فالشبيه غير المشتبه ولا حاجة إلى جعله بمعنى المشتبه بالغير، ونجعله خاصاً بالجاهل غير المميز، فإن ذلك المشبه العرضي يوجب للجاهل تسمية ما صحبه عاقل أي ذو قوة محصلة مكتسبة وإن لم يسم به عقلاً من كان كذلك ولا نقلاً.

والسائل وإن سأل عن حقيقة العقل ولم يعين له عليه السلام قسماً من أقسامه، لكن جوابه عليه السلام دلّ على أن مراده ذلك، فإن أصل الجواب المطابقة، مع أنهم عليه السلام يعلمون ما في النفس بالتوسم وغيره. وإطلاق العقل على القوة حقيقة كما سبق.

[شرح ملا صالح في معرفة العقل مطلقاً]:

فقول الشارح محمد صالح: ((سأل) سائل عن معرفة العقل مطلقاً، سواء كان حقيقياً أو رسمياً أو لفظياً أو عن حقيقته، وأجاب عليه السلام ببعض خواصه وأغراضه المقصودة منه؛ للتنبيه على أن معرفة هذا هو الأهم والأسهل [له]

دون [معرفة] حقيقته [وإشعاراً] بأن^(١) [عرفان حقيقته] متعسر^(٢) جداً فلا يحصل^(٣) [له] بسهولة، ولهذا^(٤) اختلفت العلماء [فيها، وتحيرت عقول] الحكماء^(٥).

لم يختلفوا في تحديدها ولا في إثباتها، وإنما اختلف فيه أشباه العلماء وليسوا بهم.

ثم قال رحمه الله: (ويمكن أن يكون إشارة إلى العقل بالمعنى الأول [والأخير أيضاً؛ لأن مقتضى] النفس من حيث التجرد وعدم معارضة الأوهام وسائر القوى البدنية، ومقتضى الجوهر النوراني المجرد عن شوائب المادة من جهة إشراقاته على النفس عبادة الرحمن واكتساب الجنان كما يشهد به الذوق السليم، ولما كان هذا الجواب من الخواص الشاملة للعقل من شأنها عدم تخلفها عما هي خاصة له، وقد تخلفت ههنا [عما] في بعض [الأشخاص] مثل معاوية من مناط التدبير والتصرف في الأمور الدنيوية الموجبة لبعده عن عبادة الرحمن واكتساب الجنان، والناس يسمونه عقلاً وصاحبه عاقلاً. سأل ثانياً^(٦) حيث «قال: قلت: فالذي [كان] في معاوية»^(٧).

وأقول: أما ثبوت النفس فلا خلاف فيه عقلاً ونقلاً، وكذا تجردها، ولا عبرة بمن نفى المجرد، فقد خالف ما تشهد فطرته بثبوتها.

وأما كونها تسمى عقلاً، وهي كما فسر به الحديث السابق أولاً

(١) في النسختين: فإنها.

(٢) في النسختين: متعسرة.

(٣) في النسختين: تحصل.

(٤) في النسختين: ولذا.

(٥) شرح أصول الكافي: ٧٤/١.

(٦) في النسختين: عنه.

(٧) شرح أصول الكافي: ٧٤/١.

فباطل، وسبق، بل لو فكر في وجه تسميته لها به، وهو بكونها عاقل، أي: ذي قوة لكان المعنى الثاني، فجعله معنى ثانياً غلط.

نعم، قصاره بأنه رجوع إلى القول بأن أسماء العقل النظري واقعة على النفس، كما مرّت الإشارة إلى هذا الخلاف في التنبيه الثاني في عداد أقسام العقل، لكن هذا لا يوجب الاثنية عند قائل أصلاً، وأغرب منه احتمال إرادة المعنى الأخير منه، مع أنك عرفت أنه عقل الكل، وهو عقل محمد ﷺ، وقد جمع جميع الخصال، وأنه ليس بذي أفراد متعددة، وإن كانت جميع معاني العقل من فاضل طينته وخاصته الخاصة به، وهو العقل بالفعل، بل فعلية أقوى فعليات العقول لا تتخلف عنه، وإن أمكن بحسب اختيال مظهره وجامعه وقدرته فهي لا تقتضي الوقوع. فلا يقال من شأنه عدم التخلف، وقد تخلف في هذا الفرادى معاوية وقبيله، ولذا سأل عنه، فأين ذوو نفس الإيمان؟ وهذا العقل الذي لم يكمل إلّا فيمن أحبّ، فضلاً عمّن عدمها وجمع مراتب الطغيان... إلى أن قال ﷺ: «تلك الشيطنة» فيعله^(١) من شطن عنه إذا بعد، ومنه الشيطان؛ لبعده عن رحمة الله [سبحانه]. والمراد بها: رؤية نفسانية تكتسب بها أعمال الجاهلين^(٢).

[معنى: شبيهة بالعقل]:

ثم قال^(٣): «وهي شبيهة بالعقل» في إنها حالة للنفس، وقوة محرّكة لها إلى منافعها، كما إن العقل كذلك. توضيح ذلك: إنّ العقل قوة نورانية، شريف الذات، نقيّ [الجوهر]، يدعو [إلى ملازمة] العلم والعمل واكتساب المنافع الأخروية... والشيطنة قوة مظلمة كدرة، تدعو لملازمة الشر

(١) هكذا رسمت في النسختين ولعل الصواب: فلعله.

(٢) شرح أصول الكافي: ٧٥/١.

(٣) يعني به (قال) المولى محمد صالح المازندراني: ٧٥/١ - ٧٦.

واكتساب المنافع الدنيوية الموجبة للشقاوة السرمديّة، وكلما زادت، زادت ظلمتها، عكس العقل، حتى يصير ظلمة محصنة، لكن لما كان التمايز بينهما ومنافع العقل من الأمور المعنوية، ومنافع الشيطنة ورؤيتها من الأمور الحسيّة، صارت الشيطنة شبيهة بالعقل، بل عقلاً عند الجهال (وليست بالعقل) ولا شبيهة به عند أهل [الفضل و] الكمال، فالجهال لفقدان بصيرتهم عن تلك [القوة النورانية وعميان سريرتهم عن مشاهدة تلك الروية الربّانية] مع سماعهم بأنّ للإنسان عقلاً هو مبدأ الفطنة والروية، يضعون اسم العقل في غير موضعه ويسمّون هذه [الروية] النكراء، و[هذه] الفطنة العمياء عقلاً، ويعدّون معاوية - لعنه الله - من [جملة] العقلاء، و[أما] أهل [الفضل و] الكمال [فإنّهم] يعرفون بنور البصيرة، أنّ بين تينك القوتين تبايناً بحسب الذات والصفات؛ لأن أحدهما نور والآخر ظلمة، وبين الحركتين تمايز، وكذا الفرضين لا يتمايزان بحسب البداية، إنما هو بحسب النهاية والاستعمال.

وأيضاً: تمايزهما ليس بسبب تعلّق الشيطنة بأمور الحسيّة والعقل بأمور المعنوية، بل لتعلقه بتحصيل معرفة الرحمن واكتساب الجنان، وتلك بما يؤول للنيران.

وأما الشيطنة فهي عند الجهال عقل لا شبيهه به، ولا يبعد أنها عند العقال شبيهة به لقوله ﷺ: «وهي الشبهة بالعقل وليس بالعقل».



[شرح الحديث الرابع]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، قَالَ: «سَمِعْتُ الرَّضَا عليه السلام يَقُولُ: صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ».

[شرح نص الحديث: العقل هو الصديق]:

أقول: لما كان العقل والجهل منشأ الخير والسلامة، والعطب والهلكة. والصديق ما يحب لصاحبه الخير ويدلّه عليه ويشير به، والعدو بخلافه. والعقل والجهل كذلك، فالعقل الصديق، وأصلها من العقل، ولا يستبد برأيه، بل يشاور من هو أعلى منه، بل ومن دونه، فلعل يخطره ما لم يخطره ويستطيب به نفسه، وغير ذلك.

أما من يستبد بعقله دائماً فحمق، وسفه، وغرور، وليس بعاقل، فلا ينافي الأمر بالمشاورة وغيرها.

أما العقل الكامل فيتحقق فيه ذلك، بل كل امرئ عام، فالعاقل الكامل كذلك، والناقص عقله صديقه أيضاً؛ لأنه يدلّه على المشاورة والاستعانة وإلا فذو غرور وحمق، وليس بحكيم.

كيف والعقل عقال، ليس بمختال وختال، بل العاقل يمكنه أن يصاحب ويدخل كل من كان حتى العدو وإن زايله بباطنه بخلاف الجاهل، فلا يمكنه إلا أن يتحمّله العاقل فالعقل هو الحامل.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

ويدل الحديث أيضاً: على إن الإنسان لا يتخذ الجاهل صديقاً؛ لأنه عدو نفسه، مورد لها الهلكة والبوار، عاجلاً وآجلاً، فكيف غيره، فهو بطريق أولى مع أنه ليس من العقل، وصفات العاقل اتخاذ الجاهل صديقاً. نعم، يتخذ العاقل فإنه يحب لغيره ما يحب لنفسه ويجنب صديقه الطريق المضّر.

ومن صفات العاقل أيضاً: فإنه مجانس له ومماثل، فيحصل وتتحد النفوس، ولا كذلك الجهل، فلا مناسبة بين التراب والتبر. والأمر باتخاذ العاقل صديقاً يدل عليه الحديث مطابقة لدخوله في الصداقة؛ لأن دلالة بالإيماء وذلك ظاهر، وستسمع في الجزء الثاني الأمر نصاً، وتجنب الجهال، ومتن هذا الحديث متكرر في كلماتهم وكتب الحديث.

ومن كلمات علي عليه السلام: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(١)، وعنه عليه السلام: «لا داء أعيا من الجهل»^(٢).

(١) عوالي اللآلي: ١١٨/٤، برقم (١٨٧) عن النبي ﷺ.

(٢) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين: ٧٠. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٥٤٠/١.



[شرح الحديث الخامس]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا لَهُمْ مَحَبَّةٌ وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعَزِيمَةُ، يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ: «لَيْسَ أَوْلَيْكَ مِمَّنْ عَاتَبَ اللَّهُ، إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَرِبُوا بِتَأْوِيلِ الْأَبْصَرِ﴾»^(١).

[شرح نص الحديث: العقل بمعنى القوة]:

لما توهم ابن الجهم^(٢) إن العقل بمعنى القوة، سواء كانت نظرية أو عملية ليست بمختلفة شدة وضعفاً، قال: إنا نجد قوما يحبون أهل البيت، ويقولون بهذا القول من الولاية، ولكن ليست لهم تلك العزيمة، أي: العزيمة الكاملة في اليقين والنظر واستدفاع الشبهات، فكيف يكون كذلك، وهم عارون؟ فأجابه عليه السلام: بأن الله لم يخاطب هؤلاء بما أشرت له؛ لأنهم بعد في أول الدرجات.

نعم، إذا استبقوا شملهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِبُوا بِتَأْوِيلِ الْأَبْصَرِ﴾^(٣)،

(١) سورة الحشر، الآية: ٢.

(٢) ذكره النجاشي في رجاله: ٥١، والطوسي أيضاً في الرجال: ٣٥٤، وصنفه ضمن أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

جمع بصيرة، وهي القوة الباصرة القلبية، وليس الكل كذلك، فلا يضرهم ويخرجهم عما هم عليه [ل]عدم حصول هذا التصميم والعزم لهم. والناس درجات، بل الدرجات أجزاء وأقسام، ولم يوجه الأمر بالاعتبار القلبي للكل، بل لذي البصيرة المنفتحة، بدليل قوله تعالى: (أولي الأبصار) وليس الكل كذلك.

والإشارة بتلك، أما للمرتبة الكاملة الذهنية أو تكون من...^(١) [عن] عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «صحب موسى بن عمران عليه السلام رجلاً من بني إسرائيل لطول سجوده وسكوته، فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا وهو معه، فبينما هو يوماً من الأيام في بعض حوائجه، إذ مر على أرض معشبة تزهو [وتهتز]، قال: فتأوه الرجل، فقال له موسى عليه السلام: على ما ذا تأوّهت؟ قال: تمنيت أن يكون لربي حمار أرعاه ههنا، قال: فأكتب موسى عليه السلام طويلاً [ببصره] على الأرض اغتماماً بما سمع منه، [قال]: فأنحط عليه الوحي؛ فقال له: ما الذي أكبرت من مقالة عبدي؟ أنا أؤخذ عبادي على قدر ما أعطيتهم من العقل»^(٢).

ومعلوم أن كمال الثواب وترتبه على الفعل، وقيامه إنما يكون بقبوله وإخلاصه، وهما دائران مدار الباعث على الإتيان به، وهو دائر مداره، فكثرة الثواب تدور مداره بموجب لنشوره ما لم يكن له روح، وهي العقل وقوة معرفته، فليس كثرة صورة الفعل. كما إن العقاب وتفاوته يدور مدار الجهل ودركاته. فالعاقل دائماً في العمل بجميع حركاته وسكناته، ولا كذلك غيره.

وسليمان الديلمي لما خفي عليه الأمر، وظن بدورانه مدار الظاهر، كحال ثبوت العدالة، تعجب منه، وقال: فلان كذا فأجابه عليه السلام، وقال: بأن

(١) يظهر سقوط بعض الكلمات من النسخ.

(٢) المحاسن: ١/١٩٣.

الثواب ليس بمراتب على ما ظننت، ولا كثرته بكثرته ظاهر، بل على غيره^(١)، فكم ثواب ركعتين من رجل أو لحظ بصر من عاقل أعظم من عبادة آخر كذا كذا سنة، كما ستسمع.

وأيضاً: فعل العاقل أشدّ لشدة مرابطته للشيطان ومنعه لنفسه وحبه لها، وكلما اشتد كان أفضل، أما الجاهل فمرخّ لزام نفسه ومشغول بالأمور الدنيوية والأمور الفانية، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(٢)، وقال ﷺ: «يا علي إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر تقرب إليه بأنواع العقل، حتى تسبقهم كلهم»^(٣)، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنْكُمْ﴾^(٤)، [وقوله تعالى]: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٥)، وقال ﷺ: «كما استفاض عند الفريقين: «إن الله [تبارك وتعالى] لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم [وأعمالكم]»^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، [وقوله تعالى]: ﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٧).

أظنك قد تحدثت أنه ليس المقصود من الأعمال تحريك الجوارح والأركان، ونطق اللسان، بل التقرب للمعبود الحق والولي المطلق، فهي الطاف مقربة ومزكية للنفس مكملة، فعليك بالنية الخالصة، والفكر الباطني

(١) الكافي: ١١/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (٨/٨).

(٢) مصباح الشريعة: ١٧١.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٨/١.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٦) أمالي الطوسي: ٧٨٨، بحار الأنوار: ٢٤٨/٦٧، مسند أحمد: ٢/٢٨٥، صحيح مسلم: ٨/

١١، سنن ابن ماجه: ١٣٨٨/٢، كنز العمال: ٢٣/٣.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

في غايتها ومبادئها، ووجه قلبك شطر كعبة المقصود، وتوجه إلى ولي الخير والجلود، حتى تصل لعالم النور والبقاء، فما عند الله خير وأبقى، وهو ثمرة التجارة الغير البائرة، والسلعة الغير الحائرة، فلا عمل إلا بعلم، ولا علم إلا بعمل^(١)، فبالعلم يزكو العمل كما أن بالروح يزكو الجسد^(٢)، ويكون له حراك وبدونها لا معادلة، وبطوعه لها يخلص من السفلى.

(١) راجع الكافي: ١/١٠٩، باب ١٣ استعمال العلم من كتاب فضل العلم، الحديث رقم (٢/١١٢).

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٠٨.



[شرح الحديث السادس]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «مَنْ كَانَ عَاقِلًا كَانَ لَهُ دِينٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

[شرح نص الحديث: كل ذي عقل فهو في الجنة]:

المراد بالعقل هنا هو ما سبق في الحديث الثالث. ولا شك حينئذ أن يكون له دين، فإن لم يكن طلبه حتى يعرف ما يقرب فيرتكب ما يبعد فيجتنب، وقد مرّ في الحديث الثاني: إن الدين لازم للعقل، كيف ووجوب التكليف، وشكر المنعم مما يحكم به العقل ويحسنه، فيجب في حريم العقل تحقيقه ولزومه لكل عاقل، وكل من كان له دين دخل الجنة؛ للزومها للعمل بالدين والتمسك به، فكل ذي عقل فهو في الجنة، وحيث أريد بالعقل هنا «ما عبد به الرحمن» إلخ، وهو يشمل العلمي والعملية، وهما متفاوتان شدة وضعفاً كما سبق.

والمراد به هنا: ما يشمل جميع مراتبه، فمتى خلا الإنسان من هذا العقل أصلاً فلا دين له، وإذا لم يكن له دين لم يدخل الجنة، إذ الدين ملازم، مساوٍ لهذا العقل، ومتى ارتفع أحد المتساويين ارتفع الآخر تحصيلاً للمساواة. ولدلالة مفهوم الشرط فيمن كان عاقلاً، فمن لم يكن عاقلاً لا

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

دين له أصلاً، وإذا خلا من هذا العقل فلا يتحقق إلّا بخلّوه عن جميع مراتبه الضعيفة والقوية وإلا لم يصحّ سلبه عنه.

فقول الشارح: (لكن لا بدّ من القول بأن هذا المفهوم غير معتبر لأنّ الجاهل قد يكون له دين وإن كان ضعيفاً وقد يدخل الجنة بالتفضل، أو القول: بأنّ المراد بدخول العاقل الدّخول بلا تعذيب بعذاب يوم القيامة أو بلا حساب لأنّ العاقل يؤدّي حسابه في دار الدنيا)^(١) فيه ما لا يخفى.

إذ المتصف بالجهل المضاد لهذا المعنى المراد من الحديث، لا دين له، وإن كان ضعيفاً فلا يتحقق له حينئذ دخول الجنة إذ لا دين له، فليس المراد بالعقل هنا الموجب لدخول الجنة الكامل، ولا قرينة دالة على إرادته، إذ الدليل العقلي والنقلي والإجماع على خلافه، فلا موجب لتقييد الدخول بدخول فلا تعذيب يوم القيامة بالخصوص، وإن قيل بلا حساب كان أقلّ أفراداً؛ لأنّ المحاسب نفسه في دار الدنيا، والمراقب له في جميع حالاته قليل وعليهما فيحتاج إلى تخصيص الجنة بجنة لكن درجة هؤلاء أعلى، وكل ذلك تعسّف بما لا داعي له، وعلم من لزوم الدين للعقل، إن من لم يكن له دين كباقي الفرق وسائر الملل ما سوى محمد وآله وشيعتهم والمقتفين بهم لا عقل لهم، إذ الملزوم عدم عند عدم لازمه، فلو فرض اعميته فما يحصل فيهم من قبيل النكراء وليست بالعقل، فيلزم أن ينتهي طريقهم إلى الجنة وإلا لم يكن بالعقل الطريق الموصّل، فيكونوا في النار، فكل من لم يتبعهم في النار، إذ لا عقل له ولا دين. وقد عرفت أوّل الكتاب أن الجهل سبب الهلاك وأصل الشرور.

(١) شرح أصول الكافي: ٧٨/١.

[شرح الحديث السابع]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّمَا يُدَاقُ اللَّهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي الدُّنْيَا».

[شرح نص الحديث: المناقشة يوم القيامة على قدر العقول]:

أقول: قد سبق لك نصاً وعقلاً تفاوت العقول شدة وضعفاً، فظهرت المراتب وتفاضلت الدرجات، وإن كان أصل العقل وعنصره واحداً، ولكن بحسب القرب والبعد والفاضل، وفاضل الفاضل، فصار لكل درجة ومقام، وإن اشترك الكل في مطلق التكليف وعمه، والمعرفة لكل لطيف وكثيف، ولا خفاء في أن الآخرة غيب في الدنيا، وفيها يجمع الماضي والمستقبل، وتجتمع المتفرقات ظاهر ظهوراً لمن يخفى عليه، فيلحق بإحدى الدرجات، والله يحاسبهم على لسان واسطته، ولكن حسابه في أقل من لمح البصر: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(١)، يسمع كل قضية: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفِّينَ وَجِلَّةٍ﴾^(٢)، ولكمال عدله وحكمته لا يحاسب مخلوقاً ما آتاه في الدنيا، فما زوي عنه ولم يتبين له طريق فيه فغير مكلف به، فلا يسأل عنه، إذ لا تكليف

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

إلا بعد البيان ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١)، ومن حاسب نفسه كمال المحاسبة وراقبها بميزان العدل وأهملها سدى، عمي بصره وانعكس عقله، ولا يحاسب العبد مرتين.

وهؤلاء يكشف لهم ذلك ولا يوقفان للحساب غداً؛ لكمال السعادة والشقاوة، فصحيفته كلها خالية مما يحاسب عليه ويسأل عنه، إذ لا شيء يوقفه حتى يسقط أو يكون له رابطة في الجملة، والنصّ بهما وارد، ويدلّ عليه هذا الحديث أيضاً، حيث جعل المداقة، بالدال المهملة، من الدقة، المناقشة على قدر العقول، فمن كمل عقله وصفت نفسه كالمعصوم مثلاً وبعض الأفراد الذي شايعهم في الأقوال والأفعال لا يحاسب ولا يناقش وذلك لأن المناقشة لا يصحّ توجيهها إلى فعل الطاعة، حيث إنها موافقة وثابتة عالية، فلا يسأل عنها من هذه الحيثية، لكن يسأل إذا تعدى وفعل غير الجائز، لم فعلت، ولكن بقدر العقل، فلله الحجة البالغة، فكامل العقل لا يحاسب، كما قال ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٣)، كيف، ونفس العرض والحساب فضلاً عن المداقة فيه تعذيب، وذللّ وهمّ، قد خفوا ولحقوا، فلا تتوهم من ظاهر الحديث بغير تأمل أنه علقها على العقل، فكل من اشتد عقله وقوي اشتد حسابه ووقوفه، وهو خلاف الأخبار، وصحيح الاعتبار، بل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾^(٤)، كيف، وذلك الفرد قد مات وهو حي، ونظر لصحيفة نفسه، ووزنها باستقامة عقله، فالأشد عقلاً وإن كان أشدّ تكليفاً

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٩.

(٢) مصباح الشريعة: ٨٦، وسائل الشيعة: ٩٩/١٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

ويطلب منه ما لا يطلب من غيره، كما قال ﷺ: «أنا أخوفكم بربي»^(١)، وقال تعالى: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢)، فالشبهة في أول [ال]مراتب حلال وفي ثانية ممنوع منها، ويسأل عنها، حيث التزمها على نفسه، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)، [وقال تعالى]: ﴿وَإِذَا سَأَعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾^(٤)، حزناً مما عرفوا من الحق، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٥)؛ لأن الفرق قيامهم، فهم السابقون، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٦).

أو نقول: القيام بالواجبات وتجنب المحظورات من ظاهر الإثم وباطنه مع التخلُّق والإتيان بطائفة من المستحبات كافٍ في إسقاط ذلك، وإن أوقفوا في عرصة القيامة فليس كل من يوقف لقيد قيده، كيف؟! ومحمد ﷺ وآله ﷺ حاضر لحسابهم وهم من الشفعاء، وكذا من قاربهم، ولا ينافيه ما ستمعه، إن الله يغفر للجاهل ألف ذنب قبل أن يغفر للعالم ذنباً واحداً^(٧).

وعنهم ﷺ أيضاً: «إذا بلغت النفس هذه لم يكن للعالم توبة، ثم قرأ:

(١) قال سيد الرسل: «أنا أخوفكم من الله». (راجع: جامع السعادات: ٢٥٣/١، فصل الخوف المحمود وأقسامه ودرجاته).

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠ و ١١.

(٧) الكافي: ١١٥/١، باب ١٥ لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه من كتاب فضل العلم، حديث رقم (١/١٢٤)، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: قال: «يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ الآية^(١)»^(٢)، فإنه مذنب، وليس الكلام فيه، فهذا أشد بكثير، بل يلحقه من جهة الاقتداء به، وتعرضه للوساطة وليس هو لها بأهل، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ربنا لا تؤاخذنا بجرائم أفعالنا ولا تناقشنا على قبائح أعمالنا.

[شرح (يداق الله):]

فقول ملا محسن في شرح^(٣) (يداق الله): من الدّقه في الحساب، أي يناقشهم فيه، لما كانت العقول متفاوتة كمالاً ونقصاً، والتكليف إنما يقع على مراتب العقول، فالأقوى عقلاً أشدّ تكليفاً، فيناقش في الحساب يوم القيامة مع أهل الفطانة، بل لا يناقش به ضعفاء العقول، فيه ما لا يخفى. وإلا لزم كون محمد ﷺ أشدّ مناقشة، فيكون أسوء حساباً؛ لكن الظاهر أن مراده المتوسطون، إذا لم يعلموا إلا تلك الطبقتين. وإذا كان ظاهر العبارة كما ترى، ومثله كلام محمد صالح في الصلح في الشرح، لكن عند التأمل لا ينافي كلامنا كلامه ولا يرد عليه اعتراض، وهو إن أهل المراتب العالية قد حاسبوا أنفسهم في الدنيا وشدّدوا عليها أشدّ تشديد، وصبروا على البأساء والضراء وتحمل البلاء فكانت الدنيا عليهم أشدّ بخلاف من دونهم في الدنيا، فقد حاسبهم الله، وكان بالنسبة لهم أشدّ، وإن كانوا إذا كشف الغطاء على الضد كحال ذلك الصبي الذي رآه الرسول ﷺ في المسجد متغيّر اللون، نحيل الجسم، فسأله الحديث. وحيث أن الدنيا بالنسبة لهم قيامة

(١) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٢) الكافي: ١١٦/١، باب ١٥ لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه، حديث رقم (١٢٦).

(٣): «إذا بلغت النفس هاهنا وأشار بيده إلى حلقه، لم يكن للعالم توبة، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧].

(٣) شرح أصول الكافي: ٧٩/١.

وأخرى، ولا ينافي ذلك قوله يوم القيامة. فتأمل كيف، وحكم الشفاعة وغيرها واقع في الدنيا، فاكثف بما أشرنا لك.

ونقل الشارح محمد صالح عن سيّد الحكماء: «إنما يدا ف الله [العباد] بالذال المهملة والفاء المشدّدة، ويروى بالذال المعجمة. وفي بعض النسخ (يدافي) بإبدال إحدى الفاءين ياء، يقال: دفّ عليه دفيفاً، أي: وفد عليه وقدم، وداففت الرجل مدافّة ودفافاً أجهزت عليه، وفي النهاية الأثيرية في حديث ابن مسعود «أنه داف أبا جهل يوم بدر» أي: أجهز عليه وجفّ^(١) رقبته، ويذا ف بالذال المعجمة بمعنى يدا ف، وأما يدا ف بالقاف فتصحيف تحريفي، وتحريف تقسيمي^(٢). هذا ملخص كلامه. وإنما كلامه مطوّل مبسوط كله لبيان معنى هذا اللفظ بحسب اللغة كما هو دأبه في تصحيح اللغات وأسماء الرجال ولا أدري ما الباعث له على الحكم بتحريف «يدا ف» وبالقاف وتقسيمه^(٣) وترجيح يدا ف بالفاء عليه^(٤) انتهى.

نعم، دأبه تصحيح اللفظ والمعنى، فقد حاز الشرفين، والباعث له هو الباعث للعلماء في ضبط لفظ الحديث ولغته، ولو نقل كلامه بلفظه لنظرنا فيه، فلعلّ أن يكون أثر في المعنى، لكن لعلّ نسخته المعتمدة بالفاء، وأمّا النسخ التي وصلتنا من الشروح ونسخ في المعتمدة المقروءة على العلماء غير مرّة فبالقاف إلّا نسخة واحدة ففيها الكاف والفاء مع الياء، ونسخة المحاسن أيضاً بالقاف وبالذال المعجمة^(٥).

واعلم أن هذا الحديث كما دلّ على اختلاف العقل رتبته - كما سبق -

(١) في المصدر: وجز رقبته.

(٢) في المصدر: تسقيمي.

(٣) في المصدر: وتسقيمه.

(٤) شرح أصول الكافي: ٧٩/١.

(٥) المحاسن: ١٩٥/١.

وعلى تفاوت مراتب المحاسبين، كذلك يدلُّ على اختلاف مراتب الثواب التزاماً كما سيأتي في الحديث التالي وغيره صريحاً.



[شرح الحديث الثامن]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]

قوله: عَنْ مُحَمَّدٍ [بْنِ سُلَيْمَانَ] الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «فُلَانٌ مِنْ عِبَادَتِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ عَقَلُهُ. قُلْتُ: لَا أَذْرِي، فَقَالَ: إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ».

وروي: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، خَضِرَاءَ نَضِرَةٍ، كَثِيرَةَ الشَّجَرِ، ظَاهِرَةَ الْمَاءِ، وَإِنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَّ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرِنِي ثَوَابَ عَبْدِكَ هَذَا. فَأَرَاهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ذَلِكَ، فَاسْتَقَلَّهُ الْمَلَكُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى [إِلَيْهِ] أَنْ اصْحَبْهُ، فَأَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ إِنْسِي، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَنَا رَجُلٌ عَابِدٌ، بَلَغَنِي مَكَانُكَ وَعِبَادَتُكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَتَيْتُكَ لِأَعْبُدَ اللَّهَ مَعَكَ، فَكَانَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ مَكَانَكَ لَنَزَةٌ وَمَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ، فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنَّ لِمَكَانِنَا هَذَا عَيْبًا، فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: لَيْسَ لِرَبَّنَا بِهِمَةٌ وَلَا حِمَارٌ^(١)، فَلَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ رَعَيْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ هَذَا الْحَشِيشَ يَضِيعُ، [فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْمَلَكُ وَمَا لِرَبِّكَ حِمَارٌ؟ فَقَالَ لَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ مَا كَانَ يَضِيعُ هَذَا الْحَشِيشُ] فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَلَكِ: إِنَّمَا أُثِيبُهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ».

(١) ولا حمار، ليست في المصدر.

[شرح نص الحديث: توضيح مفردات]:

أقول: الجزيرة واحدة الجزائر، سميت بها لقطعها عن الأرض أو لجزر الماء وانقطاعه عنها^(١).

خَضْرَاء، أي بأنواع النبات.

نضرة صفة أخرى، أي ليس اخضرارها يبس وضعف، نضارة وحسن، بل ببهاء ونورانية.

وكثيرة الأشجار، لحسنها.

ظاهرة الماء: بالظاء المعجمة، فإن تحصيله والانتفاع به في الزرع والشرب لا يحتاج إلى عمل وكد، كماء الآبار وما مثله.

وبعض الشراح^(٢) ضبطها بالمهملة، أي ماؤها نظيف، ليس بذى كدرة ولا بذى لون يغيره ولا طعم، بل حلو. والأول أنسب.

ومرور الملك به عبارة إما عن اطلاعه وتوجهه إلى هذا العالم أو يمرّ به في صورة بشر، فإنهم يظهرون فيها، كملائكة لوط وجبرائيل وغيرهم، بل لا ينزل لغير الموت والفناء إلا بصورة بشر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾^(٣) من الصور والسيّات، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾^(٤).

ولا حاجة إلى ارتكاب التأويل في مروره هنا فإنه والظاهر صادقان، فلما نظر له سألته رؤية ثوابه، فليس الملائكة لهم الاطلاع على ما غاب عنهم إلا بالتعليم.

(١) لسان العرب: ١٣٣/٤، مادة (جزر).

(٢) الشافي في شرح الكافي: ١٧٢/١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨.

فهذا إما من غير الكتبة أو منهم، وكونهم كتبة لا يدل على اطلاعهم على قدر الثواب، خصوصاً كتبة الأعمال مثل هذا، فإنهم أقصر من غيرهم، فلما كشف الله له عن ثوابه ورأى منزله في الجنة، استقل عمله لما يرى، أي من كثرة عبادته وزهده ظاهراً واستقلاله، لا عن ظن معه بعدم توفيه أجزاء عمله ونحسه، بل لما نظر إلى ظاهر العمل وثوابه استقله، كالتألب للسبب، ومعرفة الحكمة، فأوحى الله إليه بصحبته؛ ليظهر له عذر ذلك، فبعد أن ظهر له في صورة رجل وصحبه وداخله بالخطاب كما هو لازم الصحبة، قال ما قال، فلما تبين له ضعف عقله ومعرفته، أوحى الله للملك: «إنما أثيبه»^(١) على قدر عقله ولا نقص وإن كثر عمله ظاهراً قل ثوابه، فتبين إن الثواب على قدر العقل والمعرفة لا على كثرة العمل.

وقول هذا العابد: «لو كان لربك حمار» إلخ. إما لقصور عقله واعتقاده أن لربه حمار، يذهب ويجيء عليه لزعمه بجهله البسيط، أن ذلك كمال، كما قال الباقر عليه السلام: «كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه... إلى أن قال: ولعل النمل الصغار تزعم أن لربها زبائن لزعمها أن ذلك كمال»^(٢)، فهو حينئذ كالنملة أو لعدم حسابه ذلك، ولكن قال: «لو كان له بهيمة»، أي خلقها، لكان ترعى ذلك الحشيش، ولا يكون ضياعاً، فإنه يجده ييبس ويذهب، ولم ير من يجمعه ويرعاه، فظن أن خلقه حينئذ وإنباته عبث، أو علم أن إنباته ليس بمحضر في كونه للرعي للبهائم له حتى يكون بدونه عبثاً خال عن الحكمة، بل منافعه كثيرة ليست بمنحصرة في ذلك، وعلى التقديرين ضعف عقله ظاهر لا مرية فيه، فأثيب على قدره لا على قدر عمله، فإنما يحشر منه ذو الروح، وهي على قدر العقل. وقد اتضح من هذا الحديث مسألتان بهما يندفع إشكالان:

(١) في النسختين: أثبته.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٣/٦٦.

[فيمن أثبت لله صفة المخلوقين]:

[الإشكال] الأول: إن من أثبت لله صفة المخلوقين كالجسم والحلول وزيادة الصفات وأمثال ذلك كافر. وبالجمله من وصفه بصفة المخلوق لأنه تشبيه، وهو كفر، كحال الدهرية، حيث أقاموا الصانع ووصفوه بصفات المخلوق كالعبث والجفاف وعدم العلم، وغير ذلك.

وحال فرق المعتزلة والأشاعرة كذلك، فلذا أدخلوا فيهم، بل هم أحسن منهم، حيث كفروا بعد ظهور الأمر والحجة عليهم وإقرارهم بها ظاهر.

فهذا العابد سواء اعتقد العبث، وإن الله له حمار يحمله كحال بعض الحنابلة، كيف يكون لهم ثواب؟ بل لا يكون لهم ثواب أصلاً، ويقال: لا عقل له أصلاً، إذ لا نفع لصلواته وصومه أصلاً، كعبادة المشبهة والمجسمة والحلولية، وغير ذلك من سائر الفرق، وهذا مما لا خلاف فيه نصاً وعقلاً.

الجواب، إنا نقول: إنما يدخل في قسم من أنكر إثبات الصانع ودخل في الكفر الأصلي من أثبت فيه صفة من صفات المخلوقين بحسب طاقته وما أوتي من التمييز، كما يدل هذا الحديث وحديث «إنما يداق»^(١) وكلام الباقر عليه السلام وغيره.

فمن أثبت للصانع صفة من صفات الخلق إلا أنها عنده كمال ولا يعلم إنها صفة الخلق لقصور، ووجوده لم يكن من هذه الفرق، وغير داخل في عدادهم، فهو من المرجئة^(٢) والساذج، ولا كذلك سائر هذه الفرق، فأقله: إنهم ليعلمون أنها صفة مخلوق قائمة فيه، وهم يقيمونها في الخلق فكفروا بذلك.

(١) شرح الحديث التالي رقم (٧).

(٢) المرجئة: فرقة من فرق الإسلام تعتقد أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله تعالى أرجأ تعذيبهم عن المعاصي، أي أخره عنهم. (راجع: مجمع البحرين: ١٤٤/٢).

[الثواب الذي نظر له في الدنيا أو الآخرة؟]

هذا إن قلنا: إن الثواب الذي نظر له باعتبار الآخرة.

أو نقول: هذا الثواب في البرزخ، وهذا لا يُسأل في القبر بل ملهوه عنه، ويوم القيامة يسأل مع من يسأل، ويستخرج ما في ضميره إن خيراً أو إن شراً، كحال من لم يعرف من الأمور المجملّة شيئاً إلا ما اعتاده وسمعه من أهل ملّته ولم يكن من المختبين المسلمين.

وإن أريد بالثواب ثواب الدنيا كطول العمر وصحة الجسم، والسلامة من البلاء، وأمثال ذلك من النعم الدنيوية، والخصوص الظاهرية، وإجراء الأحكام، أحكام الإسلام عليه ظاهراً، وعدم عداوته في الفرق الأولية، فلا إشكال حينئذ ولا إعضال، ويكون العقل الذي أوتي حينئذ هو: ما اكتسب به ظاهر الإسلام، وإن لم يقم عليه عمل في دار الوزن والقيام، والله ورسوله ﷺ وخلفاؤه أعلم بباطنه ومقامه.

تنبيه:

قال الشارح محمد صالح: (وفي هذا الحديث دلالة على أنّ أمثال هذه الاعتقادات الفاسدة والاعتراضات باطلة، والاقتراحات الكاسدة لا تضرّ في أصل الإيمان ولا في الإثابة على الأعمال الصالحة إذا كانت مستندة إلى قلة العقل وضعف البصيرة، كيف وقد دلّت الأحاديث الكثيرة على أنّ أكثر الجنّة النساء وضعفاء العقول. لا يقال: ترتيب^(١) الثواب على العبادة مشروط [بصحتها، وصحتها مشروطة] بنية التقرب إلى الله [تعالى]، ونية التقرب إليه متوقفة على معرفته ومعرفته بهذا النحو، وهو أنّه خالق الأشياء عبثاً بلا مصلحة ولا منفعة، ليست بمعرفة حقيقية، فكيف يترتب الثواب على عبادة هذا الرجل في الآخرة؛ لأنّه يقال: أدنى المعرفة مع نفي الشريك

(١) في المصدر: ترتب.

يكفي في ترتب أدنى الثواب على العمل، وذلك لأن^(١) العبد إذا عرف ربه بقدر عقله ووسعه ولم يعتقد الشريك له ولا مشابهته لخلقه في الجسمية والمقدار وما يتبعهما كان قابلاً لرحمته الواسعة مع رجحان الرحمة، فإذا ضمّ معها عبادة عارية من الكبر والعجب والرّياء وغيرها من الآفات [و] المفسدات للعبادة صار جانب الرحمة أرجح، واستحقاق الثواب أقوى، فوجب تحقّق الثواب ولو كان حصول أصل الثواب موقوفاً على كمال المعرفة، وظاهر^(٢) أن ذلك لا يتيسّر إلّا للعاقل الكامل الذي هو فريد في العقل والكمال لزم أن لا يكون من هو دونه من الضعفاء من أهل الرحمة. وهو خلاف ما نطقت به الروايات ودلت عليه الآيات، والظاهر أنّه لم يذهب إليه أحد أيضاً^(٣) انتهى.

[نقد قول المولى محمد صالح المازندراني:]

لكن كيف يستدل به على عدم فساد أصل الإيمان بمثل هذه الاعتقادات الفاسدة، وعدم ضررها في الإثابة على العمل الصّالح إذا كان مستنداً إلى ضعف العقل وقلة البصيرة، ودلالة النص على بطلان العمل والإيمان بمثل هذه الاعتقادات ظاهرة لا إخفاء فيها أو تفاوت الدرجات، ولو عبّر بالتفاوت، وإن هذا من الجامد مثل حديث النملة والزبانتين، وكل إنما يعرف الله ويعبده بقدر ما أوتي وعرف لكان له وجه ودخول، مثل: النساء والضعفاء [في] الجنة لا يدل على مقصوده، ولو قيل: إنهم هكذا اعتقادهم.

فنقول: هم من قبيل أحد القسمين السابقين، فلا يصلح تعميم الحكم والاستدلال به، بل يرجع إلى أوّل قولنا.

(١) في المصدر: أن.

(٢) في المصدر: فظاهر.

(٣) شرح أصول الكافي: ٨٣/١.

أمّا جوابه عن الاعتراض فضعيف، فإن نفي التشبيه معتبر في أدنى مراتب المعرفة، كيف وقوله: (ولا مشابهة الخلقة) إلخ. ليست المشابهة خاصة بالجسمية والمقدار، بل عامة لجميع صفات الإمكان، فمن أثبت أنه محمول أو يفعل العبث كظاهر قول هذا القائل ليس بمثاب أصلاً، وليس عمله بسالم من الآفات والمفاسد، بل عمل له وعدم، وعدم الإثابة عليه لا يستلزم اختصاصه الكامل، بل هم درجات بعد تحصيل من قبيل الكناية عنها، وقد يستعمل في المحاوراة، والمثال واحد.

ووصفه لهذه القوم بقولهم بهذا الأمر، وهو الإيمان، وعدم حصول تلك العزيمة لا يدل على أن قولهم ذلك عن تقليل بشيء من الدلالات الثلاث. قصاره إن المعرفة درجات والدليل أيضاً متفاوت، فلا يقال لأقل الدرجات منه وإن لم يدفع صاحبه الشبهة وينشرح بها صدره حتى يشاهد الملكوت أنه عن تقليد وليست الدرجات البواقى بواجبة عيناً.

فقول الشارح محمد صالح: («يقولون بهذا القول» بمجرد التقليد والنشوء عليه)^(١).

(«فقال: ليس أولئك ممن عاتب الله» للتقليد وترك الاستدلال) ثم قال: وهذا الحديث [كما ترى] صريحاً في [أن التكليف عاجلاً وتحصيل كمال الرضا والقرب عاجلاً وأجلاً متوجه إلى العاقل الكامل، و] أن الضعفاء [من الشيعة] غير مؤاخذين بالتقليد في أصول الدين)^(٢) فيه ما لا يخفى.

ولعل يستدعي الكلام فيها أقوى من هذا، فنبسطة ونوفيه حقه - إن شاء الله تعالى - كيف وأوضح الأدلة، وأعمّها، وأقصرها زماناً، دليل إثباته وتنزيهه، ولو إجمالاً بالنسبة لأول الدرجات، فليس وإن قال ذلك في المستضعف، فالمستضعف لا يعرف الحق ولا يعاند عليه، ولا يوالي أحداً

(١) شرح أصول الكافي: ٧٧/١.

(٢) شرح أصول الكافي: ٧٨/١.

بعينه، فليس له محبة، وهو ممن يؤخر مع من يؤخر تكليفه ليوم القيامة أو من المرجئين لأمر الله، إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم.

إشارة:

أتى في الآية بلفظ الاعتبار لأولي الأبصار؛ لأن فيه عبوراً من الظاهر إلى الباطن لا وقوفاً على الظاهر، ولا تركاً له فكلاهما باطلان، فلو صح تركه لما صح، وصدق العبور منه، كما دلّ عليه بالاعتبار الذي أصله العبور، وفي كتاب الشيخ حسن ابن سليمان، وأظنه (مختصر بصائر) سعد عن الصادق عليه السلام: «إن قوماً آمنوا بالظاهر وكذبوا بالباطن فلم ينفعهم إيمانهم، ولا ظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر»^(١)، كيف، وأول المنبه جواسيس النفس وتعلقها بالظاهر في نفس السائر أو الآفاق الخارجة والأنفس. وستسمع في حديث هشام زيادة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدِّيلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فُلَانٌ مِنْ عِبَادَتِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ عَقَلُهُ. قُلْتُ: لَا أَذْرِي، فَقَالَ: إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ».

[شرح نص الحديث: الثواب على قدر العقل]:

[أقول: قوله عليه السلام]: «من عبادته ودينه وفصله» خبر لمبتدأ محذوف، أي: كذا، أو الجملة خبر «فلان» محذوف، وفي بعض النسخ «كذا» عوض «فضله»، فالخبر مذكور حينئذ.

(١) في (مختصر البصائر: ٧٨) عن الهيثم بن عروة التميمي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم التميمي، إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيء، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر.

وفي (المحاسن)^(١)، بسنده تحصيل التوحيد بنفي الحدين عنه تعالى، فليس الوجه إلا ما عرفت، سواء نزلت الثواب على ثواب الدنيا والآخرة فلا منافاة بين مضمونه وباقي الروايات والآيات فتدبر.

[ظهور الملك للنبي]:

[الإشكال] الثاني: قوله ﷺ: «فأتاه في صورة أنسي» صريح في أن ما يظهر به الملك للنبي أو بعض الناس ليست بحقيقية، فلا يلزم كون حقيقته جسماً ولا انقلاب الحقائق، ولا وجوب أن يكون ما يظهر الملك تدريجي الحصول، فيكون فناؤه كذلك، فيبقى بعد جسماً ملقى بلا نفس، وإنما هو صورة يظهر فيها كصورة المرأة مثلاً، بسبب مقابلة توجب حصولها في عالم المثال، فلا يبقى لها أثر بعد، وإنما هي صفة ظهور وليس ذلك من قبيل تلبس الملائكة والشياطين والجنّ بأجسام كثيفة، كما قاله الشارح^(٢).

إذ لو كان نزول الملك وظهوره في صورة الإنسان من هذا القبيل لزم بقاؤه بعد عروجه واجتماع نفسين في جسم، مع استحقاق كل جسم نفساً مفاضة عليه من الجانب القدسي.

ولما قيل: آتاه في صورة إنسان، أو نزل جبرائيل ﷺ في صورة دحية، بل في حقيقته، والفرق لا يخفى ذو التمييز مع عدم المناسبة، والفرق بين الملك والجنسين الأخيرين ظاهر بخلاف الصورة كما قلنا: إن الحقيقة الواحدة حتى المجردة تلبس صوراً متعددة مختلفة حسب اختلافات المقامات والنشأة بما لا يلزم انقلاب الحقائق أو التخلل أو التكاثر وإلا لصحّ إنها حقيقته، وظهر أيضاً ضعف مستمسك من أنكر نزول الملك وظهوره بصورة محسوسة تمسكاً بتوهمات أشرنا لها مع جوابها.

(١) المحاسن: ٢٤٠/١، باب ٢٤ جوامع من التوحيد، رقم الحديث (٢٢٠).

(٢) شرح أصول الكافي: ٨١/١.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث التاسع]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ».

[شرح نص الحديث: فيما يقع عليه الجزاء]:

وذلك لأن كمال الإنسان وعلو درجته في الدارين إنما يكون بقوة العقل النظري والعملي لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، وإلا فما يحصل وبال ليس بعمل، كما أن القوة العلمية بلا عمل ليست بنافعة، وليس صاحبها بعالم، وإنما سمّي عند العامة، فإذا بَلَغْنَا عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ فِي زَكَاةٍ وَصَوْمٍ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ فَلَا نَحْكُمُ بِمُجَرَّدِ حُسْنِ الْحَالِ عَلَى عُلوِّهِ عَلَى الدَّرَجَاتِ وَتَضَاعُفِ الثَّوَابُ؛ بَلْ لَا يَدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي عَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ فَرَعُ ذَلِكَ، وَلَا تَنْفَعُ بِدُونِهَا، فَالْجَزَاءُ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى تِلْكَ، فَهِيَ كَالْمَادَةِ لِهَذِهِ، بَلْ رَبَّمَا يَكُونُ عَمَلُهُ لِمَا دُنِيَ أَوْ لِمَا أَعَادَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

ويدل هذا الحديث على اشتراط المداخلة والاستبطان وعدم الاكتفاء بالظاهر في حال الراوي والشاهد وغيرهما، مع أنه روي^(١)، إن الرجل متى

(١) تهذيب الأحكام: ١١٣٩/٦، باب: البيّنات.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

عرف بالصلاح، وملازمة الجماعة، وساتراً لعيوبه، قُبلت شهادته وحرم على المسلمين تفتيش ما وراء ذلك.

فنقول: هذا أيضاً تفتيش، ولكن أقل ما تضمنه هذا الحديث من النظر لعقله ومعرفته، فإنما هو للحكم عليه زيادة بالرتب الكمالية، بدليل فإنه إنما يجازى بقدر عقله مع صلوحها لليلة لقبول الحكم عليه بما يقتضيه ظاهره، ويجوز أن يكون فيما جهل حاله، ولم يعرف هو مسلمٌ أو غيره. ورئي منه حسن حال أي حال كان، فلا نحكم عليه حتى نعرف عقله ومعتقده.

مع أنا نقول: من عرف بالصلاح والأعمال الحسنة - كملازمة جماعة المسلمين - عقله غير خفي معرفته.

[المراد بالعقل]:

والعقلُ المراد في هذه الأحاديث هو النظريّ والعمليّ، فإنه المتحقق في كل فردٍ دون اختلاف شدة وضعف، بخلافه بالمعنى المذكور في الحديث الأول.

نعم، جميع معانيه الباقية من شعاع نوره وفاضل طينته، كما مرّ. وروى البرقي في المحاسن مثله^(١)، وقد سبق لك في غير حديث ترتب الجزاء وتفاوته ثواباً وعقاباً على تفاوت العقل.

(١) المحاسن: ١٩٤/١، باب العقل رقم (١٤).

[شرح الحديث العاشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

1/20/2020

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ [سِنَانٍ]، قَالَ: «ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مُبْتَلَى بِالْوُسْوَةِ وَالصَّلَاةِ، وَقُلْتُ: هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: وَأَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَهُوَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ، | فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ: سَلُهُ^(١) | هَذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

[شرح نص الحديث: نهى الله عن عبادته واتباع الهوى]:

مبتلى به: أي ذو وسوسة وابتلاء بعمله بجهله بالحكم الشرعي، وعدم سؤاله أو لغلبة الوهم وأحكامه، فالشيطان لما كانت له لمية ومعارضه مع الإنسان في كل فعل ويجري منه مجرى الدّم في العروق ويأتي من كل جهة، فإذا آيس من جهة جاء من أخرى، فله مدخل على العالم والعابد وغيرهما، فيأتي لغير المنقاد فيوسوس له بأن حسن النية أو النية التي أوقعها غير مجزية، وكذا إخراجك هذا الحرف، وغير ذلك، حتى تستولي عليه القوة الوهمية فتكون أعماله غير مجزية فضلاً عن كونها مقبولة.

فهذا السائل لما رأى منه شدة الوسوسة في الأعمال ذكره؛ لأنه عاقل ليقره الإمام ﷺ أو لا يقره، ولأن ذوي الصّلاح يذكرون به، فقال له

(١) ما بين | | ساقط من النسختين من المخطوط، وأثبتته من المطبوع.

الإمام عليه السلام: «كيف يكون عاقلاً» ويستدل عليه بذلك وما يأتيه من عمل الشيطان، «والعقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» وهذا ليس كذلك، وإلا لما أطاعه ثم استعصم ذلك السائل لما يجده أنه من المتورعين وأنه عمل، إنما هو لتحصيل العمل وتصحيحه، فأجابه بجواب أظهر بالنسبة له، «فقال له: سله فإنك تجده يقول: هذا من الشيطان»، فكيف يكون عاقلاً من يعمل عملاً ويعرف أنه من الشيطان، وقد نهانا الله عن عبادته واتباع الهوى، فليس ذلك بعاقل، بل جاهل أحمق، غير منقاد للشرعية، قد تمكن منه بوسوسته، ولو رجع لنفسه وعالجها حتى يسدّ طريقه لسلم، ولكان ما يكابده من مشقة العلاج أقل من مشقة العمل وتبعه لو سوسته، ولقد شاهدنا كثيراً من المتهوسة، أهل العبادة المبتدعة، فكل ما لم يخرج من أهل البيت فضلال؛ لتصديق قوله عليه السلام، ولم يزالوا كذلك، فالجاهل لا يسمى عاقلاً ولا متبع الهوى، ومن استحکم فيه الشيطان بالوسوسة حتى أنه يغسل وجوباً ما حكم عليه الشارع بالطهارة، وقد يستظهر ما هو نجس.

قال ملا محسن في الشرح: («يقول لك من عمل الشيطان» هذا قول منه باللسان من غير أن يؤمن به قلبه، إذ لو علم^(١) على وجه البصيرة أن الذي يأتيه من عمل الشيطان لكان رجلاً عاقلاً لا موسوساً، إنما يقوله تقليداً أو اضطراراً، حيث لا يجد له مستنداً في الشرع ولا في العقل، نظيره ما حكى الله تعالى عن الكفار بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^{(٢)(٣)} انتهى.

وفيه ما لا يخفى، فإنه إذا عرفه أنه من عمل الشيطان على وجه البصيرة لا يسمى عاقلاً ما لم يعمل بمقتضاه، وإلا فهو ضال على غير بصيرة،

(١) في المصدر: عرف.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥. وسورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٣) الوافي: ٨٤/١.

فشارب الخمر والزاني يعرف حرميته، وأنه من غلبة الشيطان في قوة الشهوة مع عدم عده عاقلاً، فلما لم يكن له مستمسك من السبيلين يقربانه من الشيطان، ويقول: غلب عليّ، وإن كان ذو الوسوسة عند عمله يوسوس له، يتخيل الباطل أنه حق وتورع وحرص على تخليص العمل حتى يوقعه فيما يقصده، ولو سأل بعد، بل وحينئذ عن مادة الوسواس، قال: من الوسواس. أمّا إقرار الكفار فلرجوعهم حينئذ لفطرتهم الأولى، وشركهم بالتعبير الثانوي أو لغلبة الحجة، فلا ينافي في شركهم أخيراً، ولظهور الحجة يقرّون ويعرفون، ثم يرجعون بعد بعض عن عناد وآخر عن تلبيس وعمى عن الرشاد.

أقول: اعلم أرشدك الله، إن لكل داء دواء، ولكل علة شفاء، وإن اختلف العلاج، حسب رسوخ الصفة وتمكنها في النفس، كحال العلة الطبيعية، فمن ابتلى بعلة نفسانية من مساوئ الأخلاق فليعالجها بضدها من مكارم الأخلاق، وبالاستقامة على صراط الحكيم الخلاق حتى تصفو نفسه من درن الأرجاس ومواد الأدناس، وليعمل بالذكر الوارد بعد إمرار يده على صدره مع الصلاة على محمد وآل محمد، فإنها مذهب للوسواس، وكيد الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

وبيان علاج كلّ علة مما يطول مع كثرة مداخلة، لكن أخبرك بملاك ذلك وأصله، وعسى أن نذكر ذلك في جنود العقل - إن شاء الله تعالى - ومن لم يكن بذي قوة تمييز مع أنه قد يشبه الدّاعيان، ويخفى الفرق على سائر الأذهان فليرجع إلى الناقد البصير وليسلم له في الجليل والحقير، وسيأتيك أصل بيان الشياطين، وعلة خلقهم.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الحادي عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص من الحديث]:

قوله: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، رَفَعَهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ».

[شرح نص الحديث: أفضل ما قسم الله للعباد العقل]:

أقول: روى في (محاسن البرقي) مثله بزيادة، بعد قوله ﷺ: «نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإفطار العاقل أفضل من صوم الجاهل، وإقامة العاقل أفضل» إلخ^(١).

ووجه كونه أفضل ما قسم؛ لأن به تصح العبادات ويتفاضل في الدرجات، حتى يدخل في عداد سكان الملكوت بل الجبروت، ولا يكون نظره غفلة، ولا سكوته جمود وهبله.

فهذه القوة الجسمانية والأعراض الدنيوية لم تقيده عن الفكر والاعتبار، ولا عن الاستضاءة بنور الأخيار، ومعرفة العزيز الجبار، وآثار صنعه، وحكمة إتيانه؛ لكونه بالفعل، فلا تضره الغواشي ولا تحجبه الأغطية ولا تقيده الأفنية، فصَحَّ تفريع «فنوم» إلخ. عليه.

وهذا الحديث كغيره صريح في أن المتولي لقسمة ذلك الله، ولا ينافيه

(١) المحاسن: ١٩٣/١ باب العقل، حديث رقم (١١).

توقفه على كسب وواسطة، إذ فعل الوساطة فعله، فكما قسم الرزق الجسماني فلأن يقسم الروحاني بطريق أولى، ونسبة النفس حال الكسب والاكْتساب نسبة القابل، والعلم يفاض من أعلى. فتدبر.

قال الله تعالى: ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا^(١) الْآيَةَ^(٢)، والمعيشة تشمل الكل، و﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى^(٣)﴾.

ورود عنهم عليه السلام: «ما قسم الله في العباد أقل من اليقين»^(٤)، وذلك لأن صفة العقل لازمة، وهو أعلى من مقام النفس وصفتها، فإنه مقام الصور ومقامه مقام المعاني الخالية من الصور.

وفي (المحاسن) البرقي: عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: «لم يقسم الله بين الناس شيئاً أقل من [خمس]، اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والذي يكمل هذا كله هو العقل»^(٥).

وكفى في فضله قوله تعالى في بيان الشافع: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٦)﴾، فقيّد فيه شهادته بالحق مع علمه، فبدونه لا يكون شافعاً لغيره وإن شهد بالحق.

والخمس وأمثالها صفات العقل ولوازمه، فإذا قسم وتفاضل، تفاضلت صفاته.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) الكافي: ١٣٣/٣، باب ٢٦ فضل الإيمان على الإسلام واليقين على الإيمان، رقم الحديث (٢/١٥٤٦).

(٤) المحاسن: ١٩١/١، باب العقل، رقم الحديث (٣).

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

[الموجب للتفاضل]:

ثم لا يأخذك الوهم بأنه إذا كان أصل العقل من الله، وهو القاسم، فكيف يكون جزاء كل على قدر عقله، وما الموجب للتفاضل. قلنا: حيث كانت كمالات الوجود الأولية التي يلزمها العقل المطبوع والثانوية.

ومنها: العقل المسموع، مفاضة منه، ويده ملاكها ومراتبه متعاكسة - كما مر - رجوعه لعقل واحد وتعدد بحسب جماله، وإلا لم يكن نوراً وهكذا، حتى انتهى إلى الهيولائي، فكان واحداً وتعدد بتعدد القوابل؛ لنص: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾^(١)، و: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢)، فدخل الكسب والأعداد من العبد وعلق الجزاء والثواب عليه.

فمن اختلاف القوابل جاء المتعدد لا بأصل الإبداع. وسيأتي بيان الوجه في تعدد القابلية من غير لزوم جبر أو تعدد قدماء في مجلد (العدل والطينة). مع صحة إرادة أن يقال: ما قسم الله للعباد، بمعنى القسم والنصيب، أي ما قدر لهم، وجعل فيه نصيبهم شيئاً أفضل من العقل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الْجَاهِلِ».

[شرح تكملة الحديث: نوم العاقل والجاهل]:

أقول: وذلك لأن العاقل ذو نفس قدسية، وملكوية لاهوتية، ففي منامها لا يشغلها عن اكتساب الكمال، بل تحصل فيه البشرية، والرؤية الصادقة التي هي جزء من سبعين جزء من النبوة^(٣)، فهي حينئذ غير نائمة، بل في

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٨٨/١، وعوالي اللآلي: ١٦٢/١.

اليقظة بالعلم، وحيّة ذراكة، مع ما يقصد من النوم من استراحة الأعضاء الظاهرة وتقويتها للعبادة، ولا كذلك الجاهل، فعبادته على غير بصيرة وكمال معرفة، ولا عمل إلا بعلم^(١)، بل قد يكون ما يفسد أكثر مما يصلح، فهو منهمك في أغشية الطبيعة، حتى قال تعالى في: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(٢)، [وقال]: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٣)، أي قبور الطبيعة، فليس لنفوسهم قوة الشعور.

ولذا من لم يمحض الإيمان محضاً أو الكفر محضاً لا يسأل في القبر، بل يلهمي عنهم. ورد في صحيح الأخبار^(٤) ووافقه الاعتبار، فستان بين الحي والميت، ومن منامه دخول في سلك سكان الملكوت، ومن يقظته غفلة وفوت، فمنام هذا نوم حيواني ونوم ذلك حياة عقلائي، فهو في العبادة ليلاً ونهاراً، وذلك في الجهل منغمس عشية وأبكارا، إنه لما أمارت نفسه وأحيا رسمه، فلا يزيده كثرة السير إلا بعداً.

هذا مع أن العاقل لا يفوته من ثواب أعماله التي كان يعملها [في] اليقظة، بل تكتب له، وتستغفر له الملائكة؛ لكون نفسه بالفعل قد شابته جواهر أوائل عللها، ولا كذلك الجاهل، وقال النبي ﷺ: «انقطعت النبوة وبقيت المبشرات»^(٥)، وهي الرؤيا الصالحة.

واعلم أن المراد بالجهل هنا المقابل للعقل، فهو ضده. أما الجاهل البسيط الراجح إلى قوة القبول فقد تعرض لنفسه سكون،

(١) الكافي، باب ١٢ من عمل بغير علم، رقم الأحاديث (١/١٠٨، ٢/١٠٩، ٣/١١٠): ١/١٠٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٤) الكافي: ٥٨١/٥، باب ٨٨ المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل من كتاب الجنائز.

(٥) مسند أحمد: ٣٨١/٦، سنن الترمذي: ٣٦٤/٣، باب (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات)، كنز العمال: ٣٧٦/١٥.

فيحصل رؤيا سالحة، فيرى مثل المعصوم ﷺ بحصول قوة استعداد المقابلة حينئذ.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ»^(١) مِنْ شُخُوصِ الْجَاهِلِ.

[شرح تكملة الحديث: تشخيص العاقل والجاهل]:

لأنه لا يشخص إلا إذا دعت الحاجة إليه مع استغنائه بعقله وتدبيره، وتقديره المعيشة، وفكره وتدبره عن الأشخاص والسفر، ولا كذلك الجاهل، فهو مع ما يتحمل من مشقات السفر ومرارات الضر لا يبلغ مبلغ ذلك، ولا يدرك غاية؛ لعدم قصده، فجلوس ذلك سفر، ودائماً نفسه في فكر وترق، كما ورد في تفسير: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، أي تفكروا في القرآن^(٣)، وفسر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(٤)، بالنظر في القرآن والفكر^(٥)، والجاهل في حفرة لموت نفسه، فهو من مصدوق قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٦)، [وقال تعالى]: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧)، وما ضر ذلك سكون جسده، بل هو في راحة، ولا تقع، هذا كدح بدنه.

(١) في النسختين من المخطوط: خير.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١، وسورة النمل، الآية: ٣٩، وسورة العنكبوت، الآية: ٢٠ وسورة الروم، الآية: ٤٢.

(٣) تفسير القمي: ١٩٤/١، تفسير الأصفى: ٣١٢/١، تفسير الصافي: ١١٠/٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٥) تفسير القمي: ١٤٩/١، تفسير الصافي: ٤٩٠/١.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٧) سورة يونس، الآية: ١٠١.

وكذلك أيضاً: شخوص الجاهل وسفره الاسترشاد والتفقه، وإن كان حسناً وممدوحاً، بل قد يجب، لكنه بالمقابلة بجلوس العاقل وإقامة أقل منه ومرجوح، فإنه في أول السير بعدد العاقل في السير وقطع مراحل وغنم في سفره مع راحته مع أهله، حيث خرج بنفسه، ولا كذلك الآخر، مع إمكان خروج هذا الجاهل منه ودخوله في العاقل، وهو يجلس إذا رأى المصلحة فيه، ويسافر إذا اقتضته.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ولا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ، وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ».

[شرح تكملة الحديث: استكمال العقل في محمد وآله]:

أقول: اعلم، رحمك الله، إن سعادة الإنسان ونجاته بالإطلاع على حقائق الأشياء، والاتصاف بالمحسنات والسَّلامة من المرديات، ولا بد من تعليمه ذلك، وطريق الوصول؛ ليرتقي من حضيض الخسران إلى أوج الكمال والعرفان، ويشتمل ذلك على معرفة الحق وصفاته وأفعاله، وكيفية السلوك، ومعرفة المعاد ومنتهى النفوس. ويدخل في الثاني السياسات بأنواعها، ولا يتيسر ذلك للناس إلا بواسطة تأخذ ذلك بتوسط بشري وإلا ذَهَبَ الأمر لا إلى نهاية، بل لا بد من الانتهاء إلى من يأخذ إلا بواسطة بشر، وتعلم إلا من معدن اللاهوت وهو النبي أو الإمام، فإذا كان غاية النبوات ذلك الإصلاح، وليقوم الناس بالقسط والنجاح، فلا يصحّ بعث نبي ولا بعث خليفة مقامه حتى يستكمل عقله كذلك.

ومعلوم أنه لا يكون كذلك إلا من آن الولادة، ويكون أوفر من عقول جميع رعيته لا الكل، إلا أن يكون الكل رعيته مثل محمد ﷺ وآله ﷺ خاصة. ولذا لم يكمل كمالاً كاملاً إلا فيهم، وفي غيرهم إضافي وتبعي

مبعثرات

جزئي، ولو لم يكن النبي ﷺ كذلك وكذا خليفته لم يستحق الوساطة دونهم، أو يلزم الترجيح لا المرجح أن ساواه من رعيته أحد، أو ترجيح المرجوح على الرّاجح أن كان فيهم من هو أفضل منه، وبديهية الفطرة تحيل جميع ذلك، وكمال عقله يقتضي كمال قوته العاقلة، بحيث يطلع على ما في اللوح، بل نفسه هو وبها يرافق الملائ الأعلى ويقتدوا به، وكمال صورته حتى يشاهد عالم الغيب يقظة ويستنزله بالسّابقة، وتكون العناصر طوعه وكمال قوته التحريكية والعملية، وعمدة جميع ذلك وقوة الأولى، فيقلب العناصر متى أراد أو غيرها، فتجذب النفوس له ظاهراً وباطناً، ويحصل كمال المقصود.

ولأنه مرسل للبيان فلا بد من كون عقله على الكل ليتمكن من البيان، ويعرف ما يناسب كل فرد وينبئه من نومه حتى على من لا يسوقه إلا السيف فيسوقه به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصُورُ وَرُسُلُهُم بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١)، فتدير بعض بالسيف.

وحسن السياسة به داخل في كمال العقل، بل السياسة أفضل أقسام الحكمة ومن جنود العقل.

[استكمال العقل في النبي من شروط النبوة]:

فتبين كون وجوب كون النبي ﷺ، أو الرسول ﷺ أفضل أمته ومستجمع للعقل، ومنه يظهر شرفه، حيث توقفت النبوة التي هي الرياسة العظمى والمرتبة القصوى عليه، وإن نقص عقله لا يكون نبياً، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾^(٢).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

ولزم من ذلك النبي لا يجوز استفادته وتعلّمه من رعيته مسألة أصلاً، حتى في مثل الحروب؛ لوجوب استجماع نفسه للقوتين بأقسامها، وقوله تعالى: ﴿وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، لا يدل على كونها لاستفادة الحكم، فإنها تقع للتعليم واستخراج ضغائن بعض وتقوية عزم آخر، وغير ذلك.

تتمة:

تعليق استكمال العقل في النبي على كونه مبعوثاً من الله؛ لكمال عدله وإحاطة علمه، فلا يختار المفضل يوجب أن غير المبعوث كذلك، بل أخذ الولاية بالغلبة أو اختيار الناس لا يوجب كون عقله أوفر من عقولهم، كيف، وهو ليس أهلاً لذلك. لأخذه الولاية بالغلبة، واختيار الناس قاصر عن الاطلاع المستحق؛ لكونها رئاسة عامة، متوقّف على كمال قوّته القدسية، بحيث تفتقر لها جميع عقول الأمة، والمفضل في قصور عن إدراك ذلك بديهية، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢)، من دونه، فهذا ليس مبعوثاً من الله، ولا جميع ما يقع في هذا العالم مرضي به، وإنما لم يذكر الخليفة، فإن الخليفة لا يكون إماماً حتى يستكمل عقله، ويكون أفضل من عقول جميع أمته؛ لأنه خليفة الرسول، وساد مسدّه، فلا بدّ من كونه كذلك، تجري النبوة والخلافة واحد، وكما وجبت البعثة وجبت الخلافة، فذكر الملزوم يدل على اللازم مع إمكان دخولها في النبوة أو الرسالة بالمعنى الأعم.

فعموم نصّ: «ما وليّ رجل على عشرة أو قوم إلّا وعقله أوفر منهم» مفيد بما إذا كانت من قبله، وجميع ذلك لا خلاف فيه نصّاً وعقلاً، وإنما ذكر النبوة والرسالة في الحديث.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

[الرسول والأنبياء والفرق بينهم]:

أما من باب عطف الخاص على العام وهو كثير، إذ كل رسول نبي ولا عكس - كما ستعرف في كتاب الحجة - فذكر الرسول لزيادة الاعتناء أو إشارة للخلافة بدخولها في النبوة، إذ الخليفة مستجمعاً للنبوة من حيث الولاية المطلقة، وإن لم يكن رسولاً وللنبوة بالمعنى الخاص، وهي الرسالة التبليغية، وقدمها التوقف، كون البشر رسولاً على النبوة المتوقفة على الولاية المطلقة المتوقف عليها الرسالة، أو إشارة إلى أن النبي قد يكون منبئ في نفسه لا يعدوها إلى غيره. ونبي منبئ في النوم ويستمع الصوت ولا يعاين يقظة، ولم يبعث عليه لأحد، وعليه إمام كإبراهيم ولوط. ونبي يسمع ويعاين، وقد أرسل لقوم قتلوا أو كثروا، فذكر أحدهما لا يغني عن الآخر، وستسمع ذلك في باب طبقات الأنبياء من كتاب الحجة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَمَا يُضْمِرُ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنْ اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ».

[شرح تكملة الحديث: لكل نبي علم خاص]:

وذلك لزيادته عليهم في العلم، واطلاعه على ما لم يطلع عليه غيره، بل نفسه بمنزلة اللوح الذي فيه ما كان وما يكون، بل لوح، ولا كذلك نفوس جميع من سواه، كيف؟ ولكل نبي علم خاص به لا تطيقه أمته ولم يكلفوا به، وإنما يخاطبهم على قدر عقولهم، ووسعهم بالرفق، وقصارى كمال اجتهاد المجتهدين إنما هو مقابلة نفوسهم بنفسه، وتحصيل حُكمه ويقتدى به، فستان بين التابع والمتبوع، والظل والشاخص، ويعلو العقل بعلو الإدراك والمدرَك. وستسمع: ما كلم رسول الله ﷺ أحداً بكنه عقله قط.

وفي رواية أبي بصير في كتاب (الحجة): «إن عندنا علماً لم يكلف الله به أحداً سوانا ولم نظهره» الحديث، وكفاك إن التفاوت واقع في سواهم حتى

قال ﷺ في أبي ذر: «لو علم [أبو ذر] ما في قلب سلمان لقتله أو كفره... إن علم العلماء» الحديث^(١). فما ظنك بسائر الخلق وطبقات الأنبياء وخلفائهم، ويدلك على ما يضمرة أفضل، وإن كان بديهي تصفح آثارهم وأفعالهم في أنفسهم ومع غيرهم، فإنه دليل على المُحِبِّ من الصفات.

تتميم:

الاجتهاد: من الجهد، بمعنى الشدة والمشقة^(٢). وما يضمره النبي ﷺ من العلوم الدينية والإشراقات الإلهية أكثر ثواباً بكثير من عبادة في أنفسهم جميع العابدين، وجهد المجتهدين، كيف ونفسه أعلى الكل، ونفوس أمته من فاضلها، وهو المعلم للعبادة على قدر طاقتهم وصفتها، وعبادتها الظاهرية أعلى وأشد، ولا تطيقها في السر، بل قال خليفة سيد الكل: «لو أخبرتكم لاضطربتم كما تضطرب الأريشة في الطوي البعيدة»^(٣)، فضلاً عما لم يكن أظاهره، مع أن هذه العبادة والمعرفة التي روحها القلب أشد وأقوى مما يبلغ بالعبادة الظاهرة، بل هذه من الألطاف المقوية والمزكية للنفس. فتأمل وستسمع زيادة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى عَقَلَ عَنْهُ».

[شرح تكملة الحديث: توقف العبادة على المعرفة]:

إذ لا قول ولا عمل إلا بعلم وإصابة السنة، ولا عبادة إلا بعد معرفة

(١) الكافي: ٣٣٢/٢. باب ١٠٢ فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب من كتاب الحجة، حديث رقم (٢/١٠٥٤).

(٢) جامع المقاصد: ٣٦٥/٣، رياض المسائل: ٤٤١/٧.

(٣) الاحتجاج: ١٢٨/١، نهج البلاغة، محمد عبده: ٤١/١.

المعبود، فما لم يعقل الفعل المأتي ويعرفه منه فلا تأدية، وما لم يعرفه لا عبادة له، إذ لا عبادة من لا يعرف، ولكن المراد بالمعرفة أقل المجزي.

وربما يستدل بهذا الحديث على أن العبادة المأتيّة إذا طابقت نفس الأمر مع عدم معرفته بذلك، ينقل عن الشارع أو الأخذ بمسند غير مجزية وإن لم يظهر له وجه نهى حين عمله لتعليقه التأدية على التعقل عنه، وهذا يصدق أن ما أذاه ليس بعد العقل منه وأخذه عنه، ويدل على ذلك ما روي في أن من فسر القرآن برأيه فهو مخطئ وإن طابقه الحق^(١)، وكذا من قضى بالحق وطابق ولكن لا يعلم بحقيقته، فهو في النار^(٢)، وأمثال ذلك كثيرة.

كيف وهو حين دخوله في العمل مأمور بالرجوع ومنهيّ، وإلا لما وجب السؤال على الجاهل، وعدم وجوبه إضاعة للدين، ووجوب اتباع النبي ﷺ والرجوع له، فعدم ظهور وجه نهى غير متعلق وإن قيل بجواز عدم بلوغه الدعوة، كان حينئذ من المرجى، وتكليفه بعد مع من يكلف يوم القيامة. وكذا ما سترسم في (الجزء الثاني)، وهو في (المحاسن) وغيرها أيضاً أنه: «لا قول ولا عمل [ولا نية] إلا بإصابة السنة»^(٣)، فعلق كونه عملاً شرعاً على الإصابة، ولا معنى لها إلا ظهور الإصابة له حين عمله.

وكذا ما روي عن الصادق عليه السلام: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»^(٤).

وقال: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلا بُعداً»^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ٢٧/٢٠٥، مستدرک وسائل الشيعة: ١٧/٣٣٤.

(٢) فقه الرضا: ٢٦، المقنعة: ٧٢٢، الخصال: ٢٤٧، وسائل الشيعة: ٢٧/١٦٥.

(٣) المحاسن: ١/٢٢٢.

(٤) الكافي: ١/٢٩، باب ١٢ من عمل بغير علم من كتاب فضل العلم، حديث رقم (٣/١١٠).

(٥) الكافي: ١/١٠٦، باب ١٢ من عمل بغير علم من كتاب فضل العلم، حديث رقم (١/١٠٨).

وقال: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة»^(١)، فالمراد بالباء الاستعانة أو المصاحبة أو الملازمة، وعلى كُلِّ فلا بد من سبقها، بل مصاحبتها للعمل. وكذا يصدق عليه أنه عامل على غير بصيرة وعلى غير علم، كما هو الفرض وإن لم يكن معه نهى وإلا كان معه علم، فما يؤديه غير مجزئ.

هذا ما تقتضيه الأدلة، وعفو الله وسعة رحمته أجل من أن تنال أو تحد فالرجاء فيه عظيم، وكذا في شفاعته محمد ﷺ، لكن لا تعلق عليها الأحكام، وما إفادة الدليل، وفيه نظر لمنع صدق عدم التعقل عنه حينئذ؛ لأنه لا معرفة له غيرها، وليس هو من قبيل من: (فَسَّرَ القرآن برأيه) إلخ؛ لدخول الرأي، وهو ممنوع منه ولا كذلك هنا.

وكذا القاضي وعدم إصابته السنة ممنوع، بل أصابها، وستسمع الدليل، وممتنع صدق أنه عامل على غير بصيرة، بل على بصيرة وأصابها وإن لم يظهر له، وليس عنده مخالفة أو شك.

[عبادة من طابق الواقع]:

قوله: (هذا ما تقتضيه الأدلة) إلخ. دليل الجود وعفوه وسعة رحمته، وعموم لا يضيع ونحوها، تدل على صحة عبادة من طابقه الواقع، فكون ما سبق مقتضى الدليل فيه ما لا يخفى.

فقول الفاضل الأردبيلي في شرح قول العلامة آية الله في العالمين: (ويجب معرفة واجبات أفعال الصلاة)^(٢) إلخ.

قال: (لا خفاء في صعوبة ذلك العلم خصوصاً بالنسبة إلى النساء والصبيان أول البلوغ، فكيف يعرفون عدالة المجتهد، والوسائط والعدالة، حتى يؤخذ منهم، وهي لا تحصل إلا بعد معرفة الواجب والمحرم، وهم بعد لم يعرفوه،

(١) الكافي: ١٠٧/١، المصدر السابق، حديث رقم (٢/١٠٩).

(٢) إرشاد الأذهان: ٢٥٥/١.

وليس معلوم لهم المعرفة بالشياع بعدالة فلان، مع عدم معرفتهم حقيقة العدالة والمعدّلين ولا بالمعاشرة، وتحقيقهم ذلك بالدليل صعب مع عدم الوجوب عليهم قبل البلوغ، بل بعده؛ لعدم العلم بالتكليف بها.

نعم، يمكن فرض الحصول، فحينئذ يصحّ التكليف، ولكن قد لا يكون، والمراد أعم.

والحاصل: أنه لا دليل يصلح، إلا أن يكون إجماعاً، وهو أيضاً غير معلوم لي، بل ظني: أنه يكفي في الأصول، الوصول إلى المطلوب كيف كان بدليل ضعيف باطل، وتقليد كذلك، كما مرّت الإشارة إليه.

وعدم نقل إيجاب عن النبي ﷺ والأئمة ؑ والسلف، بل كانوا يكتفون بمجرد الاعتقاد^(١) إلخ.

وقال في بحث (وجوب العلم بدخول الوقت للصلاة): (كل من فعل ما هو في نفس الأمر، وإن لم يعرف كونه كذلك، ما لم يكن عالماً بنهاية وقت الفعل، حتّى لو أخذ السائل عن غير أهله، بل لو لم يأخذ عن أحد وظنها فعلاً فإنها تصح... إلى أن قال: وفي كلام الشارع إشارة، مثل مدحه جماعة للطهارة با[لحجر وا]لماء، مع عدم العلم بحسنها، وصحة حج من مرّ بالموقف... وقوله لعمار (ألا فعلت كذا)، فإنه يدل على أنه لو فعل كذا لصح، [و]في الصحيح: من نسي ركعة، ففعلها، [واستحسنه ﷺ]^(٢) والروايات الدالة على صحة الفعل متى طابق من غير قيد كثيرة غير ما ذكر.

[تعليق الآغا كحلّقه في الفوائد]:

وفي أوّل كلامه نظر في استدلاله به، فتدبر. واستحسنه الآغا كحلّقه في (الفوائد الحائرة)، وقال بعد نقل ما سبق: (أي صعوبة في معرفة الواجب

(١) انظر مجمع الفائدة والبرهان في شرح الأذهان: ١٨٣/٢، (النظر الثاني: في الماهية).

(٢) مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ٥٤/٢.

من الصلاة [عن مستحبها]، وتمييزه^(١)؟ فإن قابلية النساء والأطفال، لتحصيل دقائق^(٢) [وأمثالها] في غاية الظهور، وعند السعي [والجهد] يحصلون، [وهي أصعب مما ذكر بمراتب]، بل رفع الأخلاق الردية [المهلكة، وتصحيح النفس بالجهاد الأكبر أصعب وأصعب بمراتب شتى]، وكثير من^(٣) التكاليف الظاهرية أصعب بكثير^(٤)، ومن جهة القابلية كلفهم الله، ولو فرض [أن أحداً لم يكن له] القابلية له فهو غير مكلف بما يزيد على طاقته، ولا يتأمل أحد من الشيعة في ذلك - فضلاً عن فضلائهم - بل العامة أيضاً لا يرضون [على] أنه لو تم كلامه لزم صحة عبادتهم، وإن خالفت الواقع، إذ كلما كون عبادة أمثالهم مطابقة، وكذا الشيوخ لعدم إمكان علمهم بالمجتهد والعدالة على حسب ما ذكره^(٥)، (على أن الخطأ في أصول الدين ليس بمعذور، والخاطئ^(٦) كافر، خارج عن الإيمان والإسلام، ولا يجتمع هذا أبداً مع الظن أو التقليد؛ لأن الخطأ غير مأمون عليهم، والتكليف بالإصابة للواقع تكليف ما لا يطاق، مع أنه على هذا لا يكون ظناً ولا تقليداً، بل علماً واجتهاداً، وأصول الدين دليله علمي ظاهر، بحيث يكون الخطأ فيه من جهة تقصير، أما من جهة عدم ملاحظة الدليل أو من عدم التخلية أو من المسامحة، وعدم جد وجهه واستفراغ وسع على إن الرسول ﷺ وآله ﷺ بالغوا في وجوب العلم والتفقه في الدين والمعرفة، وبعدهم الفقهاء تكون عبادتهم واعتقادهم على وفق الحق [والصواب

(١) في المصدر: التمييز.

(٢) في المصدر: لكمالات وصنائع دقيقة.

(٣) بدلا من في المصدر: بل.

(٤) في المصدر: أكثرها أصعب.

(٥) الفوائد الحاثرية: ٢٦٥.

(٦) في النسختين: والساباطي.

والرشد]، ومع ذلك لم يسامحوا أحداً^(١)، الواقع اطمأنوا بظنهم الفاسد، وخربوا الأمر بظنهم الوفاق، فيرفعون اليد عن تحصيل المعرفة بالمرّة، والله يستر هذه الشكوك عنهم، حفظاً لدينهم وعبادتهم.

وأما إنهم (كيف يعرفون المجتهد) إلخ.

فشبهة ومغالطة وردت على نفي إمكان التقليد أصلاً، فلا وجه لخصوص العدالة، فإن الاجتهاد له شروط كثيرة لا يعرفها إلا المجتهد الماهر، والعدالة أسهل الكل.

والجواب: إن العلم العادي أو الظنّ القويّ يحصل بكون رجل ماهراً في الفقه، وإن لم يكن له وقوف بالفقه أصلاً، [كما هو] الحال في سائر الصناعات والعلوم، وكما جرت الحال في خصوص الفقه أيضاً، كما هو في أعصار الأئمة عليهم السلام، والأمصار إلى الآن بلا شبهة وغيار.

ويظهر من الإجماع: إن الأئمة كانوا راضين بذلك، فلا قرّوا وأمروا كذلك.

وكذا يظهر من الأحاديث المجوزة للتقليد أنهم لم يجوزون تقليد كل واحد، والعمل بكل ظن، وإنما يقلد الفقيه العابد العادل، الزاهد [في الدنيا، المخالف لهواه]، العارف بالأحكام إلى غير ذلك، بل صريح، مثل رواية (الاحتجاج) تحريم تقليد العالم الذي ليس كذلك، فإذا لم يجوزوا الأخذ عن كل عالم، فكيف يجوز [الأخذ] من كل جاهل وبكل ظن. ثم [إذا] كانوا عليهم السلام يسألون: عمّن نأخذ. [كانوا يقولون: عن فلان - أي رجل خاص -] ولم يرخص لهم الأخذ مطلقاً، بل ربما كانوا يبالغون في الأخذ منهم أنفسهم عليهم السلام لا غير؛ لنص: ﴿فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ونحن أهلّه، وغيره.

(١) في المصدر: ومع جميع هذا يسامح العوام غاية المسامحة.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

وبالجملة: فالنص كثير على وجوب الرد للرسول ﷺ وخلفائه ﷺ، [ومنهم ﷺ] خرج الرد إلى الفقيه الجامع أو الناقل العدل لقيام الأدلة. بقي خلافه على المنع.

وورد: «العلماء حجة على العوام، وهم حجة [ﷺ] على العلماء»، فحجة العامي منحصرة في الفقيه، ولا عبرة بكل ظن يحصل له.

وورد عنهم ﷺ: أنه لا عمل إلا بفقه ومعرفة وإصابة السنة، والظاهر نفى الصحة بدونه، فكل ظن ليس كذلك، بل الظاهر أنه ليس مرادهم ﷺ إلا نفى هذه الظنون.

فالحاصل: إن معرفة الفقيه الجامع [للشرائط] ممكن بدون معرفة الشرائط، بل حاصل، وليس معرفة تلك الشرائط شرطاً في معرفة المجتهد، ولم يقل أحد بذلك بل صرحوا بخلافه.

نعم، وجود الشرائط وجود الاجتهاد، كما أن معرفة قوانين الطب شرط في الطبيب، وليست شرطاً في معرفته.

وأما أنهم لا يعرفون عدالة الواسطة، فهم بعد معرفته يقدرّون على استعمال أمرهم، في أنهم كيف يصنعون، وإنه يجوز بواسطة فلان أم لا، وكيف يصنع. كما هو الحال في سائر الشيوخ والشباب في هذا الباب، وفي كلّ باب^(١).

أقول: ما أورده ﷺ على أول كلام الأردبيلي وارد، لكن لا يدفع القول بصحة عبادة الجاهل إذا طابقت الواقع، وأصل ما استدل به الملا على صحة تلك العبادة ضعيف، فيكفيه أن يقول: بالصحة للمطابقة، وإن لم يجوز الأخذ من كل ناطق، ومعرفة محله سهل على العوام، بل بسبب المطابقة وهو المطلق أو لعدم بلوغ البيان له زيادة على ما فعل، فإن وافق

(١) الفوائد الحاثرية: ٢٥٧.

في هذا الفرد ارتفع النزاع فيه وتحقق الموضوع وعاد في فرد آخر، ولا يلزم من ذلك صحة العبادة إذا لم يطابق كما هو ظاهر.

ولا نقول: بتكليفهم إصابة الواقع، لكنه هو ما كلفوا به في ظاهره أو اتفقت المطابقة، ولا ينافي وجوب العلم والمبالغة في التفقه، ولا عدم الاكتفاء بكل ظن، فإننا لا نقول بالصحة مطلقاً، وعدم ورود باقي كلامه، وما أشار له على محل البحث ظاهر، والظاهر من جميع الأحاديث الاكتفاء بالإصابة، وإن وجب عليه السؤال والتفقه ولو تقليداً للعارف ومن بلغه. ولبسطة هذه المسألة محل آخر، فلنختصره هنا.

ثم قال الآغا رحمته الله: (وأما ما ذكره من الإشارات - فمع أنها لا تعارض [الدليل] الظني، بل القطع - فلو تمت [على النحو الذي ذكرت لاقتضت أنهم عليه السلام كانوا يرضون في العبادات التوقيفية، والأحكام الشرعية] لزم صحة الأخذ بكل ظن في العبادة، وهي توقيفية، وهو مناف لإجماع المسلمين، والأدلة القاطعة المسلمة عند الكل. [و] التمسك بها غريب.

فأما حكاية الأنصار، فلأنهم أحدثوا في الدين ما لم يكن فيه، وغيروا وبدلوا، كما أنهم غيروا القبلة في الدفن من بيت المقدس إلى الكعبة، لكن الله تعالى أمضاه وجعله شرعاً بعد ذلك. فهل يجوز لنا [الآن] التشريع في الدين بناء على ذلك. فلو فعلنا عذبنا، وبقيت النجاسة، وغير ذلك.

وأما حكاية عمار: فلأن ذلك توقيفية قطعاً، ومحال جزماً، فلو فعل عمار كان كما قال: كان بتعليم من الشرع قطعاً.

مع أن قوله له: «أفلا فعلت»، [توبيخ و] تفرع له.

ولا شك أنه إنما يتوجه إلى فعله الاختياري، وفعله التيمم كذلك، بدون اطلاع من الشرع محال، فالتوبيخ يعود إلى التعلم، وإن كان فعله بالقياس إلى مسببه كما قال عليه السلام، فالتوبيخ المراد على سببه.

وأما تصحيح فعل الركعة، فإنما فعله بقاعدة شرعية عنده [البتة]، وإلا لما جاز التصرف في العبادة والتغيير بمحض الجهل^(١)، ولذا قام وفعل بقصد القربة، واطمئنان بأنه قرينة لله، وذمته بريّة، مع أنه كان إمام القوم والمعصوم قال له: «كنت أصوب فعلاً من المأمومين»، وعلل بما علل، فظهر أنه صحح اجتهاده ومستنده.

وأما السلف، فلا يشك في أمرهم بالمعرفة والعبادة، واستدل بعض [العلماء]: بأنه لو كان الأخذ من المجتهد - بوسط أو بغير وسط - شرطاً في العبادة، لزم فساد أكثر عبادة العوام، وكيف يحكم بذلك. وهذا نظير الاستدلال على حلية الغيبة بلزوم حرمتها، كون أكثر عبادة العوام غير مستجمعه، فيلزم صحتها بذلك،... [إلى أن قال:] كما استدل على [عدم] صحة التقليد في الأصول وبطلان دليل الفقهاء وإجماعهم، والدليل العقلي بلزوم كفر العوام وهو باطل، مع أن دليلهم بما يدخلهم في الإيمان في غاية السهولة.

أما ما يدفع الشكوك والشبهة فواجب كفائي في شأن المجتهد اتفاقاً، وفي العوام من يعتقد جسمية الرب وكونه في جهة، وعدم عصمة النبي ﷺ، وكذا أمر العدل، وكلها اعتقادات فاسدة.

وفي العوام من هو مستضعف وليس بكافر، خصوصاً مستضعف الشيعة، والمستضعف صنفان: صنف من جهة عقله، وصنف من جهة عدم تمكنه من [تحصيل] الدليل أو المعرفة [أيضاً].

ثم ما ذكرناه بالنظر إلى الدليل وكلام الفقهاء، وإلا فالرجاء بالنظر إلى جوده ورحمته، وعموم امتنانه أن يكون الأمر كما قال الأردبيلي ومشاركوه، [سيما و] «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة»، وكذا حب أهل البيت ﷺ،

(١) في المصدر: الجعل.

لكن لا يجوز مخالفة الأدلة القطعية والإجماع لذلك، وهنا واسطة كالمستضعف وغيره. انتهى باختصار قليل^(١).

[نقد ما ورد في الفوائد الحائرة]:

وأقول: (قوله: وأما ما ذكره) إلخ.

لا خفاء في قوة معارضتها ولو أفادت الظن، فهويتها أقوى مما ذكره، والظن الأقوى يعارض الأضعف، ولا يلزم من القول صحة العمل بكل ظن في العبادة، وهي توقيفية. كما لا يخفى.

قوله: (فأما حكاية الأنصار) إلخ.

ليس هو من الإحداث في الدين.

نعم، فعلوه باستحسان وجهل، لم يصلهم نهى، ولم يذمهم الله، بل نزل فيه قرآن، ولو كان من قبيل العمل بالهوى لم يمدحوا به، بل كانوا يذمون فيه وينهون، وإن نزل بعد كتاباً بالحكم ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الآية^(٢)، فلا يلزم جواز التشريع. والفرق بين المقامين ظاهر، ولا خفاء في أن قوله ﷺ: «ألا فعلت» لا يعود إلى التعلم كما لا يخفى، بل إلى الفعل، وهو جاهل، فالتفريع عليه، فدل على الصحة، ويدل عليه الاستعمال خلف عن سلف. يعمل الجاهل عملاً في الصلاة، وإذا سأل، وقال: عملت: كذا، أجيب بالصحة ولا يؤمر بالإعادة، ولا دليل على أن عنده قاعدة شرعية وإلا لما سأل، ولخرج عن البحث، وما نقل عن السلف ممنوع.

قوله: (وهذا نظير) إلخ.

ليس الغيبة من هذا القبيل، وهنا العلم بالنهي ظاهر، فخرج عن محل

(١) الفوائد الحائرة: ٢٦٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

البحث، ولو فرض عدم وصول البيان لهم خرج أيضاً، ولا تكليف إلا بعد البيان، وللبسط موضع آخر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ولا بَلَغَ جَمِيعُ الْعَابِدِينَ فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا بَلَغَ الْعَاقِلُ».

[شرح تكملة الحديث: في عمل العابد العاقل]:

إن أردت مجموع العابدين بحسب المجموع وجنس العاقل صحّ أو باعتبار كل فرد، إذ هما مراتب العقل متفاوتة، وكذلك مراتب العبادة، فإذا قابلت كل مرتبة بمقابلها من مراتب العقل، بل بما هي تحتها، رأيت ما يبلغ العاقل بعقله غاية وفكراً وغير ذلك، أفضل من عبادة العابد، ووجه ذلك ظاهر من الحواشي السابقة، بل اعتبار المجموع من حيث هو مجموع، ويراد حينئذ بالماهية من حيث ضعيف، إذ لا معنى لاعتبار الماهية إلا بحسب أفرادها حملاً ووصفاً وغير ذلك، لكن لعل الموجب لتجوز إرادة المجموع كما جوزه بعض هنا، إن بعض مراتب العابدين أبلغ غاية من أقل مراتب العقل ومبلغه، لكن لا يخفى من شيء، إذ عمل العاقل ولو قليلاً أفضل من العابد الفاقد للعقل. كيف وتلك جسم بروح، فهو أثبت من جسم بلا روح أو بروح أضعف من تلك، ولا خفاء في أن خضوع العاقل وخشوعه في عمله والباعث له والغاية أشد من عبادة العابد الغير المتصف بذلك.

وقال ملا خليل في الشرح: «ولا بلغ جميع العابدين»، أي بدون عقل وأخذ^(١) عن الله^(٢) ولو بواسطة، لا عبادة معتبرة شرعاً ولا فضل فيها،

(١) ليست في المصدر.

(٢) الشافي في شرح الكافي: ١/١٧٥.

حتى يرجع عليها العبادة المأخوذة عنه، بل يقع التفاضل بالعقل المقتضي لما عرفت، وإن كانت عبادة العابد أكثر، إذ الجزء على العقل - وقد سبق - إن ما يضممه النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين. كيف، وهذه العبادة عبادة سرّ وكتابها أعلى من كتابة الملفوظ، وإن كان لا غنى للباطن عن الظاهر من كل وجه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعُقْلَاءُ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١)».

[شرح تكملة الحديث: أولو الأبواب]:

بيان الشرف العاقل والعقل المسموع المستجمع للقوتين، حيث إن العقلاء هم أولو الأبواب بالحصر، فغير ذي اللب لا يتذكر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، وهو العقل: ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢)، حاضر، كالجاهل البسيط المسلم، فغير العاقل لا يتذكر؛ لعدم اللب له، لعدم سمعه وبصره القلبي: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣)، ﴿وَتَرْتَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤)، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩، وسورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٨.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

[العقل يُذكر لا ينه]:

وفي ذلك إشارة إلى أشرف العقل والعقل من وجه، حيث إنه من أولي اللب، وعبر في شأنه وبيان تأثير الموعظة فيه، وامتناله للنظر والتفكر وسائر الأعمال، فكأن الشيء مُخَبَّأً فيه أو مرّ به ولكن عرض له مثل النسيان والذهول، فما ينبّه العاقل، إنما هو مذكر له لما مرّ به، ولذا تجد التعبير في أكثر الآيات بلفظ الذكرى، والأمر كذلك من جهة سبق العهد، ومن جهة قوة القبول للعقل، علماً وعملاً، فهو مُخَبَّأً فيه.

وورد: «لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتينا به... إلى أن قال ﷺ: العلم مُخَبَّأً فيكم، تخلقوا بأخلاق الله تظهر ينابيع الحكمة من قلوبكم على ألسنتكم»^(١)، فإذا المعلم كالمعد والمصنفى للنفس حتى تنصلق فتقابل فتستنير.

وكذلك أيضاً: ما لا لب له لا عقل له؛ لأنه ذو اللب، ورفع اللازم مقتض لرفع الملزوم، وبيان الملازمة ظاهر.

وقال ملا خليل في الشرح: بعد: «وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ»^(٢)، يعني: ليس المراد باللب هنا العقل^(٣)، بالمعنى الأول الذي هو مناط التكليف، وهو صفة داعية لصاحبها إلى الأفعال الحسنة بدون جبر، وصارفة له عن القبيحة بدون جبر، بل المراد بالعقل التأمل في صفات الأشياء، بحيث يعلم به حسناتها وقبحها، وكمالها ونقصانها، ونفعها وضرها، كقوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ»^(٤)، وهو العقل عن الله، فإنه الذي يتذكر

(١) الرواية عن عيسى روح الله وكلمته. (راجع: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريقة المريـد إلى مقام التوحيد: ٢٤٩/١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) الشافي في شرح الكافي: ١٧٥/١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٨ وسورة الحشر، الآية: ١٤.

به أنه الذي لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الأحكام الشرعية، وليس حكمهم باجتهاد ورأي، والذين لا يعلمون، وغاية دعواهم أنهم يجتهدون آراءهم، ويقرّون بأن حكمهم عن ظن ورأي أو يتذكر أن المقصود من نفي المساواة ما هو، ويهتدي إلى نفي الخليفة بعد الرسول ﷺ، لكن عدم كون العقل التّكليفي لا يتذكّر به، وليس هو من الله ممنوع، ومبدأه التّسليم الظاهر، الذي هو أوله به يتذكر أيضاً أنه لا يستوي. إلخ.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الثاني عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: أبو عبد الله الأشعري، عن بعض أصحابنا، رفعه، [عن هشام بن الحكم]، قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إن الله تبارك وتعالى بَشَّرَ [أهل العقل والفهم] في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

[شرح النص: أهل العقل والسلامة تأتيهم البشارة]:

اعلم: إن أهل السلامة والنجوى تأتيهم البشارة، ويرونها في نفوسهم، واتصالها نوماً أو يقظة إمّا بنزول ملائكة، كما قال تعالى أو غيرها، ولا شك في سرعة سير العقل وظهور أثره، فالله قد بشر أهل العقل والفهم، أي جودته، حتّى قد يخصّ باستخراج ما يعرض به في الكلام كما...^(٢) والمحتاجات، وهي في نفس الأمر ترجع إلى شدة فطانة العقل وقوته.

[صفات العباد المبشرين]:

فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ الموصوفين بأنهم يستمعون القول وأجمله، ولم يُفرّق في القائل بين كونه عدلاً أو غيره، فيتبعون أحسنه، لوزنهم له بميزان العقل

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ و١٨.

(٢) فراغ في النسختين.

الصائب، فعلى كُلِّ حقِّ حقيقة وعلى كُلِّ صواب نور، فيتَّبِعَ الأحسن بعد التثبيت في قول الفاسق. والوزن بميزان القسط، وهذا عام لجميع الأقوال في الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك، فإذا سمع المتشابه ردّه للمحكم وعمل به، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أَمْ أَلْكَتِبُ﴾ الآية^(١)، وإذا سمع خلافة الوصي ودونه، اتبع الذي لا شبهة فيه، ووصفه وطاعته لله جليلة ظاهرة، لا سترة فيها. ويدخل فيه نقل الخطاب وتأديته، كما يسمع بغير تغيير في المعنى.

ففي الكافي عن أبي بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾» إلخ الآية^(٢)، قال: هم المسلمون لآل محمد، الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه، ولم ينقصوا منه، وجاءوا به كما سمعوه^(٣).

وعنه عليه السلام، مثله^(٤)، وستسمع أن تغيير اللفظ للمعنى غير ضائر، وهذا داخل في الأتباع، إذ الإتيان يستلزم العمل والعلم وبثه، فهو من أحسن القول.

تَمَّة:

البُشْرَى عامة لكل من أقر بالأئمة عليه السلام وأطاعهم في الحياة الدنيا على لسان الإمام بالسلامة والنجاة في الآخرة، وإن تفاضلت البشارة من وجه لتفاضل الدَرَجَات، ثم عطف على عبادته المضافين لنفسه؛ لكمال قربهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٣) الكافي: ٣٠٧/٢، باب ٩٥ التسليم وفضل المسلمين من كتاب الحجة، حديث رقم (٨/١٠٢٥).

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ٧٧، وسائل الشيعة: ٨٣/٢٧، مستدرک وسائل الشيعة: ١٧/٢٩٩.

وعلوهم، المتبعين للأحسن، بأنهم ﴿الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾^(١)، فعرفوا الأمر بتكسب وبالعمل بالبيان؛ لأنهم الذين يتبعون الأحسن، الدال على كون نفوسهم ذوي حركة وفكر: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ لا غيرهم. فمن لم يفرق بين الحسن وغيره حتى يترك القبيح ويتجنبه، ليس بذلي لب واهتداء، فلا عمل له.

والضمير في: (أحسنه)، راجع للقول أو الأتباع، وستسمع أن بالعقل يُعرف [به] الصادق على الله فيصدقته، والكاذب على الله فيكذبه^(٢). والمراد بالعقل المكتسب منهم لا المنافي لمقتضى الفطرة، فإنه هواء يسوق إلى عباده من ضل وغوى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَنَصَرَ النَّبِينَ بِالْبَيَانِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدْلَةِ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ وَجَدَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾»^(٣).

[شرح تكملة الحديث: إكمال الحجج بالعقول]:

أقول: وفي تحف العقول^(٤) «وأفضى إليهم» بدل «ونصر النبيين». والمراد بالعقل في المواضع الآتية: ما يقع به التمييز، وهو المميز

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٢) شرح الحديث (٢٠) من أحاديث أصول الكافي.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٣ و ١٦٤.

(٤) تحف العقول: ٣٨٤.

الشامل للفؤاد أو العقل، أي: القلب أو النفس، أي: المميز المطلق، وكلما يُطلب منه معرفته وإدراكه وتحصيله، أركز فيك، وأحاط به فؤادك وأودع فيك، وهو المطبوع والمسموع به، والمعلّم مُذكر، والعقلان من فاضل الأولى الكلّي ذاتاً وصفة. وما نذكره هنا يقع في مسائل.

[الكمال لا يقوم إلّا بالعقل]:

الأولى^(١): إن كمال الحجج على النَّاس لا يقوم إلّا بالعقل، فلو لم يكن لهم عقل لما ميّزوا بين الحسن والقبح، ولما عرف صواب ما يرد عليه ويلتقطه من جهة القوى وغيرها، كيف، محلّ السكينة التي بها يعرف الحق فيحققه، والباطل فينكره.

ولما أمكن صدق الأنبياء ﷺ إذ نفى الكذب عنهم، وإن الله لا يبعثه ولا يمكّنه من المعجزة للزوم وقوع القبيح منه تعالى، وهو قبيح عقلاً لا يكونان إلّا بالعقل، فبدونه يلزم إفحامهم، ولو لم يكن لمادتهم الله على عدم النظر وأمرهم به ونكثهم بعدم فقههم، وتدبرهم بعقولهم وقلوبهم، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ أَفْقَالُهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣)، فلو لم يكونوا مكلفي النظر بعقولهم، وهو حجة عليهم، لما كان لذلك فائدة، ولا يمكن دفع ذلك وثبوت بالنبوات.

وقول النبي ﷺ ابتداءً، فإنه بعد في حيّز المنع، بل أثبت كونه من عنده بعدم الاختلاف.

ولما كان لطلب التحدي لمعارضة القرآن وذمهم بعد عجزهم فائدة، ولما كان: ﴿وَقَى أَنْفُسَكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٤)، فائدة، وكذا ﴿سَتْرِيَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

(١) ساقطة من نسخة (ب).

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

أَنْفُسِهِمْ^(١)، وستسمع «بالعقل يستخرج غور الحكمة»^(٢) وغيره، مما يدل على حجية العقل لا الهوى.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣)، أي عقلاً^(٤).

فاستبان أنَّ الدليل النقلي والعمل به متوقف على العقلي لانتهاؤه إليه ولو بالآخرة.

وكيف لا يكون العقل حجة وبه وقع إكمال أمر النَّاس فيما يصلحهم من تحصيل أمر المعاش والسلامة في الآخرة، ومعرفته تعالى، وشكر المنعم.

وكذا ثبوت كماله المطلق، وإضراب ذلك واجبه عقلاً، كما تواتر عليه الدليل العقلي واجتمعت عليه العقلاء، وتواتر به النص أيضاً معنى، وقد أشير له في الآيات السابقة لذي التدبر، ولا عبرة بقول غثاء الحيوان؛ لعدم الوجوب العقلي، وقد أبنا بطلانه في غير هذا الموضع.

ومعلوم: إن الواجب العقلي لا توقف له على الشرع؛ لقيام الدليل عنده على ثبوته والقطع به، فالشرع مؤكَّد حينئذ وإن أسس آخر، فإذا العقل أساس والتكاليف الشرعية الطاف في الجزء العملي لا العلمي. بل نقول: وفي العلمي أيضاً، وهو لا ينافي ثبوت وجوبه ودليله بالأفكار الصافية من النظر في الآفاق والأنفس، فتأمل.

قيل: كثيراً ما يقع الغلط في طريق العقل دليلاً وتوهمًا، فكيف يقع إكمال الحجج به.

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٤) تفسير التبيان: ١١٠/٤ و ٤٥٧/٦.

قلنا: الأكثرية ممنوعة، ولو سلمت لغلبة الشيطان والأهواء مع ركون النفس لذا ابتداءً في أكثر الناس، فذلك من عدم صحة الفكر والنظر، وهو لا يدل على عدم تمامية حجته، وثبوت دليله، وإلا بطلت نبوة الأنبياء ﷺ برد كثير لها، مع أن في الناس من يرتكب العناد، والشبه الواردة في طريقه مدفوعة كحالة الدليل النقلي، بل كلما يرد هنا يرد عليكم في النقلي وما تدفعون به عنه ندفعكم به.

ونقول أيضاً: المدرك عقلاً فيه ما لا اختلاف في حسنه وقبحه، وقسم فيه اختلاف، والثاني يعرف بالأول.

فأنصف أيها الناظر واستقم، فقد خلّيت، واختيارك بعد بيان السيلين لك وتكميلك في النشاطين.

فإن قيل: إذن كيف يقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١).

قلنا: الرسل تشمل الرسل الظاهرة والباطنة، فيدخل العقل، مع أنا لا ندعي استقلال العقل بجميع الجزئيات، بل قد يشبهه عليه داع ذي فعلية تامة، فوجبت البعثة واستمرارها، إما بنفسها أو بخليفة هو نفسها، وكان من ضروري النظام ولازم الحكمة والانتظام، فأذن كلّ منهما يدور على الآخر، ولقد أفصح مثل هذا الحديث بتمامه وأمثاله والآيات بحجة الدليل العقلي، أي: العقل المكتسب والمسموع منهم، وهو والنور الذي ينظر به المؤمن وبه تفرّسه، وفي كلمات علي عليه السلام: «ظن المؤمن كهانه»^(٢)، وهو شعاع نور روح القدس الموجب لاستحكام القوتين، فلا يعترض بما توهمه أهل الوهم من الآيات الدالة على عدم جواز العمل بالرأي والهوى، وكذا الاستحسان،

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢٣.

وكذا الروايات الدالة في ذلك أن ذلك يدل على عدم حجية العقل، إذ لا خلاف لعاقل ولا متدين على عدم جواز العمل بالرأي والهوى، ولا منافاة بين هذه وتلك، بل مورد هذه في ضد تلك؛ لأنّ هذا ليس بعقل بل جهل، ونحن قد قلنا لك: العقل لا الجهل والوهم، ومن الوهم اعتراضه بهذا الكلام ومن المنصرح عند العقلاء، وفهمه من النص ظاهر أن العقل شرع داخل، فهم المفيدون والمعلمون، ولا غنى عن الوسطة مطلقاً.

وفي النص: إن أرواح المؤمنين من فاضل طينتهم، وشعاع نورهم^(١). وإن أرواحهم اتصالها بشيعتهم أشد من اتصال الشمس بشعاعها، فسبحان من ملأ الأكوان نوره، وهم نوره، وعم الوجود ظهوره، فإنهم محل فعله، وله في كل ظهور بحسبه.

فالدليل العقلي الذي تقول الإمامية الفقهاء بحجّيته، وقد حصروه في البراءة العقلية والاستصحاب في (استرشاد المفيد)، إن ما يميز به الحديث العرض على الدليل العقلي، ولما اشتبه الأمر على جيل من العلماء بالرأي، مع أن الروايات الدالة على الدليل العقلي الذي يعنوه الفقهاء كثيرة، ستسمعها في (الجزء الثالث)، والست تقول الدليل الكتاب والسنة، فإن قلت: الكتاب مطلق، لا يفهم إلّا بالسنة، فليس إلّا السنة، فكيف تقول اثنان.

وأيضاً: كل شيء في القرآن وإن لم نبلغه نحن، قول الدليل واحد. والعجب: إن هذا الاختلاف مع الاتفاق معنى لا يوجب رمي الفقهاء وأعلام الدين الحجاج علينا، والإمام عليه السلام حجة عليهم، بأن ذلك عمل بالرأي والظن وأمثال ذلك مما سود به البياض، كما يظهر للمراجع في موضعه، ما ذلك إلّا لعدم تمييز، وركون للتقليد وسينكشف أن استدعاه المقام ببسط وإلا فكلّ منهما يدور على الآخر.

(١) روضة الواعظين: ٢٩٦، مشارق أنوار اليقين: ٣١٥.

[الشرع والعقل]:

قال الشيخ محمد بن أبي جمهور في المجلي: (ولبعض العارفين كلام نافع في هذا المقام، وهو: إنّ الشريعة عاضدة للعقل وهو عاضد لها، إن^(١) العقل لا هداية له بدون الشرع والشرع لا يثبت بدون العقل، فالعقل أساس والشرع بناء، والبناء لا يثبت بدون الأساس، والأساس لا ينتفع به بدون البناء).

أو يقال: العقل كالبصر والشرع شعاعه، فالشعاع لا يقوم بدون البصر ولا يفيد البصر بدون الشعاع.

أو يقال: الشرع سراج والعقل زينة^(٢)، فلا ينتفع بأحدهما في الاستضاءة والاستنارة^(٣) دون الآخر.

ففي الحقيقة: الشرع عقل خارجي والعقل شرع داخلي، فهما [حينئذ] متعاضان متعاونان، بل متحدان.

ولأجل أنّ الشرع عقل سلب الله [تعالى] عن الكفار اسم العقل في مواضع من كتابه، مثل: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤). وكذا الكلام في كون العقل شرعاً، فإنه قال: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّبْتُ الْقَلِيمُ﴾^(٥)، فسمّى العقل ديناً. وفي اتحادهما قال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾^(٦) وعنى بهما نور العقل ونور الشرع؛ فإنه قال: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فجعلهما نوراً واحداً.

(١) في المصدر: إذ.

(٢) في المصدر: العقل سراج والشرع زينة.

(٣) في المصدر: والإثارة.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٦) سورة النور، الآية: ٣٥.

فالشرع مع عدم العقل يعجز عن كثير من الأشياء، كعجز العين إذا فقدت النور، وكذلك العقل إذا فقد الشرع عجز عن معرفة حقائق المقربات والمصلحات الدنيوية والأخروية؛ لعدم النور العرضي عند عدم الحامل؛ فإن العقل قليل المنفعة بدون الاستضاءة بنور الشرع^(١)؛ فإنه إنما يتوصل إلى كليّات الأمور دون جزئياتها، والشرع يحكم على الكليّات والجزئيات ويبيّن كلّ ما يختص بشيء شيء؛ فإنه معرفة حُرمة كثير من الجزئيات أو جُلّها، بحيث يجب الاحتراز عن الأوّل دون الثاني لا يعرف بدون الشريعة^(٢)، [كما في كثير من الجزئيات المعلومّة بالشرع] كالمنع من وطئ الحائض وجوازه في الاستحاضة، [أنّى للعقل بدركه]، وأمثال ذلك ممّا يطول [تعداده].

فعلم أنّ بالشرع حصلت الاعتقادات واستقامت الأفعال وتميّز [به بين] صحيحها وسقيمها، فهو الدليل على المصالح الدنيوية والأخروية، والضالّ عنه ضالّ عن قصد السبيل. ومن هذا السرّ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣)، وإليهما^(٤) أشار بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥)؛ فقد قيل: إنّ (الفضل) العقل، و(الرحمة) الشرع.

و(إلا قليل) إشارة إلى [أنّ هناك طائفة هم] الصفوة [والخيار]، فليس من شأنهم اتّباع الشيطان؛ بسبب الاصطفاء [والاختيار] من غير احتياج لهم بالشرع أو العقل؛ لأنهم اختصّوا بمزايا أخرجوا بها [عن المعاني البشرية بدون سبق تعمل أو تفكر]، بل ذواتهم مقدّسة [وحقائقهم المطهّرة التي هي

(١) في المصدر: الشريعة.

(٢) في المصدر: لا يعرفه العقل ولا سبيل إلى معرفته بدون الشرع.

(٣) سورة الأسراء الإسراء، الآية: ١٥.

(٤) العقل والشرع.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٣.

عين ذاته المقدسة في العالم العقلي كانت مستعدة وقابلة لفيض هذه النعمة والاصطفاء من الاختيار بمحض العناية ومجرد الإحسان ومحاسن اللطف الامتناني الفائض من الذات السبحانية على تلك الذوات المطهرة، وعند تميزها عنها بنقطة الإمكان.

فهم الذين لا يمكن للعقل^(١) إدراك [كنه] فضلهم ولا معرفة مقدار كمالهم، فهم^(٢) خُزَّان الله [وَحَكَّامه وَأَمْنَائِهِ] وخلفاؤه [على عبادِهِ]، بهم يأخذ، وبهم يعطي [وبهم يقبض] وبهم يبسط. ولولاهم ما كانت الأكوان ولا دارت الأدوار، ولا يخلو عصر [من الأعصار] من واحد منهم، وإلا لتعطل الوجود وخرب العالم^(٣) انتهى.

وكيف لا يكون حقاً ولا يستغنى عنه، ومنشأ العقل الهولاني الملقى من الله وصورته بالفعل.

وعنهم ﷺ: إن الله على الناس حُجَّتَيْنِ: إحداهما العقل، والثاني الشرع^(٤)، فهو نعمة مفاضة علينا باطناً.

وقال عليّ عليه السلام:

رأيت العقل عقليين	فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع	إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس	ونور ^(٥) العين ممنوع ^(٦)

(١) في المصدر: للعقول.

(٢) في المصدر: فصاروا بذلك.

(٣) مجلي مرآة المنجي في الكلام والحكمتين والتصوف: ٩٣٥/٣.

(٤) أصول الكافي: ١٤/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (١٢).

(٥) في المصدر: ضوء.

(٦) الكامل في التاريخ: ٧/١.

فظهر أن وجه إكمال الحجج من البراهين وصدق خلفائه بالعقول الصحيحة المميّزة وأنه حجة.

تنبيه :

قال الشارح محمد صالح : («إنَّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول» الحجج : القصدُ، ومنه الحجّة، أي : البرهان وولاية أمر الله سبحانه ؛ لأنّهما يقصدان ويعتمدان وبهما يقصد الحقّ المطلوب. وقد تطلق على الحقّ ^(١) أيضاً كما في بعض الروايات : «ولله على الناس حجتان، إحداهما العقل، والثاني ^(٢) الرسول ﷺ ». ولا يجوز إرادته هنا بخلاف الأولين، فإنّه يجوز إرادة الأوّل على أن تكون ^(٣) الباء سببيّة ^(٤)، يعني : أكمل للناس براهين وجوده [و]وجوبه وقدرته إلى غير ذلك من الصفات، بسبب العقول وخلقتها وتركيبها فيهم، ويجوز إرادة الثاني على أن تكون ^(٥) الباء للتعديّة أو للسببيّة أيضاً، بمعنى : أكمل الناس ^(٦) حججه من الأنبياء والأوصياء المرضيين بعقولهم الصّافية، وأذهانهم الثّاقبة أو بسبب أن منحهم عقولاً زاكية ^(٧) عارية عن شوائب النقصان، مدرّكة لشواهد الربوبية بحقائق الإيمان ^(٨) انتهى.

ولكن إذا أردت من الحجج المعنى الثاني فالعقول مراد بها عقولنا، إذ

(١) في المصدر : على العقل.

(٢) في المصدر : وأخراهما.

(٣) في المصدر : تكون.

(٤) في المصدر : للسببية.

(٥) في المصدر : يكون.

(٦) في المصدر : للناس.

(٧) في المصدر : زكية.

(٨) شرح أصول الكافي : ٩٣/١.

بها التمييز والتصديق لا عقول الحجج فإنهم بدونه لا حجة، ولدلالة قوله: «وَنَصَرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ».

[نصر الله الأنبياء بالبيان والفصاحة]:

الثانية: نصر الأنبياء ﷺ بالبيان، إذ بعثهم للتكميل واحد، الكل بقدر استحقاقه، فلا بد من كونهم ذا بيان يفرق بين الحق والباطل، ويظهر الحجة وتكون غالبية، فإنهم غالبون سناناً ولساناً.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وكيف لا يكونون ذوي بيان، والكتب السماوية مقرها عندهم، ونزلها عليهم.

ويدخل في البيان الفصاحة، فهم أفصح أمتهم، قال النبي ﷺ: «أنا أفصح العرب والعجم»^(٢)، «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش» الحديث^(٣). وكيف، وهم مستجمعون للكمالات مبرؤون عن العاهات.

أما ما قيل بأن موسى ﷺ يده برصاء وبرئت لما أخرجها من جيبه بيضاء آية أخرى، فغلط^(٤). بل كانت سالمة من ذلك، وبعد إخراجها أخرج لها نور يضيء ميلاً في ميل، وكذا لسانه ليس به لكنه، وإلا لم يكن أفصح أهل زمانه شعشعاني، فلم يصح نصرهم بالبيان.

والرواية المنقولة في حكاية الخبز والنار مع فرعون في الصغر، عامية سبيلها الاطراح، وعدم التعرّيج عليها؛ لمخالفتها للبراهين العقلية والنقلية، وإجماع الفرقة.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) عوالي الثاني: ١٢٠/٤.

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس: ١٥٣/١ حديث رقم (٦٠٩).

(٤) إشارة لما في سفر الخروج الإصحاح الرابع، آية: ٦.

[في معنى واحلل عقدة من لساني]:

وأما قوله تعالى: هو أفصح مني لساناً، ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾^(١)، فالمراد من الآية: ﴿وَأَخِي هَارُونُ﴾^(٢)، إن هارون لما كان أحب لبني إسرائيل منه، فهم أشد إصغاء ضرورة.

ومعلوم أن مع عدم الإصغاء لا ينطلق لسان المتكلم، لا عن عجز، بل لعدم القابل من المقابل بخلاف ذلك، فإن كان حصل الإصغاء وعليه البيان فإنه أشد منه بياناً، فلو تأملت وجدت اشتراط كونه معه، دالاً على كونه أفصح منه، وإلا لأرسل هارون وحده.

ومعنى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، ظاهر حيثئذ.

ومعنى آخر: إنه لا شك أن مقام المناجاة ولسانها أقوى وأعلى من مقام التبليغ والمداخلة البشرية.

فمعنى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾، أي: أطلق لساني ويسره لمداخلتهم، فإن لساناً خاطبتك به وسمعت به لذيذ مناجاتك أجله عن سماع غير ذلك الخطاب، وإن كان حسناً، لكن لا كخطاب الأحياء، ودائماً هم في التوسل والسؤال.

وكذا ما قيل: إن بعض الأنبياء السابقين أعمى، فغلط. وعمى وما يوهم سبيله الاطّراح، وكيف لا يكون كذلك وهم صفوته، والمعلم لهم البيان، فلا نطق كنطقهم ولا بيان كبيانهم، بل كلماتهم جوامع، وكتب الدعوات وخطبهم وكلماتهم، كما جمعه الأمدي^(٣) والشيخ ميشم^(٤) وغيره وكذا كتب الأصول.

(١) سورة طه، الآيتان: ٢٧ و ٢٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم أو حكم الإمام علي عليه السلام.

(٤) شرح نهج البلاغة.

ولا شك أنهم مجمع العلم وخزائنه، وإليهم انتهى أصله وغايته، وقد أوضحنا هذه المسألة مبرهنة في (مصباح الضياء لتنزيه الأنبياء)^(١).

[قول المَلّا خليل في البيان]:

وقال ملا خليل القزويني في الشرح: ("ونصر النبيين بالبيان"، أي: بيان الله تعالى للناس الحجج، بحيث يندفع عنها عند العقلاء الأشياء^(٢)، ولولا ذلك لزم إفحام الأنبياء ﷺ^(٣)) انتهى.

ولكن لا يخفى دخول هذا في الفقرة السابقة، بل البيان للأنبياء ﷺ، فالكتاب والميزان معهم كما قال تعالى.

[الله دل أنبياءة على معرفته]:

الثالث: الضمير في «دَلَّهُمْ» يحتمل عوده للنبيين وللناس، وإن بعد لتامة المعنى، لكن يرجح عوده للنبيين؛ لقربه. ولأن الأنبياء لسائر الناس، إنما هو بساطتهم وبيانهم غيباً وشهادة، إذ العقل شرع داخل كما مر. لا يقال: إن معرفة النبيين لا بدليل فإنها أضعف.

قلنا: ستعرف في التوحيد في باب "أنه لا يُعرف إلا به"^(٥)، رجوع اللمي في نفس الأمر للآتي، وليس معنى اللمي كما يقوله المتكلم وأهل النظر: لامتناع المشاهدة الاكتناهيّة، بل ليس إلا التقيدية ولو بالإطلاق في نفس الناظر بجميع المظاهر غيباً وشهادة مطلق، وهذه الخاصة بمحمد ﷺ

(١) ذكر الباحث الأستاذ نزار آل عبد الجبار في كتابه (الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي... توثيق بليوجرافي بآثاره المخطوطة والمطبوعة) هذه الرسالة في الهامش وفي المتن بعنوان: (تنزيه الأنبياء)

(٢) في المصدر: بالعقول الاشتباه.

(٣) في المصدر: ولا يلزم إفحام الأنبياء.

(٤) الشافي في شرح الكافي: ١/١٨٥.

(٥) راجع: هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٣/٤٠٨ من المطبوع

وآله ﷺ. فالله دلّ أنبياءه على معرفته بجميع الطرق التي تحضر بهم والتي يدركها سائر المخلوقات في الآفاق والأنفس.

[قول ورد على ملا خليل في أثبات وجوب الوجود]:

وقال ملا خليل في الشرح: (ليس شيء من الأدلة الدالة على ربوبيته التعرّض لإثبات وجوب الوجود^(١) بإبطال في الدور والتسلسل ونحو ذلك، فتكلّف ذلك ممّا لا حاجة إليه، فإنه إذا ثبتت الربوبية ثبت [به] وجوب الوجود كغيره من صفات الكمال؛ لأنّ الأدلة إنما تدل على ثبوت صانع لجميع العالم [بلا آلة وفعل علاجي، فتدلّ على أنّه] بريء من كلّ نقص، والإمكان الذاتي نقص^(٢) انتهى.

فأما قوله: ليس في الأدلة تعرض لإبطالهما، بل مصرّح به في حديث الرسول ﷺ مع سائر الملل، كما في (الاحتجاج) ونقلناه في موضعه مع سائر الأدلة العقلية. وكيف لا يكون فرقة من الدهرية تعتقده، وتقول بعد الأوليّة مطلق، بل أكثرهم.

نعم، الأدلة قائمة وثابتة من غير تعرّض إلى إبطالها كما تقول: هي قائمة على ثبوت عدله ونفي الجبر عنه، وغيبه صفاته وغير ذلك من غير حاجة إلى إبطال سائر مذاهب الأشاعرة والمعتزلة، لكن إذ أنه شكك بها الوهم الشيطاني فلا بد من دفعها كما هنا ليثبت الدليل، كما هنا، فالسبيل واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْيِيرًا﴾^(٣)، ﴿وَإِنَّ جُنَدًا لَهُمُ الْغَلِيلُونَ﴾^(٤)، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾^(٥).

(١) في المصدر: الوجوب الذاتي.

(٢) الشافي في شرح الكافي: ١٨٦/١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

ويحصل به زيادة اطمئنان ووثوق. كيف، وردّ الشبه واجب كفائي، فقلوه: (لا حاجة إلى تكلفه) ليس مطلق.

نعم، هو بالنسبة إلى أوّل الدرجات بأقلّ المجزي.

وأيضاً: سبيل الربوبية ووجوب الوجود واحد، فكما إذا ثبت بدون الإشكال باحتمال الوهم التسلسل أو الدور ثبت الآخر، فإذا شكك بهما تعملهما الوهم؛ لا تثبت ما لم يدفعها.

وبالجملة: فالسبيل واحد في جميع مسائل الأصول والبيان، وقع في الكل عقلاً ونقلاً.

فقلوه: (إنّ تكلفه لا حاجة إليه). خطأ، كيف، وقد عرفت أن دفع الشكوك وردّ الشبهة واجب كفائي، ومثل هذه قديمة قبل الرسول ﷺ وتعرضوا له ولتنبيهه.

نعم، دفع الشبه وزوال المانع ليس من تمام الدليل ولا بدا حين فيه، فتدبر. وقال محمد صالح في الشرح: (ب) (الأدلة) الدالة على وجود ذاته، والآيات الكاشفة عن [جمال] صفاته^(١)، وتلك الأدلة [من] آثاره العجيبة، وأفعاله الغريبة؛ إذ^(٢) معرفة الشيء: إمّا بحضور ذاته ومشاهدته للعارف كهذا الجبل^(٣)، وأما معرفة علّته، و[هذا الطريق] يقال له: البرهان اللمي. أو بمعرفة معلوله، ويقال له: الإني^(٤). ولا سبيل^(٥) للمعرفة بدون هذه الثلاثة، إذ لا معلولة ولا علّة وليس بحاضر، لا سبيل إلى معرفته^(٦)، ثمّ

(١) في نسختي المخطوط: صفات.

(٢) في المصدر: لأن.

(٣) في المصدر: إمّا بمشاهدته وحضوره عند العارف كمعرفة هذا الرجل وهذا الجبل.

(٤) في المصدر: برهان إني.

(٥) في المصدر: ولا طريق.

(٦) في المصدر: لأن ما لا يكون نفس الشيء ولا علته ولا معلوله ولا تعلق له بذلك الشيء فلا دخل له في معرفته.

الطريق الأول لا يصل^(١) إليه إلا المقربون المخصوصون بزيادة القرب والألطف والتوفيق، وهم الذين أخذتهم الغاية الأزلية^(٢) وأزالت عنهم الهويات البشرية، وقطعت عنهم العلائق^(٣) البدنية [وأنزلتهم في أعلى منازل القدس وأرفع مقامات الأنس]، فصاروا بحيث يشاهدونه بلا حجاب، ويكالمونه بلا سؤال ولا جواب، كما هو وصف نبينا ﷺ وأوصيائه ﷺ.

والطريق الثاني: لا أثر له في ساحة قُدسِهِ، لأنه بسيط صرف لا تركيب فيه [أصلاً] لا خارجاً ولا ذهنًا، ولا بوجه أصلاً^(٤).

والطريق الثالث: يشترك فيه الكل، ولذا خصّه بالذكر، و[هو طريق] يسلكه كل ذي قلب سليم^(٥) [وطبع مستقيم]، لكنهم في سلوكه متفاوتون حسب [مراتب] عقولهم... إلى أن قال: ولو عاد ضمير الجمع [في] «دلهم» إلى الناس لأمكن أن يراد بالأدلة المعصومون المطهرون ﷺ^(٦) انتهى.

[تعليق المصنف]:

فأما حصر رؤية الشيء في الثلاثة فحق، وكذا نفي الثانية عنه تعالى وإثبات الثالثة، لكن جعله القسم الأول متحقق في جنبه تعالى وإن كان خصّه بمحمد ﷺ وآله ﷺ فغلط وارتكاب شطط، وتقدمت الإشارة له، وكيف يكون كذلك وعليّ ﷺ يقول في خطبته: «تجلى لها بها» إلخ^(٧)، فيها التجلي.

(١) في المصدر: لا يتيسر الوصول.

(٢) في المصدر: وهم الذين أخذت أيديهم العناية الأزلية.

(٣) في المصدر: العوائق.

(٤) ولا بوجه أصلاً. ليست من المصدر.

(٥) في المصدر: من له عقل سليم.

(٦) شرح أصول الكافي: ٩٤/١.

(٧) الاحتجاج: ٤٨٠/١ رقم (١١٧)، بحار الأنوار: ٢٦١/٤، شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣٤/١٣ رقم (٢٣١)، نهج البلاغة (الشيخ محمد عبده): ٢٤٠/٢ رقم (١٨٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية (١).

نعم، يتفاوت الحال بين قلة الحجاب وكثرته أو عدمه بحسب الخارج لا الذات، فإن حجابها لذاتها عن ذاته غير مرتفع أصلاً، وإلا انقلب الممكن واجباً، وهذه المعرفة لا يكون إلا للمنصور الموهوم أو المحسوس المشاهد، وكلاهما لا يجريان في جانب القدس تعالى الله علواً كبيراً.

ويلزم من كلامه اكتناه المعصوم ﷺ له حينئذ، وإن لم يرد ما يدلُّ عليه [من] ظاهر عباراته، بل أراد الكناية عن شدة القرب الإمكانى وكشف الحجب حتى نظر بمقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ (٢)، ونحن هو وهو نحن، فهو لا يخرج عن المقام الثالث؛ لقولهم ﷺ: «هو هو ونحن نحن» (٣)، وإلا إنهم عبادك، في دعاء رجب المروي في المصباح (٤) وغيره من كتب الدعاء، وحينئذ لا يجزي في معرفته إلا الطريق الثالث وإن تفاوتت درجاته، بل لا يتناهى حتى قال ﷺ: لا يعرف الله إلا أنا وأنت يا علي، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا (٥)، مع عدم قرينة معينة لمراده، وهي ممّا تطلب هذا، بل تجب، كيف وقد ثلث الطريق، فدع كلامه وهو ممّا أجمع المتألهون، بل جميع العقلاء والنقل على رده، وقد بسطنا الكلام فيه في غير موضع في جزء التوحيد وغيره.

وقوله: (بإزالة الهويات البشرية والعلائق البدنية)، إن أراد الحجب الظلمانية، بل مطلق الحجب؛ لأنهم معصومون فحق، لكن لا ينفعه كما هو ظاهر.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٩.

(٣) الكلمات المكنونة: ١٧٤.

(٤) المصباح: ٦٧٥.

(٥) راجع: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين ﷺ: ٢٠١.

وإن أراد بحيث لم يوصفوا بالإمكان فكلاً، وهو أظهر من السابق.
وأيضاً إذا عدت ضمير الجمع إلى الناس فالمراد بالأدلة ما يشمل الكل وإرادة العقول، بحيث إن معرفته واجبة، فلا يتوقف على الشرع وإلا لم تكن عقليته. لا ينافي ذلك لما عرفت إن العقل شرع داخل، وهو منهم؛ لأنّ لهم التصرف والواسطة للفيض مطلق، غيباً وشهادة، فهم السائرون أمام كل سائر والهادون له، وقد ملأ نورهم كل شيء؛ لأنهم آياته وأسماءه التي ملأت أركان كل شيء، فتدبر.

ثم لما كان معنى الرب هو السيد الواجب أو الوالي المظهر، والتربية تقتضي سَوْقُ كُلِّ إلى كماله شيئاً فشيئاً، وهذا يقتضي عموم جوده ودلالته في كل شيء، مقامه التقييد التفصيلي.

ولما كانت الدلالة عليه كذلك اختيار من أسمائه تعالى الرب، وعبر بالتربية دون أن يقول الدال على ألوهيته ووجوده أو كماله وجميع ذلك داخل فيه.

ويدل حينئذ على أنّ كُلَّ أحد يعرفه وإن تفاوتت الموجودات فيها، وهو كذلك عقلاً ونقلاً.

وحيث عرفت معنى التربية ففيه دليل على أن الممكن حال بقاءه مفتقر إلى الجاعل بذاته كأول وجوده بلا فرق، لا كما توهمه جماعة من المتوهمّة، إن الممكن بعد حدوثه مستغن عن العلة؛ لما لفقوا بوهمهم: إن علة الحاجة الحدوث، وهو بعد مستغن، حتى أنهم صرحوا بأنه لو فرض، والعياذ بالله، عدم الواجب؛ ليبقى أو تهو، سواء بقاء الكتابة بعد الكاتب والبناء بعد البناء، ولقد أبطلنا هوساتهم وحققنا الحق عقلاً ونقلاً في (جزء التوحيد)^(١) ببسط في موضع، وباختصار في آخر.

(١) راجع هدي العقول إلى أحاديث الأصول المطبوع: المجلد ٣ و٤ و٥ و٦.

تتمة :

فجميع الموجودات تدريجية الوجود لكن لا تدريجاً زمانياً، كيف، وحقيقة الزمان هو عبارة عن تجدد المدد وكل تدريجي، فزمان وجوده هو زمان حدوثه بزمته، فالنامي زمان نموّه من أول وجوده إلى آخره المقداري، وكفعل الصلاة من أول التكبير إلى آخر التسليم، فكل الوقت وقت حدوث، لا أنّ هنا وقت حدوث ووقت بقاء.

نعم، فيه دليل على حدوث العالم بزمته، وهو كذلك عقلاً ونقلاً وعلى ثبوت الحركة الجوهرية أيضاً، وهي كذلك.

[جزاء وثواب التفكير في الآفاق]:

الرابع^(١): أشار الإمام عليه السلام بالآية إلى الأدلة التي بينها الله لخلقه ودلهم عليها، وذكر الآفاقية لكونها أظهر، ولا محالة ينتقل منها لنفسه؛ لأنه ذو نظر وفكر ولم يعين عليه السلام الدلالة من جهة صفاتها أو ذاتها أو متجدداتها كلفظ الآية؛ لعموم دلالتها عليه تعالى من جميع ذلك مع وضوحه ولينتظر ويكتسب، فإنّ في التفكير ثواباً جزيلاً لأنه عمل من أفضله، ومخرج للنفس من القوة إلى الفعل إلى غير ذلك من مزاياه وخواصّه، كما ستقف على جملة منها في جنود العقل، وفصل في موضع آخر؛ لاقتضاء الحكمة فيه البيان.

فقال تعالى في سورة البقرة خطاب لكل موجود ذي عقل: ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهُهُ﴾^(٢)، لا أكثر؛ لافتقار الاثنينية للوحدة من غير عكس، ولكون الإله غني مطلق وإطلاقه يقتضي كونه واحداً، ولا ارتباط العوالم الموجب لافتقار كل للآخر الموجب لكون الصادر واحداً، ولعدم التركيب في الواجب، وهو

(١) في النسختين: (الرابعة)، واستبدلت هنا حتى تتناسق مع الرقم السابق.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

واجب لو كان اثنان، ولعدم الوقوف حينئذ على مرتبة من الأعداء؛ لعدم الترجيح ولغير ذلك من الأدلة العقلية والنقلية. وسيأتي في (جزء التوحيد).

ف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: نفي لما عسى أن يتوهم أن في الوجود إلهاً آخر معبود لعالم آخر، وإلا لظهر آثار صنعه وظهرت رسله؛ لكونه جوداً وهو لازم الجود، ولتمايز الصنع وغير ذلك. وحيث كان معنى الإله المستحق للعبادة والمستولي على ماديّ وجل، فتكون الرحمة باعتبار البداية ولازمة الوجود العام للقبضتين، وكذا هي باعتبار إزالتها والاستحقاق العملي، وإن كان بفصله منه بقوله تعالى فوصفه بقوله: ﴿الْزَمَرْ الزَّحَرُ﴾^(١)، وهي في شأنه، بمعنى الهداية والجود والرأفة وغيرها، آثارها فينا؛ لقوله: فانظر آثار رحمة الله؛ لأنها مجاز لغوي بالنسبة له ووصفه باعتبار الغايات هي خاصة أو مطلقة صفاته، لكن ليست البداية الممكن فلا يكون أصلاً لصفاته تعالى وكمال، فهو رحيم، حيث لا موجود، بل رحمته وجوده، أوجد الموجود، ولقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في جزء التوحيد، وأبطلنا ما قاله أهل اللغة وكثير من العلماء وحققنا الحق: ﴿أَلَمْ يَكُنْ أَلَدُّكُمْ وَلَهُ الْأَنْثَى * تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَى﴾^(٢)، والحقيقة ذكر والمجاز أنثى، فرحمة الممكن سياق وجوده وكذا الواجب، ففيض الكمال أولى به، وعليك بمراجعتها في موضعها^(٣)، فسبحان من أعطى كل شيء ثم هدى^(٤)، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الآية^(٥)، وهذا مقام الرحيم، ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٦)، فهو المنعم بجميع النعم، ظاهراً وباطناً.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٢١ و ٢٢.

(٣) راجع: هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ١٣٣/٤. (المطبوع)

(٤) من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (سورة طه، الآية: ٥٠)

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٦) سورة النحل، الآية: ٥٣.

[ثمانية براهين تدل على وجود صانع حكيم]:

واعلم أن الآية المذكورة في الحديث على ثمانية براهين حكمية أو تزيد، دالة على وجود الله وكماله وتنزيهه؛ لأنّ الموجودات جملة وفرادى بحسب الذات والصفات والأفعال، ونسبته لنفسه أو إلى الأمور الخارجة مضطرة إلى إثباته وتنزيهه عن التعطيل والتشبيه كما سبق بعض، وسيأتي هنا وفي مجلد التوحيد، إن شاء الله.

[خلق السماوات]:

الأول: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾، فإنها أبسط الأجسام ومختلفة في الحركة والسرعة وغيرها، وكلها مستديرة، وبعضها ساكن أو حركته بسيطة جداً، والفاعل بها ذلك لا بد وأن يكون حكيماً عليمًا، حيث جعلها خزانة جوده، والأطلس هنا مظهر القلم، والكرسي مظهر النفس الكلية وبمنزلة اللوح، وهو يقتضي السكون، كما إن الأول السرعة مع ما يتعلق من تدبير العالم في حركتها جميعاً بالحركة الأولى، وتكمل كل يوم مع ما يحدث من الارتباطات، وهي في حركتها لا تصعد ولا تهبط؛ لأنه ليس وراءه لا خلا ولا ملا، وحركته دورية، فمن فكر فيها من هذه الجهات وغيرها لا يرتاب في أن خلقها ليس بإهمال، بل بإتقان وإحكام ومناسبات وأسباب خاصة.

ومعلوم أنّ خالق الخلق كذلك لا بد وأن يكون عالماً حكيمًا واحداً وإلا لم ينتظم كذلك، ويكون كشخص واحد، وكذا لو نظرتها من جهة الآثار الظاهرة منها في السفليات أو من جهة الحركة، كأهل الطبيعة أو من حيث تجدد الآثار والأوضاع أو من حيث المحرك لها إلى غير ذلك.

[موقع الأرض بالنسبة للعالم]:

الثاني: الأرض فإنها ساكنة في الوسط مركز العالم على التحقيق، ليست بصاعدة ولا هابطة ولا مستديرة كما بُرهن عليه في موضعه وخلافه من

مبعثرات

الأقوال شاذة ساقطة، وليست بشديدة الحرارة أو البرودة أو الصلابة أو اللين بل بحيث تنتفع بها الناس في مصالحهم من دفن أو زرع أو بناء وغير ذلك.

فإن قيل: كانت كذلك لطبعها.

قلنا: من جعل طبعها يقتضي ذلك دون سائر الطبائع والمقتضيات؟ فإن كانت بنفسها فهي عالمة حكيمة، ليست بطبيعة جامدة واحتيج إلى إثبات مقارن آخر لها استقلالاً، هو السبب القريب، وما المانع من إثبات صانع حكيم وسلبه عن الطبيعة.

وإن قيل: الصانع الحكيم جعلها كذلك، وهي من قبيل الأسباب حصل مطلوبنا، ولا نمنع ذلك فيها بتدبير الله وخلقه لها مع ما ترى من افتقارها للسموات، فهي محل القابلية وخزانتها، ويختلف ظهوره في بقاعها، ففي بقعة يتكون الذهب وفي أخرى الفضة وهكذا في سائر المعادن من الأسرب والنحاس، والحديد والدار صيني، والياقوت والفيروزج وغير ذلك، وجعلها طبقات متلاصقة بمنزلة كرة واحدة، بل هي مع كرة الماء كالكرة الواحدة، ولذا جمع السماوات ووحد الأرض، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا من عليم مدبر حكيم، جعلها كذلك، واشتمل علم الهيئة على جملة من حكمها الجسميّة الظاهرة والحركة الدالة على وجود صانع مدبر حكيم، ليس بالطبيعة ولا غيرها، كاختلاف الآفاق والتعديلات والطوالع والظالع، والأطوال والأعراض والاضلال إلى غير ذلك مما يطول نقله، وهو علم منفرد.

وكذا ما يتفرع على كرويتها، وعلم المعادن، وكيفية تكون كل واحد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤. وسورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

فيها، يوضح لك ما نقول ويثبته كذلك، لو سرّحت الفكر فيها من جهة الغيب أو من جهة الجسم التعليمي، وبسط ذلك لا يسع المقام.

ولذا قال الله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، مع أن الإنسان مختصر العوالم وفيه انطوت، فأين الإهمال، وقول الجاهل من الدهرية والضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٢).

وقال الصادق عليه السلام فيما بيّنه للمفضل من بعض حكمها الظاهرة الدالة على العهد والتدبير ليرد به على منكره فيها، بل يكون جامداً على المحسوس، «فمن ذلك سعة الأرض وامتدادها، فلولاً [ذلك] كيف [كانت] تتسع^(٣) لمساكن^(٤) الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت [أخشابهم] وأحطابهم، والعقاقير العظيمة، والمعادن الجسيمة غناؤها^(٥)».

ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة، فيقول: ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى [هذه] الوحوش ومحالّها ومرعاها، ثمّ فيها بعد^(٦) مُتَنَفِّسٌ ومضطربٌ للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء وكم فدغد حالات قصوراً وجناناً، بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه.

ثمّ فُكِّرَ في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة^(٧)

(١) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٢) سورة ص: الآية: ٢٧.

(٣) في النسختين: وسعت.

(٤) في النسختين: المساكن.

(٥) في النسختين: عناها.

(٦) في النسختين: بعد فيها.

(٧) في النسختين: ثابتة.

راكنة، فتكون موطناً مستقراً للأشياء، فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس عليها لراحتهم، والنوم لهدوئهم، والإتقان لأعمالهم، فإنّها لو كانت رجراجة منكفئة، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء [والنجارة] والصناعة وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنئون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين^(١) الزلازل - على قلة مكثها - حتّى يصيروا إلى [ترك] منازلهم، والهرب عنها.

فإن قال قائل: فلمَ صارت هذه الأرض تتزلزل؟

[قيل] له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يُرهب [بها] الناس ليرعوا، وينزعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم، يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم، ويذخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا، وربّما عجل ذلك في الدنيا^(٢) إذا كان ذلك [في الدنيا] صلاحاً للعامة والخاصة.

ثم إنّ الأرض - في طبيعتها الذي طبعها الله تعالى [عليه] - باردة يابسة، وكذلك الحجارة، وإنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة، أفرأيت لو أنّ اليبس أفرط على الأرض قليلاً، حتّى تكون حجراً صلباً، أكانت [تُنبِتُ] هذا النبات الذي به^(٣) حياة الحيوان؟ وكان يمكن بها [حرث] أو بناء؟ [أفلا] ترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد؟

[و] من تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقه الخلق^(٤) أنّ جعل مهبّ الشمال

(١) في النسختين: حال.

(٢) في النسختين: فيها:

(٣) في النسختين: له.

(٤) في المصدر: الأرض.

أرفع من مهبّ الجنوب، فلم يجعل^(١) الله [(عز وجل)] كذلك إلا لينحدر الماء ولا يقوم على وجه الأرض فيسقيها ويرويها، ثم يفيض آخر ذلك إلى البحر، فكأنما يرفع أحد جانبي السطح، ويخفّض الأرض^(٢) لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه، كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلة بنفسها^(٣)، ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض، وكان يمنع الناس من اعتمادها، ويقطع الطرق والمسالك^(٤).

وأما الكلام على كونها كروية بجميع أجزائها البرية والبحرية وإن لم تكن صحيحة الاستدارة، بل مسطحة؛ لأسباب وعدم منافاة للكروية، فله موضع آخر.

وكذا قدرها عند السماء، وكذا صفة الربع المسكون من الأرض وما يعرض فيه من دور الفلك واختلاف الليل والنهار.

وكذا في خواصّ أقسام الربع المسكون، وذكر المواضع التي تطلع فيها الشمس شهوراً لا تغرب، وتغرب شهوراً لا تطلع.

وكذا مساحتها وقسمة السبعة الأقاليم العامرة منها، وأسماء البلدان والمدائن المعروفة وما في كل إقليم منها، وبطالع البروج واختلافها في الأفلاك المستقيمة فوق دائرة الاستواء، وفي الأفلاك المائلة، ومقدار النهار والليل، والساعات المعتدلة والزمانية، وأبعاد الكواكب عن مركز الأرض إلى غير ذلك مما يتبع ذلك، فيطلب من عمله المدون له.

وكذا الكلام على الأرض وأقسامها الغيبية، وسكان كل واحدة، وبيان

(١) في المصدر: جعلها.

(٢) في المصدر: الآخر.

(٣) في المصدر: بعينها.

(٤) كتاب فكر: ١٧٤.

ظليتها للسماء كل لكل، وبيان الارتباط الغيبي، وغير ذلك من ملكوت الأرض وما يتبع ذلك فلا يسعه المقام.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ^(١)، والعيون ^(٢) والاحتجاج ^(٣): عن أبي محمد عليه السلام، «إنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ الآية ^(٤)، جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحماة والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطلكم ^(٥)، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأنيبتكم ^(٦)، ودفن موتاكم، ولكنه (عز وجل) جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم [وبنيانكم]، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم. فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثم قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾، يعني: سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم». الحديث.

فهل يرتاب عاقل في أن هذه الأفاعيل والحكم لا تصدر من صنم أو وضع فلكي فضلاً عن طبيعة جامدة، ولكن لما خفت عليهم العلل والأسباب أنكروا مسبب الأسباب، وتفرقوا في تيه الضلال شعاب. ومن أراد تفاصيل جميع ما سبق فليراجع في أبوابه.

(١) تفسير العسكري: ١٤٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: (١٣٧/١)، الباب (١١) برقم: ٣٦.

(٣) الاحتجاج: ٥٠٦/٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٥) في تفسير العسكري والاحتجاج: فتعطلكم.

(٦) في تفسير العسكري والاحتجاج: وأنيبتكم.

[في مقادير النهار والليل]:

الثالث: اختلاف الليل والنهار وآية الليل ممحوة مظلمة والنهار مضيئة، ولم يجعل أحدهما سرمداً، بل مختلفاً زيادة ونقصاناً، وتقدر الزيادة في إحداهما بنقص عن الآخر تدريجياً، فيولج الليل في النهار والنهار في الليل، فساعة تكون ليل في موضع ونهار في آخر.

وكذلك البقاع تتفاوت؛ لتفاوت الطلوع والغروب بكروية الأرض حتى تبلغ النهار في نهاية طوله، وهو رأس الجوزاء، ثم يرجع في التناقص وهكذا دائماً إلى ما شاء الله، بمقتضى حكمته وإتقانه. وانظر فيما يترتب على اختلافهما بجري الشمس من المصالح وإدراك الثمار وغيرها.

قال الصادق عليه السلام: «فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل، كيف وقفت [على] ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما - إذا امتد - إلى خمسة عشر ساعة لا يجاوز ذلك؟

أفرايت لو كان النهار يكون مقدار مئة ساعة أو مئتي ساعة؟ ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يفتر^(١) طول هذه المدة، ولا البهائم كانت تمسك من^(٢) الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان، كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك يهلكها أجمع، ويؤذيها إلى التلف، وأما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتى يجفّ ويحترق.

وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش، حتى يموت جوعاً، وتخمد الحرارة

(١) في المصدر: ولا يقرّ.

(٢) في المصدر: عن.

الغريزية من^(١) النبات، حتّى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران هذا العالم، ويتصرّفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة [من] السنة - وما فيهما من المصالح، ثمّ هما بعدد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيهما صلاحها، فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت.

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك، حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة، لأخذ^(٢) ذلك بالأبدان وأسقمها، كما أنّ أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع [مفرط] البرودة؛ لضرّه ذلك وأسقم بدنه، فلمّ جعل الله (عز وجل) هذا الترسل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة، [ولمّ جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة] لولا التدبير في ذلك؟

فإن زعم [في الحرّ] زاعم أنّ هذا الترسل في دخول الحرّ والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط، سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإن اعتلّ بالإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول، حتّى استقرّ على العمد والتدبير.

ولولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين وتغذّب، حتّى يتفكّه بها رطوبةً وباسةً.

(١) في المصدر: الطبيعية في.

(٢) في المصدر: لأضرّ.

ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، ويربع الريع الكثير الذي يتسع للقوت، وما يردّ في الأرض للبذر.

أفلا يرى^(١) [ما] في الحرّ والبرد من عظيم العناء والمنفعة، وكلاهما مع عنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضّهما، وفي ذلك عبرة لمن فكّر، ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه^(٢). انتهى.

فإن قال قائل: إن هذا العالم على ما هو عليه من الحكم، إنما وقع اتفاقاً بغير مدبر حكيم عالم أو صدر من الطبيعة الجامدة، عدّ سفيهاً، وقيل له: بين لنا الفعل المتقن لا عن اتفاق والاتفاقي حتى نميّز، وعلى قولك: إن هذا اتفاقي فالذي عن ارتباط وعلة حكمية مدبرة هو عكسه، هذا ممّا لا يقول به ذو شعور، فإذا رأيت دولاباً يسقي حظيرة فيها ضروب الأشجار والنبات، ورأيت بعضه مقدراً ببعض ويلقى على بعض منها دون آخر قدراً مخصوصاً على ما اشتمل عليه، فإنك لا تقدر أن تقول: إنه وقع بغير صانع عالم حكيم مدبر؛ لامتناع صدور الكمال من الناقص عنه، بل هو أولى به وأحق، قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٣)، ولو قلت به عددت سفيهاً وأخرجت عن مقتضى الفطرة، فكيف تقدر أن تقول في هذا الدّولاب السماوي الدّائر على الكرة الأرضية بأنواع المصالح بما يعجز البشر عن إدراك حكمه ومصالحه، إنه اتفق وقوعه ولا مدبر حكيم متقن له.

[في فائدة الفلك التي تجري في البحار]:

الرابع: الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس في معاشهم ومتاجرهم من أماكن لا يصلوا إليها على البرّ إلّا بعد مدّة طويلة تفوت بها

(١) في المصدر: ترى.

(٢) كتاب فكر: ١٦٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٥.

كثير من مصالحهم، بل كثير من الأماكن لا يصل لها إلا من البحر فلولاً خلق الجوار وإهداء البشر إلى صنعها وإقامتها لما وصلوا إليها وفات كثير من معاشهم، فهي على ما فيها من الأثقال قائمة على متن الماء بحرية الهواء لا تخسف به ولا بالماء، إن في ذلك دلالة واضحة للعاقل على صانع حكيم عالم يجري الهواء بمشيئته على قدر المصلحة، وجعل اقتضاء هذه الآلة كذلك، وهدى العقل الإنساني عليه وعلى صدقه، حتى إنه قد تعرض الشدة فيه لإظهار ما في الإنسان بطبعه من الالتجاء إلى الله، ولغير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَاطِلٍ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْبَرْ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(١)، [وقال تعالى]: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا بَلَغَكُمْ إِلَى الْبَرِّ آغْرَضَكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِيحٌ طَبِئَتْ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣)، فخلقها من أعظم آياته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٥).

[نزول الماء من السماء]:

الخامس: الماء النازل - وهو المطر - من علو، والسماء هنا إرادة جهة العلو منه، فيكون نزوله من السحاب لتسميتها سماء لغة أو الفلك باعتبار

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٢ و ٢٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٢ و ٣٣.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٤ و ٢٥.

إثارة الأسباب الأرضية بأسباب سماوية، فهو من السماء كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾^(٢)، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾^(٣)، فصَحَّ الجمع حينئذ بين كلام الحكماء إنه من بخار متصاعد من الأرض بأشعة شمسية، وما في الروايات إنه منزل من السماء وأنَّ فيها بحراً، وإنما الفرق بالنظر إلى السبب الملكي أو الملكوتي الغيبي.

وفي حديث المفضل ما يدل على قول الحكماء أيضاً، قال عليه السلام: «وهكذا الهواء لولا كثرتة وسعته لاحتسى^(٤) هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحير فيه، ويعجز عما تحول إلى السحاب والضباب أولاً فأولاً^(٥)»، وقال في موضع آخر منه: «فالريح تروح على الأجسام، وتزجي السحاب من موضع إلى آخر^(٦) ليعم نفعه، حتى يستكثف فيمطر، وبعضه حتى يستخف^(٧)» إلخ.

وفيه أيضاً: «ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فتتولد فيها مواد الثمار، ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، وتشتد أبدان الحيوان وتقوى^(٨)» إلخ.

فمن تفكر بعقله في هذا الماء ونزوله في وقت مخصوص مترتلاً متفاوتاً شدة وضعفاً، مختلف بحسب البقاع والأصقاع، منه ما ينبت فتحى به

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٤) في المصدر: لاختنق.

(٥) كتاب فكر: ١٧٨.

(٦) في المصدر: من موضع إلى موضع.

(٧) المصدر السابق: ١٧٣.

(٨) المصدر السابق: ١٦٠.

الأرض بعد مواتها، ويظهر به زهر نباتها، مختلف الألوان والطعوم، فمنه المرّ والحلو والمالح وغير ذلك، فهي متفاضله في الأكل والماء واحد مع ما فيه من الفضل بما تتقوى به الآبار، وتجري به العيون والأنهار، ومنه ما لا ينبت، لا يشكّ في أن موجدّه وجاعله ومن أوقع فيه ذلك حكيم عالم مدبر، لا يقع فعله عن إهمال على ذلك، مجراه مدى السنين والآجال، ولا يكون إلّا واحد الاحتياج الكل لهذا الماء المقتضى لفاقتهم له المقتضى ذلك لإيجاد لهم، قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

وفيه أيضاً دلالة على إحياء الموات وإظهار الصور المشخصات، فكما أخرجنا من الأرض كسائر النبات يخرجنا أيضاً، بعد واعتبر بهذا الإنبات إذ لا فرق، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٢)، ولا ينافي ذلك انقطاع المطر بعض الأوقات، حتّى تعدم المواشي وتحل الآفات، فإنك إذا فكّرت وجدت أن جري النظام على نمط وطريق مدى الأعوام، ثمّ وجدته متخلّفاً وقتاً نادراً، لا نشك أن ذلك الصارف صرفه، ومرجح رجحه لامتناع أن يقع عن اتفاق وإلا لما جرى على النظام الأول وعاد له، فمن الحكم تنبيه الغافل، كالذهري وأضرابه، أن الفعل الأول ليس بمقتضى الطبيعة نفسها، وإنما هي سبب تجري حسب الأمر، فيكون حينئذ أوضح برهاناً على ثبوت مدبر حكيم مختار.

ومنها: ردع الناس عمّا هم فيه من الإعراض وكثرة المعاصي، فإن ذلك إنما يظهر إذا ظهرت، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿لَأَكْلُوا مِن قَوْعِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(٤)، وقد تجعل

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

دينا لشدة الإمهال لعلهم يرجعون، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

ومنها: لأجل الابتلاء وحسن الصبر والبلاء، فإنها دار تكليف ليزداد المؤمن درجة وعلواً، ويظهر ما كمنه الراد والمنافق جهاراً، فيظهر للخلق كذبه أولاً، إلى غير ذلك.

تنبيه وبيان:

في (الروضة) عن الصادق عليه السلام، «قال: كان علي عليه السلام يقوم في المطر أول ما يمطر حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: يا أمير المؤمنين الكبر الكبر، فقال: [إن] هذا ماء قريب عهد بالعرش.

ثم أنشأ يحدث، فقال: إن تحت العرش بحراً فيه ماء يُنبِت أرزاق الحيوانات، فإذا أراد الله [عزَّ ذكره] أن يُنبِت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله إليه فَمَطَرَ مَا شَاءَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِيمَا أَظُنُّ فَيُلْقِيهِ إِلَى السَّحَابِ وَالسَّحَابُ بِمَنْزِلَةِ الْغُرْبَالِ، ثُمَّ يُوْحِي [الله] إِلَى الرِّيحِ أَنْ اطْحِنِيهِ وَأَذْيِبِيهِ ذُوبَانِ الْمَاءِ، ثُمَّ انْطَلِقِي بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا فَامْطَرِي عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ كَذَا وَكَذَا عُبَاباً وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَتَقَطُرُ عَلَيْهِمْ عَلَى النُّحُومِ الَّذِي يَأْمُرُهَا بِهِ فَلَيْسَ مِنْ قَطْرَةٍ تَقَطُرُ إِلَّا وَمَعَهَا مَلَكٌ حَتَّى يَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَلَمْ يَنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرَةٌ مِنْ مَطَرٍ إِلَّا بَعْدَ مَعْدُودٍ وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ إِلَّا مَا كَانَ [مِنْ] يَوْمِ الطُّوفَانِ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ عليه السلام فإنه نَزَلَ مَاءٌ مُنْهَمِرٌ بِلاَ وَزْنٍ وَلَا عَدَدٍ.

قال: وحدثني أبو عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله عز وجل] جعل السحاب غرابيل للمطر، [هي] تُذِيبُ الْبَرَدَ حَتَّى يَصِيرَ مَاءٌ لَكَ لَا يُضِرُّ [به] شَيْئاً

(١) سورة السجدة، الآية: ٢١.

يُصِيبُهُ، الذي ترون فيه من البرد والصَّوَاعِقِ نعمةً من الله [عزَّ وجلَّ] يُصِيبُ بها من يشاء من عباده.

[ثمَّ] قال: [قال] رسول الله ﷺ: لا تُشيرُوا إلى المطرِ ولا إلى الهلالِ فإن الله يكره ذلك^(١).

وفي قرب الإسناد مثله^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

[رأي الحكماء في سقوط المطر]:

والشارح محمد صالح بعد أن نقل عن الحكماء سبب سقوط المطر، ونقل هذه الرواية، قال: (وهذا وإن كان ممَّا يستبعده الغافلون لكن وجب قبوله والإذعان به لما أخبر به الصادق عليه السلام، كما في سائر الأسرار الإلهية)^(٤)، وكثير من العلماء تراه في هذا الموضع يقول ظاهر النص هكذا، وقول الحكماء مخالف له فيجب اطراحه والرد إلى النص. فما خالفهم كذبٌ، واشتد التتبع من عدم التعقل. فنقول لك أيها الناظر المنصف قد سمعت النص الدال على ما عليه الحكماء مع وجدانك من وجدانك.

إن هذا الماء بثقله وكثافته أن يكون في مثل السماوات فضلاً عن تحت العرش، حتَّى إنه يوحى إليه، والأشياء جارية على كمال الانتظام المقتضي للارتباط السببي والمسببي، كما قال تعالى في كتابه وعلى لسان أوليائه ووافقه الوجدان، وصريح البرهان الذي هو حجة عليك، وبه أكمل الحجج، وبه أمرت برد المتشابه للمحكم، ورد المظنون للمقطوع مع أن

(١) كتاب الروضة الملحق بكتاب أصول الكافي، حديث (رقم: ٣٢٦): ٧٨٥.

(٢) قرب الإسناد: ٧٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٤٣.

(٤) شرح أصول الكافي: ٩٩/١.

هذه الروايات لا منافاة فيها، فإن إثارة البخار إنما هي بأسباب سماوية، وعلل واسطوية. ففي الحقيقة من هناك النزول، فإن الظاهر قوامه بالغيب، ولا يصح التنبيه على خالق الكل ومسبب الأسباب إلا بذلك، فلذا سلكت الأنبياء في الجواب كما سمعت مع إشارتهم للسبب القريب في كلام آخر لهم، ولا شك في إذابة السحاب له ونزول مائه وفاضله، وهي الحثالة يبقى في كرة الهواء وما يفضل، وقد يحتمل السحاب من البحر فيرتفع به، بخلاف ما لو جمع على كلام الحكماء غلب حكم الطبيعة، مع إن الماء يطلق على العلم وعلى المعلول الأول وعلى المادة. ومن تفكر في أن العرش كان محمولاً للماء كما في جزء التوحيد وغيره.

وكلام سلمان لأبي ذر في قرص الشعير أن هذا عمل فيه الماء الذي تحت العرش. إلخ^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢)، لا شك أن الماء ليس بمختص بهذا الجوهر الحسي الكثيف، بل الحق هذا اسمه لما فيه من الرطوبة والسيلان، ولا تقل: إن الله على كل شيء قدير؛ لأنه حكيم لا يفعل إلا ما يوافق، فقد قال: ﴿وَلَيْنَ شَيْءًا لَنَذْهَبَنَّ﴾ الآية^(٣)، وليس كلما يقدر عليه وقع؛ لأنه قد ينافي الحكمة، والوقوع وعدمه ليس معيار القدرة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَيُّ شَيْءٍ سَيِّئًا﴾^(٤)، وقال ﷺ (مؤلف بين متعادياتها)^(٥)، ولو كان كما تقول: لا تأليف، فإنه لا يصح إلا بالمناسبة والارتباط الذاتي، مع إن الكلمة منهم تنصرف إلى نيف وسبعين وجها لهم من كل مخرج^(٦)، كما ورد في غير حديث عنهم، والنزول عرفت

(١) عيون أخبار الرضا: ٥٧، حديث رقم (٢٠١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٥) شرح تهج البلاغة (ابن أبي الحديد) رقم الخطبة (٢٣٢) جلد ٧ الجزء ١٣ - ٥٤.

(٦) بصائر الدرجات: ٣٥٠/١.

إطلاقاته، فحينئذ ينصرح لك النص، وظاهر المسألة وباطنها، ويؤول الأمر بالآخرة إلى إثبات الصانع الحكيم؛ لثرامي العلل وارتقائها إليه لا محاله. ومن لم يكن بذي فكر فليصدق بالنص ولا يتخطفه برأيه وهواه، ويكون فيه كالجاهل البسيط، ويتعرض لنفحات ربه.

فاحتفظ على هذا الأصل، فإنه ينفعك في عدة مسائل، يرتفع بها الخلاف ويظهر به دراية كلامهم، وبلوغ مرامهم في سوق السافل للعالي، وتخرج به عن زمرة من كذب بما لم يحط علمه ولم يأت تأويله.

رجع لك أن تجعل الماء النازل باعتبار تفرقه ووصفه، فصانعه دال على واحد حكيم، مدبر عليم، فيكون إحياء الأرض داخل في الاستدلال، ولك أن تجعل إحياء الأرض بعد كونها ميتة لا تنبت ولا تتحرك قواها المستجئة، بل هامة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كما هو مشاهدة حساً، لا ينكر دليل مستقل أيضاً على وجود صانع حكيم. وإنه لا يقع عن إهمال واتفاق، وذلك كما في حديث المفضل المشهور، وافقت عليه كلمة الحكماء إن «في الشتاء تعود حرارة في الشجر والنبات، فيتولد فيها مواد الثمار»^(١) إلخ ما سبق.

«وفي الربيع يتحرك ويظهر المواد المتولدة في الشتاء، فتطلع النبات، وتورق الأشجار، ويهيج الحيوان للسفاد»^(٢)، فلو فكّرت في الأرض وما أودع فيها من القوة المغذية لنباتاتها الخارجة منها والمربات فيها كالنطق في بطون النساء، وما يجذبه منها كل نجم أو شجر قائم عليها بما يناسب ذلك للغذاء بعروق لطيفة، فتينع بالثمار، وتثمر الأشجار بأنواع متخالفة وضروب متخالفة لوجدت طبيعة الأرض بما استجّ فيها وصلوحها لتلك الأغذية المتضادة، مع إنها ساكنه طبعاً، وعدم منافاته للحركة القابلية المنفعلة،

(١) كتاب فكر: ١٦٠.

(٢) المصدر السابق.

وجدت أقل من ذلك، فضلاً عما لم يأت الحكماء على معشار معشاره، صريح الدلالة بافتقاره إلى صانع حكيم مدبر، جعلها كذلك وأمدّها بتلك القوى بمقتضى الأسباب وإلا لم تجر كذلك مدى السنين والإعصار ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١)، فحصلت تلك الحركات الجوهرية، وظهر منها تلك الأنواع الباطنية والظاهرية، كالمعادن المتكوّنة في مواضع مخصوصة وغيرها مما سبق، كما قال تعالى: ﴿يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

[إطلاقات الأرض]:

واعلم: إن الأرض كما تطلق على هذه الحسّية أرض الجزر، فكذا تطلق في باطن العالم الكبير على ظاهر السماوات باعتبار الدرجات، وفي الدركات على أرض الشقاوة والإلحاد، والطغيان والشهوة، والطبع والعادات والحياة، وفي الإنسان تطلق الأرض ظاهراً على جسده الظاهر، وباطناً على نفسه، وفي التأويل قابليات الموجودات أو قابلية الأولى في السرمد، مغرس الشجرة الكلية.

وعرفت إطلاقات الماء، ومنها: الإمام كما ورد تفسيره به^(٣) في: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٤).

فكما اعتبرت ذلك الإحياء في أرض الجزر فلك اعتبار مثل ذلك في نفسك، فإنها أنموذج، وفي العالم الآفاقي بباطنه، فإن نفسك باعتبار أول تعلقها وانغماسها في الجسد، وفي رتبة الهيولاني موات، ثم تحن بمخرج

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٧.

(٣) تفسير القمي: ٣٧٩/٢، والبرهان في تفسير القرآن: ٤٤٩/٥، وتفسير الصافي: ٢٥٣/٧.

(٤) سورة الملك، الآية: ٣٠.

بالانعطاف ونزول قطرات العلوم والمعارف حتى تحن لنص: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(١)، وورد معدن الحكمة فيها يخرجها من الإيمان والكفر وفي: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(٢)، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٣)، خلاف ذلك.

وكذا ظاهر جسدك، باعتبار ما احتوى عليه ظاهراً من البيان وهو الشعير وغيره، وانبثاث الدّم في مجاريه بما يناسب كل عضو بمنزلة الماء. فافتح روزنة عقلك وانظر لكل ما سبق في العالم الآفاقي باطناً، وفي نفسك أحتوى العالم ولا تجمد على الظاهر، وإن كان فيه دلالة ولكن لكل ظاهر باطن به ظهوره وهو أصله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

[الحكمة من بث الدواب في الأرض]:

السادس: ما بثّ وفرّق في الأرض من أصناف الدواب من الحيوانات الوحشية والإنسية والطيور والحشرات الأرضية، وسائر أنواع الموجودات، إذ المراد بالدواب هنا مطلق ما دبّ ودَرَج مطلق^(٥).

ولا شك إنّ ذلك من آياته العظيمة الدالة على وجوده وتنزيهه من الحدين، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٦). فإنك لو أخذت بظاهر فكرك بما ترى وتعاين من إتقان خلق كلّ نوع ما يناسبه جسماً وآله وتنمية، وكذا أفعاله وخروج بعض من بعض وعدم جريان التناسل بين كل نوع، وما اهتدى إليه كل نوع في توالده وإصلاح ولده وغذائه وافتتائه لوجدت من الآثار الظاهرة، والأعلام

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤.

(٥) راجع: لسان العرب: ٢٠٦/٥ مادة (دب). (دب).

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٩.

المأثورة تصرّح لك باضطرارها إلى صانع حكيم مدبر متقن عليم، لا عن اتفاق ولا جزاف ولا عن إهمال واعتساف، ولا مضادّ له ولا مماثل، بل مفيض الكمال أولى به.

وسأنقل لك جملة في خلق الحيوانات وما فيها من الحكم والدلالة من جهة الملك: «فكّر في أبنية أبدان الحيوان، وتهيئتها على ما هي عليه؛ فلا هي صلاب كالحجارة؛ [ولو كانت كذلك كانت لا تنثني] ولا تتصرّف في الأعمال، ولا هي على غاية اللين والرخاوة؛ وإلا لم^(١) تتحمل ولا تستقلّ بأنفسها، فجعلت من لحم رخو ينثني، تداخله عظام صلاب، يمسكه عصب وعروق تشدّه ويضمّ بعضه إلى بعض، وعُلّيت فوق ذلك بجلد ليشتمل على البدن كلّ.

ومن أشباه ذلك هذه التماثيل التي تُعمل من العيدان وتُلفّ بالخرق وتُشدّ بالخیوط، وتطلى فوق ذلك بالصمغ، فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة [اللحم، والخیوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة] الجلد. فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدّث بالإهمال من غير صانع، جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل المميّنة، فإن هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ أن لا يجوز في الحيوان.

وفكّر - بعدها - في أجساد الأنعام، فإنّها حين خُلقت على أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب، أُعطيت أيضاً السمع والبصر ليبُلغ الإنسان حاجته، فإنّها لو كانت عمياء صمّاء لم ينتفع بها الإنسان ولا تصرّفت في شيء من مآربه، ثمّ مُنعت الذهن والعقل "ليلاً تمتنع على الإنسان إذا كدّها وحملها"^(٢).

(١) في المصدر: فكانت لا.

(٢) ما بين " " ورد النصّ في المصدر هكذا: لتدلّ للإنسان، فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكدّ الشديد وحملها الحمل الثقيل.

فإن قيل ^(١): [إنَّه] قد يكون له ^(٢) عبيد [من الإنس يذَّلون ويدعنون بالكَدَّ الشديد، وهم مع ذلك] غير عادميَّهما ^(٣).

قلنا ^(٤): ذلك قليل ^(٥)، ثم لو كان الإنسان ^(٦) يزاول هذه الأعمال [بيدنه لشُغِلَ بذلك عن سائر الأعمال، لأنَّه كان] احتاج [مكان الجمل] الواحد [والبغل الواحد] إلى عدة أناسي، وكان فيه استغراقهم ^(٧)، وهي من النعم المفاضة، كما قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ ^(٨)، [و] ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ ^(٩)، و﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ ^(١٠)، وغيرها.

«فكَّر في الإنسان، خُلِقَ [لهم] ذو أكفِّ وأصابع كبار ليتمكَّن من القبض [على الأشياء] وسائر الصَّنائع.

وآكلات اللحم ذي الصيد ^(١١) خلق لهم أكفِّ لطاف ذو [برائن و] مخالب تصلح للصيد لا لتلك الصنائع.

وآكلاتُ النبات لما لم يقدرُوا عليها خلق لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا سعت للرعي، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطلق على الأرض ليُتَهَيَّأ للركوب والحمولة» ^(١٢).

(١) في المصدر: فإن قال قائل.

(٢) أي: للإنسان.

(٣) عديمي العقل والذهن.

(٤) في المصدر: فيقال في جواب ذلك.

(٥) أي: قليل هذا الصنف من الناس.

(٦) في المصدر: الناس.

(٧) كتاب فكر: ١٢٢.

(٨) سورة النحل، الآية: ٧.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٩ وسورة الروم، الآية: ٢١.

(١٠) سورة النحل، الآية: ٨.

(١١) في المصدر: وآكلات اللحم لما قُدِّر أن تكون معاشها من الصيد.

(١٢) كتاب فكر: ١٢٥.

وجعلت آلات كُلِّ نوع صالحة لمعاشها، ولو تخلفت فات، فأعطى كل ما يُشاكل طبقته بما فيه بقاءه وصلاحه، ولذا ترى ذوات الأربع لمّا فقدت ما تفقده أمهات البشر تبعتهن أولادهن رعيّاً، وكذا كثيراً من الطير، وما كان ضعيفاً كان في أمّه فضل عطف عليه لتربيته، ولذا فراخ الحمام أقل من فراخ الدجاج^(١).

وفكّر في اختلاف تربية كل صنف لفراخه وما أعطى من شدة الاحتضان، حتّى تذهب قوتها، وهي على البيض، وفي الحمام الأب يجلب لها الطعام أحياناً، حتّى يخرجوا^(٢) فيكون معها، يغرهما ويتولاه الذكر حينئذ أشدّ وأكثر؛ لضعفها.

وفكّر في شدّتها كالبعير والفرس، وقطيع الغنم يقودها صبي، فما سحّرت وانخذلت عند الإنسان إلّا لعدمها عقل الإنسان.

ولها شعور في الجملة، أليس الغنم تنفر من غير راعيها، بل من غير قطيعها، ولمّا ترى في الكلب وعطفه على مالكة ورعايته على غنمه، حتّى أنه يحرس الغنم من الغنم من الجهة المخالفة لمهبّ الرّيح؛ لأنّ الذئب يأتي من الجهة المخالفة للرّيح؛ لئلا يشم ريحه، فكم كلب فدا نفسه مالكة وماشيته.

فكّر في وجه الإنسان وموضع عينيه، وفمه وشقه، وأذنيه ووجهه، كلّ دابة وفمها وموضع عينها، فإنك تجد كلّ نوع لا يناسبه إلّا ذلك الموضع، وهو المصلح له، مثلاً: لما كان الإنسان ماشٍ على قدميه كانت عينه كما ترى ليطلع على سائر جسده، وذوات الأربع كان رأسها هكذا؛ لترى بها قدّام، ولمّا عدمت اليد اتّسع شقّ فمها وكان كما ترى للأخذ مع قوة طبيعتها فتحتاج إلى تناول نبات كثير، وكذا في جعل العنق لبعض دون آخر فالفيل

(١) المصدر السابق: ١٢٧.

(٢) يخرج صغارهم من البيض.

جعل [له] مِشْفَرٌ^(١) يقوم مقام اليد، لعدم [وجود] العنق ليرخي رأسه، ولما عظم رأسه وثقل جعل ملتصقاً لضعف العنق عن حمله، فمع عدم العنق حصل له مطلبه.

وكذا أحياء الأنثى من الفيلة في أسفل البطن، فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز، حتّى يتمكّن الفحل منه، خلاف غيرها من الأنعام، فحياتها خلاف حياة الأنعام إظهار الصنع الحكيم، وجعلت فيه هذه الخلقة لئلا يفوت النسل.

وحيث فَقَدَت الحيوان تحصيل آلة اللباس والتكسّب كسب أجسادها جلد وشعر ووبر وصوف من آن الولادة ذلك تقدير العزيز الحكيم.

فكّر في خلق الزرافة، واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس، وعُنُقُها عُنُقُ جَمَلٍ، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر.

وزعم ناس من الجهّال بالله (عز وجل) أنّ نتاجها من فحول شتى، قالوا: [و] سبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة، وينتج [مثل] هذا [الشخص]، فهو كالمُلْتَقَط [من أصناف شتى].

وهذا من الجهل [من قائله، وقلة معرفة بالباري جلّ قدسه]، فليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس تلقح الجمل، ولا الجمل [يلقح] البقرة، وإنّما يقع [التلقيح من بعض الحيوان] فيما يشاكله ويقرب في خلقه، كما يلقح الفرس الحمار فيخرج [من بينهما] البغل، و[يلقح] الذئب الضبع، فيخرج [من بينهما] السّمع.

على أنّه لا يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كلّ واحد منهما،

(١) مِشْفَرٌ: بكسر فسكون ففتح، الشفة وتستعمل للبعير إلّا أن الإمام الصادق عدل المعنى إلى خرطوم الفيل إذ هو بمثابة الشفاه، بل هو شفاهه الحقيقية التي بها يتناول العلف والماء.

كما في الزرافة؛ عضو من الفرس، وآخر من الجمل، وآخر من البقر، بل يكون كالمتوسط [بينهما] الممزوج [منهما]، فترى البغل رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأجزاء من الفرس والحمار، لما ستعرف من أن التخلق من النطفتين الممتزجتين ومتخنجة كالممتزج من سهيل الفرس ونهيق الحمار.

فهذا دليل على أنها^(١) ليست من لقاح حيوانات شتى، بل من خلق الله الذي لا يعجزه شيء، وليُعلم أنه خالق أصناف الحيوانات [كلها]، يجمع بين الأجزاء ما يشاء منها، ويفرق ما يشاء في أنها دلالة على قدرته [على الأشياء].

وجعل عنقها طويلاً، إذ مرعاها في أشجار شاهقة في الهواء، وجعل يديها أطول ليسهل رعي ولدها وتناولها. كذا قيل.

فكّر في البهائم، كيف توارى موتاهم كالناس، فهل ترى جيف [هذه] الوحوش والسباع وغيرها على كثرتها، بل هي أكثر من الناس، ولا ترى من موتاهما إلا واحداً بعد واحد... فإذا أحسّ واحد بالموت، كمن في مواضع خفية فيموتون [فيها]، وإلا فسدت الأهوية وحدثت الأمراض [والوباء]، فهل تراعي الطبيعة أفاعيل غيرها، وتكون واجبة استقلالية.

تأمل فيما جعل لها من الفطن المختلف، وإن قصر عن الإنسان الذي به فارقهم، فإن الأيل يأكل الحيات فيشتد بهم العطش فيمنع نفسه من الماء، خوفاً من ذوبان السم في جسده فيهلك، حتى أنه يقف عليه^(٢) وهو مجهد بالعطش، فيعجّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه، [ولو شرب لمات من ساعته]. فانظر فيما جعل في طبعها مما لا يوجد إلا في الفطن الذكي.

(١) الزرافة.

(٢) غدير الماء.

والثعلب إذا عدم الطَّعْمَ، تماوت ونفخ بطنه، فيحسبه الطير ميتاً، فإذا وقع عليه [لنهشه]، وثب عليه فأخذه، فانظر لما عجز عن قوة السباع ومعالجة الصيد أعطى ذلك الفطرة.

والدلفين يلتمس صيد الطير، فيحتال بأخذ السمك وقتله ويشرحه^(١) حتى يطفو الماء، ويكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي اصطاده.

انظر إلى النمل وجمعه القوت، [فإنك ترى الجماعة منها إذا] تنقل الحب إلى بيوتها، ويتعاونون فيقطعون لثلا ينبت شتاء فيفسد، فإن أصابه ندى أخرجوه ونشروه حتى يجف، ثم لا يتخذون الزبية إلا في نشر من الأرض.

انظر لما تسميه العامة (ذباب الأسد) وحيلته في معاشه، فإذا حس بالذباب قريباً منه تركه ملياً كأنه موات، فإذا قرب منه تركه كذلك، فإذا اطمأن وغفل عنه دبّ دبيباً دقيقاً حتى يعرف أن وثبته تصل له، فيثب ويأخذه، فيشتمل عليه بجسمه كله حتى يحسّ بضعف قوته افترسه وأكله.

والعنكبوت تنسج هذا النسيج شركاً [ومصيدة] للذباب، ويكمن فيه، فإذا نسج فيه [الذباب] أقبلأق [عليه] يلدغه [ساعة بعد ساعة]، فيعيش بذلك منه. فكذلك يحكي صيد الكلاب والفهود، [وهذا يحكي صيد] الحبال والأشراك.

فكر لما صار مدخل الطعام إلى القانصة ليس كالإنسان ولم يتيسر أكله بتأني، بل أكثره اختطاف واستعجال، فلو كان لا يلتقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال المكث، ومتى كان يستوفي طعامه؟ وإنما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر، فجعلت له حوصلة كالمخللة [المعلقة] أمامه، ليوعى فيها [ما أدرك من] الطعم بسرعة، ثم يرسله إلى القانصة بتأني.

(١) في المصدر: ويسرحه.

وأيضاً من الطائر ما يحتاج إلى رزق فراخه، فيكون ردّه للطعام من قرب أسهل مع ما ترى من اختلاف الألوان البسيطة والمركبة، بل في ريشة واحدة.

وكذا تكوّن الفرخ من مخ البيضة الأصفر والأبيض بعضه ينتشر به وبعض يتغذى به، إلى [أن] تنقَاب عنه البيضة، بغير أن يداخله شيء يتعلق عليه كما ترى.

فإن قيل: بطبع الدجاجة واحتضانها، قيل: من جبلها عليه وفطرها على هذا الالتزام واحتضان بعض البيض دون آخر، حتّى لو انفلق من بعض بيضها ما يخالفها نوعاً أعرضت عنه وعن تربيتها، كما ترى بيض الطير قد يفرّخ تحت الدجاج وبعض تنفر عنه وتعرض ولا يتم نشوه، ويكون أيضاً كالممتزج من نطفتين من وجه. فسبحان من أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى. وعليك بالتأمّل في ضروب الطير واختلاف الصور والخلق وإتقان التدبير في كل نوع وصنف.

انظر إلى النحل واحتشاده في صنّعه العسل، وتهيئته البيوت المسدّسة، وما ترى فيها من دقائق الفطنة، فلو رأيت العمل والمعمول وجدته لطيفاً، وموقعه من الناس [وجدته عظيماً شريفاً]، مع إن النحل ليس له علم بنفسه ولا فطنة الإنسان، فلا شك أن ذلك ليس بطبيعة؛ بل كليات سماوية وملائكة قدسية، بأمر خالق البرية المتقن المحكم. ومع ذلك لها أمير يطيروا [معه] إذا طار يرجعوا إذا رجع من الاجتناء، ومشهور إنه يقف على مدخل البيوت، ويشمّ كل واحد، وإذا شمّ من بعض نباتاً مخالفاً رجّعه.

انظر إلى الجراد مع ضعف طبيعته وصغره وقوته، فإنه لو توجه إلى بلاد ما قدر أحد يدفعه، ولو قابله بالعساكر والجيوش.

تأمل بعض الحيوانات القوية جسداً وبصراً، تسعى في النهار لمعاشها، والضعيف كالبوم والهام والخفاش، فتسعى [لمعاشها] في الليل من ضروب

تنتشر في الجوّ من البعوض^(١) والفراش وأشباهه، فإنّ الجوّ لا يخلو من هذه الأشياء. ولذا متى وضعت سراجاً في الليل في أي مكان، حصل بقربه شيء من هذه الأشياء، ما أتى إلّا من قرب. فاعتبر فيما يظنّ الجاهل، إنّ خلقه فضل، مع ما فيه من الخواص الطيبة والمنافع الحكمة.

[غذاء الخفاش]:

أما القول: بأنّ غذاء الخفاش من النسيم، فباطل، لوجهين: أحدهما: خروج ما يخرج منه من الثقل والبول، فإنّ هذا لا يكون إلّا من طعم.

والآخر: إنّهُ ذو لسان، ولو كان لا يطعم لا فائدة فيه، وزبله يدخل في بعض الأعمال، وصورته الخلقية بدیعة عجيبة، فإنّه طيرٌ وذوات أربع، بل هو لذوات الأربع أقرب، فهو ذو أذنين ناشرتين وسان ووبر، وهو يلد أولاداً، ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكلّ ذلك خلاف صفة الطير، وقوته بالليل بما يسري في الجوّ.

ومن أراد الإطلاع على خواص العقاقير والطيور وسائر الحيوانات، فليراجع كتب الطبّ، فالتقلّ مما يطول، وأكثر من حديث المفضّل المشهور إلّا ما شدّ.

وبيان الحكم والإتقان في خلقه الإنسان ظاهراً، فضلاً عمّا استجنّ فيه غيباً، فكثير لا يأتي عليها بيان البيان، ولقد صُنّفت المجلدات في تشريح أعضائه الظاهرة، كم هي وكيف هي، شكلاً وارتباطاً، فضلاً عن غيره. وسأنقل لك جملة مختصرة من حديث المفضّل بن عمر وغيره.

فكّر في آلة الوقاع، كيف جعلت بحيث تصل للرحم فتفتّح لها فتلقمها

(١) في النسختين: البعوضة.

حتى تُمنياظ وتخرج فتتضم حتى لا يدخل فيها رأس مرود، محفوظة عن العوارض المفسدة، ثم تنمو وتتغذى بدم الطمث، يصل لها بعروق لطيفة، متكيف بكيفية مناسبة حتى تزجره ريح الطلق، فيخرج، وقد تقوى لمماسّة الهواء، فينقلب الدّم لبناً يقتاته، وجعل بطبعه يلتقم الثدي، وإدراكه الضعيف حتى إنه من آن الولادة لا يفتح فمه لغير الثدي، وجعل خروج اللبن من رأس الثدي بعروق لطيفة يخرج منها، ولا يدخل فيها شيء وإلا لغلب عليه وشرق - وستعرف تفاصيل درجاته الرحمة - ثم بعد انقلابه وخروجه من ظلمات ثلاث، جعل ناقص العقل يندرج في المعرفة شيئاً فشيئاً، فلو ولد كاملاً لربما أنكر ربوبيته وفات الوالدين حسن تربيته، تأمل في المسي عاقلاً يبقى حيران وله لا يعرف اللسان بخلاف المسي صغيراً ولبقيت في...^(١) حيث يرى محمولاً.

وفي التربية من المصالح ما لا يخفى، كمعرفة حق الوالدين، فقد يؤول عدم التربية إلى نكاح الأم والأخت، كما ترى في بعض البهائم، ولرأى من الله ما يكرهه ويقبحه.

ولذا المعصوم ﷺ لا يخرج في الولادة من الفرج، بل ينشق الفخذ الأيسر، فيخرج.

ولتحصل الوالدين ثواب التربية والصبر وكمال العطف، ذلك تقدير العزيز الحكيم.

انظر إلى خروج الرطوبة من الأطفال بالريق، فلو بقيت أفسدت حتى أن من غلبت عليه قد تخرج به إلى البله والجنون.

فتفضل وأنعم بما جهلوه، ولا حيلة لهم في تحصيله، حيث لا علم لهم به.

(١) فراغ في النسختين بمقدار كلمة.

انظر في نشوء أعضائه وتوفيه كل صورته، بحيث لو كان غيرها وفي غير مكانه فسدت مصلحته واختل نظامه وتكسبه.

تأمل في وصول الغذاء واختلاف صورته وكيلوساته، فيطحن أولاً في الأضراس ليتنعم عن تلك الوشابة والضحامة، فيدفع وتجتذبه المعدة للغذاء وليتقوى منه كل عضو عوض ما تحلل منه، فإذا وصل للمعدة استدار على باطنها ملتصقاً كالملاطمة به، وكل طعام ألطف يكون لها أقرب، وإن أكل بعد الكثيف إلا أن تمتلئ المعدة فتغلق على ما فيها، فيبقى خارجاً وتحدث منه أمراض، ثم تطبخه المعدة وينفتح منها فم تبعث بصفوته إلى الكبد في عروق دقاق واشجة بينهما، قد جعلت كالمصفاي للغذاء، لكيلا يصل للكبد منه شيء، ويقشرها لرقتها، ثم تقبله الكبد ويحتال للطف التدبير دماً، وتنفذه إلى البدن [كله] في مجاريه كلها كنفذ الماء فيها، بعد تلقي الكبد له وأخذه منه قسطاً وتصعد منه ريح لطيفة تتقوى بها القوى الدماغية وتغذيها، وما بقي من حثالة الطعام في المعدة يخرج في مغائط قد أعدت له إلى أسفل، ولو بقيت لأفسدته، إذ فيه فضل زائد؛ لأنه لم يدخل إليها مصفى، وهذه الحثالة غذاء لما يمر به أيضاً، ثم الدم تختلف به كفيات، فما كان منه من جنس الميرة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البيلة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمل في حكمة التدبير، إن جعل أوعية صالحة لذلك مصفاة لثلا يفسد التركيب، وأوعية مخرجة لثلا تبقى حثالة ما دخل.

ثم تجعل ذو قوى خمس ظاهرة لثلا يفوته شيء من المحسوسات. مما يصلحه أو يفسده، ولذا من فقد حاسة فاته مصلحتها وفقد عقلاً، ومن فقد الحق بالبهائم.

ثم قد يفقد بعضها بعضاً؛ للتأديب ولإظهار كمال النعم وللإخبار والابتلاء، ثم صدور بعض مناف لأمر آخر باعثة أو عوارض في الرحم أو

غيرها، لا يوجب إن يقال وقوع ذلك الفعل الأكثرى وجريه على النظام المتسق الحكمي: إنه إهمال، وبغير مدبر حكيم. واعتبر فيمن صدر منه، مثلاً سيف واحد ضعيف بوجه في عمره وجميع عمله على خلافه، ولا يقال إنه حينئذ أهمل ولم يتقن، لأننا نراه أتقن خلق هذه الصنعة، إلا في ذلك الجزئي، ونراه قد يرجح ذلك الجزئي بعد فقدته أو يفقد بعد وجوده، ما ذلك...^(١) فقدته عن حكمة، ثم وعروض المنافيات في الرحم لا تدل على عدم إتقان الصانع...^(٢) ذلك وفي قوى الطبيعة الأربع الجاذبة والدافعة والهاضمة والممسكة، فلا...^(٣) إلا بها، ثم ومخارج الفضلات جعل لها أو شاحاً كالوكا لثلا تسيل دائماً ويسترخي ويتضرر به.

تفكر في سلوك النسيم في الحنجرة وإخراج الصوت منها وتقطيعه، وجعل في الفؤاد ثقباً موجهاً نحو ثقب الرئة تروحه، فلو تزايل الثقبان هلك. ثم تأمل في جعل بعض عظامه وأعضائه أزواجاً وآخر فرداً، وكان ما يتحلل من ألم البدن يتحلل في الظفر والشعر، ولذا أمر بقص الأظافر والاطلاء بالنورة يسرع الإنبات، فتخرج الآفات ويصح البدن، والمواضع التي يضر به إنبات الشعر كالعين ونفس الذكر والفم، وباطن الكف لم ينبت فيها الشعر وإلا لأضرّت به، وهذه المواضع خالية من الشعر في جميع الحيوانات.

تأمل في قوى النفس الباطنة، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، فلو فقد واحدة لرأيت ما يلحقه من الضرر وفقد الكمال، وكذا ما جعل فيه من النوم والجماع والحرّ والطعم، وما دبّر لكل نفس في طباعه والنطق؛ ليخبر عما في ضميره وينحته بفكر.

(١) فراغ في النسختين بمقدار كلمة.

(٢) فراغ في النسختين بمقدار كلمة.

(٣) فراغ في النسختين بمقدار كلمة.

ثم فكر في الآفاق، تجد في كل صنف مصلحة له، فكأنه خادم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١)، فلو أخذنا في التفصيل لخرجنا إلى التطويل، ولم نأت بالقليل، وكفى قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ إِيَّاَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣)، فهل يظن عاقلاً أن هذه الحكم المتقنة المتعلقة المتضادة تكون عن إهمال وعدم تدبير، لو كان كذلك فلا إحكام ولا تقدير وإتقان.

ولكن لما جهلت الدهرية وأضرابهم علل الأشياء وأسبابها، وراموا معرفة الله باكتناه ذاته، رجعت أبصارهم خواصي، وتعلقوا بمصنوع جعلوه صانعاً، ومنهم من خرج لإنكار الصانع أصلاً، ولو فكّر بالآيات، ونظر الدلالات لوجد العالم معلناً بتوحيده ووجوده وتقديسه، واستفاد جملة من حكم المخلوقات وإتقانه التي هي في الدلالة عليه كالشمس في رابعة النهار، بل أشهر؛ لأنها لا تخفى على موجود ولا تغيب.

[الحكمة في تصريف الرياح]:

السابع: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾، أي تغيير جريانها شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، وغير ذلك، وما فيها من الصنع المتقن، فلو بقيت راکدة دائماً حدث الكرب، وكاد أن يأتي على النفس وينهك المريض، ويضر الثمار وبعض البقول، ويكتسب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلات، فلا يكون هبوبها وإسكانها للمصالح إلا بمدير حكيم.

وأيضاً الصوت، أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، [والهواء] يؤديه إلى المسامع، والناس يتكلمون في حوائجهم [ومعاملاتهم] منذ النهار

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

وبعض الليل، فلو بقي أثره في الهواء، كالكتابة في القرطاس، لامتأ العالم منه، واحتاجوا إلى تجديده أكثر من تجديد القرطاس، كثرة الكلام وزيادته بكثير، فجعل الخلاق الحكيم هذا الهواء قرطاساً خفياً محملاً الكلام [ريشما يبلغ العالم حاجتهم]، ثم يمحي فيعود نقياً أبداً بلا انقطاع.

وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء، فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها؛ من داخل بما تستنشق من خارج. وفيه أيضاً تطرد هذه الأصوات فيؤدي بها من البعد البعيد. ويحمل هذه الأرايح وينقلها من موضع لآخر، فالريح تأتي من مهبه، [فكذلك الصوت]. وهو القابل للحر والبرد، المتعاقبان على هذا العالم.

ومنه [هذه] الريح الهابة، [فالريح] تروح [عن] الأجسام، وتزجي السحاب من موضع لآخر، حتى يستكشف فتمطر، إذ قد يحدث من استكشاف الهواء وتُرْخِي الأظعمة، وتلقح الشجر، وبها يحيى كل من في الأرض.

وكان لطيفاً متسعاً للحيوان وإلا اختنق العالم بالبخار، ومع ذلك قابل وحافظ لأغذية بعض الحيوانات والانعكاسات إلى غير ذلك مما لم يأت عليها النباتات.

فمن فكر في ذلك وجد الريح من أعظم آياته، كما قال في كتابه العزيز، الدالة على صانع حكيم، قدرها بحكمته، وربطها بأسبابه، التي قدرها بعلمه بمصلحته.

[الريّح وأسماءها وحركاتها]:

واعلم: إنّ الرّيح هواء متحرك. كما في (الاحتجاج)^(١) وغيره، وسببها تحليل وتكاثف، يحدث في الهواء بأسباب أرضية مرتبطة، ومثارة بأسباب

(١) الاحتجاج: ٢/٢٤٥.

سماوية، أو بطلوع كوكب وغيره، إذ على كل شيء ملك موكل به وإن تفاوتت، وتسميها الحكماء نفوسها، فلا فرق إلا في التسمية لا المسمى، فلا منافاة بين كلام الحكماء في سبب الريح.

وما في (الروضة)^(١) عن أبي جعفر عليه السلام: إن الرياح الأربع: الشمال والجنوب والصبأ والدبور، أسماء الملائكة الموكلين بها، فإذا أراد أن تهب شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي، فضرب بجناحيه، فتهب ريح الشمال، حيث يريد الله من البر والبحر وهكذا، قال في باقي الأرياح، الحديث. وذكرناه بتمامه في جزء التوحيد^(٢).

ومعلوم إن لكل ملك غيب، ومحمد عليه السلام يتكلمون على الظاهر والغيب، والحكماء على السبب الظاهر، ولا يتم الاستدلال بها على الصنع إلا بالأسباب السماوية الغيبية، هي أسبابه التي قدرها الله، ولا يصح إن الله يحرك الرياح بلا واسطة، فاختلف الريح إلى الجهات لا ينافي طبعها، إذ معنى كونها طبيعة قائمة بمادي، وإلا فلا بد من انتهائها إلى الإرادية، بل لا حركة إلا إرادية وإن نزلت ضعفاً، حتى يظن كونها طبيعية، خصوصاً مع عدم تعدد الجهات وتكثر الإرادات لعدم جامعية ذلك الموجود، وبُعده في ساحة الوجود ولا تنافي القسرية، فمن القاسر إرادية ومن المقسور القبول، مع إنه لا قسر في أصل الوجود؛ لأنه جبر وتعالى الله، فهو قبيح مطلق لا بالنسبة إلى الإنسان، فعلى كل تقدير فالحركة لا يكون إلا من خارج.

فنفي الشارح محمد صالح كون حركة الهواء طبيعية باختلاف جهات تحريكه، ودعواه الضرورة في عدم كونها إرادية^(٣) فيها ما لا يخفى، وعرفت وجه توهمه مع رده. فتأمل.

(١) روضة الكافي: حديث الرياح، رقم (٦٢): ٧١٥.

(٢) هدي العقول (المطبوع): ١٦٢/٣.

(٣) شرح أصول الكافي: ١٠٤/١.

وقال ملا خليل: وتصريفها (شمالاً وجنوباً، فإنه ليس بطبيعتها، وما ذكره الطبيعيون في علته من التخلخل والتكاثف إنما أوقعهم في الحيرة)^(١) انتهى.

ولا يخفى: إن الإمام عليه السلام لم ينف الطبيعية ولا سببيتها مطلق، ولا كفر الدهرية بذلك، وإلا كفر من قال: "أنبت الربيع البقل" مطلق، وإنما أبطل كونها فاعل استقلالاً، وهي الواجب، وهي سبب الكفر، بل هي سبب من الأسباب، وبلطف الله تسببت الأسباب، وإبطال الأشاعرة الأسباب لا عبرة بهم، فما ينكرها إلا كل جاهل غبي، ظاهره في كل فعل يفعله الإنسان من أكل وشرب وغيرهما، وكذلك في الآفاق والأرض والسماء.

وعن الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب»^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية^(٣).

وفي بعض النصوص ما يدل على أن (سبب) كما تقوله الحكماء: والجهل بالأسباب يوجب ذلك، وما سمعت من الحكم في خلق الريح مذكور في حديث المفضل المشهور مجتمعاً^(٤)، وفي غيره متفرقاً.

واعلم: إن الحسن وما ذكره الحكماء الأقدمون صريحاً، الدلالة على حدوث الرياح من أسباب عنصرية مجازية؛ لكنها مثارة بأسباب غيبية، لاستحالة كونها السبب وحده.

قال ثاو فرطس^(٥) في كتابه (في الآثار العلوية): (وأما الرياح فتكون من بخارٍ مركب من اللطيف والغليظ، والغالب عليها اللطيف، والرياح تتولد إما

(١) الشافي: ١٨٨/١.

(٢) الكافي: ١٠٣/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١، وسورة الحج، الآية: ٤٠.

(٤) كتاب فكر: ١٧١.

(٥) هكذا ورد الاسم في المخطوط والصواب: ثوفر سطس.

من فوق وإما من أسفل، وتولّدُها من أسفل يكون: إمّا من الماء. وإما من الأرض.

وذلك أنا [قد] نجد الزوابع تسقط من الغمام من فوق، والرياح تهب من أسفل من المياه ومن الجبال، والرياح تتحرك إما لخفّتها إذا طلبت الموضع الأعلى؛ لأنها على ما قلنا بخار مركب والغالب عليه اللطيف، وإما لأنّ الهواء يجتمع ويتلبّد في بعض الأوقات في الموضع الشرقي. وفي بعض الأوقات في الموضع الغربي والقبلي والبحري، وإذا اجتمع الهواء في ذلك الموضع وتلبّد حتّى لا يبقى هناك موضع خالٍ سار الهواء من الجانب الآخر باضطراب الخلاء وجامعة ببخار من الماء ومن الأرض، لكنما لا يوجد موضع خالٍ. ونظير ذلك ما نجده عندنا بأننا إذا وضعنا أنبوباً على سطح الماء وجذبنا الهواء الذي فيه بمصنا له بالفم باضطراب الخلاء صعد الماء وملاً الأنبوب التي لا يبقى موضع خالٍ، فعلى هذه الجهة تتولد الرياح من أسفل.

وأما من فوق فإنها تتولّد: أمّا إذا انحل الماء الفوقاني والغمام، وصار ريحاً، وأما إذا تصاعدت من الأرض بخارات كثيرة فصكّت الغمام أو الهواء الدائر الفوقاني ولرّجعت إلى أسفل بغثة والرياح تتحرك حركة معوجة. وأمّا الرياح الصّعبة، فتكون إذا تصاعدت بخارات كثيرة، وأمّا الرياح المتصلة الدائمة، فتكون إذا اتّصل تصاعد البخارات. وأمّا الرياح الحارة والباردة، فتكون بعليّتين: إمّا من قبّل المواضع التي فيها تجيء. وإمّا لأنه يكثر فيها في بعض الأوقات البخار اللطيف الحار، وفي بعض الأوقات البخار البارد الغليظ.

وأيضاً البخار^(١) الذي يصعد من المواضع المرتفعة، يجعل الهواء يابساً، لأنها تدفع عنه بحمية مجيئها البخار، وقوام الغمام الغليظ.

(١) في المصدر: الرياح.

والرياح التي تنزل من المواضع السفلية تجعل الهواء رطباً، لأن صعوبة حميتها تنحل قبل صعودها إلينا، فهي لذلك لا تستطيع أن تدفع عن الهواء شيئاً، ومن أجل ذلك الرياح الشمالية يابسة، والرياح الجنوبية رطبة. فإن طالبنا مُطالِبٌ بالسبب الذي كانت له الرياح المُسمّاة "أورس"، تدفع السفن إلى قدام دفعاً شديداً وتجذب الغمام.

قلنا: إما أن يكون ريحان متضادتا الحركة يهبان معاً، فالسفلية [منهما] التي نحو الأرض تدفع السفن، والعالية منها تدفع السحاب إلى الجانب المخالف لهذا، ونحن نظن أن الغمام ينجذب بالرياح التي تدفع السفن. وإما أن يكون ريح واحدة إلا أنها تعمل استدارات ودوائر، ومن أجل ذلك تدفع السفن إذا استدارت وجالت إلى الجانب المخالف، وتلجئها إلى الحركة بخلاف حركة السفن، فهذا ما أردناه من القول هنا^{(١)(٢)} انتهى.

ولم يستقص أسبابها الظاهرة، وهو لا ينافيه ما ورد في سبب الرياح وما لها من جهة الملكوت والأسباب السماوية كما يحدث في بدن الإنسان، وسائر حوادث الجوفان لها أسباب سماوية غيبية موكلة بملائكة.

[السحاب المستخر]:

الشامن: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ في حدّ وقدر معين، بملائكة مؤلف من أجزاء بخارية لطيفة مثارة بأسباب غيبية، بحمل الأمطار والثلوج والصّواعق، وغيرها على قدر معين في أوقات معينة، فإنّ هذا لا يكون إلا بإتقان وعمد وصنع حكيم، مختار عليم، لا من طبيعة جزافية، ولا من أسباب اتفافية، بل عن أمر محكم وصنع حكيم مبرم.

وقد يجتمع الغمام ويحصل ومن كثافة الهواء وغلظه واستحالته إلى طبع

(١) في المصدر: في هذا.

(٢) علم الآثار العلوية في الحضارات القديمة: ٩٩.

الماء، وهذا يكون من شدة برودة أو من رياح متصاعدة تضغطه وتجمعه، كما ترى البخار الصّاعد من الحّمّام إذا لقي السقف، اجتمع وكثف، ونزل ماء. وانظر إلى حكمة الله وكمال صنعه مع ثقل السحاب أثقل من الهواء يطفو فوقه.

وأما الكلام على باقي أجزائه وما اشتمل عليه وما يحدث فيه، فله موضع آخر طويناه هنا اختصاراً، ومن راجع حديث (المفضّل) المشهور، و(الإهليجة) أوقفه على كثير.

وفي الثاني^(١) عنه عليه السلام: (ثمّ بصرت^(٢) العين إلى العظيم [من الآيات] مثل^(٣) السحاب المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال، يتخلّل بالشجرة فلا يحرك منها شيئاً، ولا يكسر منها غصناً، ولا تعلق منها بشيء يعترض الرّكبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصّواعق الصّاعدة، والبروق الّلامعة، والرّعد والثلج والبرّد والجليد، [ما] لا يبلغ الأوهام صفته، ولا تهتدي القلوب بكُنّه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء، ويجتمع بعد تفرّقه، ويلتحم بعد تزايله، تصفّقه الرّياح من الجهات كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها، يسفل مرّة ويعلو أخرى، متمسّك بما فيه من الماء الكثير، الذي إذا أزجّاه صارت منه البحور، يمرّ على الأرض الكثيرة والبلدان المتناثية لا تنقص منه نقطة، حتّى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة، وشيئاً بعد شيء^(٤)، متتابع على رسله، حتّى ينقع البرّ، ويمتلي الفجاج، ويعتلي

(١) الإهليجة: ٩١.

(٢) في المصدر: نظرت.

(٣) في المصدر: من.

(٤) في المصدر: وسيلاً بعد سيل.

الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها، مصمّخة الآذان لدويّها وهديرها، فتحیی بها الأرض الميتة، ويخرج منها أقواتاً، ويلبسها كسوة مونقة من ألوان العشب ومعاش الناس والأنعام، فإذا أفرغ الغمام ماءه، أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يُعاین ولا يُدرى أين توارى، فأدّت العين ذلك إلى القلب، فعرف القلب أنّ ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر، وكان ما وصفت من تلقاء نفسه، ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء، وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر، ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك، ولما أرسله قطرة [بعد قطرة]، بل أرسله إرسالاً، فكان يهدم البنيان، ويفسد النبات، ولما جاز إلى بلد وترك آخر [دونه]. انتهى.

فدل عقل الإنسان بتفكره، أنّ هذه الحكم الحاصلة من مباد أرضية لطيفة، ولا تكون إلّا بأسباب سماوية مثيرة مدبرة لها، فلا يصحّ جعلها اتفاقية، وليس لها صانع حكيم، فضلاً عن نفي الصانع أصلاً. ودلّ أيضاً إتقانها مطلق على أنه لا ممانع له ومضاد، وإلا لم تكتمل الصنعة كذلك، وكذا جريها كذلك مدى السنين والأعصار على نمط لا يتغير دليل على الوحدة.

فإن قيل: بجواز اتفاقهما من كل وجه.

قلنا: لا اثنيّة حيثئذ، إذ لا تحقق لها إلّا باختلاف الآثار الذي هو لازم اختلاف الذات.

قيل: هذه المشاهدة خالقها متعدد فإله السماء دون الأرض، وأبطل بافتقار كل للآخر من وجه المنافي كذلك، وعدم تفاوت أصل الإتيان والأحكام فيها فدلالة كل على الخالق الخاص كالآخر، فالخالق واحد إلى غير ذلك.

فقد استبان لك بما عرفت من الدلالات في الثمانية من جهة الملك على وجود صانع حكيم، عليم متقن، لاستحالة أن يكون ذلك ممّن ليس كذلك.

وكذا لو نظرت من جهة ملكوتها ونفوسها، وارتباطها الغيبي واختلاف جهاتها، مع تفنن اختيار بعض وعدمه في آخر مع التفتيش للغاية، تجد لا محالة من إثبات مخرج للقوة إلى الفعل، وهو فعلي من كل جهة فلا يصح جعله المباشر وذوي الغاية، وإلا احتاج إلى مخرج فيؤول الأمر إلى إثباته، مع إثبات نفوس اختيارية للسماوات والأرض، وتكون حينئذ في الدلالة على باريها وكماله أتم مما إذا كانت جمادات تصديقاً لقوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ أَیَّتِنَا﴾ الآية^(١)، والآيات: العلامات، وهي جمع، وهي الدالة على عظمته، ومن الاختيار لا كما قالت أشباه الناس فيها، إذ ليس فيها آية واحدة، بل: ﴿لَا يَكُنْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وقد دللنا على ذاته وكماله في آفاه وسائر موجوداته، وكل موجود شيء دال عليه وكماله لأنه صنعه بوسط أو بغيره. فتدبر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هِشَامُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى [مَعْرِفَتِهِ بِ] أَنْ لَهُمْ مُدَبِّرًا».

[شرح تكملة الحديث: المدبر]:

وجه الدلالة عرفتها، فإذا قلت: لهذا مدبر، فلا بد من كونه غيره، فلا مشاركة بينهما، لا ذاتاً ولا عرضاً، وإلا لم يكن مدبراً مطلقاً؛ لوقوع الاشتباه من جهة الاشتراك. والآية الآتية تشتمل على بيان الدلالة في الموجودات الآفاقية أيضاً، مع زيادة اشتمالها على بيان الغاية، وإن الأشياء خلقت لأجلنا الدال على ثبوت الغاية الوسطية؛ لارتباط السبب بالمسبب، وبعض العالم ببعض؛ لصدور الكل من الواجب على ما اقتضته حكمته البالغة.

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي﴾ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^(١).

[شرح تكملة الحديث: مصالح الخلق المرتبطة بالآيات]:

قد عرفت وجه دلالة الليل والنهار ومصالحنا المرتبطة بهما.

[الشمس]:

وكذا ما في الشمس والقمر من المصالح والإتقان، فلم تجعل الشمس في نهاية القرب ولا البعد وإلا فسد هذا العالم بشدة الحرارة والبرودة ولم تجعل راتبة^(٢)، بل متحركة منتقلة، فلها مطالع ومغارب، فبطلوعها تنبعث أسباب التعايش، كما بغروبها يحصل الهدوء للحيوان، وراحة أبدانهم وحواسهم، وبارتفاعها وانحطاطها بحركتها الشرقية تحصل الفصول الأربعة وتكمل الثمار بحسب قربها من سمت الرأس وبُعدها وتوسطها، ففي خط الاستواء وما قاربه الفصول ثمانية؛ لمسامتها رؤوسهم مرتين، حال حلولها في نقطتي البروج والمعدل، فيحصل حينئذ صيفان، وفي حلولها في نقطتي المتباعدين نهائياً^(٣) شتاءان، وبين كل شتاء وصيف ربيع، وبين كل صيف وشتاء خريف، وكذا تقدير الزمان بالسنين، هو مدة مفارقتها الحمل إلى رجوعها له.

انظر في شروقها لكروية الأرض، فتطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما يقابلها من المغرب، ثم لاتزال تدور فيشمل ضوءها جهة بعد جهة

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٢) في الهامش: ثابتة.

(٣) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

حتَّى تنتهي إلى المشرق فتشرق على ما استتر عنها أوّل النهار، فلا يبقى موضع إلّا أخذ قسطه منها، وكذا كُلّ نبات، فلو لا إشراقها فسد أكثره، فلو تخلفت شهراً كيف يكون الناس؟ فلو جعل الليل سرمداً والنهار كذلك لا يعود أحدهما، ولا طلوع وغروب للشمس والقمر، من يرجعها؟ ويعلم إن المصلحة في إرجاعها كما اقتضت إذهابها.

فقل أليس القوة العاقلة أشدّ إدراكاً من القوة الطبيعيّة كما هو محسوس، فهل للناس حيلة في تحصيل بعض ذلك، ورفع أو رفع المضر، فعدم قدرة الطبيعة على ذلك أولى وأحرى، فهي من أسباب القوى، بل بأسباب سماويّة مرتبطة بأسباب غيبية مسخرة بأمر إلهي.

[القمر]:

وكذا ما في القمر من المصالح التي تدركها العوام، فجُعِلَ ضوءه أبرد من ضوء الشمس، وجعل في الليل ليبرد الهواء على النبات، ويقل بعض عمله عن النهار مع حاجته إلى الإتمام وبعض عمله بالليل، فجُعِلَ ضوءه ليلاً ليستعين به، ونقص مع ذلك عن نور الشمس لئلا تنبسط الناس ويتعيشون تعيشهم بالنهار، وكذا ما يعرض له من زيادته ونقصانه، واختلاف أوّل ما يستنير منه، وازدياده أوّل الشهر وما يبدوا النقصان منه، وكذا خسوفه واختلاف حركاته من اختلافه في نفسه، وبحسب قربه وبعده إذ نوره من الشمس، كما دل عليه الحدس والرّصد والنص، ومع ذلك لا تقام به السّنة؛ لعدم استيفاء دورة الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار. ولذلك صارت سنون القمر وشهوره مخالفة لشهور الشمس وسنّيها، وصار الشهر من شهور القمر، ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف.

وقال أبو جعفر عليه السلام في علّة كون الشمس أحر من القمر: «إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتّى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثمّ صارت أشد حرارة من

القمر، [قلت: جعلت فداك والقمر؟ قال: إن الله تعالى ذكره] خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء، فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس^(١).

[النجوم]:

وكذا النجوم كما يظهر لمن تأملها بحسب اختلاف حركاتها كما وكيفاً، وجهة وارتباطاً، ومقارنة وتربيعاً وتسديساً، ومقابلة وتأثيراً، وغير ذلك. وفي حديث المفضل: «فكر يا مفضل في النجوم واختلاف سيرها، فبعضها لا يفارق مراكزها من الفلك، ولا تسير إلا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق؛ كالنملة التي تدور على الرحي، فالرحي تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال، والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين: إحداها بنفسها فتوجه أمامها، والأخرى مستلزمة^(٢) مع الرحي، تجذبها إلى خلفها. فاسأل الزاعمين [أن] النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال، من غير عمد ولا صانع لها، ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة؟ فإن الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما تسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما تزعم المعطلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل

(١) روضة الكافي: ٧٨٦ رقم الحديث (٣٣٢).

(٢) في المصدر: مستكرهة.

المتنقلة، ومسيرها في كلّ برج من البروج، كما قد تستدلّ [بها] على أشياء فيما يحدث في الليل^(١)، بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تُعرف^(٢)، ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما توقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الراتبّة كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختم نظامها، وبطلت المآرب فيها، ولساغ لقائل أن يقول: أن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة، أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها، كمثّل الثريا والجوزاء، والشعرتين وسهيل، فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس، ويهتدون بها لبعض أمورهم، كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت، فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقتٍ غير وقت الآخر، لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته.

وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة، كذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة؛ فإنّها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة؛ وذلك أنّها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شأؤوا، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين بنحو الأرب والمصلحة، وفيها أيضاً مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغرس والسفر في البرّ والبحر، وأشياء

(١) في المصدر: في العالم.

(٢) في النسختين: يعرف.

مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل، لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلةً ومدبرةً ومشرقةً ومغربّةً من العبر، فإنّها تسير كالريح^(١) السير واحته، أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا، حتّى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه، ألم تكن تخطف الأبصار بوهجها وشعاعها، كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجوّ؟ وكذلك أيضاً لو أنّ أناساً كانوا في قبة مكّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حيثما لحارت أبصارهم حتّى يخرّوا لوجههم.

فانظر كيف قُدّر أن يكون مسيرها في بعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تختلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجعلَ فيها جزءٌ يسيرٌ من الضوء، يسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن القمر، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المادة^(٢) فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل، فإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكان، فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير^(٣).

ولا ينافي حكمه ﷺ على بعض النجوم بالثبوت ما حكم به. أولاً: إنّ لها حركتين شرقية وغربية، فإن المتحرك لا يحب ظهور حركته حسّاً كمال الظهور، فل يبطئها كانت ثابتة، حتّى إنّ قدماء الحكماء لم يثبتوا للثوابت حركة أصلاً، وإنما ظهرت من المتأخرين على اختلافهم في تقدير، كما يظهر لمن راجعه في محلّه، كما إنّ حكمه على جميع الكواكب بحركته نحو المشرق لا ينافي كون مدير عطارد وجوزهر القمر ومائلة حركتها نحو المغرب كحركة الأطلس؛ لأنها ليست بكواكب، وإنما هي أفلاك.

(١) في المصدر: أسرع.

(٢) في المصدر: على المرء.

(٣) كتاب فكر: ١٦٣.

أما الكواكب فإلى الشرق وإن اختلفت في سرعة الحركة وبطؤها، وقال الصادق عليه السلام في حديث (الإهليلجة)^(١) بعد أن عدّ بعض دلالات السماء «مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك وتقلبها في البروج يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، منها السريع، ومنها البطيء، ومنها المعتدل السير، ثم رجوعها واستقامتها، وأخذها عرضاً وطولاً، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة، [وظهورها إذا غربت]، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيّران في أزمنتها وأوقاتها، "ولا يغيّر عن مسير ولا طلوع، ثم انكشاف الشمس والقمر في أزمانهما وأوقاتها"^(٢) انتهى الحديث. وغير خفي، مطابقة ما عليه علماء الهيئة بما أذى إليه حدسهم ورصدهم لهذه الأحاديث النبوية، والأرصاد الإلهية، كما يظهر لمن أحاط خبراً بكلام الحكماء، وقد طوى عليه في كلامه مسائل أشار لها إشارة للتنبيه لظهور آثارها حساً. ومن أراد البسط فعليه بكتب الهيئة كالحركة الطولية والعرضية.

وما يعرض للمتحمرة من الإقامة والاستقامة، والرجوع وغير ذلك، كالخسوفين في أوقاتها. فقول جماعة من جهل خلق السماوات بمخالفة كلامهم للنص ظاهر البطلان؛ لعدم درايتهم بالنص وتأملهم فيما يظهر للحس، فضلاً عن غيره، وعدم ردّهم بعض النص المشتبه ظاهراً للمحكم، مع انصراف الكلمة منهم إلى وجوه، وسبق بعض ذلك لك.

واعلم: إن هذين الحديثين وأمثالهما أبطلّ مسائل كثيرة مشتهرة على لسان الجدليين، وقد تواتر البرهان على بطلانها أيضاً، كما اقتر في مقره. منها: تسمية السماوات بالأفلاك كما يظهر من الثاني، وكذا الأطلس، وهو العرش أيضاً كما يظهر من الأوّل.

(١) الإهليلجة: ٨٨.

(٢) ما بين * * ليس في المصدر.

ومنها: تعدّد الأفلاك السبعة السيارة: زحل والمشتري، والمريخ والشمس، والزهرة وعطارد والقمر، فإن المراد بالفلك في الثاني الجنس، وإلا لم تختلف حركاتها لدوران الفلك.

ومعلوم أن مبدأ كل حركة يخالف الآخر، مع ما حكم في الأول بثبوت البروج الدال على كونها كلها في فلك آخر.

وورد في تفسير: ﴿الْجَمُّ الثَّقِي﴾^(١) أن زحل ثقب نوره [سمك] سبع سماوات^(٢).

فقول الغشاء: إن جريها في السماوات جري السمك في الماء^(٣) باطل، وإلا لم يكن جريها لجري الفلك، ولم تختلف، وفي (الاحتجاج)^(٤)، في حديث الزنديق، والكواكب السبعة للأفلاك، - والسبعة على ما أظن - وتوهم ذلك من قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٥) باطل، بل لتردها فيه مع اختلاف (كُلٌّ) شبه الجري بالسباحة، وإلا فكيف يتصور حينئذ إن لكل فلكاً، بل اللازم حينئذ جمع جميعها فلك، وكذا يبطل القول: بأن الحركة الغربية وما بها الظلوع والغروب الأرض^(٦).

وأيضاً: إثبات السباحة، أي الحركة لكل كوكب لا يدل على أن ما يتحرك فيه ساكن، فهما متحركان مع جواز إرادة الفلك في الآية الكلي وهو الأطلس، وكل فيه يسبح بفلكه وحركته الذاتية، فلا منافاة حتى يلزم الخرق والالتزام وغير ذلك.

(١) سورة الطارق، الآية: ٣.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٨٠/٦، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد:

٦٢١/٢، وتفسير الألوسي: ١٠٧/٢٣.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ١٤١/٢٢.

(٤) الاحتجاج: ٢٤٠/٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

(٦) هكذا وردت في النسختين، ولعل الصواب: الغروب الأرضي.

ومنها : ثبوت الحركتين :

الحركة الأولى : للفلك الكليّ، وما في جوفه : بعض ثابت وبعض متحرك. فمبدأ هذه الحركة وقابلها غير الثوابت، والبروج والأفلاك تسعة وهو الأشهر، واحتمال الطوسي^(١) الثمانية ضعيف، ويخالفه تطابق العوالم، واحتمال العلّامة الشيرازي^(٢) بالسبعة^(٣) ساقط، وليس مجرد الاحتمال بمعارض للبرهان.

والحركة الثانية : واختلاف في سبب تحرك الكل به والتحقيق أنها عرضية، أي شرقية من الخارج.

فنفس الأطلس أقوى النفوس الفلكية فقويت على الكل، فيتحرك كل حركتان كحركة نفس المتعلم مشايعة لنفس المعلم، ولها حركة في نفسها لا حركة المظروف للمظرف؛ لعدم الالتصاق الموجب لذلك وللزم تحرك العناصر أيضاً لمظروفيتها ولا قسراً بالمعنى المعروف، لأنه خلاف الطبع، وحيث لا طبع [و] لا قسر لزم منعها عن مقتضياتها دائماً، وهو ظلم، وإن لم يكن لها مقتضى وطلب بوجه أصلاً، فلا قسر. ولتحقق حركاتها الذاتية والقسر ينافيه.

إيضاح : لا ينافي ما في الحديث الثاني من تحريك الكواكب بالفلك، ما قاله الحكماء من أن النفوس محرّكة للكواكب، وبواسطة يتحرك الفلك، فهو فيه كالقلب من الإنسان^(٤)، ولأن ظهور الآثار واختلافها بحسب الكوكب، وكذا الشرف وغيره له، وإن كان بحسب موافقة في الفلك فإن الفلك كالجسم محل ظهور الحركة، وتنقل القلب بحركته، وإن كان أصل انبعائها

(١) شرح الإشارات والتنبيهات: ٢١٢/٣.

(٢) قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (ت: ٧١٠هـ).

(٣) شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام: ٢٧٢/٣، نقلاً عن التحفة الشاهية في علم الهيئة.

(٤) شرح الإشارات والتنبيهات للمحقق الطوسي: ٢١٥/٣.

من القلب مثلاً فهي مستنده وأعمدة للكواكب تتحرك بها، فصَحَّ أن سيرها لدوران الفلك وإن كانت مبتدأه.

ومنها: إبطال كون جميع الكواكب في سماء الدنيا، كما قاله بعض أهل القيل، وإلا لم تختلف الحركة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكِبِ﴾^(١)، فتزيينها بالكواكب لا يقتضي حصولها فيها، إذ قد يزين الشيء بما ليس فيه بظهوره فيه وحكايته له، فهل يخفى على عاقل دلالة ذلك على موجد متقن محكم، فتسخير الكواكب وجريانها كذلك، إنما يكون بأمرٍ من حكيم وإتقان موجد عليم؛ لامتناع وجود كمال بغير مبدأ له، وإن كان الطبيعة فلا بد من كونها أعلى من صنعها ضرورة، فإذا كانت فما المانع من إثبات صانع حكيم، بل لا بد من جعل الطبيعة حينئذ خارجة، ليست قائمة بجسم.

ويرجع البحث معهم في التسمية اللفظية وإن أثبت بعض الأسباب، وإن لم تكن كذلك فلا مناص من إثبات صانع غيرها، لجها العالم بافتقاره إلى صانع محكم عليم، ولا يصح الوضع الفلكي ولا كوكب للألوهية، لما عرفت ولا اختصاصه بنوع، وعدم استقلاليته بفعل، مع عموم آثار الحدوث والدثور للسموات والأرض وما فيهما المنافي للوجوب والقدم.

[مسخرات]:

إزاحة: قال ملاً خليل في الشرح: (مسخرات بأمره لا بطبائعها. وفيه إيذان بإبطال تأثير الطبيعة، وبأن الفاعل لا يكون إلّا حياً قادراً)^(٢).

وغير خفي إنه إذا أراد أنه يبطل كون الطبائع عللاً استقلالية فحق لا مرية

(١) سورة الصافات، الآية: ٦.

(٢) الشافعي في شرح الكافي: ١٨٩/١.

فيه، ولم يقل به إلا أهل الطبائع، أي: الدهرية، وإن أراد أن يبطل إثبات تأثير لها مطلق فدونه خطر القتاد^(١)، والمشاهد بخلافه.

وحديث مثل المفضل، وقوله: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب»^(٢)، وكذا نسبة الخلق لمالكي الأرحام وغير ذلك يبطل ذلك، فهي من قبيل الأسباب مسخرات فيما أقيمت فيه بأمره.

ولم يكفر الدهرية بإثباته الطبيعة، وإنها تؤثر، ولم يرد عليهم النبي ﷺ وآله ﷺ لذلك، بل لقولهم هي الواجب وعلة العلل.

نعم، تسخير هذه بأمره الذي هو عبارة عن عالم الأمر، وهو المشيئة الدال ذلك على جريان غيبها وجبروتها على مقتضاه كما الجريان لقول: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾، فكأنها مصيرت قبة لبعدها عن الشرور.

وكذا لو فسرت الأمر بعالم المجرد، وهو العقول والنفوس، والأول خاصة يكون فيه دلالة صريحة على أنها مختارة عاقلة، إذ لا مناص من إثبات قبول فيها لتسخيره الموجب لإثبات واسطة، فهي عقولها ونفوسها أو قل ملائكة لا مشاحة؛ لامتناع كونه تعالى محركاً للأجسام بغير واسطة، وإلا كان طبيعة وملابس للأشياء ومداخل لها إلى غير ذلك.

[الأشاعرة ونفي جميع العلل]:

أمّا الأشاعرة التافون للأسباب مطلق والناسيون جميع الأفاعيل له بغير وسط لشيء، بل ينفي جميع العلل، فيتم عليه ما رام إثباته ذلك الفاعل وإثبات اختيارها، لا مزية فيه لنص: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ﴾ وغيرها،

(١) خطر القتاد: من أمثال العرب في الأمر دونه مانع، قولهم من دون ذلك خطر القتاد، لأن شوك القتاد مانع من خطر ورقه، وشوك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدة.

(٢) الكافي: ١٠٣/١.

وتعدد الإرادات واختلافها ليس شرط الاختيار، ومرّ لك بيانه في بعض الحواشي.

قال الصادق عليه السلام للمفضل: «يا مفضل، أوّل العبر والأدلة على الباري جلّ قدسه، تهية هذا العالم، وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك، وجدته كالبيت المبنيّ المُعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسمااء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالسطح، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ [شيء] فيها لشأنه مُعدّ، والإنسان كالمُملّك ذلك البيت، والمُخَوّل جميع ما فيه، وضروب مهياة لماربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وأنّ الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض، جلّ قدسه وتعالى جدّه، وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاهلون^(١)، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون^(٢).

تتمّة وتحقيق:

قد استبان لك من أوّل هذا الحديث، اشتمال الخلق العالم جملة وفرادى على الحكم وحسن الصنع كذلك، فوقع كل جزء كذلك وحكمة مقتضية له وعلّة وسبب خاص به، وإن انتهت الغايات الوسطية للإنسان؛ لصريح الآية الأخرى، والكل انتهاؤه إلى الله تعالى وراء الغايات: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٣)، وعلى ذلك الآيات والروايات، والبرهان الحدسي المشاهد، والعقلي متواتر.

(١) في المصدر: الجاحدون.

(٢) كتاب فكر: ٧٢.

(٣) سورة البروج، الآية: ٢٠.

وقد حاد عن ذلك جمع، فخرجوا عن مقتضى فطرتهم وما تقتضيه حيلتهم، حيث نظروا للعالم نظر حيران، ولم يتفطنوا للعلل والأسباب، فنزع بعض للقول بالعبث والاتفاق وعدم الأحكام والتدبير، كما ستسمعه من النص عن بعض الأقدمين.

[قول الملا صدرا الشيرازي]:

وفي أسفار الملا صدرا رحمته الله^(١): (زعم ذي مقراطيس أن وجود العالم إنما يكون بالاتفاق، وذلك لأن مبادئ العالم أجزاء^(٢) صغار لا تتجزأ لصلابتها، وهي مبثوثة في خلاء غير متناه، وهي متشاكلة الطبائع، مختلفة الأشكال، دائمة الحركة، فاتفق أن تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة [مخصوصة] فتكون هذا العالم. ولكنه زعم أن تكون الحيوان والنبات ليس بالاتفاق.

وأما انبأذلس فزعم أن تكون الأجرام الأسطوقسية بالاتفاق، فما اتفق أن كانت هيئة اجتماعية على وجه يصلح للبقاء والنسل بقي، وما اتفق أن لم يكن كذلك لم يبق).

[قول السيد الداماد]:

وقال السيد الداماد في (الأفق المبين)^(٣): (ولقد كان في قديم الزمان فرق من عاتية الفلاسفة اليونانية، قبل قوام فلسفتهم، كديمقراطيس وتلميذه فلموحوس وأصحابهما يخرصون في القول، ويقولون: بالاتفاق والبخت، وأن المبادئ جملة الأجسام والسماويات فقط، وهي الأجسام الصغار الغير المتجزئة لصلابتها كائنة بالاتفاق).

(١) الحكمة المتعالية: ٢٥٣/٧.

(٢) في المصدر: أجرام.

(٣) الأفق المبين: ٨٦٧.

ثم وقد اتضح لك وضوح الأسباب النافية للاتفاق، بل ولو لم تظهر لا يصح إنكارها لجواز تعيينها، وقصارى ما يتأدى إليه الجهل الجهل بالأولية، لا إنبات عدمها أصلاً الذي يلزم منه الاتفاق، وقد تمسكوا بحجج:

[الطبيعة وغايتها]:

الأولى: إن الطبيعة لا رؤية لها، فكيف تفعل لأجل غرض؟

الجواب: منع كونها تفعل لا لرؤية، بل للطبيعة غايات كما أوضح محله، ويدل عليه اختلاف آثارها وأفعالها كما عرفت، وهو يدل على تسخيرها بأمر المقتضى للغاية، مع أنه لا يقال عدمها الرؤية عدم توجه الفعل لغاية، فإن الرؤية لا تجعل الفعل ذا غاية، بل تميز المختار وتعيينه بين الأفاعيل، ثم يكون لكل فعل من الأفعال غاية مخصوصة، يلزم تأدي ذلك الفعل إليها لذاته، حتى لو قدر سلامة النفس عن اختلاف الدواعي، صدر عنها فعل واحد متشابه كالفلك، ففعله على نهج واحد من غير رؤية، بل الرؤية فعل واحد | من غير آية^(١) ولا رؤية لها، بل الصناعات لها غاية قطعاً وبعد صيرورتها ملكة فعلية، تصدر عن النفس بلا رؤية، وذلك ظاهر في الكاتب الماهر وتأدية الحروف، والصايغ، فصح الاختيار، والغاية بدون رؤية وإن لم يتفنن، بل قد تتفنن.

[نظام الذبول في الطبيعة]:

الثانية: الفساد والموت والتشويهاات والزوائد ليست مقصودة للطبيعة، مع أن لها نظاماً لا يتغير كأضدادها، فعلم أن الجميع غير مقصودة للطبيعة، فإن الذبول وإن كان على عكس النشور والنمو لكن له كعكسه نظام لا يتغير، ولما كان نظام الذبول ضرورة المادة من دون أن يكون مقصوداً

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

للطبيعة فلا جرم بأن نظام النمو أيضاً بسبب ضرورة المادة بلا رؤية وقصد وداع للطبيعة.

ونقول حينئذ في سائر الآفات والعلل الحادثة من المطر والحر والبرد وغيرها: فالمطر لازم للمادة، لضرب لازم، لا لسبب وغاية وإن اتفق أنه قد يحصل في نزوله بعض المصالح كما تحصل بعض المفسد، وحيث لا غاية فلا مبدأ فاعلية فلا فاعل بعيد، فلا دلالة بالأفعال المحكمة من الآفاق كالسما والأرض وغيرهما كما عرفت؟

الجواب: ما يحدث في هذا العالم مما هو كالشر، فهو عدم أوائل له وبالنظام الجملي خير، مع أنه حاصل بأسباب عرضية تأدت إليه، فالموت مع ما فيه من المصالح الظاهرة كثيراً، فليس هو إعدام وإبطال، بل لخروج النفس إلى الفعل، فسبب الموت سبب الحياة، مع أنه ليس من شرط كون الطبيعة متوجهة لغاية وصولها إليها لو سلم ذلك، والذبول متأد إلى غاية، لأن له سببين:

أحدهما: بالذات وهو الحرارة.

والآخر: بالعرض وهو الطبيعة.

ولكل غاية، فالحرارة تحلل الرطوبة فتسوق المادة إليه ونفيها على النظام وذلك للحرارة بالذات. وغاية الطبيعة حفظ البدن ما أمكن بإمداد بعد إمداد، ولكن كل تال الإمداد به أقل من السابق، فنقصان الإمداد سبب النظام الذبول بالعرض، والتحليل سبب بالذات للذبول، وفعل كل متوجه إلى غاية. وما ذكر في سبب المطر وما ذكر في الرعد والبرق والصواعق وغيرها فممنوع كونه هو السبب الفاعلي الأولي، وإن كان من ضرورات الطبيعة، ولكن كان من ضروراتها واقتضائها له بسبب غيبي وباعث باطني سماوي بأمر الله، كما صرحت به الروايات في بيان الأسباب، ومرّ بعضه. فحينئذ الأسباب الأرضية الظاهرة في بادي النظر بمنزلة القوابل، وهي في الحقيقة

كما يقتضيه التأمل قوايل ومعدّات، فلها فواعل ومفيد، وإن سميت فواعل بوجه فانسأقت الأسباب الظاهرة على الباطنة، وصحّ الكلامان كما مرّ، مع أن جري المطر وغيره بمصالحة دائماً، لا يصح نسبته للاتفاق، إذ لا معنى لجعل المرتبط اتفاقي وإلا كان عكس ذلك عن سبب وعلة، وهو خلاف الضرورة.

ثمّ وما يتخلف فيه نادر، فتخلفه ولزومه نقص لا بدّ أن يكون لعلة وإلا لم يتخلف، فالعلة قبل التخلف بعد لم تحصل، وعلة النقص عدم بلوغ ذلك للكمال، فعدم العلة علة لعدم المعلوم، فليس بلازم للعلة الوجودية مع لازمها الوجودي، وسأنقل لك كلام الصادق عليه السلام للمفضل بما يندفع به عنك هذه التوهمات، ولطوله أجعله أخيراً.

[اختلاف أفاعيل الطبيعة]

الثالثة: إن الطبيعة الواحدة تفعل أفاعيل مختلفة، فالحرارة مثلاً تحلّ السمع وتعقد الملح، وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب، فلا يصحّ نسبة ذلك للواحدة عن شعور، وغاية؟

الجواب: فإذا نفيت بذلك كونها ذو غاية، فأثبت علة أخرى ذي اختيار متعدّد، فإنّ ذلك لا يوجب الاتفاق، بل يوجب ثبوت العلة والغاية.

وأيضاً: القوّة الحارقة لها غاية واحدة، هي إحالة المحترق إلى مُشاكلة جوهرها، وسائر الأفاعيل توابع ضرورية، وهي غايات عرضية.

وكيف لا تثبت الغايات للطبائع ونحن نجد الحبوب المتخالفة ينبت كلّ من نوعه، والكل في أرض واحدة، ولا ينبت بنوع آخر، ما ذاك إلا لأنّ القوّة المودعة في كلّ حبة إحالة الأرض لما يناسب صورتها.

وأيضاً: مما لا خلاف فيه، أنه إذا رائي حال طبيعة مخالف لجريها نقصاً أو زيادة طلب الإنسان له علة، فقليل لم صار كذا ولم ينبت البَرّ والشعير.

فأذن الطبيعية متوجهة للخير والكمال، فلا تكون إلا عن علة ولعلة، بل اتفاقية، وكذا عروض مانع لها، فإذا أزيل عادت دليلاً على توجهها مع إكسائها حلية الوجود، وكلّ ممّن له غاية فإنه كان ممكناً، فحركته وإمداده من غيره، فلا يصحّ قول: لا غاية له أصلاً ولا مطلوب، مع أنه مفتقر بطبعه وحقيقته.

والقول بقدم جميع الموجودات باطل، وليس كل من قال بالاتفاق نفى الواجب تعالى وإن لزمه، وظني أن انبأ قلّس لم يذهبوا إلى ما ينقل عنهم، فلعل ذلك من إبهام عبارة زمروا فيها، وكثيراً ما يستعمله المتقدم، مع أن المعصوم عصمه الله.

تنبيه:

ما نسبنا إليه العلة. إمّا دائماً أو أكثرياً، والأول لا يعارضه معارض بخلاف الثاني، فما يكون دائماً أو أكثرياً لا يقال إنه اتفاقي، وما سواه ما قد يسمى مجازاً.

والحق: إن العلة لا تتخلف، وما ينساق لخلافه لا مخالفة، بل المادة استقلت لزيادة أصبع مثلاً، وفعلاً القوة المصورة، فلا تخلف بالأقل، دائم بشروطه وأسبابه وإن خفيت على الجاهل، فلا اتفاق بوجه أصلاً، بل الكل مرتبط ولكل سبب وعلى زمرة الحكماء، وبه صريح الآيات والروايات.

نعم، خفاء السبب وجهله قد يوجب للجاهل تسميته به، كمن حفر بئراً للماء فوق على كنز، إمّا عند من أحاط بالسبب، بل بالنظر إلى نفس الحفر، وإن جهله الحافر فلا اتفاق، بل سبب ومسبب.

وممن يدخل في زمرة القائل بالاتفاق، بل أحطّ قدرأ منه الأشاعرة، حيث نفوا الأسباب أصلاً، وقالوا: لا سبب، بل جرت عادة الله كذا.

فإذن ما فائدة هذه العبادة ولا غاية لازمة للمقدمات وأضرابها من عالم

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

التكوين وسائر الأفاعيل، وليتهم قالوا: اقتضت حكمة الله الأسباب وجعلها ألطافاً للمسببات، وعلى مذهبهم لا يمكن الاستدلال بارتباط الوجود واتساقه إذ لا سبب ومسبب، وقد أقروا بنفي العلة والغرض مطلق.

وممن يلحق بهم من جوّز الترجيح لا لمرجح لما جعل المرجح في الهارب والعطشان إن سلم دخولهما في البين، وهو سواد من المتكلمين.

ومنهم: من جوّزه في المختار، ولا فرار بذلك عنها بلزم. فقل: إذا جاز الترجيح لا لمرجح فلا مرجح لجعل خلق السماء كذلك في مكانها على سائر الكيفيات والصور والحركات، وكذا الأرض وسائر الحيوانات وغيرها من الموجودات، فللمختار أن يرجح لا لمرجح، وقد عرفت إعلان حديث المفضل وغيره ببطلانه وفوت الحكمة في كلّ لو غير خلقه، وبعضها لو غير بعض، ولا يدفع ذلك بتجويزه في أصل إيجاد العالم، بأن أوجده في بعض حدود الفضاء الموهوم لا لمرجح كما وسوس لهم هواهم، فمتى شرع ذلك في جانب القدس بوجه لزم مطلق، ولا مدفع له ولا يدفع بما التجأ إليه بعض من كون الإرادة مرجحة، فإن كانت عين الذات فلا نفع بها، ولا قرار في عدم المرجح، وإن كانت حادثة عاد الكلام باحتياجها إلى مرجح أولاً لا لمرجح. ولا تنوهم ذلك مع القول بالمرجح، مع أنّ إيجاد الإيجاد الأشياء وفتقها منه تعالى، فإن العلة الغائية في نفي الأمر وتمادي الكلام نفس الفاعلية فلا انفصال أولاً كما لا اتصال ولكل سبب مكمل للمعلول ومصحح لإمكانه. وليس موضع هذه المسألة.

تنبيه واستدلال صادق:

لو أعطيت التأمل حقه، وجدت ما تسميه اتفاقاً لازماً للطبيعة، سواء كانت بإرادة أو قسر مسبوق بأحدها، فإن كان فهذا العارض اتفاقاً لوجه لزم الطبيعة لا أن فعلها اتفاقاً.

مبعثرات

وقال الصادق عليه السلام للمفضل في المجلس الرابع، «وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعةً إلى إنكار^(١) الخلق والخالق والعمد والتدبير، وما أنكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب، وما أنكره من الموت والفناء، وما قاله أهل الطبائع، ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق، ليتسع ذلك القول بالرد عليهم: ﴿قَالَهُمُ اللَّهُ أَنتَ يُؤَفِّكُونَ﴾».

اتخذ [أناس من] الجهال ما يحدث من الآفات في بعض الأزمان، [كمثل الوباء] واليرقان والبرد والجراد، ذريعة لجحود الخالق والخلق والتدبير.

فيجابوا: بأنه إذا لم يكن خالقاً ومدبراً فلم لا يكون [ما هو] أكثر من ذلك وأفظع؟ منه أن تسقط السماء على الأرض، و[تهوي الأرض فتذهب الأرض سفلاً، وتتخلف الشمس طلوعاً، وتجف الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء [للشفة]، وتركد الريح، حتى تفسد الأشياء، ويغرق البحر الأشياء.

ثم وما بال تلك الآفات، إنما تحدث في أحيان، ولا تمتد، بل ترفع، فقد حفظ العالم من تلك الآفات الجليلة وتدفع بهذه الیسيرة، ثم رفعت لتأديب الناس وتقويمهم، فهي موعظة لهم وكشفها رحمة لهم.

وقد أنكرت المعطلة ما أنكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس، وكلاهما يقولان: إن كان للعالم خالقاً رءوفاً رحيماً، فلم يُحدث فيه هذه الأمور المكروهة؟ والقاتل بذلك يذهب إلى أنه ينبغي أن يكون هنا عيش الإنسان صافياً من كل كدر، ولو كان خروج من الأشر والبطر إلى ما يفسد ديناً ودنياً، ومثاله من المترفين ومن نشأ في الجدة

(١) في المصدر: جحود.

ظاهر، حتّى أنه ينسى أن له ربّاً وهو مفتقر، أو يرحم ضعيفاً، أو يساويه، أو يساعد مصاباً، ويحن على مبتلى، فإذا عضّته [المكاره] أو رآها بغيره تذكر وارتدع ورحم وتحن وأتاب وخشع.

والمنكر لذلك كالصبي يذم الدواء المرّ البشع، ويسخط من المنع من الأطعمة الضارة، ويكره الأدب والعمل، ويحبّون [أن يتفرغوا] للهو والبطالة، [وينالوا كلّ مطعم ومشرب، ولا يعرفون ما تؤذيهم إليه البطالة] من سوء النشوء والعادة، وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارة من الأذى والأسقام، ومالهم في الأدب من الصّلاح وفي الأدوية من المنفعة، وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

فإن قالوا: لِمَ لَمْ يكن الإنسان معصوماً [من المساوي] حتّى لا يلدغ بهذه المكاره؟

قيل: فهو [يكون] غير محمود على حسنة يأتيها، ولا بمستحق الثواب عليها.

فإن قالوا: وما كان يضرّه أن [لا] يكون محموداً على الحسنات، مستحقاً للثواب، بعد أن تصير إلى غاية النعيم واللذة؟

قيل لهم: اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفّى كلّ ما يحتاج [إليه] بلا سعي واستحقاق، فهل تقبل نفس ذلك، بل [ستجدونه] ما يناله بالقليل بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير الحال بلا استحقاق، وكذلك نعيم الآخرة [أيضاً] يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق فيكمل له السرور.

فإن قالوا: [أوليس] قد يكون من الناس من يركن لما يناله من خير وإن كان لا يستحقّه، فما الحجّة على من رضي قبل نعيم الآخرة على هذه الجملة.

قيل [لهم: إنّه] لو صخّ هذا الباب للناس لخرجوا إلى [غاية] الكلب

والضراوة، وانتهكوا المحارم في جميع الأبواب، ووثقاً بأنهم آيلون للنعيم، ويكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة [معاً]، وموضعٌ للطعن على التدبير بخلاف الصواب، ووضعُ الأمور في غير موضعها.

وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي [تصيب الناس فـ] تعم البرّ والفاجر، أو يبتلي بها البرّ ويسلم منها الفاجر، فإن قالوا: كيف ذلك، وما الحجة فيه؟ قيل لهم: وإن نالت الصنفين فإنه صلاح لهما.

أمّا الصالح: فيحدوه على النعم السابقة فيشكر مع حصول الصبر له الذي هو من أسنى المراتب.

وأمّا الطالح: فردع له وكسراً لسور شهواتهم. وكذا لمن سلم من الصنفين صلاحاً.

أمّا الصالح فزيادة البرّ والصلاح والرغبة، والفاجر يعرف التطول عليه من غير استحقاق، فلعله^(١) يرجع.

وكذا فيما يصيب الصنفين في أبدانهم كالحرق والغرق. وجملة القول: إنّ الخالق صرف هذه الأمور كلّها على الخيرة والمنفعة.

وأمّا الموت والفناء: فلو بقوا الناس مخلدون، فلينظر في غاية الأمر، أليس يئول إلى ضيق الأرض بهم، فتضيق المساكن والمعاش، أليس التجاذب وسفك الدم واقع بينهم على ذلك مع الموت، فكيف لو لم يكن، بل متيقنون الحياة، مع أنك ترى من طال عمره يملّ الدنيا ويتمنى الموت ولو أزيل عنهم المكاره، بحيث لا يتمنون الموت آل الأمر إلى ما عرفت، فإن لم يتولد وحتى لا تضيق بهم حرم خلق كثير الدخول في الوجود والاستمتاع بنعم الله، وفات القرن الذي لم يتوالد لذات كثيرة ونعم جمّة، فكانوا في أضيق حال وفات التعاون بالقراية والأولاد.

(١) في النسختين: فلعل.

فتبين: إن كلما يتوهمه الوهم خلاف الواقع سفه وضلال، وكمال الحكمة والتدبير ما ترى فكلما فيه إذا فتش وجد على غاية الحكمة والصواب حتى لا يخطر بالبال شيء لو وجد عليه الخلقة أصح وأصوب.

واسم هذا العالم بلسان اليونانية، وكذا سمته الفلاسفة (فرسموس) وتفسيره (الزينة) لما رأوا [فيه] من حسن التقدير والنظام، فلم يرضوا بتسميته تقديرًا، بل زينة.

والعجب ممن لا يقضي على صناعة الطبّ بالخطأ، وهم يروا خطأ الطبيب، ويقضون على العالم بالإهمال، ولا إهمال فيه، بل أعجب ممن ادّعى الحكمة وجهلها في الخلق ودلالاتها، فنسب الجهل والإهمال للخالق.

وأعجب منهم المعطلة [الذين] راموا بأن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل، لأنه فوقه، كما البصر لا يدرك ما فوقه، فلو رأيت حجراً في الهواء علمت أن راميّاً رماه، وليس هذا العلم من قبيل البصر، بل من قبيل العقل، لأنه المميّز إلى أن الحجر لا يذهب إلى علوّ من قبل نفسه، فوقف البصر على حدّ لم يتجاوزه، فكذا العقل في معرفة الخالق لا يعدوه، لكن يعقله عقل أقرّ بما يوجب له الإقرار به من غير إحاطة بصفته. ولم يكلف العبد من المعرفة بالإحاطة لخروجه عن الطاقة، ووصفنا له صفات إقرار لا إحاطة ولقصور الكل عن الإحاطة مع اختلاف الأهواء اختلف فيه، انظر إلى الاختلافات في الشمس، فكيف ما لطف عن الحس والعقل؟

ثم قال ﷺ: فأما أصحاب الطبائع فقالوا: إنّ الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا [تتجاوز] عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك، فقليل لهم: من أعطاهم هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة [لها]، وقد تعجز عنه العقول مع طول التجارب؟

فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على [مثل] هذه الأفعال، فقد أقرّوا بما أنكروا، لأن هذه صفات الخالق.

فإن أنكروا كونها للطبيعة، فوجه الفعل يهتف بأنه الخالق الحكيم، وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء، وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق، وكان ممّ احتجّوا به هذه الآيات التي ترد غير مجرى العرف والعادة، النقصان خلقه الإنسان وزيادته، وتشويه المولود.

فأنكروا العمد، وهو إنما يأتي لأعراض تعرض للطبيعة وتزيلها عن سبيلها، وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد [جرياً] دائماً [متتابعاً].

فأصناف الحيوان أكثر جريانه على نهج واحد، كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع، وما يكون على خلاف ذلك لعلّة تكون في الرّحم، أو في المادة التي يُنشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات حين يتعمّد الصانع الصواب في صنّعه، فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو [في] الآلة التي يعمل فيها الشيء، وقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوّهاً، ويأتي الأكثر سعدياً لا علّة فيه، فكما أن ما يحدث في بعض [أعمال الأعراض] لعلّة [فيه] لا توجب علّتها جميعاً الإهمال وعدم الصانع، فكذا ما يحدث في بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب لجميعها الاتفاق والعرض. فقول: إن الأشياء بالعرض [والاتفاق]، من قبل أن شيئاً من الطبيعة يجري على خلافها لعلّة خطأ وخطل.

فإن قالوا: ولم حدثت هذه في الأشياء؟

قيل: ليُعلم أن الأشياء ليس باضطرار الطبيعة، ولا يمكن أن يكون سواه، كما قيل، بل عن تقدير وعمد [من] ^(١) خالق [حكيم، إذ] جعل الطبيعة تجري على منهاج أكثر ذلك معروف ^(٢)، ثم تزول أحياناً عنه

(١) في النسختين: و.

(٢) النص في المصدر: تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف.

لأعراض تعرض لها، فيستدلّ به على أنّها متصرّفة مدبّرة، فقيرة للخالق في بلوغ غايتها، وإتمام عملها»^(١). انتهى مختصراً.

فانضح لك نفي الاتفاق والاتساق، الأشياء بعلمها وغايتها، فكل مسخر فيما خلق لأجله بأمر غيبي، وروح قدسي.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلَيَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

[شرح تكملة الحديث: كمال الاتقان في الأنفس والآفاق]:

لما بين ﷺ حسن التقدير، وكمال الإتقان والأحكام، الدال على الصانع، الكامل في الآفاق بالآيات السابقة، أشار هنا إلى الدلالة على ذلك، والتنبيه عليه في الأنفس، فقد أوضحت الآيات وبيّنت الدلالات في الأنفس والآفاق، قال الله تعالى: ﴿سَرُّيْهِمْ ءَايَتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣). فليفكر الإنسان في كيفية خلقه وتنقله في الأطوار الوجودية، واعتوار الصور عليه.

فأولاً خلق من سلالة من طين، لأنه خلق من صفوة، لأن أصل تكون نطفته من المأكّل النباتية، فتحال نطفة في أبيه بعد أن تتوارد عليها الهواضم والاستحالات، حتّى تحال من الدّم في الأنثيين، فصحّ حقيقة أنّ الكل مخلوق من تراب، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ الآية^(٤).

(١) كتاب فكر: ٢٠٢ إلى ٢٢٣، باختلاف كثير مع النص.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٤) سورة نوح، الآية: ١٧.

وغيرها أيضاً. فقول المفسرين: إن الخلق من التراب^(١)، إنما هو لآدم عليه السلام، ونسب لنا لخلق الأب منه لا داعي له ولا دليل يدل عليه، وظهر السر في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٢) حيث إن المادة الأولية الترابية لم تبق بصورتها في المعدنية، وكذا في النباتية وهكذا إلى أن تصبح نطفة، بل يبقى في كل حثالة، فهو سل، ثم بعد حفظ النطفة في هذه الدرجات عن موجبات العطب تصل بآلة مخصوصة في: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾^(٣)، مكتنف بحجب وأستار، فالنطفة حينئذ كالمادة الثانية لتكوين الإنسان. فكان أولاً مادية نبات، ذو صورة ونفس ذي قوى أربع وزيادة ونقصان مولدة للمثل، ثم كسرت وأديرّت أدواراً وطوّرت أطواراً، حتى ظهر بهذه الصورة القابلة المحضّة، قد أودع فيها بالقوة ما كان قبل بالفعل، لأنه تجاوز المعدنية النباتية أولاً، ثم من جميع أجزاء الأب وأعضائه؛ لأنه فضل الهضم الأخير الموجود في الجميع، ولذا أوجب الشارع بخروجه غسل جميع البدن بخلاف البول والغائط والدم، فإنه فضل يخرج كذلك، ولم تعمل المصورة في الدم، فهذا المني في الحقيقة مختلف الأجزاء والكيفية، وإن كان حينئذ بالقوة، لأنه سلالة ما سبق، ولظهور مرض الأب في عضو في ذلك العضو من الولد في الغالب، إلا أن يحصل ما يقطعه في درجات الرّحم أو الطفولية أو ما بعدها، وإن لم يكن يقصد أحد الأبوين أو غيرها، ولصيرورة هذا المني بعد تطوّره عقله... إلخ، إنسان ذو سمع وبصر ورجل... إلخ، وليس ذلك أشياء حدثت بغير قبول للمحلّ، بل قابل له فقيها قوة القبول لها، فأجزاء المني مختلف حقيقة، كيف وتلك القوى السابقة مطلق متحفظة فيه وإن كسرت وأعيدت للمني الهولاني ليصاغ صيغة أقرب من

(١) تفسير مجمع البيان: ١٣٦/١٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٣.

تلك وأقبل، ومع ذلك قد يعرض للأب اضطراب أو غيره عند الجماع فيخرج عن القرار الطبيعي، وتضطرب القوى المصورة في الأرحام - وغير ذلك - كما أقامها الله له، فيختلط بعض الأعضاء ويفقد بعض أصلاً أو يعرض في الرحم فيكون كذلك، كما مرّ في حديث المفصل.

بسط وتبين [في خروج المنى من الإنسان]:

النطف: القليل من الشيء، ولذا سمي المنى نطفة^(١). وذهب بقراط وجماعة إلى أنّ المنى ليس متشابه الأجزاء حقيقة وإن تشابه حسباً لخروجه من جميع أعضاء البدن الغير المتشابهة، فكل عضو من الجنين إنما يتكون من المنى المنجذب إليه من العضو الذي بإزائه فالعينان من المنى المنجذب من العين وهكذا.

وفي الفصل الثاني من المقالة الحادية عشر من "حيوان الشفاء": والذي دعاهم إلى هذا ثلاثة أمور:

عموم اللذة لجميع البدن، فلو اختص المنى بعضو اختصت به والمشكلة الكلية، ومشكلة عضو الولد لعضو ناقص من والديه أو عضو ذي شامة أو زيادة.

وقدح أرسطو هذا المذهب، وأبطله بوجوه^(٢) عشرة:

[الأول] بأنّ المشابهة تقع في الظفر والشعر، وليس يخرج منها شيء.
و[الثاني] إن الزرع لا يرسله الأعضاء [المركبة] الآلية، مع وقوع المشكلة فيها.

و[الثالث] بأن لو فرضنا أن الأعضاء انفصل منها شيء فعند إنزال المرأة

(١) مجمع البحرين: ٣٩٨/٥.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ١٠١/٨.

المني يكون في الرحم. إذ لا إنساناً فإنه قد انفصل من أعضاء المرأة شيء فكذا الرجل ومنه يكون إنسان^(١).

و[الرابع] بأنه ما المانع من توالد المرأة وحدها، لأن الأعضاء كلها فيها منفصلة عن بدنها، فالأعضاء منفصلة والقوى محصلة.

و[الخامس] بأن الولد^(٢) قد يولد ذكراً ثم يتغير مزاجه ويولد أنثى وبالعكس، وليس ذلك لانتقال أعضائه من الذكورية إلى الأنثوية، بل لتغير المزاج لا لانفصاله من الأعضاء كذلك.

و[السادس] بأن الحيوان قد يسفد سفاداً واحداً فيتولد منه حيوانات أكثر من واحد، ذكرانا أو إناثاً أو منهما، ولا يمكن أن يقال: إن المنى منه مختلف حتى تولد منه كذلك.

و[السابع] بأن مشابهة الولد الجد بعيد، فليس يمكن أن يقال: إن الجد بقي له في أولاده منى، لدوام التحلل والتغير، ولو كان الأمر كذلك، كانت مشابھته لوالديه أولى، قال الشيخ [أبو علي] في الفصل السابق، وقد حكي: إن واحدة ولدت من حبشي بنتاً بيضاء، ثم هي ولدت بنتاً سوداء. وفيه نظر ظاهر.

[الثامن] وبأن كثيراً من الحيوان^(٣) يلد من غير جنسه، كما يلد الدود نوعاً من الذباب والقواسب، وقد شوهد تولد الذباب من الدود المتولد من زبل الخيل عند تعلقه، فلو كان المنى المولد ينفصل من كل واحد من الأعضاء استحال ذلك، وقواه المسيجي.

و[التاسع] بأنه لو كان في المنى من كل عضو جزء، فتلك الأعضاء إن

(١) العبارة كما في المصدر: إن المرأة إذا أنزلت عند إنزال الرجل فيكون في الرحم منان هما إنسانان.

(٢) إن الإنسان قد يولد الذكران.

(٣) في المصدر: الحيوانات.

لم تكن على وضعها الواجب لم تحصل المشابهة، وإن كانت على وضعها الواجب كان حيواناً صغيراً.

و[العاشر] بأن الغصن من الشجر الغير المثمر قد يغرس فيثمر، وكان [يجب أن] لا يثمر، لأنّ ما أخذ منه غير مثمر إلّا أن يقال: إن أجزاء الثمرة مخلوطة بذلك الغصن، كما قال أهل الخليط، وحينئذ فليقل في الحيوان كذلك، وحينئذ فلا حاجة إلى أن يجيء البذر والمنّي من كلّ جزء، بل جزء واحد كاف [إذ فيه جميع الأجزاء].

فثبت أنّ المشابهة ليس سببها [الفاعلي اختلاف صور] المادة، بل القوة المصوّرة بحسب استعداد المادة الحاصل من إعداد القوة المغيّرة.

[حجة من أنكر تشابه المنّي]:

ولمنكر تشابه أجزاء المنّي حقيقة أن يتمسك بحجتين:

أحدهما: لو تشابه المنّي والقوة المولودة عديمة الشعور والإدراك وما هذا شأنه، إذا فعل في مادّة متشابهة كان واحداً، وهو الحجة في إثبات كرية البسائط، فيلزم كون المتولد من المنّي كرة، له طبع واحد، والتالي باطل، فكذا المتقدم.

ثانيهما: إنّ من فضل الهضم الأخير، ولا يكون إلّا بعد نضج الدّم نضجاً تاماً، واستعداده لأن يصير من جواهر الأعضاء، ولذلك ما يحصل من المضعف باستفراغه أزيد من الضعف من استفراغ مثله من الدّم خمسين مرّة، ولذا يورث الضعف في جواهر الأعضاء الأصليّة، فهو مركب من أجزاء، كل واحد قريب الاستعداد لصيرورته عضواً، فلا يكون متشابه الأجزاء وإن تشابه امتزاجاً.

هذا دليل الفريقين كما في شرح القانون للعلامة.

ثم قال: بعد وفي الكل نظر، أمّا ما ذكره بقراط فلعدم وجداننا اللذة في

مبعثرات

جميع الأعضاء على السواء، بل في أعضائه بسبب سيلان المنى في أوعيته وإحداثه الدغدغة بما يقترن به من لذع الحرارة، وليس المشكلة لإرسال كل عضو المنى، فيجوز كون السبب إعداد المغيرة لتمام الخلقة. وأما مشكلة العضو الناقص للناقص فقد رأينا الأعمى يولد بصيراً، وناقص اليد تامها.

[نقض رأي أرسطو]:

وأما ما ذكره أرسطو:

أما أولاً: فلأن الشعر والظفر فضلات تخرج من أعضاء مخصوصة بأسباب خاصة بها، فيجوز أن تقع المشابهة بانفصال مادة الشعر والظفر من تلك الأعضاء وإن لم ينفصل منها شيء.

وأما ثانياً: فلأن العضو الآلي مركب من أعضاء مخصوصة، ولها وضع مخصوص، فإذا فرض انفصال شيء من تلك الأعضاء فحينئذ تقع المشابهة.

وأما ثالثاً: فالأجزاء المنفصلة من المرأة تنضم إلى ما من الرجل فيحصل منها جسم الولد، وكذا في كل عضو، والجنسية علة الضم، فلا يلزم أن يكون هناك إنسانان بل إنسان واحد.

وأما رابعاً: فمنى الرجل شرط في ظهور الأعضاء، كيف وقد تقدم أن في منى المرأة قوة عاقدة، بل منعقدة.

وأما خامساً: فقد ثبت أن آلة الأنثى هي آلة الذكر غير أنها ظاهرة في الذكر لحرارة المزاج وكامنة في الأنثى لبرودته.

فلم لا يقال: لما انفصل المنى من أعضاء الذكر صادفته حرارة الرحم فولد ذكراً أو برودته فأنثى.

وأما سادساً: فباحتمال كون الأجزاء اللحمية مثلاً انفصل منها زرقعة من زرقات المنى جزء وفي الزرقعة الثانية جزء آخر وهكذا... إلخ. وكذا الكلام

مبعثرات

ي كُلّ واحد من الأعضاء، ثمّ يتفق احتواء الرّحم على كل زرقعة على ما ذكرنا في سبب التوأم.

وأما كونه تارة يولد ذكرانا ثمّ إنثاءً فلاقتزان الحرارة والبرودة في الرحم.

وأما سابعاً: فلما فيه من النظر. وكذا الثامن.

وأما تاسعاً: فلأن تلك الأعضاء إذا كانت على الترتيب الواجب، كان جنيناً وهو حيوان صغير.

وأما عاشراً: ففيه نظر.

[نقض حجة من أنكر تشابه المنى]:

وأما الحجة الأولى للمنكرين: ففاسدة لا لما ذكره الإمام عليه السلام من أن اللازم منها، وهو كون المتولد كرة، لازم لمن يجعل المنى مختلف الأجزاء، لأننا إذا فرضنا مركباً فلا بدّ وأن تكون الأجزاء البسيطة حاصلة فيه بالفعل، ولكل واحد من تلك المواد البسيطة قوة بسيطة، فيجب أن يكون كُلّ واحد منها كرة حتّى يكون المتولد من المنى كرات مضمومة بعضها إلى بعض، فإنه أيضاً فاسد، فإنه جواب جدليّ لو سلم.

قوله: فإن لم يلزم ذلك لم يلزم ما قالوه، وهو غير لازم إذ لا يلزم من عدم كون الإنسان كرات مضمومة بعضها إلى بعض على تقدير كون المنى متشابه الامتزاج، عدم كونه كرة على تقدير، كونه متشابه الأجزاء لأن بسائط متشابه الامتزاج أبعد من محوضة البساطة، لانكسار محوضتها بزيادة الامتزاج والاختلاط من بسائط متشابه الأجزاء، ونظيرهما المركب من العناصر، والمركب من المركب من العناصر، فإن بسائط الثاني أبعد عن البساطة من الأوّل لزيادة التركيب، بل لأنه لا يلزم من اقتضاء القوة العديمة الشعور استدارة الجسم المتشابه الأجزاء التي لم تتألف من أجسام مختلفة الصور، كالبسائط العنصرية والفلكية، اقتضاؤها لاستدارة الجسم المتشابه

مبعثرات

الأجزاء الذي تألف من أجسام مختلفة الصور لظهور الفرق، فإن هذه القوة إنما يمتنع اختلاف تأثيرها في الأول لا في الثاني لاختلاف المادة المتصرف فيها، بتهيئة المغيرة لكل عضو مادة يليه، ثم بإفادة المصورة ما يحسن لها من الصور.

وأما الثانية: فكذلك لا لما ذكره الإمام عليه السلام من أن تلك الأجزاء في المنى، إما أن تكون مرتبة على حسب تركيب الأعضاء أو لا تكون كذلك.

والأول باطل، لأن المنى رطوبة سيالة لا تحفظ الوضع.

والثاني: يقتضي أن لا يتركب الأعضاء على الوجه المخصوص على الدوام، فإنه أيضاً فاسد، لأن المقدمتين ممنوعتان، وسندهما لا يخفى، بل لأنه لا يلزم كون تلك الأجزاء غير متشابهة؛ لأن المراد من كون المنى متشابه الأجزاء أن يشارك جزأه المحسوس كله في الحد والاسم على ما ذكره أرسطو وشيعته في حجته.

[في المنى]:

والثانية: لا تبقى كون المنى متشابه الأجزاء بهذا المعنى، بل بحسب الاستعداد، فأين أحدهما من الآخر. انتهى.

والذي يقوى في نفسي إنه وإن تشابه مزجاً وحساً، لكنه متمايز حقيقة؛ لتعديه مراتب كما مرّت الإشارة، ولكونها فيه بالقوة، احتيج إلى مصورة مخرجة بأمر الله تعالى، إلا أنه قد يؤثر التصور حال الجماع. وكذا أمور خارجة أو داخله ولكنها مقهورة حينئذ في اختلاف الصور والتخطيط وغير ذلك، وهذا لا ينافي كون المشكلة بدونها سببها ذلك مع تمامية ما نريده، بغير ملاحظة المشاكلة، وكذا مع تفاضل الأعضاء في اللذة حال الجماع، ويشير له أيضاً ما في النصّ في خلق آدم، إن في أصل خلقه القبضات العشرة المقتضى لتحقيق ذلك في كل فرد آدمي.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

وغير خفي حينئذ لللفظ وجه الجمع بين مذهب بقراط وما ذهب إليه أرسطو وشيعته من أنه متشابه الأجزاء، لانفصال الاثنين فقط، وكون كل جزء محسوس منه مشاركاً في الاسم، والحداد ليس مبدأ مادته الاثنين وإن كان منهما فهي مغيرة ولكون أفرادها بالقوة المتشابهة، فكأنها جوهر متصل متشابه.

تنبيهان تميمان:

[رأي الفلاسفة في مني الأنثى]:

الأول: هل للمرأة مني أم لا؟ المشهور عن أرسطو إنه لا مني لها وليس إلا دم الطمث، كما ذكره ابن سينا في الفصل الأول من المقالة التاسعة، من كتاب الحيوان من طبيعيات الشفاء، وجالينوس على الأول، وشنع عليه جالينوس واستدل على وجود منيها بشبه الولد والديه، فمبدأ الشبه ليس الدم؛ لعدم حصوله للأب، فهو المنّي، فهو حاصل لها. ويقول أرسطو بأن الشريانات والعروق التي في أوعية المنّي إذا طال زمان محركاتها للدم في الاستدارات والتلايف حدث منه مني، ولو كان في سائر العروق تلك الاستدارات والالتفافات لكان يتولد فيها مني، وإذا كان الشريان والعروق مولدين له دون البيضتين والفاعل للشيء هو المشبه له بجوهره وجب كون الشريان والعروق متكونة من المنّي، لكن مني الذكر لا يفي به لقلته وكثرة هذه الأعضاء، فلها مني، وبأن بعض الأعضاء مثل العظام والأعصاب والعروق والأوتار والرباطات والغضاريف والشريانات ليست متولدة من الدم، وإلا كان حالها حال الأعضاء الدموية، فمتى قطع منها شيء عاد كهي وليست كذلك، فهي منوية لكن مني الذكر لا يفي بها لقلته وكثرتها فلها مني، وبأنه وجد في وعاء المنّي لبعض النساء التي امتزجت أرحامهن مملوءة رطوبة منوية، إلا أنها أرطب من مني الذكر، وبأنه كان لبعض النساء حالة

مبعثرات

شبيهة بأخشاف الرّحم، ثم استفرغت شيئاً كثيراً، ووجدت لذلك لذة عظيمة كالجماع وصَحَّت وباحتلامهنّ ورؤيتهنّ منياً. فهذه حجج جالينوس، وقد طال كلام الشيخ معه وفي حججه وأفسدها، مع اعترافه بوجود رطوبة شبيهة به في الفصل السابق.

واختار بعض المتأخرين أن لها منياً لا كمني الرجال.

[رأي الشارح في مني الأنثى]:

والذي يقوى في نفسي بعد أن وقفت على حجج الفريقين ومناقضاتهم أن لها منياً وإن لم يكن كمني الرجال في الصفات المعدودة له رطباً وباساً، ولذا لم يبرز في الغالب ولا دليل يدل على تخصيصه بما فيه تلك الصفات المعدودة في كتب الطب وغيرها، للاتفاق على أن للمرأة رطوبة مغايرة لدم الطمث تشبهه تسيل للرّحم، وبها الاحتلام وإلا لكان خلق الخصيتين والمجاري للآفات عبثاً.

وهذه الرطوبة لا يمنعها أرسطو، فلعل سلبه المنى عنها لتخصيصه بما فيه تلك الصفات من شدة القوة والحرارة ورائحة الطلع وغيرها.

أمّا الروايات: فظاهرة في ثبوته لها، كما في روايات الغسل، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾^(١) أي مختلطة^(٢)، مني الرجل بمنى المرأة: (نَبَيْلِهِ).

وفي الاحتجاج في جملة ما سئل به ابن سوريا النبي ﷺ . . . إلى أن قال ابن سوريا: «أخبرني يا محمد، الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال النبي ﷺ: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأمّا اللحم والدّم والشعر فمن المرأة. قال: صدقت يا محمد.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٢) راجع: تفسير مجمع البيان: ١٠/١٦٣، وتفسير ابن كثير: ٤/٤٨٣.

ثم قال: يا محمد، فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله [شيء]، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: أيُّهما علا مأؤه على ماء صاحبه، كان الشبه له. قال: صدقت يا محمد^(١).

[أي المنين أقوى في الانعقاد]:

الثاني: هل مني الرجل يخالط التكوّن على أنه جزء منه، وقوام أعضاء الجنين من المنين؟ ففي كل فعل وانفعال أو أن مني الرجل وإن خالط المتكوّن، وإنما يخالطه على أنه فاعل لا على أنه مادة، فهو كالمبدأ المحرّك، فيكون منه الروح، بل هو أصلها كالإنفحة والجبين.

ذهب إلى الأوّل جالينوس وإلى الثاني أرسطو وجمع في الشفاء بينهما، بأن القوّة العاقدة في مني الذكر أقوى من المنعقدة، وفي الأنثى بالعكس، فجالينوس اعتبر الأقوى والأضعف جميعاً، وأرسطو اعتبر الأقوى في كل واحد من المنين، وضرب المثال عليه باللبن والإنفحة، وقال في الفصل الثالث من المقالة التاسعة من كتاب حيوان الشفاء: (لكنّا نقول: إن مني الرجل يتحلل ويتفرق في أجزاء المتكوّن، فإن تلك الأجزاء إنما تنمو وتكبر وتعظم بمادة المرأة، وإن كان للمني^(٢) أجزاء متحللة مداخله من مني الرجل، فلا تبلغ أن تصير عضواً متصلاً، بل إنما يكون منتشراً في خلل العضو^(٣)). ويتم انعقاد الجنين من [هذين] المنين.

ثم قال في الفصل الأول من المقالة السادسة عشر من كتاب الحيوان من الشفاء: (إن مني الرجل لا يتكوّن جزء من الأعضاء بل هو مبدأ روحي نافذ فيها بفعل الأعضاء... فإذا وقع [المني] في الرحم قوّم نطفة الأنثى وحركها،

(١) الاحتجاج: ٩٠/١.

(٢) في المصدر: في النامي.

(٣) الشفاء الطبيعيات: ١٦٢/٨.

وتحرك هو أيضاً معها... فالجسدين من الأنثى، والروح النفساني منه. والمولود من ذكر وأنثى مختلفين إذا تمادى الزمان في بقاء التناسل إلى مشكلة الأنثى لغلبة المادة على الصورة^(١).

والروايات دلالتها على مذهب جالينوس أظهر وإن قبلت الثاني أيضاً على وجه.

[مراحل تكوّن الجنين]:

رجع : ثم بعد خلقه من سلاله من طين وإلقاء الماء في الرحم، حتى يجتمع الماءان ويتفاعلا وحينئذ يسمى نطفة، وذلك بعد أسبوع الغشاء، فهذا طوران، طور الماء والنطفة، وقبلهما مراتب أيضاً، لكنه فيها بالقوة البعيدة جداً، هي المشار لها في: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾^(٣)، به (ثم) إشارة إلى التأخر برتبة الماء، ثم بعد طور النطفة العلقه، ومدتها أربعون، وهي قطعة دم حمراء صافية، فيها امتدادات وخطوط ضعيفة خفية، ثم يتحول مضغة ذو عروق، وأول ما يتكون حينئذ القلب وفي آخرها يتكون اللحم والعظام، ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٤)، فعطف بالفاء في الموضعين المتوسطين للاتصال واختلاط الرتب، وإنشاء الخلق الآخر بعد، لأنه مقام نفخ الروح القديمة الحاصلة بعد شق السمع والبصر، وهذا بعد الأربعة الأشهر، ومرتبة العظام داخلة، وعليه إجماع الإمامية.

(١) الشفاء: ٤٠٤/٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

ويدل على أن النفخ بعد الأربعة لا أكثر كما في الكافي وغيره: إن الله يبعث ملكين خلّاقين بعد أربعة أشهر^(١).

وما دل على سؤال الذكر إلى قبل الأربعة، ولا ينافي ذلك ما اشتهر عند الأطباء من نفخ الروح فيه على رأس السبعين اليوم أو الخمسة والسبعين، فإن ذلك بالنسبة إلى النامية الطبيعية وبعد الحيوانية.

وكلام الشارع بالنسبة إلى الإنسانية متى تستقل [الروح] في الإنسان لا التي يشارك فيها النبات والحيوان، بل صرح الشارع بأنه قبل في تنقلاته فيه روح، وإلا لم يجعل فيه دية، كما يدل عليه رواية [الحسين بن] سعيد في التهذيب^(٢) وغيره^(٣)، ووافقها الاعتبار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: «فإن وكزها فسقط الصبي لا يدري حياً كان أو ميتاً، قال: هيهات يا أبا شبل إذا بلغ أربعة أشهر فقد صارت فيه الحياة، وقد استوجب الدية»^(٤).

وبالجملة فلا شك لذي اعتبار: إن النفخ بعد الأربعة، هذا النفخ المخصوص بغير تراخ، وهو ظاهر الروايات عند التأمل فيها، وعليه كلام الأطباء، فقول بعض أهل هذا الزمان: بأن النفخ بعد خمسة أشهر لرواية الفقيه، زعماً بأن الروايات لا تدل على غيره، وردّ به على الفقهاء في تعليلهم غسل السقط للأربعة لنفخ الروح فيه، حينئذ خبط بغير دراية، واجتهاد بلا وقاية، وليس هنا مقام البسط.

(١) فروع الكافي، الجزء السادس، باب: بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه، رقم الحديث (٣).

(٢) تهذيب الأحكام: ١٠/١٩٤١، باب ٢٣ دية عين الأعور ولسان الأخرس واليد الشلاء والعين العمياء وقطع رأس الميت وبعضه، رقم الحديث (١٧).

(٣) الاستبصار: ٨٣٧/٤، باب ١٧٨ دية من قطع رأس الميت، رقم الحديث (٨).

(٤) تفسير القمي: ٩٠/٢.

بيان وتحقيق :

[عمر الجنين في بطن أمه]:

أسنان الإنسان بحسب أطواره وحالاته مختلفة، فأسنان الجنين بكمال مراتبه أكثر ما يبقى تسعة أشهر، لو زاد ساعة قتل أمه وعليه الأكثر^(١)، بل الإجماع المشهور.

وما دلّ من النص على زيادة شهر أول السنة ضعيف، معارض ومخالف للفتوى، وكلام أهل الطب كذلك أيضاً.

وأقلّ ما يتكون فيه ستة أشهر إلا بمعجزة، وهو خارج عن البحث، وما بينهما مراتب إلا أنّ أكثر أهل الطب على أنّ مولود السبعة يعيش والثمانية لا يعيش^(٢)، إذ السبعة نوبة القمر والثمانية زحل؛ لأنه في شهوره يدور على السبعة من زحل للقمر، ولا ينافي هذا وقوع البقاء للثمانية فإن الأسباب السماوية قد يعارضها ما هو أقوى منها.

[سبع مراتب لأطوار الإنسان]:

وأما سنّ كل طور من أطواره السبعة فيختلف بمداد حسب بقائه ستة أو تسعة وما بينهما يعدّ ناقصاً وإن استكمل، ثم بعد الأسنان أي الأعمار مترتبة أيضاً باعتبار نسبة الرطوبة الغريزية التي في البدن، إلى الحرارة الغريزية.

سنّ النمو: وهو الذي تكون الرطوبة فيه وافية بحفظ الحرارة وبزيادة

(١) «عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن غاية الحمل بالولد في بطن أمه كم هو؟ فإن الناس يقولون ربما يبقى في بطنها سنتين؟ فقال: كذبوا أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر لا يزيد لحظة، لو زاد ساعة لقتل أمه قبل أن يخرج» تهذيب الأحكام: ١٥٤٤/٨، باب ٧ لحقوق الأولاد بالآباء وثبوت الأنساب وأقل الحمل وأكثره، رقم الحديث (٢).

(٢) الكافي: ٩٢٣/٦، باب ٣٨ النوادر من كتاب العقيقة، وتهذيب الأحكام: ١٥٤٤/٨، باب ٧ لحقوق الأولاد بالآباء وثبوت الأنساب وأقل الحمل وأكثره، رقم الحديث (١).

في النمو، ويسمى سنّ الحداثة والصبي والنقصان أيضاً، وهو إلى أن يبلغ الطفل ثلاثون سنة وهي زيادة النمو والأشدية قوة ومزاجاً وغير ذلك.

وينقسم هذا السنّ إلى خمسة أقسام:

سنّ الطفولية: وهو كون المولود غير مستعدّ الأعضاء للحركات والنهوض، وهذا يختلف مقداره حسب القوّة والوقت وسلامة المولود وغير ذلك. وسنّ الصّبي: وهو بعد النهوض وقبل الشدة، وهو كون الأسنان غير مستوفية السقوط والإنبات. ثمّ سنّ الترعرع: يقال: ترعرع الصبي إذا تحرك ومشى^(١)، وهو بعد نبات الأسنان قبل المراهقة، وهذا يختلف أيضاً. ثمّ سنّ الغلامية والرهاق إلى أن يقل وجهه، وهو الفتاق، وهذا يختلف زماناً إلى أن يختلف النمو. ولتفاوت الأوساط حدث البداية والنهاية في الآية. ثمّ سنّ الوقوف: وهو كون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية فقط ولا ازدياد وانتقاص، وهو سنّ الشّبّان أيضاً، وهو من الثلاثين إلى الأربعين. ثمّ سنّ الانحطاط مع بقاء من القوة، وهو عبارة عن الزّمان الذي يكون فيه الرّطوبة الغريزية ناقصة عن حفظ الحرارة الغريزية نقصان غير محسوس والبدن فيه آخذاً إلى الانحطاط في الجملة، وهو سنّ المتكهلين، وهو إلى ستّين. ثمّ سنّ الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة نقصاناً محسوساً، وهو سنّ الشيخوخة إلى آخر العمر المقدّر له.

ولتخلل رتبة وزمان بين الأشدية والشيخوخة عطفها بـ (ثمّ) الدّالة على الترتيب والتراخي. ولأهل الطب كلام طويل في تفاصيل أسباب هذه الأعمار، ليس في ذكرها كثير فائدة، فلذا أعرضنا عنها. وفي الأخير أرذل العمر، لقلة الشهوة وضعف البدن وقلة النسل، حتّى إن أولد أولد أنثى غالباً ومحل تعطيل بعض القوى.

(١) راجع: تاج العروس: ١٦٨/١١، مادة (رعرع)، ولسان العرب: ١٧٦/٦، مادة (رع).

وليس بواجب بلوغ سنّ من تلك الأسنان، بل ذلك على مقتضى الحكمة ومصلحة كل فرد وشخص وعروض محترم وغيره، فقد ينزل سقطاً قبل الأربعة إلى ما قبل النطفة، وهو العزل والسقط الغير الكامل، وهو غير المخلوق، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿تُخَلَّقَ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ﴾^(١)، وقد يموت قبل كمال الطفولية بعد كمال تزنيته في الجنين، وقد تموت قبل الأشدية وقبل الشيخوخة، فقوله من قبل، أي: قبل تلك المراتب، وأوله شموله لما بعد الأربعة، فما بعدها تتحقق الحياة والموت حينئذ، فتخصص من قبل بالشيخوخة أو بلوغ الأشد، كما قال ملاً خليل^(٢) ومحمد صالح^(٣) تبعاً للبيضاوي^(٤)، لا وجه له لتحقق الموت فيهما، وفيما قبل نصّاً وإجماعاً وقبول الآية له.

ولم يذكر في هذه طور الإنسان في المضغة والعظام ونفخ الروح، بل انتقل من العلقة إلى الطفولية، وفي آية المؤمنين التي أولها، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ الآية، استوعب جميع تطوّراته من النبات الأرضي إلى الروح الإنساني. ثم الإشارة إلى كمال جامعته بعد تبينها إلى اقتضائه التوجه الكمالي الروحاني بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، ثم بعد إلى أحواله المعادية.

وهذه المراتب السبع هي السبع التي لا يكون شيء إلا بها، وهي السابقة على إبراز الشيء مستجمعاً مبيتاً. ومن أراد تفاصيلها فليراجع جزء التوحيد في بابها.

(١) سورة الحج، الآية: ٥. راجع: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٣، وتفسير القرطبي: ٩/١٢، وتفسير

الطبري (جامع البيان): ٥٦٨/١٨.

(٢) الشافعي في شرح الكافي: ١٩٠/١.

(٣) شرح أصول الكافي: ١١٠/١.

(٤) تفسير البيضاوي: ٦٥/٤.

[الحكمة من خلق الموت]:

بيان: من كمال حكمة الله خلقه الموت وإلا لضاقت الأرض ومَلَّ بعض بعضاً وليبلون لأجل الاختبار، أي: أحسن عملاً، كما قال تعالى في كتابه^(١)، فلعلَّ يرجع الظالم والباغي وإلا فمآله للموت وإلا دام شره وإفساده، وليصبر المظلوم محتسباً وليتساوى الخير وغيره.

[أسباب وقوع الموت]:

فلا بدّ من الموت والمعاد؛ ليظهر الفرق والتفاضل وغير ذلك من الأسباب الغائية الدالة على السبب الفاعلي، مع أن البديل الذي تؤديه الجاذبية والغادية بدل ما يتحلل بالحرارة الغريزية، وإن كان كافياً الكمية غير صالح كمال الضلوح لكفائيته بحسب الكيفية؛ لأن تلك الرطوبة قد تخمّرت في النباتات أولاً، ثمّ في أوعية الغذاء في طبقاته، ثمّ في أوعية المنى، ثمّ في الأرحام ثانياً. هذا بحسب الكليات ولا كذلك البديل. وإنما حصل له الأولين فقط، فقد تحصل كما المشابهة، فمادامت الكيفية الأولى غالبية على الثانية أولها بقاء في الجملة ظهر الامتزاج وبقي، ومتى غلبت الثانية ضعفت الأولى إلى أن يذهب فيقع الموت.

والرطوبة الغريزية من أوّل تكونها أخذت في الحقيقة في النقصان، فلو فرض كمال الامتزاج كيفاً بقي إلى ما شاء الله.

وأيضاً: أصل التركيب الجسداني لكمال النفس وصيرورتها بالفعل، فإذا كانت به إن خيراً أو شراً أعرضت عن الجسد، فجعل تركيبه مع وجوب تناهي القوة الجسدانية. فهذا الأجل الطبيعي الذي يقتضيه كلّ شخص بحسب

(١) قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الملك، الآية: ٢.

مزاجه وطبيعته التي طبعها الله عليه وواجده، وهو مختلف بحسب الأشخاص.

غير أنه قد تحصل أسباب سماوية وغيرها توجب الزيادة لتقوية القوى حيثئذ، كما جاء به النص في بقاء شخص زائد عن المئة والعشرين، الذي قال جماعة من الأطباء بعدم زيادة العمر عليه، وقالوا: إنه مقدار سنين الشمس أو لوجوب كون النقيصة ضعف الزيادة، فإنما يفيدان الظن، ولم يتفقوا على ذلك، وستسمع رده.

[الأجل وأقسامه]:

كما أنه قد تحصل أسباب أخر من أفعال الإنسان أو غيره توجب نقصانه، وهو الأجل الاخترامي، كما ورد في أن قطع الرحم، يقطعه وينقص العمر وخلافه يزيده، فلعل مرادهم بكون النهاية تلك، بحسب أصل الطبيعة الشخصية، بحسبها وحرارتها ورطوبتها ولم يعرض لها عارض، ومع ذلك ففيه ما لا يخفى؛ لجواز اختلاف التركيب وطباعها، والأجل الواقع بسبب خارجي زيادة ونقصاناً، هو الأجل الثاني.

فالأجل أجلان، ولكل أجل كتاب بحسب طبيعته وشخصه والأسباب الخارجة.

والآجال الاخترامية مخالفة لغيرها بحسب الصفات الذاتية والعرضية، وفيهما تفنى الحرارة الغريزية وإن اختلفت الكيفية والسرعة والبطء، والاخترام يقع بأسباب داخلية أو خارجة.

فالأول: بأن يفسد الدماغ، فتبطل القوة المحركة النافذة إلى الصدر، فيبطل النفس وتنطفئ الحرارة أو القلب، فتبطل القوة الحيوانية التي يجذب الهواء من الرئة بها أو الكبد، فتبطل القوة المولدة للدم التي هي مادة الحرارة الغريزية، ويحصل إمّا لسوء مزاج أو عروض حراً وبرد مفرطين أو لشدة أو لغير ذلك.

مبعثرات

والثاني: إمّا باستفراغ جوهرها؛ لعروض فرح شديد دفعة فتخرج الحرارة للظاهر دفعةً ويبرد الباطن فيموت، كريح هبت بسراج فأطفأتها.

وإمّا باستفراغ مادّتها، كمن تقع به جراحة أو نزف دم، فهو كسراج فقد دهنه فينطفئ، وقد يعرض بسبب الرّعب، انعطاف الحرارة إلى داخل فتنطفئ لاختناقها حينئذ، أو لاختناقها لسدد مجاري النسيم، كمن يغرق في الماء، ومنه ما يعرض عند الخنق كحال السراج إذا منع عن الهواء أو كثر دهنه، ويكون سبب ارتفاع كثير من البخارات، كما يعرض لنازل البلاليع والأنهار المنتنة، وقد يكون للدّع بعض الهوام.

أمّا بالأفعال النفسية، فقد أشرنا له، وهو ظاهر من النصوص والآي، فلا يصح القطع بانتهاء العمر إلى عدد لا يمكن الزيادة وإن أوجبنا انتهاء القوى الجسمانية، وهو قصارى ما أدى إليه البرهان لا أن قصاره مئة وعشرون، وقد بين (أبو ريحانة) وغيره إمكان الزيادة، بحسب النجوم وغيرها، وإن ما استدلوا به ظني، كما يظهر لمن راجع شرح القانون وغيره.

[القيامة أحد معاني الأجل]:

تنبيه واستدلال: يحتمل الأجل المسمّى القيامة أو القائم، وقال محمّد صالح: (ويحتمل أن يراد به وقت لقاء الله في الجنّة التي هي العناية الأخيرة لخلق الإنسان)^(١) انتهى.

وقد سمّى الله ذلك أجلاً، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئِبَةً﴾^(٢)، مع جواز إرادة الموت أو القيامة هنا أيضاً، إلّا أن ظاهر تعبيره **تَكَلَّفَ** وحش.

فتأمل في كمال إتقانه وحركة الإنسان وجوهره ووجوده في تلك

(١) شرح أصول الكافي: ١/١١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

الأطوار، حتى قال الله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾^(١)، كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقُوا أَطْوَارًا﴾^(٢)، وجعل الغاية قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وحيث استحال معنى الترجي في شأنه تعالى مع دلالة على الطلب، فالمراد منه الطلب خاصة، كقوله تعالى: ﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣)، فيكون فيه أمر بالتعقل، والنظر في تلك المراتب السابقة أو الأطوار الوجودية، وإعلاماً بأن الغاية من خلق الإنسان صيرورته عقلاً بالفعل، والتحاقه بالملا الأعلى، والآيات والبراهين ظاهرة بأن غاية خلق الله له التحاقه بتلك وكمال المشابهة الغيبية، وسوق السافل بالعالي، ولا تحصل إلا بكونه عاقلاً ومعقولاً وعقلاً بالفعل. فإذا فكر القلب ممّا دَلَّه تدريجاً ففيه إحياء وإماتة وتوجّه جبلي، مع الاختلاف صفة ومزجاً وكمالاً في كل رتبة وفعلاً، وكون كل لاحقة أكمل من السابقة، مع ما يقطع به من اختلاف الطبيعة نمواً ووقوفاً وانتقاصاً إلى غاية في جميع ذلك والمقتضى؛ لحدوث الطبيعة وكونها بالقوة وغير ذلك، فتفتقر إلى مخرج لها، وجاعل حكيم جعلها كذلك، لا يشك في دلالة ذلك على صانع حكيم مدبر، عالم بالشيء قبل وقوعه، جعل الأشياء مرتبطة بعلمها وأسبابها، وكذا الإقرار بالمعاد والحشر لوقوع مثله في تلك التطورات، فليس في الوجود جزاف وعبث، ولا تكون الطبيعة الصّانع الحقيقي من جملة الأسباب والعلل الوسطية المعلولة، ولا وضع سماوي أو نجم؛ لاستحالة اقتضائه لجميع ذلك، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجود صانع حكيم. كما يظهر للفظن. فتبصر في نفسك تغنك عن غيرك.

(١) سورة لقمان، الآية: ١١.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

[شرح تكملة الحديث: ارتباط الأرض بالأسباب السماوية]:

قد مر لك بيان دلالة اختلاف المؤولين، وكذا السحاب والقطر والرياح على صانع حكيم مدبر، وما فيها من كمال الإتقان والإحكام. ولما كانت الحوادث والمواليد الأرضية مرتبطة بأسباب سماوية، هي الفواعل واللواقح، كالرياح والمقسمات والملائكة، كانت الأرزاق والأمطار من السماء نازلة، ولك اعتبار الأرض بأرض الجزر، والرّزق النازل القطر، ولا شك في إحيائها به؛ لظهور قوتها وتحركها وإطلاق الإماتة والإحياء على ذلك ظاهر من النص، وإطلاق الحكماء إطلاقاً حقيقياً أو الأرض بأرض قابليات النفوس.

والرّزق النازل العلم، فإنه طعام النفس، كما روي في تفسير: ﴿لَيَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٢) بأنه علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه^(٣).

وفي تفسير: ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَمُودِرُونَ﴾^(٤) إلخ، «ليس حيث يذهب الناس، إنما هو العالم وما يخرج منه»^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٣) الكافي: ١/١٢٣، كتاب فضل العلم، باب ١٦ النوادر، حديث رقم (٨).

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.

(٥) بصائر الدرجات: ٥٢٥، باب ١٨ النوادر في الأئمة (وأعاجيبهم، حديث رقم (٣)).

﴿وَالسَّمَاءِ﴾ العقل، وهذه حقيقة أيضاً، إلا أن الأول ظاهر، وهذا تأويل.

[في الرزق الحلال]:

بيان لتحقيق الرزق^(١): وهو لغة الحظ والنصيب، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾^(٢). وعرفاً قال الطوسي: هو ما ينتفع به وليس لأحد منه قطعاً، فالحرام لا يكون رزقاً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَنْ نَحْنُ فَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، والحرام ليس بمقسوم وإلا لم يمنع من استعماله، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقُونَ﴾^(٤) مدحهم الله بذلك، فلو كان الحرام رزقاً لدخل وصح الإنفاق بمال الغير ظلماً، وليس كذلك عقلاً ونقلًا وإجماعاً، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(٥)، فمن حرم رزق الله فهو مفتر، فالحرام لا يكون رزقاً.

وأيضاً الرزق منزل منه ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾^(٦)، وإنه داخل على رأي الأشاعرة افتراء، ونحوها قوله هنا: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إلخ.

وغير خفي أن الله إنما أمر بالحلال ورغب فيه، وحذر عن الحرام وعن جميع انتفاعاته، فلا يكون رزقاً ولا ينتفع به، وليس فيه نصيب وإلا لم يكن كذلك.

(١) الشارح - أعلى الله مقامه - في صدد شرح: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾، وهو من باب إطلاق الرزق على الماء، لقوله تعالى في سورة الجاثية، آية: ٥، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٩.

(٦) سورة يونس، الآية: ٥٩.

[الرزق عند الأشاعرة ونقاشهم]:

وعند الأشاعرة الرزق: كلّمًا وصل إلى الإنسان وانتفع به، فيدخل رزق الإنسان وغيره، من المأكول وغيره، مباحاً أو حراماً، فيخرج ما لم ينتفع به، وإن سبق للانتفاع احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ومن الناس من أكله طول عمره سرقة، فيكون لم يأكل من رزقه شيئاً.

قلنا: من هذه [الآية] ما يأكله بمقدار ما يسدّ رمقه حلال وما سواه محرّم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُ إِلَيْهِ﴾^(٢) وغيره، مع التقاطه ب (من) وإن لم تتناول شيئاً أصلاً، فما يجيبون به نجيبهم به، مع أن الأشاعرة قالوا: أفعاله لا تعلل بغرض، فالذي لم يتناول إلّا الحرام، يقال لهم - على طريقتهم - فيه يجوز خلق رزقه لا الغرض، وما أشبه هذا القول بقول الاتفاق، لكن لكون العبد مختار، مخلي العطب بعد بيان السيلين.

وبأن معنى الرزق لغة: الحظ والنصيب، فيدخل فيه الحرام المنتفع به.

قلنا: تلك مصادرة، فإنه خرج عن معناه لغة.

ونقول: الحرام لا حظ له فيه ولا نصيب وإلا لم يعاقب عليه ولصح طلبه.

وسؤاله إشارة تعليق إخراج الرزق من الأرض بالسما المقتضى لإخراجه به، كما قال تعالى: ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(٣) دليل على إثبات الأسباب، وإنه الفاعل عند الأسباب، لا كما قالته الأشاعرة من نفيها أصلاً ولا تلازم بين أمرين وجوديين، وإنما ذلك على مجرى العادة، وقال تعالى: ﴿فَأَنْعَمَ سَبَّأً﴾^(٤)، فالله الفاعل عند حصول السبب؛ لأنه سبب للمفعول،

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٥.

وكمل لا سبب، وآلة الفاعلية الفاعل ومكمل، فالله أجلّ من ذلك، وهو القاهر الغني المطلق.

فائدة:

قال ملاً خليل في الشرح الذي في سورة الجاثية^(١): ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ الآية، ولعل نقله بالمعنى إشعاراً بأنه معطوف على (السَّمَوَاتِ) لا على^(٢) ﴿خَلْقِكُمْ﴾، وأن قوله ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ إلخ، جملة معترضة.

ثم قال رحمه الله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ﴾، الذي في الجاثية (آيات) بدون اللام، ولعل نقله بالمعنى هنا أيضاً لتأكيد العطف على السماوات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ انتهى^(٣)، بل سهو قلم من الراوي، وإلا فلا ينقل القرآن ولا شيء منه بالمعنى، ويقال: قال نصاً وإجماعاً وعقلاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وَقَالَ: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

[شرح تكملة الحديث: أحياء الأرض بعد موتها]:

قد سبق بيان معناها في العالم الآفاقي والأنفسي، وكذلك أيضاً هي موات بظهور دولة الباطل، فلا بركات فيها ولا شيوخ أمر بمعروف ونهى عن منكر، بل ممتلئة ظلماً وجوراً، وستحیی وتظهر بركاتها ويقشع سحب

(١) سورة الجاثية، الآيات: ٣ و ٤ و ٥.

(٢) في المصدر: أو على.

(٣) الشافي في شرح الكافي: ١/ ١٩٠.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٧.

ظلماتها بظهور صاحب الأمر، القائم عليه السلام وجعلنا من أتباعه في خير وسلامه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وَقَالَ: ﴿وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

[شرح تكملة الحديث: الحكيم ألف بين المتعاديات بمقدار]:

صنوان: معنى صنو، وهو النخلتان من أصل واحد أو أكثر وتجمع صنوان بضم النون^(٢).

[وفي تفسير البرهان^(٣)]: (ابن شهر آشوب: عن الخركوشي في شرف المصطفى والثعلبي في الكشف والبيان، والفضل بن شاذان في الأمالي - واللفظ له - بإسنادهم، عن جابر بن عبد الله، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول لعلي عليه السلام: «النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ ﴿وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ﴾ بالنسبي وبك».

قال: ورواه النطنزي في الخصائص عن سلمان، وفي رواية: «أنا وعلي من شجرة، والناس من أشجار شتى».

وروى الطبرسي، وعلي بن عيسى في كشف الغمة رواية جابر أيضاً.

العياشي: عن الخطّاب الأعور، رفعه إلى أهل العلم والفقّه من آل

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.

(٢) تاج العروس: ٦١٠/١٩.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ٢٤٤/٤.

محمد ﷺ ، قال : ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ﴾ ، يعني هذه الأرض الطَّيِّبَةُ مُجاوِرة لهذه المالحَة وليست منها ، كما يُجاور القومُ القومَ وليسوا منهم .

وقال : علي بن إبراهيم : قال : قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ﴾ أي مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي بساتين ﴿وَزَّرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ الصَّنَوَانُ : التَّالَةِ^(١) التي تُنبت من أصل الشجرة : ﴿وَعِزُّ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [فمنه حُلْوٌ ومنه حَامِضٌ ، ومنه مُرٌّ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

فمن فكر بعقله لما تنبت الأرض ولقطعها وجدها متَّصلة ، وكذا في الأرض الواحدة نباتات متعدِّدة .

(وَجَنَّاتٌ) : جمع جنة من نخيل وأعناب وغير ذلك من الفواكه والأشجار .

وهي مختلفة حلواً ومرّاً ومالحاً ، وكذا إدراكاً ، وكذا قطع الأرض ، ولذا تختلف بحال النباتات والمعادن على اختلافها مع اتصالها وشربها من ماء واحد ، ومتفاضله في الأكل أيضاً ، فيعطى كل طعم دون الآخر . فدلَّ التفكير على أن ذلك لا يصحَّ إجمالاً ، بل لابدَّ من مقيم أقام كلاً فيما يصلحه لغايته ، وألف بين المتعاديات بمقدار ما علم من كمال حكمته . هذا في العالم الآفاقي ، وفي الأنفسي أيضاً ظاهر ، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة... إلخ^(٢) ، كما روي عنه ﷺ ، ويدلُّ عليه بعض ما سبق ، ومثاله ظاهر ، فأراضي الأجسام الجزئية متجاورة مع عموم التكليف واختلافه^(٣) عملاً وعِلماً ، فهم درجات ، وعرفنا من ذلك أن انتفاع كل بقدر قابليته ، وإن التعداد جاء من قبل تعددها ، فهي راجعة لشيء واحد لقوله : ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ

(١) التالُ : صغار النَّخْل وفسيله ، الواحدة تالة .

(٢) الكافي : ٤٢٢/١٥ ، الروضة ، حديث رقم (١٥٠١٢) .

(٣) في النسختين : واختلاف .

وَحَدِّثُ الْآيَةَ، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(١)، مع ما في كل شجر لو نظرت إليه بحسب خواصه وميله للماء، وتلقيحه بلقاح دون الآخر، ونظم ثمره والتفاف أصله بعروق وأقشاب ملتفة مع جذبه الماء لأعالي الباسقات، وغير ذلك من الدلالات البينات، وجدته في نهاية الاضطرار إلى إثبات صانع حكيم، لما هو عليه من الإحكام والإتقان والانتهاء إلى غاية في الزمان، ولما هو عليه من قيامه بالعلل والأسباب، إلا أن تعارض بأسباب آخر فتخرج بسببها المقتضى ذلك لأسباب علّة العلل، ومؤسس عليتها. فتفكر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

[شرح تكملة الحديث: أدلة من الآفاق]:

فذكر في هذه الآية دليان من الآفاق دالان عليه تعالى:

[الأول]: إنزال القطر من السماء وحياة الأرض متصلاً، بدليل الفاء الدال ذلك على ثبوت الأسباب وارتباط الوجود ارتباط السببية والمسببية لا أنها أمور عادية أو اتفاقية، وتامم البيان سبق.

والثاني: إراءته البرق في وقت دون وقت مع الجهل بما فيه وغايته، هل يأتي بمطر مفسد يغرق أو بمنبت نافع أو صواعق أو غير ذلك من حوادث الجو، ولذلك نكون خائفين طامعين، فإن البرق لا ينفك عن أحد تلك، فحمل ذلك له مع تخالف المحمول فعلاً، وصفة دال على علّة وحكمة مقتضية لذلك، فلا يكون منشئ الأحداث إلا أعلى وأحكم لا مضاد له.

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وَقَالَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ لَا يَرْزُقُونَكُمْ أَلْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

[شرح تكملة الحديث: استكمال الإنسان بالقوتين العلمية والعملية]:

اعلم: أن الإمام عليه السلام بعد أن بين شرف العقل وأنه حجة، ونبه على معرفته تعالى أهل العقول بالنظر والتفكر في آياته الآفاقية والأنفسية، نبه هنا على أن كمال الإنسان إنما يكون باستكمال القوتين العلمية والعملية، وإن منافيهما جميعاً محرم سلوكه ومبعد عن طريق النجاة، فقدم أولاً الشرك، فإنه موجب للتعطيل ونفي الصانع الحكيم، فلا تنفع عبادة ولا تفكر فهو أعظم الظلم، وثنى بالإحسان للوالدين لوجوب طاعتهما، إن الله قال: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(٢)، لما لهما من حق التربية والتنمية الحسية، فكيف لو انضم إليها السلوك لسواء السبيل؟ فوجبت لهما الرعاية الظاهرية من وجه وإلا لم يكونا مؤمنين.

فتبين من ذلك أن الوساطة في تعطيف الوالدين عليك ونجاتك من الهلاك الدائم السرمد أولى بالإحسان، وإن والده^(٣) محمد وعلي، فورد أنهما أبوا هذه الأمة^(٤)، فطاعتهم أوجب من طاعة الأبوين مطلق، فيجب الإحسان

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٣) في النسختين: والدا وهو.

(٤) قوله: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة». مشارق أنوار اليقين: ٦٣، فصل (٢٨).

لهم بشكر إنعامهم وتعظيمهم، وصلة قراباتهم وغير ذلك، فلذا ثنى بالوالدين، إذ رتبة النبوة، وهي الوساطة المطلقة بعد الألوهية، فلا تعرف إلا بسبيلها وجهتها.

وعمم الإحسان للوالدين ولم يقيده؛ لاختلافه حسبهما كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية^(١)، ويدخل في الإحسان لهما وجوب الإنفاق عليهما مع الحاجة، ونهيه عن طاعتهما في عصيانه دال على وجوبه في غيره.

[أسباب قتل الأولاد ونفقتهم]:

وثلث بالتحذير عن قتل الأولاد الذين هم أقرب لهم، ولوجوب الإنفاق عليهم والإحسان لهم زيادة على الأقارب، فلا يناسب القتل. ولأنهم كانوا يقتلونهم خشية الإملاق من كثرة العيال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا تَنَحُّنُ رِزْقَهُمْ وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَنْهُمْ﴾^(٢). ولما كانت نفقتهم على الآباء وهم عيالهم قديم رزق الآباء على رزقهم.

ومعلوم: أنَّ المعونة تنزل على قدر المؤنة فكأنه قال له: أنت ستخلف، حيث إنني أرزقك لك ولهم، فأنفق مما استخلفت فيه، فكيف تخاف الإملاق وأنت مستخلف مأمور.

وأيضاً: إذا كان هو الرازق لك ولهم وقد أوجبهم عليك، فكيف تترك حذر الفقر وهو الرازق لك، إذ ليس تحصيلك الرزق باستطاعتك وقدرتك: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، فلا يترك الإنفاق حذر الإملاق والافتقار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ﴾^(٤)،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

وهو جواد يزيد مع الشكر، فذلك من سوء الظن بالله، وهو لا يمل ويبدأ بالرزق وافتقارنا له فلا نخشى الإملاق.

تنبيه:

[عدم إيذاء الوالدين]:

لم يكتف في الآية بالنهي عن قتل الأولاد، خاصة الدال على التحذير عن الإساءة إليهم بمفهوم الموافقة الداخل في قياس الأولوية، بل دل برزقهم الدال على الإحسان إليهم بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(١) كما قال: ﴿وَيَا لَوْلَايَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إعلماً بأن المقصود والواجب ليس عدم إيذائهم خاصة، بل ترك القتل ووجوب الإحسان، كما أن الواجب على الولد للوالدين ليس ترك إيذائهما، بل وجوب الإحسان لهما أيضاً، فالأمر بالإحسان لهما يوجب أيضاً عدم جواز إيذائهما وإلا فلا إحسان ضرورة.

[في شرف رتبة الوالدين]:

وقوله: ﴿وَيَا لَوْلَايَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

(إمّا) إمّا جملة إنشائية طلبية، والتقدير أحسنوا للوالدين إحساناً، فالجملتان إنشائيتان معنى أو لفظاً ومعنى، أو الأولى لفظاً والثانية معنى.

فانظر إلى شرف رتبة الوالدين، حيث جعل رتبته بعد رتبته، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾^(٢).

ويحتمل أن يكون ﴿وَيَا لَوْلَايَيْنِ﴾ عطف على به، والتقدير ولا تشركوا بالوالدين، إذا أحسننا فإحساناً من سواهم يقصر عن إحسانهم.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

[النبي محمد وآله ﷺ هم الوالدان الحقيقيان]:

وإذا أريد بالوالدين محمد ﷺ وآله ﷺ كما ستعرف من الحجة وغيرها إرادتهما منهما، وورد القرآن بهما، فالمعنى ظاهر؛ لزيادة نعمتهم على نعمة كل منعم سوى خالقهم والمنعم عليهم، ويكون فيه دلالة أيضاً على عدم جواز نصب إمام باختيارنا ورؤيتنا له أنه محسن ما لم يكن بنص من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، ويكون العطف على معمول عامل واحد، وهو لا تشركوا، ولما كان النفي والإثبات في الكلام إنما يتوجهان إلى القيد فيقتضي حينئذ أن النهي متوجه إلى الإملاق، فيجوز قتلهم مع عدم خشيته الإملاق، وهو غير جائز عقلاً ونقلاً.

فإذا المراد التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا لم يجز حينئذ فمع الغني بطريق أولى أو ترك لمعارضته بدليل أقوى ونحوها قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٢).

وأيضاً لو حذرهم وذمهم على القتل خاصة لجاز لهم القول: بأن القتل يقع من الله تعالى، فقال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ لبيان أن قتلهم لهم بغير حق بل لهذه الخصلة الذميمة، ولا كذلك القتل الصادر عن الله تعالى، أو يكون لزيادة التأكيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(٣) لاستحالة كون مدعي إلهاً آخر دون برهان.

ويحتمل أيضاً: الإعلام، بأن ما أتوا به من القتل المنكر المنافي للرحمة وبقاء النوع ليس لشبهة وقعت لهم وجبت إتيانهم له، بل ليس إلا جذر الفقر والإملاق، وهذا لا يوجب ذلك، بل مما تحكم الطباع والنفس بمنافرتة

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

وكرهته، كيف وهم يرون تجدد الرزق لهم من طرق لا يخطر ببالهم وخارجة عن وسعهم، ويكون حينئذ أبلغ في الشناعة عليهم.

وذكر محمد صالح الوجه الأول^(١)، ثم ذكر سائر المحرمات التي يفسد بها الشخص بحسب حالة في نفسه أو غيره بقوله: ﴿تَقَرَّبُوا الْفَوَاحِشَ﴾، جمع فاحشة، وهي ما يستحق فاعلها اللوم والعقاب.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كالسرقة وأكل المال بالمأكل، والزنا ونكاح المحارم، ومنكوحة الأب وأمثال ذلك.

﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ هاهنا كالحقد والحسد والغش وأمثال ذلك من ظاهر الإثم وباطنه.

وكذا قتل النفس التي حرم الله قتلها، نفس الإنسان وغيره إلا بالحق، كقتل الإنسان نفسه في الجهاد، وقتل الغير بالحق، كالمقتول قوداً أو بالارتداد أو الخروج عن الإمام، أو دفاعاً عن النفس والمال.

[الموت والقتل للجسم والنفس]:

إشارة: قد عرفت أن الموت انطفاء الحرارة الغريزية بالتدريج، والقتل انطفأؤها دفعة بعد اجتماعها عند القلب بسرعة.

وكذا النفس لها موت، وقيل: فموتها عن الشواغل البدنية، وقطع علائقها الجسمانية بالتدريج هو الموت. فقيل: نائمة، فإذا خرجت عن الغواشي الجسمانية انتبهت، كما قال عليّ ؑ. ولذا قال الحكماء: مت بالإرادة تحيى بالطبيعة.

وقتل النفس إذا ارتاضت ودلتها^(٢) بالتكاليف الشرعية دفعة وبالجذب لا تدريجاً، فالنفس الإنسانية التي هي من أكبر حجج الله لا تقتل إلا بالحق لا بالباطل، فإنه يهلكه لا يلقي النفس فيها.

(١) شرح أصول الكافي: ١/١١٥.

(٢) كذا في نسخة (أ) من المخطوط.

ثم أخبر آخر الآية بما يدل على زيادة الأمر بما سبق، ووجوب المحافظة عليه وتعقله بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي لتعقلوه وتفهموه، وتعلموا به لا غير ذلك، ولتعقلوا ما المقصود من التكاليف وغاياتها الدنيوية والدينية، فإن الله تعالى لم يرخص أمراً ويمنع عن آخر لنفع يعود له أو ضرر يستدفعه عن نفسه؛ لغناؤه المطلق وقهره الكامل، فلو اجتمع الكل على الطاعة لم يعد له نفع من ذلك، وكذا لو اتفقوا على المعصية لم يضره؛ بل لكمال النظام النوعي والشخصي، وكون التكاليف الطافاً مقربات للنفس ومزكية لها ومبعدة لها من الهلكة، فلا بد من فعل وترك، ولا بد من التوجه والإقبال، وإخلاص العمل حتى يحصل ذلك، فإنك لو نظرت إلى الأعمال بحسب ظاهرها من غير غايتها وروحها وجدتها كالجسم الغير المنصوح بالروح لا حراك به، بل ربما تجد في بعض العبث، كما قاله الزنديق في الحج وغيره، وستسمعه في التوحيد.

أما إذا نظرتها بحسب ما يترتب عليها وروحها وجدتها في نهاية العلو والجامعة.

وإني لشديد التعجب ممن يعترض على حُسن التكاليف كالزنديق، فإنه لا ينكر أن للنجوم خواصاً وأوضاعاً، وكذا للشمس بحسب محالها من الفلك في طول العمر وغيره، وكذا بحسب ما يحدث بالأعمال الجسمانية الظاهرة؛ لحصول المقابلة، فكيف أنكر أن تكون للتكاليف الشرعية خواص ولوازم مؤثرة في النفوس؟ فإن قالوا: لم يجدوا ذلك. قلنا: كذا علم النجوم وتأثيرها في طول العمر وقصره وقراناتها، فإن قيل: وجده بعض خواصهم. قلنا: كذلك التكاليف الشرعية، شيء مزيتها، وثمرة ظاهره عامة، يعرف حكمته وتأثيرها الكل، وبعض خاص ببعض، وكذا أخبار منجم بأوثق مما اتفقت عليه جميع الشرائع من لدن آدم ﷺ إلى القيامة، أليس تثبت لبعض العقاقير خواص بخلاف مقتضى طبعها كالتبريد للأفيون. فلم لا نقول: إن في الأعمال الشرعية والأوضاع الفلكية من الخواص في تصفية النفس

وتزكيتها ما لا يدرك بالقوة العقلية، بل بالعين النبوية وقد أقررتم بأعجب من ذلك، كإسقاط الجنين ببعض الأحجار أو الأشكال وما ماثل ذلك.

ومن لم يجرب لتأثير التكاليف فليصدق من جرب ورأى، كما صدق غيره فيما يرده عقله ويحكم بخلاف طبعه.

أستم صدقتم وحكمتم باختلاف الطالع، بكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو الغارب حتى يبق على ذلك اختلاف الهيلجات، وحكوا بذلك بسير أو كلام منجم، وقد يعاين كذبه وتخلف ما أخبر به. فكيف ينكر اختصاص بعض الأوقات بالعبادة دون آخر، وكذا سائر رياضات الشرعية كالعدد في الركعات، فليست تقصر عما سلموه في عدد ظلوع كل شكل بخصوصه، فإن استند إلى التجربة فكذا هنا. ولقد عوين التأثير هنا من الصادق والتابع له، بل لم يتخلف هنا أصلاً، وإن نظر لها لا مع هذه الملاحظة والغاية، وبحسب روحها فلا شيء، ولم يأمر بها الشارع كذلك، بل قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ الآية^(١)، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ الآية^(٢)، [وفي الحديث، عن رسول الله ﷺ]: «إن الله لا ينظر إلى صوركم [وأموالكم]، ولكن ينظر إلى قلوبكم [وأعمالكم]»^(٣) إلى غير ذلك.

وكذا هيئة أعمالكم النجومية وما ماثلها، فظهر سر ارتباط العلم بالعلم، وأنه يهتف بالعمل^(٤)، كما ستسمع نصه^(٥)، وارتباط نفي الشرك بالأعمال

(١) سورة الماعون، الآيتان: ٤ و ٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٣) صحيح مسلم: ١٩٨٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها من المجلد الأول، باب (١٠) تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٤) عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «العلم مقرون إلى العمل؛ فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه». راجع: الكافي: ١٠٩/١، باب (١٣) استعمال العلم، حديث رقم (٢/١١٢).

(٥) هدي العقول إلى أحاديث الأصول: ٣٠٠/١.

المعدودة بعد في الآية، وإن التكليف ألطاف للنفوس، فصَدَّقَ الشارع الحكيم وإن ظهر لك مرارة الدواء أولاً لتصل إلى العافية وتسلم من العاهات والبليّة، ولا تركز إلى من خرج للغلو والتقصير كالإباحي النافي للعمل الظاهري مطلق لمن وصل لليقين بدعواهم والواصلين، بل لو صدقت هذه المعرفة لتهلل الدمع لما عرفوا من الحق، كما قال الله، ولا قول من نفى الباطن وروح العبادة والإقبال واقتصر على الظاهر من الهيئة والمقال، بل القوسان مرتبطان لا استقلال لأحدهما عن الآخر.

[تكملة نص الحديث]:

[قوله]: وَقَالَ: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

[شرح تكملة الحديث: نفى الشريك عن الله]:

وأول هذه الآية: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ﴾ الآية.

قال علي بن إبراهيم: «سبب نزولها أن قريشاً والعرب كانوا إذا حجوا يلبون، وكانت تلبيتهم، (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)، وهي تلبية إبراهيم والأنبياء ﷺ، فجاءهم إبليس في صورة شيخ، فقال: ليست هذه تلبية أسلافكم، قالوا: وما كانت تلبيتهم؟ قال: كانوا يقولون: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك)، [فنفرت قريش من هذا القول، فقال لهم إبليس: على رسلكم حتى آتي على آخر كلامي، فقالوا: ماهو؟ فقال: (إلا شريك هو لك) تملكه وما يملكك)، ألا ترون أنه يملك الشريك وما ملكه، فرضوا بذلك، وكانوا يلبون بهذا قريش خاصة، فلما بعث الله

(١) سورة الروم، الآية: ٢٨.

رسوله ﷺ أنكر ذلك عليهم، وقال: هذا شرك فأنزل ﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ الآية، أي ترضوا [أنتم] فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك، وإذا لم ترضون أنتم أن يكون لكم فيما تملكون شريك، فكيف ترضون أن تجعلوا لي شريكاً فيما أملك^(١). انتهى.

[الغاية من ضرب المثل في القرآن]:

اعلم - رحمك الله -: إن غاية الله في ضربه الأمثال في كتابه في غير موضع كما هو ظاهر للناظر، ليس مجرد التمثيل التخيلي، بل ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢) كما قال تعالى. وفي الأجل التذكر والتفطن، وتقريب البعيد، وتصوير المعقول محسوساً، والغيب شهادة، إذ الكل غيب شهادة، ولكل باطن ظاهر، ولذا ترى علماء البيان وإن لم يتجاوزوا التخیل يتفاضلون في حسن التمثيل والتشبيه، والانتزاع التمثيلي، وليس مقصود الله مشابهة حاله بحال خلقه، ولا مقايسة الغائب بالشاهد، كما هو عمدة الأشاعرة والمعتزلة، فضلوا وأضلوا، ولكن الغرض والتنبيه والاستدلال. ومعلوم وجوب مخالفة المدلول من الدليل ولوازمه وإلا لم يكن دليلاً ولا مدلولاً.

[الشريك نقص وقبح في حق الخالق]:

فإذا كان أنت أيها المملوك القاصر المفتقر ذاتاً لا ترضى أن يكون مملوكك شريكاً لك فيما تملكه حتى يساويك ويمانعك في المقتضى كما هو لازم الشركة وإن تفاضلت، فكيف ترضى أن تكون لله شريكاً في ملكه، بل عدك ذلك نقصاً وقبحاً في شأنك، وعدمه هو الحُسن والكمال، فلأن تثبته

(١) تفسير القمي: ١٥٤/٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

لخالقك ومالكك بطريق أولى، لأن ملكه لكل أشد وأقوى من ملكك بعض لبعض. مع أنكم تعدونه كمالاً وخلافه نقص ومفيض الكمال أولى به.

وقوله: ﴿فِي مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ أما ما يملكه من الأموال وغيرها فإن العبد لا شركة له في ذلك، بحيث يخاف السيد من تصرفه في ماله من عبده، قضية للشركة، كما يخاف من الشريك الغير المالك له المعبر عنه في الآية بقوله: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أو المراد بما رزقناكم ما بيد العبد من التصرف والمال وغير ذلك، فإنه رزق للسيد يتصرف فيه، وهو ملك له كالعبد، وليس للعبد شركة في ذلك، فلما لم يكن لعبيدكم شركة لكم فيما بأيديهم الذي هو رزقكم؛ لأنهم مملوكون لكم، فلا أن لا يكون لعبد شركة للواجب في فعل بطريق أولى، فإنكم لا تنكرون ملكه لكم، فلا يصح إقامة شريك له في الخلق والرزق ولا العبادة ولا غير ذلك.

إذ جميعكم يقتضي اتحاد إلهين اثنين ومشاركة، وهذا لا ينافي التوجه بالواسطة والاستشفاع بها مطلق؛ لأنها حينئذ دليل ومرشد، والعبادة لله تعالى بالجهة التي أقامها وندب إليها، بأن منها يؤتى، ولكون نطقه عن الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)، وأين هذه والشركة الموجبة لتعطيل الواجب تعالى وإقامة المصنوع المملوك صانعاً مستقلاً، ودلالة الآية على عدم ملك العبد لشيء أصلاً ظاهراً، فلا استقلال له بفعل أصلاً إلا ما أخرجه الدليل بأمر المالك الحقيقي. فتعقل بعقلك، وامش بفكرك من القوالب العرفية إلى الأسرار الغيبية لما بين الغيب والشهادة من الارتباط وإلا لما أمكن السير والعبور والاستدلال، ولما حسن.

وعلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ الواضحات المتعلقة في عالم

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

المشاهدات، ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، لا لمن لا عقل لهم، فإنهم: ﴿أَمُوتُ عَيْرُ أَخِيَا وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

وليس الاستفهام الصّادر منه تعالى في خطابه لخلقه على معناه اللغوي من قصد الاستعلام لإحاطته بكل شيء قبل كونه وعموم خبره، بل بمعنى النفي والإنكار واللسان استعدادهم الوجودي المستفهم المختبر لمعرفة ذلك، وتفصيل الدلالة لهم. فتدبر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة، فَقَالَ: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

[شرح تكملة الحديث: وعظ وتلين قلوب أهل العقول]:

بعد أن بين لأهل العقول ونبههم على الأدلة الدالة على وجوده في الآفاق والأنفس، والدلالة على النبوة ومكارم الأخلاق، انتقل إلى بيان وعظهم وتلين قلوبهم؛ ليحذّره عن الركون إلى ما فيه هلاكهم، وبين حال الدنيا؛ لأنها محل الركون وحبّها رأس كل خطيئة، ولذا أكثر الزجر عنها وتمثيل حالها، كما قال في موضع آخر: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَبُّهُ مُضْفَرًا﴾ إلى ﴿الْمُرُورِ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْآيَةُ^(٤)، ومثلها في

(١) سورة النحل، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٤) سورة، يونس، الآية: ٢٤.

النص والقرآن كثير، فتأمل في كمال التزيد لها والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا وتصرفها، حيث حكم بأنها زخرفات وخيالات زائلة بجعله الحياة الدنيا لهو ولعب، وقصرها عليهما، وفي تمثيلها، فإذا كانت كذلك فهي من أقل المحقرات وأرذل المطلوبات، فلا يحسن جعلها مطلباً لقاصد أو غاية لراغب؛ لانقطاع اللعب واللهو وشغله عن غيره، وعدم جعل العاقل ذلك مقصداً، فلا خلود وركون إلى الحياة الدنيا.

[في ذم الدنيا]:

ثم أعلم - رحمك الله، وأوفقك على الحق الثابت المتأصل -: إن جعل الله الحياة الدنيا التي هي حقيقة كما ترى: لهو ولعب وفي أخرى زينة وتفخر^(١) على سبيل المجاز أو التشبيه لعلاقة الاشتراك بينهما في عدم البقاء، ولا أنها كذلك على سبيل المبالغة والتخيل كعادة الشعراء وأهل القصص والسير - أعوذ بالله من جميع ذلك - ولكن ذلك بالنظر بنظر المحجوبين، كما أن غير البصير يحسب السراب ماء ويقصده، والبصير بخلافه فلا يقصده. وكلام الشارع بالنظر إلى حقائق الأمور وبواطنها لا بحسب التوهمات وتمويهها، والدنيا دائرة بين مرغّب لها وهو اللعب أو شاغل عن الآخرة وهو اللهو، وهما متلازمان ومشتركان في البعد عن الأخرى، فلا تجعل الدنيا متاعاً، فإنها متاع الغرور ومنشأ عذاب الخلد الدائم. فإن قيل: كيف يحكم على الحياة الدنيا المقتضية لقوة الحسن والحركة وغير ذلك، إنها لهو ولعب حقيقة؟

(١) إشارة للآية المذكورة في سورة الحديد، الآية: ٢٠.

[في مدح الدنيا]:

وورد أيضاً مدح الدنيا وأنها مزرعة الآخرة^(١)، ونعم المعين على تقوى الله الغني^(٢)، وغير ذلك.

قلنا: ما عنيت من الحسّ والحركة وغير ذلك الذي هو صورتها أمر ثابت، لكن ليس للإنسان بما هو إنسان ذو تعقل ودخول في سلك عالم العقول، فإنّ ذلك يشاركه فيه سائر الحيوانات، وليس هذه الجهة الثابتة التي ندب إليها الإنسان ويكون بها باقياً كمال البقاء؛ لأن هذه حياة علمية نظقية، وهذه حسية حيوانية، فهي سر بالنسبة لتلك، ولا يتصف بتلك إلا ذو التعقل والقلب المستنير، والفرق ظاهر جلي، واعتبر الحياة الحيوانية بما هي حيوانية لا باعتبار طوعها لتلك ولا موصلة لها في مآربها المطلوبة لذاتها، فإن الارتباط بينهما قائم، وكل يدور على الآخر بوجه والكل صادر عنه تعالى، وحينئذ لا يكون لهو ولا لعب وتكون حينئذ استعمالها للآخرة، وليست حينئذ الدنيا السراية.

فاندفع الاعتراض بما دل على مدح الدنيا من النص؛ لارتباط العالمين، والاستدلال بكل على الآخر، ولذا قلت: بما هو حيوان، فإن الدنيا دُنياء، وهي بمعنى الموصّل، وإذا استعملت للآخرة من توابع الآخر، إذ لا إخلاد للأرض حينئذ واتباع للهوى. وذلك ظاهر.

[في لذات الدنيا]:

وجه آخر: وهو أن كون لذات الدنيا لذات ومحسوسات إنما هو بحسب التوهم، وما يتوهمه الناظر ظاهر أو لا وجود له في الواقع متأصلاً كمن

(١) عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: ٢٦٧/١، الفصل العاشر، حديث رقم (٦٦).
(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٣/١٩، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة، حديث رقم (١).

يتوهم شيئاً معشوقاً حسيّاً فيشتاقه ويشتهيّه بحسب وهمه، فالواقع بخلافه، وما كان كذلك فهو لهو ولعب وإن لم يظهر ذلك إلّا للفتن الناقد، أولمن ﴿أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١) فيقتدي بغيره.

وأيضاً: لو نظرت إلى المحسوسات الجزئية خالية وغير ملاحظة بالبسائط والمعقولات الكلية التي تقوم بها تلك الجزئيات وهي أرواحها لا وجود لها، وإنما تكون متوهمات لا تتصل لها في التعقل، فصَحَّ أن وجود ذاتها للإنسان وهميٌّ وإنها في نفسها كالحرث، والأنعام والمال وهميٌّ أيضاً، وإذا لوحظ بحسب روحه وكونه فاضل البسائط مرتبطاً بها فهي موصلة للآخرة وليست حينئذ بوهمية بل عقلية، وهي إذا استعملت للآخرة فزالت الإشكالات.

واتضح أيضاً كون الدار الآخرة هي الحيوان، فهي ثابتة متأصلة؛ لأنها عكس الدنيا وضدّها، فهما في الحكم والصفات على التضاد والتضاد بين جنديهما وتجادلهما في ساحة القلب قائم، و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(٢).

وأما بيان حقيقة الزهد والتقوى ومراتبهما فستعرفه في جنود العقل - إن شاء الله - فليعقل العاقل ولا يترك الثابت المتأصل للزائل، ومثالهما مشاهد للإنسان في نفسه بحسب التعقل والتوهم وصفاتهما، وبحسب غلبة المفكرة عليه أو المتوهمة، وذلك ظاهر فتأمل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثمَّ خوف الذين لا يعقلون عقابه، فقال عز وجل: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ * وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَيَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّا

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٣٦ - ١٣٨.

مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

[شرح تكملة الحديث: فيما وقع بالأمم السابقة]:

بيّن الله لعباده في كتابه ما وقع بالأمم السابقة من أنواع العذاب أو الاستئصال لما فعلوا ما فعلوا وتعدوا حدود التجنب الخلف ما فعلوا؛ لثلاث يقع بهم مثله لما شاركوهم في الفعل كما قال تعالى: ﴿وَإِنهَا لَيْسَبِيلٌ مُّبِينٌ﴾ (٢)، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٣)، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، كالغرق والحجارة والصواعق: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، كالخسف: ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شِعَاً﴾، إمّا قردة أو خنازير أو سائر الأنواع: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (٤)، كالقتل بالسيف، فكَمَنْ مكن أشد التمكين وأرسل القطر لهم مدرارا فأهلكوا بذنوبهم، وإنشاء الله بعدهم قوماً آخرين: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥)، فليس بين الله وبين أحد قرابة إلا بالعمل الصالح، بل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ (٦)، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ (٧).

[وقوع العذاب على هذه الأمة]:

فإن قيل: كيف يقع التحذير عما وقع بهم من أنواع العذاب مع أن الله قال: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨)

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٣٤ و ٣٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٨) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

فنفي وقوع التعذيب بهم بسببه، فإنه من أنواع الرحمة التي حُصت بهذه الأمة بسببه وبركته.

قلنا: لا منافاة، فإن المنفى إنما هو المسخ الظاهري وهو لا ينافي المسخ الباطني، ولذا ورد: «من فعل مثل قوم لوط لم يمت إلا بالحجر كما ماتوا به وإن لم يشاهد ذلك»، وورد من أشراط قيام القائم وظهوره وقوع مسخ^(١) وخسف^(٢)، قيل ذلك.

وفي تفسير العسكري عليه السلام وغيره، في أن جميع المعاجز الظاهرة من الأنبياء السابقة كالحرق والقمل والدم والقرض والمسح وقع من محمد صلى الله عليه وآله بعد طلبه منه، لكن لم يقع عاماً، وكذا الإمام أرى أبا بصير لما مسح على بصره بالموقف وطواف^(٣) الناس قردة وخنازيراً^(٤).

وتظن أنه بالتغذي بصيد السمك في السبت يمسخوا قردة ولا يمسخوا بقتل الحسين عليه السلام، بل حلت بهم المثالات، واحداً واحداً، وبني إسرائيل وإن ارتفع عمومهم ظاهراً فقلوبهم قلوب الذباب والأكبش وهم ظاهراً أشباه الناس وإلا ناس فما يكونوا إليه غداً ويظهرون به هم...^(٥) الآن وإن كانوا ظاهراً بخلافه، فعبد الملك بن مروان دفن جذع عوضه وإلا فلحمه انقلب وزغاً^(٦)، بل جميع بني أمية - لعنهم الله - كذلك بعد موتهم، وإن لم يكن

(١) روضة الكافي: ٨٣٤/١٥، حديث رقم (٥٧٦)، الغيبة للنعماني: ٢٦٩/١، باب ١٤ ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم عليه السلام ويدل على أن ظهوره يكون بعدها كما قالت الأئمة عليهم السلام، حديث رقم (٤٠).

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٩/١، باب (١٤) ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم عليه السلام ويدل على أن ظهوره يكون بعدها كما قالت الأئمة عليهم السلام، حديث رقم (٦٧).

(٣) في النسختين: والطواف.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٩٠/١، باب (٣) في الأئمة عليهم السلام أنهم يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص بإذن الله، حديث رقم (٤).

(٥) في النسختين فراغ بمقدار كلمة.

(٦) الكافي: ٥٣٠/١٥، كتاب الروضة، حديث القباب، حديث رقم (٣٠٥).

حاله كحال بحيث يقع قبل الدفن. فمنهم من يكون في قبره، فالتأمت الآيات وحق التحذير والتخويف.

وأيضاً لا بأس من ورد موردهم، رفع المعصوم من بين أظهرهم، فيحل العذاب كحال قرية لوط، وهي سدوم فنجى وأهله إلا امرأته، وصاح بهم جبرائيل عليه السلام واقتلع مدائنهم وقلبها وأرسلت عليهم حجارة من سجيل^(١)، وكحال نوح نجى ومن معه من المؤمنين في السفينة لما أريد إغراقهم.

والآيتان جميعاً في شأن قوم لوط عليه السلام ومدائنه السبع، وقصتهم مشهورة في تحفة الإخوان، والتفاسير، وذلك أنه لما اشتد انغماسهم في الطغيان واستعمال اللواط حتى اشتغلت الرجال بالرجال والنساء بالنساء بعث الله الملائكة فمروا على إبراهيم عليه السلام، ثم انتهوا للوط وهو ابن أخت إبراهيم وأمروه أن يسري بأهله بقطع من الليل أي: آخره إلا امرأته فهلكت بحجارة من حجر السجيل.

وقيل: مسخت حجراً أسوداً^(٢) عشرين سنة، ثم مسخت في بطن الأرض، وكانت تدل قومها على أضيافه، وقالوا له: إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، فخرج لوط ومن معه من [تلك] المدائن، وإذا بجبرائيل قد بسط جناح الغضب، وإسرافيل قد جمع أطراف المدائن، ودردائيل قد جعل جناحه تحت تخوم الأرض السابعة، وعزرائيل قد تهيأ لقبض أرواحهم بحراب النيران، حتى إذا أقبل الصبح، صاح جبرائيل عليه السلام بأعلى صوته: يا بئس صباح قوم كافرين. وصاح ميكائيل من الجانب الثاني: يا بئس صباح قوم فاسقين. و[صاح] إسرافيل من [الجانب] الثالث: يا بئس صباح قوم مجرمين. و[صاح] دردائيل: يا بئس صباح قوم ضالين. وصاح جبرائيل^(٣) عليه السلام بأعلى صوته: يا بئس صباح قوم غافلين.

(١) الكافي: ٢٥٦/١١، باب (١٨٦) اللواط، حديث رقم (٦).

(٢) الدر المشهور: ٤٦٢/٤.

(٣) في المصدر: عزرائيل.

ثمَّ اقتلعها بجناح الغضب من [تحت] تخوم [الأرض] السابعة [السفلى] بجناح الغضب، حتى بلغ الماء الأسود، ثم رفعها [بجبالها، وذرها ودوابها وأشجارها، حتى انتهى بها إلى ماء البحر الأخضر الذي في الهواء، حتى سمع أهل السماء صياحهم^(١)، ونبيح الكلاب، وصقيع الديكة، فقالوا: مَنْ هَؤُلَاءِ المَغضوب عليهم؟ فَقِيلَ: [هؤلاء] قوم لوط، فلم تزل كذلك [على جناح جبرئيل، وهي] ترتعد كالسعة في الريح العاصفة، ينتظر الأمر، فأمر^(٢): دُرِ القرى بعضها على بعض. فقلبها [جبرئيل الأمين] وكان عاليها سافلها، [فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَنَّفَكَةُ أَهْوَىٰ * فَغَشَّيْنَاهَا مَا غَشَّيْنَا﴾ يعني من رمى الملائكة لهم بالحجارة من فوقهم].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾^(٣)، أي: متتابع، فساء صباحهم وكل من غاب منهم من أهل المدائن، وهو كحالهم وطريقتهم أتاه الحجر على رأسه حتى قتله^(٤)، وذهب لوط إلى عمه إبراهيم فأخبره بوقوع ذلك.

[معنى الآية في كتب التفاسير]:

بيان: الذي في التفاسير وتبعهم كثير، ومنهم محمد صالح^(٥)، وملاً خليل^(٦) في الشرح: إن معنى: ﴿لَنُرَوِّنَّ عَلَيْهِنَّ﴾^(٧)، أي: في متاجرهم في الذهاب إلى الشام (عليه)، أي: على منازلهم، فإن سدوم قريتهم بفتح السين في الطريق بين القدس والكرك ﴿مُصْحِحِينَ﴾، أي داخلين في الصباح،

(١) في المصدر: صياح صيائهم.

(٢) في المصدر: فنودي.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٢.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ٣١٩/٤.

(٥) شرح أصول الكافي: ١٢٠/١.

(٦) الشافي في شرح الكافي: ١٩٧/١.

(٧) سورة الصافات، الآية: ١٣٧.

﴿وَبِالْأَيْلِ﴾ [أي: بالمساء، يعني داخلين في هذا الوقت] أو المراد نهراً وليلاً. وقال جماعة^(١): لعلها وقعت قريب منزل يمرُّ بها المرحل عنه صباحاً، والقاصد لها مساءً.

والآية البيّنة^(٢)، المتروكة خلفهم، حكايتهم الشائعة أو آثار الدّيار الخبرة.

وقيل: الحجارة الممطورة بعد قلب أرضهم فكانت باقية.

وقيل: الماء الأسود، فإن أنهارهم اسودت بعد، وحينئذ يحتاج إلى تقدير مضاف أي: على ديارهم، وهذه الآية حينئذ، ظاهر لا تبلغ الرتبة بحيث تخصّ بالقوم العاقلين).

وقول جماعتنا: لعلها... إلخ. ظنّ وتخمين ليس باليقين، فالذي يقوى في نفسي لما فيه من كمال المعنى حينئذ وعموم الرّجر وعدم التجوّز وغير ذلك ﴿لَمْ يَرَوْا عَلَيْهِمْ﴾، أي: على صورهم وتمثالهم، فإنهم بعد المسخ بقيت صورهم وما خلق من فاضل طينتهم، فإن الممسوخ لا يبقى أكثر من ثلاثة أيام كما في رواية العسكري في تفسيره^(٣) وغيره، وإنما الباقي صورهم وأمثالهم؛ لخلقهم من فاضل طينتهم.

وهذه أنواع الممسوخات من العقارب والحيات، والكلاب والفئران وغيرها ممن نمر عليها ونشاهدها صباحاً ومساءً، أي: ليلاً ونهاراً أو في هذين الوقتين أشدّ مشاهدة من غيرها، لاكتنان^(٤) أكثرهم في النهار بخلاف عند الصباح ومجموع الليل لمسخهم، فظهورهم في غير وقت غيرهم، وبدل

(١) في المصدر: القاضي وغيره.

(٢) الواردة في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا إِذْ بَكَرَ بِكَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ﴾.

(٣) تفسير الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري: ٢٧٠، (قصة أصحاب السبت).

(٤) اكْتَنَّنَ: أي استتر.

على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾^(١)، وإن كان على خلاف ما قاله المفسرون، فإن الظاهر أن يمشون راجع للنهار، ولا إشكال حينئذ بخلاف قول المفسرين.

ففي كتاب محمد بن المثنى الحضرمي، مسنداً (عن عمار بن عاصم السجستاني، قال جئت إلى باب أبي عبد الله عليه السلام... إلى أن قال: فأخبرني عن الحية والعقرب والخنفس وما أشبه ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله؟ قال: [قلت] وما كل كتاب الله أعرف، فقال: أما تقرأ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢)، قال: فقال: هم أولئك أخرجوا من النار، فليل لهم: كونوا نشئاً^(٣).

فتعقلوا ولا تسكنوا في مساكن من ظلم نفسه، وقد علمتم ما حل بهم، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

استعجاب: قد قال محمد صالح فيما ورد سابقاً في نزول القطر من السماء: وأن تحت العرش بحر أو ما مثله، أنه وإن استبعده الغافلون لكن وجب قبوله والإذعان به لما أخبر به الصادق عليه السلام.

وقال في بيان إنزال الرُّجْزِ من السماء في الآية الثانية: إن (المراد بإنزاله إنزال مبدأه والقضاء به من السماء لا عينه)^(٥). فكيف يخرج هنا وهناك نسبة للعقال والموجب واحد فتفطن.

(١) سورة السجد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة السجد، الآية: ٢٦.

(٣) كتاب الأصول الستة عشر: ٩٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٥) شرح أصول الكافي: ١/١٢٠.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، إن العقل مع العلم، فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١).

[شرح تكملة الحديث: في ضرب الأمثال]:

قد مر لك بيان الغاية والباعث على ضرب المثل، وإنه ليس التخيل والتزيين فقط، بل تقريب البعيد وإيضاح الغيب كالمحسوس.

[حكمة ضرب الأمثال]:

فالعقول لما كانت في نهاية البعد عن إدراك المحسوس له أبرز بمثال ليدرك وينتقل منه له فإنه مطابق له وإن كان تأثير النفس وقبولها له حينئذ أسرع، وحصول الفائدة أكد، فإنَّ النور القوي لا تدركه القوة الباصرة الضعيفة ما لم يحتجب ويلبس غطاء فتنتفع به حينئذ وتعرفه، فالتمثيل لذلك لا للتليس، واعتبر بإبصار الضعيف دون نور القوي، والسبب في جميع ذلك قصورنا مع أن البيان لا بدَّ من إيصاله لنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(٢)، ولذا كان ضرب الأمثال في جميع الكتب السماوية وفي القرآن كثير، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ الآية^(٣)، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية^(٤)، وقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآية^(٥)، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ الآية^(٦)، ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمَثَلِ كَوْفٍ﴾ الآية^(٧)، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ﴾ الآية^(٨)، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية^(٩).

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣. | (٦) سورة البقرة، الآية: ١٩. |
| (٢) سورة النحل، الآية: ٩. | (٧) سورة النور، الآية: ٣٥. |
| (٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤. | (٨) سورة العنكبوت، الآية: ٤١. |
| (٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦. | (٩) سورة يونس، الآية: ٢٤. |
| (٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤. | |

وقد استعمله المعصومون عليهم السلام كثيراً، كما في مسألة الأفعال، حيث قال الإمام عليه السلام: «مثله مثل رجل رأيته على فسق فنهيته فلم ينته فتركته»... إلخ، وغير ذلك، وكيف لا يكون، ولا حق إلا وله ظاهر وتمثيل، إذ لكل باطن ظاهر، ولكل غيب شهادة.

وكذا كان التمثيل الذي هو إبراز المعقول محسوساً مطابقاً له من غير زيادة ونقص وإدراك المثل، أي العبور من المحسوس للمعقول، لا يعقله إظهاراً وانتقالاً إلا العالم، فحيث لا علم لا عقل، إذ لا يعقل، إذ لا يعقل إلا العالم، وحيث لا علم لا عقل لأنه معه فظهر تلازمهما، وستسمع النصوص في ذلك في كتاب العلم.

ومعلوم عدم استحكام العقل النظري بذا العملي، إذ لا علم بلا عمل، بل يهتف به، فإن أجابه وإلا ارتحل^(١)، ولما كانت الأشياء مخلوقة له والإحكام والإتقان عام لها، وكذا الدلالة، ولكل ظاهر باطن، صحّ التمثيل بالجليل، وما يحسن به الوهم حقير ولا حقارة، فلو اجتمع الكل ما قدروا أن يخلقوا ذباباً أو نملة، ولذلك مثل الله بالبعوضة ونحوها، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٢)، فقول من عدم العقل فجعل حكمة ضرب الأمثال، إن تمثيل الله بذلك لا يحسن لحقارته، بل الأحسن تمثيله بالعظيم كالفيل والجمل جهل ظاهر، كيف والممثل يختلف، فلا يحسن التمثيل لما هو في نهاية الضعف والوهن بغير بيت العنكبوت مثلاً، والكل عظيم عظمة لا تدرك بالنسبة لنا كما إنه حقير، بل لا شيء بالنسبة له. والتمثيل للبيان لنا لا له. فافهم.

(١) غرر الحكم: ١٩٧، رقم (٥٣٢٧)، عوالي اللآلي: ٦٦/٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثم ذم الذين لا يعقلون، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا عَلَيْهِمْ يَاعِبُونَ﴾ (١)، وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

[شرح تكملة الحديث: ذم غير العاقل]:

والآيتان متصلتان.

اعلم: إنه ﷺ لما نبه على علو العقل وشرفه بالآيات السابقة المتضمنة للتعقل والنظر في الآيات الآفاقية والأنفسية، والأمر باتباع الرسول، والنظر في أحوال من سبق، ذكر هنا ذم غير العاقل وتارك النظر والاستدلال زيادة في الردع عن تركه، وعلو القدر شأن النظر والتعقل أيضاً نحو آخر، حيث ذم ضده، فبين حال متبع خطوات الشيطان، بأنه إذا قيل اتبعوا ما أنزل الله من الحق على رسوله ووصف فضائله، فحقيقتها ظاهر بعلو برهانها وكذا المتواترة متواترة به، قالوا: لا نجيبك لذلك، بل نتبع ما وجدنا عليه آباؤنا، وحسبنا ما هم عليه من الدين والمذهب، واقتدوا بهم؛ لكونهم آباؤهم لا غير، كما حكى حالهم في فعلهم الفحشاء، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

[ذم التقليد وترك النظر]:

ولم يعلموا أن المقلد دينه غيره بغير علم يبوء بغضب من الله ومن اتباع إبليس، والآيات الدالة على ذم التقليد وترك النظر كثيرة، كقوله تعالى:

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢١.

﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ الآية^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ﴾ الآية^(٢)، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ الآية^(٣).

ومعلوم: إن العلم والتعقل الوارد كما سمعت وستسمع لا يحصل بالتقليد، خرجت الفروع بالأدلة المتكاثرة من الطرق بقي الباقي، وليس في النظر مظنة الوقوع في الخطأ؛ لوقوع البيان ورد الشبه وإلا انقطع، حتى في الفروع مع قيامها في التقليد ولزوم التسلسل والأخذ عن المعصوم عليه السلام بدليل فلا تقليد، بل الأخذ عن مطلق العالم، حتى فيما يصح فيه التقليد، لا بد من معرفته بأنه أهل للأخذ إما بمداخلة أو الشهادة، ولذا زailت^(٤) مقلدونا مقلدوا العامة، حيث إنهم قلدوا من يعرفونه بالكذب وأكل الرشاوي، ومن يعمل مثلهم عصياناً، وقد سمعنا وشاهدنا كحال مقلدة اليهود وسائر الملل، فلا يقلد الغير أباً كان أو غيره إلا بدليل وبرهان وإلا فهو ضلال وخسران، فلا يتبع الغير على كل حال، فلو فكرت في مذهب السنة وجدته راجعاً إلى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا﴾^(٥)، وإن أبوا في السعة يلتجئون له في الضيق، كما قالوا في الخلافة: لا نطن بالصحابة إلا خيراً وأصرّوا على نصب الأول وغيره.

وقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ﴾ إلخ، والهمزة للتفريع والتوبيخ، ولو وصلته فلا تحتاج حينئذ إلى جواب.

وفي تفسير البيضاوي: (الواو للحال أو العطف والهمزة للرد أو التعجب. وجواب (لو) محذوف، أي: لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

(٤) زailت: فارقت.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٢٢ و٢٣.

أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم^(١)، وكان الأول أليق، ثم بعد أن ذمهم الله على تقليدهم في الأصول وعدم تعقلهم ضرب لهم مثلاً لإظهار حقيقتهم وصفاتهم كالمحسوس، زيادة في ذمهم، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

قال الإمام العسكري عليه السلام، في تفسيره: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في عبادتهم للأصنام، واتخاذها أنداداً من دون محمد وعلي عليهما السلام ﴿كَمَثَلِ الْإِذِيِّ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ بصوت بما لا يسمع، ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَدَعَاءَ﴾ لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث، ويعين من استعانة، ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى﴾ عن الهدى في اتباعهم الأنداد من دون الله، والأضداد لأولياء الله المسمون بأسماء خيار خلق الله ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ انتهى^(٢). لا حاجة إلى تقدير مضاف أي داع ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيكون المراد تشبيه شيئين بشيئين فذكر في الأول الكفار، الكفار هم الداعون، وحذف المدعو، وهم الأصنام.

[الكفار وعدم فهم ما ألقى النبي صلى الله عليه وآله]:

وفي الثاني: ذكرهما وعمّ الذي لا يسمع لكثرة أفرادهم، وقال جماعة من المفسرين^(٣)، أي: مثل داعي الذي كفروا، وهو النبي والإمام، كمثل الذي ينطق بالبهائم، أي يصيح عليها ويزجرها، أي: كما لا يفهم البهائم معاني الكلمات الملقاة إليها بحقائقها كذلك الكفار لا يفهمون حقيقة ما ألقى النبي صلى الله عليه وآله إليهم حيث لا يعلمون به.

قال الطبرسي^(٤)، بعد نقله ذلك عن أكثر المفسرين، وذكر أسماءهم^(٥)،

(١) تفسير البيضاوي: ٤٤٧/١،

(٢) تفسير الإمام العسكري: ٥٨٣، تفسير رقم (٣٤٦).

(٣) نفائس التأويل: ٤٦٨/١.

(٤) مجمع البيان: ٣٥٤/١.

(٥) قال: وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري.

وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام، وكأن الرواية ما ذكره علي بن إبراهيم، قال: فإن البهائم إذا زجرها صاحبها فإنها تسمع الصوت ولا تدري ما يريد، وكذلك الكفار إذا قرأت عليهم وعرضت عليهم الإيمان لا يعلمون مثل البهائم، إن ثبتت رواية، لكن الأول أنسب وأولى في نظم الآية السابقة وسوقها في ذمهم واتباعهم الآباء والأصنام مطلق، ويكون حينئذ دعاء ونداء منصوبين يسمع أو ينعق، وإلا ملغاة أو الإجابة لدعاء الآباء وتصويتهم له لا عن تعقل لهم به، بل سمعوا الصوت فتبعوه، فهم وراء كل ناعق.

وتحتمل ألا كونها بمعنى لا أيضاً كما هو ظاهر الرواية، ولما ضرب مثلهم وأنهم لا عقل لهم، وصفهم بأنهم ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، فلا سمع ولا نطق ولا بصر لهم، وإن لم يكونوا حساً كذلك، لكن لا عبرة بالحسي بغير ذلك، بل يسلب عنه هذه من لم يكن ذا تعقل، فقد سلب عنهم بذلك طرق الاكتساب والتعقل لا اكتساباً ونظراً؛ لأنهم عمي فلا بصيرة لهم ولا استماع ولا إصغاء لسماع إنذار أو ترغيب حتى ينتفعوا بالحق لأنهم صمّ، ولا إجابة لداعي الحق وإظهار حجة أو اتباع حق؛ لأنهم بُكْمٌ فحواسهم الثلاث التي طرق الاكتساب منضمة عنهم، وقد عدموها، حيث لا تعقل لهم، وليس سلب هذه القوى عنهم على شبه التشبيه والمجاز البليغ، حيث أعرضوا عن الدليل والبرهان وفات الغرض من السماع والتكلم والإبصار، فكأنه فقد عنهم تلك الآلات، كما هو ظاهر علماء اللغة واختاره أولاً الشارح محمد صالح^(١)، وإن جوّز الحقيقة على سبيل الإمكان، بل للقلب سمع وبصر ولسان وهذه الحسية فرع تلك، والنصوص به صريحة، وكذا الآية ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ﴾ الآية^(٢)، ﴿لَا

(١) شرح أصول الكافي: ١٢٥/١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

تُذَرِكُهُ الْآبَصْرُ ﴿١﴾، ﴿وَتَعْيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ (٢) على ما ورد في تفسيرها، وغير ذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤).

[شرح تكملة الحديث: السمع بالقلب]:

أخبر الله نبيه عن حال بعض ممّن يلقي السمع له ظاهراً عند تلاوته للوحي وأمره ﷺ بالعمل، بأنّ منهم من يستمع إليك ولكنه لا يتفقه، واستماع قلبي كما يدلّ عليه نفي إسماعه ﷺ له أخيراً، بقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الفاقد للسمع حقيقة، فلا يمكنك إسماعهم إلّا جبراً وهو غير مطلوب، وإنّما المطلوب وقوعه اختياراً، فإسماع الأصمّ إذا فقد التعقل، وإنّما يسمع لو كان أصمّ وهو ذو تعقل، ولو بطريق آخر كالتبصر أو الفكر.

[الأصمّ الغير متعقل]:

أمّا الأصمّ الغير المتعقل فلا يسمع، فهذا الاستفهام بمعنى النفي للتسلية، كما قال تعالى إنك لا تسمع الموتى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

[فاقد النظر التفكري النفسي]:

وقال أيضاً في شأن فقد النظر التفكري النفسي، وعميت عينا قلبه،
وسلّى نبيه أيضاً بقوله في آية أخرى نظير هذه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ
تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾^(١) أي: لا يتعقلون، إنما ينتفع من فقد
حسّاً ولم ينضم له، فقد تعقل بأصله.

[فيمن فقد جميع الحواس]:

أما من فقد به بأكمله فلا ينتفع ولا تنفع فيه الموعظة؛ لعدم استعداده
وإعراضه، فلا يثبت ساحة نفسه بما يلقي فيها من البذر، كما قال تعالى في
شأنهم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى أُولَٰئِكَ تُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَإِذَا مَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الآية^(٣).

[حال من فقد الطريق]:

ثم بيّن حال من فقد طريق القبول والتذكر من طريق الحسي المشار له
بالسمع أو العقل، بقوله: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ بِلَّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، وليس
(بل) للإضراب الدال على إبطال ما سبق وإثباته لما بعده، إذ لا يقع إلا من
غلط أو عدم ظهور الرتبة الثانية الأشدية، وذلك غير جارٍ في كلامه تعالى،
وإن كان كلام المفسرين عليه، وتبعهم عليه جماعة من العلماء من غير
تمييز، فأما للتنويع بمعنى أو فإن الجهل دركات، كما أن التعقل درجات؛
فمنهم من هو كالأنعام، لم يخرج بعد عن رتبة الحيوانية، فلا يسمع

(١) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤ و١٢٥.

ويعقل النداء وما يترتب عليه، وإنما يدرك نفس الصوت ليس كالأنعام، ولم يعلم ما يراد به.

ومنهم من هو أحسن من رتبة الأنعام وأضل؛ لأنه معاند ضال مضل، أبد الآباد، فمثال له أحسن، وضرره حينئذ أشد، ولا كذلك الأنعام، فإنها تطيع للنداء وليس مأ لها كمال، هذا وكذا الانتفاع، فكثير من الأنعام يعلم فيجري على فعل، مع أنها لم تخرج عن مقتضى جنسها.

والجاهل كذلك صورته صورة الإنسان وهو من جنس القردة والخنازير وعبد الطاغوت وأضرابهم أو بمعنى أو للإبهام على السامع لا بالنسبة إلى المتكلم.

[الإبهام في القرآن]:

فالمراد أنهم لا ينتفعون بالموعظة ولا تؤثر فيهم لا قليلاً ولا كثيراً.

قال الإمام العسكري في تفسير، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١): (أبهم على السامعين ولم يبين لهم، كما يقول القائل: أكلت خبزاً أو لحماً، وهو لا يريد به أني لا أدري ما أكلت، بل الإبهام على السامع، حتى لا يعلم ما أكل، وإن كان يعلم أنه قد أكل. وليس معناه: بل أشد قسوة، لأن هذا استدراك غلط، والله يرتفع أن يغلط في خبر ثم يستدرك على نفسه الغلط، لأنه العالم بما كان وما يكون وبما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وإنما يستدرك الغلط على نفسه المخلوق المنقوص.

ولا يريد به أيضاً: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ﴾: أي وأشد قسوة، لأن هذا تكذيب الأول بالثاني، لأنه قال: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في الشدة لا أشد منها

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

ولا ألين، فإذا قال: بعد ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ فقد رجع عن قوله الأول: لأنها ليست بأشد، وهذا مثال أن يقول: لا يجيء من قلوبكم خير لا قليل ولا كثير.

فأبهم عز وجل في الأول حيث قال: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

وبيّن في الثاني أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة لا بقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ولكن بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْأَنْهَارُ﴾^(١)^(٢). انتهى.

وإن أريد تصحيح الإضراب في القرآن، فنقول: إنما هو للانتقال عن الجملة السابقة، وهي قوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(٣)، ثم قال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾^(٤)، لإبطال حكم المعطوف عليه سلباً وإيجاباً، وكذا في ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، ولا يخرج عما قلناه عند التدبر.

[نسبة الحسين للنبي ﷺ بأنهم يسمعون أو يعقلون]:

إشارة وإنارة: ما معنى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾، إن كان عند محمد ﷺ علم وظنه ﷺ علم، بأن أكثرهم يسمع أو يعقل فلا بد من مطابقة الواقع له، فكيف الغلط وعدم المطابقة كما أخبر الله عنهم في غير موضع ذلك، مما أحيل من الطرفين متواتراً بلا مزية إلا لجاهل معاند لا يؤمن ولو تأتته بكل آية.

وإن كان علمه ﷺ بأنهم لا يعون ولا تنجع فيهم الموعظة والبيان لكفرهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرُهُمْ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ٢٨٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

فما معنى نسبة الحسيان له ﷺ بأنهم يسمعون أو يعقلون، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أُنْكَازًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(١) وذلك بحسب مقام غير ما ظهر، أما بحسبه وبحسب صورتهم الظاهرة من حيث هي ظاهرة فذو سمع وإيقاظ، فصَحَّ حسابهم كذلك من غير منافاة لذلك. فتأمل قوله.

[تكملة نص الحديث]:

وقال: ﴿لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتَسِبُونَ أَفْلاً تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

[شرح تكملة الحديث: صفات الجاهل]:

فبين الله صفات الجاهل، بأن فاقد التعقل كاليهود وأضرابهم، لا يقاتلونكم مجتمعين إلا في قري محصنة بالخنادق وأضرابها أو من وراء جدر، فهي محصنة بالسور، ولا يتوافقون على البراز لكم خارجاً وإن برز منهم آحاد أو كالسرية فيرون ظاهراً لا اجتماعهم في مكان واحد أو ذوي بأس شديد، فيظن أنهم جميعاً ولكن قلوبهم متفرقة لم تربط بجهة، فلا ينفع ذلك الاجتماع لأنهم قوم لا يعقلون، وكذلك حالهم في المحاججات يدور الكلام فيما بينهم، ومتى قابلوا المؤمن على بيان عليهم إذ لا عقل لهم فحجتهم مجتثة لا قرار لها، كما أن الكلمة لا تجتمع به كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾^(٤) ﴿وَلِنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الصفات، الآية: ١٧٣.

والكلام في تحسبهم سبق لك، فحسن العقل يوجب اتفاق الظاهر والباطن، وكذا يتفق بعض وبعض لحصول الرابطة، ولا كذلك الجاهل فظاهره لا يوافق باطنه وكذا | بعض لبعض لعدم العقل، فدائماً كل يظن بالآخر السوء ويحذره.

فلك أن تجعل ﴿بِأَسْهُمٍ يَبْتَنِيهِمْ شَدِيدٌ﴾ ذمّاً لهم أيضاً، أو بيان لكمال حذرهم وقوتهم إنها خاصة فيما بينهم، وحينئذ فالذم لازم أيضاً. وأول الآية الثانية: ﴿أَنَّا مُرُّونَ النَّاسَ بِالْإِثْرِ﴾^(١)، خطاب لليهود وأضرابهم ومن خالف فعله قوله إلى يوم القيامة.

﴿وَتَلَسَّوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، بل عملكم به أولى، فإنها أحق بالنص، والنجوة منكم، وأرجى في نفاذ أمركم؛ لموافقة قولكم لعملكم، ولتوجه الذم عليكم حينئذ زيادة لارتكابكم القبيح مع علمكم بقبحه.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح مرتكبكم وفعلكم فتركونه، ولكن من فقد التعقل فقد القوتين، فلا علم ولا عمل وإن أمر بالعمل، إذا العلم مقرون بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل^(٢). وستسمع النصوص في ذم من وصف عدلاً ولم يعمل به.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثم ذم الله الكثرة، فقال: ﴿وإن تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، [وقال]: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) غرر الحكم: ١٩٧، رقم (٥٣٢٧)، عوالي اللآلي: ٦٦/٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.

[شرح تكملة الحديث: ذم الكثرة]:

بين الله ذم الجهل أيضاً بدم الكثرة، فإن اليقين قليل وكذا الصعود الطولي لاقتضائه التقرب زيادة، فيكون صفوة والتالي، وهو فاضلة، فتكثر الأفراد.

فبين في الآية الأولى إن طوع الكثرة موجب للضلال، لأنهم لا ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، والظن لا يغني من الحق شيئاً. وبالثانية أنها محل عدم التعقل فيقرّون بالله ولا يعقلون إقرارهم، ومعناه: فلا يعملون بمقتضاه. وكذا الثالثة وما سيأتي فإنها مشعرة بأن الكثرة محل ترك العقل العملي أيضاً، فلذا كان الإجماع خطأ وظن باطل ما لم يكشفه قول المعصوم عليه السلام، فيكون حينئذ بكشفه حجة، وما أقل المعصوم وإفراده وكذا التابع، وذلك لغلبة دواعي الشهوة والغضب وكون الدنيا جنة الكافر^(١)، ومحل إمهاله وانتشار سرايه فيغلب أفراد وأتباعه، وكذا شارك في الأموال والأولاد والزرع والغرس والاحتشاد إلى يوم الوقت المعلوم، وإظهار المكتوم، إذ لا يصح غلبة الكثرة دائماً، فإن الشر نزر قليل بالنسبة إلى الخلق غالبية جهة الخيرية بالنظر إلى النظام الجملي، فكثرة العدد والأجزاء لا تنافي قلّتها بوجه آخر.

وحينئذ يكون الشخص الواحد من المؤمنين في الدنيا - فضلاً عنه في الآخرة - أقوى وأشدّ من آلاف ألوف من الجهال. كيف وبه ينظر الله للعباد وتحيا البلاد ويمهلون، وتجري فيهم كمال الرأفة والرحمة. وستسمع صفات القلّة، والنظر في عداد المركبات المزجيّة يظهر ذلك، فمن قرب مزاجه قلّت أفراد.

وكذا في الإنسان من جهة النفس والقوى، وكذا الطائع منهم والعاصي، فالناجي بالتبعية لمحمد ﷺ فرقة من ثلاث وسبعين فرقة^(٢)، وفي الأمم

(١) ميزان الحكمة: ١١٠/٤، رقم (٦١٥٠)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ١٤٢، رقم (٣٦٣٨).

(٢) ميزان الحكمة: ٥٢/٥، حديث رقم (٣٩٥٩).

السَّابِقَةُ كَذَلِكَ^(١) وإن اختلف العدد، والوجه ظاهر ممّا بيّناه لك، والكثرة أمانة البطلان، لا إنها ليست أمانة الحقيقة، فلا يغتر الجاهل بكثرة العدد والجنّد، ولذا كان طريق الناجي واحد، وأهل النجوة وهم الأقلّون على نمط لا يتغيرون، والجهّال وهم الغثاء، والسّواد ذوو طرق وسبل غير مستقيمة، بل تفرق عن سبيله المستقيم.

فاستبان إنّ الإجماع والشهرة ليسا بدليل من حيث الإجماع والشهرة الذي هو مناط الكثرة، بل من حيث كشفه عن قول المعصوم، وكذا أمر الشارع الكون مع الجماعة ومدحهم مع أنهم أيضاً قليلون. والجهة الموجبة للحجّة أقلّ، فتأمل فيما يلزم الجاهل ويبطل جهله، يقل بما يكذب قوله، مثلاً مشركو العرب الجاعلين معبوداً من دون الله واحداً أو أكثر، وكذا من أثبت شريكاً نجماً أو غيره، إذ سئل ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وفي آية أخرى: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾^(٢)، يقول الخالق لها الله، فإذا كان الخالق لها فجميع أنواع المحامد له، فإن خالقها هو المستحق للحمد لترتب ظهور النعم اللازمة من أنزال القطر وتدبير الليل والنهار ودورانها، وغير ذلك عليها، فخالقها أولى بالحمد، فلا تصحّ عبادة من دونه بوجه الشركة، وإنما هو بطريق الوصلة والقبول من الجهة التي أمر الله بها وندب إليها.

أفلا تعقلون ما تقرّون به وتنظرون لما يلزمكم منه، فالكل مخلوق له، إما ذاتاً أو عرضاً، ولا يلزم جبراً ولا تفويضاً، كما أوضحناه في التوحيد.

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن اليهود تفرقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة، منها فرقة في الجنة وسبعون فرقة في النار، وتفرقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنة وإحدى وسبعون فرقة في النار، وتفرقت هذه الأمة بعد نبيها عليه السلام على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنة. ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنا، اثنتا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنة، وستون فرقة من سائر الناس في النار». (راجع: ميزان الحكمة: ٥/٥٢، حديث رقم ((٣٩٦٢)).

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

وإن جعلت قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إن شاء حمد على^(١) إقرارهم مما يبطل دعوتهم، فإنه من المواضع التي يجب فيها إظهار الحمد؛ لقطع دابر الظالم وحجته، والبيان حينئذ أيضاً واحداً، ووجه إبطاله لدعواهم الباطلة كما عرفت وكذا الآية الأخيرة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثم مدح "الله"^(٢) القلة، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَنْ أَمِنَ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧)، وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٨)، وقال: (وأكثرهم لا يشعرون)^(٩).

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب) وهو بمقدار ورقتين.

(٢) ما بين * * زيادة على ما هو موجود في المطبوع.

(٣) سورة سباء، الآية: ١٣.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٦) سورة هود، الآية: ٤٠.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٣٧، وسورة الأعراف، الآية: ١٣١، وسورة يونس، الآية: ٥٥، وسورة القصص، الآيتان: ١٣ و ٥٧، وسورة الزمر، الآية: ٤٩، وسورة الدخان، الآية: ٣٩، وسورة الطور، الآية: ٤٧.

(٨) سورة المائدة، الآية: ١٠٣. وردت بداية الآية بحرف الواو كما في سورة المائدة إلا أن المصنف سيشير في شرحه إلى الآية الكريمة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٩) ليست بآية قرآنية، (ويحتمل العلامة المجلسي أن يكون الإمام عليه السلام قد نقل معنى الآية، أو تصحيف من الرواة). الكافي: ٣٣/١، هامش رقم (١٢). ولم يتعرض الشارح في شرحه لهذه العبارة.

[شرح تكملة الحديث: استكمال القوتين في القليل]:

قد دل النظر في الآفاق والأنفس على دوران الكثرة على الوحدة التي هي أقل العدد، ففي الإنسان أشرف أعضائه القلب، وفي كل نوع أو جنس فرد كامل يدور عليه، وكذا كل سافل يدور على العالي، وهو الحاكم والمميز لها، والعقل المميز والحاكم لما يرد على النفس من طريق القوى، وكذا صفوة كل شيء أقل من كدره.

وبين ﷺ بهذه الآية بقلّة الشاكر، والمؤمن والعالم والعاقل بمفهوم باقي الآي الدال على أنّ استكمال القوتين إنما هو يكون في القليل، وهو كذلك، فذو العقل المستفاد أو بالفعل أقل من ذي الملكة، وذو الملكة أقل من الهولائي. فأما الكلام على معنى الشكر وحقيقته فستعرفه في جنود العقل.

وصدر الآية الثانية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، وزيدت (مًا) لتأكيد القلة، أي: المؤمن العامل قليل جدًا.

وعنه ﷺ: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فهل رأى أحدكم الكبريت الأحمر»^(١)، ومعلوم أنّه كلما كثرت الشروط قلّ الوجود.

وأشار بالآية الثالثة إلى أنّ حُسن القلّة يختصّ بوقت وقوم دون آخر، ففرعون لمّا هم بموسى ﷺ حين دعاه إلى الإقرار بالله وخلع الأنداد لم ينكر عليه إلّا رجل واحد كان فيهم مؤمنًا، وهذا الرجل قيل: أنّه ابن عمّ فرعون، وقيل: قبطياً، وقيل من بني إسرائيل.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم، مسند عن أبي جعفر ﷺ: «قيل كان خازن فرعون مؤمنًا بموسى ﷺ قد كتم إيمانه ستمئة سنة، وهو الذي قال الله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ الآية»^(٢).

(١) الكافي: ٦١٤/٣، باب ١٠٠ في قلة عدد المؤمنين، حديث رقم (١/٢٣١٩).

(٢) تفسير القمي: ١٣٧/٢.

ابن بابويه في حديث الريان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام في حديث طويل، كان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يصفه إليه بدينه^(١).

وروى الصدوق وغيره: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي يقول ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية^(٢)، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم»^(٣)، فهذا الرجل لمّا سمع من فرعون وعرف عزمه كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ الآية^(٤)، وهو كاتم للإيمان، ردّهم بحجة لا تنكرها ذوو العقول ولا يكابر بها.

ومعلوم تمكن العاقل من ذلك، وإن تفاوت حسب تفاوت القوة، لا يناسب قتل من أتى بالحجج البينة الواضحة، بل ينظر في حججه، فإن ظهر كذبها فكذبه عليه لا علينا، وإن كان صادقاً أصبنا. هذا مما لا يشك في حسنه وقبح تركه عاقل، فحصل المقصود، ولم يعثر عليه وإلا لقتل.

ولمّا قال الله (يَكْتُمُ) فقله غير دال على تظاهره بالإيمان، بل بالعكس، وإن اشتبه على بعض الغثاء ووصفه بالإيمان بحسب ما هو عليه وباطنه، وقال عليّ بن إبراهيم: «كان مجذوماً مكنعاً، وهو الذي [قد] وقعت أصابعه، وكان يشير إلى قومه بيده المقطوعة، ويقول: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾»^(٥)،^(٦).

وكذا الآية التي بعدها بالنسبة إلى نوح، فقد بقي ينذر قومه ألف سنة إلا

(١) أمالي الصدوق: ٦٢٥، المجلس (٧٩) حديث رقم (١/٨٤٣).

(٢) سورة يس، الآية: ٢٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٦٤، المجلس (٧٢) حديث رقم (١٨/٧٦٠).

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٨.

(٦) تفسير القمي: ٢٥٧/٢.

خمسین عاماً فلم يرتدعوا، حتّى أمر بالسفينة وحمل من آمن، ولم يؤمن معه من أهل الأرض إلّا قليل، وهم ثمانون، حملهم معه في السفينة، وحمل أيضاً من كل زوجين اثنين، وانفجرت السماء والأرض بالماء، وكسفت الشمس وغرق كل ما على وجه الأرض وبقيت سبعة أيام.

وأول انفجار الماء من مسجد الكوفة، واستقرت بعد أن نضب الماء على قرية على متن الفرات مما يلي غرب الكوفة. وما في بعض الروايات أن مستقرّها الموصل^(١)، وإن الجودي^(٢) بها ضعيف، وخرج على تقيّة.

وقيل عدد من آمن معه تسعة وسبعون، وقيل اثنان وسبعون، والأوّل أقوى، ولم تكن معه في السفينة من النساء إلّا بنت له^(٣) واحدة، فبعد أن نزلوا منها وقصدوا قرية الثمانين^(٤) جرى النسل منها، ولذا كان نوح ﷺ الأب الثاني^(٥).

وقوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وردت في القصص والدخان، وفي سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وبالجملة فالآيات والروايات الدالة على مدح القلّة وذمّ الكثرة كثيرة، والوجدان في كل زمان والاعتبار مصرّحان بذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، ثمّ ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلّاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

(١) قصص الأنبياء والمرسلين: ١٧٧.

(٢) الجودي: جبل الجودي بالموصل، وصفه القمي في تفسيره بالجبل العظيم.

(٣) في تفسير القمي: وكانت لنوح ابنة ركبّت معه في السفينة.

(٤) في تفسير القمي: بنوا مدينة الثمانين.

(٥) تفسير القمي: ٣٢٨/١ من تفسير سورة هود.

وَمَا يَذْكُرُ^(١)، وقال: ﴿وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَتْلُوهَا إِلَّا لَنَبِّ^(٢)﴾.

[شرح تكملة الحديث: في التذكير:]

بين الإمام عليه السلام شرف العقل أيضاً حتى في الخطاب بأن يوجه الخطاب له، وطلبه ليس كحال غيره، بل يشار له كالإشارة المذكرة؛ لكون ذلك مستجن فيه ولخطابه به أولاً في مقام آخر، ولذا عبّر في الآيات السابقة بالتذكير، وفي القرآن كثير، وحينئذ (فَذَكِّرْ)^(٣) بتشديد الكاف ولك قراءتها بالتخفيف، أي ذكرهم في كتابه وخطاباته بأحسن الذكر، ممّا يدل على شرفهم وعلو قدرهم ونصيبتهم، لا بالذكر الخامل، والوصف الباسل.

والجلية بكسر الحاء المهملة وسكون اللام، تطلق على الصفة كالعلم والشجاعة مثلاً، وعلى الزينة من ذهب أو لؤلؤ ونحوهما، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُونَهَا تَلْبَسُونَهَا^(٤)﴾، والحلي بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الباء، جمع حلي بفتح الحاء وسكون اللام، [وهي] ما تتحلّى به المرأة، وجمع الحلية حلى مثل اللحية ولحي، وربما ضمّ، والمعنيان يصحّ اعتبارهما هنا، والوجه ظاهر والكلام يقع في مواضع.

[تعريف الحكيم:]

الأول: الإيتاء، هو الإعطاء والجود حسب ما ينبغي، والحكمة مفعول أول، (وَمَنْ) مفعول ثاني، ولا يفيد الحكمة إلا الحكيم، ومن أسمائه تعالى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة ق، الآية: ٤٥، وسورة الطور، الآية: ٢٩، وسورة الأعلى، الآية: ٩، وسورة الغاشية، الآية: ٢١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٢.

الحكيم، غير أنه لا يصح إثبات الحكمة له بمعنى العلم بالشيء بطريق السبب أو التعقل، سواء كان قريباً أو بعيداً، كما هو في الممكن لرجوعها له، كما ستعرف، بل بمعنى الإحكام والإتقان في وجوده، فأعطى كل شيء خلقه ثم هدى^(١)، فأوجد كلاً بحسب ما يقتضيه حاله على الوجه الراجح لا المرجوح ولا المساوي، فأعطى كلاً ما يقتضيه بحسب وجوده ويتوقف عليه، وما يكتسب ويحصل به الكمال الثانوي، فهو أعطى الكمالين، قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ علمه بذاته، فهو حكيم في علمه، محكم في فعله، فهو الحكيم المطلق.

وأما الحكمة في الإنسان فبمعنى وقوفه على الأشياء ومعرفة حقائقها استعداداً قريباً من الفعل، فقوة العقل العارف للأشياء على ما هي عليه بحسب وجودها الذاتي صاحبها هو الحكيم، والمعرفة هي الحكمة، أما معرفة الأمور الذهنية الاعتبارية ففروع لتلك ونافعة فيها، ولو فكرت فيها من تلك الجهة لم تعدّها من الحكمة، وهذا التعريف للحكمة بحسب الموضوع، سواء كان إجمالاً، كأن تقول: معرفة الوجود بما هو موجود أو تفصيلاً، كأن تقول: معرفة الأمور الإلهية والتعليمية والطبيعية، كما أنه لك أن تعرفها بحسب الغاية، وهو استكمال النفس وصيرورتها عقلاً بالفعل بعد أن كانت بالقوة، فالحكمة صورة العقل بالفعل، وستسمع في هذا الحديث تفسير الحكمة بالفهم والعقل.

وروى محمد بن يعقوب^(٢)، مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام في: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ الآية، تفسير الحكمة بطاعة الله، ومعرفة الإمام عليه السلام^(٣).

(١) من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) عن محمد بن عيسى.

(٣) الكافي: ٤٥٢/١، باب (٧) معرفة الإمام والرد إليه، حديث رقم (٤٧٩/١١).

وعنه في حديث آخر: «معرفة الإمام عليه السلام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»^(١).

وروى البرقي عنه عليه السلام: «إنها طاعة الله ومعرفة الإمام عليه السلام»^(٢).

وفي العياشي مثل الحديث السابق، «ومعرفة الإسلام هي معرفة الإمام عليه السلام»^(٣)، وفيه مثل الثاني ولا تنافي، فإن معرفة الموجودات كما هي بحسب نظامها الجملي والتفصيلي لا يحصل إلا بمعرفة الإمام بالنورانية، فإنه الرابطة لكل موجود وفعل الله الظاهر أثره في مقامات الوجود.

وأما أقسام الحكمة العلمية والعملية فستعرفها إن شاء الله تعالى.

[الحكمة شرف العقل]:

الثاني: غير خفي شرف العقل الحكمة كما سبق في الحديث الأول، وناهيك إخبار الله عمن أعطيها بأنه أعطى خيراً كثيراً، ولم يبين، ووجهه ظاهر، إذ هي الباعث والغاية، ومصيره النفس كاملة بمعرفة الله ونبه وإتقان صنعه، وغير ذلك من معرفة الإمام بالنورانية، وقد سبق لك شرف نوم العقل وجلوسه وغير ذلك على فاقده، وهو الحكمة التي هي المعرفة.

وعن الصادق عليه السلام: «الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى، وثمرة الصدق. ولو قلت: ما أنعم الله على عبده بنعمة أعظم وأنعم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة للقلب، قال الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾»^(٤).

(١) الكافي: ٧٠٠/٣، باب ١١٢ الكبائر، حديث رقم (٢٤٦٢/٢١).

(٢) المعاسن: ١٤٨، باب ١٩ المعارف، حديث رقم (٦٠).

(٣) نص الحديث في العياشي هكذا: «قال هي طاعة الله ومعرفة الإمام». العياشي: ٢٧٦/١، رقم (٤٩٩/٦٠٠)، تفسير: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(٤) مصباح الشريعة: ١٩٨، الباب (٩٥) في الحكمة.

[الترغيب في طلب الحكمة]:

الثالث: غير خفي دلالة ذلك على الترغيب في طلب الحكمة والأمر بها، فورد عنهم عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، ف أين ما وجدها أخذها». وعنهم عليه السلام: «خذ الحكمة أينما وجدتها ولو من أهل النفاق»^(١). وعنهم عليه السلام: «لا تزال الحكمة تتلجلج في صدر المنافق»^(٢) إلخ. ولا شك في أن حملة العلم أوعية سوء تحتاج إلى تصفية، ومثل الحكمة إذا مرّت بصدر المنافق كالحبة على الصخرة الصماء يسيلها السيل ولا تنتفع منها الصخرة ولا تضرّها، ﴿فَسَقَرُوا وَسُودُوا﴾^(٣). انظر لما انعم الله به على لقمان وحثه على الشكر لما أعطي الحكمة، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾^(٤)، وفي شأن غيره: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَّاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخَطَابِ﴾^(٥). وعنهم عليه السلام: «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»^(٦).

وعنهم عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً؛ ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٧)، وأمرهم بالتخلق بأخلاق الله يشمل الحكمتين، فلا تسمع بعد إسماع من نفى العلوم الحقّة، والعارف الذائقة التي منشؤها النبوات والولايات التي أنوارها عمّت النفوس والفلوات، فهم معدن الحكمة والكلم، كحال من قصّر النظر على الجدليات الكلامية، والهوسات

(١) ميزان الحكمة: ١٧٧/٢، حديث رقم (٤٢٦٩) و(٤٣٧٠).

(٢) أمالي الطوسي: ٦٢٥، حديث رقم (٣/١٢٩٠)، ميزان الحكمة: ١٧٧/٢، حديث رقم (٤٣٧١) و(٤٣٧٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٦) منتخب حكم النبي الأعظم عليه السلام: ٦٨، حديث رقم (٣١٥).

(٧) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٨٦.

الخيالية الوهمية، ففسى طبعه، وكثف لطيفه، فكلاهما في طرفي الإفراط والتفريط. فتأمل فيما يقال ولا تنظر لمن قال.

وكيف لا يأمر بها وتكون أعلى الدرجات، وهي صورة العقل، فأى حلية وزينة أعظم من ذلك، ولكن من لم يكن بذى لب لا ينفعه التذكر، ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ﴾، جمع لب، ولب كل شيء باطنه، فمن لم يكن بذى غيب وتعقل فنظره مقصور على المحسوس، ليس إلا لا يتذكر ولا يتعقل، بل دأبه التخيل والتشكيك، وتسمية الموهوم معقولا. والزائل ثابتاً، كحال المتكلمين وأضرابهم.

[الراسخون في العلم المقتضي للمعرفة]:

وكذلك الآية الثانية في نهاية الصراحة في مدح أولي الألباب الذين هم أولوا العقول من جهة حصر التذكر أخيراً فيهم، وغير ذي الأفتدة لا تنجع فيه الموعظة ولو تأتته بكل آية فضلاً عن رجوعه وتذكره بالإشارة.

ومن جهة تسميتهم بالراسخين^(١) المقتضي لحصول الثبات واليقين، بحيث لا تأخذه شبهة، فلا يسمع حقاً إلا عرفه، ولا باطلاً إلا أنكره.

وحصر معرفة تأويل المتشابه ورجوعه إلى المحكم المقتضي لمعرفته أيضاً أوكل القرآن، فإن لكل آية منه وحرف ظاهر وتأويل وحدّ ومطلع، ولا تنافي بينهما في الراسخين، فغير الراسخ لا يعلم تأويله لأنه أمر وراء الظاهر، وغير الراسخ ليس كذلك، فلا علم له بتأويل القرآن، وأول الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ الآية^(٢)، فعلمنا من ذلك أن معرفة تأويل القرآن يحتاج

(١) إشارة لما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

إلى رسوخ في العلم المقتضي إلى المعرفة الوارد منهم ﷺ في الآية ومعرفة اللغة والمعارف الحقّة الثابتة، فحينئذ يمكن معرفة التأويل، فإنه أحد بطون القرآن.

أمّا ما اشتهر من إثبات التأويل في بعض دون بعض من القرآن أو إنه إخراج المتشابه على طريق المجاز التخيلي وما مائله، كما يستعمله أكثر المفسرين فلا أصل له، عمدته الردّ لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١)، فقد جاءوا بالتأويل وبتونه وكذا سائر بطونه، وبيّنوه أحسن بيان كما لا يخفى على ذي الفطنة الذكية، ومن ينظر بنورهم في معرفة مرامهم من كلامهم.

ولا تنوهم من استدلاله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الآية، إن الواو استثنائية، وإنّ الوقف على إلّا الله فلا منافاة لعلمهم به، فيما يرجع القول الآخر، وإنّ الواو عاطفة، وهو مروي من الفريقين، أو نقول: مراده ﷺ الحثّ على التفكير وما ذكرهم، فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾، ويكون حينئذ من تفسير الظاهر بالنسبة لغيرهم ﷺ على سبيل التبعية ولا إحاطة لغيرهم بالقرآن أو بما يشملهم ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْثَلُكُمْ﴾ لا ينافي الاطلاع عليه فهو مراتب، ويقع عن معاينة العلل وإشهاد الخلق، والإحاطة به بتعليم الله وإطلاعه، فلا يدل على علمهم ﷺ به.

ونقول أيضاً: العجز بعد الإحاطة العلمية بالخلق ومعرفته للدلالة علم، وكذا كل ممكن قابل للزيادة، فيقف ويطلبها، وهذا عجز في قوة.

وفي العياشي وغيره: عن علي ﷺ: «واعلم - يا عبد الله - أن الراسخين في العلم الذين أغناهم الله عن الاقتحام عن^(٢) السداد المضروبة دون

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) في المصدر: على.

الغيوب، إقراراً بجملة ما جهلوا تفسيره من تفسير [الغيب] المحجوب، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تأويل ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً^(١).

فبان الوجه في تسميته به ظاهراً، فإنه بُعد السَّير وإمكان الفكر لا عن جمود وتقاعد.

وفي الكلام السابق دليل على إرادة هذا المعنى من الراسخين، فلا تنافي بين ذلك وما تواتر عقلاً ونقلاً من إحاطتهم ﷺ بتأويله، وإنهم المعنيون بالآية، وبقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢)، وإنه لم يحط به كما أنزل غيرهم، وهم يحيطون به ولا يفارقونه، وهم الحملة الكلية له وجميع من سواهم أن حل بعضاً عجز عن آخر، والكل في الافتقار إلى الله، وطلب الزيادة في كل آن لما يأتي ولبقاء ما سبق، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾^(٣).

وللقرآن ظاهر وباطن وحدّ وتأويل، وهم الأصل ولهم كرائمه، وكل خير، وخزان العلم وخزائنه، ولغيرهم منه فاضلة بقدر استطاعته، فتحقق فيهم الصّفة بوجه التبعية واستنارة الشعاع بالنور من المنير، وهو من صفته وظهوره الفرعي. فارتفع التنافي بين التفاسير في هذه وغيرها من الآي، ولكل وجه مقام مترتبة، فالعلم لفظة^(٤) كثّرها الجاهلون^(٥)، كما روي عن علي عليه السلام.

(١) تفسير العياشي: ٢٩٣/١، حديث رقم (٦/٦٤٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ و٢٧.

(٤) في المصدر: نقطة.

(٥) عوالي اللآلي العزيزية: ١٢٩/٤، رقم (٢٢٣).

وفي تفسير النسائي من العامة: إن الواو عاطفة، والراسخون يعلمونه، ونقله عن جماعة، منهم وقواه، وكذا البيضاوي منهم في المنهاج، ولا يضر عود جملة يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ إلى الراسخين، خاصة دون الله لا استحالته. وورد نحوه لغة، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾^(١)، ونافلة عائدة ليعقوب، والواو عاطفة، ولكنهم في العناد وإنكار ما ثبت عندهم خلافه، ولظهور رواياتنا بذلك أظهر من الشمس أعرضنا عن نقل بعضه هنا، وسيأتي بعضه في كتاب الحجة - إن شاء الله تعالى -.

[لمن يأخذ الحكمة عن غير أهل البيت عليه السلام]:

ثم ولا تتوهم مما سمعت من أخذ الحكمة ولو من أهل النفاق وأمثاله جواز جعلهم دليلاً ومستنداً لذلك، ولو تمسكوا بالنسبة كما يستعمله ابن عربي، وهو أصل الاشتباه على الملاً الشيرازي، فضل وأضل، فليسوا على حق، وكلامهم فيه، وفي القرآن تحريف وتبع هواه، وإنما ذلك بعد معرفة الحكمة من خزان العلم والجامعون له، فما يخرج من غيرهم ضلال وكفر، ليس من العلم، ولهذا سنوقفك في (مجلد التوحيد) وغيره على الفساد والضلال الظاهر من كلامهم كله لتبع رئيس الضلال ابن عربي، وتلوث نفوسهم بقواعد أهل التصوف، فنظروا بها الكتاب والسنة وحرفوها، فضلوا وأضلوا.

[في المتشابه والمحكم]:

فائدة: وحيث كان التحقيق نصاً واعتباراً.

إن المتشابه: ما اشتبه على الناظر ولم يظهر له معناه.

والمحكم: ما كان ظاهراً معمولاً به، والناس في الفهم والإدراك

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢.

متفاوتون، كان القرآن بالنسبة إلى بعض غير متشابه أصلاً، بل ظاهر المعنى والتأويل منسوخاً أو ناسخاً وإلى بعض كله متشابه؛ لعدم فهمه مع عدم الرجوع إلى بعض قسمان، فصَحَّ قول الله في شأن القرآن: ﴿كَتَبْنَا نُحْكَمَ آيَاتُهُ﴾^(١)، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكَمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٣)، ووصفه في هذه الآية بأنَّ بعضه محكم وبعضه متشابه، فتدبر.

وقال في المحكم: إنه ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وأصله، فالمتشابه يرد للمحكم، لأنه الأصل.

أمَّا متبَع المتشابه وهو الزائغ فمع عدم ظهور معنى له، بل أخذه حينئذ بالظن والتخمين يلزمه ترك المحكم؛ لأنه أَدُمُ الكتاب، وذلك من الزيف أيضاً، فهو لم يعمل بالقرآن أصلاً.

ومن نظر في حال الأشاعرة والمعتزلة فيما يستدلون به من القرآن في الأصول وغيرها من باب العمل بالمتشابه وترك المحكم، بل نقول: هو متشابه بحسب قصور عقلهم وغلبة أهوائهم الشيطانية، فهم يتخطفون حوله، وهو حرم آمن.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مِنَ الْكِتَابِ كَفَرْتُمْ بِهِ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاءِ عِلْمٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَنْزَلْنَاهُ﴾

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

الْأَلْبَبِ^(١)، وقال: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبِي أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَبِ^(٢)﴾.

[شرح تكملة الحديث: التفكير بالقلب في المخلوقات]:

قد مرّ لك جملة في بيان خلق السماء والأرض، وسائر المخلوقات الآفاقية على الله، وإن وراءها أمر عظيم، فأياتها واضحة لأولي الأبواب المتفكرين بقلوبهم، إذ هو محل النظر.

وروى الصدوق^(٣) مسندا عن أبي جعفر عليه السلام، «في قول الله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾^(٤)، قال: من لم يدله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمر أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً».

فتأمل في التفكير الذي يكون بالقلب، وإن كان أولاً دليلاً وجاسوسه النظر الظاهر، كيف يكون غايته وثمرته. فلا تنظر نظر البهائم وتنسى ما فيها من آثار الصنع والحكم العظام، ففكر ساعة خير من عبادة سنة^(٥)، وتفكر في خلقه للسماء، فقد اضطرت إلى إثبات صانع ليست مثله ولا هو مثله، وقد بين عليه السلام علو العقل بقسميه النظري والعملي على الجهل بإحضاره مع مقابله ليظهر التفاضل عيناً في الآيتين الباقيتين، فأين من يعلم يقيناً حقيقه ما أنزل له، ومن ﴿هُوَ أَعْمَىٰ﴾.

(١) سورة الرعد، الآية: ١٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) التوحيد: ٤٥٥، باب (٦٧) النهي عن الكلام، حديث رقم (٦).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٥) ميزان الحكمة: ٢٣١/٩ حديث رقم (١٦٣٨٧).

وورد هنا تفسير الحق^(١) بعلي عليه السلام^(٢)، والذي هو أعمى الأول، وكذا شتان بين العامل، فهو قانت آناء الليل خائفاً راجياً ومن ليس كذلك، فهل يستوي العالم والجاهل، نظراً وفكراً وحياة ومماتاً، بل لا استواء، فتذكر وارغب في العلم وتحصيله، والتجافي عن الجهل والظنون التخمينية، والأوهام الشيطانية.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكٌ لِيَذْبَحُوا بِإِيتِهِ وَلِتَذْكُرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، [وقال]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَذِكْرٌ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

[شرح تكملة الحديث: الغاية من إنزال الكتب]:

صرّح في هذه الآي بالغاية من إنزال الكتب، وهو حصول النظر والتدبر بالقوة العقلية، فيتذكر بذلك أمر المبدأ والمعاد وحال النفس وغير ذلك، فالغاية هي التعقل والصيرورة عقلاً، فالتدبر إشارة للنظر والتذكر لغايته، ودلالة الغاية حيثئذ على شرف العقل، و: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ظاهرة.

وبينت الآية الأخيرة إنَّ كون الكافر غير ناجع فيه التذكر، إذ لا قلب له ولا إصغاء غير موجب لترك التذكر بالبيان في الآيات الآفاقية والآنفسية والقرآنية، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ اسْتَعَدَّ وَأَصْغَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ سَمِيعٌ﴾^(٦)، ثم وكون نفع

(١) في قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٧٥/٣ و٢٤٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٤) سورة غافر، الآيتان: ٥٣ و٥٤.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٦) سورة ق، الآية: ٣٧.

الذكرى خاص بالمؤمن ذي القلب أو الملقى للسمع لا يوجب نقصاً ولا قصوراً في المبلغ أو الحق، بل لعدم استعداد غيره وعدم قبوله وإعراضه فهو لا يصغ لسماع الدليل، فلم يصل له، بل قلوبهم في اكّنة، وطبع عليها بكفرهم؛ لسوء اختيارهم، فالدليل عام وظاهر للكل، لكن الانتفاع به وحصول التذكر به مشروط بقبوله واستحصاله، وهو لا يكون إلا من المؤمن وذو اللب. فزال الأشكال عن كثير من الآيات السابقة والآية، واندفع أيضاً ما عسى أن يقال: إن ذا اللب متذكر، وكذا المؤمن فهو مهتد فلا حاجة له بالتذكر.

لأننا نقول: هو مراتب أيضاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(١)؛ ﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾^(٢)، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إيمَانًا﴾ الآية^(٣)، كما قال تعالى في الكافر خلافه^(٤)؛ لشدة إعراضه مع جواز إرادة المصغي المتلقي، وإن لم يكن بالفعل متصفاً به، بل ولو في مقام الجهل البسيط.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: يا هشام، إن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٥)، [يعني عقل]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾^(٦)، قال: الفهم والعقل.

(١) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِنَّ رِجْسَهُمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

(٥) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٢.

[شرح تكملة الحديث: لقمان الحكيم]:

فمن لا عقل له، أي: قلب لا تذكّر له؛ لتوقفه على النظر، وقوة الفكر لا يحصل إلا به، ولكثرة صفاته وسرعة تقلبه سمي قلباً وفاعلاً، قال: ضمير يعود إلى أبي الحسن عليه السلام، ولفظة قال: من لفظ هشام.

ومرّ لك تفسير الحكمة بطاعة الله ومعرفة الإمام، والأول للقسم العملي منها، والثاني للعلمي، ولا ينافي هذا الحديث أيضاً، فالفهم إشارة للعقل العلمي والعقل للنظري، ويجوز العكس.

وعن الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، قال: أوتي معرفة إمام زمانه^(١)، وقد عرفت أنّ معرفته بالنورانية وصفاء النظر مقتض لمعرفة الموجود بما هو موجود وهو الحكمة الإلهية.

وروى الطبرسي، بحذف السند، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان لقمان الحكيم معمرّاً قبل داود عليه السلام في أعوام كثيرة، وإنّه أدرك أيامه، وكان معه يوم قتل جالوت، وكان طول جالوت ثمان مئة ذراع، وطول داود عليه السلام عشرة أذرع، فلما قتل داود عليه السلام جالوت رزقه الله النبوة بعد ذلك، وكان لقمان معه» الحديث^(٢).

علي بن إبراهيم بسنده، عن حماد، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله، فقال: أمّا والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال، ولا أهل ولا بسط في الجسم [ولا جمال]، ولكن كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكتاً سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن عن الغير»، وفي نسخة «مستغن بالعبر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد من الناس على بول وغائط ولا اغتسال؛ لشدة

(١) تفسير القمي: ١٦١/٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٣٦٨/٤، حديث رقم (٨٣٩٩/٩٩).

تستره، وعمق نظره، وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط؛ مخافة الإثم، ولم يغضب قط، ولم يمازح إنساناً قط، ولم يفرح بشيء [إن] أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له من الأولاد الكثيرة، وقدم أكثرهم إفراطاً؛ فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحابا، ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنته إلا سأل عن تفسيره، وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والحكام والسلاطين، فيرثي القضاة بما ابتلوا، ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمانينتهم في ذلك، ويعتبر، وتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان [به]، فكان يداوي قلبه بالفكر، ويداوي نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلا فيما يعينه، فبذلك أوتي الحكمة ومنح العصمة، فإن الله - تبارك وتعالى - أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة، فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم، فقالوا: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس؟ فقال لقمان: إن أمرني الله بذلك فالسمع والطاعة، لأنه إن فعل بي ذلك أعاني عليه وعلمني وعصمني، وإن هو خيرني، قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان، لم [قلت ذلك]؟ قال: لأن الحكم بين الناس أشد المنازل من الدين وأكثر فتناً وبلاءً، ويخذل ولا يعان، ويغشاه الظلم من كل مكان، وصاحبه فيه بين أمرين، إن أصاب [فيه] الحق فبالحري أن يسلم، وإن أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سرياً شريفاً، ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما، كليهما تزول هذه، ولا يدرك تلك، قال: فتعجب الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقته، فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل، أنزل الله عليه الحكمة، فغشاه بها من قرنه إلى قدمه، وهو نائم،

وغطاه بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه، وخرج على الناس ينطق بالحكمة، ويبثها فيها.

قال: فلما أوتي الحكمة [بالخلافة] ولم يقبلها أمر الله الملائكة فنادت داوود عليه السلام بالخلافة فقبلها، ولم يشترط فيها شرط لقمان، فأعطاه الله الخلافة في الأرض، فابتلي فيها غير مرة، كل ذلك يهوي في الخطأ يقبله الله ويغفره له، فكان لقمان يكثر زيارة داوود ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه، فكان داوود يقول [له]: طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية، وأعطي داوود الخلافة والحكم والفتنة^(١) الحديث.

وقال القاضي: «لقمان هو ابن أخت أيوب أو خالته، وعاش حتى أدرك داوود وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعثه»^(٢).

وفي شرح المازندراني: (وقال بعض الأفاضل ناقلاً عن كتاب (عين المعاني): إنه تولد في عشر سنين من سلطنة داوود عليه السلام وعاش إلى أن أدرك يوسف، وقيل: إنه عاش ألف سنة)^(٣).

واعلم: إن ظاهر ما سبق يعطي كونه نبياً، وللعلماء في كونه نبياً قولان، أمّا قول أكثر العامة: إنه كان عبداً حبشياً، أسود اللون، غليظ الشفتين. فكذب وافتراء، ودأب العامة ذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق، تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير».

(١) تفسر القمي: ١٦١/٢.

(٢) تفسير الزمخشري: ٤٩٢/٣.

(٣) شرح أصول الكافي: ١٤٣/١.

[شرح تكملة الحديث: من حكم ومواعظ لقمان]:

كان لقمان كثيراً ما يعظ ابنه، واسمه ماثان^(١)، وهي مواعظ كثيرة، منها:

ما في: مسنداً، عن الحارث بن المغيرة أو أبيه، «قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟»

قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خِفِ الله (عز وجل) خيفة لو جثته ببر الثقلين لعذبك، وارجه رجاء لو جثته بذنوب الثقلين لرحمك».

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران، نور خيفة، ونور رجاء، [لو وزن] هذا لم يزد على هذا، [ولو وزن هذا لم يزد على هذا]^(٢)».

وفي تفسير علي بن إبراهيم مثله في حديث طويل في نقل جملة من مواعظه^(٣).

وفي الفقيه، «قال لقمان لابنه: يا بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله، واجعل شراعها التوكل على الله، واجعل زادك فيها تقوى الله (عز وجل)، فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك»^(٤).

وفي الطبرسي جملة من مواعظه^(٥).

(١) تفسير البيضاوي: ٣٤٧/٤، عمدة القارئ: ١١١/١٩.

(٢) الكافي: ١٧٣/٣، باب (٣٣) الخوف والرجاء، حديث رقم (١/١٥٩٩).

(٣) تفسير القمي: ١٦٢/٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣١٤/٢، باب: الزاد في السفر، حديث رقم (٢٤٥٨).

(٥) مجمع البيان: ٦٣/٨، فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان.

وحكى الله جملة منها بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، [و]: ﴿يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآيات^(٢).

[في التواضع للحق]:

ولا شك: إن التواضع، وهو التذلل موجب لتحصيل العقل وزيادته، فالمتواضع غير مستكبر، بل عامل بأوامر الله، تاركاً لنواهيه، ولا تنجع موعظة وتثمر مسألة أو حكمة في نفس مالم يتواضع صاحبها، فالمتواضع بمنزلة القبول وإلا فلا عقلية، ولكن تواضعك للحق لا غيره من الباطل، بل يجب التجافي عنه كأنواع المعاصي، بل لا تواضع للحق إلا بالتجافي عن دار الغرور وصفاتها، وأخلص في تواضعك وإلا لم يكن للحق، بل لغيره، ويدخل في التواضع للحق التواضع للعلماء؛ لأنهم أبواب نوابه، ووجهه الذي منه يؤتى.

والمتواضع أيضاً محبوب عند الناس فيقبلون عليه، فيأمن غوائلهم، ويُسمع كلامه وتظهر موعظته. وتستسمع ما ورد في التواضع وعلو درجته في جنود العقل.

[الكيس لدى الحق]:

والكَيْسُ: بفتح الكاف وكسر الياء المثناة من تحت المشددة ثم السين المهملة، العاقل العامل لما بعد الموت.

وقوله: لدى الحق يسير. مجموعة خبر أن أو الظرف متعلق بالكيس، ويسير خبر أن، ويسير بمعنى ذليل أو قليل، فإن العاقل قليل والجهل أفشى. قال محمد صالح في الشرح، بعد أن فسر الكيس بما سبق: (ويحتمل أن

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٧ و ١٨ و ١٩.

يكون الكيس - بفتح الكاف وسكون الياء - وهو العقل والذكاء وحسن التاني في الأمور.

واليسير أيضاً بمعنى القليل، يعني أن عقل الرجل وذكاءه وحسن تأنيه وتدبره عند ظهور الحق وموافاته قليل كما هو المشاهد في أكثر الناس والمعلوم بالنظر إلى أحوالهم.

وقيل اليسير ضد العسير، ومعناه: أن كياسة الإنسان وهي عقله وفطنته سهل هين عند الحق لا قدر له، وإنما الذي له قدر عند الله تعالى هو التواضع والمسكنة والخضوع، والعجز^(١) والافتقار، فكل علم وكمال لا يؤدي بصاحبه إلى مزيد فقر وحاجة إليه [سبحانه] يصير وبالأعلى عليه، وكان الجهل والنقيصة أولى به، ولذلك قيل: غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الإمكان والفقر إليه تعالى، فكل عالم كيس زعم أن له وجوداً وكمالاً غير ما هو رشح من رشحات بحر جوده وتفضله، فهو في غطاء شديد وحجاب عظيم عن درك الحقيقة^(٢) انتهى.

ولا يخفى ما فيهما من البعد مع منافاة الأول لكمال الأبعاض، وكذا الثاني فإنه إذا كان للتواضع قدر عنده كان للعقل أيضاً، بل قوله ﷺ: «وإن الكيس إلخ، تفريع على التواضع، فعلمة العقل التواضع والتدلل للحق وقبوله، فلا عقل إلا بتواضع، ولا تواضع إلا بعقل فينبغي تلامز.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فليكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشرائعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر».

(١) ساقطة من نسخة (ب).

(٢) شرح أصول الكافي: ١/١٤٥.

[شرح تكملة الحديث: الدنيا رأس كل خطيئة]:

يا بني: تصغير ابن أصله بنو، حذف العجز، وعوض عنه أولاً الهمزة.
قال الفراء: يا بني، ويا بني بضم الباء وفتحها لغتان، مثل: يا أبت ويا أبت^(١).

وغير خفي شدة اعتراض الدنيا وزخارفها، فهي رأس كل خطيئة، قعرها النار المخلد، فيها العذاب لا إلى نهاية، من غرق فيها لم ينج، وغرق في تيار نشواتها وذاق حرارتها، فهي بحر عميق ولا حاجة إلى ضم التشبيه.

وقول: حذفت الكاف لأجل الكتابة تحصيلاً لشدة المبالغة كما قيل، فإن البحر لا اختصاص له بهذا الجسم السيال المشاهد، بل يطلق على الرتبة من رتب الوجود، فمراتبه أبحر بعضها نورانية وبعضها حلوة، وبعضها مرة وبعضها ظلمانية. فافهم.

ولما احتاجت السلامة والنجوة إلى تسمير وعمل واجتهاد مع مقاومة الجندين في النفس مع سبق الولادة الحيوانية هنا على العقلانية وتخليته كل واختياره والعامل بذلك قليل، لا جرم كان الغارق كثير للخلود إلى الدنيا واتباع الهوى، والأعراض عن الأخرى.

والمراد بالعالم: الجماعة من أصناف المخلوقات، ووصفهم بالكثرة لكثرة الهالك من العلماء وأتباعهم، بل ومن جماعات الحيوانات أيضاً، ثم لا يقال: كيف يكثر الغارق قبل السير وبعده مع وضوح الطريق، وظهور منارة الوثيق، حتى أشير له بالإشارة الحسية في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٢).

(١) الصحاح: ٢٢٨٧/٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

وعن سيد الموحدين، كما رواه الشيخ ميثم في شرح الإشارات، ورواه غيره أيضاً، إنه قال: «الطريق واضح فأين السالك»، ومثله كثير معنى.

قلنا: قد عرفت غلبة الكل واختياره، واحتياج النظر إلى التخلية من الأخلاق الرديّة مع عموم اللذات الدنيويّة، وكثرة عروض الشبه الوهميّة الشيطانية في مبدأ السير وحالاته.

فمن تحفظ واستوثق وركب في السفينة المذكورة - كما ستعرفها - سلم ونجى من الضراء، ومن ترك؛ غرق وهوى، فوضوح الطريق وظهوره لا ينافيه كثرة الهالك؛ لغلبة شهوة أو شبهة أو عدم استحكام السفينة، مع أن المعاند كثير ومثله لا يؤمن ولو تأتبه بكلّ آية، فارتفع التنافي في ظاهر بين الحديث وبين ما ورد عن سيد الموحدين.

ما عجبني لمن هلك كيف هلك، بل عجبني لمن نجا كيف نجا^(١)، فتعرض أيها السالك لنفحات ربك بقوة الاستعداد، وهو ترك الأخلاق الذميمة والتجافي عن دار الغرور والإنابة لدار الخلود حتى ينشرح القلب ويستنير فتمشي به آمناً من التشبيه والتعطيل، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾^(٣)، وحيث كانت الدنيا كما بين ومثل لك، مع أن أول السير التكليفي منها ولا بد من العبور عليها ومسّ ذواتها وصفاتها مع طموّ تيار أمواج زخرات بحارها، فلا بد من سفينة للعبور وإلا لزم تكليف ما لا يطاق، وهو ظلم لا يطاق، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٤)، ولولا السفينة ما نجى وعبر لدار السلامة والخلود الدائم

(١) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا

كيف نجا». راجع: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين، لأبن ميثم البحراني: ١٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٢.

ونجا من العذاب السرمد. فاركب سفينة النجوى في جميع حالاتك وأنظارك، واستحكمها بدنه وسيراً حتى العبور لئلا تغرق فتقع في المحذور، فجرم السفينة وما تؤثر منه التقوى؛ لأنه التجافي عن دار الغرور على مراتبه تقوى الخواص أو العوام أو خواص الخواص - وستعرف أقسامه - فأصل النجوى به، فمن ترك المحرمات بل والشبهات كان مسّه لأجل الآخرة، فدنياه حينئذ دُنيا بلاغ لا غرور، ولم يرسب فيها لعدم جلوده لها كالسفينة المستوثقة لا تنغمس في البحر في جريها فيه وشقها له، وإنما تمرّ عليه وتمسّه ظاهراً.

[خمسـة أشياء للسـير]:

وغير خفي احتياج السفينة إلى خمسـة أشياء حتى تكمل ويعبر فيها، لكن قد يستغني بعض عن [بعض] فيكون القيم والدليل واحد، لكنهما حينئذ اثنان أيضاً، وما نقصت من واحد فقد لا ينتفع بها ولا تستعمل أو تكون في معرض العطب والفرق بريح أو غيرها، وانقطاع وعدم بلوغ الغاية مع بُعد السفر وطوله وخوف الطريق وصعوبته وهو له، فخذ لنفسك الوثاقة والحذر، وتجاو عن الغفلة وحقق النظر.

[الزاد والمتاع]:

الأول: الحشو والمتاع لاحتياج المسافر لذلك؛ لكونه أجوف لا يستغني عن طعام وشراب ومتاع النفس هنا؛ لأنها المسافرة والعابرة في هذه السفينة الحسية المصنوعة من العناصر الأربعة، حتى اعتدل مزاجها وقام الإيمان، فهو طعام النفس ورزقها.

ومعلوم أنه لا علم إلا بعمل، والتكاليف الشرعية مقربات للنفس إلى سلوك العقل ومعدة لها؛ لمقابلته والاستضاءة بنوره: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ

طَعَامِهِ^(١)، وهو علمه الذي يأخذه عَمَّنْ يأخذه، كما يعمل ذلك في شراء طعام جسده، مع أن الخطر هنا أعظم وأشد.

[التوكل والتفويض لله في كل الأمور]:

الثاني: الشراع وهو بكسر الشين المعجمة، الثوب المرفوع على السفينة لتضرب فيه الرياح فتجري السفينة بدفع الرياح له، وشراع سفينة النجوى النفس في سلوكها لباريها، وعبورها من مهبطها الثانوي السفلي التوكل على الله والتفويض له في كل الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢)، فيجري في المضائق ويسلم منها ولا تأخذه مهالك، بل يعبر أشد عبور؛ لعدم ركون هذه الرياح الغيبية إذ اعتماده وتوكله على الله الذي لا ينقطع مدده وتسييره. وسيأتي الكلام على التوكل.

[العقل ودوره في السير]:

الثالث: القيم، بفتح القاف وكسر المثناة من تحت المشددة، وهو ما يقوم بأمر السفينة فيما يصلحها من آلة أو إصلاح لوح أو غير ذلك، ولا غنى لها عن ذلك، وقيمة هذه السفينة المميز لما يصلحها وما يفسدها المتجافي بها طريق عَظَبِهَا العقل، فيصحّ الصحيح ويبطل الباطل؛ لأنه المؤيد بقبس من فاضل العقل بالمعنى الأخير السابق، وهو الجوهر اللاهوتي وبه يحكم العمل، ويضعف الأمل، ولا غنى عن العقل مدّة الحاجة لهذه السفينة وركوبها كالملاحين والسفينة.

[العلم دليل لمعرفة الطريق]:

الرابع: الدليل، وهو من ضروريات السفينة، فلا بد من معلّم يعرف

(١) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

العلامات التي تدل على الطريق كنجم أو جهة فيسلك ولا يتجاوز عنه إلى طريق آخر، فهو يدلُّ القيم فيجري بها، ودليل هذه السفينة العلم، فإنه شعاع المعرفة التي محلها القلب، فبالعلم يهتدي فيسلك في ظلم الدجى، فيقوده إلى المكان الأهنى والغاية العظمى، ولا غناء له عن الدليل لكثرة الشبه، وتفرق السبيل عن حافتي السبيل.

[الصبر رابط على قلب من رام الطريق]:

الخامس: السُّكَّان، بضم السين المهملة وتشديد الكاف، آله توضع في مؤخر السفينة، يربطها القيم بها على سمت الطريق عن الانحراف، خصوصاً إذا اختلفت الأهوية وتلاطمت الأمواج، فلو لا ربط صدرها بسكانها على مكافحتها عطبت وما فيها، وسكان هذه السفينة الصبر، فإنه الرابط على القلب والموطن على العمل المرَّ حتَّى تقوى النفس؛ لدفع الشبهات في تيار الظلمات، فتكون سفينة للنجوى، منجية التائه ومن أشرف على الفوات، وكثيراً ما وصَّى الله بالصبر وحث عليه، فإنه أعلى المقامات. وسيُتضح لك الكلام فيه - إن شاء الله تعالى - ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، ولعلَّ من الله حتم.

فاستبان أن السلامة للسالك الموجب لنجاته واستكمال نفسه فعلاً بعد أن كان قوة إنما يكون بالتقوى والإيمان، فلا عمل إلا بعلم، ولا يكمل ويتم العمل إلا بالتوكل والنظر، والعمل لا يتم للعقل إلا بدليل، ولا يتم جميع ذلك إلا بالصبر والرابطة، فيه تطمئن النفس، فتسلخ عن الأخلاق الذميمة، وتتحلى بالجميلة، ولا تستصعب طاعة، ولا تعدّ كلفه، حتَّى تعلم ما لم تكن تعلمه وتقف عندما لم تعلم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن لكل شيء دليلاً، ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت؛ ولكل شيء مطيئة، ومطيئة العقل التواضع؛ وكفى بك جهلاً أن تركت ما نهيت عنه».

[شرح تكملة الحديث: العقل ليس دليل على الحق]:

لم يكن كل طريق فيه السلامة مع وقوع اشتباه الداعين في كثير من الأشياء وعلى أكثر الناس، فلا بد أن يكون على الحق دليل، ولكل شيء دليل يدلّه ويرشده إلى تحصيل رشده ويسلك به الصراط القويم، ولما تكثرت الأدلة وتفاوتت شدة وضعفها؛ لتفاوت الناظر وقوة تمييزه نكر شيئاً ودليلاً، ولا ينافي كون العقل دليلاً لغيره، احتياجه للدليل هو ظاهر، ويخرج من عموم كل شيء الواجب تعالى فلا دليل له؛ لغناؤه المطلق وعدم جهله بوجه أصلاً، فليس كماله بمستفاد.

نعم، له أدلة على وجوده، هي مخلوقاته الآفاقية والأنفسية، لكل شيء بحسبه.

[في الشيء]:

إبطال: قال محمد صالح: (الشيء يطلق على الموجودات [أو على] المعدومات أيضاً عند المحققين دليلاً، وهو للموجودات^(١) عبارة عما يقتضي وجودها أو العلم بها من الأسباب والشرائط والآثار، وإنما سمي هذا دليلاً لأن الأشياء بسببه تنتقل من العدم إلى الوجود كما أن المسافر بالدليل ينتقل من بلد إلى بلد، وأمّا المعدومات فدليلها عدمي، أعني: عدم

(١) في المصدر: الموجودات.

ما يقتضي وجودها، فإنه سبب لنقل القدم^(١) من آن إلى آن آخر، ومن زمان إلى زمان آخر^(٢) انتهى.

ولكن تحقيق كما سيأتي في التوحيد مرادفة الشيئية للموجود، وعدم إطلاقه على المعدوم عقلاً ونقلاً، ودفع ما عسى يوهم خلافه، وتفسيره الدليل بالموجود للشيء، والعلّة له ينافيه بيان الإمام عليه السلام دليل العقل والتفكر وغير ذلك.

ثمّ وجعله العدم سبباً ناقلاً للمعدوم من آن إلى آخر ظاهر التعسف، فالدليل هو المرشد للسبيل، فدليل العقل المكتسب الجنان المعبود به الرحمن.

التفكر في الأشياء غيباً وشهادة، حتّى يتوصل العقل بذلك إلى معرفة الخالق وحكمته، ويعبده حقّ عبادته بحسب طاقته.

ودليل التفكير الصّمت، إذ مع اضطراب النفس وعدم سكونها للنظر لم يحصل لها التفكير، فلا يحصل لها النظر، فلم تستكمل، فلا تكون النفس عاقلة، فلا تكون ناجية إلّا بالتفكر، ولذا أمر الله به في غير آية من كتابه وحث عليه نبيه، ولا يكون بمرابطة وصمت؛ ليكون به كالمستعد القابل، فمن اشتغل بما لا يعينه لساناً أو نظراً أو تخيلاً لم يصف تفكره، وكانت قوته المفكرة حينئذ متخيّلة متوهمة؛ لعدم تقوّيها بالعقل وتبعها له؛ لعدم كونها دليلاً، فهي حينئذ من جنود الهوى.

ولما احتاج السالك إلى دليل يدلّه وهو سائر فلا بدّ له من مركب سريع الحركة لكون حركته حينئذ ذاتية سريعة.

ولذا خصّ بالمطيّة، وهي الدّابة تسرع في سيرها وتجدر ويركب ظهرها،

(١) في المصدر: العدم.

(٢) شرح أصول الكافي: ١/١٤٨.

فكما أنَّ النفس الحيوانية مركب الناطقة، وهي واسطتها في استعمال البدن الحسي، كذا التواضع مركب القوة العقلية، وهو يسرع بها إلى مشابهة عللها الأولية، كما هو ظاهر لمن عرف ثمرة التواضع - كما سبق، وسيأتي أيضاً -.

ولا خفاء لعاقل نقص الجهل؛ لفقد العقل حينئذ ومنافاته للتواضع للحق الذي هو مركب العقل وحامله، وكفى في إتيان الجهل العاصي عمله بالمعصية، وقد نُهي عنها، فأَيُّ جهل وإهلاك للنفس أعظم من ذلك، فإنه عمل ما تعتقد نهيك عنه.

ولك قراءة نهيت بالبناء للمفعول أو المعلوم: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

ومعلوم أنَّ تحذير الإنسان نفسه وإبعادها عن الهلكة أولى وأحقَّ من غيره، فلا تكن ممن ينهى ولا ينتهي ويأمر ولا ياتمر، فكن من الصالحين، إنَّ أُمِّرت بأفعالهم واتباعهم آثارهم وأحببتهم، واجتنب الذنوب، إنَّ كرهت أهلها وحذرت عنهم، وإلا فلا تبغض من أنت منهم وتحب من لم تجانسهم ولا تشابههم - عاملنا الله وإياكم بعفوه، وشملنا برحمته ولطفه بمحمد وآله المنتجبين - فمرتكب المنهي مع علمه جاهل أشدَّ جهل، غير عاقل لعدمه ثمرته، وهي عبادة الرحمن واكتساب الجنان، وإن سمي عاقلاً بوجه آخر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، ما بعث [الله] أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة».

(١) سورة الصف، الآية: ٣.

[شرح تكملة الحديث: الغاية من بعث الرسل]:

أقول: غير خفي عقلاً ونقلاً أن بعثة الرسل إنما هو لسوق الناس من حضيض الجهالة إلى أوج الكمال وقيامهم على الاستقامة، فيعرفوا باريهم فيعبدوه، ويقرؤا به ويعرفوه، فرتبة العقل هي الغاية والوصول لها النهاية، وهي التي بعثت لها الرسل إذ سعادة المرء بالاطلاع على الحقائق والاتصاف بالمحسنات المخرجة من المضائق، إلا أنه بحسب الفطرة خال منها ومستعد لها، ولا يتيسر لكل أحد التفتن والمعرفة بالنظر بدون مرشد ودليل، فبعث الرسل، وعرفت أن العقل شرع باطن كما أن الشرع مرشد ظاهر فالمرجع لمرشد ظاهراً وباطناً، فالنبي المدلج بين يدي كل سائر، فلا حاجة إلى التخصيص والعقول قاصرة عن إدراك كثير من خصوصيات التكاليف وغيرها.

فإذا كان بعثتهم إنما هو لتعقل العباد عنه تعالى، ويدخل في العقل العقل العلمي والعملية، فلا يصح العمل بالظن ولا بالرأي والقياس، ولا نصب خليفة بأهوائياً، ولا بد من كون الحكم عن الله، فله الحكم والأمر، وإلا فسيبيله الضلال وغايته العذاب والنكال.

فإذا كانت البعثة والدعوة ليعقلوا عن الله، فالأحسن استجابة لداعي الله أحسنهم معرفة بالأوامر والنواهي ومعرفة الله تعالى، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً؛ لأنه لازمه، فأحسنهم عقلاً أشدهم استجابة لأمر الله ومعرفة به، والأكمل عقلاً أرفع درجة في الدنيا؛ لشدة مداراته وصبره على البلاء وتفويض أمره لله ورضاه، فهو دائماً في سعة ودعة، محبوب عند الناس وإن كرهه بعض الجهلة فلا يجاهره مطلق.

وفي الآخرة أيضاً، فأكملهم عقلاً أحسنهم استجابة، فكان العقل أسّ للاستجابة وقبول الأوامر والنواهي، الذي هو العقل العملي، وهو الغاية

مبعثرات

والموصل لأكمل مراتب العقل، فالعقل أصل وهو سبب التفاضل وهو الغاية أيضاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إنَّ الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول».

[شرح تكملة الحديث: حجة العقل]:

أقول: قد سبق لك أول الحديث ما يوضح حجة العقل، وكيف لا يكون حجة وبه تكمل الدعوة، والله الحجة في كل مقام، فكما في الأنوار نوع أشرف وفي الأشخاص شخص كذلك، الأشخاص بالنسبة إلى الأعضاء فأشرفها القلب وخليفته الدماغ، ومنه تنشعب سائر القوى على البدن وخليفته النخاع، ولا تنبعث القوى من الدماغ لسائر البدن إلا منه، وهو الحاكم المميز لما يرد عليها، فلا بد من حجة العقل وإلا لم يكن قول نظيره في الآفاق، وهو النبي حجة فإنه قلب العالم وخليفته كالدماغ.

وأيضاً لما كان تصرف النبي ﷺ في الظاهر والباطن فلا بد من القول بحجة العقل، ولذا كان بين الحجتين ارتباط، فلا غنى للشرع عن العقل - كما سبق بيانه - ولا غنى للعقل عنه.

فمن لم يتقيد بالتكليف فليس بعاقل، وإن كان بصورة الأناسي، بل كالأنعام، بل هم أضل كما قال تعالى^(١)، فاستبان بحكم التطابق بين عالم الآفاقي والآنفسي والإقرار بحجة النبي ﷺ حجة العقل، ولا يضر كثرة الشبهات والتشكيكات، فالحق يعلو، وقد رحبت وإلا لبطلت سائر العلوم

(١) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

سورة الفرقان، الآية: ٤٤

كمالاً، بل والأنبياء وخلفاؤهم، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١)، ولم يكن العقل حجة، لم تكن حجة على سائر الملل، ومنكريها وللرسل الوساطة في الكل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إنَّ العاقل، [الذي] لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره».

[شرح تكملة الحديث: من العقل شكر النعمة]:

إذ من المعلوم أنَّ العاقل لا يستحقه ما لم يعمل به.

أقول: ومعلوم بديهية أنَّ إفاضة النعم توجب الشكر زيادة استحقاقاً لها وطلباً للزيادة وأداء لحقها، فهي سبب الشكران لا الكفران، ومن شكر النعمة الإنفاق منها، وكذا العاقل لا يجترئ على المحرم، بل يصبر من دونه ويحبس نفسه فلا يرتكب المحرم فيغلب عليه، بل يجاهد نفسه ويباعدها عن موارد الهلكة.

أمَّا من لم يكن هذه صفته في الطاعة والحرام فليس بعاقل، وكثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه إذا خلا من صفته، وهو كثير، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فلا يكون الإنسان إنساناً إلا بالدين؛ لأنه لا يكون إنساناً حتى يكون عاقلاً، ولا يكون عاقلاً حتى يعمل بالدين، ولا عمل بالدين إلا بالبيان.

وكيف تشغل النعمة عن الشكر؟ ولعلها استدراج أو يغلب الحرام الصبر وهو اختيار.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، من سلّط ثلاثاً على ثلاثٍ، فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله، أفسد عليه دينه ودنياه».

[شرح تكملة الحديث: ما يقوي العقل وما يضعفه ويبطله]:

أقول: ستعرف أن الإنسان مختار، وفي ساحة نفسه تقع المطاردة بين جنود العقل والنفس، فمتى غلب جنودها فهو من أتباع الشياطين وأضرابهم، فنور التفكير الذي هو دليل العقل لا يبقى بطول الأمل، بل طوله يوجب الإعراض وعدم الاتعاض، فيمر على الآيات وهو عنها في إعراض، فالأمل يهدمه ويبطل العمل.

وكذا لطائف الحكمة وطرائفها لا تبقى وتتقوى إلا بترك فضول الكلام، فمن كثر كلامه كثر غلطه، وفاتت حكمته ولم يُستمع لقوله، بل ينبغي للعاقل إمّا ينطق بذكر أو ليسكت، فإن السكوت حينئذ حكمة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

وكذا نور عبارته، بكسر العين المهملة، من الاعتبار، أي: الاستنباط والاتعاض بما حل بالماضين والنظر في العواقب، فإنه يطفئها شهوات النفس في المطعم والملبس، فإنه حينئذ يخوض مخاضهم ويعمل عملهم ولا ينظر للعواقب، وإلا لم يرسل نفسه ويطلق قياد حبسه.

فاستبان أن الأمل يبطل التفكير، وفضول الكلام [يبطل لطائف] الحكمة، والشهوات والاعتبار، وهذه الثلاث من جنود الوهم، وتلك من جنود

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

العقل، فمن عمل ذلك فقد سعى في هدم عقله، وأعانه وهمه؛ لغلبة جنده على جند عقله، فلا تقارب العاصي وإلا فأنت ساع في هدم عقلك، ومن هدم عقله أفسد على نفسه أمر دنياه وآخرته، عكس من كمل عقله في أنه أرفع درجة دنياه وآخرته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١).

ولا يرد توصل كثير ممن هو تبع لهواه لأمر كثيرة من الدنيا لم لها العاقل العابد، فإن هذا ليس بعقل، بل نكراء كالتي في معاوية، وليس بعقل بالمعنى المبحوث عنه، بل كثيراً ما يقع في الأمور الدنيوية، ولا يمكنه التخلص [منها]، لعدم نظره أولاً فينجر من الضرر الواحد إلى مضار، ومن الخطر إلى أخطار مع ما يلزمه من فساد دنياه، دنيا الاعتبار، لا الاغترار بارتكاب المحارم والمآثم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، كيف يزكو [عند الله] عملك، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك؟!».

[شرح تكملة الحديث: زكو العمل ونمائه بتوجه القلب لله]:

أقول: بعد أن بين له ما يترتب على العقل وما يضعفه ويبطله، بين له ﷺ حينئذ عدم زكو العمل ونمائه مع شغل القلب عن أمر الله واتباع التفكير، فإن القلب حين العمل معرض، بل العامل حينئذ تبع لهواه، مطيعاً له في غلبته على العقل، فهو عابد للهوى، معرض عن ذكره، بل لا تذكر له حينئذ بذكره؛ لشغل القلب بالأمور الدنيوية والأحكام الوهمية؛ لغلبة الهوى حينئذ وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ

(١) سورة الحج، الآية: ١١، وسورة الزمر، الآية: ١٥.

﴿الآية^(١)﴾، بل العابد حينئذ عابد للشيطان، وقد حذر الله عن عبادته والركون إلى طاعته، فلا يقبل من العمل إلا ما أقبلت عليه بقلبك.

وهذا صريح في أن الأجزاء الظاهرية^(٢) وما به يسقط القضاء وبراءة الذمة غير القبول المترتب عليه الثواب ونموّ العمل، كما هو مذهب المرتضى وجماعة، وهو التحقيق بالتحقيق، ويدلّ عليه ما دل من النص على أن النوافل تكمل ما نقص من الفرائض، وإن من المصلين ما تقبل نصف صلواته، وآخر ثلثها، وآخر ربعها، وبعض تلقى ويضرب بها وجه صاحبها.

ومن المستبعد كون ذلك من جهة عدم اجتماعها للواجبات والشروط الظاهرية، فإنها حينئذ متى اختل شيء منها لم تقبل أصلاً وردّت، لا على التجزئة وغير ذلك من النص.

وكيف يزكو عمل الجوارح، ورئيسها فاسد غير مصلح - عاملنا الله بلطفه وجوده، وخفف عنا جرائم نفوسنا وإعراض قلوبنا، بمحمد وآله الميامين -

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله، اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورَغِبَ فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه العيلة ومعزّه من غير عشيرة».

[شرح تكملة الحديث]:

[اعتزال أهل الدنيا ومن رغب فيما عند الله]

أقول: اعلم - رحمك الله - أنّه ليس بالوحدة المأمور بها والمحثوث

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) في النسختين: الظاهري.

ومعلوم حينئذ صعوبة الوحدة التي هي حبس النفس ولزوم الأسر، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١)، فحتاج إلى صبر واصطبار، وتحمل أخطار.

وليس المراد بالمأمور باعتزالهم أهل الدنيا، وهم المخالفون خاصة - كما قاله ملاً خليل في (الشرح) - ويكون إشارة إلى ندرة أهل الحق^(٢)، إذ ليس جميع الفرقة الخاصة على الاستقامة، بل المراد: اعتزال أهل الدنيا

(٢) الشافى فى شرح الكافى : ٢٢٤/١.

العاصين، ومن قارب الذنوب فيعتزلهم في ذلك من غير فرق، وإن اختلف قلة وكثرة بالنسبة إلى المخالف والمؤالف، وما أقل ذلك وأندر.

وقال ملا محمد صالح في (الشرح): ((يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل) لأن الإنسان مدني بالطبع وله ميل إلى بني نوعه في التآلف والتودد والاستئناس بهم والمشاركة معهم في طلب المعاش وسائر ما يحتاج إليه، فإذا ترك ذلك كله لعلمه بأنه يوجب منقصة في دينه وضعفاً في يقينه وأثر الوحدة على الكثرة، ورجح الفرقة على الألفة للتحرز عن مشاركتهم في أفعالهم الشنيعة، وأطوارهم الدنية، علم أنه قوي في العقل والتدبر في أمور الآخرة، لأن ذلك من آثار العقول الكاملة^(١) انتهى.

ولا يخفى أن ترك ذلك ليس علامة قوة العقل، بل علامة ضعفه، وكيف يعرف من انقطع ولازم بيته ولم يتعرف لإخوانه، وليس ذلك بموجب لمنقصة في دينه مطلقاً.

نعم، اعتزال المغترين بالدنيا أقوالاً وأفعالاً يوجب تخفيف المداخل الظاهرية، بل واعتزال بعض مطلقاً.

أما كون الوحدة والاعتزال المذكور هو تركهم مطلقاً فلا، كيف وكم من معتزل كذلك ليس بذي رتبة في العقل والتمييز، كالعابد السابق نقله، وكم من مُدْخِل لم يرد مواردهم، فلا بدّ من اغتراف غرفة ﴿فَشَرُّوْا مِنْهُ إِلَّا قَلِيْلًا﴾^(٢)، فهي مثال النهر المبتلى به بنو إسرائيل، فمن عقل وتفهم عن الله لا عن أهل الدنيا، بل كانوا تبعاً للأقوال الشرعية، اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها؛ لمنافاته للقرب منه تعالى، ومضادته؛ لطالب الآخرة، فهما ضربان بقدر ما قربت من إحداهما بعدت من الأخرى.

(١) شرح أصول الكافي: ١/١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

وكيف يغتر العاقل بدنيا فانية وأحكام خيالية نائية، لم يكن أمر منها في خيرة إلا أعقب بغيره، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحت من ضرائها ظهراً، وما اعدوذب منها جانب إلا أمرّ منها جوانب، فمن استكثر منها استكثر ممّا يوبقه، ومن ركن إليها فإلى مهلكة، واعتبروا بمن أخلد إليها وركن وتبع شهواتها المرة وسكن، فتنفسوا قبل ضيق الخناق^(١)، وعنف السياق، والتفاف السّاق بالساق، ومدّ الأعناق ليوم التلاق، فليست بدار مآثر ولا بها مطمع ومنظر، ولقد كان في تقلّبها وأهلها ما يحق النظر ويوقظ المغتر، فإنّها دار ممرّ لا مقر، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٢).

وقد بان من قوله ﷺ دلالة على الترغيب على ملازمة أهل الآخرة والأخذ عنهم، وهو كذلك نصّاً وعقلاً.

ثمّ أشار ﷺ إلى ما يترتب على العزلة من الرّغبة إلى ما عند الله من ثوابه ومنازل المقربين، فمن رجا طلب، ومن خاف هرب، وإلى استئناسه بطاعة الله، فلا يفقد الناس لو زایلهم، ولا يضرّوه لو جالسهم وخالطهم؛ لانسراح نفسه واطمئنائها، فلا تأخذه غمّها وأحزانها، بل دأبه إصلاح آخره والسلامة من دنياه التي كانت عليه سجنًا، فإنّها سجن المؤمن وجنة الكافر.

والأنس مصدر، قولك: أنست به أنساً، من باب حسب أو ضرب، وهو ضدّ الوحشة والمشهور فيه، ضم الهمزة وسكون النون وجاء قليلاً بكسر الهمزة وفتحها والنون جميعاً.

ومعلوم حصول الأنس له، إذ لا استيحاش له بفقد شيء، بل هو في وحشة من أهل الدّنيا وما يرى من أفعالهم وطغيانهم، وكان الله صاحبه في وحدته، فلا يحزن ويستوحش، وهو دليل العناية به زائداً، فهذه المعية

(١) في نسخة (ب): الجنان.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

القريبة الثانوية التي هي التخلق بالأخلاق الإلهية كالتى في قوله تعالى: ﴿وَلِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وهذه غير العامة المشار لها في: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية^(٢)، وغيرها كثير، فهذه في قوس الرجوع، وتلك بحسب أصل الإيجاد بالغلبة بجهته تعالى التي لا تختلف بنسبة لواحد. فاندفع إشكال يورد هنا، بأنه لا مزية للمعتزل بذلك، فإن الله مع كل شيء، فافهم.

ولا شك أيضاً في اقتضاء العزلة والرغبة فيما عنده، حسن التوكل عليه، والرضا بما قسم له، فالله غناؤه ومغنيه في العلية، أي الفقر وشدة الفاقة دنيماً وأخراً، حيث ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا خَيْرًا﴾^(٣)، فأى ثمرة وذخر أعظم من ذلك، وكان الله معزّه، أي: مقوِّيه ومعزّه خلاف الذل من غير عشيرة، ليس كعزّ أهل الدنيا بالمال والعشيرة، فعزّ الله أجل وأعظم، وتأيبده أفخم.

كيف، وعزّه دنيا وأخراً، فخادم الله مخدوم ولا كذلك عن غيره، فإنه عرضي زائل، وسيأتيك كلام في العزلة أيضاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، نصب الحق لطاعة الله، ولا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ».

[شرح تكملة الحديث: لا نَجَاةَ بِالْمَعْصِيَةِ]:

أقول: تحتل قراءة نصب بالبناء للمفعول، والحق نائب الفاعل أو بالبناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر ومصدر مضاف للمفعول، ولا تغيير في المعنى.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

والمراد بنصبه إظهاره وتبيينه كأحوال المبدأ والمعاد، وأنواع التكليف، بإرسال الأنبياء وإنزال الكتب ووهب العقول.

ثمَّ بين أن نصبه لأجل^(١) الطاعة لله، والعمل بمقتضى البيان، لا مجرد السماع وترك العمل، ولا نجاة إلا بالطاعة، فلا نجاة إلا بالعمل المنسوب للطاعة لا باتباع الرأي والهوى أو من ضلّ وغوى، ومعلوم أن العاصي في بُعدٍ عن النجاة، وكيف ينجو؟

لكن المعصية تختلف بحسب الإحاطة وعدمها وكذا العذاب. وبالجملة: لا نجاة بالمعصية، حتّى من تسقط عنه بالشفاعة أو مجرد العفو، إنما نجاته بجهة الطاعة الثابتة فيه الغالبة لا بالمعصية. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والطاعةُ بالعلم، والعلمُ بالتَّعلُّم، والتَّعلُّمُ بالعقل يُعتقد».

[شرح تكملة الحديث: لا عمل إلا بعلم]:

أقول: أمّا توقف الطاعة على العلم فظاهر، فإنّه إذا لم يعلم ما يوافق إرادة الله فيعمل به أو يخالفها فيجتنب.

كيف تتحقق الطاعة التي هي العمل بأوامره تعالى واجتناب نواهيه، إذ لا عمل إلا بعلم، وإلا فما يفسد أكثر مما يصلح، ولا علم إلا بالتعلم من الغير والإفاضة سواء كان نبياً أو غيره.

إذ كل عالم فمن بعد جهل تعلم إلا الواجب تعالى، وذلك لأنّ ما سواه ممكن، وليس له من ذاته كمال، فكل عالم غيره تعالى، فحصوله له بالتعلم سواء كان بواسطة بشر واحداً أو أكثر أو بواسطة خارجيّة، برتبة التجلّي في الممكن خاصّة، وهو خاص بأقرب الممكنات، والحجاب حيثنّ واحد

(١) ساقطة من نسخة (ب).

وفي السابق أكثر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

ومعلوم أنه لما ثبت الافتقار إلى معلّم لضرورة الإمكان الشامل للكل، ثبت أنه لا يحصل إلا بالتعلم من المعلم الذي هو عبارة عن حصول المقابلة والتخلية، ويختلف ذلك شدة وضعفًا، ولما احتاج التعلم إلى تفهم.

وفهم المراد المقتضي لتمييز الصحيح من غيره، ومعرفة الحسن من غيره، فوق حصول التعلم على العقل، فبه يتعلم وتحصل ثمرته، وهي الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وأكثر النسخ (يعتقد) بالبدال المهمة من اعتقد الشيء إذ اشتد، وفي بعض النسخ، وعليها شرح ملاً خليل، (يُعتقل) باللام على البناء للمفعول، (أي: يُحبس ويمنع من الفرار، وأصله من العقل)^(٢).

فاستبان لك من هذه القضايا المرتبة المتلازمة أن الطاعة وما تتوقف عليه، موقوفة على العقل فعلوه وشرفه حينئذ ظاهر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل».

[شرح تكملة الحديث: لا يؤخذ العلم من كل متصدّ له]:

أقول: بعد أن بيّن الغاية من نصيب الحق، وتوقف الطاعة على العلم والتعلم، بيّن هنا أنه لا يوجد العلم من كل متصدّ، ولا يتبع كل قائل، فإنه واسطتك إلى الله وشفيعك، وإنما يوجد ويجعل واسطة العالم الرباني، فلا علم إلا ما يؤخذ منه، وما يؤخذ من غيره ليس بعلم أصلاً، بل جهل وإن

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) الشافي في شرح الكافي: ٢٢٥/١.

سمّته العامّة علماً، وصاحبه عالم؛ لأنه لا علم لهم، وبين صراحة قوله ﷺ في الحاجة إلى الوسطة إذ لا علم إلا بها.

والإنسان لما كانت نفسه أولاً بالقوة احتيج إلى مخرج لها ضرورة، والسبب القريب العالم، والله المفيض والملهم الحقيقي، والفاعل عند السبب وبه، ولكن لا أن وزانه وزان إلا له متمم لها للمعلوم، ومن لطفه تعالى سبب الأسباب، وربط بعض الأشياء ببعض، قال الله تعالى: ﴿وَأَبْنَتْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١).

وغير خفيّ دلالة كلامه ﷺ على الاشتراط، الأخذ من واحد مخصوص، فلا يجوز الأخذ والتقليد ما لم يكن كذلك، بل يُنظر في حال من يأخذ عنك علمه ومن يقودك، والنص والعقل بذلك قائم. سبق بعض الكلام فيه، فراجع.

[ولا علم إلا من عالم الرباني:]

(وفي النهاية الأثرية: الرباني منسوب إلى الرب، بزيادة الألف والنون للمبالغة، وقيل: هو من الرب، بمعنى التربية، كانوا يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها.

والرباني العالم الراسخ في الدين أو الذي يطلب بعلمه وجه الله، وقيل العالم العامل المعلم.

وفي الصحاح^(٢)، والقاموس^(٣): الرباني، المتأله العارف بالله تعالى.

وفي الكشف: الرباني هو شديد التمسك بدين الله وطاعته.

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٢) الصحاح: ١/١٣٠، مادة (رب).

(٣) القاموس المحيط: ١/٧٠، فصل (الراء) مادة (الرب).

وفي مجمع البيان^(١): هو الذي يربّ أمر الناس، بتدبيره له وإصلاحه إياه^(٢).

ولما عرفت شرف العقل بتوقف الطاعة والنجاة على العلم، وهو على التعلم وهو على التعقل بيّن ﷺ من يوجد منه العلم وهو العالم المخصوص، ثم أشار إلى طريق معرفته ومعرفة العلم المأخوذ منه بأنه بالعقل، حيث قال: «ومعرفة العلم» إلخ، إذ أخذ العلم من العالم موقوف على ذلك، والتمييز بين الحق وغيره، وبين العالم الرباني وغيره يقع به، فتبين التوقف على العقل في الموضوعين، فحينئذ، فقول محمد صالح: إن قوله ﷺ: «ولا علم إلّا من عالم رباني»، جملة معترضة وقعت بين كلامين متصلين، معنى لنكتة [و] هي: التنبيه على أنه يجب على المتعلم أن يأخذ علمه من [العالم] الرباني. خاصة إذ المراد من العلم الإلهي [فظاهر]، ولا يستفاد إلّا من العالم الرباني^(٣) انتهى مختصر الأوجه له.

بل جملة مستأنفة لا اعتراضية، لبيان توقف معرفة العالم والتمييز بين الحق وغيره عليه أيضاً.

أمّا السابق فالغاية قوله: «والتعلم بالعقل» وبقية الحديث، لبيان من تؤخذ عنه، الذي [هو] باب الله، الذي منه يؤتى، إذ لا متعلم إلّا بعالم، والذي يعرف به الباب ويميّز.

ثم وتخصيصه العلم بالإلهي باطل، بل يعمّ الأصول والفروع، فلا علم مطلق إلّا من عالم رباني، ولا يعرف إلّا بالعقل المميز وإن اختلف التمييز حتى ينزل إلى شهادة الغير بعدالته أو شهرته بها فيأخذ عنه ويقلده.

(١) تفسير مجمع البيان: ٣٣٠/٢.

(٢) شرح أصول الكافي: ١٦٢/١.

(٣) شرح أصول الكافي: ١٦٢/١.

وما نقلناه سابقاً في معنى الرباني ظاهر في عدم اختصاصه به، بل لا علم مطلق إلا من عالم ربّاني. وستسمعه من النصّ في غير موضع.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، قليل العمل من العالم مقبول مُضَاعَف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود».

[شرح تكملة الحديث: العمل القليل من العامل بإخلاص]:

أقول: إنما كان قليل العمل من العالم مقبول دون الكثير من الجاهل لا القبول دائر مدار العلم بالعمل، ومن يعمل له والإخلاص فيه وكمال التوجّه، وليس بدائر مدار كثرته حسّاً، فالبقاء على العمل والإخلاص أشدّ.

ومعلوم حصول ذلك من العالم بخلاف الجاهل، فالقليل منه مقبول دون الكثير من الجاهل، وهذا صريح الدلالة على أنّ الأجزاء غير القبول، وقد سبق «إن نوم العاقل أفضل» وكذا إقامته.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن العاقل رضي بالدُّونِ مِنَ الدُّنْيَا مع الحِكْمَةِ، ولم يرض بالدُّونِ مِنَ الحِكْمَةِ مع الدُّنْيَا فلذلك رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ».

[شرح تكملة الحديث: العاقل رضي بالقليل من الدنيا]:

أقول: قد عرفت أنّ الدُّنْيَا زائلة دائرة، ذات غرور وخدع، وإنما حسبها إذا استعملت للآخرة، وكانت دنيا بلاغ حيثئذ، ولا شك أنّ هذا منها قليل، ولذا رضي العاقل بالقليل منها ولم يرض بالقليل من الحكمة، بل يطلب الزيادة دائماً، ففوق كلّ ذي علم عليم.

مبعثرات

وعنه عليه السلام: «منهومان لا يشبعان، طالب دُنْيَا وطالب دين»^(١)، ولم يرض بالعكس؛ لبوار غايته وخسران تجارته وعاقبة حياته، فلذلك ربحت تجارتهم في حياتهم الدنيوية ونجوا من العذاب لما آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا الشيطان بأنفسهم وأموالهم، وكيف لا تواتر الحكمة وبها حياة النفس وكمالها، كما أن بالجاهل وصفاته، الذي حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، موتها وهلاكها، فلينتبه الراقِد من نومة الجهالة، وليفك من خمر سكر الغواية، ولا ترض بطريق من أخلد إلى الدُّنْيَا واطمأنّ بها، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾^(٢)، واتبع هواه، فأردى آخرته وعقباه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إنّ العقلاء تركوا فضول الدُّنْيَا، فكيف الذنوب، وترك الدُّنْيَا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض».

[شرح تكملة الحديث: ترك فضول الدنيا]:

أقول: حث على ترك الذنوب بما يشتمل على شرف العقل، حيث لم يترك الأقوى والأحسن بدليل ظاهر، وهو أنّ فضول الدُّنْيَا وهو ما زاد عمّا يحتاج إليه في التعيش، وذلك بتفاوت المتقين، ومراتب التقوى تركوه، ولم يكتسبوا الزائد ولم يطلبوا السّعة فيها، وترك ذلك فضل غير واجب، فكيف الذنوب المهلكة للنفس، وتركها واجب، فترك المكروه الذي التقرب به من الفضل يقتضي حصول التقرب بالفرض بطريق أولى، بل لا يتحقق التقرب بالفضل إلّا بعد التقرب بالفرض، وإنما قال: وترك الدُّنْيَا، ولم يقل: فضول الدُّنْيَا؛ للتنبيه على أنّ المتروك هو الدُّنْيَا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا». نهج البلاغة

للشيخ محمد عبده: ٤/٤٦٨، رقم (٤٥١).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

وَلَهُوَ ﴿الآيَةُ﴾^(١)، ولا يصحّ كون الدّنيا المتروكة دنيا الغرور، فإن تركها من الفرض لا المستحب؛ لاشتغالها على ترك الواجب وفعل المحرّم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن العاقل نظر إلى الدّنيا وإلى أهلها، فعلم أنّها لا تُنال إلاّ بالمشقة، ونظر إلى الآخرة، فعلم أنّها لا تُنال إلاّ بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما».

[شرح تكملة الحديث: وجوب طلب الآخرة وترك الدنيا]:

أقول: أمّا توقف نيل الدّنيا وزخرفاتها على المشقة فظاهر في الحرث والتجارة وطلب الملوك وغير ذلك، ومع ذلك كلّه فهي في معرض الزّوال ونفسه في نصب ووبال.

وكذا الآخرة تحصيلها يحتاج إلى مجاهدة النفس، والصّبر في البأساء والضراء، ومرابطة الأعداء، وذلك صعب، فإذا احتاج تحصيل كل إلى ارتكاب المشاق، فلاّن ترتكب في تحصيل ما لا ينفد وما تحيي به النفس وتكمل أولى وأحرى، بل متعين.

وهذا البرهان في غاية الظهور، في وجوب طلب الآخرة وترك الدّنيا، وإنّما عُرف بالنظر الحاصل بالعقل، فليرغب العاقل، وليجدّ في تحصيل أبقاهما وأسلمهما. كيف والتعب للآخرة محمود العاقبة، ولا كذلك الدّنيا، وإنّما قال: «ونظر إلى الآخرة»، ولم يقل: (فيها وأهلها) كما قال في الدّنيا لوجهين:

أحدهما: إنّ الآخرة ومقاماتها وصفاتها ثابتة متأصلة، ليست بعرضيّة،

(١) سورة محمد، الآية: ٣٦.

فلم يذكر معها ما هو كالموضوع، بخلاف الدنيا، فإنها كسراب لا قرار لها، فذكر معها الأهل.

ثانيهما: إنه لا تنال الدنيا إلا بسلب بعض من أهلها، لأنها دار تزاحم وتظالم، بخلاف الآخرة، فإنها فسيحة لا ظلم فيها، ولكل ما يغنيه عن الآخر وعن جسده.

وقال محمد صالح في الشرح، لقوله ﷺ «ونظر إلى الآخرة»، (وإنما لم يقل هنا (وأهلها)، كما قال في قرينته للتنبيه على قلتهم، بل عدم وجودهم)^(١)، ولا يخفى ضعفه بل سقوطه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة؛ لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة، طلبته الدنيا، حتى يستوفى منها رزقه، ومن طلب الدنيا، طلبته الآخرة، فيأتيه [الموت] فيفسد عليه دنياه وآخرته».

[شرح تكملة الحديث: الزهد عن الدنيا والأعراض عنها]:

أقول: علّل الإمام ﷺ زهد العاقل في الدنيا، وأعراضه عنها؛ لحقارتها ورغبته في الآخرة: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢).

وطلبه له بأن العقلاء علموا أن الدنيا طالبة لغيرها؛ لتعلقها بالغير وانتظامها به، ولكل رزق يطلبه وقوت يقاته، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٣)، ولا تنافي في ذلك الأمر بالتكسب والمشى في مناكب الأرض

(١) شرح أصول الكافي: ١٦٧/١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٠، وسورة الشورى، الآية: ٣٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

كما أمر الله به، ومطلوبة لكل الخلق، وإن اختلفت جهة الطالب وغاية كُـلِّ، وطلبها ظاهر، والآخرة طالبة ملائكم.

وفي نهج البلاغة والحكمة من كلام علي عليه السلام: «الساعة أمامكم والموت يحدو بكم، تخففوا تلحقوا، إنما ينتظر بأولكم آخركم»^(١)، مع أن الدنيا دار التكسب، وتحصيل النجاة والاستباق والتنافس في الدرجات، فظهر وجه طلب الآخرة للدنيا، مع أن الآخرة غيب الدنيا وباطنها، وللباطن طلب للظاهر من وجه، وكذلك الآخرة مطلوبة للكل، المحسن الراغب فيها وغيره، حتى المنكر للمعاد، باعتبار الحركة الجبلية للكل، المقتضية لسوق السافل بالعالي، ورجوع الفرع على الأصل: ﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَوتَ الَّذِي تَفْرُوتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾^(٢)، فهو أمام وإلى الآخرة تنتهي الحركة.

فإذا كان كل من الدارين طالبة ومطلوبة، والدنيا زائلة فانية، طلبوا العقلاء الآخرة، ووجهوا سعيهم لها، وراقبوا الله في حركاتهم وسكناتهم، ولم يرغبوا في الدنيا؛ لأنها طالبة، فلم يفهم نصيبهم من المعاش وما يقتاتون به، ولم تفتهم الآخرة، بل قاموا بالنصيب الأوفر منها: ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(٣)، مضاعف الثواب؛ لأنها دار الحيوان، ولم يطلبوا الدنيا فينهمكوا في لذاتها وزخرفاتها، فالآخرة طالبة للكل المعرض عنها والراغب، فلا بد أن تدرك الراغب للدنيا فتفسد دنياه عليه بالموت وزوالها، ولا عقبى له حينئذ لإعراضه عن الآخرة، فقد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٤).

(١) ومن خطبة عليه السلام: «فإن الغاية أمامكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم. تخففوا تلحقوا. فإنما ينتظر بأولكم آخركم». نهج البلاغة (الشيخ محمد عبده): ٥٠/١، خطبة رقم (٢١).

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ١١.

فليتأمل العاقل أي الدارين أولى بالطلب والرغبة، وبما فسر الطالبة والمطلوبة في كل منهما. ويظهر وضوح العلة وتماमितها، على أنها الباعثة لكل عاقل ومميز على الرغبة في الآخرة، والإعراض عن الدنيا. وما قاله عن أكثر الشراح في بيانهما لا يخف من ضعف المطابقة أو تخصيص بغير. قال ملاً خليل في الشرح: «إنّ الدنيا طالبة» للزاهد فيها لإيفاء الرزق. و«والآخرة طالبة» للراغب فيها وللزاهد فيها [أيضاً لقبض روحه]. «ومطلوبة» للراغب فيها^(١) انتهى.

وقال ملاً محسن في الشرح^(٢): (طالبتة الدنيا، إشارة عن إيصالها الرزق المقدر إلى من هو فيها ليكونوا [فيها] إلى أجل المقرر، ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على أحسن أحوالها، وطالبتها الآخرة، عبارة عن بلوغ الأجل وحلول الموت لمن هو في الدنيا ليكونوا فيها، ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على أحسن أحوالها.

ولا يخفى أن الدنيا طالبة بالمعنى المذكور، لأن الرزق فيها مقدر مضمون يصل إلى الإنسان [لا محالة] طلبه أولاً ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٣)، و[إن] الآخرة طالبة أيضاً، لأن الأجل مقدر مكتوب كالرزق [مكتوب]: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ إِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^{(٤)(٥)} انتهى.

وكلام الشارح محمد صالح لا يخرج عن ذلك، والثاني مشارك للأول في بعض فتأمل.

(١) الشافي في شرح الكافي: ٢٢٧/١.

(٢) الفيض الكاشاني.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

(٥) الوافي: ١٠١/١.

نقل وتحقيق:

غير خفي أن حذف الإمام عليه السلام (الواو) من قوله: «الدنيا طالبةٌ مطلوبةٌ»، والإتيان بها في قوله بعد: «والآخرة طالبة ومطلوبة»، لا بدّ من نكتة فيه، وجميع النسخ المعتمدة وغيرها التي وقفنا عليها بالفرق، إلّا أن ظاهر عبارة ملاً خليل في الشرح وجودها، ونسخ (الوافي) بالفرق إلّا أنّه في البيان لم يتعرض للنكتة.

وقال محمّد رفيع الدين النائيني^(١) - نسبة إلى نائين، على وزن آمين، قرية من توابع إصفهان - الطباطبائي الحسيني في (حاشيته) على (شرح الأصول) في بيان النكتة (لا يَبْعُدُ أن يقال: الإتيان بالعاطف في الآخرة [بقوله: «الآخرة طالبة ومطلوبة» وتركه في] قوله: «الدنيا طالبة مطلوبة» للتنبية على أن الدّنيا طالبة موصوفة بالمطلوبيّة، فيكون «الطالبيّة» لكونها [صفة لا حقة بالطالبيّة] من الطوارئ التي ليس من حقّ الدنيا في ذاتها أن تكون موصوفة بها، فلو أتى بالعاطف لفاتت تلك الدلالة.

وأما في الآخرة فالأمران فيهما مرتبطان لا يفارق أحدهما الآخر ولذا أتى بالواو للدلالة على التقارن في أصل الثبوت لها)^(٢) انتهى.

وتصحیح الأول بأن الدّنيا تبعاً للآخرة وموصلة للغير، فهي بذاتها طالبة، وإنما طلبها السالك؛ لكونها منزلة من منازل السائر ومبلغة لغيرها، فترك العطف لذلك، لكمال اتصال الصفة بالموصوف.

وأما الآخرة فخلقها ذاتي، وكذا طلب الناس لها، بل هي غاية من الغايات الوسطية الثابتة مع الارتباط بينها وطالبيها، وهما جوهران، فعطف

(١) السيد محمد رفيع الدين محمد بن حيدر الحسيني الطباطبائي النائيني الإصفهاني، المعروف بـ (الميرزا رفيعاً).

(٢) الحاشية على أصول الكافي: ٥٤/١.

بينهما بـ (الواو) الدالة على التشريك، لكن لك أن تقول: لكمال الاتصال بين الآخرة وطالبها جهة كون الأولى عدم العطف، ولما كان جهة طالبية الدّنيا غير مطلوبيتها مع الاتحاد من وجه كان الأولى العطف، فإن مطلوبة كل لاحقة باعتبار إضافتها لغيرها.

وقال محمد صالح في الشرح: (وفي ترك عطف «مطلوبة» في الأول دون الثاني تنبيه على [أن] المتحقق من نسبة الطالبية والمطلوبة^(١) إلى الدّنيا والواقع منهما في نفس الأمر هو المطلوبة، بناء على أن النفي والإثبات في الكلام راجعان إلى القيد، كما هو المقرر في العربية، ووجهه ظاهر لظهور أن الناس كلهم إلا من شذّ طالبون للدّنيا بخلاف نسبتها إلى الآخرة، فإن طالبيتها أيضاً متحققة في نفس الأمر، هذا إن جعلت «مطلوبة» صفة «لطالبية» وقيداً لها، وإن جعلت خبراً بعد خبر كما هو الأنسب بالقرينة الثانية فالوجه في ترك العطف هو الإيماء إلى كمال اتصال مطلوبة الدّنيا بطالبيتها، ونهاية ربطها بها، وعدم افتراقها عنها، باعتبار أن الدّنيا في الواقع مطلوبة للكل، فلا حاجة هنا إلى رابطة مستفادة من العطف بخلاف مطلوبة الآخرة، فإنه لا اتصال بينهما^(٢) وبين طالبيتها؛ لوقوع الافتراق بينهما باعتبار قلة طالب^(٣) الآخرة، فاحتيج في ربط إحداهما بالأخرى إلى العطف هكذا. فافهم^(٤)).

لكن طالبية الدّنيا متحققة في نفس الأمر ظاهر، ووقوع المطلوبة لها قسمان: قسم ظاهر خاصة ولا تحقق له في نفس الأمر، بل المتحقق غيره، وهو من دنياه، دنيا بلاغ، وآخر بخلافه، وهو من دنياه، دنيا غرور، مع

(١) في المصدر: والمطلوبة.

(٢) في المصدر: بينها.

(٣) في المصدر: طلب.

(٤) شرح أصول الكافي: ١٦٨/١.

أنك لو تأملت لم تجد للدنيا تأصلاً في نفس الأمر، وإن تخيلها الجاهل شيئاً وغرته، وحينئذ لا يخفى ما في الثاني، بل الظاهر أنه لكون الآخرة رتبة طالبيتها غير مقام ورتبة مطلوبيتها في دار التكليف وظاهر الملكوت، وطالبيتها باعتبار انقطاعه ومقام غيب الملك، فعطف بجهة المغايرة، وإن ارتبطا من وجه وإلا لما صحَّ العطف أصلاً؛ لاشتراط عدمه التباين مطلقاً. والاشتراك من وجه في صحة العطف ولا كذلك الدنيا، فإنها مقام واحد وفعل واحد ظاهراً، وإنما تختلف بالنية والتعدد، وإن تعدد ظاهراً بعض أفاعيلها مما كان لها أو للآخرة، فإنه^(١) يتحد مع آخر بوجه. فتدبر.

وكذا لو جعلت خبراً آخر فهما بمعنى واحد، فالتعدد في اللفظ خاصة، فلا عطف، كقولك: الرمان حلو حامض، بمعنى مرّ، فلذا ترك العطف في الأول دون الثاني.

تنبيه:

قال محمد صالح: (ثم الطالبة والمطلوبة في كلّ واحدة من الدنيا والآخرة يمكن أن يتصور^(٢) على وجهين: أحدهما: أن كلّ واحدة منهما^(٣) متصّفة بهما مع قطع النظر عن الأخرى. وثانيهما: إنّ كلّ واحدة منهما طالبة عند كون الأخرى مطلوبة، ومطلوبة عند كون الأخرى طالبة.

والوجه الثاني هو المراد هنا، كما يرشد إليه قوله ﷺ: «فَمَنْ طَلَبَ الآخرة طلبته الدنيا»^(٤) الحديث.

(١) ساقطة من نسخة (ب).

(٢) في المصدر: تتصور.

(٣) يعني: الدنيا والآخرة.

(٤) شرح أصول الكافي: ١/١٦٨.

لكن ظاهر للفظن، أن الدنيا لا يمكن اتصافها بهما لذاتها فإنها ظل وتبع.

وفي النص «الدنيا والآخرة ضربتان بقدر ما قربت من أحدهما بعدت عن الأخرى»^(١)

وأيضاً الدنيا طالبيتها بما فسرناه لك، متحقق عند كون الآخرة مطلوبة وغير مطلوبة، وحينئذ يحسن كونه العلة الباعثة على زهد العاقل في الدنيا ورغبته في الآخرة، لأن حاجته منها لا تفوته لطلبها عموماً، وما توهمه من كون باقي قوله ﷺ يرشد إليه فبالعكس كما يظهر لمن تأمل كلام الإمام ﷺ من أوله.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، من أراد الغنى بلا مالٍ، وراحة القلب من الحسد، والسَّلامة في الدين، فليتضرَّع إلى الله (عز وجل) في مسألتِهِ، بأن يُكمل عقله؛ فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه، لم يدرك الغنى أبداً».

[شرح تكملة الحديث: الغنى بالعقل]:

أقول: غير خفي أن الغنى الدنيوي، أي بالمال، سواء كان بمعنى المالك لمؤنة السنة مثلاً من غير زيادة أو مع الزيادة والنفرة فيما لا حاجة له به، ولا يلزمه عقاب أو معه - والعياذ بالله - لا يخفى صاحبه من حسد الغير له؛ لنظر أهل الدنيا إلى حطامها، وحرص كل على أن لا يشارك فيها، خصوصاً الخالي منها، فيكون حاسداً محسوداً، ولا يؤمن عليه أيضاً من سلامته في دينه للحسد، ولشدة الحرص على طلبها بأي وجه كان، حتَّى

(١) عوالي اللآلي العزيزية: ٢٧٦/١.

يكون غنياً فيصرف حينئذ فكرته وقوى نفسه في اكتساب الدنيا والانهماك فيها.

ولاشك أن المستغني كذلك مع ما هو عليه من الحسد والتعدي وخوف قلبه وتعبه على ما به استغنى، وكان غنياً حذراً من أن يسلبه إياه أحد فيرجع فقيراً، فدائماً في المراقبة والمحافظة عليه، ومداراة الناس، وقد يشاركونهم في أفعالهم الذميمة لسلامة دُنياه، فتفسد عليه حينئذ دُنياه وآخرته، ليس بغني، بل فقير ناقص ذاتاً، إذ غناه بغيره الذي هو الدرهم، والدنيا ولا كذلك، الغني بالعقل، فإنه يوجب الرضا والقناعة التي هي كنز لا يبلى، فلا يأس على ما فات، ولا يفرح بما هو آت، ولا يثق بما عنده، فنفسه في راحة وكذا غيره؛ لعلمهم بأنه غير مزاحم لهم على جيفتهم الدنيوية الدنية، فتسلم له حينئذ دُنياه وآخرته.

ولا شك أن هذا الغنى ذاتي، حافظ لك لا بالعكس، فمن أراد الغنى كذلك فليتذلل إلى الله ويدعوه بقلب مخلص مستعد في مسأله، بأن يكمل عقله.

ولمّا لم يخل أحد من العقل الهولاني، وهو قابل للشدة والضعف قال ﷺ: «يكمل» وأشار إلى شروط الدعاء، وتوقف الإجابة على الدعاء بتوجه قلبي، لقوله ﷺ: «فليتضرع»، وأشار ﷺ بقوله: «فمن عقل قنع» إلخ، إلى سلامة الغنى بالعقل الكامل، من صفات الغنى بالمال مع خلوة من غنى العقل، فليس الغنى إلا الكفاية، والقناعة لازمة العقل، سواء كان بمعنى حسن تدبير المعاش والاقتصاد، أو بما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان، والعاقلة كذلك، والقناعة كنز لا يفقد، وهذا هو الغنى التام، وهو الفقر إلى الله.

والغنى بالمعنى الأول غير قانع بما عنده، بل دائماً في طلب زيادة المال، فهو فقير دائماً وفي الحاجة، ولو فرض له ملك الدنيا، وحينئذ يظهر

أن لكل من الغنى والفقر معنيان متقابلان، قال ﷺ: «الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء ﷺ»^(١)، وقال ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٢)، وهو مقابل المعنيين، وهو الفقر لغير الله.

وقال عيسى ﷺ لأصحابه: «يا معشر الحواريين لأنتم أغنى من الملوك، قالوا: وكيف يا روح الله؟ وليس نملك شيئاً، قال: أنتم ليس عندكم شيء ولا تريدونه، وهم عندهم أشياء ولا تكفيهم»^(٣).

وكلامه ﷺ يومي إلى الحركة الجوهرية بالاستكمال الذي هو خروج بالقوة إلى الفعل، لكنها إنما تكون بمحرك خارجي لاستحالتها عن المحل بذاته، فهو قابل.

ومن كلمات عليّ ﷺ في النهج: «أغنى الغنى العقل»^(٤)، وقال ﷺ: «أحمق الحمق الفقر».

[تكملة نص الحديث]:

قوله ﷺ: «يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾»^(٥)، حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها.

(١) عوالي اللآلي العزيزية: ٣٩/١، حديث رقم (٣٨).

(٢) المصدر السابق: ٤٠/١، حديث رقم (٤٠).

(٣) ذكر هذا الحديث الملا محمد صالح المازندراني في شرح أصول الكافي: ١٧٤/١.

(٤) قال ﷺ لابنه الحسن ﷺ: «يا بني، احفظ عني أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت معهن: إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حُسن الخُلُق...» نهج البلاغة: ٧٧٩/١، خطبة رقم (٣٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨.

[شرح تكملة الحديث: الطلب من الله الرحمة والمعونة]:

أقول: تزيع: بفتح التاء المثناة من فوق، من زاع، بمعنى مال عن الطريق.

والردى: بفتح الراء المهملة مقصوراً، الهلاك، فهي من ردى فلان، بالكسر يردي ردياً، إذا هلك أو من ردى الدابة في البئر، إذا سقط فيها، أو من ردى فلان في الأرض إذا ذهب وتاه فيها، وهي متقاربة.

وطلبوا من الله الرحمة والتثبيت، فإن المعونة والرحمة بمدده، وتأنيده، وإنما علموا ذلك؛ لأن القلب يتقلب، ومقلب فيه الصور بما يرد عليها من الجوارح والقوى والزيع وغيره مما يمكن لكل فرد.

والدعاء: أصل العبادات ومخّها وأفضلها، فلذا طلبوا منه ذلك حذراً من سوء العاقبة لا لشك مما هم عليه، وهكذا الممكن في التنقل دائماً، وإن كان المؤمن في يقين أن ما هو عليه هو الحق وسبيل النجاة، وسالكة ناج.

ولكنه مختار، والدّاعيان يتواردان عليه، فهو يخاف من غلبة داعي الهوى مع خفاء العاقبة، فصَحَّ للصالحين سؤال ذلك، ولا يلزم من هذا الطلب أن الله يخرج من النور إلى الظلمات.

ونسب الزيع له من جهة التخلية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، والله يعامل كل واحد بعمله، بل وليهم الشيطان، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(٢)، والله يولّيه ما تولى، ويطبع عليه بكفره، ويصوره بعمله، وهو مقتضى العدل التام الكامل، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣)، فالطاعة من الله وبالعبد، ففاعله العبد بالله، أي بفعله

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤.

المنسوب إليه، والمعصية من العبد وبالله، فنسب إلى فعله المنسوب له لأنه فعلها بفعل العبد - وسيأتي تحقيق ذلك في مجلد العدل - ولأنه لا بد من الاختيار بالتكاليف ليتحقق إيمان الكل^(١)، ويخرج الأضغان ويحيي من حي عن بينه، ويهلك من هلك عن بينه، والصالح يحذر خلاف ذلك في قلب الأحوال عليه، ويسأل الله ويلتجئ إليه في ذلك. وليس للأشاعرة تمسك في هذه الآية على باطلهم من القول بالجبر - كما سيأتي في محله - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾^(٢)، مع أن الإنسان دائماً متعلق بنوري الخوف والرجاء، ولو غلب عليه أحدهما هلك، فيصح له هذا القول.

فقوله: ﴿لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ نظر إلى الأول.

وقوله: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ نظر إلى الثاني، والمرجع لواحد، فتدبر.

ولا ينافي الحصر في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَاقِبُ﴾ ثبوت وسائط، وأبواب فيض؛ ومرجعه لمحمد ﷺ وآله ﷺ، فهم هبة، ومن بهم الهبة، ونسبه لنفسه تعظيماً وتشريفاً وتنوياً لإبطال غيرهم، فهم أولياء جور وضلال، والهبة مقام عطاء وفعل، وهي تدل على الموصوف، وصفة الفعل قائمة بالفعل، وبالله قيام صدور وافتقار. فإذا كان طلبهم لله فهو له وطلب له وعبادته، ولغيرهم طلب غيرهم ضلال وليس لله، فليحاذر العاقل وليشهد في بقاء أعظم نعمة ولا يستعجل نقمه ويحفظها بحسن الأقوال والأفعال والمراقبة، فإن القلب يتقلب، وهو معترك الداعين، وليطابق مقتضى فطرته بحسن قبوله وتزكية نفسه، واجتناب داعي الشيطان لا يزله عن مقتضى فطرته، وهي الصفة التي تعرف بها الله لخلقه، فيثبت على ولايتهم ومحبتهم، والبراءة من أعدائهم، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ﴾^(٣).

(١) في النسختين: كل.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

وفي (الكافي) حديث علي بن زيد بن عقبة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في سؤال ملكي القبر للميت، فإذا أجاب، قال له: ثبتك الله فيما يحب ويرضى، وهو قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١).

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام: «إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله ذلك، وذلك قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية»^(٢)، ونحوه كثير، سيأتي في مجلد المعاد.

[الغواية في الآخرة]:

وهنا إشكال: وهو أنه كيف يتصور غوايته في الآخرة، وقد خرج من الدنيا مؤمناً.

قلنا: أمّا عند الموت فهو بعد في دار التكليف ولو حين النزاع، وفي الآخرة يقع بحسب الإمكان قبل نهاية التصفية، مع أنه ليس من المستحيل إلّا بمقتضى المشيئة، فيصح الدعاء، والله أن يتصرف في عباده كيف يشاء، وإن استحالت بعض الأفراد بمقتضى المشيئة وما وعد، فالدنيا محل التغير الكوني وفي الآخرة الإمكان، والدنيا والآخرة في قبضة الله، ودعاء منكر ونكير بالثبوت من قبيل الثاني.

ويحتمل كونه من قبيل الأخبار وطلب ثوابه له، ولكون الدعاء من الأعمال الصالحة، فهو الركن الأعظم، أمروا بالدعاء، ومن سلم من التغير في دار الدنيا إلى أن خرجت روحه سلم من التغير والانقلاب أن كان ممن

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٥٢/١، كتاب الطهارة، باب: غسل الميت، حديث رقم (٣٦٠).

محض الإيمان أو محض الكفر، ومن لم يحضهما، حكمه موقوف إلى أن يبلغ رتبة المحض، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة.

ولكون القلوب قد تزيج وتتقلب أمر أهل العصمة شيعتهم أيضاً بأن يقولوا كل يوم: «يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك ودين نبيك ﷺ»^(١)، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»^(٢).

ولا قوام للممكنات إلا بأمر الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة، إلا أن لزوم الصفات لموصوفها يتفاوت، فإن كان بمقتضى صفة الفطرة الوجودية فانفكاها بعيد وإن أمكن، ولهذا في التكليف الأول في قبضة أهل اليمين لم يستثن فيهم لمطابقتها الأصل الثابت، واستثنى في قبضته أهل الشمال لمطابقته للشجرة المجتثة، وكل نعمة فمن الله تفضلاً، ولذا سأل الله أن يثبته إلى الموت، فيستقر مقره تفضلاً منه ورحمة.

والمراد بالهداية المطلوب البيان عليها الولاية، وهي في الابتداء الولاية التصويرية، كما هي المرادة في خمس الصور الآتية، للميت في القبر - وسيأتي في مجلد المعاد - وفي النهاية، ونفس الأمر الولاية المطلقة لقوسي البدء والعود فعلاً وقوة واعتقاداً، وسائر الأحوال، فهي أصل كل خير وفرع، ومعدنه ومأواه ومنتهاه، فتدبر - وسيأتي بيانه في مجلدات الحجة، إن شاء الله -

ولمحمّد صادق، تلميذ الملاً الشيرازي هنا كلام، مشتمل على هفوات، أعرضنا عنه اختصاراً.

(١) في المصدر: ودين ملائكتك.

(٢) مصباح المتعبد: ١٣٢.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «إنه من لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله، لم يعقد^(١) قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأن الله - تبارك اسمه - لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه».

[شرح تكملة الحديث: الظاهر مرآة الباطن]:

قوله: من لم يكن عقله العلمي والعملية مأخوذ عن الله باتباع أنبيائه ومن أقامهم مقامه لم يخف الله؛ لأنه حينئذ تبع هواه ومشتهاه فلا يقين له. وعقد قلبي على معرفة وثبات على يقين، ولمّا كان ذلك غيباً ومن صفات العقل ولا يظهر في الشهادة إلا بوسائط ومراتب النزول بما ظهر بها في مقامها، ومن مراتب الإدبار - كما عرفت - وجب الربط بينها والدلالة عليه بظاهرها.

وعن الرضا عليه السلام ما معناه: «ولا ينال ما هناك إلا بما هنا»، فأصله ومعناه هناك، وصورته وظاهره القول والفعلي هنا، ويدلّان عليه، ولا يمكن الاستدلال على الباطن الخفي إلا بظاهر منه، كما قال عليه السلام، وهذه من جوامع الكلم، وبسط ما تضمنته يحتاج إلى مجلد ضخم.

ومعلوم أن مقام الموعظة ظاهر الحكمة، وهو باطن الجدال الحسن، والشرعية ظاهر الطريقة، فما في المعاني هو ما في الصور صورة، وهو ما أخذ في الإقرار اللساني والأفعال الظاهرة، وفي ذلك من الإبطال لكثير من مسائل الكلام والحكمة النظرية ولطريقة التصوف - كما سيأتي متفرقاً كما لا يخفى - وذلك لتركهم الأخذ عنهم عليهم السلام والرد إليهم.

(١) ورد في النسختين: يعتقد.

وهو بعد أن بين صفة الصالحين من الخوف والرغبة وشدة المحاذرة بين هنا أن من لم يكن علمه وطريق تمييزه عنه تعالى لم يخف الله، إذ علمه ليس منه مأخوذ، فلا يبالي أثبت على الإيمان أو الكفر والطغيان.

نعم، من علمه عن الله بغير واسطة أو بواسطة قريبة أو بعيدة حتى من العالم الرباني فيما يجوز التقليد فيه، فإنه لا يؤخذ إلا ممن يعرف بأنه ينطق عن الله ويأخذ عن رسوله ولو بالدليل الإجمالي لا محال يتحقق فيه نور الخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(١).

وقال ﷺ: «أشد الناس خشية الأنبياء ﷺ ثم الأولياء» الحديث^(٢).

وقال ﷺ: «أنا أخشاكم»^(٣).

فلا محال يلزم الأعمال المنجية ويترك المهلكة، فمن رجا طلب ومن خاف هرب^(٤)، ومن لم يعقل عن الله تعالى لم تحصل له عقيدة قاطعة، ومعرفة ثابتة، يعقد عليها قلبه ببصيرته النورية المحصلة لها، إذ لا بصيرة له فلا يحد حقيقة الإيمان في قلبه وتشرح له نفسه، حتى يشاهد الملكوت، ويصبر على البأساء والضراء في الشدة والرخاء، بل يكون دائماً يتقلب في الأهواء، أينما الريح تميله يميل كخامة زرع، ولا يتحقق الخوف الذي هو ميزان العلم وحسن العقيدة وثباتها، أي عاقل عن الله إلا لمن كان قوله

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة». بحار الأنوار: ١٩٤/٨١.

(٣) رسول الله ﷺ: «أما والله إنني لأتقاكم لله، وأخشاكم له». (راجع: صحيح مسلم: ٧٧٩، باب (١٢) بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، حديث رقم ((٧٤)).

(٤) قيل له ﷺ: «قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. فقال: هؤلاء قوم يترجعون في الأمان كذبوا ليس يرجون، إن من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه». (راجع: بحار الأنوار: ٢٤٥/٧٨).

مصدقاً^(١) لفعله وسره لعلانيته، فلا علم إلا بعمل فإن لم يجبه ارتحل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ﴾^(٢)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية^(٣)، ولا عمل إلا بعلم وإلا فهو وبال، وما يفسده أكثر مما يصلحه، فلا عمل إلا بعلم به وبمن عمل له.

واعلم: إن الإمام عليه السلام لما أرشد ودلَّ على أنَّ الخشية الموجبة للعمل لا تنفع بدون عقل، وأخذ عن الله، ولا يحصل حينئذ اليقين، فلا تحصل الخيفة والثبات القلبي إلا لمن عقل عنه، بين أنَّ علامته والدليل المرشد له حتَّى يؤخذ منه ويعمل بقوله، ويثبت هو عليه، ويحاذر من سوء العاقبة، من كان قوله اللساني - مثلاً بأن الواجبات تؤتى والدنيا غرور وغير ذلك - موافقاً لفعله، ففعله كذلك، وإلا فويل لمن كذَّبه فعاله، ومن يوصف عدلاً ولا يعمل به، وهو غير مؤتمن، فلا يؤخذ منه، بل هو من أتباع الدنيا ومن تعلم لزخارفها ورئاستها، وكذا سره لعلانيته لا تخالف بينهما، فذلك شاهداً عدلٍ على أن دعواه الإيمان وإنه عالم عن الله حق. ويعرف ذلك إما بالمداخلة أو بشهادة عدلين أو شهرة مثمرة.

ثمَّ بين عليه السلام لهشام دليلاً عقلياً جلياً على ذلك بقوله: «لأن الله تبارك اسمه» إلخ، لأنَّ العقل عن الله وصحة النظر باطن وغيب، وإنما يستدل عليه بالظاهر فإنه لازم له وفرعه، فوجوده دليل وجوده، ويأنس منه، فيدل على وجود أصله ومحتده، إذ لا طريق لإثبات الباطن والدلالة إلا ذلك، ولا لسان يعبر عن العقل غير ذلك، وأشار بقوله بظاهر منه إلى العلانية، فإنها موافقة، وبقوله: «وناطق» عن العقل إلى قوله المشروط بموافقة لفعله.

(١) في النسختين: مصدقاً.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

وقد دل هذا الحديث على مسائل قائم دليلها عقلاً ونقلاً، إن كل علم خارج عن غير أهل العصمة باطل، واشتراط النظر فيمن يؤخذ منه، حتى فيما يجري فيه التقليد، وتنزيه اسمه تعالى، فإن اسمه غيره، وهم ﷺ أعظم أسمائه كما روي^(١) في تفسير: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢)، وتنزيههم - هو ببركتهم - من الربوبية وعن الحظوظ البشرية إلى ذلك، ولا ينافي ذلك المتبقي، فإن فعله مخالف لعلانيته؛ لأن ذلك ضرورة ومشروط بشروط ولها طريقة ومجرى، فلا مخالفة، فهي من الدين - أيدنا الله وإياكم بتأييده، وجعلنا ممن نصّح الدعوى بالشهداء، ببركة محمد وآله النجباء - وعنهم ﷺ: «لا ظاهر إلا باطن ولا باطن إلا بظاهر»^(٣).

وفي رواية يونس في توحيد الصدوق، ما معناه: «والروح بلا جسد لا ظهور له وإحساس به».

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، كان أمير المؤمنين ﷺ يقول: ما عبد الله بشيء»^(٤) أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان^(٥)، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف.

(١) الكافي: ٣٥١/١، كتاب التوحيد، باب (٢٣) النوادر، حديث رقم (٤/٣٦٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠

(٣) قال أبو عبد الله ﷺ: «يا هشام التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر». (راجع: بصائر الدرجات: ٥٣٦، باب (٢١) فيه شرح أمور النبي والأئمة في أنفسهم والرد على من غلا بجهلهم ما لم يعرفوا من معنى أقاويلهم، حديث رقم (٥)).

(٤) في النسختين: شيء.

(٥) في النسختين: مأمونان.

[شرح تكملة الحديث: العقل المميز أصل الخيرات]:

أقول: غير خفي أن عبادته تعالى بأنواع العبادة الظاهرة متوقفة على حصول القوي والتميز فلا غنى عنه، والعقل المميز النظري أو الفعلي أصل الخيرات، والمقرب لأعلى الدرجات، والمنقذ من ظلمات الجهالات، فلا شك أن التقرب به أفضل التقربات، وكذا عبادته تعالى به، فتكليفه المعرفة واليقين، وهو منشأ الخيرات، وعنصر الكمالات، فصاحبه مستضيء لا يستوحش دائماً.

[صفات ودرجات العقل]:

ثم بين ﷺ صفاته وأشار إلى دلالته؛ لشدة جامعيته الكمال وارتباط كثير به، ولذا يكون له فضل نوري يفيضه على غيره، ويشفع فيه، ولكل درجات مما عملوا، وله صفات شتى متفرقة بحسب البيان والتفصيل وإن جمعتها صفة.

[الكفر والشك]:

أولها وثانيها: إنه لا يكفر بالله؛ لكمال قوته النظرية، حتى وصل صاحبه لرتبة اليقين واطمأن به، فلا يسمع حقاً إلا عرفه ولا باطلاً إلا نكره، فلا يشك فضلاً عن الكفر، ولكن الشك هنا كفر، وكذا مأمون منه الشر، فلا يفعل القبائح كمثل المحرمات، ولا يترك الواجبات، وكيف يعمل الشر وقد كمل في القوة العملية.

[الرشد وبذل الخير]:

ثالثها ورابعها: تأميل الرشد منه، لمعرفة الله ورسوله واليوم الآخر، وطريق سلوك النفس، وكيف لا يكون وبذل العلم وإصعاد السافل واجب، وقد تمكن منه، وهو لا غنى فيه، وكذا الخير أي الأعمال الحسنة، كبذل الجاه وخفض الجناح، فهو لفظ للأمور الحسنة كالشر للقيحة.

[البذل من فاضل المال]:

خامسها: بذل فضل المال، أي الزائد على ما يحتاج إليه للمحتاج، وكيف لا يبذل وهو بما عند الله أوثق: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا﴾^(١)، مع أن فيه عيلولة لبعض مخلوقاته واستدعائهم له؛ ليصادفوا رشدهم مع عدم وثاقته بالبقاء، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ﴾^(٣)، والناس يتفاوتون في ذلك، ويدخل في ذلك الزكاة الواجبة أيضاً، فمن أدى ما افترض الله عليه لم يعد بخيلاً، ولكن الاستباق درجات.

[الصمت]:

سادسها: عدم نطقه إلا بذكر أو حكمة، فما لا فائدة فيه مثمرة لا ينطق به، بل يحفظ لسانه عن القيل والقال، ولا شك أن ذلك من صفة العاقل والحكيم.

قال ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه فالتار أولى به»^(٤).

فلا يتكلم إلا بعد التروي والاحتياط، وإلا فهو أسير لسانه بعد أن كان أسيره، كيف والكلام من عمل المتكلم، فلا يعمل إلا خيراً أو يصمت.

ومعلوم أن صيرورة اللسان يقع للعقل أولى من العكس، بل ذلك منشأ الهواء.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٠، وسورة الشورى، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٧.

(٤) الجنة والنار في الكتاب والسنة: ٦٠١، حديث رقم (١٥٢٢).

ومن كلمات علي عليه السلام: «رحم الله امرأ قال خيراً فغنم أو سكت فسلم»^(١).

ومنها: «اللهم اغفر لي رَمَزَاتِ الأَلْحَاطِ، وسَقَطَاتِ الأَلْفَافِ، وسَهَوَاتِ^(٢) الجنان، وهَفَوَاتِ اللسان»^(٣).

وقال عليه السلام: «إذا تم العقل نقص الكلام»^(٤)، وذلك لتوقف نطقه حينئذ على شروط زائدة كالتروي ونظر الغاية وغير ذلك.

ولذا قال من كلماته عليه السلام: «المرء مخبوءٌ تحت لسانه فإذا تكلم ظهر»^(٥)، وقال: «تكلّموا في الحكمة - وفي نسخة: العلم - تَبَيَّنْ أقداركم»^(٦)، وفي ذلك دلالة على دلالة النطق على العقل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ونصيبه من الدنيا القوت»، لا يشبع من العلم دهره، الدُّلُّ أحبُّ إليه مع الله من العِزِّ مع غيره، والتَّوَاضَعُ أحبُّ إليه من الشرف، يستكثرُ قليلَ المعروف من غيره، ويستقلُّ كثيرَ المعروف من نفسه، ويرى [النَّاسَ] كُلَّهُم خيراً منه، وأنه شرُّهم في نفسه، وهو تمامُ الأمر.

[شرح تكملة الحديث: بقية الصفات]:

هذه بقية صفاته:

- (١) وردت هذه العبارة في مصادر العامة عن رسول الله ﷺ.
- (٢) في النسختين والمصدر: وشهوات، والصواب ما أثبتته أعلاه، والسهوات هي الغفلات.
- (٣) نهج البلاغة (الشيخ محمد عبده): ٧٨/١، (٧٨) ومن دعاء له عليه السلام.
- (٤) المصدر السابق: ٤/٤١١، رقم (٧١).
- (٥) البرهان في تفسير القرآن: ٢٢١/٧، حديث رقم (٦) في تفسير: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ سورة محمد، الآية: ٣٠.
- (٦) الكافي: ١/١٢٥، باب (١٦) النوادر، حديث رقم (١٤/١٤١).

مبعثرات

[العاقل ونصيبه من القوت]:

الأولى: الاقتصاد وعدم اغتراره بالدنيا في مطعم أو غيره، وإنما يأخذ منها مقدار ما يقتات به، ولا يستغني عنه - بما سبق - من بذله فاضل ماله، فإن هذا يدلُّ على اقتصاده فيما يأكل، فهو يضيق على نفسه ويعدّ الزائد فضلاً، ويدخل فيما يقتات به يحصل بقاء جسمه للعبادة، وما يصلح به حاله مع أبناء نوعه، وكذا مداخلته بما لا يضرّ به.

وغير خفي ضرر كثرة الأكل، فقد يورث التخمّة، والأمراض المفسدة للبدن مع ما ينتج منه من ترك العبادة، وكذا ورد: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»، مع جذب ذلك لشدة الحرص، وتقوى شهوته الحيوانية التي هي منشأ القوى السبعية والبهيمية، ولذا كان الصوم، وجاء له مع ما فيه من التشبيه بالملائكة في الجملة.

ومعلوم: إن من كثّر تفكره ونظره واعتباره ضعف طلب الطبيعة منه؛ لما يستدعيه طبعاً، وكانت طوعاً للقوى النفسية المطيعة لعقله فتشتغل بذلك عن كثرة الأكل، ومثاله ونظيره مشاهد في أفراد الناس.

[العاقل لا يشبع من العلم دهره]:

الثانية: إنه لا يشبع من العلم في مدة دهره وزمان وجوده، إذ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، فلا يصل لرتبة إلا طلب ما فوقها، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢)، وقل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(٣)، كيف وكلما ازدادت النفس علماً ازدادت قوة وفعالية، فيشتد طلبها، فتطلب الزيادة عكس القوة الطبيعية وغذائها الحسي، فلما كثّر ضعف فعلها، فدل أن العلم غذاء

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

النفس، كما ورد في تفسير الطعام من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(١) بعلمه^(٢).

وعنهم عليه السلام: «رَوِّحُوا أَنْفُسَكُمْ بِبَدِيعِ الْحِكْمَةِ»^(٣).

وهذا أقوى الأدلة على مغايرة النفس للبدن وسائر أجزائه، وإنها مجردة، كما عليه المتألهين، وهو ظاهر كلام سادات الأولين والآخرين.

ومن كلمات علي عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب دين»، وعرفت وجهه، لعدم تناهي العلم اليقين، ولا ينفيه طلب الزيادة، ولا ينافي دثور الدنيا وزوالها وانقطاعها، وعدم الشبع لطالبها، ثم ولا ينافي عدم تناهي العلم حصول اليقين، ولا ينفيه طلب الزيادة، فلا منافاة بين قول علي عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٤)، وقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥)، وهو ظاهر، وإن كان للعلماء هنا وجوه للجمع ضعيفة - ليس هنا موضع البيان - قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٦).

[العاقل الذل أحب إليه مع الله:]

الثالثة: صفة التواضع والذل لله، فهو منقاد لأوامره ونواهيه، لا يستكبر، وكيف يستنكف المملوك على مالكة، وإنما عزَّ العبد بانقياده لأوامر سيده ونواهيه وعدم عصيانه له، ولا شك حينئذ أن الذل مع الطاعة له أحب إليه من العز مع مخالفته وطوعه لغيره، واتباعه لهواه، إذ ذلك الذل عز، وهذا

(١) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٢) المحاسن: ٢٢٠، باب (١١) الاحتياط في الدين والأخذ بالسنة، حديث رقم (١٢٦).

(٣) آداب المتعلمين: ٤/١.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ٣٨٠، وإرشاد القلوب: ٢٤٧/١، الباب (٣٨) في مدح الموقنين.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) سورة النحل، الآية: ٩٦.

العزّ ذلّ، فإني منقطع بيد أمر الله، فهو يقبض ويبسط مع انقطاع محن الدُّنيا وبلائها، فلا يعدّها المطيع ذلاً وإن تحمل مشاقها، بل هو من البلاء الحسن، كيف و«الدُّنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، فهل يجد المسجون راحة.

وعنه عليه السلام: «حُفَّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات»^(١).

[العاقل التواضع أحب إليه من الشرف]:

الرابعة: حبه التواضع على الشرف، فمن تواضع رفعه الله ومن استكبر أذله^(٢)، وإلى أين يبلغ ابن آدم بتكبره وهو مفتقر لغيره، لم يبلغ الجبال طولا، وقال علي عليه السلام: «لا حسب كالتواضع»^(٣). وسيأتيك زيادة تفصيل هذه الصفات في حديث الجنود.

[العاقل يستكثر قليل المعروف من غيره]:

الخامسة: إن العاقل مع كمال قوته العلميّة والعملية لا يرى لعمله محل ولا يستكثره، ويرى عمل غيره كثير وإن قلّ صورته، وذلك لحقارة ما يعمل العاقل بالنسبة إلى جناب القدس، فدائماً يراه في قصور وعدم الاعتبار، وإن جدّ واجتهد في عدم ملاحظة الأغيار، كيف والعمل يستلزم عملاً آخر مع خفاء عاقبة الأكثر على نفسه فيتخوف منها، مع احتمال وقوع مبطل أو خطأ من كلمة ولو حقيرة، ذهل عنها، وكلّ ذلك يوجب عدم ملاحظة العمل

(١) مجمع البيان: ٥٣/٢.

(٢) عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبرّ وضعاه». راجع: الكافي: ٣/٣١٤، باب (٥٩) التواضع، حديث رقم (٢/١٨٦٤).

(٣) روضة الراعظين: ٢/٢٧٩، مجلس في ذكر حسن التواضع وذم التكبر، حديث رقم (٧/١١٤٩).

واستكثاره، وكذا عمل غيره لم يقطع بخاتمته ولم يطلع على إخلاص عمله الذي هو روحه، كيف ونفس نظر العمل واستعظامه افتخار واستكبار يبطله، فتبين أن العاقل لا يستكثر ولا يستقل، ولا ينافي ذلك المعصوم وعمله، وعدم بلوغ أحد لفعل من أفعاله وعمل منه، وافتقار ما سواه إلا الواجب له في الوساطة والتعليم، فإنه مع ذلك لا يلاحظ عمله بالنسبة إلى الواجب ويعده أنه بلغ إلى مقام تأدية حق واجب الوجوب تعالى.

[العاقل يرى الناس كلهم خيراً منه]:

السادس: إن العاقل المستجمع لصفاته لا يرى نفسه خيراً من أحد مطلقاً؛ لمنافاته التواضع، ولعل أنه في علم الغيب بالعكس، ولمنافاة ذلك للإهداء والرفق بالضعيف، بل ترى غيره دائماً خيراً منه، وهو شرهم عند نفسه.

بقي الكلام في المعصوم وأحسن الناس، بل مع مثل الكلب والخنزير، فإما يخرج عن ذلك لأنه دائرة مستقلة خارجة عن رتبة الإنسان وإن شاركهم في ظاهر البشرية، وحكاية موسى مع الكلب^(١) المشهور تدوينها لم تبلغ رتبة الرواية فضلاً عن الدراية فهي مطرحة.

وتعميم ملاً محمّد صالح هنا ساقط، كيف وهم على يقين في العقابة وغير ذلك.

أو نقول: لا منافاة ولا محذور، فإننا نقول: رؤية أحد أنه خير من الآخر يستلزم أن يكون خُلِقَ الآخر عبثاً لا فائدة فيه، وإن الرائي ليس إلا هو، وقد عرفت أن المعصوم على ما هو عليه أشدّ خوف وتواضع لله، فلا ينظر نفسه في مقام الترجيح على الغير؛ لمنافاته لذلك، وإن كان هو أفضل من ذلك

(١) شرح أصول الكافي: ١/١٨٣.

في الواقع، ويفتخر أيضاً كثيراً كما في خطبة الافتخار^(١) وغيرها^(٢)، ويومي إلى ذلك قوله ﷺ: «وأنه شرُّهم في نفسه» فتأمل.

وجه كون الأخيرة تمام الأمر وأصله ظاهر، لأنه أصل التواضع والاستكانة والتعرض لنفحات القدس وغير ذلك. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إنَّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه».

[شرح تكملة الحديث: العاقل لا يكذب]:

أقول: غير خفي كون الكذب من قبائح الأخلاق المضرةً دنياً وآخره، وهو ظاهر من كلام محمد وآله ﷺ، وفي كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٣)، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾^(٥)، وقال عليّ ﷺ: «الكذب رأس النفاق»، وقال [الإمام الصادق] ﷺ: «لا مروءة للكذوب»^(٦)، ولا خفاء في قبحه لعدم الوثوق بكلام الكاذب وسقوطه، فلا فائدة في نطقه، ولذا أمر الله بالتثبت عند خبر الفاسق؛ لعدم الوثوق به، مع لزوم طوع قوته العقلية لشهوته، لقوله: الكاذب، فقد يؤول إلى سفك الدّم وارتكاب المحرمات، فيفسد نظام العالم مع فساد نفسه، مع أنه لم يؤف بوعده أو عهد فتفوت مروءته وذلك كاف في قبحه، فكيف مع اشتماله على تلك القبائح والتعودات.

(١) مشارق أنوار اليقين: ٣٠٩، فصل (١٤٨).

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣١٨، فصل (١٥٠)، خطبه أولها: «أنا عندي مفاتيح الغيب...».

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢١ و ٩٣، وسورة هود، الآية: ١٨، وسورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٦) ميزان الحكمة: ٢٥٤٢/٤.

فالكذب لا يرتكبه العاقل، وإن كان فيه هواه وقضاء شهوته، ليس بعابد له وتابع، بل هواه تبع لعقله، فلا يرتكبه وإن لزمه ضرر، ولا يدخل في ذلك الكذب مع النفاق في ضرورة التقية، إذ التورية غير واجبة؛ لاستناد الدليل لذلك للضرورة، فالكذب مع المنافق عبادة كما روي، مع أنه من باب ارتكاب أقل القبيحين فيخرج، بل هو حينئذ تبع لعقله لا لهواه. فافهم. لأنها من الدين، فهو مداراة لا مداينة في الدين، مع معرفة أكثر الفرق له، وإنه متق بأمير إمارات وعلائم فلا محذور يلزمه، وقال علي عليه السلام: «علامة الإيمان أن تؤثر الصدق [حيث يضرّك] على الكذب حيث ينفعك»^(١)، ووجه عدم منافاته لقول الإمام هنا: «وإن كان فيه هواه» ظاهر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا عقل له».

[شرح تكملة الحديث: الدين والمروءة والعقل]:

أقول: لا خفاء حينئذ في أن النتيجة لا دين لمن لا عقل له.

المروءة غير عن العاقل المنتفي الدين مع نفيها.

ومعلوم: إن غير العاقل لا يعرف ما يليق به، بالنسبة لبني نوعه ومكانه، فيحتفظ عليه ويحفظ عرضه، ولا ينقّر الخلق عنه، ولا يعرف ما لا يليق به ويهتك عرضه، ويخفّ ميزانه، فقد يرتكب غير اللائق ويترك اللائق، ويدخل في ذلك فعل المنفرات، كلبس العالم ثياب الجندي، وكثرة الضحك، وإظهار الرجل أخبار امرأته في المجامع والأكل ماشياً في السوق والطرق، ويختلف ذلك باختلاف الأوقات والأشخاص، ونفي الدين.

أمّا المراد به، الكامل بحيث يقبل شهادته لاعتبارها في العدالة شرطاً

(١) ميزان الحكمة: ١٧٩/٦.

أوسطها على الأشهر الأقوى، أو لرجوعها بالآخرة إلى خفة الدين ونقصه كما هو ظاهر.

وبسط ذلك، بأن نقول: المروءة | كما في المغرب كمال الرجولية، ومنها: تجافوا من عقوبة ذي المروءة وقد مرو الرجل مروءة. وفي الصحاح: (المروءة |^(١) الإنسانية)^(٢).

وفي شرح ملاً خليل: (المروءة - بضم الميم والراء المهملة، ثم واو ثم همزة، وقد ثقلب الهمزة واواً أو تشدد - مصدرٌ مشتقٌ من المرء، وهو الرجلين^(٣)، الذكورة والإنسانية، والمقصود الاتصال بالخصال الحميدة)^(٤).

[المروءة في الفقه]:

واعلم: إن بعض علمائنا لم يعتبر المروءة في عدالة الرجل، ومحقق الشرائع لم يذكرها، إمّا لتوقفه أو لنفيها أو لدخولها بوجه، والأشهر على اعتبارها لمنافاتها للشرع ومحقة للدين كما سمعت.

وإن قيل: إن بعضاً ممّا اعتبر فيها، إنما ينافي العادة كاللبس والأكل ماشياً لغير معتاده وبغير مكانه.

قلنا: قد أمر الشارع بالمحافظة على العرض وعدم تعريض الإنسان نفسه للغيبة والسخرية، بل يحاول في إقبال الناس إليه، ولا شك أن منافاة العادات كذلك ما لم يكن راجحاً شرعاً، ولكن ترك معرضاً لذلك ومثمر له. وقال شهيد الروضة في بيان (العدالة، وهي: هيئة نفسانية راسخة)^(٥)

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

(٢) الصحاح: ٧٢/١، فصل الميم، مادة (مرأ).

(٣) في المصدر: الرجل.

(٤) الشافي: ٢٣٢/١.

(٥) في المصدر: راسخة في النفس.

تبعث على ملازمة التقوى والمروءة^(١)، ثم قال الماتن: وتزول بترك المروءة.

وقال الشهيد في الشرح: (وهي التخلق بخلق أمثاله في زمانه ومكانه، فالأكل في السوق والشرب فيها لغير سوقي، إلا إذا غلبه العطش، والمشي مكشوف الرأس بين الناس، وكثرة السخريّة والحكايات المضحكة، ولبس الفقيه لباس الجندي وغيره مما لا يعتاد لمثله، بحيث يسخر منه، وبالعكس، ونحو ذلك يسقطها، ويختلف الأمر فيها باختلاف الأحوال والأشخاص والأماكن، ولا يقدح فعل السنن، وإن استهجنها العامة، وهجرها الناس كالكحل، والحناء، والحنك في بعض البلدان، وإنما العبرة بغير الراجح شرعاً)^(٢) انتهى.

وغير خفي دلالة حديث هشام على منافاتها للدين المقتضي لاعتبارها في العدالة.

[صاحب المروءة]:

وفي المسالك^(٣): (وفي ضبط المروءة عبارات متقاربة، منها: أن صاحب المروءة هو الذي يصون نفسه عن الأدناس ولا يشينها عند الناس، أو الذي يتحرز عما يسخر منه ويضحك به، أو الذي يسير بسيرة أمثاله في زمانه ومكانه.

فمن ترك المروءة لبس ما لا يليق بأمثاله، كلبس الفقيه لباس الجندي، والتاجر لباس الجمال.

ومنه: المشي في المجامع والأسواق مكشوف الرأس والبدن. إذا لم يكن الشخص ممن يليق به مثله). ثم أخذ في نقل أمثله من هذا القبيل.

(١) الذكرى: ٢٣٠.

(٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١٣٠/٣.

(٣) مسالك الأفهام: ١٦٩/١٤.

[المروءة في روايات أهل البيت عليه السلام]:

وقد ورد تفسير المروءة في بعض الأحاديث، منها:

ما في معاني الأخبار، عن أمير المؤمنين في حديث جويرية، قال عليه السلام:
«وأما المروءة فأصلاح المعيشة»^(١).

وفي آخر عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام: «قال: قال رسول الله ﷺ: ستة من المروءة، ثلاثة منها في الحضر وثلاثة في السفر، فالذي في الحضر فتلاوة القرآن وعمارة المساجد واتخاذ الإخوان، وأما التي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاج في غير معاصي الله»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «المروءة والله أن يضع الرجل خوانه بفناء داره، والمروءة مروءتان: مروءة في الحضر، ومروءة في السفر، فالتى في الحضر تلاوة القرآن، ولزوم المساجد، والمشي بين الإخوان في الحوائج، والنعمة ترى على الخادم تسر الصديق، وتكبت العدو، وأما في السفر فكثرة الزاد وطيبه وبذله، وكتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إياهم، وكثرة المزاج في غير ما يسخط الله تعالى»^(٣).

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممتن كملت مروءته وظهرت عدالته، ووجبت أخوته وحرمت غيبته»^(٤).

(١) الكافي: ٥٤٩/١٥، الروضة، حديث رقم (٣٣١/١٥١٤٦).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٧/٢، حديث رقم (١٣).

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٥٨، باب معنى المروءة، حديث رقم (٩).

(٤) الخصال: ٢٠٨، باب الأربعة قول النبي ﷺ أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة، حديث رقم (٢٩).

ومن تأمل خبر (المعاني)^(١) وجده معتبراً لها على ما هو المشهور، فاتخاذ الإخوان ومروءة السفر معتبر عادة، وأحسن التخلق بخلق أمثاله، وتختلف الأشخاص فيه، وكذا كثرة المزاج.

قصارى الأخبار: إن المروءة قد تطلق على ما يشمل الأفعال الواجبة وغيرها، ولا ضرر في ذلك، ولك حمل عبارة من لم يذكرها من الفقهاء تفصيلاً في اشتراط العدالة على دخولها في مطلق التقوى، وإن أباه بعض العبائر، ويكون ذلك خلاف لبعض، ويضاف إلى اعتبارها فيها أنه الأشهر وليست شهرة مجردة عن النص، وقد أمروا بالأخذ به، ولا ينافي ذلك أكل الرسول في السوق، وكذا إردافه الغير على حمار، فإننا الأزمان والأماكن تختلف في ذلك، فجاز عدم المنافاة من ذلك قبل، مع أنه ﷺ مؤسس شريعة، فجاز اعتقادهم التحريم وغير ذلك، ففعل ليبطله ويكون بالنسبة له ﷺ، إما مستحب أو واجب، لأن فعله وآله ﷺ لا يخرج عنهما ولا يفعلون المكروه ولا المباح كما بين في موضعه.

ومن تأمل فيما سبق، لا يخفى عليه ما في كلام الشيخ يوسف البحراني في (الدرر) من التدارك، حيث قال: إنه لم يقف على دليل دال على اعتبار المروءة، بل تفسير العدالة بما اشتهر بين فقهاءنا إنما هو للعامة وتبعهم عليه العلامة ومن تأخر عنه، ثم استند إلى فعل النبي ﷺ من الأكل والإرداف وطلب الشاة، ونقل روايات (المعاني) مستدلاً بها على أنه لا ذكر فيها لبيان المروءة كما قال الفقهاء.

وأنت بعد الإحاطة بما أشرنا له عموماً وخصوصاً، وما ذكر في عدالة الرجل، ويكون به مقبولاً كما بين في موضعه، لا يخفى عليك مأخذهما وأنه لا تبعة للعامة العمياء بوجه.

(١) لم أقف عليه في معاني الأخبار كما أشار الشارح، وأحلت مصدره إلى روضة الكافي.

نعم، صلاح الظاهر وعاديته دليل على الباطن وملكته، فهو الظاهر الدال عليه، والبسط لا يسعه المقام، وموضعها كتب الفروع.

ومما يدل على مراعاة المروءة كما هو المشهور مراعاتهم ﷺ لأهل زمانهم، كحال الجواد ﷺ لما واجهه بعض وقال له: «لولا أهل المدينة» إلخ.

وكذا لباس موسى ﷺ بخلاف لباس جدّه عليّ ﷺ.

ومثل ملاً محسن الكاشاني ممّن يقدح في الفقهاء بما هم منه براء وإن توقف في المفاتيح فيها، لكن كلامه في الشرح يدلّ على اعتبارها.

وقال محمد صادق: المروءة معاملة الشخص مع نفسه أو مع غيره على ما ينبغي وإذا لم يكن هذا خصاله فلا يكون له دين، أي: أعمال صالحة، لأنّ عدم المروءة ظلّمة تذهب بنور الأعمال، فيكون صاحبها بلا آخر من الأعمال كما أن الحسنات يذهبن السيئات فكذلك السيئات يذهبن الحسنات، لأنّ النور والظلّمة متقابلان ولا يجتمع كل منهما مع الآخر، هذا في كل عصيان وثواب، وخصص ﷺ بالمروءة لكونها المحوطة في خاطرة أو شاملة لغيرها من المعاصي، لأنّ العاصي بأيّ عصيان كان يعامل مع نفسه أو مع غيره مالا ينبغي.

ولا مروءة لمن لا عقل له، لأنّ العقل هو نور يميز الحقّ عن الباطل، فالمروءة لا يمكن أن تكون بدون الحقّ.

أقول: بل تجتمع بعده خصال وزوالها زوال للدين، سواء أريد الكامل أن أصله لاستلزامها نفي غيرها، ممّا يرجع إلى الأصل، والإيمان درجات، وظاهر زوال العقل الاكتسابي وكذا الاعتقادي بزوال المروءة، والعقل أيضاً درجات، والقول بالموازنة باطل، بل كل مجازي بعمله. وسيأتي بيانه في مجلد المعاد، إن شاء الله.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا [لِنَفْسِهِ] خطراً، ألا^(١) إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها».

[شرح تكملة الحديث: ثمن البدن الجنة]:

أقول: لكن الدنيا فانية وليست الغاية وإن كانت مزرعة الآخرة^(٢)، ولا ينال ما هناك إلا بما هنا، فلا يكون هي الخطر والقدر - وستعرف معناه - ولما كان نزول البدن من عالم الغيب وخزائنه قال الله تعالى: ﴿وإن من شئٍ إلا عندنا خزائنه﴾^(٣)، وسيعود إلى مبدئه، وهو من شجرة المزن من بحر صاد.

لا يكون للأبدان ثمن إلا الجنة، فلا تباع بغيرها من دار الهوان والعذاب، مع أنه مخلوق على مقتضى فطرة التوحيد وصورته، وهو صورة الولاية، وهي مبدأ الجنة، فلاجله خلق، فلا يكون له ثمن غيرها، فلا يعمل به خلاف ذلك فيردى.

وللملأ الشيرازي هنا كلام ضعيف، وكذا للسيد الداماد، وإن أعرضنا عن طول البحث معه استعجالاً.

وقال محمد صادق، تلميذ الملأ^(٤): والدنيا^(٥) لكونها هيولي وهيولانية عدمي، والعدم مقابل للوجود، فالدنيا تخالف للحق، ولذا ورد: لا يكلم

(١) في النسخة التي اعتمدتها: أما، وفي شرح المتن أيضاً يشرح الشارح: أما.

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ٢٦٧/١، الفصل العاشر: في أحاديث تتضمن شيئاً من الآداب الدينية، حديث رقم (٦٦).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٤) ساقطة من نسخة (ب).

(٥) تكررت هذه المفردة مرتين في نسخة (ب).

الله الأجسام منذ خلقها، والعاقل لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، بل نقصاً، ومن باع بدنه لعبادة الله فثمنه الجنة.

أقول: ليست بعدمى محض، فالآخرة للدنيا ولكن بعد التصفية، وغيب فيها حينئذ، وإذا نظرت إلى ظاهر البدن شمل غيبه وألف ألف آدم، لا كما قاله السيد الآتي، والدنيا دنيا غرور ودنيا بلاغ وصلاح وخير، وإن صحّ الحديث فالمراد به الخطاب الاستقلالي وبحسب الرتبة، وإلا فالأجسام مكلفة وتحشر وتساءل وغير ذلك، وليس هذا بخاصّ بالروح، ولبسط ذلك محل سيأتي.

ثم نرجع ونقول: الخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة، السبق الذي يتراهن عليه، وخطر الرجل قدره ومنزلته وقيّمته، وغير خفي تفاوت الناس كما روي: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»^(١)، ولكل في حياته وأفعاله مقصد وغاية ونصيب، وعلى قدره وعلوّه ونقصه يكون الإنسان ويسعى في تحصيله، فأعظم الناس عند الله وخلقه أيضاً من لا يرى الدنيا الدنية الزائلة الخادعة المنتقلة المغرة قدراً ونصيباً، فلا يغتر بها ولا ينهمك في شهواتها، فيكون غاية بواره ومأواه النار، بل هي منزل وممر، وإن الآخرة هي المقر^(٢)، فليسع في تحصيلها العاقل وليتنبه من رقدته الجاهل، مع ما يرى منها أنها ما أرخت بنعمة إلا اتبعت بشدة ونكده، وما عطت انقياد إلا أعقبت بنكاد، فهي ختالة خداعة ومكارة هلاكة، فلا تكون خطر العاقل.

ثم أشار عليّ عليه السلام إلى ذكر ما ينبغي جعله خطراً ببرهان يسلمه العاقل ويسترشد به الجاهل القابل، بعد أن أتى بـ «أما» حرف تنبيه للغافل؛ ليصغ

(١) الكافي: ٤٢٢/١٥، الروضة، حديث رقم (١٩٧/١٥٠١٢).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَقُومُوا إِيمَانًا هَذَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَتَّعْ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ سورة غافر، الآية: ٣٩.

للمقال ويرتسم في صحيفة الخيال، وهو أن أبداننا عزيزة على أنفسنا وخطرة القدر؛ لكمال الصنع وإتقان التدبير، وكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١)، ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾^(٢)، خلقتك لنفسي، وخلقت الأشياء لأجلك - على بعض الوجوه - وأستخلفكم في الأرض: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾^(٣)، ووضوح ذلك ظاهر لمن ميّز خلقه وتركيبه ظاهراً وباطناً وارتباط كل به.

وكونه صفوة طين عشر، هي صفوة طين كثيرة، فإذا كان هكذا أبداننا، فلا نبيعها في تجارتنا الدنيوية ومقاماتنا السفلية بثمان نزر بخس، هي الدنيا الفانية الزائلة، بل بثمان يساويها ويعادلها، وليس ذلك إلا الجنة ليس إلا، فليحفظ الإنسان على نفسه ولا يغبن في متجره وسعيه، فهو غبن لا أعظم منه: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾^(٤)، لا تغابن شراء حيوان أو برّ أو شعير، بل تحفظ الإنسان عن أن يغبن في هذا الحقير، يقتضي أولويته في هذا الأمر الخطير، كيف وهذا ضرره هين، فتاجر بالصدقات وأنواع القربات، وأخلص لخالق الأرض والسموات، ومبرئ النسمات.

وقول الإمام عليه السلام هنا تلميحاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ الآية^(٥)، ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ بِحْرٍ فَرٍّ تُجَادِلُونَ عَنْآبِ أَلِيمٍ﴾ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ الآية^(٦).

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤١.

(٣) سورة هود، الآية: ٦١.

(٤) سورة التغابن، الآية: ٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٦) سورة الصف، الآيتان: ١٠ و ١١.

[نكتة في كلام الإمام علي عليه السلام]:

وفي كلام الإمام عليه السلام نكتة، وهو: إن الراكن للدنيا المميت في شهواتها، هالك لنفسه ومستبدأ بها ذهابها بالكفر وغيره من خصاله، وهي أشق عليه من البدن، فكثيراً ما يتحمل البلاء البدني مع سلامة النفس، مع أن النفس إذا بطلت بطل حسدُها لأنه مركبها وآلتها، ولذا قال: «لا يرى الدنيا لنفسه»، مع اشتماله على زيادة الإيقاظ وتصريحاً بغاية العطب الدنيوية.

وأما استعمال الدنيا للآخرة والوصلة، فليست بمجعولة عوض النفس ولا نصيباً لها فإنها حينئذ ممر لا غاية ومقر.

وفي شرح الدليل أتى باليد؛ لأنها إذا لم تصلح لأن تكون عوضاً عن البدن الذي هو آلة النفس، لأنه كما عرفت ولا ثمن لها إلا الجنة، فإن لا تكون عوضاً ونصيباً للنفس التي هي أشرف بطريق أولى، مع الإشارة إلى أن ثمن النفس وما يكون خطراً لها أعلى من الجنة أي بحسبه، فإن ثمن البدن لا ثمنها، فثمنها الجنة المعنوية وهي: المعارف العلية والوصول لرتبة الرضوان.

[قول ملا محسن الفيض]:

قال ملا محسن في شرح هذا الكلام، أي ما يليق أن يكون ثمناً لها إلا الجنة^(١) شبه استعمال البدن في المكتسبات الباقية ببيعها [بها].

قال: الأستاذ رحمه الله - وعنى: الصدر -: وذلك لأن الأبدان في التناقص يوماً فيوماً لتوجه النفس منها إلى عالم آخر، فإن كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حياته البدنية إلى الله تعالى، وإلى نعيم الجنة، لكونه على منهج الهداية والاستقامة، فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع الله، ولهذا خلقه الله.

(١) (إلا الجنة) ليس موجودة في المصدر.

وإن كانت شقيّة كانت غاية سعيه وانقطاع أجله وعمره إلى مقارنة الشيطان، وعذاب النيران؛ لكونه على طريق الضلالة، فكأنه باع بدنه بثمرن الشهوات الفانية واللذات الحيوانية التي ستصير نيراناً^(١) محرقة مؤلمة، وهي اليوم كامنة مستورة عن حواس أهل الدنيا وستبرز يوم القيامة: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى﴾^(٢)، معاملة مع الشيطان: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٣)^(٤).

وكلام ملا محسن مثل قول ملا رفيع في الحاشية^(٥) وإن كان أخصر.

وقال ملا محسن نقلاً عن شهيد البيان^(٦): (جعل الجنة ثمن البدن إشارة إلى أن ثمن النفس المجردة والأرواح القدسيّة هو الله سبحانه، والفناء المطلق فيه وفي مشاهدة نور وجهه الكريم، وفي إضافة البدن إلى ضمير الخطاب دلالة على أنّ النفس الناطقة التي هي الإنسان حقيقة، جوهر آخر وراء البدن)^(٧).

ونقله محمّد صالح بلفظ قيل^(٨).

[رأي الشارح على ما ذكره الملا محسن]:

ولي فيه نظر، وإن بادر لقبوله واستحسانه جيل، فإن الخطاب مع النفس، وهي البالغة، أي المكتسبة للجنان أو النيران بهذا البدن في مدّة حياته، والثمرة أي العوض يرجع لها، سواء كان الجنة الصّورية أو مع

(١) في المصدر: نيرانات.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٣٦.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٤) الوافي: ١٠٣/١.

(٥) الحاشية على أصول الكافي: ٥٧/١.

(٦) السيد الداماد رحمه الله.

(٧) الوافي: ١٠٤/١.

(٨) شرح أصول الكافي: ١٨٥/١.

المعنوية، فهي التجارة التي لن تبور، وحينئذ لا يخفى ما فيه، فتأمل في تزيهدهم ﷺ للسالك وإبعادهم عن طريق المسالك، وترغيبه لما هو خير وأبقى على أحسن وجه وأكملة تنبيه للنفس ونظره لها، التي هي نسخة الموجودات ومجمع الدلالة بحسب المقامات: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(١).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن أمير المؤمنين ﷺ كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئِلَ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويُشيرُ بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء؛ فهو أحمق».

[شرح تكملة الحديث: من صفات العاقل ثلاث علامات]:

أقول: ذكر ﷺ ثلاث علامات دالات على كون من هي فيه ذو عقل علمي وعملي وذو تمييز قدسي، وهي تستلزم صفات عديدة كما هو ظاهر للفظن.

[صفات العاقل العلمي العملي]:

الأولى: أن يجيب متى سُئِلَ، لا يؤخر الجواب عن السؤال؛ لشدة فاقة السائل وحاجته، ومتى كان المسؤول غنياً بالجواب وجب بذله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٢)، ومن أخفى علماً يعلمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة^(٣)، كما ستعرفه - إن شاء الله - ومعلوم عدم جواز تأخير البيان

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ٣٥٨/١.

عن وقت الحاجة، لكن يشترط عدم المانع الخارجي: من تقيّة على نفسه أو السائل، أو قصوره عن إدراك الجواب، فما كُلُّ ما يُعلم يقال، وما كُلُّ ما يعلم ويقال جاءت رجاله، وما كُلُّ ما يعلم ويقال وجاءت رجاله حضر أوانه، ولا تدارك بتميم الحديث بكلام آخر، فإن كلامهم يبين بعضه بعضاً، مع أنّ المواضع التي يرجى فيها الجواب ولا يذكر عقيب السؤال، بل يجب الإعراض أو قول لا أدري، وإن كان عنده علمه حقيقة السؤال وتوجّهه له منتف فلا نقض. فافهم.

والمراد بالجواب بعد السؤال أعمّ من أن يكون الجواب حاضراً عنده بالفعل أو بالقوة القريبة منه.

أمّا من لم يكن عنده جواب في مسألة أصلاً فيقول: لا أدري، وهو الجواب. وإن أُريد بالجواب المعنى الظاهر، أي الكاشف، فهو مخصوص بما يعلمه، لعدم جواز القول بغير علم والحكم بالباطل عقلاً ونقلًا وإجماعاً، وليس قوله عليه السلام يجيب إذا سئل خاص بالفتاوى في الشرعيات والنقلات، كما هو ظاهر كلام ملاً رفيع في (الحاشية)^(١)، بل عام لجريان السؤال في فيها وأحوال المبدأ والمعاد.

[نطق العاقل إذا عجز القوم]:

الثانية: إنّ العقل ينطق إذا عجز القوم الحاضرون معه أو الباحثون مطلقاً، إذا وصله العلم عن بيان الحقّ وتشبيده ودفع الباطل، سواء طُلب منه البيان أو لا؛ لأنه متى ظهرت البدع فلا بد أن يظهر العالم علمه، وهو داخل في الجهاد الأكبر، لكن بشرط وجود القابل، وإنما يتحقق بزوال المانع، فلا نقض بوجوب الكتمان والسكوت في بعض المواضع.

(١) الحاشية على أصول الكافي: ٥٨/١.

وقال ملاً رفيع أيضاً: هذا (ناظر إلى تحقيق المعارف والعقليات)^(١). وما فيه ظاهر مما سبق ولا حاجة لذلك فالفرق بينهما ظاهر.

[من حسن التميز الإشارة بالرأي الحسن]:

الثالثة: الإشارة بالرأي الحسن إذا استشير أو رأى محل الرأي، فإنه يدل على حسن تمييزه بين الحسن والقبيح ومعرفته بالسياسة، وغير خفي كمال عقل صاحبه حينئذ.

وهذه الثلاث تأتي على تلك الصفات السابقة، فعرف من كلامه ﷺ إن الذي لا يشير بالرأي الحسن وإن خلا من الرأيين فضلاً عن أن يشير بالقبيح الدال على الحسن، وتفر الناس منه، ولا يجيب إذا سئل، وكذا يعجز عن النطق مع عجز غيره، فهو مثلهم ليس بعامل كامل، بل جاهل وإن سمي في العرف به بوجه آخر، فهو لا يصلح لتدبير أقل الأشياء فضلاً عن أن يتولى الرئاسة العامة ديناً ودنياً، وهي الخلافة.

ومن تتبع كتب العامة والخاصة وسيرهم، وجد الثلاثة ليس فيهم من ذلك شيء، وقد أقاموهم خلفاء افتراء عليه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢)، من أمره، وسيجزئهم وصفهم، فهم جميعاً حمقاء، ورئيسهم أحمق الحمقاء.

وفي المغرب: (الحمق نقصان العقل، عن ابن فارس، وعن الأزهري: فساد فيه وكساد، ومنه انحمق الثوب إذا بلى، وانحمقت السوق إذا كسدت، وقد حمق حمقاً فهو أحمق، وحمق حماقة فهو أحمق)^(٣). وعلى قدر نقصان العقل تشتد حماقة.

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٣) شرح أصول الكافي: ١/١٨٧.

ومن كلمات عليّ عليه السلام: «أفقر الفقر الحمق»^(١)، ومنها: «قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل وراء قلبه»^(٢)، فإذا لم يكن للأحمق قلب ولا لسان تابع للقلب، فليس فيه من هذه الصفات شيء، فلا يكون ركناً لأمر ديني ولا دنيوي.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث، أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق».

[شرح تكملة الحديث: مكان أهل العقل والعلم]:

أقول: المراد بصدر المجلس: المكان المعروف أو محلّ التصدر والرجوع في الأحكام، ولا فرق معنى، فاستبان من قوله عليه السلام: إنه لا يجوز التعرض للأحكام والإفتاء، وكذا الخوض في العلوم ما لم يتصف صاحبه بتلك الصفات الثلاث السابقة، المستلزم لكثير من الصفات الدالة على استحكام القوتين أو بشيء منها، فإنه متى استحكمت صفة حصل العقل، وإن تفاوتت الدرجات فيحصل المطلوب في الجملة.

أما من خلا منها أصلاً فقد خلا من العقل، ومن خلا منه لا خير فيه.

وفي قوله عليه السلام دلالة على أن أهل العلم والعقل يوقرون ويعظمون في المجلس أيضاً كغيره، وذلك لرفع الله لهم، فيرفع، إذ الشرف بالعلم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٥، رقم (١١٦٢)، وميزان الحكمة: ٦٩٤/١، باب (٩٥٣) الحمق، حديث رقم (٩).

(٢) في غرر الحكم ودرر الكلم وجدت الآتي: (٦٠٧٧): «قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه»، و(٦٠٧٨) «قلب الأحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه».

والأدب لا بالمال والحسب، قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا﴾^(١)، وهذا يدلُّ على تجزئة الاجتهاد على وجه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وقال الحسن بن علي [ؓ]: إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن رسول الله، ومن أهلها؟ قال: الذين قصَّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُوتُوا أَلَابَتِ﴾^(٢)، قال: هم أولوا العقول».

[شرح تكملة الحديث: أولوا الألباب هم أهل العقول]:

أقول: غير خفي أنَّ رفع الحاجة سواء كانت دينية أو دنيوية لغير أهلها قبيح ومنقصة ظاهرة، لأنه طلب عاجز، فليس هو محلّها، وقد يضرّك ديناً ودنيا برّدك ومنعك، فترجع بالخيبة مع ذلّ السؤال، ولأنّ الأهل يرى لرفع الحاجة له وقع فيقضّيها ولا كذلك غيره، ثمّ بيّن أهل الحوائج بأنهم أولوا الألباب، أي: العقول المميزة في القوتين النظرية والعملية، فإن طلب الحاجة منهم تذكيراً لهم بما أمرهم الله من الإنفاق، ممّا جعلهم مستخلفين فيه علماً أو مالاً، وتحريكاً لهم على قضاء النعمة المرسلة لهم، وهي كونهم محلاً لقضاء الحاجة ومقصداً للقاصد، فيشكرونها بقضائها حسب طاقتهم، مع حبّهم للجود والكرم، ولا كذلك عادمو الألباب إذ لا يقبلون الموعظة الزاجرة ولا تفرعهم، فضلاً عن إيقاظهم وتنبيههم بما يذكر.

وفيه دلالة على الحثّ على قضاء الحوائج، حيث دلّ التذكر على أنّ قضاها أوجد على المسؤول قبل وهو كذلك، والروايات بالحث على ذلك والترغيب فيه كثيرة.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وقال علي بن الحسين عليه السلام: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ دَاعِيَةٌ إِلَى الصَّلَاحِ وَأَدَابُ الْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ، وَطَاعَةُ وُلاَةِ الْعَدْلِ تَمَامُ الْعِزِّ».

[شرح تكملة الحديث: مجالسة الصالحين]:

أقول: إنما كانت المجالسة موجبة لذلك لاقتضاءها التشبه بالجليس وسماع قوله، والتخلق بأخلاقه والاستماع من الجالس، فمجالسة الصالحين تدعوه إلى الصلاح لدعائهم له وقيامهم به، فيستنير قلبه مع عموم الرحمة النازلة عليهم له.

وفيه من الحث على المعاشرة والمداخلة كما لا يخفى، وكيف يعرف الرشد من انقطع، ولكن خاص بمعاشرة الصالحاء، أما غيرهم فممنهي عن معاشرتهم ومجالستهم؛ لاقتضاء الدخول في أفعالهم وألا ينفرون منه ويطرده فيلزمه الوبال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١)، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(٢)، إلى غير ذلك.

[معاشرة المنافق بالتقية]:

أما معاشرة المنافق بالتقية، فإنما هي مُدَارَةٌ بَرَّانِيَّةٌ وَلَا ضَرَرٌ دِينِيٍّ مَعَهُ، فَلَا نَقْضَ بِهَا، وَكَذَا التَّخَلُّقُ بِأَدَابِ الْعُلَمَاءِ وَمَا يَعْمَلُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَبِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِمْ فَيَدْخُلُ فِيهِ رِعَايَةُ الْأَدَابِ مَعَ الْعَالَمِ وَتَعْظِيمُهُ وَإِعْزَازُهُ، أَيْضاً دَاعِيَةٌ إِلَى زِيَادَةِ الْعَقْلِ وَاسْتِنْمَائِهِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ، وَالتَّقَرُّبُ بِالْأَعْمَالِ الْمُسْتَحَبَّةِ مُوجِبٌ لِلزِّيَادَةِ؛ لِقُوَّةِ اسْتِنَارَةٍ، فَإِنَّهَا أَلْطَافٌ عَقْلِيَّةٌ، أَيْضاً وَمَزْكِيَّةٌ

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

للنفس كالواجبة، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(١)، وقال عليّ عليه السلام في النفس: «إن زكَّاهَا بالعلم والعمل فقد شابَّهت جواهر أوائل عللها»^(٢).

ومعلوم: إن من قابل النور استنار، والعلماء شمس ظاهرة مضيئة.
قال في المغرب: الأدب: أدب النفس والدِّرس، وقد أدب فهو أديب، وأدبه غيره، فتأدب واستأدب. وتركيبه يدل على الجمع والدُّعاء، ومنه الأدب، لأنه يأدبُ الناس على المحامد أي يدعوهم إليها. عن الأزهري^(٣).

[طاعة الإمام العادل]:

وإنما كانت طاعة ولاية العدل لا الجور تمام العزّ دنيّاً وآخرة؛ لأن طاعتهم طاعة الله، بل لا تحصل طاعته والسلامة من سخطه وعقابه إلا بطاعتها: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٥)، فالقيام على العدل والسلامة من الجور إنما يكون به.

[طاعة السلطان الجائر]:

أما السلطان الجائر فيدعو إلى النار ولا دفع به، إن دفع به دنيا في بعض الأوقات بظلم آخر، مع قيامه بالخسران، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكُونُونَ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾^(٦).

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ و ١٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧٨، حرف الصاد، رقم (٤٧٣٨).

(٣) المغرب في ترتيب المغرب: ٢٢/١، مادة: الهمزة مع الدال (أدب).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٦) سورة القصص، الآيتان: ٤١ و ٤٢.

وهذا كغيره من الأحاديث صريح في عدم الرجوع إلى أئمة الضلال والأخذ عنهم، وإنما الرجوع لأئمة العدل، فإنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ الآية^(١)، فهؤلاء أولوا الأمر اللذون أمر الله بطاعتهم ولزوم جماعتهم، لا اتباع الهوى ومن ضل غوى، وتعالى الله عن أمره بطاعتهم علواً كبيراً: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، ﴿وَلِنَصْغَى إِلَيْهِ أَفِئْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(٣).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «واستثمار المال تمام المروءة، وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً».

[شرح تكملة الحديث: من تمام المروءة استثمار المال]:

أقول: لا خفاء في كون ما ذكر نتائج هذه الصفات الحسنة قيام المروءة، أي ما تتم به المروءة من المكافأة وغيرها استثمار المال واستتمامه وزيادة بالمكسب الحسن الغير الملهي، فإنه موجب لذلك.

[التجار واستثمار المال]:

وعنهم ﷺ: «نعم المعين^(٤) على تقوى الله الغنى^(٥)»، وحث الشارع ﷺ على التجار بالظاهر كما يظهر لمراجعة في موضعه، وجعل تسعة أعشار الرزق في التجارة وما فيها من حسن التمدن وصيانة الوجه،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢، و١٣٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٤) في المصدر: العون.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٤٧٨/٣، كتاب المعيشة، حديث رقم (٣٥٧٢).

والسَّعة على العيال، وأرزاق الضعيف وغير ذلك لا خفاء فيه، وكثيراً ما تعودوا ﷺ من الفقر والافتقار.

وعن الصادق ﷺ: «إصلاح المال من الإيمان»^(١).

وقال ﷺ: «عليك بإصلاح المال؛ فإن فيه منبهةً للكريم، واستغناء عن اللئيم»^(٢).

وعن عليّ ﷺ: «إن الله وضع الزكاة قُوتاً لِلْفُقَرَاءِ، وتوفيراً لأموالكم»^(٣)، وآية الزكاة تدل عليه، ولا شك أن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا شك في حسن الدنيا المحمودة، وهي دنيا البلاغ لا الغرور وذلك منها وكذا الباقي.

[في استرشاد المسترشد]:

وكذا «إرشاد المستشير»، وهو طالب الرأي منك، والرشد «قضاء لحق النعمة» وشكرها؛ لكونها محلاً لذلك، واثمتك على نفسه وماله، فلا تغشه ولا تخنه و[إن] استعانك فأعنه، فإن ذلك من صفات الإيمان ولزوم العهد المأخوذ على العباد.

[حسن المعاملة في الجوار]:

وكذا كف الأذى عن الناس في حسن المعاملة والجوار، والأقوال والأفعال، ويدخل فيها الواجب والمستحب، فإنه من كمال العقل وثمرته، ولم يخلقك الله عبثاً ولا لتؤذي الناس، بل حذرك ورغبك وعامل الناس

(١) فروع الكافي: ٥٦٥/٩، باب (١٢) إصلاح المال وتقدير المعيشة، حديث رقم (٨٤٣٢/٣).

(٢) فروع الكافي: ٥٦٦/٩، باب (١٢) إصلاح المال وتقدير المعيشة، حديث رقم (٨٤٣٥/٦).

(٣) فروع الكافي: ١٠/٧، كتاب الزكاة، باب (١) فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق، حديث رقم (٥٧٢٥/٦).

بالرضا والعفو والصفح الجميل، وتحمل الأذى، إلا أن يكون غضباً لله، فذلك من كمال العقل وتمامه، وخلافه يدلّ على الحمق والجهل، وهي من صفاته وجنوده، وفي ارتكاب تلك الصفات المحمودة، حُسن الذكر والمدح عاجلاً، والثواب آجلاً، والراحة في نفسه وبدنه والأمن من غوائل الناس وأذاهم: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

وقال عليّ عليه السلام: «بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»^(٢).

وقال عليه السلام: «يوم المظلوم على الظالم، أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم»^(٣)، «ومن سلَّ سيف البغي قُتل به»^(٤).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥)، وجميع ذلك من الروايات، والوجه العقلي ظاهر بلا خفاء.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «يا هشام، إن العاقل لا يُحدِّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يظهر»^(٦) ما لا يقدر عليه.

[شرح تكملة الحديث: شروط حديث العاقل]:

أقول: وجه ذلك عقلاً ونقلاً ظاهر، ومع التكذيب لا فائدة في الحديث دون أن يوجب عداوة وتكفيراً أو قتلاً، والإذاعة محرمة، ويوجب أيضاً

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٤٣/١٩، رقم (٢١٧)، ونهج البلاغة (الشيخ محمد عبده): ٤٣٣/٤، رقم (٢٢٢).

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧٠/١٩، رقم (٢٣٨).

(٤) المصدر السابق: ٢٢٩/١٩، رقم (٣٥٥).

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ و٨.

(٦) في النسخة التي اعتمدها للمراجعة: يَعدُّ.

الشحناء وغيرها من مساوئ الأخلاق، وصفات الجهل، وبعضها لا يرتكبه العاقل فضلاً عن جميعها، واستثني منه تبليغ النبي ﷺ وآله ﷺ الأحكام، إن توهم الدخول فإنه تحمّل إيذاء في جنب الله، ويدخل بعض أتباعهم بحسب مقامه بالتبعية، ومع ذلك فقد سلاه الله بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ الآية^(١)، وهذه السنة الجارية في أنبيائه، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَبُوهُ﴾^(٢).

[إضافة لصفات العاقل]:

ومن صفات العاقل أيضاً أنه لا يرفع حاجته ويسأل من يخاف منعه، فإنه دل على ذلك، ولما يحصل له من الوهن والذل في نفسه وعند الناس، بل يرفع حاجته لمن لا ذل في منعه، إن منع فإنه لمصلحته، ويعمل به ما فيه صلاحه، ولا يوجب شحناء ولا عداوة، فعدم التعرض لمن يظن به ذلك أولى وأحق.

وكذا من صفاته أنه إذا وعد وقى، كما مدح الله الوافي به وهو لازم العهد.

ومعلوم أن غير المقدور لا يعديه، سواء كان العجز حاضراً ومترقياً، فإذا وعد بمؤجل فليعلقه، وإلا يكن كاذباً عند الناس ويوجب له العداوة وغيرها، عند الذي أخلف بوعده، وهو في سعة، فلا يلقي نفسه في ضيق، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣)، واعد رجلاً وانتظره مدة طويلة في ذلك المكان - لا يحضرني قدرها - حتى قال بعض العلماء بوجوب الوفاء بالوعد، ولولا الإجماع على الاستحباب لكان القول به قويّاً كما بين في موضعه.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كنَّ فيه كان منافقاً... وعدَّ منها : خلف الوعد»^(١)، والذي في النسخ يعد بالتخفيف وهو الظاهر، واحتمل بعض قراءتها بالتشديد من الأعداد، فمعناه لا يمهد أمراً من الأمور حتَّى يعلم أنه قادر على إتمامه والبلوغ إلى غايته.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يتقدم على ما يخافُ فوته بالعجز عنه».

[شرح تكملة الحديث: لا يرجو العاقل ما لا يستحقه]:

أقول: رجا وتمنى ما يعتفُّ به ويلومه ويعيره ويوبخه، سفه وهو من أضعف العقل وغلبة الغرور، ويعنف بالبناء للمجهول من التعنيف والإعناف، فلا يرجو العاقل ما لا يستحقه، ويعتفُّ برجائه، ولا يتطلع إلى ما لم يستعد له، وكذا لا يتقدم على فعل أو قول يخاف فوته، وعدم إدراكه بسبب العجز عنه فيما سيأتي فيتقدم عليه، إذ الأشياء مقرونة بأوقاتها.

ويحتمل إرادة أن العاقل لا يقدم على فعل حتَّى يتصوره وأنه قادر عليه. أمّا ما يخاف فوته وعدم إتيانه به بسبب العجز عنه وخروجه عن طاقته، فلا يقدم عليه، لأن سعيه حينئذ وبال وغاية أمره خسران.

والذي وقفت عليه في نسخ في (الوافي)^(٢) "فوته" المنقوطة بنقطة من أعلى المفتوحة، والواو الساكنة، وقرأ بعض العلماء "قُوتَه" بالقاف المضمومة وتشديد الواو.

وقال: على قُوتَه، فالنصب على نزع الخافض، فقد استبان لك علوّ

(١) ميزان الحكمة: ٢٤٦/١٢، علائم النفاق، حديث رقم (٢٠٦١٦).

(٢) الوافي: ١٠٦/١.

العقل وشرفه، وإنه السبب إلى التخلق بكمكارم الأخلاق وتجنب مساوئها، وسلوك السلامة، وركوب سفينة النجاة.

[ذيل الحديث]:

ولهذا الحديث دليل مذكور في (تحف العقول)^(١)، وذكره ملاً محسن الكاشاني في (روضة الوافي)، وهو أنه قال له: «يا هشام، إياك ومخالطة الناس والأنس بهم إلا أن تجد منهم عاقلاً مأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية، وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله، إذ تفرّد له بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره، وإذا أحزنك^(٢) أمران لا تدري أيهما خير وأصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن كثير الثواب في مخالفة هواك، وإياك أن تغلب الحكمة وتضيّعها^(٣) في الجهالة».

قال هشام: [فقلت له]: فإن وجدت رجلاً طالباً له غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقى إليه؟ قال: «فتلطف له في النصيحة، فإن ضاق قلبه لا تعرض نفسك للفتنة، واحذر رد المتكبرين، فإن العلم يذلّ على أن يملي على من لا يفيق»، قلت: فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها؟

قال: «فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الرد، واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمتهم ومجده، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده، ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته، فما ظنك بالرؤوف الرحيم، الذي يتودّد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى

(١) تحف العقول: ٣٩٨.

(٢) في المصدر: وإذا مرّ بك.

(٣) في المصدر: وتضيّعها.

فيه، وما ظنك بالتَّوَابِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَتُوبُ عَلَى مَنْ يَعَادِيهِ، فكيف بمن يترضاه ويختار عادة الخلق فيه».

«يا هشام، مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبد علماً فازداد للدُّنْيَا حباً إِلَّا ازداد من الله بعداً وازداد الله عليه غضباً، يا هشام، إِنَّ العَاقِلَ اللَّيِّبَ مَنْ تَرَكَ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ، وأكثر الصَّوَابِ فِي خِلَافِ الهَوَى، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ سَاءَ عَمَلُهُ. [يا هشام، لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل].»

يا هشام، إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَأَمْتَ الطَّمَعَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ الطَّمَعَ مِفْتَاحُ الذُّلِّ وَاخْتِلَاسُ الْعَقْلِ وَإِخْلَاقُ الْمَرْوَاتِ، وَتَدْنِيسُ الْعَرَضِ، وَالذَّهَابُ بِالْعِلْمِ، وَعَلَيْكَ بِالْإِعْتَصَامِ بِرَبِّكَ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ لِتَرْدَّهَا عَنْ هَوَاهَا، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كُجْهَادِ عَدُوِّكَ».

قال هشام: فقلتُ له: فأَيُّ الاعتداء أوجبهم مجاهدة؟

قال: «أقربهم إليك، وأعداهم لك، وأضرهم بك، وأعظمهم لك عداوة، وأخفاهم لك شخصاً مع دُنُوِّهِ مِنْكَ، وَمَنْ يَحْرُضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ وَهُوَ إِبْلِيسُ الْمُوَكَّلُ بوسواس القلوب [فله] فلتشتدَّ عداوتك، ولا يكونَنَّ أَصْبِرَ [على] مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فَإِنَّهُ أضعفُ مِنْكَ رُكْنًا فِي قُوَّتِهِ، وَأَقْلَ مِنْكَ ضَرَرًا فِي كَثْرَةِ شَرِّهِ، إِذَا أَنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ، وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

يا هشام، مَنْ أَكْرَمَهُ [الله] بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة فقره.

يا هشام، احذر هذه الدُّنْيَا واحذر أهلها، فَإِنَّ النَّاسَ فِيهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: رجل متردي معانق لهواه، ومتعلِّم متقرِّي، كلِّمَا ازداد علماً ازداد كِبَرًا، يستعلن بقراءته وعلمه على مَنْ هُوَ دُونَهُ، وعابد جاهل يستصغر مَنْ هُوَ

مبعثرات

دونه في عبادته، يحب أن يعظم ويوقّر، وذو بصيرة، عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرف فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلاً^(١) انتهى.

[تتمّة من إرشاد القلوب]:

وفي إرشاد القلوب: إن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال في خطبة له: «اعلموا أن العقل حرز، والحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسفه ضعف، ومجالسة أهل الزنا شين، ومخالطة أهل الفسق ريبة، ومن استخف بإخوانه فسدت مروءته.

وما يهلك إلا المرتابون، وينجو المهتدون، [الذين] لم يتهموا [في آجالهم] طرفة عين، ولا في أرزاقهم، فمروءتهم كاملة، وحيأؤهم كامل، يصبرون حتّى يأتي الله لهم برزق، ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومروءتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون شيئاً منها بمعاصي الله.

ومن عقل المرء ومروءته أنه يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه، وإن لم ينزلوها به، والعقل أفضل ما وهب الله [تعالى] للعبد، إذ به النجاة في الدنيا من آفات وسلامته في الآخرة من عذابها^(٢).

والأحاديث عنهم عليهم السلام بهذا المجرى متواترة مطابقة للعقل، فلنقتصر على ذلك.

(١) الوافي: ٢٦/٢٨٠، (ومن مواعظ أبي الحسن الكاظم عليه السلام).

(٢) إرشاد القلوب: ٣٧٢/١.

الفهرس

الإهداء	٥
تصدير	٧
حياة المؤلف	١٣
اسمه	١٣
أسرة آل عبد الجبار	١٣
الشيخ عبد علي بن محمد	١٤
مترجمنا	١٥
عمّه الشيخ عبد الجبار بن محمد	١٥
خاله الشيخ محمد الكبير	١٥
الشيخ علي بن أحمد بن حسين	١٥
الشيخ سليمان بن أحمد	١٦
أساتذة الشيخ محمد آل عبد الجبار	١٦
مشائخه في الرواية	١٧
تلامذته	١٧
أقوال العلماء فيه	١٩
ترشيحه للمحاكمة	٢١
وفاته	٢٣
مؤلفاته	٢٣
عنوان الكتاب	٦٨
التعريف بالكتاب	٦٨
وصف النسخ المعتمدة	٦٩

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

٧٠	النسخة الأولى
٧١	النسخة الثانية
٧٣	منهج التحقيق
٧٧	نماذج من النسخ الخطية
٨٥	[ديباجة]
٩١	[كتاب العقل والجهل]
٩٥	[مقدمات]
٩٧	[العقل بمعنى إطلاق كلام الفقهاء]
٩٧	[العقل بمعنى القوة المحصلة للعلم]
٩٩	[العقل بمعنى القوة الحاصلة للنفس]
٩٩	[مرتبة العقل الهيولاني]
١٠٢	[مرتبة العقل بالملكة]
١٠٣	[مرتبة العقل بالفعل]
١٠٣	[مرتبة العقل المستفاد]
١٠٤	[الغاية من خلق الإنسان مع نيله استحقاقه]
١٠٥	[جهات النفس]
١٠٦	تنبيهان
١٠٦	بيان: لزوم انقلاب الحقائق
١٠٧	[إثبات الحكماء في تركيب الجسم]
١٠٩	[تحقق المعقول في رتبة العاقل]
١١٢	[العقل بما يمايز به الإنسان عن البهائم]
١١٢	[العقل بمعنى الجوهر]
١١٢	[العقل أول مخلوق]
١١٣	[كلام المجلسي في أول ما خلق الله]
١١٤	[تعليق الشارح على أول ما خلق الله]
١١٥	[في تجرد النفس]
١١٦	[النفس في العالم العلوي]

- ١١٨ [القوة العاقلة وخروجها بالتدريج]
- ١١٨ [العقل سبق الماديات]
- ١١٩ [العالم المادي وارتباط الضد بضده]
- ١١٩ [المادة والزمان لو نفى المجرد]
- ١١٩ [المناسبة بين العلة ومعلولها]
- ١٢٠ [الهيولي والحركة ما بالقوة]
- ١٢١ [الوجود جوهر عقلي مجرد]
- ١٢١ [كل متحرك له محرك]
- ١٢١ [الخروج من القوة الكونية إلى الفعل]
- ١٢٢ [المثال التخيلي والصور وما يصدق عليها]
- ١٢٣ [للمعقول ومفاهيمه خزائن وإمداد قدسي]
- ١٢٣ [المطابقة بين العالم الصغير والعالم الكبير]
- ١٢٤ [تجردها في الأنفس والمعقولات]
- ١٢٥ [كل ما يدرك في العقل له تحقق ومصادق في الخارج]
- ١٢٧ [إحاطة الأفلاك بعضها ببعض]
- ١٢٧ [مراد الشارح من العلة والعلية]
- ١٢٨ [قولهم في العقول المجردة]
- ١٣٠ [نص عبارة الطوسي من التجريد]
- ١٣١ [قول الطوسي في الأحكام اليقينية]
- ١٣٤ [العذر للطوسي وباقي العلماء]
- ١٣٥ [الواجب تعالى واحد حقيقي]
- ١٣٥ [قول السيد الداماد في الواحد]
- ١٣٦ [تعليق الشارح على كلام الداماد]
- ١٣٨ [في صدور المعلول الواحد عنه تعالى]
- ١٣٩ [التعليق على عدم التسليم في أن الواجب تعالى واحد حقيقي]
- ١٤٣ [فيمن قال: إن الله صانع العلم تليس]
- ١٤٣ [الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وهو العقل]

- ١٤٥ [معنى أفضلية أهل البيت عليهم السلام]
- ١٤٥ [أهل البيت عليهم السلام علة فاعلية]
- ١٤٦ [أهل البيت عليهم السلام علة غائية]
- ١٤٧ [في النور المحمدي]
- ١٤٨ [البسيط الحقيقي لا يمكن أن يعتبر فيه لذاته]
- ١٤٩ [العالم صادر عن واجب الوجود]
- ١٥٠ [النبي محمد صلى الله عليه وآله أفضل الكل]
- ١٥٠ [الواحد الحقيقي لو كان مصدراً حقيقياً]
- ١٥٠ [نقد القوشجي]
- ١٥٢ [تقرير دليل في البسيط الذي لا تركيب فيه]
- ١٥٣ [شك وإزاحة]
- ١٥٤ [اعتراض الرازي]
- ١٥٤ [قول القوشجي]
- ١٥٥ [توضيح تحقيقي]
- ١٥٦ [تعليق على الواحد لا يصدر عنه إلا واحد]
- ١٦٠ [في الاختيار]
- ١٦٠ [تعدد العوالم وأصولها]
- ١٦١ [صدور الموجودات عن الواجب]
- ١٦٢ [معنى الروح والنفس]
- ١٦٤ [ترتيب كليات الأفلاك]
- ١٦٤ [المراد بالأفلاك]
- ١٦٤ [في بيان التأخير الزمني أو الفصل]
- ١٦٥ [صدور الكثرة عن الواحد]
- ١٦٦ [تنبيه نقلي]
- ١٧٠ [أقسام الجهل]
- ١٧٣ [شرح كتاب العقل والجهل]
- ١٧٧ [شرح الحديث الأول]

١٧٩	[نص الحديث]
١٧٩	[شرح النص: المراد بالعقل]
١٨١	[ثبوت جوهر مفارق عار عن المدة والمادة]
١٨٢	[نقد الشارح لكلام الملا]
١٨٤	[المخاطب بالثواب والعقاب]
١٨٥	[في معنى استتطاق العقل]
١٨٦	[شرح الإقبال والإدبار]
١٨٧	[من المراتب العالية إلى السفلية]
١٨٨	[في معنى كلمات المعرفة بالنورانية]
١٨٩	تتمة
١٨٩	[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة صورية]
١٩١	[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة مادية]
١٩١	[النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ علة غائية]
١٩٢	[في معنى الإدبار]
١٩٤	[نص كلام الملا محسن]
١٩٥	[تعليق الشارح على قول الملا محسن]
١٩٧	[بيان تمثيلي بالسراج والأشعة]
١٩٨	إزاحة وإمالة
١٩٨	[في بيان الإقبال والإدبار عند محمد صالح]
١٩٩	[تعليق الشارح على قول الملا محمد]
٢٠٠	[قول ملا رفيع في حاشيته عن الإقبال والإدبار]
٢٠٠	[نقد الشارح على ما تقدم]
٢٠١	[معنى الإقبال والإدبار عند ملا خليل]
٢٠٢	[تعليق الشارح على كلام ملا خليل]
٢٠٢	[الفصل بـ ثم بين الإقبال والإدبار]
٢٠٣	[خروج العقل إلى الفعل]
٢٠٤	[معنى النزول]

- ٢٠٦ [شرح فقرة: وعزتي وجلالي]
- ٢٠٧ [الحب في القرآن والروايات]
- ٢١٠ [توجيه آخر للمحبة]
- ٢١٠ [قول ملا محمد صالح في المحبة]
- ٢١٢ [تعليق الشارح على: إن لم يكن خير محض]
- ٢١٢ [تعليق الشارح: أول خلقه أحب خلقه له]
- ٢١٣ [تعليق الشارح: في تقابل المحبة والبغض]
- ٢١٤ [في محبة الله للمخلوقات]
- ٢١٥ تنمة
- ٢١٥ [العقل الكامل لا يكون إلا فيمن أحبه الله]
- ٢١٧ [شرح: ولا أكملتك إلا فيمن أحب]
- ٢١٨ [قول الملا محمد صالح]
- ٢١٨ [نقد شرح الملا صالح]
- ٢٢٠ [المراد بإكمال العقل]
- ٢٢١ [كمال أوليائه ليس مكتسب]
- ٢٢١ [شرح: أما إني إياك أمر وإياك أنهي]
- ٢٢٣ [العقاب والثواب يتوجه من أهل البيت ﷺ]
- ٢٢٤ تنبيه: [في شرح حرف (أما)]
- ٢٢٥ [تعليق على شرح الملا محمد صالح]
- ٢٣٢ [معنى العوالم عند الحكماء]
- ٢٣٤ إشارة
- ٢٣٤ [إطلاقات الخلق]
- ٢٣٥ [التجدد الزماني في الظاهر]
- ٢٣٧ [في الزمان الظاهري والغيبي]
- ٢٣٩ [إشارة إلى معنى الستة]
- ٢٣٩ [المراد باليوم]
- ٢٣٩ [معنى آخر للحديث]

٢٤٣	[شرح الحديث الثاني]
٢٤٥	[نص الحديث]
٢٤٥	[شرح الحديث: اختيار نبي الله آدم العقل]
٢٤٧	[شرح الحديث الثالث]
٢٤٩	[نص الحديث]
٢٤٩	[شرح نص الحديث: المراد بالعقل]
٢٤٩	[قوى النفس]
٢٥٠	[معنى نكراء]
٢٥٠	[معنى: ما عُبد]
٢٥١	[أصل خلقة هذه القوة]
٢٥١	[معنى: شبيهة بالعقل]
٢٥١	[شرح ملا صالح في معرفة العقل مطلق]
٢٥٣	[معنى: شبيهة بالعقل]
٢٥٥	[شرح الحديث الرابع]
٢٥٧	[نص الحديث]
٢٥٧	[شرح نص الحديث: العقل هو الصديق]
٢٥٩	[شرح الحديث الخامس]
٢٦١	[نص الحديث]
٢٦١	[شرح نص الحديث: العقل بمعنى القوة]
٢٦٥	[شرح الحديث السادس]
٢٦٧	[نص الحديث]
٢٦٧	[شرح نص الحديث: كل ذي عقل فهو في الجنة]
٢٦٩	[شرح الحديث السابع]
٢٧١	[نص الحديث]
٢٧١	[شرح نص الحديث: المناقشة يوم القيامة على قدر العقول]
٢٧٤	[شرح (يداق الله)]
٢٧٧	[شرح الحديث الثامن]

٢٧٩	[نص الحديث]
٢٨٠	[شرح نص الحديث : توضيح مفردات]
٢٨٢	[فيمن أثبت لله صفة المخلوقين]
٢٨٣	[الثواب الذي نظر له في الدنيا أو الآخرة؟]
٢٨٣	تنبيه
٢٨٤	[نقد قول المولى محمد صالح المازندراني]
٢٨٦	إشارة
٢٨٦	[تكملة نص الحديث]
٢٨٦	[شرح نص الحديث : الثواب على قدر العقل]
٢٨٧	[ظهور الملك للنبي]
٢٨٩	[شرح الحديث التاسع]
٢٩١	[نص الحديث]
٢٩١	[شرح نص الحديث : فيما يقع عليه الجزاء]
٢٩٢	[المراد بالعقل]
٢٩٣	[شرح الحديث العاشر]
٢٩٥	[نص الحديث]
٢٩٥	[شرح نص الحديث : نهى الله عن عبادته واتباع الهوى]
٢٩٩	[شرح الحديث الحادي عشر]
٣٠١	[نص من الحديث]
٣٠١	[شرح نص الحديث : أفضل ما قسم الله للعباد العقل]
٣٠٣	[الموجب للتفاضل]
٣٠٣	[تكملة نص الحديث]
٣٠٣	[شرح تكملة الحديث : نوم العاقل والجاهل]
٣٠٥	[تكملة نص الحديث]
٣٠٥	[شرح تكملة الحديث : تشخيص العاقل والجاهل]
٣٠٦	[تكملة نص الحديث]
٣٠٦	[شرح تكملة الحديث : استكمال العقل في محمد وآله]

٣٠٧	[استكمال العقل في النبي من شروط النبوة]
٣٠٨	تتمة
٣٠٩	[الرسول والأنبياء والفرق بينهم]
٣٠٩	[تكملة نص الحديث]
٣٠٩	[شرح تكملة الحديث: لكل نبي علم خاص]
٣١٠	تتميم
٣١٠	[تكملة نص الحديث]
٣١٠	[شرح تكملة الحديث: توقف العبادة على المعرفة]
٣١٢	[عبادة من طابق الواقع]
٣١٣	[تعليق الآغا كُتُتَة في الفوائد]
٣١٩	[نقد ما ورد في الفوائد الحائرة]
٣٢٠	[تكملة نص الحديث]
٣٢٠	[شرح تكملة الحديث: في عمل العابد العاقل]
٣٢١	[تكملة نص الحديث]
٣٢١	[شرح تكملة الحديث: أولو الألباب]
٣٢٢	[العقل يُذكر لا يَنْبَه]
٣٢٥	[شرح الحديث الثاني عشر]
٣٢٧	[نص الحديث]
٣٢٧	[شرح النص: أهل العقل والسلامة تأتيهم البشارة]
٣٢٧	[صفات العباد المبشرين]
٣٢٨	تتمة
٣٢٩	[تكملة نص الحديث]
٣٢٩	[شرح تكملة الحديث: إكمال الحجج بالعقول]
٣٣٠	[الكمال لا يقوم إلا بالعقل]
٣٣٤	[الشرع والعقل]
٣٣٧	تنبيه
٣٣٨	[نصر الله الأنبياء بالبيان والفصاحة]

٣٣٩	[في معنى واحلل عقدة من لساني]
٣٤٠	[قول الملاً خليل في البيان]
٣٤٠	[الله دل أنبياءة على معرفته]
٣٤١	[قول ورد على ملا خليل في أثبات وجوب الوجود]
٣٤٣	[تعليق المصنف]
٣٤٦	تتمة
٣٤٦	[جزاء وثواب التفكير في الآفاق]
٣٤٨	[ثمانية براهين تدل على وجود صانع حكيم]
٣٤٨	[خلق السماوات]
٣٤٨	[موقع الأرض بالنسبة للعالم]
٣٥٤	[في مقادير النهار والليل]
٣٥٦	[في فائدة الفلك التي تجري في البحار]
٣٥٧	[نزول الماء من السماء]
٣٦٠	تنبيه وبيان
٣٦١	[رأي الحكماء في سقوط المطر]
٣٦٤	[إطلاقات الأرض]
٣٦٥	[الحكمة من بث الدواب في الأرض]
٣٧٣	[غذاء الخفافش]
٣٧٧	[الحكمة في تصريف الرياح]
٣٧٨	[الرياح وأسمائها وحركتها]
٣٨٢	[السحاب المستخر]
٣٨٥	[تكملة نص الحديث]
٣٨٥	[شرح تكملة الحديث: المدبر]
٣٨٦	[تكملة نص الحديث]
٣٨٦	[شرح تكملة الحديث: مصالح الخلق المرتبطة بالآيات]
٣٨٦	[الشمس]
٣٨٧	[القمر]

٣٨٨	[النجوم]
٣٩٤	[مسخرات]
٣٩٥	[الأشاعرة ونفي جميع العلل]
٣٩٦	تتمّة وتحقيق
٣٩٧	[قول الملاء صدرا الشيرازي]
٣٩٧	[قول السيد الداماد]
٣٩٨	[الطبيعة وغايتها]
٣٩٨	[نظام الذبول في الطبيعة]
٤٠٠	[اختلاف أفاعيل الطبيعة]
٤٠١	تنبيه
٤٠٢	تنبيه واستدلال صادقي
٤٠٨	[تكملة نص الحديث]
٤٠٨	[شرح تكملة الحديث: كمال الاتقان في الأنفس والآفاق]
٤١٠	بسط وتبيين [في خروج المني من الإنسان]
٤١٢	[حجة من أنكر تشابه المني]
٤١٣	[نقض رأي أرسطو]
٤١٤	[نقض حجة من أنكر تشابه المني]
٤١٥	[في المني]
٤١٦	تنبيهان تميمان
٤١٦	[رأي الفلاسفة في مني الأنثى]
٤١٧	[رأي الشارح في مني الأنثى]
٤١٨	[أي المنيين أقوى في الانعقاد]
٤١٩	[مراحل تكوّن الجنين]
٤٢١	بيان وتحقيق
٤٢١	[عمر الجنين في بطن أمه]
٤٢١	[سبع مراتب لأطوار الإنسان]
٤٢٤	[الحكمة من خلق الموت]

- ٤٢٤ [أسباب وقوع الموت]
- ٤٢٥ [الأجل وأقسامه]
- ٤٢٦ [القيامة أحد معاني الأجل]
- ٤٢٨ [تكملة نص الحديث]
- ٤٢٨ [شرح تكملة الحديث: ارتباط الأرض بالأسباب السماوية]
- ٤٢٩ [في الرزق الحلال]
- ٤٣٠ [الرزق عند الأشاعرة ونقاشهم]
- ٤٣١ فائدة
- ٤٣١ [تكملة نص الحديث]
- ٤٣١ [شرح تكملة الحديث: أحياء الأرض بعد موتها]
- ٤٣٢ [تكملة نص الحديث]
- ٤٣٢ [شرح تكملة الحديث: الحكيم ألف بين المتعاديات بمقدار]
- ٤٣٤ [تكملة نص الحديث]
- ٤٣٤ [شرح تكملة الحديث: أدلة من الآفاق]
- ٤٣٥ [تكملة نص الحديث]
- ٤٣٥ [شرح تكملة الحديث: استكمال الإنسان بالقوتين العلمية والعملية]
- ٤٣٦ [أسباب قتل الأولاد ونفقتهم]
- ٤٣٧ تنبيه
- ٤٣٧ [عدم إيذاء الوالدين]
- ٤٣٧ [في شرف رتبة الوالدين]
- ٤٣٨ [النبي محمد وآله ﷺ هم الوالدان الحقيقيان]
- ٤٣٩ [الموت والقتل للجسم والنفس]
- ٤٤٢ [تكملة نص الحديث]
- ٤٤٢ [شرح تكملة الحديث: نفي الشريك عن الله]
- ٤٤٣ [الغاية من ضرب المثل في القرآن]
- ٤٤٣ [الشريك نقص وقبح في حق الخالق]
- ٤٤٥ [تكملة نص الحديث]

- ٤٤٥ [شرح تكملة الحديث: وعظ وتلين قلوب أهل العقول]
- ٤٤٦ [في ذم الدنيا]
- ٤٤٧ [في مدح الدنيا]
- ٤٤٧ [في لذات الدنيا]
- ٤٤٨ [تكملة نص الحديث]
- ٤٤٩ [شرح تكملة الحديث: فيما وقع بالأمم السابقة]
- ٤٤٩ [وقوع العذاب على هذه الأمة]
- ٤٥٢ [معنى الآية في كتب التفسير]
- ٤٥٥ [تكملة نص الحديث]
- ٤٥٥ [شرح تكملة الحديث: في ضرب الأمثال]
- ٤٥٥ [حكمة ضرب الأمثال]
- ٤٥٧ [تكملة نص الحديث]
- ٤٥٧ [شرح تكملة الحديث: ذم غير العاقل]
- ٤٥٧ [ذم التقليد وترك النظر]
- ٤٥٩ [الكفار وعدم فهم ما ألقى النبي ﷺ]
- ٤٦١ [تكملة نص الحديث]
- ٤٦١ [شرح تكملة الحديث: السمع بالقلب]
- ٤٦١ [الأصم الغير متعقل]
- ٤٦٢ [فاقد النظر التفكري النفسي]
- ٤٦٢ [فيمن فقد جميع الحواس]
- ٤٦٢ [حال من فقد الطريق]
- ٤٦٣ [الإبهام في القرآن]
- ٤٦٤ [نسبة الحسيان للنبي ﷺ بأنهم يسمعون أو يعقلون]
- ٤٦٥ [تكملة نص الحديث]
- ٤٦٥ [شرح تكملة الحديث: صفات الجاهل]
- ٤٦٦ [تكملة نص الحديث]
- ٤٦٧ [شرح تكملة الحديث: ذم الكثرة]

- ٤٦٩ [تكملة نص الحديث]
- ٤٧٠ [شرح تكملة الحديث: استكمال القوتين في القليل]
- ٤٧٢ [تكملة نص الحديث]
- ٤٧٣ [شرح تكملة الحديث: في التذكير]
- ٤٧٣ [تعريف الحكيم]
- ٤٧٥ [الحكمة شرف العقل]
- ٤٧٦ [الترغيب في طلب الحكمة]
- ٤٧٧ [الراسخون في العلم المقتضي للمعرفة]
- ٤٨٠ [لمن يأخذ الحكمة عن غير أهل البيت عليه السلام]
- ٤٨٠ [في المتشابه والمحكم]
- ٤٨١ [تكملة نص الحديث]
- ٤٨٢ [شرح تكملة الحديث: التفكير بالقلب في المخلوقات]
- ٤٨٣ [تكملة نص الحديث]
- ٤٨٣ [شرح تكملة الحديث: الغاية من إنزال الكتب]
- ٤٨٤ [تكملة نص الحديث]
- ٤٨٥ [شرح تكملة الحديث: لقمان الحكيم]
- ٤٨٧ [تكملة نص الحديث]
- ٤٨٨ [شرح تكملة الحديث: من حكم ومواعظ لقمان]
- ٤٨٩ [في التواضع للحق]
- ٤٨٩ [الكيس لدى الحق]
- ٤٩٠ [تكملة نص الحديث]
- ٤٩١ [شرح تكملة الحديث: الدنيا رأس كل خطيئة]
- ٤٩٣ [خمسة أشياء للسير]
- ٤٩٣ [الزاد والمتاع]
- ٤٩٤ [التوكل والتفويض لله في كل الأمور]
- ٤٩٤ [العقل ودوره في السير]
- ٤٩٤ [العلم دليل لمعرفة الطريق]

- ٤٩٥ [الصبر رابط على قلب من رام الطريق]
- ٤٩٦ [تكملة نص الحديث]
- ٤٩٦ [شرح تكملة الحديث: العقل ليس دليل على الحق]
- ٤٩٦ [في الشيء]
- ٤٩٨ [تكملة نص الحديث]
- ٤٩٩ [شرح تكملة الحديث: الغاية من بعث الرسل]
- ٥٠٠ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٠ [شرح تكملة الحديث: حجة العقل]
- ٥٠١ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠١ [شرح تكملة الحديث: من العقل شكر النعمة]
- ٥٠٢ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٢ [شرح تكملة الحديث: ما يقوي العقل وما يضعفه ويبطله]
- ٥٠٣ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٣ [شرح تكملة الحديث: زكو العمل ونمائه بتوجه القلب لله]
- ٥٠٤ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٤ [شرح تكملة الحديث]
- ٥٠٤ [اعتزال أهل الدنيا ومن رغب فيما عند الله]
- ٥٠٨ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٨ [شرح تكملة الحديث: لا نجا بالمعصية]
- ٥٠٩ [تكملة نص الحديث]
- ٥٠٩ [شرح تكملة الحديث: لا عمل إلا بعلم]
- ٥١٠ [تكملة نص الحديث]
- ٥١٠ [شرح تكملة الحديث: لا يؤخذ العلم من كل متصد له]
- ٥١١ [ولا علم إلا من عالم الرباني]
- ٥١٣ [تكملة نص الحديث]
- ٥١٣ [شرح تكملة الحديث: العمل القليل من العامل بإخلاص]
- ٥١٣ [تكملة نص الحديث]

- ٥١٣ [شرح تكملة الحديث: العاقل رضي بالقليل من الدنيا]
- ٥١٤ [تكملة نص الحديث]
- ٥١٤ [شرح تكملة الحديث: ترك فضول الدنيا]
- ٥١٥ [تكملة نص الحديث]
- ٥١٥ [شرح تكملة الحديث: وجوب طلب الآخرة وترك الدنيا]
- ٥١٦ [تكملة نص الحديث]
- ٥١٦ [شرح تكملة الحديث: الزهد عن الدنيا والأعراض عنها]
- ٥١٩ نقل وتحقيق
- ٥٢١ تنبيه
- ٥٢٢ [تكملة نص الحديث]
- ٥٢٢ [شرح تكملة الحديث: الغنى بالعقل]
- ٥٢٤ [تكملة نص الحديث]
- ٥٢٥ [شرح تكملة الحديث: الطلب من الله الرحمة والمعونة]
- ٥٢٧ [الغواية في الآخرة]
- ٥٢٩ [تكملة نص الحديث]
- ٥٢٩ [شرح تكملة الحديث: الظاهر مرآة الباطن]
- ٥٣٢ [تكملة نص الحديث]
- ٥٣٣ [شرح تكملة الحديث: العقل المميز أصل الخيرات]
- ٥٣٣ [صفات ودرجات العقل]
- ٥٣٣ [الكفر والشك]
- ٥٣٣ [الرشد وبذل الخير]
- ٥٣٤ [البذل من فاضل المال]
- ٥٣٤ [الصمت]
- ٥٣٥ [تكملة نص الحديث]
- ٥٣٥ [شرح تكملة الحديث: بقية الصفات]
- ٥٣٦ [العاقل ونصيبه من القوت]
- ٥٣٦ [العاقل لا يشبع من العلم دهره]

مبعثرات

- ٥٣٧ [العاقل الذل أحب إليه مع الله]
- ٥٣٨ [العاقل التواضع أحب إليه من الشرف]
- ٥٣٨ [العاقل يستكثر قليل المعروف من غيره]
- ٥٣٩ [العاقل يرى الناس كلهم خيراً منه]
- ٥٤٠ [تكملة نص الحديث]
- ٥٤٠ [شرح تكملة الحديث: العاقل لا يكذب]
- ٥٤١ [تكملة نص الحديث]
- ٥٤١ [شرح تكملة الحديث: الدين والمروءة والعقل]
- ٥٤٢ [المروءة في الفقه]
- ٥٤٣ [صاحب المروءة]
- ٥٤٤ [المروءة في روايات أهل البيت عليه السلام]
- ٥٤٧ [تكملة نص الحديث]
- ٥٤٧ [شرح تكملة الحديث: ثمن البدن الجنة]
- ٥٥٠ [نكتة في كلام الإمام علي عليه السلام]
- ٥٥٠ [قول ملا محسن الفيض]
- ٥٥١ [رأي الشارح على ما ذكره الملا محسن]
- ٥٥٢ [تكملة نص الحديث]
- ٥٥٢ [شرح تكملة الحديث: من صفات العاقل ثلاث علامات]
- ٥٥٢ [صفات العاقل العلمي العملي]
- ٥٥٣ [نطق العاقل إذا عجز القوم]
- ٥٥٤ [من حسن التميز الإشارة بالرأي الحسن]
- ٥٥٥ [تكملة نص الحديث]
- ٥٥٥ [شرح تكملة الحديث: مكان أهل العقل والعلم]
- ٥٥٦ [تكملة نص الحديث]
- ٥٥٦ [شرح تكملة الحديث: أولوا الأبواب هم أهل العقول]
- ٥٥٧ [تكملة نص الحديث]
- ٥٥٧ [شرح تكملة الحديث: مجالسة الصالحين]

٥٥٧	[معاشرة المنافق بالتقية]
٥٥٨	[طاعة الإمام العادل]
٥٥٨	[طاعة السلطان الجائر]
٥٥٩	[تكملة نص الحديث]
٥٥٩	[شرح تكملة الحديث: من تمام المروءة استثمار المال]
٥٥٩	[التجار واستثمار المال]
٥٦٠	[في استرشاد المسترشد]
٥٦٠	[حسن المعاملة في الجوار]
٥٦١	[تكملة نص الحديث]
٥٦١	[شرح تكملة الحديث: شروط حديث العاقل]
٥٦٢	[إضافة لصفات العاقل]
٥٦٣	[تكملة نص الحديث]
٥٦٣	[شرح تكملة الحديث: لا يرجو العاقل ما لا يستحقه]
٥٦٤	[ذيل الحديث]
٥٦٦	[تتمة من إرشاد القلوب]
٥٦٧	الفهرس

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

هَدْيُ الْعُقُولِ إِلَى مَجَالِمْ الْأُصُولِ

تأليف

الشيخ محمد بن محمد بن علي التبريد
المتوفى ٧٥٢ هـ

تحقيقه

أحمد بن محمد بن علي التبريد

بمكتبة المؤلف

منشورات لجنة التحقيق والنشر التابعة للمرجعية الأحقافية

دار النجاة البيضاء

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ سَهْلِ بْنِ زَيْدٍ، رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «الْعَقْلُ غِطَاءٌ سَتِيرٌ، وَالْفَضْلُ جَمَالٌ ظَاهِرٌ».

[شرح الحديث: العقل غطاء ستير]:

أقول: العقل سواء كان بمعنى الملكة أو ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان، غطاء عظيم يتدثر به في شدائد الأمور وينوي به فيها، ويستدفع به، وستير من أمثلة المبالغة أو بمعنى مستوراً، فهو غطاء وحجاب مستوراً عن الأبصار الظاهرة.

والغطاء - بالغين المعجمة المكسورة - وظاهر توقف الستر على العقل، فيه يسلك الاستقامة وتحصل مكارم الأخلاق ويجتنب مساوئها.

والعقل أيضاً يعطي ما يستقبح عند بعض، والفضل هو العائد إلى الغير كالبر والإحسان، وحسن المعاشرة مع بني نوعه وعشيرته، وهو جمال ظاهر غير خفي ومستور، وهو ظاهر الأول ودليله الدال عليه، وهو صورة العقل الظاهرة، بل هو عقل في مقامه، ويدل عليه ممّا مرّ في الحديث، فتأمل.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِفَضْلِكَ، وَقَاتِلْ^(١) هَوَاكَ بِعَقْلِكَ، تَسْلَمْ لَكَ الْمَوَدَّةُ، وَتُظْهَرُ لَكَ الْمَحَبَّةُ».

[شرح تكملة الحديث: قاتل هواك بعقلك]:

أقول: هذا منه عليه السلام، مفرع على ما سبق من كون «العقل غطاء ستير، والفضل جمال ظاهر».

فما يقع في خلق الإنسان من الخلل وقل من يسلم منه، يستره بفضله الظاهر.

والخلق - بضم الخاء المنقوطة من أعلى - الصفة الذميمة، وكون حسن المعشر والإحسان إلى الناس يستر ذلك عندهم، ولا ينصرونك به، لا خفاء فيه؛ لحصول الإعراض منهم، ونظرك بحسن المعشر معهم، ويسترون عليك بذلك، "وعين الرضا عن كل عيب كليلة"^(٢)، وفيه من الترغيب في الفضل والإحسان، حتى إلى من يسيء إليك به ظاهر لما يترتب عليه.

ولذا رغب الشارع في العفو والتجاوز عمّن أساء إليك والإحسان إلى من أساء إليك. وشاهدنا كثيراً ممن يرضى عنك ويمدحك إذا أعطيته وبالعكس إذا منع، كما قال الله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾^(٣).

وفي بعض النسخ: «تظهر لك الحجة»، وهو كذلك أيضاً للقبول عليك، وتأيد قولك، بسبب فعلك معهم ذلك.

(١) في النسختين: "وقابل" وما أثبتناه من المصدر.

(٢) شطر من بيت لعبد الله بن معاوية (ت: ٧٤٦م)، والشرط الثاني منه: وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذَرُ الْمَسَاوِيَا.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

وفي نهج البلاغة - هكذا -: «العقل»^(١) غطاء ساتر، والعقل حُسامٌ باتر^(٢)، فاستُرَ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وقَاتِلَ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ»^(٣).

والحلم من أعظم الأستار للخلل كما سيأتي في معناه.

ولما كانت النفس الأمارة بالسوء لا تأمر إلا به ولا تميل إلا إلى الهوى والخسران أمر بمقاتلتها بالعقل، فإنه الضد لها والمؤيد، وهو أقهر وأقوى ويتملك عليها من أعلى، وإذا قاتلت الهوى بالعقل وانقادت النفس له سلمت من الخلل باطناً وظاهراً، فإن كان فالفضل ستر له جميل، والمودة والمحبة مترادفان أو بينهما مغايرة كما هو الظاهر من الاجتماع. وسيأتي في الحديث الآتي، إن شاء الله تعالى.

(١) في المصدر: الحِلْمُ.

(٢) في المصدر: قاطِعٌ.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٤١٤/٢٠، رقم (٤٣٣).

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الرابع عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: «عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ، فَجَرَى ذِكْرُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اعْرِفُوا الْعَقْلَ وَجُنْدَهُ، وَالْجَهْلَ وَجُنْدَهُ، تَهْتَدُوا».

قَالَ سَمَاعَةُ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَا نَعْرِفُ إِلَّا مَا عَرَّفْتَنَا».

[شرح النص: العقل وجنده]:

أقول: هذا الحديث مستفيض، بل متواتر معنى. رواه أحمد البرقي في (المحاسن)^(١)، والصدوق القمي في (الخصال)^(٢) و(العلل)^(٣) بتغيير ما في بعض الجنود الآتية، وهو غير ضائر، فلا يضره ضعف سنده كحال غيره من أحاديث الأصول.

ومعلوم: إنَّ كمال الخوض والبحث عن الحسن أو القبيح لا يتم إلا بمعرفتهما؛ ليتبع ويجتنب، لا بدون تعيين الموضوع.

(١) المحاسن: ١٩٦، باب (١) العقل، حديث رقم (٢٢).

(٢) الخصال: ٥٨٨/٢، أبواب السبعين وما فوقه، (أعطى الله عز وجل العقل خمسة وسبعين جنداً وأعطى الجهل خمسة وسبعين جنداً)، حديث رقم (١٣).

(٣) علل الشرائع: ١٣٨/١، باب (٩٦) علة الطبايع والشهوات والمحبات، حديث رقم (١٠).

[معنى فداك]:

والفداء - بفتح أوله، يمدّ ويقصر، وإذا فتح فهو مقصور -
وعن المبرد: المُفَادَةُ أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا، والفداء أن تشتريه؛
وقيل: هما بمعنى واحد^(١).

وهم ﷺ معدن العلم والمعرفة، والعرفان لكل شيء، فلا معرفة إلا
بتعريفهم، وتعريف غيرهم كونها منهم ضلال، وهذا مما لا خفاء فيه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ (عز وجل) خَلَقَ الْعَقْلَ - وَهُوَ
أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ - مِنْ نُورِهِ».

[شرح تكملة الحديث: العقل أول الخلق]:

أقول: عرفت عقلاً ونقلاً ثبوت العقل المجرد الكلّي، وإنّه أول
المبدعات والوجود المقيّد، وعرفت أن ليس المراد بأولية خلقه الأولية
المطلقة الأمرية، ولا الخلق التكويني التدريجي، ولا الاختراع التدويني؛
لمنافاة جميعه للتجرد عن المدة والمادة والزمان، وإن لم يتجرد عن المادة
الأمرية.

وقوله: «من الروحانيين» سواء جعل خبراً بعد خبر أو متعلق بخلق أو
بياناً له أو صفة له ظاهر الدلالة على كون أول المخلوقات حتّى على الوجه
الثاني؛ لسبق خلق الروحانيات كما عرفت؛ ولقوله: «عن يمين العرش».

وقوله: «بِكَ أَثِيبُ» إلخ، ولا يكون واسطة كذلك إلا الأوّل.

ومراتب الثواب والعقاب تشمل عوالم الذر أيضاً، مع قيام الدليل كما

(١) تاج العروس: ٢٢١/٣٩، مادة (فدي).

عرفت عقلاً ونقلاً، على أنَّ هذا العقل بهذا المعنى أول مخلوق من غير تقييد.

وفي النص: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد»^(١)، ولا ينافي ورُود النص بأن أول مخلوق الماء^(٢) أو القلم^(٣) أو جوهره^(٤)، لما عرفت من أن هذا العقل له جهات واعتبارات بها تعددت أسماؤه - ومما أشرنا لك هنا وأول الكتاب، يظهر بطلان قول ملاً خليل وجماعة هنا -.

قال ملاً خليل في الشرح: المراد بالعقل هنا صفة داعية لصاحبها الفعل الحسن أو غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، والحد الأول من جهة العملية، والثاني من جهة النظرية.

وبه فسر الحديث الأول أيضاً إذ مد[لولهما] واحد. ثم قال: العقل عرض لا يكن كونه^(٥) أول مخلوق؛ لتقدم محله عليه، وعلى تقدير جوهريته ورد في الأحاديث: «إن أول مخلوق الماء الذي خلق منه الأرواح».

قلت: ليس في هذا الحديث أنه أول مخلوق مطلق، بل المذكور فيه أنه أول مخلوق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، ومحل العقل ليس كذلك في نفسه وكذا الماء.

فإن قلت: قد ورد في بعض الأحاديث: «إن أول ما خلق الله العقل»، فكيف توجيهه؟

قلت: يجوز أن يقيد بقريئة ما نحن فيه، ويجوز أن لا يكون المراد بالخلق فيه الإيجاد، فإن الخلق لغة التقدير، تقول: خلقت الأديم إذا قدرته

(١) بحار الأنوار: ١٤٣/٦١.

(٢) التوحيد: ٦٧، باب (٢) التوحيد ونفي التشبيه، حديث رقم (٢٠).

(٣) تفسير الرازي: ٥٩٩/٣٠.

(٤) بحار الأنوار: ٣٦٣/٥٧.

(٥) في المصدر: لا يمكن أن يكون.

قبل القطع ، ولما كان المقصود من إيجاد الماء ومحل العقل إيجاد العقل ، وهما تمهيد له ، فأول مقدر ومقصود بالذات العقل المناط للتكليف المكرم على جميع خلقه. انتهى

وسيظهر ضعفه أيضاً ، مع أن خلقه بتقدير خلق وجودي أيضاً حتى بالمعنى اللغوي لو تأمل.

وقال محمد صالح في الشرح : ((إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين الجار والمجور إن كان خبراً بعد خبر ، أي : هو أول خلق وهو من الروحانيين ، فأفاد الكلام أن العقل جوهر مجرد^(١) أول المبدعات ، ومقدم على غيره من الممكنات في الفطرة والإيجاد ، ويؤيده قوله ﷺ : «أول ما خلق الله العقل» ، وإن كان بياناً لخلق أو صفة له^(٢) أو حال عنه أفاد أنه أول خلق بالنسبة إلى الروحانيين ، [و] أمّا [أنه أول خلق] بالنسبة إلى سائر الممكنات [كلها] فلا ، إلا أن يثبت تقدم الروحانيات على سائر الممكنات إيجاداً أو ثبوته خارج عن مفاد هذا الكلام ، فما فيه : من أنه يدل على أنه^(٣) أول المبدعات مطلق ، لأنها بتوسطه فمدفوع ، أمّا أولاً : فلا أنه لا دلالة فيه على تقدمه مطلق إلا على بعض الاحتمالات وهو أبعدها فلا يتم ما ادعاه ، وأمّا ثانياً : فلا أنه لا دلالة فيه على أن سائر الممكنات صدر منه تعالى بتوسطه العقل وهو ظاهر ، بل لا يبعد القول ببطلان هذا الحكم لبناء ظاهره على تخليط الفلاسفة. ثم نقل كلام أرسطو وأتباعه وبعض حكماء الإسلام^(٤) ، من أن الله واحد حقيق ولا يصدر عنه تعالى إلا واحد ، ثم أخذ في ترتيب الصدور مع اشتماله على بعض التحريف ولطوله أضربنا عنه مع

(١) في المصدر: يعني الجوهر المجرد الإنساني.

(٢) ليست موجودة في المصدر.

(٣) أي العقل.

(٤) الفارابي وابن سينا.

ظهوره مما سبق... إلى أن قال: ولا مستند لهم على طريق البرهان، فإذا ضويقوا بالمطالبة به قالوا: هذه أمور لا تدرك به^(١)، وإنما تدرك بالرياضيات أو بالرياضيات فمن أحكمها علم ذلك ضرورة ولا يخفى فساد، أمّا الرياضيات فالأنبياء وأوصياؤهم ﷺ: هم الأقدمون فيها والمكاشفة، ولم يخبروا بذلك. وأمّا الرياضيات فقال المحققون: هذا أسخف، لأنها كالهندسة والحساب والهيئة والموسيقى لا ارتباط بينها وبين المطلوب، فإن الهندسة تنظر في هيئة الجسم المتصل، والحساب [ينظر] في الكم المنفصل، [والهيئة] في كيفية الأجسام، والموسيقى في ترتيب الألحان وتقطيعها على وجه معروف مخصوص، ثم إنهم رضوا في القطعيات بما لا يفيد علماً ولا ظناً، والحق أن كل هذا باطل والموجود الأول قديم وحده، وفاعل العقول والأجسام والجواهر والأعراض ولوازمها كلّها بالاختيار على سبيل الحدوث [لا] بالإيجاب، وإلى قدرته ينسب الجميع، خالق كلّ شيء، لا إله إلا هو الواحد القهار^(٢). انتهى، وفيه زيادة على ما سبق.

[الرد على ما ذكر الملا صالح المازندراني]:

قوله: (أفاد أنه أول الخلق) إلخ، ثبوت تقدّم الرّوحاني على الجسماني ظاهر من غير نصّ، بل هذا الحديث أيضاً، حيث جعل خلقه من يمين العرش، أي: جهة العليا، فالعرش عن يساره، وكلامه ﷺ هنا لبيان الواقع وشرحه، ثمّ بعد قال: (ثمّ خلّق الجهل) إلخ، وهو مراتب الجسمانيات الظلمانية والشیاطين وأتباعهم الدالة على الترتيب، فيكون خلقه قبل، وكذا ما ورد في غير حديث الحدوث.

(١) أي بالبرهان.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٠٠/١.

وفي المحاسن أيضاً: «بك آخذ وبك أعطي»^(١)، فإن العطاء يشمل حتّى الإيجادي وإفادة الوجود، ويصرّح به ما دل على سبق محمّد ﷺ وآله ﷺ، وأنهم الواسطة للوجود.

وكيف لا يتقدّم وغيره من فاضل طينته، والصفوة متقدمة ذاتاً، ثمّ وكيف يكون هذا الاحتمال بعيد مع انطباق سائر الروايات المبينة لكون أوّل الإيجاد وقع لواحد، والأولية تقتضي السّبق له على غيره، فلا بدّ من توسّطه وإلا فلا أوليّة ولا ارتباط بين الموجودات، والواقع ليس كذلك، وإلا: ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾^(٢).

أمّا ما حرّف به كلام أرسطو، فسبق بيان هذه المسألة نصّاً وعقلاً، وظهور المستند نصّاً وعقلاً من عدّة وجوه.

قوله: (وإذا ضويقوا بالمطالبة) إلخ، غير خفي أنّه إذا قيل: إنّما تدرك بالمكاشفة، لا يقل في ردّه: أنّه لا يدرك بالهندسة ولا بالرياضي كما هو ظاهر لمن عرف اللفظ، وأمّا الأنبياء ﷺ فقد أشاروا بل صرّحوا في حديث حديث، مع أنّا لم نقف على من علق هذه المسألة على الرياضي أو المكاشفة، بل سبيلها كغيرها يحقّقها البرهان - ومرّ - نعم [ذكر] المحققون على أنها بديهيّة ومع ذلك دفع ما عسى أن يشكك به.

وأما مرتبة اليقين فيها التي قد يعبر عنها بالمكاشفة فلا يحصل إلّا بذلك، حتّى تشابه جواهر أوائل عللها، قال عليّ ﷺ: «إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابّهت جواهر أوائل عللها»^(٣)، وأقل ما قسم اليقين.

وأما قبل ففي مقام الصّورة لا المعاني العارية عنها، وهكذا حكم جميع مسائل الحكمة، وكأنّه لم يمحض كلامهم ويتدبّره والنصّ، وإلّا لم يقل

(١) المحاسن: ١٩٢، باب (١) العقل، حديث رقم (٧).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧٨، حرف الصاد، رقم (٤٧٣٨).

رضوا بالقطعيات بما يفيد الظن فالواقع بخلافه، مع أن دليله ظني ومتوهمه مزيف.

قوله: (والحق) إلخ، صريح في ورود مورد الأشاعة في نفي الأسباب، إلا أنه خاص بالإيجاد دون خلق أفعال العباد، وتلزمه حينئذ مطلق، مع ظهور العيان بتحققها في الإيجاد أيضاً، وإنها متممة لمعلولية المعلول لا لعليته تعالى، كيف وهي منه، وتسببت بلطفه، وهذا لا يتنافى أنه خالق كل شيء، كيف وهو فاعل السبب.

وفي النص: ﴿الْخَالِقِينَ﴾^(١)، وعنهم ﷺ: (ربّ الأرباب). وفي خلق الجنين، بعث الله ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام، كيف يشاء^(٢).

وفي التوقيع: «نحن صنائع الله والخلق بعد صنائعنا»^(٣) إلى غير ذلك، ومرّ بعض وليته.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(٤)، وقول الصادق ﷺ في التوحيد، منه كـ «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها»^(٥)، ولم يدل مع الأشاعة من وجه يلزمه منه الوفاق لهم مطلق، فتأمل فيما قيل، ودع من قال، واعرفه بالحق، فعلى كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نور.

(١) سورة المؤمن، الآية: ١٤.

(٢) فروع الكافي: ٣٥٤/١١، باب (٦) بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه، حديث رقم (٣) / ١٠٤٥٦

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٧٧، فصل (٧٧) أخبار في سبق نورهم ومناقب أخرى.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٥) قال أبو عبد الله ﷺ: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله؛ ذلك رسول الله ونحن». (راجع: بصائر الدرجات: ٢٦، باب (٣) معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله تعالى، حديث رقم (٢)).

وأما الإيجاد الذي توهمه فلم يثبتته حكيم، كما يظهر لمراجع أبواب الصفات من الشرح.

وكذا كتب الدّاماد، والصّدر، وابن سينا، وابن أبي جمهور، وأضرابهم، غير أن قدرة الله واختياره كذا به، فعلى من كل وجه أتم الاختيارات فوق التمام مبرأ عن سبق التروي والقصد وأشباههما، فتدبر وتأمل فيما نقول يظهر لك الضعف مع ما قاله هنا أيضاً ممّا لم ننقله.

فقوله عليه السلام: لما خلق الله العقل بأمر كن، الذي هو عبارة عن مشيئته، وهو عالم الأمر والإيجاد المطلق.

وعرفت معنى الخلق هنا، إشارة إلى أنّه أول خلق من الرّوحانيين، والمراد به عالم الغيب بما يشمل الجبروت والملكوت والأجسام، أي عالم الملك ظاهره، فهو فرع وتبع.

[معنى الروحانيين]:

والروحانيين: - بفتح الراء جمع (روحاني) بفتحها أيضاً نسبةً إلى الرّوح بضمّها بزيادة الألف والنون، ويجوز فيها الضم مطلقاً. والرّوح يذكر ويؤنث - وتفصيل معناها مذكور في بابها من كتاب التوحيد - والمراد بها هنا مطلق: عالم المجرد.

ثمّ بيّن بعد كونه أول الرّوحانيّين بأنه عن يمين العرش، وهي أقوى جوانبه وجهته التي له مع الله لا جهة السفلى التي مع الهوى، وإن كان الكلّ مع الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١)، وغيرها نصّاً واعتباراً، فإذا كان عن يمينه الرّوحانيّون.

والمراد به: أمّا جملة عالم الملك أو الجسم المحيط، فإن له عرشاً

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤.

غيباً، عقل الكلّ، وهو جهة اليمين أيضاً، كان قبل الجسمانيات، وقد كان أول الروحانيات، فكان قبل الكل لأنه بالقسمة الكلية روحاني، وحيث لم تقيد الأوليّة فهي عامّة بالنسبة إلى الكلّ إلّا الواجب الخالق له، ولما بين ﷺ: إنه عن يمين العرش، عرّف أنه يطلق على الكل العرش أيضاً، ويراد به حينئذ ما سوى الله تعالى، فإنه حينئذ بمنزلة إنسان، بل هو الإنسان الكامل، كما تطلق الإنسان وتريد به صورته الظاهرة الجسمانية أو صورته الملكوتية الغيبية أو المجموع.

وتفصيل الأقسام وفهمها من النصّ ظاهر لمن راجع باب العرش والكرسي.

وأيضاً إذا كان عن يمين العرش والجهل عن يساره، كان الكل واحداً بمنزلة الإنسان، كما قالته الحكماء.

وفي حديث الصّابي: إن الله واحد، وصنعه واحد، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدٍ﴾^(١)، خلقكم من نفس واحدة، على باطن التأويل، والباطن كما عليه أهل البيت بما لا تخطفته الأهواء المضلة، وزعموا أنه طريقة التأويل، فليسوا منه على شيء.

ولا شك في كون جهته اليمنى حينئذ أولى بالتقدم والإيجاد أولاً.

[معنى النور]:

وأما قوله ﷺ: «من نوره»، فالمراد بـ (من) معنى الظهور والتجلي لا التجزئة والانفصال، وتعالى الله علواً كبيراً.

والمراد بـ (نوره) عالم الأمر والمشیئة، التي هو نفس الإيجاد وإن تعددت المشیئة بعد بحسب ظهور المفعول بها، ولا تمايز بينها، والمفعول

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

خارجاً لأنها فعله، ولكون قيام المفعول بالفعل الذي هو الإيجاد، وكان به أتى به (من)، ولكون ظهور النور، أي: الوجود المطلق منه تعالى لا بالانفصال ولا المخالطة، بل بالتجلي، أضاف النور له تعالى، إذ ضميره عائد إليه تنبيهاً على ذلك، وإن صحّ قول من الله، وقد ورد في غير حديث لكن كما عرفت من معناها هنا، بياناً للدلالة على أنه لا مشارك له في الخالقية وغيرها، إذ لا مشاركة في الواجبي فاستبصر.

وغير خفي على الفطن أيضاً: إن خلقه من نوره، مقتضى لأوليئهم، وكونه الواسطة لمن دونه أيضاً، وكذا إضافته لذاته، مقتضية لشرفه وعلوه على من سواه.

وبديهية أن ذلك مقتضى للوساطة الوجودية، ولتحصيل الكمال للسافل مطلق، ومنه الموجدية، وإلا فلا أشرافيه مطلق وعلو ذاتياً. فتذكر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل».

[شرح تكملة الحديث: في الإدبار]:

أقول: قد سبق لك معنى الإقبال والإدبار أول الكتاب في خلق العقل، ومنه يظهر في معنى الجهل، وإنهما جاريان في التكوين والتشريع، ولكن بالمخالفة والضدية، لأن هذا من أصل الماهية، وطينة سجين المختارة بسيطاً، ثم كان مرغباً بعد المزج والتركيب مزجاً لم يبطل الأصل ولا الاختيار، وإلا لم يتم التكليف. وعرفت ما قيل فيه من المزيفات وإن أمكن تصحيح بعضها بوجه.

ولعل أن قائله لم يرده، وإنما أراد أنه المعنى، لكن عرفت الحديث السابق، أول الباب ذكر الاستنطاق أولاً بعد خلقه.

وهنا لم يذكره أولاً لكن يدلّ عليه التزاماً، فما خاطبه إلا بعد الاستنطاق، وهو بعد أن ألقى في هويته وأرشده إليه، وفي ذلك الحديث أتى بـ (ثم) بعد الاستنطاق، وبيّن الإقبال والإدبار، وبعد الإدبار أيضاً، وبـ (الفاء) قبل إقباله وكذا قبل إدباره، وهنا أتى بالفاء عند أمره بالإدبار وعند قوله (بعد)، «فقال الله تبارك» إلخ، ولا فرق في باقي العواطف، وعرفت أن فائدة التعقيب بـ (الفاء) في: فأقبل وأدبر، سرعة الامتثال، وإنه لا تأخر عنه ولا انفكاك، وأتى بـ (ثم) بين الإقبال والإدبار، لا للانفكاك الواقعي أو توسط رتبة ساكنة أو خارجه، ولا لأن الحركة استقامية فيتخلل السكون، بل لكون النهاية إلى القوة المادية ثم الرجوع إلى فعلية وشعور بعد قوة وانحلال أتى بـ (ثم) لبيان تفاوت الرتب بين نهاية النزول والصعود، وأتى بـ (ثم) قبل الإقبال في الأوّل لما ذكر كماله في نفسه ورتبته؛ لبيان التفاوت بالشرف والرتبة، وأتى هنا بـ (الفاء) أولاً؛ لبيان قيام السافل بالعالي وأنه ظل آثاره.

وفي هذا الحديث قدّم الإدبار على الإقبال، وفي الحديث السابق أوّل الكتاب عكس، وفي الحديث الآتي آخرأ قدّم الإقبال مثل المذكور أولاً، واختلف العلماء المتعرض كذلك في التوفيق بينها.

فقال ملاً خليل القزويني في الشرح، عكس الترتيب ولا ضير، إذ الاستعارة التمثيلية فيها سعة، وتعبيرات مختلفة، فباعتبار شرف الإقبال يقدّم وباعتبار تأخره حدوثاً في العقل، لأن العاقل في مبدأ الفطرة ليس مقبلاً بوجه. انتهى.

أقول: الذي حمّله على هذا القول ما سمعت من قوله السابق، وضعفه ظاهر، ولا تخيل ولا تمثيل، فتدبر.

وقال محمّد صالح في الشرح: (إن كانت القضية في الخطاب متعددة فالأمر واضح وإلا ففيه إشكال، اللهم إلا أن يقال: كان في الواقع أمر بالإقبال ثم أمر بالإدبار، ثم أمر بالإقبال، ففي الحديث السابق لم يذكر

الأمر بالإقبال قبل الأمر بالإدبار، ومن مجموعهما يستفاد ما كان في الواقع فليتمل^(١) انتهى.

أقول: مبدأ الخطاب واحد، ويتعدد بحسب المقارنة، وقوس البدء والعود، وهو واحد ذو إقبال وإدبار، ولا ثلاثة في الحديث ولا حذف فيه، بل إقبال وإدبار، والخطاب تام في كل حديث فلا قرينة على الحذف بل ظاهره خلافه.

وقال الكاشاني في شرح هذا الحديث: «أدبر» أي انصرف إلى الدنيا واهبط إلى الأرض رحمة للعالمين، والإدبار هنا بعينه هو معنى الإقبال في الحديث الأول، والتعبير عنه بكل منهما صحيح، فإن الله بكل شيء محيط، فالإقبال إليه عين الإدبار عنه وبالعكس، فلا منافاة بين الحديثين في التقدم والتأخير.

«أقبل» توجه إلى إقبال، وترق إلى معارج الكمال باكتساب المقامات والأحوال^(٢). انتهى.

كل مرتبة في الصعود تقابل نظيرها في النزول وإليها معادة، فهي عينها بوجه وغيرها بوجه آخر، وإلا كانت قوس بدء ونزول، فالعينية مطلقاً ممنوعة.

ولو قال: إقبال هو إدبار، أو نزول هو إقبال من جهة أنه في ذلك لم يعرض عن باريه، بل هو في الامتثال لم يخرج عنه في تطوراته وظهوراته الفرعية، وقوس التكليف الشرعي غير التكليف الوجودي، وإن كان صفته وسبب عنه، وحينئذ يظهر لك العلة في اختلاف التعبير من غير منافاة بخلاف الجهل.

(١) شرح أصول الكافي: ٢٠٦/١.

(٢) الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام: ٤٢/١.

[العقل في الخلق الثاني]:

فالعقل في الخلق الثاني بمقتضى قبوله وعمله، وجزاؤه مطابق للخلق الأول الذاتي النوعي، ولما خلق له، فلا ينظر لشيء إلا وينظر الله معه أو قبله، فنظره لغيره به، فكان إقباله إدبار وبالعكس، بخلاف الجهل فإنه إعراض، ولم يعمل بمقتضى ما جعل في أصل وجوده ومادته، فألبس الكفر والضلال بكفره في الخلق الثاني، فكان له الإدبار بعمله لما قيل له أقبل فأبى - كما سيأتي - وله القدرة على الإقرار والإقبال على الله والخروج من ظلمة الجهل، فهو أعطي فأبى - كما ستعرفه إن شاء الله، فتدبر -.

وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام: «الجهل صورة ركبت في بني آدم»^(١)، إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس، ألا ترى إلى الإنسان؟ تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه، حامداً لها، عارفاً بعيبيها، في غيره ساخطاً لها، وتارة تجده عالماً بطباعه، ساخطاً لها، حامداً لها في غيره، فهو متقلب بين العصمة والخذلان، فإن قابلته العصمة أصاب، وإن كان^(٢) الخذلان أخطأ، ومفتاح الجهل الرضا به، والاعتقاد له^(٣)، ومفتاح العلم الاستبدال مع إصابة موافقة^(٤) التوفيق، وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم^(٥) بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده بالعلم، فليس^(٦) شيء إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل في الدنيا والحرص، فالكلّ منهم كالواحد^(٧)، والواحد منهم كالكل^(٨)، وتأمله بما سيأتي في الجهل.

(١) في المصدر: في الدنيا.

(٢) في المصدر: قابله.

(٣) في المصدر: به.

(٤) في المصدر: موافقة.

(٥) في المصدر: بالعلم.

(٦) في المصدر: وليس.

(٧) في المصدر: كواحد.

(٨) مصباح الشريعة: ٧٥، الباب (٣٣) في الجهل.

والكاشاني يريد من إحاطة الله معنى مخالف للحق ومطابق لطريقة التصوف، ليس هنا موضع بيانه ورده.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتُكَ خَلْقًا عَظِيمًا وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي».

[شرح تكملة الحديث: في العقل تستجمع فيه الكمالات]:

أقول: غير خفي أن خلقه خلق عظيم، يقتضي أن تستجمع فيه كمالات وزيادة.

وفي علل الشرائع: إن للعقل رؤوساً بعدد الخلائق من كان ويكون، الحديث^(١)، فيكون عظيمًا ذاتاً وصفة، وأفضل من جميع مخلوقاته كذلك، وهو كذلك، فيكون هو الاسم الجامع، ولكل موجود نسبة خاصة له، وهي جهته ورابطته، وهو^(٢) جهة الله الذي منه يؤتى، ووجهه وعينه التي ينظر بها لخلقها.

ولا شك أن محمداً كذلك، فهو الإنسان الكامل غيباً وشهادة، فنسبته لسائر الممكنات نسبة الكلّي إحاطة ووجوداً، ونسبته لكل فرد، نسبة الكل لإفراده ظهوراً. فتأمل.

(١) إن النبي سئل مما خلق الله جلّ جلاله العقل؟، قال: خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة، ولكل رأس وجهة، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود، ويبلغ حد الرجال، أو حد النساء، فإذا بلغ كشف ذلك الستر، فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والرديء ألا ومثل العقل في القلب كمثال السراج في وسط البيت» (راجع: علل الشرائع: ١٢١/١، باب (٨٦) العلة التي من أجلها صار العقل واحداً في كثير من الناس).

(٢) في نسخة (ب): هي.

ومعلوم أن كونه كذلك لا على سبيل التخيل والاستعارة يقتضي أن لا يكون عرضاً ولا بالعقل الهولائي ولا النظري كما عرفت، بل جوهر جبروتي كما عرفت، والتميز صفته وفي كل على سبيل الفاضلية، إذ جميع الطين المجردة والمادية من فاضله، إذ لأعماله وحسناته فضل نوري يفيض على من دونه.

وفي أحد الزيارات: (وإن خفت موازينهم فتقلها بفاضل أعمالنا)، ويدلّك على ذلك ظهور المعاجز المتنوعة على يده ﷺ وآله المعصومين ﷺ، وهي تقتضي إفاضة فضل نور حتى يصعد رتبة وجودية من رتبة إلى رتبة أخرى لم تصل لها قبل.

ولا شك فإنهم خزائنه العظمى، وآيته الكبرى، وإليهم يرجع أمر الآخرة والأولى، وقد أقامهم الله وجعلهم أعظم الأدلة له، وهم الوسائط مبدأ ومعيداً، والروايات والأدعية والخطب بذلك متواترة.

وأشار ﷺ بهذا الكلام على رجوع العود على البدء وعود الكل له، كما كان الوساطة أولاً؛ لنص: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(١)، وغيرها متواتر، كما تواتر عقلاً لذوي البصائر.

تقويم وإمطة:

قال محمد صالح بعد كلام الإمام ﷺ السابق (فيه أن العظمة والشرافة والفضيلة من باب التفضل من الله تعالى من غير اشتراط القابلية والاستعداد، وإن العقل أشرف من الملائكة المقربين)^(٢) انتهى.

فأمّا أشرفيته على الملائكة فحق؛ لدخولها في خلقه تعالى، وأمّا عدم

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢٥.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٠٦/١.

اشتراط القابلية والاستعداد في القبول فغلط لا وجه له، وإلا فلم توقف
الجزء على العمل، وحصول العلم على التوجه والاستعداد.

وفي النص: «إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها بقوة»^(١)
الاستعداد»^(٢).

ولما كانت التكاليف الشرعية ألطافٌ عقلية ومقرّبات نفسية، ولما توقفت
التحلية^(٣) على التحلية فكأنه لم يراع صناعة الفلاحين فضلاً عن صناعة
غيرهم، وتوهمه من قوله ﷺ: «كرمتك» وفضلتك وهم، ولا ينافيه
التفضل، فذلك من تفضله، ولا يلزم سبق شيء لله تعالى أو يكون معه غيره
هي المادة المستعدة، فإنه في الإيجاد والإفاضة الأولية التي هي بمحض
ذاته غير متوقفة على شيء، انفعاله وقبوله الوجود الذي هو نفس القبول،
لأنه إبداع. فتأمل. فسبحان الجواد المطلق والغني الحق.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «قال: ثُمَّ خَلَقَ الْجَهْلَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ ظُلْمَانِيًّا».

[شرح تكملة الحديث: خلق الجهل]:

أقول: إنما عقب به (ثم) في خلق الجهل لأن خلقه ثانياً وبالعرض من
يسار العقل، لتكميل الوجود المطلق وحسن نظامه، ولم يخلق ذاتياً بتاً،
فتوجه الخلقية له ثانياً، وبالعرض بالمشيئة العرضية الثانية، الغير المقتضية
للرضا الظاهرة بالأولى، فالجهل بجهة صدوره وعقد مرتبته؛ لقبوله

(١) في المصدر: بكثرة.

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ١١٨/٤، الجملة الثانية (في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأمله
وحامله) رقم (١٨٨).

(٣) في نسخة (ب): التحلية.

الدّاعيين، كما سيظهر خير، وإنما شرّيته باعتبار فقدّه ولوازم ماهيته التي لا تحقق لها ذاتاً، فإنه للوجود، وإنما هو لها عرضاً. وبقي هنا كلام.

بسط وتحقيق أنيق :

اعلم أن الله بمحض ذاته وجوده، لمّا أوجد الوجود الذي أصل الجعل له، وكذا التحقق فأنوجد، لأنّه لا يمتنع، فيجّه انفعاله هي الماهية وقبوله من فاعله، فظهوره به الوجود، وليس في مبدأ الأمر فاعل وفعل ومنفعل، بل فاعل ووجود منفعل، لأنّ الله لمّا أوجده انوجد فأنوجد، إذ انفعاله وهو الماهية، فهو مركب من فعل، هو الوجود، وانفعال هو الماهية، فالماهية ظله، وقيام الوجود بالواجب تعالى قيام صدور لا عروض وحلول.

فلمّا أوجد الله الذي هو أول الموجودات المقيدة بوجه، وباطنه المشيئة المطلقة، وهو النور الذي أشرقت به السماوات والأرض، ونور المصباح، وهو دال على جماله تعالى كمال الدلالة، فلا بد وأن يكون فيه صفة زائدة وجمال فتشعشع نوره في الآفاق، وظهر في الأصقاع، وملأت الأكوان حسبما أقامه المنان، فظهرت مراتب الوجود بإدباره.

ولكل مرتبة ملائكة خاصة بها لا تصل لرتبة ما فوقها، فملائكة الأرواح لا تصل للعقل، وكذا ملائكة النفوس، ثمّ ملائكة القوى. وملائكة كلّ رتبة من جنسها، حتّى ينزل الأمر إلى الملائكة الجسمانية الجزئية، كالموكل بقطرات المطر، وعدد الرمال وما مائل ذلك، وما يطيق حمل كل خلاف الآخر.

ثمّ لمّا عرفت أنّ العقل مركب من ماهية ووجود ولها اقتضاء ولازم، وإن كان بالعرض فظهر ذاتي لازمها، وهو ضدّ العقل، وهو الجهل المركب الشديد العناد، جوهر خبيث ظلماني، عنصر الشرور والغوايات، وعمّت ظلمته الماديات.

مبعثرات

[كون العقل من الأجاج ظلمانياً]:

ولذا قال ﷺ إنه «خلق [الجهل] من البحر الأجاج ظلمانياً»، فنسبته إلى عكوساته الظلمانية التي هي الشياطين. وقواها المغوية نسبة العقل إلى باقي المراتب النورية التنزيلية، ولكن على العكس والصدية، فجميع الشياطين تستمد منه، فكان بحرأ، ومن فيمن البحر للبدلية والبيان لا التبعض. فكل معصية وطغيان وبغي وعدوان أصله منه، ومنه يستمد أهل المعاصي ويتعدون بالمعاصي، كما تتعدى الملائكة بالتسبيح ويستمدونه من العقل. ومظهر هذا الجهل في العالم الإنساني، الجامع لجميع الشرور، والأصل لجميع الغوايات من لدن آدم ﷺ إلى يوم القيامة، الغاصب الأول لمرتبة الخلافة العامة، إحدى صنمي قریش، ثم الثاني.

فهذا الجهل وجوده من العقل لا عنه، فوجوده بالتبعية، وإنما وجد لتنميم وجود العقل، لأنه لا يتحقق وجوده وأنه مطيع ما لم يظهر له قدرة على المعصية وترك لها، فلزم وجودها، ولما اقتضى أصل الوجود وجود العقل للطاعة، ولا يتم ويحصل إلا بكونه مختاراً لزم وجود سبب المعصية، فوجد الجهل عرضاً لتنميم الخير وجعل مختاراً أولاً، فلم يقبل لغلبة لازم الماهية عليه وتبعه لها.

ولأن لكل شيء ضدّاً، فوجود العقل يقتضي وجود ضده تبعاً، كالجدار وظله في ظهوره بالشمس، فهذا أصل الشياطين، وهذه علّة وجودهم. وكون خلقه بعد رتبة العقل عنه لا منه، لأن العقل أول عقل - كما عرفت عقلاً ونقلاً - فظهر معنى كونه من الأجاج ظلمانياً، فيكون كسرأب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَآبٍ يَغِيغَةُ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾^(١)، وهو الكافر، ماء متأصل بارد سيال نوراني، وهي صفات العقل، حتّى إذا جاءه لم يجده

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

شيئاً، لأنه لا تأصل للماهية ولازمها، وإنما وجد عرضاً لتتميم وجود العقل وصلاح آله للطاعة والمعصية. فتأمل كمال عدله، وظهور حجته.

رجع وإزاحة:

الأجاج: بضمّ الهمزة، المالح الشديد الملوحة المرّ، لكونه عن يسار العرش، فكان كذلك.

وظلمانياً: منسوب إلى الظلمة، بزيادة الألف والنون، حيث استحب العمى على الهدى، واستبدل عوض الآخرة الدنيا ضدّ قوله ﷺ في العقل من نوره.

قال محمّد صالح في الشرح: (ليس المراد بالجهل هنا [الجهل] المركب، أعني الصّورة العملية^(١) الغير المطابقة للواقعة ولا الجهل البسيط، أعني عدم العلم عمّا من شأنه العلم، لأن إطاغته وعصيانه غير متصوّرة، فلا يلائم قوله، «فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي»، ولأنّ الجهل بهذين المعنيين من جنود الجهل المذكور هنا، وجند الشيء غيره، ولأنّ الجهل بالمعنى الثاني [أمر] عديمي، والإعدام غير مخلوقة سواء كانت سلوباً محضة أو ملكات، بل المراد به مبدأ الشرور والقبائح، كما أنّ المراد بالعقل مبدأ الخيرات والمحاسن، ويمكن أن يراد بهذين المبدأين صفة النفس المسمّاة بالقوة العاقلة والقوة الجاهلة أو النفس... من باب المجاز لأنها محل الجهل المركب والبسيط أو يقال حقيقة لأنها وإن كانت مبدأ للشرور والجهالات، لكن إذا تمكنت فيها ورسخت صارت جهلاً محضاً وشيطاناً صرفاً بعيداً عن الحق^(٢) انتهى.

(١) في المصدر: العلمية.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٠٦/١.

وغير خفي أنّ ما أبطل به أولاً جواز إرادة الجهل هنا، بمعنى البسيط أو المركب يبطل إرادة القوة، وهو المعنى الثاني. فافهم.

ثمّ وتجويزه أخيراً كونه النفس، وهي جوهر، فهل هو المعنى الأول أو غيره، فأما التكرير أو عدم التتابع عدم تماميته، ثمّ وإذا قلنا المراد به الجهل المركب لا نعني به الصفة اللازمة، بل مبدأه وموصوفه، وهو الجوهر الظلماني ذو الغشاوى المبعد الصاد عن الحق، وأيضاً ما فسر به العقل أخيراً ولا من توابعه، كما يظهر لمراجع قوله قبل، فلا مناص من كونه جوهرًا متأصلاً، وقد عرفت ما أوقعهم في الغلط وسببه، وظاهر كلام ملاً رفيع أنه متولد من البحر، وهو غيره مادة له، وليس كذلك، بل هو مادة الطين الخبيثة وأصلها، بل لبيان رتبته، وإنه ليس من الله أولاً وبالذات، فجعله هو جعل العقل لا جعل له خارجاً، فهو بالعقل مجعولاً عرضاً وإن لزم كونه مختاراً، والماهية المجتثة كذلك، ولذا قال عليه السلام هنا: «من البحر» وفي العقل: «من نوره»، وأسنده لذاته الدال على التأصل.

قال ملاً رفيع: «(من البحر)^(١) الأجاج ظلماًنيّاً» أي في المادة الظلمانية الكدرة، أو بواسطتها. والمراد بالجهل هنا مبدأ الشرور والمضارّ إلخ^(٢)، وأيضاً إذا جعلت مادة أخرى ظلماًنية غير منفصلة، كما هي مبدأ الشرور، ويمكن تصحيح المادة فيه على وجه بعيد يحتاج إلى زيادة غور، لكن لا ينافي ما قلناه.

وقال محمّد صالح: (ماء أجاج أي ملح مرّ «وظلمانياً» حال من الجهل أو البحر الأجاج، والمراد به الغضب الإلهي؛ لأنه مركزية الطعم والرائحة على مذاق الشاربين، ومشام العارفين، أو المراد به مجموع الصفات النفسانية التي بعضها حسن وبعضها قبيح لتخمير النفس بها، وهذا المجموع

(١) في النسختين من المخطوطتين تكررت مفردة: البحر.

(٢) الحاشية على أصول الكافي: ٦١/١.

من حيث هو يميز له ماء كدر مرّ ممتزج بغبار الملكات الدنية ومرارات الصفات الشنيعة، وملوحة قبائح الآثار وخشونة فضائح الأطوار، وعبر عنه بالبحر للدلالة على تراكم تلك الصفات وكثرتها، ووصفه بالظلم^(١) لسترها أنوار العقول حائلاً بينها وبين بصيرتها، أو المراد به المواد البدنية الهولانية التي هي محض الاستعداد، وعلة قابلية لتعلق النفس بها وتشخصها، وعبر عنها بالبحر الظلماني لتراكم مياه الشرور والصفات المتغايرة المتضادة فيها، ونسبتها إليها كنسبة البحر إلى الأمواج^(٢) انتهى.

لكن ولو جعل «ظلمانياً» حال من البحر، فالجهل كذلك لخلقه منه، فلا تفاوت معنى، ثم وجعله له أنه الغضب الإلهي ضعيف لما فيه من التجوّز الغير تام، ثم ومجموع الصفات النفسانية الحسن منها تابع للعقل والقبیح للجهل، والمزج والاختلاط بعد فيما فيه تركيب.

أمّا ما لا تركيب فيه كالملك، فليس فيه إلا قوة عقلية ولا شهوة له، فلا يصلح كون المجموع مادة للجهل، وهو مرّ لا حلاوة فيه، وجهل لا عقل فيه، وهكذا.

والبحر منه المدّ وتشعب الأنهار والخلجان لا باعتبار كثرتة خاصّة والباقي ظاهر ما فيه، مع أنه لا حاجة لجميع تلك^(٣) المجازات، فإنّ كلامه ﷺ هنا عكس ما قاله في العقل.

تنبيه:

قد عرفت سبق خلق العقل، وأنّ الجهل خلق عرضاً وتبعاً بذلك الإيجاد لا بإيجاد آخر.

(١) في المصدر: بالظلمة.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٠٧/١.

(٣) في نسخة (ب): ذلك.

وعنهم عليهم السلام: خلق الخير قبل الشر، والنهار قبل الليل، والجنة قبل النار^(١).

وستسمع بأن^(٢) العلم قبل الجهل في الجزء التالي، فلا يدل قوله عليه السلام: «خلق الجهل» إلخ، أنه بحسب أصل إيجاد الله له، وتأسيسه له مظلم من غير قابل للخير، بل مطبوع على الشر، وإلا فلا لائمة عليه ولا على أتباعه شياطين الأنس والجن، ولبطل معنى ما ستسمع من طلبه الجنود من ربه وتمكينه وتكليفه بالإقبال والإدبار، وإبائه ولعنه بعد، بل هو بحسب موجوديته الحاصلة له عرضاً بالعقل، موجوداً في نفسه، وهو قابل للطاعة بحسب الموجودية، غير أنه لما كان عن يسار العقل وظلّه كان كذلك، مع حصول التمييز له وقوة تحصيل، فالظلمة والمروءة فيه بحسب أصل الفطرة بالقوة، لكن الإيجاد الأولي بحسب الاستعداد والقابلية الأولى، وهي مقدار ما يتحقق به وجود الشيء ويحصل به التمييز العام مطلق، فإن قبل بعد فيض عليه ثانياً لحصول الاستعداد وإلا فلا، فإن الفاعلية متوقفة على الاستعداد والقابلية أولاً وأخيراً وإلا فهي ما به يسدّ الرّمق، وهي حاصلة مطلقاً، لكن لما لم يخل موجود عن التكليف في مقام وإن اختلف بحسب المقامات وانقطع بوجه ومقام، وهو التكليف الدنيوي، كانت الظلمة لازمة له؛ لعدم استعداده الثانوي للعطية الثانية.

أمّا الاستعداد الأولي وهو ما يكون به موجوداً فهو حاصل له، لكنه غير كاف، وإلا لم يؤمر بإقبال وإدبار، وكذا العقل، ولما حسن منع العقل بعد امتثاله وذمّ الجهل بعد كذلك، فاستبان أن خلقه ووصفه بذلك لا ينافي اختياره، وإن الطبع عليه، إنما بكفره، مع علمه تعالى بما يظهر من صفته

(١) عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله - عز وجل - خلق الجنة قبل أن يخلق النار، وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية، وخلق الرحمة قبل الغضب، وخلق الخير قبل الشر، وخلق الأرض قبل السماء، وخلق الحياة قبل الموت، وخلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل الظلمة». (راجع: الكافي: ٣٤٨/١٥، الروضة، حديث رقم (١٤٩٣١/١١٦)).

(٢) في النسختين: لأن.

بحسب القابلية الثانية، قبل وقوعه وظهوره باختياره، فحكم عليهم بما علم منهم قبل وجوده؛ لعدم توقفه عليه، كيف وهم تابعون لعلمه. فتأمل.

تنبيه :

هذا الجهل هو القبضة الخبيثة، والطينة المجتثة، وسائر القوى الشيطانية والمعاصي من تنزلاته، وهو في كل فرد من الإنسان الشيطان الموسوس على النفس، وهو صورة الرأس الخاص التي له من هذا الجهل، وإذا غلب حكمه كان من شياطين الأنس، فيلزمه وزر جميع الأعمال الخبيثة؛ لحكم من بدع بدعة، ولكونها من فاضله من غير أن ينقص من وزر العالمين شيء، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ضَعْفٌ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، فهذا الجهل، أي المركب متنوع بالاستكبار والعناد، فيصد عن سبيله لا كالجهل البسيط، فهو مادة كل شقاوة، وأصل شجرة الزقوم، وعنصر الندامة والخسران، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ الآية^(٣)، فالكفر ضرب منه ولازم له، وستعرفه في تعداد خصاله.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَقَالَ لَهُ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَلَمْ يُقْبَلْ».

[شرح تكملة الحديث: أوجد العقل وبعده الجهل على الضد]:

أقول: لما أوجده أولاً بمحض الوجود، حيث استدعى العقل وجوده، فوجد عرضاً، ركب فيه آلة الاستطاعة وقوى الخذلان، كما ستعرفه.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ١٠٨ و ١٠٩.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وقد عرفت عدم حُسن الابتداء بالمنافع النباتية بغير استحقاق ثانوي، ولنصّ من أراد الآخرة، الآية ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وغير بغير وغيرها، بخلاف الإيجاد الأولي، فغير متوقف إلّا على محض وجوده، ولنقل حوائج الخلق له.

ولذا قال أولاً في العقل: (لما خلق)، وفي الجهل: (ثمّ خلق)، ولم تمدح العقل أخيراً إشارة إلى حصول المنافع الزائدة إلّا بعد امتثاله الأمرين، فكذا هنا كلفه اختياراً وإظهار ما استجنّ في طباعه من خير وشرّ.

فقال له مخاطباً بما أفاض عليه من الوجود: «أدبر»، أي انزل؛ لإظهار ما استجنّ فيك من الكمال، من القوة إلى الفعل، وما فيك من الفضل الزائد، ولكنه لما كان ضدّ العقل صار نزوله وإدباره على الضدّ، فنزل منزلاً في مراتب تكوينية خبيثة إلى أن ظهر في هذا العالم في أجناس مختلفة، فكان نهاية كماله الدّنيا، وهي جنته وموضع عرشه، وزخارفه وتمويهه وشبهه، ومحل اشتباه الدّاعيين، ونهاية مقامات اختلاط الطينتين.

واعلم أنّه لما أوجد العقل وبعده الجهل على الضّدية، فكما خلق من تنزلات الأوّل، وفاصل نوريته مراتب متنازلة، فكذلك الجهل؛ لحكم الإدبار والضّدية لكل مرتبة، فوجد من فاضل الجهل الثرى والطمطم، والنار والريح العقيم، والبحر والحوت، والثور والصخرة، والملك الحامل للأرض، وأرض الشقاوة وأرض الإلحاد، وأرض الطغيان، وأرض الشهوة، وأرض الطبع، وأرض العادات، وأرض الحياة، ومرتبة كمثّل الكلب والسموم والماء الأجّاج، والطينة السبخة، ومقام كونوا حجارة أو حديدًا، والنبات المرّ، والمسوخ والشياطين، وشياطين الجنّ وشياطين الإنس، وإبليس الأبالسة، ومظهره الجامع في الأناسي أبو بكر.

(١) سورة الطور، الآية: ١٦، وسورة التحريم، الآية: ٧.

فهذا مجموع مراتب قوس إدبار الجهل، وهو قوس ظاهره من حيث تعلقه بالمجازات الكونية، وعالم المعاني الوهمية، وأرض الاستعدادات الخبيثة، ومطالع الظلمات بالحركة العرضية الحاصلة له بحركة العقل الذاتية.

ثم قال له بعد: «أقبل» تكليفاً ثانياً، ليستعدّ للفيض الثانوي، ويفوز بالمعية الثانية، فأدبر ولم يقبل كالعقل، لأنه قد بلغ بإدباره نهاية كماله، فرجوعه إدبار لا إقبال، فليس له ملكوت ولا رتبة غيبية، بل قوسه الرجوعي ظاهر عدم وبحره، لأنه مجتث، وأهله أهل قبضة الشمال.

[مقابلة عالم الآفاق بجهة النفس الخبيثة]:

وكل مرتبة من هذه المراتب تقابل مرتبة من مراتب تنزلات العقل السابقة على الضدية، فالعقل يقابل الجهل، والروح يقابل ما تحت الثرى، واللوح يقابل الثرى، والطبيعة تقابل الطمطم المعبر عنه بالظلمة، والمادة تقابل النار، والشكل يقابل الريح العقيم، وجسم الكل يقابل البحر، والعرش يقابل الحوت، والكرسي يقابل الثور، وفلك البروج يقابل الصخرة، وفلك المنازل يقابل الملك الحامل للأرض، وفلك زحل يقابل أرض الشقاوة، وفلك المشتري يقابل أرض الإلحاد، وفلك المريخ يقابل أرض الطغيان، وفلك الشمس يقابل أرض الشهوة، وفلك الزهرة يقابل أرض الطبع، وفلك عطارد يقابل أرض العادات، وفلك القمر يقابل أرض الحياة، وكرة النار تقابل مرتبة مثله كمثل الكلب، والهواء يقابل السموم، والماء يقابل الأجاج، والتراب يقابل السبخة، والمعدن يقابل مرتبة كونوا حجارة أو حديدًا، والنبات المرّ والحيوان يقابل المسوخ، والملائكة تقابل الشياطين، والجنّ تقابل شياطين الجنّ، والإنس تقابل شياطين الإنس، والجامع عليه السلام يقابل إبليس لعنه الله، فهذه مقابلة عالم الآفاقي جهة غيبه الثانية اليمنى النورية بجهة نفسه الخبيثة المجتثة، وفي الإنسان طبق ذلك، فإن جهته

اليمنى^(١) وجانبه الأيمن خُلق من قبضة العقل ومن أتباعه إلى الأرض، وجهته اليسرى، وجانب نفسه الأمانة وجندها خُلق من قبضة الجهل ومن كل من أتباعه قبضة، لكن قد تغلب في بعض جهة الأولى الثانية مطلق في كل مقام، فتكون الثانية طوعٌ لها، فلا تظهر مقتضياتها بجهتها السفلى وبمقتضى النفس الأمانة، وقد يكون عكس هذا، وقد تتفاوت الدرج والمراتب، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(٢)، فازداد بإدباره الأخير ظلمة، واتصف بها بالفعل معانداً مستكبراً، ضالاً مضللاً، ووجوده وجميع مراتبه كسافلة وجوداً عرضياً.

تنبيه:

إنما كانت حركة الجهل كذلك، لأنه مرتبة الإرادة العرضية، وهو ضد العقل، ففي إدبار العقل نزول في المراتب إلى عالم الكون الجسمي، وحينئذ الجهل عكسه، لأنه ضده، فإدباره نهايته عالم الأجسام، وهو غاية قربه واختلاطه بفاضل مراتب العقل، ولهذا اشتبهت الصورتين ظاهراً، واختلطت الطينتين في عالم الأجسام، وأسفل عالم النفوس؛ لسر قيام أحد القبضتين بالأخرى لصدورهما من الواجب، فيكون إقباله بعد رجوع وإدبار، واعتبر بهذه الدائرتين:



فموضع تماس الدائرتين عالم الأجسام، كلما بعدا تميزا واشتدّ العذاب،

(١) ما بين | ساقط من نسخة (ب).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢، وسورة الأحقاف، الآية: ١٩.

وفي رجوع العقل الإقبالي لعود الأصل مقامه الذي نزل منه، والجهل المنكوس إدباره بمنزلة الظهور لموضع التماس، وإقباله رجوع لمرتبه السَّافلة، وليس في نفس الأمر دائران هكذا، ولكن التمثيل لأجل التفصيل وزيادة الإيضاح، وإلا فليس في نفس الأمر لا دائرة واحدة ذات جهتين يتحرك أحدهما على نفسه بالحركة العرضية المشائعة بخلاف ما أمر به، وبجهة الحركة العرضية التي بها وجد الجهل لتتميم وجود الخير.

والمقصود من العقل وهي الطاعة، وهو الوجود العام الشامل للقبضتين، وهي مقبوضة مقهورة تحت اليمين. كيف ووجودها^(١) بها بمشيئة الله، وهما مقهوران في قبضة عالم الأمر، والله المحيط والقاهر للكل بقدرته.

تنبيه وإبطال:

قال ملاً خليل في الشرح: لبيان الإدبار والإقبال: (هذا كما في نظيره في العقل استعارة تمثيلية، والمقصود أنه خلقه بحيث يتسبب به إلى الإدبار عن الله والحق، ولا يتسبب به إلى الإقبال على الله والحق في وقت من الأوقات أصلاً)^(٢) انتهى.

وخلله ظاهر ومجراه في الإقبالين والإدبارين واحد ومرّ ضعفه.

وقال محمد صالح: («فقال له: أدبر فأدبر» [أمره] بالهبوط من عالم الملكوت والنور إلى عالم الظلمات والشُرور والتَّوجّه إلى ما يلائمه من المشتبهات والنظر إلى ما فيه هواء من المستلذات، فهبط لابتلاء العباد ونظام البلاد وعمارة الأرض، إذ لولاه كان الناس بمنزلة الملائكة [عارين عن حلية التناكح والتناسل والزراعة وتعمير الأرض] وبطل الغرض المطلوب من هذا النوع من الخلق وبطل خلافة الأرض، فيبطل الثواب والعقاب،

(١) في نسخة (ب): وجودها.

(٢) الشافي: ٢٤١/١.

وعدم انكشاف صفات الباري وانجلاء حقائقها وآثارها، مثل العدالة والانتقام والجبريّة والقهاريّة والعفو والغفران، وغيرها^(١) انتهى.

لكن في صدر كلامه ما لا يخفى، خصوصاً وجريانه على الظاهر.

إنارة وبيان:

قد انصرح جهة اليمين واليسار، وصفة كلّ، والارتباط بينهما، وإنّ سعة كلّ دائرة أعظم من السماوات والأرض، وشدة الوزن واستقامة النفس على الجهة العالية فتحدث أنهما كفتا الميزان الكلي الجامع لموازين العباد المتكثرة، إذ الكلّ فرد ميزان بل ميزان المحسوس غير المعقول، وهو مختلف بالنسبة لكلّ فرد وعمود الكفتين، هو الجامع والوازن، مظهر عالم الأمر، ومن جعله الله مرجع الأمر ﷺ، وتحدث بين امتلاء كل كفة، وعدم الفضل فيها امتلاء الميزان رجماً بما فيه، ومن الرجوع في نفس الأمر إمّا إلى قبضة اليمين أو اليسار إلى رجوع الكفتين في ميزان كل إلى كفة واحدة، إلى غير ذلك من المسائل الميزانية، وعليك بالقسط كما قال تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(٢).

[تكملة نص الحديث]:

قال: «فقال له: استكبرت، فلعنه».

[شرح تكملة الحديث: خطاب الجهل بعد إدباره]:

لما أبى عن التكليف وامتنع استحق العقاب، فلعنه وطرده.

واللعن: الطرد، وهو بكفره وإبائه، فهذا مقابل العقل، حيث خاطبه بعد

(١) شرح أصول الكافي: ٢٠٧/١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٩.

امثاله بـ «خلقتك خلقاً» إلخ، ولم يستكبر، بل خضع لأمر ربه، وتواضع له، فقرر.

وظاهر كلام محمّد صالح، أن في استكبرت استفهام، وجعله للتوبيخ والتعيير^(١)، ولم نجده فيما بأيدينا من نسخ الشروح وغيرها، ولا داعي له، بل الأولى عدمه، لأنّه خطاب له بعد إداره، وإن صحّ وجوده لو وجدناه في النسخ.

واعلم أنّه لا طرد أعظم من طرده، فإنّه مثمر للعذاب السّرم الدائم المتجدّد بأنواعه، مع ما يتبع ذلك من شدة الحسرة والتأسف وغير ذلك - نجّانا الله وإياكم من ظلمة الجهالة، وسلك بنا طريق الهداية بمحمد وآله ﷺ رؤساء البداية والنهاية -.

نقد وإبطال:

[محمد صادق: العقل أول صادر عن الله، ورده]:

قال محمّد صادق في شرح الحديث: (قد عرفت أنّ العقل الأوّل أول صادر عن الله، وبراهينه مبينة في أسفارهم، وهو من الرّوحانيين؛ لبعده عن المادة وعوارضها).

أقول: كلام هذا، وأستاذه الملاً الشيرازي والكاشاني، لا صواب فيه، وهم تبع لابن عربي، وهو أستاذهم، ويحرفون الكتاب والسنة إلى قواعده المجتثة، كما سنوقفك على بعض ذلك مع رده.

فنقول: ليس العقل أول صادر عن الله، بل أول صادر المشيئة، والعقل الكلّي الأوّل أول صادر بمقام الموجودات المقيّدة، فأولية إضافية بالنسبة إلى ما سوى المشيئة، وهي فعل الله، لا أنها بالنسبة إلى ما سوى الله مطلق

(١) شرح أصول الكافي: ٢٠٨/١.

- وسيأتيك، خَلَقَ الله المشيئة بنفسها، وَخَلَقَ الخلق بالمشيئة^(١)، في مجلد الصفات^(٢) -.

وعن عليّ عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِه قائم»، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٣)، لكن عنده وأمثاله المشيئة عين الذات، وبعد الذات عالم الأسماء، ولوازم الذات وعالم الصفات، والصور العلمية، ولا وجود لها استقلالي، وهي موجودة في صقع الوهمية، - وستأتيك عبائرهم في مواضعها، إن شاء الله -.

فقالوا بالأول العقل، وأطلقوا والعقل بعيد عن المادة والمدة والصورة، ولا يطلق، ويراد به النفس إلّا مع قرينة، وكذا القوة، ولا يصلح في هذا الحديث لهما، وهو وإن بعد عن المادة ولوازمها فله لوازم حدوث وإمكان بحسبه، إذ لا يخفى ممكن منها، وتجرد الروحانيين عن المادة ولوازمها لا يوجب مطلق، بل ولا عن النفس ولوازمها.

[محمد صادق: معنى العرش، ورده]:

قال: (والمراد بالعرش: إمّا ذات الله، فإنه عرش الوجودات، أو يمين العرش صرافة الذات المقدس، فإن العقل مخلوق من صرافة الذات المقدس، ومخلوق بلا واسطة كما أنّ غيره مخلوق بواسطة أو بواسطتين أو بوسائط بينه وبين الذات، فهو يساره لخسّته بالنسبة إلى الأول).

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة». (راجع: الكافي: ٢٦٩/١، باب ١٤ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، حديث رقم (٤/٣٠٤)).

(٢) راجع: المجلد الخامس من الدورة المطبوعة من (هدي العقول إلى أحاديث الأصول)، ويتضمن هذا الجزء: الباب الثاني عشر من كتاب التوحيد، وهو صفات الذات، وباب آخر، وهو من الباب الأول، والباب الرابع عشر، عن الإرادة، والباب الخامس عشر، عن حدوث الأسماء.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٥.

أقول: هذا من ضلاله المخالف للعقل والنقل، الموافق لأهل التصوف، ووحدة الوحدة، والله منزّه كما نسبّه فيه وأثبتّه إليه، وسيجزيهم وصفهم، بل العرش له عدة معاني ستأتيك في بابه، وكلها حادثة كالعلم الحادث الأوّل، هو الخزانة الأولى أو العظّمة أو القدرة أو الكبرياء أو المحدّد أو مجموع العالم أو الحامل للأنوار الكلّية الآتية، أو القابليّة الأولى إلى غير ذلك.

أمّا على ذات الله فلا يتم إلّا على قواعد أهل التصوّف والضلال، ولهذا ترى ما فسّر به اليمين الذات في صرافتها، وملاً مقام الآخر مقام الواحدية، وهو تعيّن الذات وظهورها في التعيّنات؛ لأنّ عنده لا بدّ من المناسبة والارتباط بين المتعيّن والمُتعيّن ومقام الوجود هو واحد - وسيأتي عنه في غير موضع - ولم ينقل عقل ولا غيره من ذات الله، فهو لم يلد ولم يولد مطلق، وإنما تجلّى للأشياء بالأشياء.

وفي حديث آخر: «وخلق الخلق بالمشيئة»، فالنسبة إليه واحد والترتيب بحسبها أنفسها، والقيام به قيام صدور، كلّ في مقامه، وبروز ما منه انفصالها من نور مشيئته كما ينفصل الشعاع من الشمس بواسطة فعلها، وفعلها منها في مقامه من نيّة ظهور، فعلى وصفه دلالة لا ذاتي، وصفة إحاطة. فدع كلامه، فلاحق فيه مطلق، ولا مقابل لذات الله: ﴿فَدَرَّهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾^(١).

[محمد صادق: المراد من العرش]:

قال: أو المراد من العرش جميع المخلوقات، والعقل الأوّل يمين العرش؛ لأنّه مخلوق من ذات الله تعالى وغيره مخلوق بالوسائط، لثلا يلزم صدور الكثرة عن الواحد البسيط، ولا تدل عليه في موضعه ولغيره من الفضائل التي له ﷺ بالنسبة إلى غيره.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢، والآية: ١٣٧.

أقول: وإن أصاب في احتمالاه في العرش جميع المخلوقات لكن ما قاله في العقل باطل كما عرفت، لكن مراده يردّه إلى الأوّل ولو بوجه، ولولاه لحصل التناقض بين الاحتمالين، فلا يصح إرادتهما من الحديث، ولا يلزم من عدم القول بالصدور عن الذات الكثرة ولا الكثرة في مقام الصدور، والفعل حصوله في الذات، وكثرة جهات الصادر لا ينافي كون جهة الصدور واحدة. فتأمل، وقصارى ما استدل على ذلك. وسيأتيك إذا صحت أن الواحد الحقيقي ما صدر عنه إلّا واحد في الكون بمقتضى المشيئة لا أنّه لا يمكن أن يصير منه إلّا واحد، والفرق بين العبارتين ظاهر، وسيأتي إن شاء الله.

[محمد صادق: المراد بالنور]:

قال: وقوله ﷺ: «من نوره» والنور هو الوجود ومرادفه بما هو ثابت في موضعه لما علمت أنّه مخلوق منه تعالى وغيره مخلوق بالواسطة.

أقول: عرفت مطلق والكل مخلوق من الله بالمشيئة، وهي الواسطة، وهي واسطة نفسها وغيرها، فلا يخفى من واسطة غيره والانتهاء إلى المشيئة، وخلق العقل من الذات، عرفت مطلق، وسيأتي أيضاً في بابه.

وليس المراد من النور وجوده تعالى، بل فعله، وهو الوجود المخلوق المطلق، وعالم المشيئة، وهو الذي استنارت به العوالم، وسيأتي بسط الكلام فيها في موضعها.

[محمد صادق: في العقل الأول]:

قال: وللعقل الأوّل وحدة معنوية يسري فيما تحته من المعلولات ومحيط بها بإذن الله من العقل الثاني إلى الهيولي، وهذا إدباره، ثم يتعرج من الهيولي إلى الصّورة، ومنه إلى بسائط المركّبات من العناصر، ومنها إلى المركّبات، ومنها إلى مرتبة الإنسان، وكذا يتعرج من الإنسان من العقل

الهيولاني إلى العقل بالملكة، ومنه إلى العقل بالفعل، ومنه إلى العقل المستفاد، فعاد إلى ما بدأ منه، فللعقل إدبار وإقبال، والجهل خُلِقَ من الإمكان، والإمكان أمر عديمي، وهو يسري أيضاً في جميع الممكنات، كما أنّ العقل مخلوق من نوره، ووجوده يسري في جميع وجودات الممكنات، والإمكان عديمي منسوب إلى الوجود؛ لأنّ العدم لا محصّل له إلّا بحماية الوجود، والعدم بحر أجاج، فالبحر مخلوق من البحر الأجاج الظلماني، وللجهل إدبار أي بُعد عن الله تعالى، وليس له إقبال أي قرب منه تعالى، لا ذاته مخلوقة من الإمكان ولا مناسبة للإمكان، ولا قرب له من الذات الأقدس؛ لأنه منزّه عنه بخلاف العقل، فإنه مخلوق من الوجود وله قرب من الذات تعالى في مرتبة الفناء، كما أنّ له بُعداً عنه، فللجهل إدبار وليس له إقبال، فهو مستكبر فيليق فالعنة، فالمراد بالعقل هنا العقل المجرد، وله إدبار أولاً وإقبال ثانياً. والمراد بالعقل في أول الكتاب هو العقل الإنساني، وله أخير أولاً وإدبار ثانياً، ولهذا قدّم الإدبار هاهنا والإقبال ثمة.

أقول: لا صواب في كلامه، والحرف واحد وبيانه طويل، ومناسب الاختصار بأن نقول:

قوله (للعقل الأول) إلخ، ليس للعقل هذه الوحدة لكنّه لقوله في وجود الله بالسّراية وأن وجود العقل حال الفناء وجوده، قال بهذا الضلال ويريد بالأذن الوجود، كما سيأتي تفسيره به، وهو باطل، والله منزّه عن هذه السراية، وكذا العقل، ولو قلنا بوجوده الاستقلالي فإن ظهور العالي في السافل ليس بذاته بل بجهة ظهوره، فهو ظهور فرعي بما ظهر له به وهكذا. إلخ التنزلات والصّعودات.

وقيل العقل المشيئة وترتيب الصّوارد على ما عرّفناك لا على ما قاله هنا، فغلط ظاهر، وعود الممكن إلى الممكن كلّ بحسب رتبته ومرجع الممكنات إلى فعله، ومنه بدأت وإليه تعود، وهو العود إلى الله تعالى المعبر به في

القرآن تعظيماً لمظهره الأتم دلالة وتنوياً به وتشريفاً، والمراد بها الذات الظهورية، وهي ظهور ذات لا الذات بحسب حقيقتها، فهي مجردة عن الوصف بالضدين.

وإذا عرفت الترتيب كما سبق يظهر لك الخطأ في جعله هنا هذا الإدبار والإقبال.

والعقل أول الوجودات الكونية، وإدباره إظهار ما فيه من الكمال الممكن بحسب كل مرتبة وجودية، بل عالم، وبملاحظة أرض القوابل. والإقبال الصعود في عالم الغيب، وظهور غيب الملكوت كما عرفت.

قوله: (والجهل خلق من الإمكان) إلخ، أصل خلقه من الوجود وبه لكنه من يسار العقل، وهو ضده والإمكان مخلوق، وليس هو بعدم وإلا لم يخلق، وما سوى الله ذاتاً وصفة واعتباراً بالذات أو العرض مخلوق ولا يخرج الإمكان عنه، وقول جماعة من أهل النظر في الإمكان وأمثاله بما هو ظاهر غلط، وما قاله في سريان الجهل ظاهر غلطه مما سبق.

وخلق العقل من نوره، وهو مشيئته، فهو مفعول بفعله، قيامه ووجوده، والفاعل بالفعل يوقعه، والجهل لما كان مختاراً وممكنات بقابليته، وطلب منه ما طلب، أبى وعمل بمقتضى نفسه، أبى ولم يقبل، ويعمل بمقتضى ما تدل عليه ذاته بخلاف العقل، فكان إقباله إدبار، ولأنه خلق من مقام الضدية للعقل وطلب الانقياد والعمل بمقتضى ما كلف به بعد البيان والترغيب فأبى فأدبر بعد أن أمر بالإقبال، فإقباله إدبار، وليس سبب ذلك.

قوله: (لأن ذاته مخلوقة من الإمكان) إلخ، فليس الإمكان بالمعنى الذي يريده، وأهل النظر بالمادة، وهو عندهم اعتباري محض، والعقل أيضاً ممكن مخلوق به، ولا يخرج عنه بعد وجوده بوجه أصلاً، ولا مناسبة بينه والواجب تعالى بوجه مطلق.

وقوله: قبل بخلقه من وجوده باطل، وإن كان العقل.

أقول: بقوة إجابته وزيادة هدايته به، والأصل الهداية والبيان، والترغيب والترهيب، والبعثة والآلة والتخلية ونحو ذلك كلها عامة فتفطن، فالعقل والجهل في ذلك سيان، والقرب المشار له في حديث النوافل وحديث: «من تقرب إليّ شبراً، تقربت إليه ذراعاً» إلخ^(١)، وما مثله ليس المراد به القرب إلى الذات القدسية بوجه فهو محال، والممكن لا يخرج عن الإمكان أبداً إلى الوجوب وإلا بطلاً ولزم التنقل واختلاف الأحوال ولو اعتباراً على الله من كلامه ظاهر.

ومعلوم أنّ أماراة الحدوث والإمكان وهو محال عليه تعالى، بل قرب بحسب كماله الممكن له في مقامه، والكل بالنسبة إليه تعالى واحد لا يقرب إلى الذات أبداً.

والمراد بالعقل المذكور في الحديث الأول، وهنا العقل الكلّي المجرد، وإن احتملت في الحديث الأول العقل الإنساني، فاحتماله هنا أيضاً، ولكل إقبال وإدبار، وعرفت سرّ التقديم في حديث وخلافه في حديث آخر، هذا ما يناسب، والله أعلم.

[محمد صادق: في الإمكان والجهل]:

قال: ثم الإمكان والجهل لما كانا عديمين ليس لهما خلقة إلا بالعرض وبتبعية الوجودات، وقوله ﷺ بعد ذلك، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، يعني أن العصيان والبُعد عن الله تعالى نهاية شأنك، وليس لك بُعد وعصيان فوق هذا، وإن ادعيت العصيان أزيد من هذا التكون معدوماً وخارجاً عن الوجود الذي هو رحمة الله تعالى، لأن لكل شيء من الممكنات حداً ولو تجاوزت عنه بعدم.

ثم الوجود منبع الخيرات والإمكان منبع الشرور، وجميع جنود العقل

(١) عوالي اللآلي العزيزية: ٥٦/١، الفصل الرابع، حديث رقم (٨١).

يرجع إلى الوجود، لأن وجودها غالب على الإمكان في خيرات باعتبار الغلبة، وجميع جنود العقل يرجع إلى الإمكان لغلبة الإمكان على الوجود، وهي شرور باعتبار غلبة الإمكان العدمي، ثم أخذ في حل بعض ألفاظ الحديث.

أقول: الإمكان والجهل لو كانا عديمين ما وجدا، بل هما وجود وهو ذاتي في مقامهما، وإن كان تبعي بالنسبة إلى العقل والخير، ولذا تعلّق الخلق بهما في قوله ﷺ: «خلق الجهل» في هذا الحديث وغيره، وكان من مادة الأجاج أو سجين ونحو ذلك، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(١). وسيأتي في مجلد العدل خلق الخير والشر.

ولما كلف بالإقبال ولم يقبل، بل أدبر، فظهرت منه عكوس الملكوت في أرض القابليات المجتثة، لعنه وطرده وأبعده، لما امتنع وأبى بذلك الإباء بعد التكليف، لكن فيه القوة والله البدء في ذلك، والإنسان مختار، قال له: بعد أن عصيت طردتك عن الرحمة خاصة، وما يمكن فيك إلى عذاب أشد، ولأن لقبضة الشمال رحمة خاصة بمقتضى الدنيا خاصة، فهي جنة الكافر وسجن المؤمن، وبالموت ينسلخون منها، وكل مرتبة عصيان يصلون إليها ويلزمها عذاب خاص، يمكن دونها مرتبة أشدّ عصياناً وعذاباً.

فهذا الوجه بالحكم عليه باللعن، الذي هو الطرد والبعد أولاً، ثم قوله بعدله، فإن عصيت بعد، أخرجتك وجندك عن رحمتي، فإن هذا بمقتضى العمل الموافق وعدمه فلا تنافي بينهما، لا أنه بلغ نهاية شأنه في العصيان والبعد، وإنه لا بعد له وعصيان فوقه، وأنه ادعى العصيان فوق، هذا يكون معدوماً، ويخرج عن الوجود الذي هو رحمة الله، فلا معنى لهذا، كما لا يخفى على الفطن. وكلّ ممكن له حدّ في الكون الإمكان لا يعدوه، وإن عداه يرجع إلى مادة الإمكان بأمر الله.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

وليس هو بمعدوم وإن دخل في الإمكان وغلبت القوة على الفعل، وكان له حكم الكتابة والمداد، لكن الله يعلم إمكانات كل شيء في الإمكان لا إلى نهاية، لكنه لا يكفي لعدم التمايز، فكُلف ثانياً وثالثاً ورابعاً. والإمكان يشمل العقل والجهل، والخير والشر.

والشر يرجع إلى النفس الأمارة، إذا عملت بمقتضى ما هيتهها وخلاف الأوامر والنواهي.

والخير يرجع إلى عمل العقل بمقتضاهما وما يطابق الوجود ذاتاً. والفرق بين هذه العبارة وعباراته ظاهر. فافهم.

فائدة فيها دفع شبهة:

لا تتوهم خبراً من خلق العقل من النور والجهل من سجين، فالمراد بالخلق تمامه بحسب الصورة ومقام العمل الصورة، ويلحق الأحكام بسببها لا المادة وحدها والنور في الجميع، لكن لغلبة النور في العقل بحسب الموافقة قيل من النور، وفي الجهل بالعكس قيل من سجين، لكن التكليف الشامل لهما لم يقع بمقتضى ما في العقل من النور حتى يلزم الجبر وخلاف العدل، بل بمقتضى في الجهل من النور، فاقطع لسانه إذ لا لسان لممالك كلفهم سيدهم بحمل كل واحد قدر متين، وأقلهم قوة يقدر على حمل ثلاثة، وهكذا صاعداً، فإن الله لا يكلف إلا دون الوسع والطاقة.

وقوله ﷺ: «ثُمَّ خَلَقَ»، «ثُمَّ جَعَلَ» وكذا الطلب بعده؛ لبيان الرتب وإثبات التلازم بين كل واحد، هما منهما، وما ذكر معه كما لا يخفى. فاندفع لزوم الجبر من مثل هذا الحديث وغيره.

ولو كان أصل المادة لكل منهما، ويصلح لا يقوى إلا على الخير أو الشر نافي طلب الإقبال والإدبار من كل منهما، وطلب كل أسداده بالعون والأعوان ونحو ذلك، مما يدل على ثبوت الاختيار المنافي للجبر، قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، فباستكباره طرد ولعن، كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾^(٢)، ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣)، وهذا مقتضى العدل الأتم الأكمل، وخلافه الجور. فافهم.

تنبيه: [مراتب نزول العقل]:

العقل أول موجود من المفعولات بفعله، وفيه أسرار غيبية كمالية واستكمالية، فأمر بإظهارها امتثالاً للكمال والتكميل. والظهور الوجودي في المراتب السافلة، فأمر بالإدبار فأدبر من غير غفلة وإعراض عن مبدأه، فأدبر امتثالاً، فكان إدباره إقبالاً. ولذا عبّر في بعض النصوص أولاً بالإقبال وفي بعض آخر بالإدبار، ونزل باسم الله البديع في الروح، وهو مقام الرفائق، ثم في مقام النفس، مقام الصورة المجردة عن المادة الجسميّة والمثالية والمدة الزمانية، ثم تنزل باسم الباعث في مقام الطبيعة الكلية، ثم باسم الله الباطن في عالم المواد الجسمانية، ثم باسم الله الآخر في عالم المثال، ثم تنزل باسم الله الظاهر إلى عالم الأجسام، مقام الزمانيات المقيدة بالمدة والمادة الزمانيتين، فظهر فيها بحسب التنزل، ثم تنزل مدبراً إلى الأفلاك، ثم العناصر، ثم استودع فيه حتّى ظهر في المركب الإنساني، وأخذ في مراتب الصعود بعد بلوغه إلى أول الكمال الشرعي بالبلوغ، ثم أخذ متّرقياً في مراتب الكمال الظهوري حتّى يصل إلى مقام الرضوان، ولا نهاية له في حركته العرضيّة، ولكل مرتبة هنا حكم خاصّ وضعه، وكيف بما يناسبه.

ومرتبة العقل مرتبة النور الأبيض، والقلم الثاني الذي كتب ما كان وما

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

يكون من الذوات والصفات والعقائد والأفعال وجميع الأحوال، والله يفعل ما يشاء، ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، وله ذرية، عقول جزئية بعدد الخلق، وإن كان في بعض بالقوة، ويدل عليه حديث العليل، ولم يسبقه إلا عالم الأمر والوجود المطلق الذي خلق بنفسه وخلقت الأشياء، وهي المشاءات بالمشيئة، وفيه الأنوار الأربعة للعرش، وتظهر في المركبات والمشاءات.

والروح الكلية، النور الأصفر، وذريتها الأرواح الجزئية، وهو مقام البراق الذي صعد عليه رسول الله ﷺ وتعاصى فلطمه جبرائيل عليه السلام فتدلل. والنفس الكلية، اللوح المحفوظ والكرسي، وهو النور الأخضر، وذريته النفوس الجزئية.

والطبيعة طبيعة الكل في النور الأحمر، وله ذرية.

وهكذا فيما بعدها من العوالم أي المراتب، قال تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾^(٢)، والعود طبق البدء، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٣)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾^(٤)، وفوق هذه المراتب الست عالم الأمر، يشتمل على ثلاث مراتب:

[الأول]: المشيئة الكلية بجهة التعلق، وهي الأمر الفاعلي، وقيام الأشياء به قيام صدور، ويسمى الإبداع الأول، ولها مرتبتان جزئية. والثاني: النور المحمدي، وهو الأمر المفعولي، مادة الأشياء وصورتها وغايتها.

والثالث: أرض القابلية الأولية، وتحققه وتعلقه لمن دونه ويعبر عنها

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

بالزيت أيضاً الذي ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١)، الوجود؛ لكمال المشابهة.

وورد تفسيره بالعلم^(٢) يكاد أن ينفجر منهم، ولا تنافي، إذ هو أصل الوجود وجميع القابليات من فاضلها، ومن إمكاناتها، حتّى تنتهي إلى أرض الجرز، والدّوّات الأولى تطلق تارة على الثانية وتارة على الثالثة، وكلها داخلة في قوله تعالى، فإن المراد به المشيئة.

وقوله: فيكون المكوّن، وهذا العالم وعالم الخلق بإجماله الذي أوّله العقل، هما المرادان من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣)، وليس كما قاله المملأ وأمثاله في الآية في كتبه، وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(٥).

ثم اعلم أنّ الشيء لا يكون إلّا بصوغين وكسرين كما ذكره أهل الصّناعة، والعوالم متطابقة، فالعالم الكبير والصغير كذلك، ويدلّ عليه كون السّافل من كمال العالي الظهوري ومن فاضله، وترتب الوجود، وأوّل صوغ الأشياء إيجاد معانيها في العقل الكلي، أي عقل الكل، فالكل كأنه شخص واحد له عقل واحد، ووسطه في الرّوح، وتمامه في النّفس مقام الصّور، وهو تمام ظهور المعاني التي في العقل بحسب تنزله، ثم كسر الصّور وإذابتها في الطين، وعالم الطبيعة؛ لتصلح وتقرب إلى الصّوغ الثاني الدنيوي، مدة أربع مئة سنة على بعض الروايات وفي بعضها أربعون سنة، وفي بعض أكثر من الصّوغ الثاني، وأوّل الصّور المثاليّة، وتمامه تعلّق

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) تفسير فرات: ٢٨٢/١، حديث رقم (٤/٣٨٢) ورقم (٢/٣٨٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٧.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

الصّور المثالية بموادّها الجسمانية، وهو الذّر الثاني على بعض الاصطلاحات الذي خرجوا به إلى الدّنيا، فتم تمييزهم بذلك، وكلّ خطاب ثانويّ هو الأوّل في مقامه وتم بكمال ظهورك، وأنت تلك في كل مقام ثاني وتلك أنت بحسبه، ولا يكون البقاء الدائم الذي لا يحتمل هذا الفساد إلّا بعد كسرين وصوغين أيضاً، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(١)، وإذا فكرت في نزوله من شجرة المزن تحت العرش إلى هنا وجدت كذلك. وللجهل المراتب الست بحسب الضدية، ويجري فيها ضد ما سبق.

[بين المراتب ارتباط وتناسب]:

واعلم أن بين مراتب العقل ارتباط وتناسب، لأنها من كماله وتطوّراته الظهورية، وللعالِي حركة في ظهور السّافل به، لكن ظهوره به ليس بذاته، بل حركة إمداد، وظهور فضل كماله بجهة فضل العالِي لا بذاته، فلا يلزم الاتحاد ولا افتقار العالِي للسّافل بذاته وإن افتقر له بحسب صفته وفرعه وحركة السّافل؛ لأنّ التشبه بالعالِي، لكنّه ليس بحسب الذات، بل التشبه بما ظهر به حركة فقر، وحركة العالِي بإظهار كماله بالسّافل، وكذا تكميله يسمى مداد، وكذا ظهور كماله له به عنده لا في مقام ذاته، وكلّ رتبة من المراتب السابقة بالنسبة إلى ما فوقها تسمى بالسلسلة الطولية والمرتبة في نفسها، وبالنسبة لأفرادها سلسلة عرضيّة، وقد تكون كلية أمرية أو جبروتية أو ملكوتية أو ملكية جنسيّة أو نوعية أو شخصية، وظهور الحقيقة الواحدة في السلسلة العرضيّة على السواء، وإنما تختلف أفرادها فيها بحسب قابليّتها، فتختلف بسببها شدّة وضعفاً بحسب الصفاء وكمال الاستعداد ونقصه، كالمرايا الغير المترتبة المقابلة لوجه واحد، وكل فرد من أفراد السلسلة العرضيّة لا يعد، ومرتبته إلى مرتبة فوقها، وإلّا وصل السّافل إلى

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

رتبة العالي وهو محال؛ لبطلان انقلاب المعلول علّة، والصفة موصوفاً، وكلّمًا بلغ السافل ما بلغ لا يصل لرتبة العالي ولا يخرج عن حركته العرضيّة، فالكرسي لا يكون عرشاً، ولا النفس روحاً ولا عقلاً إلى باقي المراتب، وكذا العكس وإن بلغ ما بلغ نزولاً، فالعقل لا يكون نفساً فضلاً عمّا تحتها.

نعم، يظهر له بمقامه الصفاتي بما ظهر له به، وهو من كماله العرضي. نعم، كلما اتسعت دائرة الوجود وقرب من عالم البساطة كالإنسان يُرى فيه ترقّ كثير وزيادة وسعة دائرة، وليس ذلك من الحركة الطولية، بل في العرضيّة، وإنما ذلك لقرب مقامه وسعة الحركة دائر مدارها، وكلّها لإخراج ما فيه من القوة والقبول لما يتّصف به.

والإنسان لجمعه الطين، طينة الأمرية والجبروتية والملك بحسب قربه وبعده صعد متحركاً فيها ولا يخرج فيها عن مبدئه، وهي نقطة الفؤاد، ووجهه من المشيئة، وليس هذا حركة طولية بل عرضيّة، ولذلك تحرك الإنسان من الأرض ثم إلى المعدن ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان وهكذا.

وليست هذه الحركة طولية بل عرضيّة، وكذا في حركته النزولية، ولكن لسعة دائرة وقربه من الوحدة وصعود كل ونزوله على قدر ما فيه من المراتب، وكذا^(١) نزول العقل إلى جميع المراتب، وكذا في العود، وكلما كان أوسع وأقرب كانت الأشياء فيه، وإحاطته بها أشدّ وأقوى ممن دونه في المرتبة.

[سبب الحركتين الطولية والعرضية]:

وسبب الحركتين الطولية والعرضية ومنشؤهما، إن الوجود مفطور على أكمله وأتمّه وله وحدة، وكل سافل فاضل العالي؛ لصدوره من الواحد،

(١) في نسخة (ب): كذا.

ففيه التناسب وارتباط بعض ببعض، والمعلول دورانه بجهة الصدور على علته بما ظهر له به، وفيه كمال مودع بما ألقى الله فيه، وأظهر به أفعاله، كحال السراج وأشعته المتنازلة، فكل واحد يدور على نفسه وعلى عله بما ظهر له به وينال به، وبعلة الوسطية، وأصل جميع ذلك الفقر الذاتي للغير، قال ﷺ: «ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك»^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٢)، وقيام الكل بأمر الله، وبه قامت السماوات والأرض، والمدد لا ينقطع عنهم، فدائماً طري، فوجب من ذلك التحرك لكل ممكن في حال سكونه، ولا ينال السافل إلا بواسطة العالي، والسبب له وإلا لم يكن العالي عالياً والسافل سافلاً.

تتمة:

عرفت أنَّ السلسلة الطولية أحد الموجودات مرتبة في العلية والمعلولية، وقيام السافل بالعالي فيها قيام صدور وافتقار، وتقويم في بعض.

والسلسلة العرضية عبارة عن كثرة أفراد تجمعها حقيقة واحد في مرتبة واحدة، وتتساوى فيها ظهوراً، وأفراد كل مرتبة من السلسلة الطولية وهي مراتب الأدبار السابقة مرتبة عرضية وتنحصر بحسب الدلالة في ثلاثة مقامات: مقام الحكمة، ومقام الموعظة، ومقام الجدال بالتي هي أحسن، وهي طرق التحصيل والمشار لها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٣)، وتفصيلها يطلب من موضعه، ولعل يأتي بعضه في تفاصيل الجنود، وبحسب الأفراد في جميع المراتب بالنسبة إلى أفراد مرتبتها.

(١) الصحيفة السجادية: ٧٦، من دعائه ﷺ في طلب الحوائج إلى الله تعالى.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٨ وسورة لقمان، الآية: ٢٠.

[مراتب السلسلة الطولية]:

وتنحصر مراتب السلسلة الطولية في ثمان مراتب، أشرفها وأعلاها الحقيقة المحمدية، وشجرة طوبى، عليّ أصلها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها والشيعة ورقها^(١)، وهي مقام المحبة وعالم الأمر، وهذه المرتبة خاصة بهم، تنقسم إلى أربعة عشر قسماً، كل قسم شمس مشرقة مترتبة على ترتيبهم في الفضل، ولهم في الانفراد حكم الاجتماع، وفي الاجتماع حكم الانفراد، وجميع الخلق من أشعتهم وأشعة أشعتهم وهكذا، أو من فاضل أظلال آثارهم، ثم الملائكة الكروبيين، وهم أشرف الشيعة، قوم منهم وراء العرش كما في (بصائر الدرجات)^(٢)، وهؤلاء خلقوا من قطراته ﷺ، كل واحد من قطرة، وعدد هؤلاء مئة ألف وأربعة وعشرون ألف، وكل نبي هنا له مربّ هناك، إذا رأيته قلت هو هو، ثم الإنسان خلق من شعاع الأنبياء وبمقامها الملائكة المقربين، وهم الصافون حاملو التدبير من الجاريات والذاريات والمرسلات والصفاءات، وجميع هذه الملائكة خلقوا من شعاع شيعة عليّ ﷺ، وهذه المراتب رتبة ظهورات العقل الكلّي المخلوق أولاً في مراتب تطوّراته للإنسان.

وعن الرسول ﷺ: إن رجلاً من شيعة عليّ أفضل من جبرئيل، وهو سلمان الفارسي، والأخبار الصحيحة صريحة الدلالة على سبق خلق شيعة عليّ ﷺ على خلق الملائكة في التسبيح والتقديس والتهليل، وإنهم من فاضلهم. ثم الجان المخلوقون من نار الشجر الأخضر، المخلوق من فاضل طينة الإنسان، كما روي عن الصادق ﷺ. ثم البهائم وحشرات الأرض وسائر الحيوانات، الطيب من الطيب والخبيث من الخبيث ويجري فيها

(١) بصائر الدرجات: ٥٨، باب ٢ في الأئمة ﷺ وأن مثلهم مثل الشجرة التي ذكر الله تعالى فيهم وفي علمهم، حديث رقم (١).

(٢) بصائر الدرجات: ٦٩، نادر من الباب، حديث رقم (٢).

المزج. ثم النبات. ثم الجمادات من العناصر والمعادن وسائر المركبات الناقصة، وبعض يخرج المعدن ويدخله في النبات أو يفرده.

[الجهل الكلي]:

ودون تلك المراتب السابقة للملائكة ملائكة أخرى، ودون هذه مراتب أيضاً في الضد لمقابلة كل بأخرى، إذ لكل مخلوق ضد، وبمضادته بين الأشياء عرف أي لا ضد له، وهذا مقتضى قبضة الشمال بقبضة اليمين، بحسب إدباره ولا إقبال له، بل هي: ﴿كَرَّابٍ يَقْبَعُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾^(١)، بخلاف العقل، وله إقبال وإدبار، وملك وملكوت وجبروت، هي مراتب الوجود الذي كمنت فيه بما ألقى الله في هويته وظهرت منه أفعاله بأمره تعالى، فالجهل الكلي يتشعب إلى ثلاث شعب: طين المتعلقة بالكفار والمنافقين، ودأبهم تحريف الشرائع جهدهم، وقتل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وإيذائهم بأنواع الأذى جهدهم، وهم مع ذلك صابرون ومحتسبون. ثم الشياطين الموكلة بالشيعة والمؤمنين ومواليهم والتابعين على مراتبهم، ودأبهم في غوايتهم بكل طريق.

ولكل صنف طريق خاص، وفيهم من مجمع طرق، قال الله تعالى: ﴿لَا تَنْتَهُم مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢). ثم شياطين تطورات الجهل الكلي في مقامات تدابير العوالم الظلمانية، وهي الخمسة والسبعون الجند الآتية، مقابل ما جعل للعقل الكلي من الجنود كذلك، لعموم الاختيار لكل وعلو حجة الله على الكل. ثم شياطين الجن الموكلون بغوايتهم وصدّهم عن الإيمان. ثم شياطين الكلاب والخنازير والقردة وسائر الحيوانات المؤذية المجرمة، ولهذا ورد في بعض الحيوانات

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

أنّه من الجنّ، مثل السّنور الأسود، وبعض آخر. ثم الشياطين الموكلة بالأشجار وسائر النباتات عن ذكر الله، فيبطلون منافعها ويغيرون طعمها؛ لغفلتها عن ذكر الله، وهو إنكار الولاية.

وورد أنّه ما يغير طعم نبات إلّا بسبب ذلك، وكذا في سائر الطيور، والنصوص به متواترة معنا بثبوت ذلك لسائر النباتات والطيور والجمادات، وإنّ لكل فرد منها ملائكة تحفظها وإلّا تناوشتها الشياطين من كل جهة، وورد عنهم ﷺ: «عادانا من كل شيء»^(١) وهو عام استغراقي حقيقي لا عرفي عادي. نقل ذلك مع تفصيل أدلته مما يطول، وسيأتي متفرقاً في مجلدات.

ثم الشياطين المانعين للأحجار عن كمال الانعقاد التام، فيلقى فيها موانع فتغيّر خلقها.

ولا تستغرب هذا الكلام وتردّه وتنكره بجهلك، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَيْهِ﴾ الآية^(٢)، وسلّم لما تواتر من وجوه وطابق القرآن والعقل وبطرقه، ولا ترده أو تقول أو تؤوله بالتأويلات البعيدة الساقطة المخالفة للمحكم كتاباً وعقلاً، وسلّم تسلم، وهو أول مراتب السّلامة والنجاة، والإنكار من الجهل، بفطرة الوجود وتطورات الوجود، ومراتب إدبار العقل وعمومه لها الموجب لذلك في كل بحسبه، قرباً وبُعداً.

وفي كلّ رتبة مما سبق سماء وأرض، وكواكب وعرش، وكرسيّ وخلق كثير، وغير ذلك في كل بحسبه.

وروي في (الخصال): «[والله لقد] خلق الله [تبارك وتعالى] ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وتلك الآدميين»^(٣)، بل

(١) مشارق أنوار اليقين: ١٦٥، الفصل (٧٠) في أسرار أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) الخصال: ٦٥٢، حديث رقم (٥٤).

تزيد على ذلك، وفي عالم من الخلق ما لا يعلمه إلا الله، والحجة عليهم جميعاً محمد وآله ﷺ.

رجع وتنبيه: [مراتب صعود تقابلها مراتب نزول]:

كُلَّ مرتبة من مراتب العقل في قوس الإدبار يقابلها نظيره في الإقبال، وهو عالم الملكوت، وتقابل ضدها من مراتب الجهل المجتث ومن سمائه أسماء السوء، وعرفت أن كل مرتبة نزولية تقابلها مرتبة صعودية، قال علي عليه السلام: «انتهى المخلوق إلى مثله»^(١)، وقال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾^(٣)، والحركة دورية، وآخر النزول متصل بأول العود بلا تفكك، وفصل الاستحالة الطفرة الوجودية، وانتظام الوجود واستدارة الحركة، وآخر النزول من شجرة المزن، إما الأرض أو الانحلال في الأصلاب على اختلاف الرأيين.

فأول الصعود إما صيرورة صفوة الكيكوس كيموساً أو المنى لكل وجه. ومراتب الجنين إلى اللحم، مرتبة المعدن والنبات، وهي مراتب رجوع، وكذا الولادة الجسمانية، وهي: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٤). والولادة الدنيوية، والتكليف إلى الموت مراتب صعود.

والملاً الشيرازي، جعل أول ابتداء حركة الرجوع إلى الله الموت الطبيعي، كما أن الحياة الطبيعية انتهاء حركة النزول، فتكون تلك على زعمه مراتب نزول، وهو خطأ، وإذا كان أول الرجوع إلى الله من الموت فلا مقابل للمراتب الثلاث؛ لكون الحركة دورية، والمطابق للعقل والنقل في

(١) ملحق نهج البلاغة (برواية أحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي): ٣٨، الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة المؤمن، الآية: ١٤.

عدد قوس النزول المشيئة، ثم العقل، ثم الروح، إلخ المراتب، وسبقت لا على قوله في إثبات الأعيان القديمة، وصور الأسماء العلمية في الأزل، وإن أول التجلي ظهور الذات للذات، ومنها تكوّنت الكائنات ومن نظرة للأعيان، وهذا ضلال، ويبطل المقابلة بين المراتب أيضاً. فتدبر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جُنْدًا».

[شرح تكملة الحديث: للعقل خمسة وسبعين جنداً]:

أقول: لما كان جعل العقل ذاتياً وكذا صفته، وهي الطّاعة ذاتية، فهي من الله وبه بخلاف صفة الجهل وذاته، فهي بالله لا منه، قدّم ذكر جنود العقل بعد ذكر الجهل تنبيهاً على ذلك.

واعلم أن الله لما خلق العقل والجهل وأظهر مراتبهما وقد تركبت حقيقة الوجود بالوجود والماهية، ولكل كمال ونهاية يتأذى إليه، جعل لكل آلة وقوى يستعين بها في تحصيل كمالاته، واستخراجها من القوة إلى الفعل، وجعلها صالحة لهما؛ لتكمل الحجة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنة وبيان. فجعل للعقل خمسة وسبعين جنداً مُعيناً له؛ لكمالته ومشتياته.

أقول: لما أبدع الله العقل، وانبجست بأشعة أضوائه الموجودات، كُلّ على حسب استعداده ومقامه، فكان لكل جهة المشايعة له والرجوع بتبعه، وهنا لوازم ومقتضيات للوجود ذاتاً وخيرية محضة، فجعل له هذه الجنود، وهي مباد وجودية بالنسبة إلى العالم الآفاقي، وملائكة قدسية نورية تعينه على أفعاله ومقتضياته، ولذا كانت فيمن تشايعه من الأناس، وهي القوى المتعددة والصفات الحميدة، تسوق إلى متابعة العقل والتقرب لذي الفضل، ولكنها صالحة للمعصية أيضاً، ولذا قام الدّاعيان وتزاحم الجندان في خلقه

مبعثرات

الإنسان. وأصل الجند الخيري لخليفة الرحمن، ويكون لغيره من فاضلة، وهو الملك الذي على جهة اليمين وأعانه لا بالألطف والإيقان، فاستبان السبب في تأخيرته ﷺ إمداده بالجنود والأعوان عن إدباره وإقباله، فإنهما وإن كان بالنسبة للعقل بقبول واستعداد نوري واصطفاء، فلا يتفك عن الجنود، لكن ذلك بجهة العليا، أي المشيئة، وهذه باعتبار نزوله إلى الملك ثم رجوعه فظهوره في عالم التركيب المقتضي للصبر والرضا وسائر التأديبات واجتماع الداعي للشهوتين.

[معنى الجند]:

واعلم أن الجند يراد به العسكر والأعوان والأنصار.

وفي المغرب، الجند: جمع معدّ للحرب، وجمعه أجناد وجنود^(١).

وفي الصحاح الجند الأعوان والأنصار^(٢)، ولقوة الغلبة كلّ قوة من المعدود باعتبار أمداده وتأصله وارتباطه بالموجود مع كثرة جنوده وأعوانه سُمي كل واحد جنداً: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٣)، وقاتلوا جند الشيطان فإنه الجهاد الأعظم، بل الجهاد بالسيف مقام من مقاماته وشعبة من شعبه: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٤)، فالله الممدّ لكم وناصركم.

[كلام في عدد الجنود]:

واعلم أن المذكور في التفصيل ثمانية وسبعون، وقال بهاء الملة والدين على ما نقل عنه: (لعل الثلاثة الزائدة إحدى فقرتي الرجاء والطمع، وإحدى

(١) شرح أصول الكافي: ٢٠٨/١.

(٢) الصحاح: ٤٦٠/٢. مادة (جند).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

فقرتي الفهم، وإحدى فقرتي السلامة والعافية، فجميع الناسخون بين البديلين غافلين عن البدلية^(١).

وقال ملاً محسن: (ولعل الثلاثة الزائدة «الطمع والعافية والفهم» لاتحاد الأولين مع الرجاء والسلامة المذكورين)^(٢).

وقال محمد صالح: (لا منافاة بين التفصيل والعنوان إذ ليس في العنوان ما يفيد الحصر إلا مفهوم العدد، وهو ليس بمعتبر كما بيناه في الأصول)^(٣) انتهى.

ولا يخفى ضعفه على تقدير عدم الحجية أيضاً.

إيضاح: [في أقسام الحكمة]:

اعلم أن هذه الخصال المعدودة، وهي أمّهات الفضائل ترجع بالقسمة الأولية إلى قسمين، يعرف من كل مبدأ نوع، وذلك لأنّ كمال الإنسان باستجماعه للحكمة العلميّة والعملية، فإنه في نفس الأمر عقل وآلة، والأول النظرية، والعملية تنقسم إلى:

خُلُقِيّة، ومتى اعتدلت استقامتها على فعل القوة العاقلة حصلت أمّهات الفضائل.

وحكمة سياسية، وهي ما تلحقه بالنظر لغيره، إمّا بحسب المنزل أو بحسب عامّة الناس.

والحكمة العملية تنقسم إلى: شهويّة، وتسمى بهيمية. وإلى غضبيّة، وتسمى سَبُعِيّة.

(١) شرح أصول الكافي: ٢٠٩/١، الوافي: ٦١/١، الشافي: ٢٥٦/١، الحاشية على أصول الكافي: ٦٦/١.

(٢) الوافي: ٦١/١. نقلاً عن أستاذه الفاضل صدر الدين محمد الشيرازي.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٠٨/١.

ويلزمها جميع تلك الخصال، فيدخل في النظرية صفاء الذهن والفهم، والذكاء والذكر، والتعقل وسهولة التعلم والفهم. ويدخل في العفة إذا كانت طوعاً للعقل الحياء والدعة والصبر، والسخاء والحرمة، والقناعة والذمامة، وغيرها كالهدى والمسالمة. ويدخل في الشجاعة عظم الهمة والنجدة، والثبات وعدم الطيش والشهامة، وغير ذلك كالسقاء والمواساة. ويدخل في السياسة الصداقة والمودة، والمعاشرة والصلة، وحسن المشاركة والمعاونة، وغير ذلك.

وفائدتها ظاهرة، وإذا قايست بعضاً إلى بعض بحسب استعمال القوة العقلية لها وعدم تجاوزها إفراطاً وتفريطاً حدثت قوة العدل؛ لضبط القوة الغضبية الشهوية، ولا بد من رسوخ تلك الصفات حتى يعد خلقاً، فمن يبذل المال مثلاً نادراً ألا يعد سخياً، وكم معدود فيها ولا مال عنده، بل ربما لم يبذل، ولا بد أيضاً وأن يكون صدور تلك النفس بسهولة. فاستبان أن أصول الفضائل والصفات المحمودة عقلاً وشرعاً ترجع إلى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، بل أسقط الأخيرة، فإن استقامتها على حد ما تقتضيه الحكمة والدين، هو معنى العدل وإلا فلا عد لهما في مكارم الأخلاق.

ولكل واحدة طرفان: إفراط وتفريط، فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى الزيادة سمي نهورا أو النقصان، فجبناً وخورا، وإن مالت الشهوة إلى طرف الزيادة فشرها أو النقصان فجمودا.

وإفراط الحكمة عند استعمالها الآراء الباطلة والمجادلات العاطلة حياً وجربزة، وتفريطها بئله وجمود وهكذا، ولبعض أسماء موضوعه وبعض لم يوضع له، وحينئذ يظهر لك أقسام الصفات المذمومة ومساوئ الأخلاق على سبيل المقابلة كلياً وجزئياً. ولا يزيد عدّها على هذا العدد، وإن كان لكل صفة طرفاً إفراط وتفريط، فإنهما مذمومان.

والعدل متى فات فليس إلا الجور، وهو يشملهما، ولهذا لم يجعل

الإمام عليه السلام في تعداد الصفات الآتية لكل صفة إلّا ضدّاً واحداً، هذا ما يقتضيه التحقيق، لا كما قاله محمد صالح في الشرح بعد أن ذكر أجناس الرذائل أربعة بإزاء كل جنس من الفضائل جنس من الرذائل، وعدّها: الجهل، والجبن، والشرّ والجور، قال: (هذا بحسب بادي النظر. وعند التأمل أجناس الرذائل ثمانية؛ لأنّ لكلّ فضيلة [لها] حدّ معين، متى جاوزته [في طرف] إفراطاً أو تفريطاً انتهت إلى رذيلة، فهي^(١) وسط، [والرذيلة بمثابة الأطراف] والثمانية^(٢) السفه والبله، والتهور والجبن، والشره وخمود الشهوة، والظلم والإظلام، وكذا لكلّ نوع من الفضائل نوعان من الرذائل، وقد عرفت أن أنواع الحكمة سبعة^(٣)، وأضدادها أربعة عشر: الخبث^(٤)، إفراط الذكاء، والبلادة تفريطها، وسرعة التخيّل والإبطاء، وهما طرفا سرعة الفهم، وظلمة الذهن المانعة من الإدراك، والتهابه المانع من الإقامة [على المطلوب] طرفا صفاء الذهن، والمبادرة المانعة من استثبات الصور، والتعصّب المؤدي إلى [التعذر، وهما طرفا سهولة] التعلم، وصرف الفكر في إدراك ما هو زائد على [تعقل] المطلوب، وصرفه في إدراك ما هو ناقص عنه، [وهما] طرفا حسن التعقل - فضبط ما لا فائدة فيه وترك ضبط ما فيه فائدة - [وهما] طرفا التحفظ، وتذكّر ما يوجب تضييع الوقت والنسيان، [هما] طرفا التذكّر، وقس باقي الأنواع، وربما يكون لبعض الأنواع اسم مشهور كالوقاحة والخرق، وهما طرفا الحياء، والإسراف والبخل طرفا السخاء، والتكبر والتذلل طرفا التواضع^(٥) انتهى. فإن الطّرَقان واحد.

(١) أي: الفضيلة.

(٢) من أجناس الرذائل.

(٣) في المصدر: سبعة.

(٤) في المصدر: الخبث.

(٥) شرح أصول الكافي: ٢١٢/١.

ويدخل كُلّ تحت جند من جنود الجهل المعدودة، وعلى تأمله تكون جنود الجهل زائدة على جنود العقل بالضعف، فليس ما أعطي مثله عدداً كما نصّ عليه الإمام وستسمعه.

وأيضاً في تعداده للأضداد لم يجعل لبعض أسماء، فضلاً عن الشهرة وعدمها كطرفي التحفظ، وكذا حسن التّعقل.

تلخيص تحقيقي، وبيان ملكي:

لَمَّا كان العقل وحدته نوعيّة، وإن كانت شخصيّة بحسبها، فهو كل الوجود، فله نور شعشعاني في النفس ومراتب تنزلاتها، كانت قوى وخصال بحسب ظهوره التقيدي، وعرفت إمكان إرجاعها لقوتين أو أكثر، كما أن ترجعها إلى نسبه إلى نظره لمن دونه بجهته من باريه، وبحسب التقييدات الجزئية ذلك العدد، كما أنها بحسب الأفراد كثيرة، إذ لكل خصلة درجات ومقامات مختلفات، وله خصال آخر أيضاً زائدة كما ستسمع.

ولَمَّا كان الجسم المادي مركب للنفس ومظهر أفاعيلها ومجمع الفريقين، وبه استكمالها، فلا بدّ وأن يكون فيه قبول لاكتساب النفس لها بهذه الآلة الجسدية، كيف وللنار صفات ظاهرة تنبي، كالصفاء واليبس، والحرارة والعلوّ وغيرها، وكذا باقي العناصر الأربعة، فهي فيه كوجود الصّورة والمعلول في المادة القابلة بالقوّة، كما أنها في النفس والعقل بالفعل فكل منهما عالم تام، وقد أشار الإمام إلى تفصيلها بحسب التركيب الإنساني ولزومها باعتبار المركب المادي، كما رواة الصدوق في علل الشرائع، فهي بالجهة الأولى كالقواعل، وبالثانية كالقوابل، فظهر علّة العدد ومنشأ القوى من الجهتين، وسرّ جميع ذلك جامعية الإنسان وانطواء العالم الكبير فيه، واحتوائه على دائه وما يشفيه، كما أشارت له الأئمة المعصومون.

قال ﷺ في باب علّة الطبائع والشهوات والمحبات^(١) من الكتاب السابق بسنده عن علي عليه السلام: «إن الله [تبارك و] تعالى لما أراد أن يخلق [خلقاً] بيده، وذلك بعد ما مضى على الجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة. قال: ولما كان من شأن [الله] أن يخلق آدم عليه السلام، ثم أخذ ﷺ في بيان أمر الملائكة، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، واغترافه الغرفتين، ثم مزجهما وأمر الملائكة بعد، قال علي عليه السلام: «فجالت الملائكة الأربعة عليها، وهي الشمال والصبا والجنوب والدّبور فأجروا فيها الطبائع الأربعة. قال: والريح في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الشمال. [قال]: والبلغم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الصبا. [قال]: والمرّة في الطبائع الأربع في البدن من ناحية الدّبور. [قال]: والدم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الجنوب. قال: فاستقلت النسمة وكمل البدن، قال: فلزمه من ناحية الريح حبّ الحياة وطول الأمل والحرص، ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشراب واللين والرفق، ولزمه من ناحية المرّة الغضب والسّفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حبّ النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات. قال عمر: أخبرني جابر أن أبا جعفر عليه السلام قال: وجدناه في كتاب من كتب علي عليه السلام.

وروى أيضاً ﷺ حديثاً آخر عن الرضا عليه السلام: «الطبائع أربع، فمنهن البلغم، وهو خصم جدل، و[منهن] الدم، وهو عبد، وربما قتل العبد سيده، و[منهن] الريح، وهي ملك يدارى، و[منهن] المرّة، وهيهاات هيهاات، هي الأرض إذا ارتجت ارتج ما عليها»^(٣).

(١) علل الشرائع: ١٢٩/١، وهو الباب رقم (٩٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) علل الشرائع: ١٣١/١، حديث رقم (٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «[إن] الغلظة في الكبد، والحياة في الريح»^(١)،
والعقل مسكنة القلب»^(٢).

وروي في المرفوع، «قال: لما خلق الله (عز وجل) طينة آدم أمر الرياح
الأربعة فجرت عليها، فأخذت من كل ريح طبيعتها»^(٣).

وروى بكتلة بسنده عن وهب بن منبه: «أنه وجد في التوراة صفة خلق
آدم عليه السلام حين خلقه الله (عز وجل) وابتدعه، قال الله تبارك وتعالى: إني
خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثته في ولده، تنمي
في أجسادهم، وينمون عليها إلى يوم القيامة، وركبت جسده حين خلقته من
رطب ويابس، وسخن وبارد، وذلك إني خلقت من تراب وماء، ثم جعلت
فيه نفساً وروحاً، فيبوسة كل جسد من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء،
وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت في الجسد بعد
هذه الخلق [الأول] أربعة أنواع:، وهن ملاك الجسد وقوامه بإذني، لا يقوم
الجسد إلا بهن، ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى، منها: المرة السوداء،
والمرة الصفراء، والدم والبلغم، ثم أسكن بعض هذا الخلق في بعض،
فجعل مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرة
الصفراء، و[مسكن] الحرارة في الدم، و[مسكن] البرودة في البلغم، قائماً
جسد اعتدلت به هذه الأنواع الأربعة، التي جعلتها ملاكه وقوامه، وجعل
لكل قوام متى مالت على الباقي ضربه، ودخل السقم على البدن من ناحيتها
بقدر زيادتها، وكذا إذا نقصت ثقل عنهن حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز
عن مقارنتهن، وجعل عقله في دماغه، وسره في طينته، وغضبه في كبده،
وضرامته في قلبه، ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وفرحه وحزنه،
وكربه في وجهه، وجعل فيه ثلاث مئة وستين مفصلاً»^(٤).

(١) في المصدر: والحياة في الرئة.

(٢) علل الشرائع: ١٣١/١، حديث رقم (٣).

(٣) علل الشرائع: ١٣١/١، حديث رقم (٤).

(٤) علل الشرائع: ١٣٤/١.

فهذه الأخلاق التي ركب عليها الجسد، فُطِرَ عليها مبنى أخلاق بني آدم، [وبها توصف]، فمن التراب العزم، ومن الماء اللين، ومن الحرارة الحدة، ومن البرودة الأناة، فإن مالت به اليبوسة كان عزمه القسوة، وإن مالت به الرطوبة كانت لينّة مهانة، وإن مالت به الحرارة كانت حدّته طيشاً وسفهاً، وإن مالت به البرودة كانت أناته ريباً وبلداً، فإن اعتدلت أخلاقه [وكان سواء]، واستقامت فطرته كان جازماً في أمره، ليناً في عزمه، حاداً في لينه، متأنياً في حدّته، لا يغلبه خلق من الأخلاق إلى أن قال: فمن التراب قسوته وبخله وحصره وفضاضته، وبرمه وشحه ويأسه وقنوطه وعزمه وإطراره، ومن الماء كرمه ومعروفه وتوسعه وسهولته وتوسله وقربه وقبوله ورجاه واستبشاره، فإذا خاف ذو العقل أن يغلب عليه أخلاق التراب ويميل به ألزم كل خلق منها خلقاً من أخلاق الماء يمزجه به بليته، يلزم القسوة اللين، والحصر التوسع والبخل العطاء، والفظاظة الكرم، والبرم التوسل، والشحّ السماح، واليأس الرجاء، والقنوط الاستبشار، والعزم القبول، والإطرار القرب، ثم من النفس حدّته وخفته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وسفهه وخداعه وعنفه وخوفه، ومن الرّوح حلمه ووقاره وعفافه وحيأؤه وبهاؤه، وفهمه وكرمه وصدقه ورفقه وكبره، وإذا خاف ذو العقل غلبة أخلاق النفس وتميل به، ألزم كلّ خلق [منها] خلقاً آخر من أخلاق الرّوح يقوم به، فيلزم الحدة الحلم، والخفة الوقار، والشهوة العقاف، واللعب الحياء، والضحك الفهم، والسّفه الكرم، والخداع الصّدق، والعنف الرفق، والخوف الصّبر، ثم بالنفس سمع ابن آدم وأبصر، وأكل وشرب، وقام وقعد، وضحك وبكى، وفرح وحزن، وبالروح عرف الحقّ من الباطل، والرشد من الغيّ والصواب من الخطأ، وبه علم وتعلّم، وحكم وعقل، واستحى وتكرم، وتفقّه وتفهم، وتحذّر وتقدم.

ثم يقرن إلى أخلاقه عشر خصال أخرى: الإيمان، والحلم، والعقل، والعلم، والعمل، واللين، والورع، والصدق والصبر، والرفق، ففي هذه الأخلاق العشر جميع الدين كله، ولكل خلق منها عدو، فعدو الإيمان الكفر، وعدو الحلم الحمق، وعدو العقل الغي، وعدو العلم الجهل، وعدو العمل الكسل، وعدو اللين العجلة، وعدو الورع الفجور، و[عدو] الصدق الكذب، و[عدو] الصبر الجزع، و[عدو] الرفق العنف. فإذا وهن الإيمان تسلط عليه الكفر وتعبده وحال بينه وبين كل شيء يرجو منفعته، وإذا صلب الإيمان وهن له الكفر وتعبده واستكان واعترف الإيمان، وإذا ضعف الحلم علا الحمق وحاطه وذبحه وألبسه الهوان بعد الكرامة، فإذا استقام الحلم فضح الحمق وتبين عورته وأبدى سوءته و[كشف ستره] وأكثر مذمته، فإذا استقام اللين تكرم من الخفة والعجلة واطردت الحدة وظهر الوقار والعفاف، وعرفت السكينة، وإذا ضعف الورع تسلط عليه الفجور وظهر الإثم وتبين العدوان وكثر الظلم، ونزل الحمق، وعلا الباطل. وإذا ضعف الصدق كثر الكذب وفشت الفرية و[جاء] الإفك^(١)، ثم عدّد باقي الصفات بحسب الغلبة.

[مئة خصلة من أخلاق العاقل]:

وقال: «فمن أخلاق العقل [عشرة أخلاق صالحة]: الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة والحياء والرزانة والمداومة على الخير، وكراهة الشر وطاعة الناصح، وتشعب من كل عشرة^(٢)، [منها عشرة خصال]:

فمن الحلم: حُسن العواقب، والمحمدة في الناس، وتشرف المنزلة، والسلب عن السفه، وركوب الجميل، وصحبة الأبرار، والارتداع عن

(١) علل الشرائع: ١٣٤/١، حديث رقم (٩).

(٢) من الخلق.

الضعة، والارتفاع عن الخساسة، وشهوة اللين، والقرب من معالي الدرجات.

ومن العلم: الشرف، وإن كان دنياً، والعزّ، وإن كان مهيناً، والغنى، وإن كان فقيراً، والقوة، وإن كان ضعيفاً، والنبل، وإن كان حقيراً، والقرب، وإن كان قصياً، والجود، وإن كان بخيلاً، والحياء، وإن كان صلفاً، والمهابة، وإن كان وضعياً، والسلامة، وإن كان سقيماً.

ومن الرشد: السداد، والهدى، والبر، والتقوى، والعبادة، والقصد، والاقتصاد، والقناعة، والكرم، والصدق.

ومن العفاف: الكفاية، والاستكانة، والمصادقة، والمراقبة، والصبر، والنصر، واليقين، والرضا، والراحة، والتسليم.

ومن الصيانة: الكفّ، والورع، وحسن الثناء، والتزكية، والمروّة، والكرم، والغبطة، والسرور، والمناة، والتفكير.

ومن الحياء: اللين، والرافة، والرحمة، والمداومة، والبشاشة، والمطاوعة، وذلّ النفس التقي، والورع وحسن الخلق.

ومن المداومة على الخير: الصّلاح والاقتدار، والعزّ، والاختبات، والإنابة، والسؤدد، والأمن، والرضا في الناس، وحسن العاقبة.

ومن كراهة الشر: حسن الأمانة، وترك الخيانة، واجتناب السوء، وتحصين الفرج، وصدق اللسان، والتواضع، والتضرّع لمن هو فوقه، والإنصاف لمن هو دونه، وحسن الجوار، ومجانبة إخوان السوء.

ومن الرزانة: التوقر والسكون، والتأني، والعلم، والتمكين، والحظوة، والمحبة، والفلح، والزكاية، والإنابة.

ومن طاعة الناصح: زيادة العقل، وكمال اللب، ومحمدة الناس، والامتناع من اللوم، والبعد من البطش، واستصلاح الحال، ومراقبة ما

هو نازل، والاستعداد للغد والاستقامة على المنهاج، والمداومة على الرّشاد. فهذه مئة خصلة من أخلاق العاقل»^(١).

بيان مفصل من الأمر، كفرح غضب وشو، كذا في القاموس^(٢).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَلَمَّا رَأَى الْجَهْلُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ الْعَقْلَ وَمَا أَعْطَاهُ، أَضْمَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ، فَقَالَ الْجَهْلُ: يَا رَبِّ، هَذَا خَلْقٌ مِثْلِي خَلَقْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَقَوَّيْتَهُ، وَأَنَا ضِدُّهُ، وَلَا قُوَّةَ لِي بِهِ، فَأَعْطِنِي مِنَ الْجُنْدِ مِثْلَمَا أَعْطَيْتَهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَإِنْ عَصَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ، أَخْرَجْتُكَ وَجُنْدَكَ مِنْ رَحْمَتِي، قَالَ: قَدْ رَضِيتُ. فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جُنْدًا».

[شرح تكملة الحديث: طلب الجهل من الله الجنود]:

أقول: لما ظهر طوع العقل وفضله للجهل مع ما أتى من الجنود، وهو ضده، طلب الجنود وإمداده، بل الأعوان، لئلا يقصر عن تحصيل ما كلف به وليظهر ما استجته، فلا تكون له الحجة. ولذا «قال: يا رب، هو»^(٣) خلق مثلي» إلخ، ولكل شهوة وكمال، فأعطى الجهل كذلك؛ ليتقوى به على تحصيل شهوته، لتتم الحجة عليه بما أجراه للجميع، ولكن شَرَطَ على الجهل أن يكون طوعاً للعقل، الذي هو خير، بقوله: «فإن عصيت»، وكُلَّ هذه الصفات أضداد لتلك، حقائقها إعدام، عبارة عن التخلية للنفس الأمارّة وما تشتهي بمقتضياتها من الأضداد العامة، بيان مماثلة الجهل للعقل في أنّه مخلوق مثله، وبحسب ذاته، صالح للدّاعيين.

(١) علل الشرائع: ١٣٧/١.

(٢) هكذا ورد هذا السطر في متن النسختين من المخطوط.

(٣) هكذا ورد في النسختين، وفي الرواية: «هذا».

وكونه ضده دال على أنه وجودي، فليس التقابل بينهما تقابل العدم والملكة، لكن لما كان بأصل وجوده طلب منه الإقبال المقتضي لصلوحه له فامتنع، كانت مقابلته مقابلة العدم والملكة، فلما امتنع واستكبر، كان تقابل التضاد، ثم ولا ينافي قوله ﷺ هنا «فإن عصيت بعد ذلك، أخرجتك وجندك من رحمتي»، حكمة عليه، قبل بالاستكبار لما أبى، ولعنه له، وحينئذ يرتفع التنافي بين القول بأن التقابل بينهما تضاداً وعدم، وملكه المقتضي لطرده ومنعه عن رحمة؛ لأن ذلك بحسب وجوده الأول التنزلي التكويني، والحكم عليه بمختار أصل طينته، وهذا بعد شعوره، وظهور ممانعته للعقل وجنده، وظهور الاختلاط وحكمه، ولذا قال هنا: «فإن عصيت»، ولا بد من وقوع اختياره على ما سبق في علمه بالنسبة له، والرحمة المخرج منها الخاصة التي للمؤمن، لا التي وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، ثم ذكر الخاصة بقوله: ﴿فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ﴾ الآية^(٢).

[حقيقة جنود العقل والنفس]:

واعلم أن حقيقة جنديهما، جند واحد، لكنّه صالح ليستعمله كل من العقل والنفس الأمانة بحسب مشتهياته وكماله كما عرفت، فإذا استعمله الأول وهو كمال الوجود كان جند عقلي، وإذا استعملته النفس في مقتضى الماهية ووقعت التخلية وعدم منعها قهراً عن مقتضياتها عملت بها ما تشتهي، وهي حينئذ جند من جنود الجهل، لا أن بين الجندين تضاداً مطلق وتمانع ذاتي بغير ارتباط وصلوح كل لما يقتضيه الآخر وإلا انتفت الطاعة وكذا المعصية، بل ويلزم تعدّد الواجب تعالى، وكله باطل.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

إيضاح:

قال محمد صالح في شرح قوله ﷺ قبل: «قال له استكبرت فلعله»، (فإن قلت: من لعنه الله [تعالى] فهو مقيد بقيد العصيان، مقيم بمقام الخذلان، محروم عن الرحمة والجنان أبداً، فما وجه قوله: «فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي. قلت: اللعنة^(١) مشروطة بالاستكبار، فإن دام دامت، وإن زال بالتوبة والإنابة زالت، لأن الله [تعالى] يحب المتقن^(٢) التواب^(٣) انتهى.

[رد على الملا محمد صالح المازندراني]:

قلت: بل اللعن الأول طرد له بمقتضى استكباره، وهو حاصل بعد رده للأمر وعدم قبوله، والأخير دالّ على أنه لم تظهر منه معصية ولم يتصف باللعن، بقوله: «فإن عصيت»، لكن عرفت أنّ اللعن الأول حكم عليه بإبائه عن القبول، بحسب الطينة الأولى، وهذه مسببة عن تلك، وسبب للطينة الثانية، فإن الثانية مسببة عن العمل دنيا، وهو مسبب عن تلك، فصحّ التعليق على أن يعد، مع أن الله المشيئة في قبضة الشمال لا اليمين، مع التنبيه على لعنه وخبثه ليس عن جبر الله له وعدم صلوحه الطاعة أصلاً وإلا لم يتصف بالوجود ولو عرضاً، حتّى أنه بعد اقتضى بحسب رتبة وجوده أن يكون ذاتياً، وستسمع في أحاديث الطينة: إن الله أجج النار وكلف الدخول بها مراراً، كل ذلك دائر مدار اختلاف نشأة الوجود المقتضي لتنور نار التكليف.

فلما كان الاستكبار الثانوي بحسب المقام الرجوعي، والاتصاف به فعلا

(١) في النسختين: الرحمة، وما أثبتاه من المصدر.

(٢) في المصدر: المفتن.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٠٨/١.

لم يقع بعد باعتبار الظهور الجسمي، ولم يظهر ما فيه إلا بالاستنطاق بالتكليف بعد التمكن منها، قال بعد: «فإن عصيت» إلخ.

[رأي ملا محسن الفيض]:

وقال ملا محسن: «أخرجتك من (رحمتي) أي من الرحمة العامة الواسعة التي وسعت كل شيء، لا الخاصة التي [هي] لأهل السعادة خالصة؛ لخروج الجهل وجنده عنها أزلاً وأبداً»^(١) انتهى

ولا يخفى ضعفه، بل العامة عامة، فكل موجود لا يخرج عن دائرة الوجود بعد الصناعة به ولا شرّاً، باعتبار النظام الجملي، بل كلتا يديه رحمة والشر ليس إليه، وإخراجه عن الخاصة قبل لما كان بمقتضى اختيار ذاته لا ينافي إخراجه عنه نهاية، فتأمل.

[نتيجة العطاء]:

ولمّا أعطاه ما سأله أظهر الرضا؛ لأنه كمال العدل، حيث كلفه وأعطاه ما تمنى، وجعل له جنوداً عدد تلك هي تخليته، وما يقتضيه عند إرادته عمل من الأعمال وتركه مقتضياتها الذاتية، لا أنه جعل ذاتي حتّى يستلزم الرضا فيكون تعذيبه قبيحاً - تعالى الله علواً كبيراً - ولكان إنذاره وإرهابه بالعذاب لا حكمة فيه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَكَانَ مِمَّا أُعْطِيَ الْعَقْلَ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّبْعِينَ الْجُنْدَ: الْخَيْرُ، وَهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ، وَجَعَلَ ضِدَّهُ الشَّرُّ، وَهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ».

(١) الشافعي في العقائد والأخلاق والأحكام: ٤٤/١.

[شرح تكملة الحديث: الخير وزيراً للعقل]:

الوزر: الحمل الثقيل، يقال وزره إذا حمّله، ومنه الوزير؛ لأنه يحمل عن الأمير وزره، أي ثقله^(١).

وليس المراد بالخير هنا الإضافي، فإنه لا يكون واسطة للعقل ومعيناً له، وهو مطلوب له أيضاً، فإن الوزير مطلوب للأمير ليسترخ عنه ويستتم به أمره.

[في معنى الخير]:

فمعنى الخير: ما يؤثر عند العقلاء، وتشتاق إليه الأشياء، وتطلبه الموجودات، وتدور عليه تبعاً لتخلق به، فهذا كامل ذاتاً وكمالاً بالنسبة لغيره وفي سلوكه، وليس إلا الوجود الفعلي والتخلق الكمال، فلا تسريه للوجود، فإنه خير وبه ارتباط غيره.

والشر عدم محض أو عدم كمال، لحق باعتبار التدرج في الخيرية إلى أن نزل إلى القوة.

وهذا الخير الذي هو وزير إضافي أيضاً باعتبار علته، إذ الخير الحقيقي الذي لا قوة فيه بوجه أصلاً، هو الواحد الذي لا تكثر فيه، وهو الواجب تعالى، وما عداه تعالى فخيرته إضافية منه تعالى.

[الجنود تدخل تحت الوزير]:

وتترتب كالموجودات والشرية التي هي وزير الجهل، ليس هي الشرية المطلقة ولا الغالبة على الخيرية وإلا لم تدخل في النظام، ولم تكن ضدّاً لكن بحسب قصور رتبته وضعف وجوده، فيعود لفقد كمال أو عدم ذات، فيكون الشر أحد هذين العدمين، لا الوجود بما هو وجود؛ لأنه خير

(١) تفسير البيان: ١٥/٧.

محض، فالشر الحقيقي غير مقتضى وداخل أصلاً، والغير الحقيقي مقتضى بالعرض، والتبعية لما هو مراد ذاتاً وخير كذلك، وهو الوجود، فوجودها عرضاً لزمه الخيرات لتتميمها مع ترتب الخيرات، وهي جامعة في كل مرتبة، فظهرت الشرور كذلك، والصفة اللازمة الذاتية الخير للعقل في جميع ما يريد أن يفعل بجنوده، وهو الواسطة، وكذا جميع من يريد التقرب والتشبه به وبأفعاله وصفاته، وبعكسه الجهل والشر. فتدبر، فسائر جنود العقل داخلية تحت وزيره، وكذا في جنود الجهل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْإِيمَانُ وَضِدُّهُ الْكُفْرُ».

[شرح تكملة الحديث: الإيمان وضده الكفر]:

أقول: الإيمان لغة التصديق. وشرعاً التصديق بالله وعدله وبالرسول ﷺ وبما جاء به. وهل الأعمال داخلية في الإيمان أو شرط خارجي؟ فالمعتزلة وجماعة من الإمامية على الدخول، ويدل عليه جملة من الأحاديث، كما روى محمد بن يعقوب في حسنة حمران بن أعين، وصحيح محمد بن مسلم، ومكاتبة عبدالرحيم القصير وغير ذلك، كما في العيون وغيرها.

والأشاعرة على الخروج، واختاره ابن أبي جمهور في (المجلي)^(١) وغيره أيضاً، وحمل ما دلّ على الدخول على الإيمان الكامل، ويعطف العمل عليه المقتضي للمغايرة، ويقول: «وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٢)، ويقول: «كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ»^(٣)، وحمله على الكامل خلاف الظاهر، ولا موجب له لما ستعرف، وعطف الجزء على الكلّ، والخاصّ على العام؛

(١) مجلي مرآة المنجي: ١٦٢٤/٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

لكمال العناية والتنبية على شدة جائر ووارد، كيف والتصديق القلبي والاعتقاد عمل أيضاً، فلو تأملت وجدت الإيمان كله عملاً.

وعن علي عليه السلام: «لو كان الإيمان كلاماً، لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام»^(١). وكذا تخصيصه بالقلب في الآيتين غير دال، فهو الفرد الأكمل والجزء الأول.

والذي يظهر أن الإيمان يطلق على ما يرادف الإسلام العام، وهو الإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الجملة، سواء أنكر بباطنه وهو المنافق أم لا، فقله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢)، نزل في منافق، كناه بعض الصالحين بأبي الملاح، ولدخول كل من أقر بالدعوة ظاهراً في خطاب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقد يطلق على ذلك مع التصديق والعمل والإقرار بالولاية، وهو المقصود هنا، وهو درجات أيضاً، إذ حصول ذلك إما بمجرد التصديق أو بالبرهان النظري أو اليقيني أو مع الكشف الغيبي.

فحقيقة الإيمان: هو معرفة الله ذاتاً وصفة بما تعرف لخلقه، وكذا صفاته وأفعاله ومعرفة عبادته وهو سبيله.

والعبادة لفظاً شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن علياً والأحد عشر المعصومين من ذريته حججه وخلفاؤه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصيام والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع مرادات الله كما بيّنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشرح ذلك مع الشروط المذكورة في كتب الفروع.

[أسس الإيمان وعماده]:

واعلم - رحمك الله -: إن الإيمان بجميع أقسامه، أسسه وعماده معرفة

(١) الكافي: ٨٩/٣، باب من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢/١٥١٩).

(٢) سورة الصف، الآية: ٢.

الولاية لمحمد وآله المعصومين، فإنهم الأمانة العظمى، والعروة الوثقى، والواسطة الكبرى، وصفته الظاهرة، ورحمته الساطعة، وجنبه الوثيق، وكل ذلك دائر مدار معرفتهم، فإنها متفاوتة، والعمل من فروعهم، فإنه ظهر وعرف قول: لا إله إلا الله بواسطتهم.

ولذا ورد تفسير الأمانة في: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الآية^(١)، بالولاية وبجميع التكاليف أخرى، فأمرهم «[سرّ في سرّ و] سرّ مستسر، وسرّ لا يفيد إلا سرّ، وسرّ على سرّ، وسرّ مقنع بسرّ»^(٢)، كما روي عن الصادق عليه السلام، وعنه عليه السلام: «أمرنا هو الحقّ وحقّ الحقّ، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السرّ، وسرّ السرّ، [و]سرّ [المستسر، وسرّ] مقنع بالسرّ»^(٣)، فالتوحيد توحيد الولاية في المقامات بما يناسب قدسه ودرجات توحيده، والتكاليف ظاهرها والتشبه بها.

[معنى الكُفر]:

إذا عرفت ذلك، فالكفر معناه السّر لغة، ولذا سمي الزارع كافر، لسره الزرع^(٤)، ودركاته تُعرف بالمقابلة بدرجات الإيمان، فكل رتبة تقابلها كفر وأقسامه حينئذ، وهو كفر الجحود والعناد والبراءة، وكفر النعمة ظاهر بالمقابلة.

وإذا كان معرفة هذا الأمر، وهو ما عليه الإمامية الاثنا عشرية أصل

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٨، نادر من الباب في أن علم آل محمد عليه السلام سرّ مستسر، وهو نادر من الباب، حديث رقم (١).

(٣) بصائر الدرجات: ٤٩، حديث رقم (٤).

(٤) تفسير التبيان: ٦٠/١، تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَلْبَيْتَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٦.

الإيمان، فإنكاره وردّه أصل الكفر بأي نوع أخذ في كل بحسبه، سواء كان كفراً يوجب الخلود أو لا يوجبه.

ولا ينافي هذا ثبوت الوساطة في الدنيا، وهي رتبة الإسلام التي عليها مبنى التوارث والتناسل، فمآلهم إلى النار، بسبب ردّهم لذلك مع أن ما لحقهم دنيا، فإنما هو لإقرارهم ببعض ظاهراً ظاهر الأعمال التي هي سبب الولاية وسبيلها الظاهري. فافهم ترشد.

فالمقام يحتاج إلى بسط كثير، فلنذكر مختصره، فإنه مبحث شريف وبه يعرف أصل الدين وسنّامه، وحقيقة الإيمان على طراز الحقيقة.

فنقول: محمد وآله عليهم السلام هم أصل كل خير وفرعه وسنّامه، وبهم نجا من نجا وهلك من هلك، وهذا من المتضح عقلاً ونقلاً.

ونقول هنا: الإيمان في مقام التكليف والربوبية إذ مربوب، ومقام البعث وطلب الإقرار والاعتقاد والعمل، فإنه الجامع للإنسان بمراتبه الثلاث الكلية، ولا يكون إلّا بالوساطة ومعرفته وكذا المرسل.

فالإيمان يتحقق في مقامين هما الثلاثة الأول بحسب ما ألقى في الذات من المثل الدالة عليه تعالى، إذا عمل بمقتضاه، واتصفت الذات به، وهو غيب الأفعال والأقوال أو قل نور يكتبه الله في قلب الشخص، وهو جملة بقلم الاعتقاد والقول والعمل، وهو نور وحياة من نور الله وروحه، فالله ينفخ فيه ويكتب في قلبه بقلم منه صورة الإيمان، وهو النفخ فيه، وأصل الروح الكلي بهم عليهم السلام والنفخ كما تصنع الشمس في ضوء المرأة، قال الله تعالى: ﴿تُورُهُمْ يَتَعَنَّى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ﴾^(١)، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٢)، والكاتب والنافخ جبرئيل عليه السلام بمعونة

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

إسرافيل، فحقيقة المؤمن وصورته هذه، وهي المحصلة باعتقاده وعمله والمتخلقة بها، وكلهم منهم وبهم وإليهم وبعكس ذلك تصور في حقيقة الكفر.

والكافر بحسب ذاته وحقيقته بحسب الجملة الثانية بحسب الاعتقاد والقول والعمل.

وهذا أيضاً هم ﷺ أصل بيانه، وفيهم نزل وفصل، وإليهم ينتهي ويرجع الأول إلى الباطن، والقول والعمل إلى الظاهر والباطن، أصله المعرفة، ومنه المحبة والعلم والتذكر، والفكر واليقين، والثبات والحزم.

والمراد بالمعرفة: معرفة الله بآياته، معرفة دلالة لا إحاطة، وتوحيده في الذات والصفات والأفعال والعبادة، فلا ضد له ولا ند ولا مشاكل، ولا مناد وشريك أو مشارك له في العبادة أو الخلق والرزق أو الإحياء والإماتة، ولا يكون شيء منها حق ولا يتفرع عليها وتوجهه إلا إذا كان بما يتنوه وعرفوه ﷺ أي: إنهم سبيل معرفتها وأركانها أو إنهم الغاية، فإنهم البداية والغاية والدالجون أمام كل دالج، والقصد لكل قاصد، وكذا معرفة الرسول ﷺ والزهراء ﷺ، واعتقاد فضلهم ومعرفتهم، ومعرفة عدل الله، والتصديق بما جاءوا به، وموالاتهم وأوليائهم، ومعاداة أعدائهم، والبراءة منهم، والمعاد.

وتفصيل معرفة ذلك سيأتي في المجلدات اللاحقة، وكل هذا خير، ومن عرفه أحبه، فالخير محبوب، ومحبة الله ترجع إلى معرفة حاله عندك، ومحبة أوليائه ومظاهره لدلالته عليهم وأتباعهم في الأفعال والأقوال وغيرها، قال الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾^(١)، فالمحبة مقام فعله وصفته، وهم مظهره ومظهر فعله، واسم الذات الدالة، فهم المسمى بوجه لا الذات الأحدية،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

وإنك إذا تصوّرت نفسك بصورة اعتقادك في خيالك واطمأنت به نفسك، فقد حصل لك العلم في نفسك واليقين والاطمئنان والتصديق في قلبك، ومعناها في فؤادك بلا كيف لها، وحكم عليها بأنها هي الله، وحينئذ تكون هذه المعرفة معرفة ربك معرفة دلالة بلا كيف لها وأين، وحصول ذلك لك بوسط أو وسائط، فإذا حصل لك هذا التصوّر واليقين والتصديق والتسليم والبراءة، كان داعياً لك على الخوف والرجاء المستلزم للطلب والهرب، والعمل والمعرفة والحبّ تمحي من القلب مما سوى المحبوب، وفي (مصباح الشريعة) قال الصادق عليه السلام: «فإذا تحقق العلم في الصدر»^(١) خاف، وإذا صحّ الخوف هرب، وإذا هرب نجا، وإذا أشرق^(٢) نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكّن من رؤية الفضل رجا، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وقف للطلب وجد، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة، [وإذا هاج ريح المحبة] استأنس في ظلال المحبوب وآثر المحبوب على ما سواه، وباشروا أمره واجتنب نواهيه، واختارهما على كل شيء غيرهما، فإذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب [معاصيه و] نواهيه وصل إلى روح المناجاة والقرب، ومثال هذه [الأصول] الثلاثة: كالحرم والمسجد والكعبة، فمن دخل الحرم [آمن] من الخلق، ومن دخل المسجد آمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية، ومن دخل الكعبة آمن قلبه أن يشغله بغير ذكر الله»^(٣) الحديث.

والتذكر والفكر معالجة النفس بعدم الغفلة، والتوجه بقلبك إلى عظمة الله تعالى وإلى ما يريد منك حتّى يكون ذلك طبعاً لك، وإن خاطبت غيره فبيعدك الله في الدارين.

(١) في المصدر: الصدق.

(٢) في المصدر: أشرف.

(٣) مصباح الشريعة: ١١٩، الباب السادس والخمسون، في البيان.

وورد: أن علامة المؤمن أن كلامه ذكر، وصمته فكر، ونظره اعتبار^(١).

وورد: أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة^(٢).

بيان ذلك: أنه إذا تفكر نظر بقلبه إلى عظمة الله وأسرار آثاره، وآثار العظمة والقدرة، فيجد ما لا يحيط به الوصف، ويطلع على صفات صاحب الأمر والمبلغ عن الله، فيطلع على معرفته التامة، وإنه ولي الله وإليه يرجع الأمر كله في الدنيا والآخرة.

ومعلوم زيادة ذلك على عبادة السنة، ولا يكتب ثوابه الملك؛ لأنه لا يكتب إلا ما يسمع، ومذكور: اليقين والثبات والحزم من دعائم الإيمان، في حديث الكافي - وسياأتي - ومن جنود العقل، وهو عنصر جميع الخيرات ومجمعها، فيكون له جنوده وصفاته ويجمعها.

والإيمان الظاهر منه قول وعمل، والأحاديث في بيانه وأقسامه وشعبه متكثرة، كما في (الكافي) عن [ابن] أبي عمير والزبير، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، وغيرهما، وستأتي في كتاب الإيمان، وبيان شعبه وأقسامه، وجميع أقسام الإيمان وشعبه وأقسامه من ظاهر وباطن، وقول وعمل وتقسيمه على الجوارح، فمن معرفتهم وشعاع ولايتهم، ورسم هداهم، ولا يقبل الله عملاً إلا بولايتهم واتباعهم، كما تواترت به الأخبار في (الكافي) وغيره - وسياأتي - وصرح به الكتاب وصرح الاعتبار، فولايتهم الأصل، وهي الدين الخالص ولا قوام لفرع إلا بأصله ولا صفة إلا بموصوفها، وقال الباقر عليه السلام لأبي الجارود، حين سأله عن حاجته، «قال عليه السلام: هات حاجتك، قال، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله به أنت وأهل بيتك، لأدين الله به، قال: إن كنت أقصرت الخطبة،

(١) بحار الأنوار: ١٦٥/٩٣.

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ٥٧/٢، المسلك الرابع، حديث رقم (١٥٢).

فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله به، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليتنا والبراءة من عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع»^(١) انتهى.

فهذا دينهم، وهو مورد لكل شارب وناهل، ولهم منهم مقصد لا يطيقه غيرهم ولا يكلف به سواهم، وكذا من جميع الألفاظ.

فاتضح لك مما سبق: أن طريق الحق ومنهاج السلامة هو اعتقاد ما عليه الفرقة وإجماعهم، والنصوص من الشهاداتتين، والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ، لا كما يعتقد أهل التصوف ومن تبعهم منا كالملا من ثبوت الأعيان أزلاً، وإن الله كل الوجود أو هو مساو في الكل، وكذا وحدة الوجود وأمثال ذلك من عقائدهم المشروحة في كتبهم، وتكون أقوالهم مطابقة لذلك، وكذا معرفة رسله والأوصياء، وكذا في عمله بقيامه بالواجب، ومن المستحب والمكروه باستطاعته، وكذا في كل ما يعمل ويحكم به لا يخرج فيه عما عليه الكتاب والسنة وإجماع الفرقة في العقل والنقل، وما سوى ذلك ضلال وكفر، وهذا المجمل درجات ومراتب.

ومن فكر في كتب الملا والكاشاني وأشباههم وجدها مخالفة لما عليه الفرقة التي لا يخرج الحق عنهم، وكذا للكتاب والسنة، وسيأتي نقل جملة من ذلك في المجلدات اللاحقة متفرقاً - إن شاء الله تعالى - والاختصار أوجب الاختصار على الإشارة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والتَّصْدِيقُ وَضِدُّهُ الْجُحُودُ».

(١) الكافي: ٦٢/٣، باب ١٣ دعائم الإسلام، حديث رقم (١٠/١٤٩٩).

[شرح تكملة الحديث: التصديق وضده الجحود]:

أقول: التصديق: هو الاعتقاد الجازم اليقيني المطابق للواقع، وهذا لا يكون إلا عن برهان، ولا ينافي عدّه جنداً مستقلاً، إمكان ردة لغيره كالإيمان السابق وله نظائر على أن التصديق لازم، وله صفات ومراتب وكذا الكفر.

ويحتمل أن يراد بالإيمان السابق أوّل مراتبه.

والتصديق هنا ما كان عن يقين وانسراح. كذا قيل.

وظاهر كلام ملاً خليل في الشرح، وكذا محمد صالح المازندراني^(١) أن التفاوت بين الإيمان والتصديق كالتفاوت بين العلم الإجمالي والتفصيلي.

والجحود لا يكون إلا بعد وضوح الدليل بقدره وإنكاره، قال الله تعالى: ﴿وَحَمِّدُوا بِهَا وَاسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢)، استيقان تصور لا عن اعتقاد وإلا كانوا مؤمنين، وليس كذلك ﴿ظُلُمًا وَعَلْوًا﴾.

ويحتمل أن تريد بالتصديق، التصديق المطلق، والجحود بما يشمل مطلق الكافر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والرجاء وضده القنوط».

[شرح تكملة الحديث: الرجاء وضده القنوط]:

أقول: الرجاء بالمدّة، ويقصر مصدر بمعنى التوقع والأمل، تقول: رجوته أرجوه رجواً، ورجاء ورجاءه، وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاءه، وقد جاء فيها رجاءه.

(١) شرح أصول الكافي: ٢١٥/١.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

وسبب الرجاء الباعث على تعلق النفس وسكونها إليه عموم نعمه وشمولها للمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، غيباً وشهادة عن استحقاق ظاهري وابتداء بها، تفضلاً منه تعالى، بل جميع إحسانه وعطائه تفضلاً دنيا وآخرة، والله لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، بل أمهل واتبع العصيان بالإنعام والامتنان، وهو الغني المطلق والذي لا مشارك له في ملكه ولا منازع، ولم يخرج الملك عن ملكه وتصرفه ولا غفلة له عن خلقه، فهو أحق من رجا ورغب لما عنده، وهو يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

وأصل جميع ذلك التعلق بجهته جعله الإمدادي الذي لا انقطاع له، مع حاجة الكل إليه وفقدهم له ذاتاً وصفة لا بالانقطاع، والنظر لأنية النفس والغفلة عن الله تعالى.

وآيات ظهوره في نفسك وغيرك، فإنه سبب عدم الرجاء والخوف؛ لعدم موافقة العمل لجهته المطلوبة ورجاء غيره تعالى، وقد نهى الله وحذر عن رجاء غيره، ووجهه عقلاً ونقلاً ظاهر.

والفرق بين الرجاء والطمع، وكذا بين القنوط واليأس، تخصيص الرجاء والقنوط بالأمر الأخرى والأحزان بالأمور الدنيوية، قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْنَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾^(٢)، أو يخص الرجاء بما يكون عن استحقاق، وكذا الباقيين أو يخص أحدهما بإعطاء الثواب والآخر بترك العقاب ومقابلها بمقابل ذلك أو يخص الرجاء والقنوط بما يكون من الله والطمع واليأس بما يكون من الناس، فتأمله وميز.

وللرجاء اعتدال به يتحقق اسمه ويدونه يخرج عنه ويدخل في الغرور،

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

ولذلك أسباب به يحصل ذلك، ويرتاح بها القلب وتطلبه النفس، ولا يكون غروراً وحمق ولا يرجى الشيء بغير طلبه، بأسبابه الموصلة، وهو القيام بما أمر الله، وطاعته بالاعتقاد، والأعمال الصالحة، فمن رجا عمل، ولا تخليه إلا بعد تخليه، فالباذر في الأرض السبحة من غير إصلاح ولا ماء لها طلباً للحصد، والماء بعد سقيه، بل لا بد من إزالة المانع ثم البذر والسقي والتعاهد، فحينئذ يحق الرجاء ويظهر النمو في العقبى، كذلك رجاء الإنسان لما عند الله بالنسبة لنفسه وأعماله، فمن انهمك في مشتريات الدنيا، ولم يتعاهد نفسه بالأعمال الصالحة مع بذرة الإيمان فرجاءه سفيه وخسران أعماله، كما قال تعالى: ﴿كَرَاهٍ يَفِيعَةً﴾ الآية^(١)، فانتظاره حينئذ حمق وغرور، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ الآية^(٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

وقال النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق^(٥) من اتبع هواه، وتمنى على الله»^(٦).

وقيل للمصادق عليه السلام: إن قوماً من مواليك يُلْمُونَ بالمعاصي، ويقولون: نرجو، فقال: «كذبوا ليسوا لنا بموالٍ، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني؛ من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه»^(٧).

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

(٤) سورة الطور، الآية: ١٦، وسورة التحريم، الآية: ٧.

(٥) في المصدر: والفاجر.

(٦) تفسير مجمع البيان: ٩٥/٨.

(٧) الكافي: ١٧٧/٣، باب الخوف والرجاء، من كتاب الإيمان والكفر، رقم الحديث (١٦٠٤).

وعنه عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^(١)، فالمؤمن المجتنب للمعاصي، العامل بالطاعة حقيق بالرجاء، وكذا من أناب ورجع عن تعديه وتاب حقيق بقبولها، فيحسن الظن بالله من أطاعه ولم يتبع هواه، فإن الرجاء إلى حد فإذا حازه رجع إلى الأمن من مكر الله وهو الخسران، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ * ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ الآية^(٣)، ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٤)، فلا يصلح المؤمن إلا بنور الرجاء والخوف، فإنهما في كل مؤمن، لو غلب أحدهما على الآخر هلك، وقد جمعهما الله، فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٥)، والغالب على الناس الرجاء الغروري من تسويغات الشيطان وخدعه، فالأصلح زجرهم بسوط الخوف، إلا كمن غلب عليه مقامه فيروح بالرجاء حذراً من وقوعه في القنوط واليأس من رحمته: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٦)، فلا استقامة في مراعاتهما.

فالرجاء من مقام العلم والخوف، فخف الله خيفة لو أتته بحسنات الثقلين لم يتقبلها منك، وارجع رجاء لو أتته بسيئات أهل الأرض غفرها لك.

(١) الكافي: ١٨١/٣، باب الخوف والرجاء، من كتاب الإيمان والكفر، رقم الحديث (١٦٠٩) / (١١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٩٧ - ٩٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

وعنه عليه السلام : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(١)، وكُلّه دال على التساوي.

وقوله أولاً: «كأنك تعيش أبداً» أي: دنيا مستقيمة، لا تقطع السعي ولا التزويج ولا اتخاذ الجوار وأمثال ذلك.

فاستبان أن كل واحد من الخوف والرجاء بدون الآخر مهلك رديّ، وغير خفيّ أن الرجاء من أعظم درجات السالكين؛ لبعثه على المراقبة والصبر على العمل؛ ليفوز برتبة السابقين المقربين، وتوصيلة لرتبة التوكل والرضا، وتحمل البأساء والضراء، كما أن القنوط وهو ضده، يوجب الانهماك في المعاصي وعدم الرجوع، وسوء الظن بالله الموجب لنسبته إلى الظلم والمنع والبخل وغير ذلك، مما يؤدّ إليه القنوط من القبائح، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٢)، ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعَدْلُ وَضِدُّهُ الْجَوْرُ».

[شرح تكملة الحديث: العدل وضده الجور]:

أقول: المراد بالعدل: لزوم الاستقامة، والوقوف على ساق^(٤) الوسط في الأقوال والأفعال الشخصية والنوعية، وقد أمر الله بذلك في غير موضع في كتابه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤٧٨، الجزء الثالث، كتاب المعيشة، باب: المعاش والمكاسب والفوائد والصناعات، حديث رقم (٣٥٧١).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٤) في النسخين (حاق)، وما أثبتته في المتن، مكتوب على هامش النسخين.

ذَلِكَ قَوَامًا^(١)، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا^٥ إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ^(٢)﴾، ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ^(٣)﴾.

ومر لك بيان الإفراط والتفريط في كثير من الخصال، ومتى خرج عن الاستقامة رجع إلى الجور، وهو التعدي، سواء كان إلى إفراط أو تفريط.

واستقامت جميع الخصال بالعدل، فيكون الطرفان داخلان في الجور، فلكل خصلة ضد لا أكثر، فعليك بالوزن بالميزان المستقيم اعتقاداً، فلا تعطيل ولا تشبيه ولا جبر ولا تفويض.

وكذا لا غلو في محمد وآله ﷺ ولا تقصير فيهم، بل هم أنواره وصفوته، ومحل أمره ومظهر صفاته.

وكذا الحلم في الكلام والانتقام، فخير الأمور أوسطها، اللهم اسلك بنا الصراط المستقيم، وسدّدنا على النهج القويم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالرِّضَا وَضِدُّهُ السُّخْطُ».

[شرح تكملة الحديث: الرضا وضده السخط]:

أقول: غير خفيّ علوّ درجة الرضا لاقتضائه الثقة بما عند الله، والصبر على البأساء والضراء، وسلامة النفس من الحقد والحسد، لأنّ نفسه دائماً قانعة راضية بما لها من المعيشة والرزق، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى^(٤)﴾، وغير منكورة لما يلحقها من البلاء، فهو إمّا لتخفيف ذنب أو لعلوّ قدر وعلى

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٦٠، وسورة الشورى، الآية: ٣٦.

كليهما فعدم الرضاء به والتسليم لأمره تعالى قبيح، وهو مقتضى لزيادة الأُنس والمحبة والمعرفة والصبر على الطاعة، فظهر أنه من أعلى منازل السائرين، وأسنَى درجات المقرّبين.

وفي مصباح الشريعة، عن الصادق عليه السلام: «صفة الرّضا أن يرضى المحبوب والمكروه، والرّضا: شعاع نور المعرفة، والراضي حقيقة هو المرضي عنه، والرّضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية، وتفسير الرّضا: سرور القلب. سمعت أبي محمد الباقر عليه السلام يقول: تعلّق القلب بالموجود شرك وبالمفقود كفر، وهما خارجان من نسبة الرّضا^(١). وأعجب ممن^(٢) يدّعي العبودية لله، كيف ينازعه في مقدوراته، حاشا الراضين العارفين عن ذلك»^(٣).

والأحاديث في بيان شرف الرّضا والأمر به والحث عليه كثيرة.

وغير خفي أن البلية وجميع المقدورات جارية، فإذا قوبلت بالرّضا فاز بالراحة دنيا والسلامة عقبى، وإلا فهي جارية حتماً وخسر الراحتين، فلا شك في أولويته، بل تعينه...^(٤) ليس الرّضا نفس الصّبر، وتحمل البلاء، بل قد ينفك أحدهما عن الآخر، كيف والرّضا يستلزم الحُبّ والأُنس بالله الموجب لذهوله عن البلاء، بل يعدّه تحفة فيستلذ به.

وعنهم عليه السلام: «البلية تحفة المؤمن»، وقال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(٥)، وقد لا يذهل عن ألمه لكنّه راغباً فيه؛ لكمال حبه وتصوره لغايته وتسليمه لربه.

(١) في المصدر: وهما جناحان من سنة.

(٢) في المصدر: بمن.

(٣) مصباح الشريعة: ١٨٢، الباب السادس والثمانون، في الرضا.

(٤) فراغ في النسختين موضع النقط.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

وكذا الحب في الله يستلزم الرضا زيادة اليقين به في البلاء، ثم ولا ينافي عدّ الرضا من خصال العقل ومن رتب أهل الفضل؛ كراهية المعاصي والتعذيب عليها، وكذا بعض التشويهاة الخلقية، والتغيرات المتفرد الطبيعية حتّى أمر الشارع بالتعوّذ منها عند مشاهدة ذي العاهات، فإن ما ذكر إنما وقعت الإرادة به ودخوله في التقدير والقضاء والإمضاء عرضاً لتتميم غيره، وبحسب رتبته التصورية لا ذاتاً، فجريانها لا يستلزم الرضا بها ذاتاً حتّى يلزم مساواتها للطاعة وقبح التعذيب عليها وغير ذلك، وجميعه باطل فأراداتها عرضاً يجمع عدم الرضا.

وإن قيل بالرضا العرضي أيضاً قلنا: يجتمع مع القبح الذاتي واستحقاقه الخلود في النار، وعدم الرضا ذاتاً ولا جمع بين نقيضين؛ لاختلاف وجهة الكراهة والرضا.

وكذا دخول التشويهاة العرضية، فسببها عروض أحوال منافية في الرحم أو الأب أو غيرهما، وأشير لبعضها في حديث المفضل في بيان الإتيان والعمد الطويل وغيره، ولذا أمر الشارع الاختيار للنطف، ورغب في مستحبات النكاح والوقاع.

مع أنك قد عرفت أن الرضا صفة مع وقوع البلاء وعدمه، فالتعوّذ من ذي العاهة الدال على الرضا بما قدر له، وهو السلامة لا يدل على قبحه للبلاء وعدم رضاه به لو حل به واختبر، بل على التسليم لله كيف كان، وهو كذلك، فاندفع حينئذ ما اشتهر على السنة البطالين الجامدين حيث سمعوا من النصّ وجوب الرضا بالقضاء، وأن كل شيء بقضاء، وإذا كانت المعاصي وأنواع الفجور والكفر من قضائه يجب الرضا بها، والرضا بالكفر كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(١)، إن هو لهم عن عدم

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.

استلزام القضاء للرضاء، وكذا عدم الإرادة العرضية له أو يقسم الرضاء فتأمل، فقد التبس الأمر على بعض الغثاء فعذبوا السكوت عن المنكرات من مقامات الرضاء، وسمّوه حُسن الخلق، فلزمهم سدّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤول الأمر بالآخرة إلى بطلان جميع الشرائع والأحكام، ولزمهم أيضاً أن تجتمع الكراهة والرضاء في شيء واحد، وهو باطل، وقد ذمّ الله على الرضاء بالمعاصي، فقال: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾^(٢).

وفي الخبر: (من شاهد منكراً ورضي به فكأنّه قد فعله)، وفي آخر: (فهو شريكه)، وفي آخر: (لو أن عبداً قتل في المشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكاً له في القتل).

واشتهر الجواب عن لزوم الرضاء بالكفر وهو كفر من وجوب الرضاء بقضائه تعالى، لأنه من قضائه بالفرق بين القضاء والمقضي، وإن الواجب الرضاء بالقضاء لا المقضي، والكفر ونحوه من جملة المقضي.

(ورده بعض المحققين - وأظنه الصدر - بأن القضاء عبارة عن الحكم بوقوع شيء في الخارج، وهو أمر نسبي إضافي، فحُسنه وقبحه وخيره وشره إنما هو بحسب ما أضاف إليه لأن نفس الإضافة فإنها لا توصف بشيء إلا باعتبار المضاف إليه، فالتناقض بحاله، ثم أجاب عن أصل الإشكال بعد حكمه بأن الخير مقضي ذاتاً والشرّ عرضاً، بأن الذي يجب الرضاء به هو القضاء أو المقضي ذاتاً، والذي يجب عدم الرضاء به هو القضاء أو المقضي عرضاً كالكفر والظلم ونحوهما)^(٣). انتهى.

فكلامه تخصيص لما حكم بعموم الرضاء بقضائه بالذاتي، لكن لما كانت

(١) سورة يونس، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٧، والآية: ٩٣.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢١٩/١.

الشرور دخولها في الوجود بالعرض ففيها جهة خيرية عرضاً لم يناف تعلق الرضا بها، بمعنى التخلية، كون الرضا بالكفر كفر، حيث إنه بجهته عدم كمال، وهو بهذه الجهة غير صادر، بل عدم أوائل، فلا تناقض مع بقاء العموم مع إرادة المقضى أيضاً، فتفطن.

[شبهة القضاء]:

وقال محمد صالح، نقلاً عن بعض الأفاضل في الجواب عن الشبهة: القضاء كالعلم ليس مجرد إضافة ونسبة، بل هو صورة عقلية ذات إضافة، فالقضاء^(١) الإضافي^(٢) وجود صور الموجودات الخارجية وجوداً عقلياً على وجه أعلى وأشرف، فما كان أو يكون له وجود في عالم [علمه] تعالى علماً مقدساً عن التغير والقصور والنقص والشرور.

وأما المقضي فهو الصور الكائنة والمواد الخارجية على وفق ما جرى في القضاء، فللقضاء نحو من الوجود، وللمقضي نحو آخر منه، قد يتطرق إليه النقص والآفة والشر والفساد والصورة العقلية للكفر، والمعاصي ليست كفراً ولا معصية، وإنما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج.

فمن قال: القضاء لا يكون إلا خيراً يجب الرضا به دون المقضي، لعلّه أراد بالقضاء صور ما في علم الله سبحانه لا مجرد النسبة، وبالمقضي وجود الأكوان الخارجية التي قد يكون شراً وكفراً، فظهر الفرق ورفع التناقض^(٣) انتهى.

ولا يخفى سقوطه في الوزن وما فيه من الوهن، فليس القضاء بالعلم الذاتي إذ لا صورة فيه كما يدل عليه ظاهر عباراته، وأيضاً أي معنى حينئذ

(١) في المصدر: فإن القضاء.

(٢) في المصدر: الإلهي.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢١٩/١.

ومزية مترتبة على القول بوجوب الرضا بعلمه بالأشياء ليس إلا المقضي، وباقي كلامه ظاهر الوهن.

ثم ولا ينافي الرضا أيضا الدعاء، وعدّه عبادة وسؤاله كشف البأساء والضراء حتى يسمى تركه استكباراً، وتوعد عليه، فإنه نوع من العبادة أيضاً، تعبّد الله به خلقه، بل هو من ثمرة الرجاء والابتلاء، لا غناء للعبد عنه، وإنه غير خارج عن ذلّ العبودية والافتقار لباريه.

وإذا عرفت حال الرضا وصفاته فاعرف حال السخط ودركاته، فإنه ضده. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالشُّكْرُ وَضِدُّهُ الْكُفْرُ»^(١).

[شرح تكملة الحديث: الشكر وضده الكفر]:

أقول: الشكر هو صرف ما وهب فيما أحبّ لساناً وجناناً وأركاناً، فجميع القوى نعمٌ، وصرف كل لكمالها موجب لنظر النعمة، فلا بدّ من شكر منعمها، فمن نظر اعتبر، فالسمع مثلاً لا يسمع اللغو والغيبة والغناء وأمثال ذلك، بل لتلاوة القرآن وسماع الموعظة وأمثال ذلك، وكذا البصر وسائر القوى، وكذا النعم الخارجية كثيرة من انقياد الدواب وإدراج السماء وغير ذلك.

[محمد ﷺ أعظم النعم]:

وأعظم النعم الوساطة الكلية وسبب الهداية المنجي عن الغواية محمد ﷺ فعموم بركته ملأت الأصقاع والأسماع ظاهراً وباطناً، لأنه الرحمة العامة، والكلمة الجامعة العامة.

(١) في المصدر: (الْكُفْرَانُ)

ومعلوم أن استعمال النعمة والنظر لها يوجب تعظيم المنعم والحذر عن زوالها بكفرانها وحقارتها، فما بأيدي العباد إنما هو أوائل نعمه تعالى إذ لا نهاية لجوده ولا انقطاع لفيضه، فليحاذر عليها ويستبقى مددها بشكرها، فتعظيمها تعظيمه وبسببه، إذ مبادئ النعم وحقائقها منه، إذ بدأ كل شيء منه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾^(١).

وكذا النظر للنعمة يستلزم الفرح بها والأنس، فبأن يأنس بالمنعم أحق وأولى.

[موجبات الشكر]:

فاستبان أن الشكر يوجب عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، وإفاضة النعم عليك أيها العبد الحقير المفتقر لبارئك في جميع حالاتك، فزد اعتقاداً واحمده بلسانك وعظمه بجوارحك واستعملها في مرضاته، وحدث بها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢)، وأنفق مما أوتيت مالا أو جاهاً أو قولا.

فاستبان أن الشكر يوجب التخلق بكثير من صفات الكمال الموجب للدخول في سلك الأبدال، وكأنك بما عرفت من عموم نعمه وشمولها ظاهراً وباطناً، وإن الله تعالى في كل موجود نعمة تسترشد لمعرفة البلاء حينئذ، للزوم أن لا وجود له، وأين مقام الصبر لأنه على المكروه، وقد جعلت كل موجود نعمة، وهي تقتضي الشكر، فكيف اجتماعه والصبر وهو يقتضي فرحاً، والصبر ألماً.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١١.

[في الصبر على البلاء]:

فاعلم أنَّ في البلاء نعماً، إمّا إيصالاً لرتبة الصّابرين أو دفع بلاء، مع أنَّ كل بلاء فوقه رتبةٌ أشدّ، فليشكر على السلامة، كيف ومقام الرّضا كما مرّ يوجب رؤية الألم لذيداً والفرح به فضلاً عن الشكر عليه، وكذا على سلامة باقي أجزاء بدنه وأحواله من ذلك وكراهته بمقتضى طبعه، ولا ينافي كونه مطلوباً بمقتضى النفس، وكثيراً ما تسأله أولياؤه الابتلاء وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً.

وفي النصّ: البلية تحفة المؤمن، بل سلامة الدّين نعمة لا يضر معها بلاء، بل صاحبه فرح دائماً.

فقد ظهر عدم التضاد، وإن الشكر والصبر والرّضا يجتمعان، كيف وكلّها خصال ولوازم العقل، مع أنّه لا بلية إلّا وهي باعتبار وإضافة لشيء دون شيء وعلى حالة دون أخرى كفقر بعض وغنى آخر، وكذا الصّحة والمرض وغيرها، ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض، فالبلاء يرجع إلى أمر عرضي بخلاف الشكر فإنه ذاتي، فيجوز لزوم الألم له بوجه.

[الشكر وثمرته]:

وكيف لا يعمّ الشكر وهو مقتض للرّضا المقتضي للصبر وتلقى البأساء والضراء مع عظم ثواب البلية، وهو مقتض لشكرها كما يظهر لمن تصور الغاية فاستدر بالرزق الأفضال وقربه من الوبال، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾^(٢)، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٣)، لأن طريق تحصيل الشكر النظر

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

في صنائعه، ونظر الأدنى والأعلى مع حقارة الناظر والتأمل في النعم، وذلك قليل الحصول.

فإذا عرفت الشكر وثمرته وغايته عرفت حال الكافر وقبائحه، فجميع المعاصي كفران للنعمة وترك للشكر وإن تفاوتت.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالطَّمَعُ وَضِدُّهُ الْيَأْسُ».

[شرح تكملة الحديث: الطمع وضده اليأس]:

أقول: إذا جعل الطَّمَعُ مرادفاً للرجاء فأحدهما زائد من النساخ كما مر من كلام الشيخ بها الدين، لكن الطَّمَعُ ورد في القرآن لتحصيل أمر باقٍ، وهو كمال للنفس كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١)، وغير ذلك، واستعمل في تحصيل ما لا ينبغي طلبه والحرص عليه.

ومن كلمات عليّ عليه السلام: «الدَّلُّ مِنَ الطَّمَعِ»^(٢) وذلك للرجبة فيما في أيدي الناس، وهو بالمعنى الأول مرادف للرجاء، وربما يستأنس بقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٣)، لكن الرجاء يستعمل لتحصيل الأمور الدنيوية المحمودة أيضاً.

أما الفرق بتخصيص الرجاء بثواب الآخرة والطمع بالقرب كمنافع الدنيا وضدهما في ضدهما، وكذا تخصيص الطَّمَعُ بتوقع الأمور الأخروية من غير سبق استحقاق، والرجاء بتوقعها مع سبق أو مطلق فضعيف، ولا دليل يدل عليه، بل المراد به هنا المذموم. فقد ورد ذمّه والتحذير عنه، ويكون حينئذ من

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.

(٢) في غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٢، رقم (٦٠٤٠): (قَرْنُ الطَّمَعِ بِالذَّلِّ).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

جنود الجهل، واليأس عمّا في أيدي الناس، وعدم الاعتماد عليه، والرغبة فيه من جنود العقل وتقديم جند الجهل حينئذ، ومخالفة سائر الخصال في تقديم جنود العقل إقامة جنده ظاهر، فكأنه وجودي أو من النساخ.

وفي مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «بلغني أنه سئل كعب الأحبار ما الأصلح في الدين، وما الأفسد؟ فقال: الأصلح الورع، والأفسد الطمع، فقال له السائل: صدقت يا كعب الأحبار.

والطمع خمر الشيطان، يسقي بيده لخواصه، فمن سكر منه لا يصحو إلا في أليم عذاب الله أو مجاورة ساقيه، ولو لم يكن في الطمع مسخطة إلا مشاورة الدين بالدنيا لكان [سخطاً] عظيماً، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾^(١).

وقال أمير المؤمنين: تفضل على من شئت، فأنت أميره، واستغن^(٢) عمن شئت، فأنت نظيره، وافتقر إلى من شئت، فأنت أسيره، والطامع منزوع عنه الإيمان، وهو لا يشعر لأن الإيمان يحجز بين العبد و"بين"^(٣) الطمع في الخلق، فيقول: يا صاحب^(٤)، خزائن الله مملوءة من الكرامات، "ولا يضيع الله أجر المحسنين"^(٥)، وما في أيدي الناس فإنه^(٦) مشوب بالعلل، ويردّه إلى التوكل والقناعة وقصر الأمل ولزوم الطاعة واليأس من الخلق، فإن فعل ذلك لزمه [فقد صلح]، وإن لم يفعل ذلك تركه مع شؤم الطمع وفارقه^(٧).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

(٢) في المصدر: فاستغن.

(٣) ما بين " " ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: يا صاحبي.

(٥) ما بين " " وردت في المصدر: وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

(٦) ليست في المصدر.

(٧) مصباح الشريعة: ١٠٥، الباب التاسع والأربعون.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَوَكَّلْ، وَضِدَّهُ الْحِرْصُ».

[شرح تكملة الحديث: التوكل وضده الحرص]:

أقول: غير خفي شرف التوكل، وإنه من أعلى منازل اليقين.

ومعلوم أن إلقاء الأمر قبضاً أو بسطاً على غير الله والتوكل عليه خروج بذلك عن رتبة المعلولية، وإعراض عن الناحية القدسية العلية، فهو مناف للإيمان بخالق البرية، وانغماس في ظلمة الجهالة، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا^(٣)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤)، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥).

فالتوكل موصل لمقام المحبة والمحبة لرب العالمين، وللاكتفاء بكفايته تعالى عن نظره لما في أيدي الراغبين، الموجب للقناعة والصبر والرضا وغير ذلك.

وقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما تُرزق الطير، تغدوا خِماصاً وتروخ بِطاناً»^(٦)، وقال: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنه»^(٧)، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٦) ميزان الحكمة: ٤٦١/١٣، حديث رقم (٢٢٥٤٧).

(٧) في المصدر: كفاه الله مؤنه.

وَكَلَّهَ اللَّهُ إِلَيْهَا»^(١)، وقال ﷺ: «من سرَّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه ممَّا في يده»^(٢).

والأحاديث في مدح التَّوَكُّلِ وذمَّ تركه كثيرة كما يظهر لمراجع مواضعها، وكيف يؤلَّ غيره في الشدائد وهي بيده والقادر على كشفها، أم كيف يقرع باب ممكن ناقص ويغلق بابه وبابه مفتوح للراغبين، ليس دونه بواب ولا عنه حجاب، وباب غيره مغلق إلَّا أن يفتح بفتح الله له وإمداده.

أم كيف يرغب فيما هو نافذ مقتضي ويعرض عمَّن لا ينفذ ما عنده الاتفاق.

ولا يغلظه توارد السؤال والاشتياق، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٣)، فالاعتماد على الأسباب دخول في الشرك الموجب للكفر بالواحد الرزاق الخلاق، فلا أمل إلَّا لمن لا منع فيه ولا بخل، وتعالى من ابتدأ بالنعيم، تفضلاً من غير سؤال، وابتدأ عن المنع بعد الدعاء، وظهور النداء، وليس هو بالبخيل، بل هو الكريم الجواد، ولا يخفى عليه خافية من أفعال العباد ظاهراً وما يكن الفؤاد وقد أوعد بالإمداد لمن أناب: ﴿وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)، فتتخذوا من دونه شركاء وأضداد، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله، وله تمام الكفاية والعناية والظنُّ بالعباد، فليتكلم عليه لا على مخلوق من مخلوقاته، فحكمه حكمك في الافتقار فيما أنت متوهم فيه، فصان قدرته عليه، بل تمام القدرة إليه، فمن لا توكل له لا يقين له ولا طمأنينة، وإنما يتبع ما يهواه هواه وتتلاعب به حسبما يظنه ويتمناه لمَّا أعرض عن هدى مولاه، وظنَّ به مع أنَّه المربِّي له ظنَّ السوء، فوكل أمره

(١) روضة الواعظين: ٣٧١/٢، مجلس في ذكر التَّوَكُّلِ، حديث رقم (١٣٦١ - ٥).

(٢) روضة الواعظين: ٣٧١/٢، مجلس في ذكر التَّوَكُّلِ، حديث رقم (١٣٦١ - ٦).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

على غيره واعتمد عليه، فالتوكل على الغير يقتضي الرغبة إليه، والرغبة والشرك به، وغير ذلك، وقد حذر الله عن جميع ذلك في غير موضع، فقال: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ * قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا^(١)، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٢)، ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ الآية^(٣)، وغيرها كثير.

وبالجملة فالأسباب منقطعة دونه، فهو يجير ولا يُجار عليه، فاستبان أن الاعتماد على الأسباب شرك، لكن قد أمر الله بها وبين سببية بعض لبعض، إيجاد أو رزقا، فقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّ سَوَاحِلُ الْأَرْضِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الْحَدِيثَ مِنَ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٥)، وأتبعنا كل شيء سببا.

وقال الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها»^(٦)، وقال تنبيها: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٧)، ﴿فَآمَسُوهَا فِي مَنَازِلِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا﴾^(٨)، فأمر بالسعي والتكسب،

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢١ و٢٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة سباء، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٧) في الكافي: بأسباب، وفي البصائر: بالأسباب.

(٨) الكافي: ٤٤٨/١، كتاب الحجة، باب ٧ معرفة الإمام والرد إليه، حديث رقم (٤٧٥/٧).

وبصائر الدرجات: ٢٦، باب ٣ معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله

تعالى والسبب الذي يوفق لمعرفة.

(٩) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(١٠) سورة الملك، الآية: ١٥.

وَحُثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ، وَجَعَلَ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِيهِ، وَجَعَلَ تَرْكُهُ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَجْزًا وَكَسَلًا، كَمَنْ يَزْرَعُ فِي السَّبْحَةِ بِغَيْرِ مَاءٍ وَيَرْجُو النَّمَاءَ، وَيَقُولُ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ.

ويَدُلُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْأَسْبَابِ شُكْرُهَا أَيْضًا، الْأَمْرُ بِشُكْرِ ذِي النِّعْمَةِ، فَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمَخْلُوقَ لَمْ يَشْكُرِ الْخَالِقَ، وَقَالَ: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(١)، ﴿وَيَا لَوْلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢)، وَكَذَا مَا دَلَّ عَلَى رَفْعِ بَعْضِ دَرَجَاتٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾ الْآيَةَ^(٣)، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٤)، ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ الدَّالُّ عَلَى تَمَسُّكِ الْمَفْضُولِ بِالْفَاضِلِ، الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ وَنَظَرُهُ إِلَيْهِ، وَكَذَا مَا دَلَّ عَلَى النِّسْبَةِ الْمُبَايَعَةِ وَالطَّاعَةِ لِرَسُولِهِ لِنَفْسِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾^(٦)، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٧)، ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الْآيَةَ^(٨)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٩)، وَنَفَى فَعْلَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَسْنَدَ لَهُ حَالَ إِسْنَادِهِ لَهُ، فَقَالَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾^(١٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(١١)، وَقَالَ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ:

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة، البقرة، الآية: ٨٣، وسورة النساء، الآية: ٣٦، وسورة الأنعام، الآية: ١٥١، وسورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٧، والآية: ١٢٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٩) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(١٠) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(١١) سورة النساء، الآية: ٧١.

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾^(١).

وقال لموسى عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٢)، للتحصن ليلاً، وقال النبي ﷺ لأعرابي أهمل بعيره، وقال: «توكلت أهملها واتكّل»، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وما به التأييد كفاية، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٤)، وأثبت العزة له ولرسوله، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، المقتضية للغلبة ذاتاً على غيره والاستظهار، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦)، فهو سبب خير، خيرية عامة، وقال: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٧)، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٨)، تأمل صدر أولاً بالحسب وأنه إلى الله خالص وبه مختص، حيث إن التحسب بالرسول تحسب بالله، لأنه منه وله وجهته، فليس هنا مبدأين، فجعل المبدأ واحداً وإلا فكونه ﷺ به الهداية والنجاة والفلاح والنجاح لاشك فيه، وجميع ذلك من الكفاية لا ينازع فيها، ولا كل من طبع على قلبه بالكفر، بل الناصر كافي وكذا المجاهد والحسب الكافي، وقد سمعت ما دلّ على أن الطاعة له وتبعه تبع لله، فلا يناسب القول أولاً: حسبنا الله ورسوله، فتفوت هذه الغاية وإن نبّه على الشريك بوجه آخر في آية أخرى، ثم شك في الإيتاء أي الإعطاء بينه ورسوله الدال على الرغبة أيضاً والرجاء، وقد قال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٩)، مع تضمّن الإيتاء للكفاية أيضاً.

ثم ختم بأن الرغبة لله تعالى، حيث إنّ الرغبة لرسوله لدلالة الإيتاء عليه

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ٨.

واقتضائه له، فأبان أخيراً بأنها رغبة لله، فعاد العود على البدء، لأنّ بدءه منه وعوده إليه، ولتفاوت الكفاية قال تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصُرُوءِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فما به التأييد به كفاية.

فصح حينئذ عطف: ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ﴾، من قوله: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) على لفظ الجلالة، ولا محذور إذ لا مساواة، وسيتضح لك بعد إن شاء الله.

وبطل ما حرّف به ابن القيم وابن تيمية هذه الآية كما في كتاب ضلاله، وإن سمّاه هديه، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٣)، فجعل الدفع علّة لنظامها وأهلها، كما أنّ التوحيد علّة لنظام، فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤).

وبالجملة فالآيات فضلاً عن الروايات الدالة على وجود الأسباب وارتباطها وأن لها فعلاً كثيرة، وكذا النظر في العالم الآفاقي ومتجدداته، وكذا العالم الإنساني دال على ذلك ومحسوس، يتقلب فيه الإنسان آناء الليل وأطراف النهار، وكذا ارتباط الآثار السفلية ومواليدها بالسّماوية كما قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾^(٥)، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٦)، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾^(٧)، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾^(٨) وغيرها، وهي مرتبطة بها، ولها مدخل في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢٢، وسورة الأنعام، الآية: ٩٩، وسورة الرعد، الآية: ١٧،

وسورة إبراهيم، الآية: ٣٢، وسورة النحل، الآية: ١٠ و٦٥، وسورة الحج، الآية: ٦٣،

وسورة فاطر، الآية: ٢٧، وسورة الزمر، الآية: ٢١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ٦.

الوجود، وإلا لم ترتبط وتتوقف دائماً أو أكثريةً وحال الخروج عن المقتضي والجري بمعجزة مثلاً، فهي من أقوى الأسباب وأعلاها، فلا خروج عنها، ويدلّ على ذلك نسبة الفعل لها.

فاتضح أنّه كما مرّ وجه الرغبة والطمع والعطاء والإيتاء لنفسه، وإبطال الأسباب أثبتها وأمر بالرجوع إلى الآثار إذ لا تعطيل لمقاماته، وإنّ لها تأثيراً وقدر فيها السير، وأمر بالرجوع إليها وابتغاء الوسيلة، فكما أنّ الاعتماد عليها شرك فكذا التباعد عنها وتركها كفر وردّ على الله، ومخالفة للبدئية، فاحتيج إلى الفرق في ذلك ليعرف حقيقة التوكل ويميز بين الإيمان والكفر.

[مذاهب الناس]:

فنقول: النَّاسُ في ذلك على ثلاثة مذاهب: إفراط، وتفريط، وما بينهما، فأما الأولون فنظروا إلى الأسباب وما أودع فيها من بديع الصنع ومن القبض والمنع وكمال التعليم والإفاضة، وضمّوا لذلك بهواهم الشيطاني شهباً عجزوا عن التقصي عنها لما تلوّنت طبيعتهم بخلاف مقتضاها، وطبع على قلبهم بحجب أغشية كفرهم والغواية، كيف والقوة العقلية في الإنسان آخر ما تتكوّن فيه، وسائر النفوس سابقة، وأفاعيلها ظاهرة قبل، فنظروا الصّفة لا بجهة كونها صفة ومحلّ تجلّ وظهور دلالة، بل من حيث الموصوفية والاستقلال، فجعلوها مستقلة واجبة، ولم يتفطنوا لما ينافي الواجبيّة فيها - وشرحه مما يطول - ففترقوا على طرائق:

منهم: من جعل خالقاً آخر مدبراً، رازقاً، محيياً، مميتاً، كالثنوية.

ومنهم: من أثبت أكثر من واحد، كمن جعل بعض النجوم كذلك، وغير ذلك من الفرق، كالقائلين بأصحاب الخليط والقدماء الخمسة وغير ذلك، وجميع الآيات والآثار وصحيح الاعتبار يبطل ذلك، وقد سبق بعض أول البحث فردّ الله عليهم في غير آية.

مبعثرات

ومنهم: من جعل العبادة للأصنام زعماً منه أن عبادته لا تصل الله، فدخل في التعطيل، ومع ذلك فعدم وصولها لا يوجب عزله عن العبادة وصرفها لغيره وجعل غيره في رتبته، وهم فرق.

منهم: من يجعل الأصنام دليلاً على النجوم، وهي معبودهم، لكنّها قد تخفى فأقاموا صنماً.

ومنهم: من يجعلها على وضع العقول أو الأوضاع السماوية، وهي معبودهم أو على صور علماء كانوا يعبدونهم؛ لاعتقادهم الحلول أو التجسيم، وقد أشار لهم كمالاً الله في كتابهم وكفرهم، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الآية^(١)، [و] أشار إلى ثلاث فرق فيها، وقال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢) فأثبتوا لهم الربوبية وعبدوهم من دون الله.

تأمل في فائدة التقييد بقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقوله في عيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣).

[الفرقة الثانية والافتقار الذاتي]:

وأما الفرقة الثانية: فنظروا من حيث الافتقار الذاتي والمعلولية الافتقارية اللازمة لجميع الأشياء، وكذا المملوكية مع ما ضمّ لهم الشيطان بأن إثبات السببية والمسببية والعطاء والمنع لبعض يوجب التشريك، فنفوا الأسباب لم يجوزوا نسبة فعل ولا جمال لشيء حتى مظاهر صفاته ومحل دلالاته، وهم فرق.

منهم: هذا الدجال الخارج في هذه السنين من الدرعية التي عمّت به

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

البليّة، فقال: العبادة مطلق الطاعة، ولا فعل لغيره ولا رجاء فيه ولا رغبة إليه ولا غير ذلك، ولا قول يا علي، ويا محمّد، بل ولا قول: ما شاء الله وشاء محمّد، وهذا من فضلك وفضل رسولك، ونزل الآيات الدالة على بطلان سائر مذاهب الكفار، أهل الإفراط الذي يجعل معه غيره، مضاد داله واجب مثله أو يعطل ذاته في كل من قال بذلك، وإن لم يقصد مقصدهم كما ستعرفه، فكذبته آيات الأسباب الكثيرة، وقد سمعت بعض^(١) منها مع ما دل على إثبات الخالقيّة منه لغيره كقوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٣)، ﴿أَتُنِشِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾^(٤)، ﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّلِيِّ﴾^(٥)، وغير ذلك.

وقد سمعت التشريك بالواو، بل لم ترد آية فيها تشريك الله ونبيه بشم، بل نسب فعله له، وجعل طاعته طاعته، وأيضاً قد سمعت أن الله اصطفي واختار من خلقه ما يشاء، فلا بدّ وأن يكون لهم مزية على سائر الأشياء في الأشياء، فكيف لا يصحّ دعاؤهم ونداؤهم بوجه من الوجوه أصلاً، وقد أمر بابتغاء الوسيلة والرجوع إلى الآثار والنظر إلى الأدلة والتوجّه بأسمائه الحسنی، وجميع الموجودات أسماؤه تعالى؛ لدلالتها عليه.

ومذهب المحققين عدم اختصاص الاسم بالحرفي، وعليه أهل الشّرع والعقلاء، وتخصيص اللّغوي له بالحرفي لا ينافيه، فكلامهم فيه وخاصّ بطريقته ولكن كلامهم كما قال: ﴿وَلِنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفِيدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِنَرِضُوهُ﴾ الآية^(٦)، ولا يرضى به إلّا أهل الغباوة ومن ختم على قلبه

(١) في النسختين: بعضها.

(٢) سورة الصفات، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

وسمعه، فله المثل الأعلى في السماوات والأرض^(١) : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وصفهم، قل للفظن الذكي أليس الله خلق خلقه وهم أدلة توحيده، وكمال جلاله، فلا بد من أن يكون فيه فضل نوري وزيادة إحسان تفاض على غيره، وإلا لم يكن دالاً عليه تعالى، فلم يكن جمال فلا دلالة ولا خلق أصلاً، فلا كانوا خزانة جوده ورحمته العامة، ولا نفاد لها، إذ لا نفاد لمدده: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٤)، فكيف لا يصح نداؤه والتوجه به، ويكون رابطة وسبباً كما أقامه الله.

وأيضاً غير خفي أن الله أقام عللاً وسائطية، مرّ بيان بعضها^(٥)، ومن أقامه الله كذلك فقد اقتضاه كمال النظام، فكيف تنفي التمسك بالسبب وعزله رأساً، فذلك حظ لما أقامه الله عن رتبة إقامته، وردّ لكلامه، وأمره تعالى، وصرح النصّ بها أيضاً كقوله: «لولاك ما خلقت الأفلاك»^(٦)، ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧).

ولا تغير لهذه وانقلاب، لأنها ليست عللاً وهمية كمخترعات الهوى من صنم أو تعطيل أو بجسم، أو إقامة مفضول في رتبة فاضل، أو ادعاء فضل في القاصر عنه. فافهم، ولا انقطاع لهذه العلل إذ بدوها منه وإليه عودها. كيف وقد نسب أفعال بعض لنفسه طاعة ونصاً وسخط، كما نسب بيتاً

(١) ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الروم، الآية: ٢٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٥) في النسختين: بعض.

(٦) بحار الأنوار: ٢٨/١٥.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

وروحاً له، وأيضاً ظاهر النّص، فضلاً عن تعمّقه صريح في الحكم بارتباط الموجودات بعضها ببعض ولانتهاؤها إلى الواحد الواجب، وذلك يقتضي أن يكون لها وحدة صدورية، وهي دالة على السببية والواسطة الوجودية، فصَحّ دعاؤه ونداؤه والتوجه به.

[عبادة الله من حيث أراد]:

كيف وفي النّص: مَنْ دان لشيء فقد عبده، فإن كان ذلك الشيء ينطق عن الله فهو يعبد الله، وعبادته صحيحة ثابتة، ولم يقل ﷺ هي باطلة كما فصل، كما كان السجود لآدم ﷺ لَمَّا كان الله بهذه الجهة كان طاعة وتركه استكباراً وكفراً، وليس السجود لآدم ﷺ كالسجود لجهة الكعبة؛ لأنّه أشرف ناطق.

وكذا غيره مع إنا نقول أيضاً: السجود بهذه الجهة وكذا التّوجّه دون سائر الجهات، مع أنّ حقيقة الكعبة ليست الأحجار والطوب، بل من السّماء السّابعة لتخوم الأرض السابعة هي الكعبة، فظاهر الكعبة في الظاهر ظاهر، وهي قبال البيت المعمور في السّماء الرّابعة أو السّابعة، والسّماء وما فيها حيّ لا موات فيه بوجه، وفاد الكلام بالآخرة إلى السّجود لذي حياة، وإن كانت حقيقة الله، وكذا سجود أولاد يعقوب وهو ليوسف لَمَّا دخلوا عليه مصر.

والمقصود حاصل بأي معنى فسر السجود أي مطلق الخضوع، وسمعت: «من يطع الرسول فقد أطاع الله».

وأيضاً كيف لا يجوز التّوسّل بهم ودعوتهم والاستغاثة بهم ولا خلاف نصّاً وعقلاً وإجماعاً بصحة التّوسّل بالأعمال الصّالحة، وهذا لا ينقطع أصلاً، ولها مُبَيّن ومرشد كالموصوف بالنسبة لها، فلا بدّ من توجه النّفس له وتصوره، وحينئذ فقد صحّ التّوجّه به طوعاً أو كرهاً.

مبعثرات

وأيضاً الواجب تعالى غير مُكْتَنَه الذات ولا محاطاً بوجه، وإذا إنَّما يرى ويعرف بآياته؛ لنَص: ﴿سَرِّبْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ الآية^(١)، ﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾ الآية^(٢)، وغيرها، وآياته غيره.

وغير خفيّ تفاوت الدلالة، وإن الدلالة الفعلية أولى وأحقّ وأثبت نصّاً واعتباراً، ولذا أحال الشارع عَلَيَّهَا وأمر بالتفكّر فيها، فأذن كلما يتصور للعايد ويتوجّه له حال عبادته فمقام تقييدي لا يخرج عنه أصلاً، كيف وهو مقيد لا خروج له عن التقييد فيما يتصور، إمّا جهة ثابتة أي لها وجوداً، عبارة وذهناً وخارجاً أو لا؟

والأول الجهة الثابتة ووجهه تعالى، وإلا فهي أسباب وهميّة وخيالات شيطانيّة، وليس للواجب وجود ذهني إلا اعتقاده بجهة الدلالة عليه، فلا بدّ من تصوّر غيره، وبديهة أن الدال غير المدلول، واسمه تعالى غيره، لكن أن كان بجهته تعالى ودلالته عليه فحقّ وإلا فباطل.

وأيضاً حقيقة دينه ثابتة وإن اختلفت ظهوراً وخفاءً، وهو عرض، فلا بدّ من موضوع كذلك، فالتوجّه به توجّه بالموضوع، كقولك: يا قائم، وقول: يا قيام، سفه، فالتوجّه والدعوة والاستغاثة بهم ﷺ لا انقلاب فيها وبغير ملاحظتهم لا أصل لها، بل سفه شيطاني.

والأدلة والنصوص على ذلك كثيرة، وفيما حصل كفاية، فقد ظهر أن الاعتماد على الأسباب شرك كالمفوض وعزلها وإنكارها أصلاً كفر وتكذيب لله وتعدّ عليه، كالأشعري وابن تيمية وتلميذه، وهذا الخارجي التابع له مع ما أضاف من الشبه لَمَّا أبطل الأسباب رأساً حذراً من الشريك، كما قالوا للمعتزلة في مسألة الأفعال، أظهر القول بعدم جواز نداء غيره، ودعوته

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.

والرغبة له، وغير ذلك. فقد انشרכת نفسك لمحض الحق وصافي الاعتبار الخالي من الأغيار، وشبهات الكفار، وبغي الفجار، وهي الطريقة المثلى، والجادة الوسطى.

[حقيقة التوكل بأهل البيت عليه السلام]:

فاعلم أنَّ حقيقة التوكل هو كمال الاعتقاد، بأن الأمر مبدؤه منه حال العمل بالسبب، وهو منه أيضاً فالعمل به من مقتضى التوكل وخلوص الاعتقاد له، والاعتماد عليه لا ينافية العمل بالسبب، فإنَّ العمل به يكون عن ركون وخلود إليه وثقة به عن غيره، وهو الموجب للحرص والشرك، وهو المنهي عنه، وقد يكون لا عن ركون بل عن امتثال أمره، حيث أمر بها في المعاش، ويحصل المعاش والجهد، وفي شروط الدّعاء وغيرها، فامتثل طاعة، سواء حصلت الغاية بعد أو لم تحصل لا ينافي ذلك اعتقاده وإخلاص قلبه، فإنّه مسبب الأسباب من غير علم الإنسان، وهي من لطفه، وقادر على قطعها، وهي الجهة التي فتح لعباده التحصيل والتقرب ليحصل الاستعداد للعطاء الثانوي، كما أوقف الثواب على الأعمال حرفاً بحرف، بل هذه فرع الأسباب الوجودية، فلذا أمر بالأسباب، فالتمسك بها حينئذ تمسك بالله لا بها خاصة ولا مع الله، فلا تشريك ولا كفر كما يلزم سائر السبل، وكيف لا يستعان ويناجي ويدعى بمثل محمّد عليه السلام وآله عليهم السلام سبيله الأعظم، والله قد ملكهم وأقامهم في العالمين ولادة ودعاة مختارين، ودعائهم دعاؤه لأنهم صفته ومحل صفته، وهي لا تفعل بدون الموصوف وإلا لم تكن الصفة صفة، وكذا التابع، بل موصوفاً وتابعاً، ونحن لا نقول كذلك، فمن توهم على قصوره الذاتي الوصول ونيل ما عند الله بغير واسطة ما هو أقرب منه فقد نال شططاً، وتوهماً باطلاً، ورجع بالخسران وعذاب النيران، فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَآلَىٰ وَأَيَّامًا ۖ إِمِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزِقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَا يَتَّبِعُ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٌ^(١)، بل كما قال الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢)، تبعية غير مقيدة بوقت وفعل وصفة، فهم إمام كل دالج ووالج، ولنص زيارة الجامعة، وما تواتر معنى في كتب الأصول وغيرها.

فمن لم يعرف الله، ويتوكل عليه بسبيله وواسطته لم يثبت شيئاً ويقربه، بل عبد موهوماً فلكل حق حقيقة، ولكل ظاهر باطن، ومما مر من نسبة فعل خواصه له مع قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣)، مع إتيانه ينافي يدعوننا، مع تنزيهه عن المبالغة اللغوية أو التعظيم الدال على الأصعاد، يظهر أن لوليه صفة الظاهر به، فلم يذكر منفرداً لأنه صفوته ومختاره: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٤)، فدعوة المظهر مع اعتبار كونه مظهر دعوة الظاهر، فلا منافاة لتوحيد ولا توكل وتواضع لربك إن كنت متوكلاً، واعمل بما أمرك، ولا تستكبر ونور الولاية المطلقة عام ظاهر وشامل قاهر لما في عرصة الإمكان بأمر المنان، فأنبيوا وأسلموا له، واعتصموا بحبله: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٥)، واتقوا الله لعلكم تهتدون.

تلخيص:

فاستبان أن التوكل وكذا الرجاء وسائر الخصال من الصفات القلبية لها اعتقاد وحال عمل فاعتقادها وهو عملها القلبي ظاهر، والحال كون صاحبها راض مسلم والعمل عمله بالأسباب من غير ركون أو تحسن لو فقدت أو حرص عليها، فالتوكل الاتكال عليه بجهته التي أمر بها كالأسباب مثلاً من حيث كونها فعله وسببيتها، لا كمن يتركها أصلاً أو يسلك مثلاً طريق

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٨ و ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

المخوف المهلك، ويقول: توكلت أو لعل سبباً خفياً، ولا كمن نظرها بغير كونها فعله تعالى وصنعه، فاتضح بطلان سائر الأقاويل وارتفع التنافي بين أي كثيرة في الرجاء والرغبة والشكر وغيرها ممّا دل على اختصاصه بذلك، وعلى إثبات ذلك كغيره.

وقد اكتفيت مراعاة للاختصار بالإشارة للدليل ولبعض الآي والنص، ولم أتعرض لتفصيل الدليل النقلي من الفريقين والعقلي اعتماداً على الذكي المتفطن - جعلنا الله وإياكم ممن لم تنقطع به الأسباب عن مسببها - وممن لم يلتج الله ويعتمده لا بجهة ظهورها بل بتوهمها، فتدخل فيما دخل فيه إبليس حيث عدّ سجوده لآدم عبادة الغير، ولو عرف الجهة التي يعبد بها ويتقرب ما دخل في الاستكبار وعد عبادة الله نظر للأغيار.

ومع ذلك فالإتيان بالأسباب حتى للمتوكل متفاوت لتفاوت التوكل أيضاً على حسب الزهد، انظر لدخول السبب في التوكل، حيث سمعت عنه: لو تتوكلون كما تتوكل الطير... إلخ، فاعدوها وضربها سبب فلا ترك لها، وكذا من ترك أسباب المعيشة الظاهرة لقلّة عياله مثلاً أو رضاه بما عنده له أسباب آخر متمسك بها.

أمّا قول أن الناس قسمان: قسم يترك السبب أصلاً وقسم لا، والأول أعلى أو للخالي من العيلة فسفه، إذ لا ترك للأسباب أصلاً، بل إمّا ظاهراً أو باطناً أو غيباً خاصّة إذ لا غنى عنها، فتدبر.

[الحرص]:

أمّا ضده وهو الحرص فظاهر حينئذ بسبيل المقابلة، وفهم معنى التوكل، ويكون أيضاً مراتب.

والذي في النسخ بالحاء المهملة المكسورة، والراء المهملة الساكنة،

مبعثرات

والصاد المهملة، وقد ذكر الإمام عليه السلام الحرص أيضاً ضد القنوع، كما ستسمع.

لكن معناه ليس بمتَّحد فيهما، بل هو هنا بمعنى عدم الثقة بالله، بل يطلب معتقداً عدم الحصول بدونه. وهناك بمعنى شدة الحرص والحزن في تحصيل الثروة الدنيوية ولو فاتته المصالح الدنيوية وعدم الرضا بما عدّه، فهو لا يجمل في الطلب، فلذلك قوبل بهما، ولا تكرار.

فلا حاجة إلى ما قاله سيد الحكماء من أنّه الحرص (بالحاء المهملة، ثم الراء المحركة، ثم الصاد المعجمة أخيراً).

وأما بالمهملة فتحريف من النساخ لأنه ضد القناعة، فلو جُعِلَ ضدّ التوكل نقص جنود الجهل عن جنود العقل، ومعناه الهمّ به والحزن له، وتقسيم البال في التوصل إليه، كيف، والعد كما سمعت زائد ثلاثة، فلا نقصان لو جعلاً واحداً.

تتمّة:

قال الصادق عليه السلام: «لا تحرص على شيء لو تركته وصل إليك، وكنت عند الله مستريحاً محموداً بتركه، ومذموماً باستعجالك في طلبه، وترك التوكل [عليه]، والرضا بالقسم. فإن الدنيا خلقها الله بمنزلة ظلك: إن طلبته أتعبك ولا تلحقه أبداً، وإن تركته تبعك، وأنت مستريح»^(١).

قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحريص محروم، وهو مع حرمانه مذموم، في أي شيء كان، وكيف لا يكون محروماً وقد فرّ من وثاق [الله]، وخالف قول الله، حيث يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾»^(٢)، والحريص بين سبع آفات صعبة، فكر يضرّ بدنه ولا ينفعه، وهم لا يتمّ له أقصاه،

(١) مصباح الشريعة: ١١٧، في الحرص، الباب الخامس والخمسون.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٠.

وتعب لا يستريح منه إلا عند الموت، ويكون عند الراحة أشدّ تعباً وخوف لا يورثه إلا الوقوع فيه، وحزن قد كثر عليه عيشته بلا فائدة، وحساب لا مخلص له معه من عذاب الله إلا أن يعفو الله عنه، وعقاب لا مفرّ له منه ولا حيلة، والمتوكل على الله يمسي ويصبح في كنفه، وهو منه في عافية، وقد عجل الله كفايته، وهياً له من الدرجات ما الله به عليم^(١).

«والحرص ما يجري في منافذ غضب الله، وما لم يحرم العبد اليقين لا يكون حريصاً، واليقين أرض الإسلام وسماء الإيمان»^(٢).
ومنه يظهر عدم المنافاة بين الآي السابقة واجتماع اليقين مع الأسباب، بل لا بدّ منها، وهي داخلة فيه. فتأمل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «الرأفةُ وَضِدُّهَا الْقَسْوَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الرأفة وضدها القسوة]:

أقول: قال الجوهرى: (قسا قلبه قسوة قساوة وقساء بالفتح والمدّ، وهو غلظ القلب وشدّته)^(٣).

فالرأفة حالة للقلب وصفة إذا رأيت من آثار الرّحمة داعية للإطلاق التّفسيّة والتّعطف العمليّ، ويلزمها صفات كثيرة، وكلّ صفة وجند من جنود العقل كذلك لما بينها من التلازم ورجوعها المعنى واحد، وليس فيها جهل حتّى لا تكون كذلك.

والمراد بالقلب هنا الغيبي، الذي مظهره القلب الصّنوبريّ، وهو العقل.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ١١٨.

(٣) الصحاح: ٢٤٦٢/٦، مادة (قسا).

فالرحمة لما كانت عبارة عن الحياة والعلم كما عرفت، ويدلُّ عليه بعض أحاديث المعاني، كان لها تحقق في كُلِّ فرد وظهور بحسبه، وقد يختلف الاسم باعتبار اختلاف الموضوع فتسمى رافة باعتبار، وتقابل حينئذ بالقسوة، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١)، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٢)، ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّبْتَلَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الآية^(٣).

وباعتبار ظهور أثرها في النفس والتعطف على الغير تسمى رحمة ومظهرها الصدر المعنوي، وهو الكرسي ومحل الصور وتقابل بالغضب حينئذ الناشئ من إثارة النفس الغضبية، فهي نار محرقة، وإذا اعتبرتهما في أفراد الإنسان قلت: الأولى: قوة النفس من جهة اليمين والطور الأيمن.

والثانية: من جهة الشمال ومظهر الخيال، والتعطف الآتي في الخصال بمعناها في القوى العملية، وظهور أثر ذلك الغيب المقتضي لإيصال شيء إلى الغير، ولذا قوبل بالقطيعة، قال الله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَىٰ ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الآية^(٥).

ويدل على مغايرة الرافة والرحمة والتعطف تغاير أضدادها، وهي القسوة والغضب والقطيعة وعدّها من الجنود، وعرفت وجهه، وهو لا ينافي التّرادف من جهة المبدأ والاختلاف باختلاف المقارن والموضوع، وقوى

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

الإنسان متعدّدة عقلية ونفسية وحسية، وترجع إلى علمية وعملية وكل منهما علم وعمل بوجه.

[قول الملا الكاشاني في الرأفة]:

وقال الملا الكاشاني في الشرح: (والرأفة قيل^(١): هي حالة القلب المعنوي، والرّحمة هي حالة القلب الجسماني)^(٢)، وفسر التعطف بالميل والإشفاق والرّحمة. وهذا منه على تفسير الرّحمة بأنها رقة القلب، خاصّ بمعناها الحسي.

وإن عني بالميل صفة القلب المعنوي كان التعطف مجموعة، والجسمي أو الميل الجسمي فيكون مرادفاً للرّحمة، ولذا أخذ الرّحمة في التفسير هنا، إلّا أن يريد بها مرحومية الغير، ويلزمه أيضاً زيادة جنود الجهل على جنود العقل؛ لتغاير أضدادها الثلاثة، فإمّا يرد بعض لبعض أو سقط بعض لتحصل المساواة الظاهرة من الحديث.

[قول الملا محمد صالح في الرأفة]:

وقال محمد صالح: (الرأفة حالة نورانية للقلب داعية إلى الخير وحسن الخلق ورقة الوجه وطهارة اللسان وكثرة الحياء والتلطف بالخلق، والاجتناب عن المناهي، وضدها حالة ظلمانية [له] داعية إلى الشرّ وعكس السابق.

والرّحمة حالة للقلب يثمرها العلم بقباحة الطّغيان، وشناعة العدوان، وسوء عاقبتهم، وثمرتها الشفقة على الخلق والتلطف بهم، والترحم عليهم. والفرق بينها والرأفة كالفرق بين السبب والمسبب، فالرأفة لينة القلب الموجبة لميله إلى التلطف والشفقة، والرّحمة نفس هذا الميل ولمّا خفي

(١) في النسختين: قبل قيل.

(٢) الوافي: ٦٦/١.

هذا الفرق على بعض حكم باتحاد الفقرتين معنى، ولم يدر أن الرأفة [ليست] نفس الرحمة والقسوة ليست نفس الغضب. وإنَّ الأولى منهما بمنزلة السبب للثاني وأن الأصل عدم التكرار عند الجمع بينهما، مثل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) ^(٢) انتهى.

[تعليق الشارح على قول الملا محمد صالح]:

لكن لا يخفى سواء إن أريد بالقلب النفس أو غيرها، ترادفهما معنى وإن اختلف اللفظ لكونهما حالة للقلب صفة نورانية داعية... إلخ. وتصريحه أخيراً بأنها بمنزلة السبب، والرحمة بمنزلة المسبب يناسبه أن يقول: الرأفة حالة للقلب داعية... إلخ. والرحمة ذلك الفعل المسبب عنها، ثم وقوله أخيراً: والرأفة لين القلب الموجبة... إلخ. والرحمة نفس هذا الميل يدلّ على أنهما صفة القلب وإنما الفرق باعتبار اتصاف القلب أو ميله.

أمّا الأفعال الظاهرة من التلطف بالخلق والترحم بهم وغير ذلك، وليس نفس الرحمة لأنّه مسبب عن نفس ذلك الميل الذي هو الرحمة، والمسبب عن لين القلب الذي هو الرأفة، فقد جعلها أولاً مسببة عن نفس الرأفة ففيه من التناقض ما لا يخفى.

وليته قال: الرحمة صفة النفس، باعتبار اتصافها بها من الجهة العلية، والأثر الظاهر هو معناها بحسب ظهورها في الآلة وإيصالها للغير.

وقال في التعطف: (العطف الميل، ومنه عطفت عليه بمعنى أشفقت عليه

(١) سورة النور، الآية: ٢٠.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٢٤/١.

ورحمته، لأنَّ في الإشفاق والرَّحمة ميلاً وانعطافاً إلى المرحوم، والعطاف الرِّداء، وتعطفت بالعطاف أي ارتدبت به، والمتعطف بأحد كأنه ضمّه إلى نفسه بمنزلة الرِّداء^(١) انتهى.

وهو ما فسّر به الرَّحمة وعيّنهُ أخيراً. فتدبّر.

[قول ملا خليل في الرَّحمة]:

وفسّر ملاً خليل الرَّأفة بشدة الرَّحمة، والرَّحمة برقة القلب، وسكت عن التعطف وأضداد الثلاثة.

قوله: «والرَّحمة وضدّها الغضب».

أقول: قال ملاً خليل في الشُّرح: هي رقة القلب، وبها فسّرُها غير واحد من العلماء وعلماء اللغة، وجعلوا الرَّحمة حقيقة في رقة القلب.

ولما استحال وصف الله به مع ثبوت وصفه بالرَّحمة ضاق عليهم المخرج، قالوا: إنَّ وصف الله بها على سبيل المجاز وإن لم يستعمل فيه الحقيقة، بل لا يصحّ، وقالوا: المجاز لا يستلزم الحقيقة، فاللفظ استعمل في غير ما وضع له ولم يستعمل فيه حقيقة، وبعض يقول: وصفه بالرَّحمة وأمثالها باعتبار الغايات لا بحسب المبادئ.

وكل هذا سفه وخلط، فليس المعروف من الروايات أن الرَّحمة حقيقة في ذلك، ولو سلم أنها كذلك في الممكن لا يجب كونها في الواجب، أمّا كذلك وهو محال أو بمعنى مجازي، والمجاز يصحّ سلبه وهو علامة المجازية وهي التي والحقيقة ذكر ﴿يَلِكْ إِذَا فِئْتَهُ ضَيْرَى﴾^(٢).

وهلا قالوا: إنها فيه بمعنى آخر، وهي حقيقة فيه كما في سائر صفاته،

(١) شرح أصول الكافي: ٢٤١/١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٢.

ولا يقولون فيها لعدم إجراء المعنى اللغوي فيه تعالى، إنها فيه تعالى مجاز، وقد ورد استعمالها بمعنى الهداية والحياة والعلم، فلم لا؟ قالوا: إنها فيه تعالى حقيقة بهذا المعنى.

والرقة من آثار الرحمة، فتكون فيه تعالى حقيقة، قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسر البسملة: «رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته [أنه] خلق مئة رحمة، جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، [فبها] يتراحم الناس وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على أولادها. فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد ﷺ، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة، حتى أن الواحد ليجيء إلى المؤمن من الشيعة، فيقول له: اشفع لي، فيقول له: وأي حق لك علي؟ فيقول: سقيتك يوماً ماءً، فيذكر ذلك، [فيشفع له]، فيشفع فيه، ويجيئه آخر فيقول: إن لي عليك حقاً، [فاشفع لي]. فيقول: ما حقك [علي؟] فيقول: استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار، فيشفع له، فيشفع فيه، ولا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه، فإن المؤمن أكرم على الله مما تظنون»^(٢)، ونحوها من الأحاديث كثير

...^(٣) إن الرحمة تستعمل بمعنى العطف وإيصال الفضائل أو دفع المكاره أو الحياة في عالم الغيب أو الشهادة، وبمعنى المغفرة.

وعلى الأول، والثاني: قوله عليه السلام: «يا باري خلقي رحمة بي، وقد كنت عن خلقي غنياً»^(٤).

(١) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٣.

(٣) في النسختين فراغ، ولعل موجود مكانها: أقول.

(٤) الكافي: ١٨٢/٦، باب (٢٥) السجود والتسبيح والدعاء في الفرائض، كتاب الصلاة،

حديث رقم (١٧/٥٠٤٠).

وعلى الثالث : قوله تعالى : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾^(١) .
وعلى الرابع : قوله تعالى : ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾^(٢) .
وعلى الخامس : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا فَتْرَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٤) الآية^(٥) ، تحتملها والظاهر أنَّ المراد بالرحمة هنا الرحمة الخاصة والخالصة من جميع مكاره العدل ونفس الكرم والفضل والعامة التي تشمل الكل التي شملت الكل ، قال الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾^(٥) ، وهي الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء ، وجمعت صفات الإضافة والخلق ، واجتمعت مع السخط والغضب ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة ، وورد رحيم الدنيا ، ولا تنافي ولكل ثواب عاجل أو آجل ، وقد يجتمعان ، وفي الدنيا بلاء للتمحيص أو المحق . فتدبر .

[قبح الغضب]:

ولا خفاء في قبح الغضب ، ومن أراد أن ينظر نفسه حال الغضب فليتنظر غيره حالتها وليس منه الغضب لله ، فهو داخل في غيره ، وليس هو من صفات الجهل ، وما مؤمن جنوده يوجب كثيراً من الصفات المذمومة كالحقد فيما يرجع إلى الباطن ولم يقدر على التشفي ممن هو أعلى منه ، وإفادة الحزن والهم ، وربما جمد الدم فهلك صاحبه ، ويوجب أيضاً قتل النفس وكلام اللغو ، بل الفحش والكفر - والعياذ بالله - وكله من غلبة كلب الغضب ، فليعقر بجند العقل .

(١) سورة هود، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الروم، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٩٩ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ١٢ .

(٥) سورة طه، الآية : ٥ .

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعِلْمُ وَضِدُّهُ الْجَهْلُ».

[شرح تكملة الحديث: العلم وضده الجهل]:

أقول: المعروف من كلام كثير من أهل اللغة وربما قيل أنه مذهب لأكثر الفرق بين العلم والمعرفة بأنه بالجزئي وليس كذلك المعرفة، أو بما يحصل بعد نسيان أو للإدراك الثاني بعده، ولذا لا يقال: الله عارف، ولا يقال: علمت الله، وهذا الفرق ممنوع.

وورد في الأدعية وصفه بالمعرفة كالعلم، وكذا قول: علمت الله، والظاهر من كلام الشيخ الطوسي في (عدة الأصول)، وأبو علي بن سينا وجماعة من العلماء، وترادفهما ولا دليل لمن فرق على الفرق، بل هو على خلافه قائم كما عرفت، ولا يبعد إرادة الأعم مع الانفراد أو من كل ما يراد من الأخرى. والفرق بين الاجتماع كما في هذا الحديث وغيره لتفاوت الضد وتحصيل للتأسيس، فهو الأصل.

وفي (مصباح الشريعة) عن الصادق عليه السلام: «الخشية ميزان^(١) العلم، والعلم شعاع المعرفة^(٢)» وقوبلت بالإنكار، والعلم بالجهل، فيكون مقره النفس، والمعرفة الفؤاد، إذ الشيء الحاصل للإنسان له مراتب:

[المراتب التي تحصل للإنسان في الشيء]:

[المرتبة الأولى: حصول صورته للنفس في قوتها، وهي مجردة عن المادة والمدة الزمانيين، فوجودها ذهني ظلي، فاختلفت الصفات ومقرها الصدر، ولم يتجرد عن الصورة، ويسمى صاحبها عالماً وعلمه بها نفسها،

(١) في المصدر: ميراث.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٠، الباب الثامن، في آفة العلماء.

وإذا حضر ذو الصّورة انطبقت عليه، وكان العلم نفسه أيضاً، ويقابلها الجهل البسيط، وهو ضده، وفوقه اليقين، ومقرّه القلب، أي العقل المعنويّ النّوريّ ويدرك المعاني، وهي مجردة عن المدة والمادة والصّورة أيضاً، ويدرك الصّور في تنزله بواسطة النّفس وفوقها المعرفة ومقرّها الفؤاد، وهو نور المؤمن الذي ينظر به، كما ورد: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»^(١)، ويقابل اليقين الرّيب أو الشّك بمعونة القرينة ولو عن جهل. والثالث: الإنكار الجحودي عناداً، وهو بعد الشّك والغفلة، قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(٢)، وقد تطلق ويراد منها معنى العلم بمعونة قرينة وبالعكس كذلك، وقال تعالى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُمًا﴾^(٣)، واستيقانهم استيقان تصور للحق؛ لعلّوا الحجة عليهم ومعرفتها لاستيقان اعتقاد وإلا لم يكونوا كذلك، ولو لا ظهورها لديهم وتركها لما كانوا كفّاراً، كفر جحود وعذبوا أشدّ عذاب، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(٤).

تنبيهان:

[التنبيه] الأول [في تعريف العلم]:

لأهل النظر خلاف وأهل الكلام في تعريف العلم - تطلب من مواضعها - فكلّها تجري في العلم الإمكانى لا علم الله الذاتى، وإن أجروه فيه جهلاً كما سيأتي، وكذا اختلفوا في أنه يمكن حياة أم لا، وعلى كلّ فهو نظريّ أو كسبيّ، وعلى الثاني، فهل هو عن نظر أو ضرورة؟ وليس هنا موضع بيانه،

(١) بحار الأنوار: ٧٥/٦٧، باب أن المؤمن ينظر بنور الله وأن الله خلقه من نوره، حديث رقم (٥).

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

والأرجح إمكان معرفته وطلبه بالحدّ، ولو كان ظاهراً كما قيل، ولا ينافي ذلك علم كلّ شيء بالعلم، وكذا الطلب والعلم بالمقيّد، فرع العلم بالعلم المطلق، ولا فرق بين العلم والعلم بالعلم ذهنياً، وكذا سائر البديهيات، إنما يذكر لها التعريف من قبيل التنبيه والإيضاح لزيادة الكشف، فقد يعرض الغفلة عن البديهي، وقد يعرف الشيء بما يعرف به لاختلاف الجهة كما الحال في الوجود وأضرابه.

ولما كان مرجع العلم إلى الظهور، أي ظهور المعلوم عند العالم يكن بالصورة بحسب الفيض من أعلى على النفس لم يجر في علم الواجب تعالى لتعالیه عن الصّورة والنسبة وسائر أحكام الإمكان، فهو عالم إذ لا معلوم، فالعلم فيه تعالى.

[التنبيه الثاني في العلم الذاتي]:

أمّا الذاتي فلا كلام فيه بوجه ولا ملاحظة اعتبار. وأمّا الفعلي الدالّ عليه فهو نفس المعلوم، وهو نفس العلم لا نفس ذات العالم، وهو تعالى عالم بذاته لذاته من غير تفاوت ولا اعتبار، ومرجّح ذلك إلى عدم الجهل عنه، بل هو علم لا جهل فيه، وبذاته يعلم غيره في مقامه، وهذا تجري فيه أقسام لأنه نفس المعلوم، ودليل العلم الدالّ عليه تعالى، وسائر الموجودات الدالة عليه تعالى، ولا يجري في علمه الذاتي إجمال أو تقييد أو غير ذلك مما أثبت في المتكلم والحكيم، وأجروا في الذات صفة صفات الفعل.

نعم، يجري ذلك في العلم الحادث، وكذا تقسيمه إلى تصور وتصديق ونحو ذلك.

[المرتبة الثانية]: إدراك النفس للصور المتنوعة المتضادة إنّما هو بحسب قيامها في قواها وانتزاعها لها كلّ من محلّه، والنفس تدركها والقوى محلها، كما أنّ العقل يعلمه في مقام تنزله الظهوري بوسائط، ووجوده الذهني ظليّ انتزاعي يخالف الخارجي في الصفات واللوازم.

ولذا يحصل العظيم في الصغير لحصول التجرد عن المادة ومع زوالها لا تسترجع إلا باكتساب جديد بطيء أو سريع على قدر رجوعها إلى إمكانها القريب أو البعيد بوسط أو بدونه.

وجميع ذلك دالّ على أن العلم ليس بسلبّي ولا إضافة محصنة كما قيل ولا أين له مع ما عرفت من عدة من جنود العقل وثبوت الوجود الذهني، وإنه من رتبة من رتب الوجود ممّا منّ الله بها على خلقه لا شك فيه، وليس هو بإضافة ولا عدم كما قيل، فتدبر.

فالعلم حصول صورة المعلوم وشبّحه لها، وهو في نفس الأمر عبارة عمّا كُتب في النفس بالعلم الأوليّ فإنّها مجمع الصور، والعلم بالصورة هو نفس الصورة لكنّها تدل على المنتزع منها كصورة المرأة وذويها، وفي مقام العلم بالصور تقع المعارضة؛ لأنّه مقام الجدل بالتي هي أحسن.

وللألفاظ ومفاهيمها ومصدوقها ومدلولها وما يرجع إليها بحسب العرف واللغة وغير ذلك لجميعها دخل في ذلك، وهو مما تختلف فيه الأفهام والأنظار فيختلف اللزوم والتناسب بخلاف الحكمة ودليل الموعظة وما يحصل منهما في القلب.

فلكون مقامهما أعلى من ذلك لا يجري فيه ذلك؛ لعدم إنبائهما على ما سمعت كما بيّن في موضعه، وستأتي الإشارة إلى ذلك إن شاء الله تعالى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْفَهْمُ وَضِدُّهُ الْحَقُّ».

[شرح تكملة الحديث: الفهم وضده الحق]:

أقول: قال الكاشاني: (الحق [هو] البلادة المفرطة، ولعلّ الفرق بينه وبين الغباوة كالفرق بين الجهل المركب والبسيط)^(١).

(١) الوافي: ٦٦/١.

أقول: سيأتي مقابلة البلادة مطلق بالشهامة فلا يبعد إرادة شدة الحدس والذكاء من الفهم لما يسمع.

والحقيق عدم الاستماع والإصغاء لما يُلقى إليه منه من الدعوى، وسيأتي في هذا الحديث مقابلة الفهم بالغباوة، أي عدم التنبيه لشيء قصد التعريض به والإيماء، ويؤخذ كُلّ واحد منهما معناه بالمقابلة، فلا غلط في النسخ كما سيأتي.

ونقل عن سيد الحكماء^(١)، أنه نقل عن بعض، بأنه جوز أن يكون اللفظة هنا والفهم (بالقاف) دفعاً للتكرار، من قهم (بالقاف) كَفَرَحَ، إذا قَلَّتْ شهوته للطعام، وأقهم في الشيء: أي أغمض، وعنه كرهه وعن الطعام لم يشتهه، ثم قال السيد بعده: هذا أعجوبة الأعاجيب فأين أنتم يا معشر المتعجبين. انتهى.

وهو أيضاً حينئذ لا يقابل بالحق، والقول بمقابلة الفهم بهما، باعتبارين أهون من هذا التعسف البعيد.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعِفَّةُ وَضِدُّهَا التَّهْتُكُ».

[شرح تكملة الحديث: العفة وضدها التهتك]:

أقول: قد عرفت تركب الشهوة في الإنسان، وإنما جعلت لتكون طوعاً للعقل فيكتسب بها كمالها من بقاء النوع الإنساني، وتكثير جند الإيمان وعمارة الأرض بالنسبة إلى شهوة الفرج، ومن قوة البدن وبقاء شخصه بالنسبة إلى شهوة البطن مع ما فيهما من اللذة الموجبة لزيادة الشكر مع

(١) التعليقة على كتاب الكافي (الداماد): ٤٣.

التذكر لما هو أبقي وأدوم إلى غير ذلك من الشهوة العقلية أي اللذة وحب المال، الإنفاق والطاعة به وغير ذلك.

ولكن فيها الداء العضال المهلك للدين إذا لم تكن معتدلة، بل حائرة وخارجة، إمّا إلى التعدي والزيادة، فهو قود شهوته، كأنه لم يخلق لغير الجمع والنساء والمفاخرة بزخرفات الدنيا، ولم يتذكر ما هو أبقي فتقوده للزنا والفجور وانتهاك المحارم، ويكون عقله خادماً شهوته، فتتقلب فطرته أو إلى النقيصة والتفريط فيترك التزويج أصلاً، فلا يكون له ذكر يعبد الله وتنتفي السياسة المنزلية وغيرها، وكمالها في اعتدالها، وهو العقّة، ومتى ثارت قوة الشهوة فوجانها النكاح والصوم، فإنّه له وجاء^(١)، والشهوة أشدها على الإنسان وأطغاهما عند الهيجان، فالنساء أشدّ جند الشيطان وما يأخذ به الإنسان إذا آيس من سائر الطرق.

وعنه ﷺ: «التَّظَرُّةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ إبْلِيسَ»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(٣)، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الآية^(٤).

ويدخل في قوله ﷺ التهتك طرفي الإفراط والتفريط، إذ فيها هتك لستر النفس، وللاوامر الشرعية لا أنه خاص بطرف الإفراط، وإنما اقتصر عليه لأنّ رذالته أشهر وضديته أظهر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالزُّهْدُ وَضِدُّهُ الرَّغْبَةُ».

(١) الوجاء: رض الخصيتين، وفي الحديث (الصوم وجاء) أي يقطع الشهوة. (راجع: المحيط في اللغة: ١٤٦/٢، ما أوله الواو).

(٢) جامع السعادات: ١٤/٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

[شرح تكملة الحديث: الزهد وضده الرغبة]:

أقول: في (مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة) من كلام الصادق عليه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها ولا عوض^(١) لها، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز، والجهد على الراحة، والجوع على الشبع، وعاقبة الأجل على محبة^(٢) العاجل، والذكر على الغفلة، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة».

قال رسول الله ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

[وقال رسول الله ﷺ: الدنيا جيفة وطلابها كلاب] ألا ترى كيف أحب ما أبغضه الله، وأي خطيئة أشد جرماً من هذا».

وقال بعض أهل البيت عليه السلام: «لو كانت الدنيا بأجمعها لقمة في فم طفل لرحمنه، فكيف حال من نبذ حدود الله خلف ظهره في طلبها والحرص عليها، والدنيا دار لو أحسنت إلى ساكنها [لما] رحمتك [ولما أجابتك] وأحسنت وداعك».

قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الدنيا أمرها بطاعته، فأطاعت ربها، فقال لها: خالفي من طلبك ووافقي من خالفك، فهي على ما عهد إليها الله بطبعها عليه^(٣). انتهى».

وكون طبعها ذلك ظاهر، لأنها صفة الجهل وإدباره إقبال وإقباله إدبار، لأنه صورة منكوسة كما مر.

(١) في المصدر: غرض.

(٢) في المصدر: المحنة.

(٣) مصباح الشريعة: ١٣٧، الباب الرابع والستون، في الزهد.

وروى ابن بابويه في حديث طويل عن رسول الله ﷺ ، قال : « جاء جبريل النبي ﷺ بهدية... إلى أن قال ﷺ : قلت : يا جبرئيل فما تفسير الزهد؟ قال : الزهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ، ويتحرج من حلال^(١) الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن تغشاه ، وأن يقصر أمله ، وكان بين عينيه أجله^(٢) . الحديث .

فاستبان أن الزهد هو ترك الدنيا وكلما يشغل من دون الله من القول اللغو وغيره ، فلا سلامة من الدنيا وغوائلها إلا بالزهد فيها ، فلقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك ، فإن أيسر ما فيها يكفيك ؛ وإن كنت [إنما] تريد ما لا يكفيك ، فإن كل ما فيها لا يكفيك^(٣) ، وكيف [لا] ترغب في الدنيا ، وقد مرّ لك مثالها ، وكفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ الآية^(٤) ، ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ الآية^(٥) ، وقال عليه السلام : « الزهد كله بين كلمتين من القرآن ؛ قال سبحانه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(٦) . ومن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتي ، فقد جمع بين طرفي الزهد^(٧) .

وتفكر في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾^(٨) ، إلى قوله : ﴿ تَوَّابٌ اللَّهُ خَيْرٌ ﴾^(٩) ، وفي قوله : ﴿ مَنْ كَانَتْ تُرِيدُ حَرْثَ

(١) في المصدر : حطام .

(٢) معاني الأخبار : ٣٦١/١ ، باب معنى التوكل على الله عز وجل والصبر والقناعة والرضا .

(٣) الكافي : ٣٥٨/٣ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب (٦٣) القناعة ، حديث رقم (٦/١٩٢٥) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٨٥ .

(٥) سورة طه ، الآية : ١٣١ .

(٦) سورة الحديد ، الآية : ٢٣ .

(٧) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) : ٤٣٢/٢٠ ، رقم (٤٤٨) .

(٨) سورة القصص ، الآية : ٧٩ .

(٩) سورة القصص ، الآية : ٨٠ .

الْآخِرَةَ نَزِدْ لَهُ فِي حَرِيٍّ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرَّتِ الدُّنْيَا نُؤْتِيَهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ^(١).

فالزهد يقتضي راحة النفس لسلامتها من الطمع فيما عند الناس المقتضي لعداوتهم لك لمنازعتك إياهم في مطلوبهم.

والسَّخَاءُ لِسُدَّةِ الثِّقَةِ بالله، فإن الزَّهْدَ والصَّبْرَ من ثَمَرَةِ التَّوَكُّلِ وغيرهما أيضاً.

والزهد مراتب بحسب مراتب التقوى، أي ترك الحرام أو مع الشبهة أو مع الحلال، ولا ينافي الأمر بالزهد الأمر بطلب الحلال أو أخذه فإنه إذا لم يكن عن ثقة وركون إليه فغير مناف.

فإن الزَّهْدَ: أن لا تكون بما عندك أوثق بما عند الله وإليه يرجع.

كيف وإنفاق المال في الطرق المأمور بها، وكذا مراعاة جهة دخوله من الزَّهْدِ فيها، فإن الرِّغْبَةَ لا تورَّع معها ولا إنفاق، فلا تناف بين الروايات، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو أن رجلاً أخذ جميع ما في وجه الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد»^(٢).

ومعلوم أنه لا يدور مدار الترك أو الإنفاق على أي وجه، فقد جمع الله الدُّنْيَا والآخرة لأقوام، كيف وأول درجات الزَّهْدِ والسَّخَاءِ ترك المحرم وإتيان الواجب، فليس الإنفاق مطلق حسن ولا المنع كذلك، وكذا المال مذموم في موضع وحال ومحمود في آخر، كيف وبه يتوصل لأنواع الصدقات والحج والمروءات، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤَدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣)، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٢) جامع السعادات: ٥٦/٢، فصل الأمور المنجية من غوائل المال.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٢.

الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ»^(١)، لكن علاج المال حتى يسلم من شره شديد جداً.

وكذا الناس متفاضلون فمنهم من لا يصلحه إلا الغنى وآخر الفقر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالرَّفْقُ وَضِدُّهُ الْخُرْقُ».

[شرح تكملة الحديث: الرفق وضده الخرق]:

أقول: غير خفي رفق الله بعباده، ولذا لم يحملهم إلا دون وسعهم لئتم أمر التكليف.

ومعلوم أن تمام أمر الإنسان وانتظام أمر تعيشه مع أبناء نوعه بالرفق، فلا يطلب من صديقه وكذا عياله ودابته ما لا يطيق بل يرفق بهم في الكلام والخطاب.

وكذا مستفيد العلم يلين له الكلام ويأخذه بالتدريج ليخف عليه السلوك ويقبل على العمل بمكارم الأخلاق، فالرفيق محبوب الله معالج كل بما يناسبه ويتحمّله، وستسمع في (باب الرفق) من كتاب الإيمان، عن أبي جعفر عليه السلام: «إن لكل شيء قفلاً، وقفل الإيمان الرفق»^(٢).

وعنه: «من قسّم له الرفق، قُسِمَ له الإيمان»^(٣)، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: الرفق يُمنّ، والخرق سُوم»^(٤)، وعنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٢) الكافي: ٣/٣٠٦، باب ٥٨ باب الرفق من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٨٤٧).

(٣) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (٢/١٨٤٨).

(٤) الكافي: ٣/٣٠٧، المصدر السابق، حديث رقم (٤/١٨٥٠).

وأحبهما إلى الله عزَّ وجلَّ أرفقهما بصاحبه»^(١)، وعنه عليه السلام: «من كان رفيقاً في أمره، نال ما يُريدُ من النَّاسِ»^(٢)، والأحاديث في مدحه وحسنه كثيرة. وهو ظاهر.

والخرق: بالخاء المعجمة، ثمَّ الرّاء المهملة بضمّ أوله، الخشونة وعدم تدبير الأمر. ويقال لمن لم يحسن العمل والتصرف في الأمور الأخرق، ومعناه ظاهر، لأنّه ضد الرّفق.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالرَّهْبَةُ وَضِدَّةُ^(٣) الْجُرْأَةِ».

[شرح تكملة الحديث: الرهبة وضده الجرأة]:

أقول: قد مر لك بعض الكلام في الخوف في بحث الرجاء، فإنهما متلازمان لا ينفكّ المؤمن من نوريهما، ومتى انفك من أحدهما هلك؛ لخروجه إمّا إلى القنوط فينتهك المعاصي ويترك العمل أو إلى الجرأة على معاصي الله فيرتكبها فيهلك.

فمن خاف هرب من مخوفه، كحال الخائف من السبع، فإن خفت من أخلاق النَّاسِ زایلتهُم، ومن عطب الدُّنيا تجتنبها وعالجتها بما يصلحها حتّى تكون دنيا بلاغ لا غرور، ومن نفسك فقوّمها، ومن سخط الله فتجنب ما يكرهه، فمن خاف هرب، ومن رجا طلب، والطلب بالعمل.

وعن الصادق عليه السلام: «ليس من [عبد] مؤمن إلّا وفي قلبه نُوران: نُورُ

(١) الكافي: ٧٦٤/٤، باب ٢٦ حُسن الصحابة وحقّ الصاحب في السفر من كتاب العشرة، حديث رقم (٣/٣٧٧٦)، والمحاسن: ٣٥٨، باب ١٥ الأصحاب، حديث رقم (٦٨).
(٢) الكافي: ٣١٢/٣، باب ٥٨ الرفق من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١٦/١٨٦٢).
(٣) هكذا وردة المفردة في المخطوط وفي المصدر (ضدها) بالألف، وفي الهامش من المصدر ذكر بوجود نسخ كما ذكرها الشارح ولذا أثبتناها.

خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا^(١)، وكيف لا يخاف الإنسان من ربه وهو يعتقد أنه يراه ويعلمه، وقادر على أخذه في جميع حالاته، فذكرُ الله يخيف الإنسان وينهي النفس عن الهون، مع أنه في خوف من سوء العاقبة وفي إسقاط ما مضى وهما يكفياه عن العصيان فيما خطر، وهو من الله بمنظر.

وعن الصادق عليه السلام في تفسير: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٢)، قال: «من علم أن الله يراه ويسمع ما يقوله ويعلم ما يعمل من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَاحِشِ﴾^(٣)»، فعلامة الخوف المحمود ترك ما فيه المحذور.

أما الخائف مع انهماكه في المعاصي فكذاب في دعواه، فمن خاف هرب، وأشد الناس خشية العلماء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، ومستخف بالله، حيث إنه ينظره آمناً مكره، وقد عاين هلاك من قبله بذنوبهم، وإمهال الله واسع.

وعن الصادق عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^(٥).

وعنه عليه السلام، قال: «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح

(١) الكافي: ١٧٣/٣، باب ٣٣ الخوف والرجاء من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٥٩٩).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٤) الكافي: ١٨١/٣، باب ٣٣ الخوف والرجاء من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١٠/١٦٠٨).

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٦) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (١١/١٦٠٩).

إِلَّا خَائِفًا، وَلَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ»^(١)، ثُمَّ وَلَا يَنَافِي الْخَوْفُ سَعَةً عَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَسَنَ الظَّنِّ بِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ لَازِمُ الرَّجَاءِ، وَهُوَ الشَّفِيعُ. وَعَرَفْتَ حَسَنَهُ بِالْعَمَلِ، وَإِلَّا فَهُوَ غُرُورٌ وَتَرْجِيحٌ، كَمَا أَنَّ الْخَوْفَ سَابِقُ فَهْمَا جَنَاحِ الْمُؤْمِنِ.

ثُمَّ وَمِمَّا مَرَّكَ فِي التَّوَكُّلِ يَظْهَرُ لَكَ الْجَمْعُ بَيْنَ مَا دَلَّ عَلَى اخْتِصَاصِ الْخَشْيَةِ بِهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي فَارَهَبُونَ﴾^(٣).

وَمَا دَلَّ عَلَى الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِهِ وَالتَّعَوُّذُ بِهِ عَنْ مِثْلِ السَّبْعِ وَالشَّيْطَانِ وَسَائِرِ الْهَوَامِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ فِي الْقَفْرِ وَالْعِمْرَانِ، كَيْفَ وَمَا يَخَافُ مِنْهُ - أَيْ غَيْرِهِ - هَلْ بِجَهَةِ تَعْظِيمٍ، بَحِثْ يَخَافُ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي شَأْنِهِ أَوْ لِكَوْنِهِ مُتَعَدِّ حُدُودِهِ تَعَالَى، وَالْأَوَّلُ دَوَائِهُ تَوْفِيْتُهُ حَقُّهُ وَالْمَحَاضِرَةُ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ إِضَاعَتِهِ، فَيَصْبُكُ بِأَسْهَمِ الْأَسْحَارِ، فَلَيْسَ دُونَهَا أَسْتَارٌ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَصَانِعُهُ مِمَّا لَا يَنْتَلِمُ الدِّينَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَخَوْفُهُ خَوْفٌ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)، فَلَا مَخَافَةَ مِنْ مَخْلُوقٍ، لِأَنَّ اللَّهَ الْقَاهِرَ، مَعَ أَنَّ الْإِلْتِجَاءَ لَهُ وَالْخَوْفَ مِنْهُ خَاصَّةٌ يُوجِبُ التَّمَسُّكَ بِالْمُقَرَّبِ وَتَرْكَ الْمُبْعَدِ.

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «الْخَوْفُ رَقِيبُ الْقَلْبِ، وَالرَّجَاءُ شَفِيعُ النَّفْسِ، وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ عَارِفًا، كَانَ مِنَ اللَّهِ خَائِفًا وَإِلَيْهِ رَاجِعًا، وَهُمَا جَنَاحَا الْإِيمَانِ يَطِيرُ بِهِمَا الْعَبْدُ [الْمَحْقُوقُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَعَيْنَا عَقْلُهُ يَبْصُرُ بِهَا] إِلَى وَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ، وَالْخَوْفُ طَالِعُ عَدْلِ اللَّهِ بِاتِّقَاءِ وَعِيدِهِ، وَالرَّجَاءُ دَاعِي فَضْلِ اللَّهِ وَهُوَ يَحْيِي الْقَلْبَ، وَالْخَوْفُ يَمِيتُ النَّفْسَ.

(١) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (١٢/١٦١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥١.

(٤) سورة هود، الآية: ٥٦.

قال النبي ﷺ: المؤمن بين خوفين، خوف ما مضى، وخوف ما بقي، وبموت النفس تكون حياة القلب، وبحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة، ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل إلى مأموله، وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقاً، ولا قدرة له على شيء ولا مفرّاً له، وكيف لا يرجوه وهو يعرف نفسه بالعجز، وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه من حيث لا يحصى ولا يعد، والمحِبُّ يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة أحواله بغير^(١) سهر، والزهد يعبد ربه على الخوف.

قال أويس لهزم بن حيان: قد عمل الناس على الرجاء، فقال: [بل] تعمل على الخوف، والخوف خوفان: ثابت ومعارض، فالثابت من الخوف يورث الرجاء، والمعارض منه يورث خوفاً ثابتاً، والرجاء رجاءان [منه]: عاكف وباد، فالعاكف منه يورث خوفاً ثابتاً يقوي نسبة المحبة، والبادي منه يصح أمل العجز والتقصير والحياء^(٢). انتهى كلامه ﷺ في المصباح.

تنبيه وإشارة:

الخوف خوف حذراً من النار أو سوء العاقبة، والسلامة بترك المعاصي والبقاء على الإيمان فيه الوقاية من النيران، فسببه الغفلة عن مقتضى الإيمان، وكثيراً ما حذر الله في كتابه عن العصيان، وهذا خوف الأكثر.

[في خوف الأنبياء]:

أمّا خوف مثل الأنبياء كموسى حين ألقى العصا حتى خُوطب بلا تخف إنك أنت الأعلى^(٣)، فليس لرجف القلب وضعفه ولا عن عدم وثوق أو تمسك

(١) في المصدر: بعين.

(٢) مصباح الشريعة: ١٨٠، الباب الخامس والثمانون في الخوف والرجاء.

(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ سورة طه، الآية: ٦٨.

بالغير أو حذراً من سوء العاقبة أو خفاء أمر يوجب السلامة بل لكمال قربه وقيامه على بساط الكرامة، فأشدّ النَّاس خشية الأنبياء لما وعى قبلهم واحتوى عليه ضميرهم لعموم قدرته تعالى، وسرّ البدء في التجدد، إن....^(١)

فهذا الخوف خوف من البعد وعموم الإتمام لذلك، فهو خير محض، ولم يصل صاحب هذا الخوف منه ولو كان منعماً أو في النار.

وهذا القسم يختلف شدة وضعفاً على قدر المعرفة، فورد: «أنا أشدكم خشية» لأنه أشدّ الناس معرفة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢)، وعنهم عليه السلام: «عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك»^(٣)، ويسمى هذا أيضاً بخوف الأدب والتواضع. وكذا القسم الأول وهو خوف العوام مرتب أيضاً.

[الخوف من الموت]:

واعلم أن غلبة الخوف وكراهة الموت على الأكثر حذراً من الموت وما بعده ولو استيقنوا كمال عدله، وإن الله لا يعذب كل من مات بل يوفى كلّ بعمله، فمن عمل خيراً أو إلى خير حتماً عقلاً ونقلاً، فإذن كراهة الموت عند الأكثر من الغفلة عن إصلاح النفس والقيام بوظائف الشرع، فإذن هو المخوف لنفسه فليصلحها فهو في فسحة واختيار، وليس كراهة الأنبياء عليهم السلام للموت من هذا القبيل، بل لعمارة هذا العالم والإهداء، وكمال الرضا بمجرى القضا.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والتَّوَّاضُّعُ وَضِدُّهُ الْكِبَرُ».

(١) فراغ في المخطوطتين.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦٨.

(٣) المصباح: ١١٦، الفصل الخامس عشر، فيما يقال كل يوم.

[شرح تكملة الحديث: التواضع وضده الكبر]:

أقول: شَرَفَ التَّوَاضَعُ غِنَىَّ عن البيان، والأحاديث فيه كثيرة، تُطلب من جزء الإيمان وغيره، ولكنه حَسَنٌ في مقام وقبيل في آخر، كما يكون مع المتكبر فإن التكبر عليه عبادة، وكما إذا استلزم الإذلال، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾^(١) على أحد الوجوه لكنه يخرج حينئذ إلى الفرار عن المعاصي والتواضع لله.

وفي مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «التواضع أصل»^(٢) كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عبادته^(٣)، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرضين من العارفين.

قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِجْنَهُمْ﴾^(٤).

وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضيها ويقبلها إلا وبها التواضع، ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلون بوحدايته.

قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٥).

وقد أمر الله عز وجل أعز خلقه وسيد بريته محمداً صلوات الله عليه وآله بالتواضع، فقال: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَنْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٢) ما بين * * ليست في المصدر.

(٣) بعد هذه اللفظة كلام طويل لم يذكره المؤلف.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، وإنهز لا يأتين إلا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تعالى^(١). انتهى.

وقد سبق في حديث هشام: إن التواضع مطية للعقل^(٢)، مع كلام في بيان شرفه وثمراته.

[ضد التواضع]:

ولا شك في توقف حسن التعلم وكذا التعليم، وامتنال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه على التواضع وثمرته العاجلة بالنسبة إلى بني النوع ظاهرة، وحينئذ يظهر لك قبح التكبر وأنه في الصفات والثمرات على الضد من التواضع، فإنه مُنتج للعُجب والرياء والحسد، وقد ذمه الله في مواضع، فقال: ﴿سَاصِرُونَ عَنِ الْإِنِّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣)، وقال كذلك: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾^(٤)، وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة [من خردل] من الكبر»^(٥).

وقال الباقر عليه السلام: «الكبر رداء الله، والمتكبر يُنازع الله رداءه»^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: «الكبر أن تقمص الناس وتسفه الحق».

وفي أخرى: «سفه الحق»، بأن يجهل الحق ويطعن على أهله. وتقميص الناس: تحقيرهم.

والتجبر عليهم والتكبر على الناس خصوصاً أولياء الله ينجر إلى التكبر عليه تعالى، بل التكبر على ولاته تكبر عليه، كما أن التواضع لهم تواضع لله.

(١) مصباح الشريعة: ٧٢، الباب الثاني والثلاثين في التواضع.

(٢) راجع: فقرة: «ومطية العقل التواضع» من شرح الحديث الثاني عشر.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٥) الكافي: ٧٥٥/٣، باب ١٢٤ الكبر من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٧/٢٥٦٦).

(٦) الكافي: ٧٥٤/٣، باب ١٢٤ الكبر من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٤/٢٥٦٣).

وأشدّ النَّاس ضرراً بالتكبر العالم، كما أنّه أحقّ بالتواضع؛ لعلمه، ولا علم إلّا بعمل، وهو سببه التّام.

فائدة:

أقبح أنواع التّكبر، التّكبر بالأشياء الخارجة الرّائلة كجمال الصّورة الظاهرة والمال والأتباع والعمل، فإن شرف اليهود أجمع له منه، وكذا النصراني، وكفى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ الْآيَةَ^(١)﴾، وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية^(٢)، وإن كان لها حسن ولكن لا يتكبر بها، وكذا خوفه عليه من السّارق والنّائب مع أنّه غيره، فليتفقّد نفسه فليس الشرف بالخارج وكفى في ذلك ردعاً.

ولو فكرت وجدت جميع شقوق التّكبر بالعلم أو المال أو استحقاق الغير يدور على ذلك فليتأمل الإنسان في سلامته من هذا الداء فإنه شديد السريان وقل من ينفك منه، ودواؤه بإقبال الإنسان على نفسه وخفاء العاقبة عنه مع عدم وإطلاعه على حالات غيره، فلا يستحقر غيره ولا يفتخر بشيء معه، وكفاك إنك مفتقر لغيرك ويده قبضك ومنعك، فلازمك الانكسار والافتقار والعجز والاضطرار، ﴿لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٣)، فإنك لن تبلغ غايتك في الاستكبار ولن تبلغه، بل لا تزيد به إلّا حقارة، قال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾^(٤)، فاستبان أنّ التواضع باب الفضائل، كما أنّ الاستكبار آت جميع الرذائل.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥٦.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَوَدُّ وَضِدَّهَا التَّسْرُعُ».

[شرح تكملة الحديث: التَّوَدُّ وَضِدَّهَا التَّسْرُعُ]:

أقول: التَّوَدُّ: بضم التاء وفتح الهمزة أو سكونها، الرزانة، والتأنّي في الأمور المقتضي للنظر إلى العواقب، وتأمل الكلام وعدم التهور والمصارعة إلى الكلام فما يفسد أكثر مما يصلح، وهذه الصّفة دالة على ثقل النفس وعدم خفتها وانزعاجها.

والتَّسْرُع: بالسّين المهملة، معناها حينئذ ظاهر بحسب الضّدية.

ونقل عن سيد الحكماء إنّ ضِدَّهَا التَّسْرُع، بتاءين مثنائين من فوق وتشديد الراء، قال في الصحاح: (تترع إليه بالشر، أي تسرع. وهو رجل ترع، أي سريع إلى الشر والغضب)^(١) انتهى.

والأوّل أنسب والثاني تامّ أيضاً إلّا أنّ التسخ التي رأيناها على الأوّل.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحِلْمُ وَضِدُّهُ السَّفَه».

[شرح تكملة الحديث: الحلم وضده السفه]:

أقول: في المصباح، عن الصادق عليه السلام: «الحلم سراج الله يستضيء به صاحبه إلى جواره، ولا يكون حليماً إلّا المؤيد بأنوار المعرفة والتوحيد، والحلم يدور على خمسة أوجه أن يكون عزيزاً فيذلّ، أو يكون صادقاً فيتهم، أو يدعو إلى الحقّ فيستخفّ به، أو أن يؤذي بلا جرم، أو أن يطلب بالحقّ فيخالفوه فيه، فإذا أتيت كلاً منها حقّه فقد أصبت، وقابل السفه

(١) الصحاح: ١١٩١/٣.

بالإعراض [عنه] وترك الجواب، تكن الناس أنصارك لأن من جاب (١)
السفيه فكأنه قد وضع الحطب على النار.

قال النبي ﷺ: مثل المؤمن مثل الأرض منافعهم منها إذا هم عليها،
ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضا الله تعالى، لأن رضا الله
مشوب بجفاء الخلق، وحكي أن رجلاً قال للأحنف بن قيس: إياك أعني،
قال: وعنك أحلم.

قال ﷺ: بُعثت للحلم مركزاً، وللعلم معدناً، وللصبر مسكناً (٢).
ومعلوم أن الحلم من المداراة وحسن الصنيع إلى الناس، ويكفيك عنهم
وتحملك، إذا هم ابتدؤوا تكف عنهم يدك، وهي واحدة، وهم يكفون عنك
أيدي.

وكذا في الإيذاء خصوصاً مع الجهال.
ومعنى السفه ظاهر، وقد يطلق على الجهل وحيث هو ضد العلم.

توضيح:

كُلَّ كمال وخير محمد ﷺ وآله ﷺ أصله ومأواه ومنتهاه، لأنه منهم
وفيهم ومعهم ولهم، وعود كُلَّ شيء لمبدئه، وبدء الكمال وجنود العقل
منهم، فالمنتهى إليهم، وفي زيارة الجامعة: «ومنتهى الحلم»، ومردَّ كُلَّ
شيء إلى المشيئة، وهم الحاملون لظهور شئونها.

ومعلوم أن الحلم من أعظم جنود العقل ويوجب عدم المسارعة إلى
العقاب، وغلبة الغضب مع القدرة إما تجاوز ومسامحة وحسن العفو، وما
ورد فيه كتاباً وسنة لا خفاء فيه، وهم أهل محبته حيثئذ والسبب القوي في
تحصيل عفو الله أو من النظر إلى العاقبة وحسنها، فيحلم ويعفو لذلك، وهو

(١) في المصدر: حارب.

(٢) مصباح الشريعة: ١٥٤، الباب الثالث والسبعون في الحلم.

يوجب التّأني والتّثبت في الأمور، وهو يوجب العلم بالأصلح، وقد يكون عدم المسارعة أبلغ في الانتقام، كما إذا عفوت عن المخالف بمعنى الإعراض فإنّه يوجب عدم بقاء حقّ عليهم، فإذا أعرضوا عنها، وهو معنى المغفرة جازاهم الله بأعمالهم، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، وجزاؤهم أشدّ من سرعة الانتقام.

وفيما أجاب النبي ﷺ لشمعون بن لاوي بن يهودا من حوار عيسى حين سأله عن العقل... إلى أن قال ﷺ: فتشعب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، ومن الرشد العفاف، ومن العفاف الصيانة، ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، ومن المداومة على الخير كراهية الشر، ومن كراهية الشر طاعة النّاصح، فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحدة "منها أنواع"^(٢).

فأمّا الحلم: فمنه ركوب الجميل، وصحبة الأبرار، والرفع من الضّعة ومِن الخساسة، وتشهي الخير، وقرب صاحبه من معالي الدّرجات، والعفو والمهل، والمعروف والصّمت. فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه.

وأما العلم: فيتشعب منه الغنى وإنّ كان فقيراً، والجود وإن كان بخيلاً، والمهابة وإن كان هيناً، والسلامة وإن كان سقيماً، والقرب وإن كان قصياً، والحياء وإن كان صلفاً، والرفعة وإن كان ضيعاً، والشرف وإن كان رذلاً، والحكمة والحظوة. فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه، فطوبى لمن عقل وعلم.

وأما الرّشد: فيتشعب منه السّداد والهدى والبر والتقوى، والمناة

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٢) في المصدر: ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع.

والقصد، والاقتصاد والثواب^(١)، والكرم والمعرفة بدين الله. فهذا ما أصاب العاقل بالرشد، فطوبى لمن أقام [به] على منهاج الطريق.

وأما العفاف: فيتشعب منه الرضا والاستكانة، والحفظ والراحة، والشفقة^(٢) والخشوع، والتذكر والتفكير، والجود والسخاء. فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه، رضا بالله وبقسمه.

وأما الصيانة: فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة، والأدب والفهم والإحسان والتحبب، والخير واجتناب الشر. فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة، فطوبى لمن أكرمه مولاه [بالصيانة].

وأما الحياء: فيتشعب منه اللين والرأفة، والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة، واجتناب الشر والبشاشة والسماحة، والظفر^(٣) وحسن الثناء على المرء في اللباس^(٤). فهذا ما أصاب العاقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته.

وأما الرزانة: فيتشعب منها اللطف والحزم، وأداء الأمانة وترك الخيانة، وصدق اللسان وتحصين الفرج، واستصلاح المال والاستعداد للعدو، والنهي عن المنكر وترك السفه. فهذا ما أصاب العقل بالرزانة، فطوبى لمن توقر ولم تكن به خفة ولا جاهلية وعفا وصفح.

وأما المداومة على الخير: فيتشعب منه ترك الفواحش والبعد من الطيش، والتحرج واليقين، وحبّ النجاة وطاعة الرحمن، وتعظيم الرحمن واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل وقول الحق. فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير، فطوبى لمن ذكرها أمامه وذكر قيامه، واعتبر بالفناء.

(١) في المصدر: والصواب.

(٢) في المصدر: والتفقد.

(٣) في المصدر: وللظفر.

(٤) في المصدر: في الناس.

وأما كراهة^(١) الشر: فيتشعب منه الوقار والصدق والنصر والصبر، والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرّشاد، والإيمان بالله والتّوقير [والإخلاص]، وترك ما لا يعنيه والمحافظة على ما ينفعه. فهذا ما أصاب العاقل بالكراهة للشر، فطوبى لمن أقام الحقّ لله وتمسك بعري سبيل الله.

وأما طاعة النّاصح: فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب، ومحمدة العواقب والنّجاة من اللّوم^(٢)، والقبول والمودة، والإسراع^(٣) والإنصاف، والتّقدّم في الأمور والقوة على طاعة الله. فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى.

فهذه الخصال كلها تشعب من العقل^(٤). الحديث.

وظاهره أن الحلم يتشعب من العقل وما بعده يتشعب منه. فهذه مئة خصلة تشعب من الحلم، وكلّ واحدة من الخصال لها مراتب باعتبار اختلاف مراتب من اتصفت به وعملها. وهم ﷺ أقاموا بجميع هذه الخصال على حد ما يمكن في الكون، بحيث لا يمكن أن يكون في الكون أكمل منهم، ولو فرض فلا يكون إلّا مثلهم كما بيّن في موضعه، ولم يكمل العقل إلّا فيهم ﷺ، لأنّه لم يكمله الله إلّا فيمن أحبّ، وهم ﷺ جميعاً أهل المحبة، فلم يكمل إلّا فيهم.

وربّما يطلق على العقل لتشعبه منها، لزيادته بالعمل، هذا بحسب الظاهر.

وتشعبها منه، فهي فروع الحلم في الشهادة وأصولها في الغيب، وهم ﷺ بدء كل خير ونهايته.

(١) في المصدر: كراهية.

(٢) في المصدر: اللوم.

(٣) في المصدر: والانسراح.

(٤) تحف العقول: ١٥/١

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصَّمْتُ وَضِدُّهُ الْهَذَرُ».

[شرح تكملة الحديث: الصمت وضده الهذر]:

أقول: صَمَتَ صَمْتًا وَصُمُوتًا وَصُمَاتًا: أَطَالَ السَّكُوتَ^(١)، ولا خفاء في أَنَّ النَّطْقَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ فَائِدَةٍ وَحِكْمَةٍ فَهُوَ ضِيَاعٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى صَاحِبِهِ وَبَالٌ وَعِقَابٌ مَعْجَلٌ أَوْ مُؤَجَّلٌ، فَالسَّكُوتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَكَمْ هَفْوَةٌ حَصَلَتْ مِنَ النَّطْقِ.

وَالصَّمْتُ الْمُرَادُ مِنْ جُنُودِ الْعَقْلِ: مَا كَانَ مُتَضَمِّنًا لِلتَّفَكُّرِ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُهُ وَالنَّظَرُ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، وَتَفَكَّرَ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ^(٢)، وَالصَّمْتُ إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَرْجَحَ وَأَوْلَى بَلْ يَتَعَيَّنُ وَالْإِدْخَالُ فِي اللَّغْوِ وَالسَّفْهِ، وَهُوَ مِنْ جُنُودِ الْجَهْلِ، وَيَنْقُصُ الْعَقْلَ وَيُوجِبُ خَفَةَ لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ عَلَى السَّمَاعِ، وَهُوَ يُوجِبُ كَثِيرًا مِنَ الْقَبَائِحِ، وَسَيَأْتِيكَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ فِي بَيَانِ مَا فِي الصَّمْتِ وَالسَّكُوتِ مِنَ الْمَكَارِمِ وَأَنَّهُ سَبِيلُ الْخَيْرِ.

وَمَا فِي اللِّسَانِ وَأَمْرُهُ ﷺ بِحِفْظِهِ ثَلَاثًا، وَهَلْ يُحَسِّنُ مِنْ عَاقِلٍ اللَّغْوِ وَالسَّفْهِ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾^(٥).

وفي باب الإيمان عن الصادق عليه السلام: «لا يزال العبد المؤمن يُكْتَبُ مُحْسِنًا

(١) لسان العرب: ٥٤/٢، فصل الصاد المهملة (صمت).

(٢) عوالي اللآلئ العزيزية: ٥٧/٢، حديث رقم (١٥٢).

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ و٧١.

ما دام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً^(١)، وعن الرضا عليه السلام: «كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة، صمت قبل ذلك عشر سنين»^(٢)، وعنه عليه السلام: «من علامات الفقه: الجلم، والعلم، والصمت؛ إن الصمت باب من أبواب الحكمة؛ إن الصمت يكسب المحبة، وهو دليل كل خير»^(٣)، وقال أبو جعفر عليه السلام: «إنما شيعتنا الخرس»^(٤).

وفي المصباح، عن الصادق عليه السلام: «الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق، وجف به القلم وهو مفتوح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضا الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل، قد جعله الله سترًا على الجاهل وزينة العالم»^(٥)، ومعه عزل الهوى ورياضة النفس، وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروءة والظرف، وأغلق باب لسانك عمالك منه بد لا سيما إذا لم تجد أهل للكلام "والمساعد في" ^(٦) المذاكرة لله وفي الله.

وكان الربيع بن خيثم يضع قرطاساً بين يديه، فيكتب كل ما يتكلم به ويحاسب نفسه عشيته، ماله وما عليه، ويقول: آم آه نجا الصّامتون وبقينا.

وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع حصاة في فمه، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله، ولوجه الله أخرجها [من فمه]، وإن كثيراً من أصحابه كانوا يتنفسون تنفس الغرقاء، ويتكلمون شبيه المرضى، وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت، فطوبى لمن رزق معرفة عيب

(١) الكافي: ٣/٣٠٢، باب ٥٦ الصمت وحفظ اللسان من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢١/١٨٤٠).

(٢) الكافي: ٣/٣٠٠، المصدر السابق، حديث رقم (١٨/١٨٣٧).

(٣) الكافي: ٣/٢٩٢، المصدر السابق، حديث رقم (١/١٨٢٠).

(٤) الكافي: ٣/٢٩٣، المصدر السابق، حديث رقم (٢/١٨٢١).

(٥) في المصدر: وزينا للعالم.

(٦) ما بين * * في المصدر: عدا.

الكلام، وصوابه، وعلم الصّمت وفوائده، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء.

ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصّمت، ومن أشرف على ما في لطائف الصّمت وائتمنه على خزائنه كان كلامه وصمته كلّهُ عبادة، ولا يطلع على عبادته هذه إلّا الملك الجبار^(١). انتهى.

وقال ﷺ، في «الكلام: إظهار ما في قلب المرء من الصّفاء والكدر، والعلم والجهل، قال أمير المؤمنين ﷺ: المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل والمعرفة، فإنّ كان الله وفي الله فتكلم به، وإن كان غير ذلك فالسّكوت خير منه، وليس على الجوارح عبادة أخفّ مؤنة، وأفضل منزلة، وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه، ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذلك بين الرّسل والأمم، يثبت بهذا أنّه أفضل الوسائل وألطف العبادة، ولا كذلك معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامة عند الخلق منه.

واللسان ترجمان الضمير، وصاحب خير القلب، وبه ينكشف ما في سرّ الباطن، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة، والكلام خمر يُسكر [القلوب و] العقول ما كان منه لغير الله، وليس شيء أحقّ بطول السّجن من اللسان، قال بعض الحكماء: احفظ لسانك عن خبث الكلام، وفي غيره: لا تسكت إن استطعت فإنّ السكينة هيئة حسنة رفيعة من الله لأهلها، وهم ﷺ أمناء أسرارهم في أرضه) انتهى.

فاستبان ممّا سبق أنّه ليس مطلق الصّمت من جنود العقل، فإن النطق في مواضع يكون راجحاً، بل وواجباً.

(١) مصباح الشريعة: ١٠١، الباب السادس والأربعون في الصمت.

ويدل عليه مقابلته بالهذر: وهو بفتح الهاء والذال المعجمة، ثم الراء المهملة.

ومن كلمات علي عليه السلام^(١): «رحم الله من^(٢) قال خيراً فغنم، أو سكت^(٣) فسلم^(٤)».

ومنها: المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالِاسْتِسْلَامُ وَضِدُّهُ الْاسْتِكْبَارُ».

[شرح تكملة الحديث: الاستسلام وضده الاستكبار]:

أقول: الاستسلام كمال الانقياد والطاعة لأوامر الله ونواهيه الواقعة، وما لم تقع.

والاستكبار خلاف ذلك، فهما داخلان في التواضع والتكبر أو المراد بهما هنا المبالغة في ذلك. ويحتمل أن يراد بالاستسلام البداءة بالسلام، فإنه من أفضل مكارم المعاشرة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَّسْلِيمُ وَضِدُّهُ الشُّكُّ».

[شرح تكملة الحديث: التسليم وضده الشك]:

أقول: المراد بالتسليم كما يظهر من باب التسليم ونسبة الإسلام هو

(١) في المصدر: قال رسول الله ﷺ.

(٢) في المصدر: عبداً.

(٣) في المصدر: صمت.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ٤٣٠/٢، رقم (٩٩) - ٣٥٠٥.

الانقياد لهم ﷺ فيما لم يظهر لنا وجهه، فإن حديثهم صعب مستصعب^(١)، وسر مقنع بسر^(٢)، فلا ترد ما لم تحط به علماً أو يدخلنا شك فيه والشك هنا كفر.

وكيف يستغني الرجل عن التسليم وهو أول الدرجات الموصلة لليقين فما فوقه، ولم يحط بجميع حكم الله تعالى في خلقه، ووجوه كلامه وكلام أنبيائه وخلفائهم فليس إلا التسليم لهم ﷺ وترك: لم وكيف، فإنهم اللذون أطلعهم الله على مكنون علمه وأشهدهم خلقه واسترعاهم إياهم.

والشك إذا كان عن تزلزل عند سماع قولهم ﷺ في بيان فضيلة لهم أو حكم، وعدم ركون اضطراب ورجع على عقبه.

أمّا الشك ممّن لا يعرف ولا تمييز له أصلاً فلا أثر له ولا تحقق، وعلى الله الهداية والبيان، ولا كذلك المسلم، فسكوته لشعوره بمعتقده بخلاف سكوت الشاك لو فرض فإنه عن جمود وعدم شعور، فتدبر.

وليس المراد بالتسليم هنا الإذعان والتصديق القلبي فإنه قد سبق لك.

وعن عليّ عليه السلام في خطبة: «لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٤)

(١) عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ثلاث: ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ثم قال: يا أبا حمزة، ألسنت تعلم في الملائكة مقربين وغير مقربين، وفي النبيين مرسلين وغير مرسلين، وفي المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، قلت: بلى، قال: ألا ترى إلى صفة أمرنا، إن الله اختار له من الملائكة مقربين ومن النبيين مرسلين ومن المؤمنين ممتحنين». (راجع في بصائر الدرجات: ٤٨، (باب أن أمرهم صعب مستصعب)، حديث رقم (٩)).

(٢) عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أمرنا سر في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيد إلا سر، وسر على سر، وسر مقنع بسر». (راجع: في بصائر الدرجات: ٤٨ (نادر من الباب في أن علم آل محمد ﷺ سر مستسر، وهو نادر من الباب)، حديث رقم (١)).

(٣) الكافي: ١١٠/١، باب ١٣ استعمال العلم من كتاب فضل العلم، حديث رقم (٦/١١٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

قال: «بشك»^(١).

وعنه عليه السلام: «إن الشكَّ والمعصية في النار ليسا مِنَّا»^(٢).

وعنه، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله، وعنه عليه السلام: «من شك في الله أو رسوله ﷺ فهو كافر»، وعنه عليه السلام: «من شك في الله بعد مولده على الفطرة، لم يفي إلى خير أبداً»^(٣).

وفي نسخة (المحاسن)^(٤) و(الخصال)^(٥) و(العلل): «والتسليم وضده التجبر»، ولا فرق في المعنى.

وفي (الوافي)، و(في بعض نسخ الكافي وغيره): «والتسليم وضده التجبر»^(٦)، ولم يضبطه لفظاً ولكنها في الخط (بالجيم)، فإن ثبت فهو بل إليه، لكن باقي ما أشار له، وهو السابق (بالحاء بعدها ياء منقوطة بنقطتين من تحت) وهو قرينة إرادتها من نسخة الكافي ولم نقف عليها وعلى كل فلا فرق في المعنى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصَّبْرُ وَضِدُّهُ الْجَزَعُ».

[شرح تكملة الحديث: الصبر وضده الجزع]:

أقول: غير خفي تكرار وصف الله للصَّابرين، وفي كتابه المبين، فقال:

(١) الكافي: ١٦٩/٤، باب ١٧٠ الشك من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٤/٢٨٨٤).

(٢) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (٥/٢٨٨٥).

(٣) الكافي: المصدر السابق، حديث رقم (٦/٢٨٨٦).

(٤) المحاسن: ١٩٦/١، باب ١ العقل من كتاب مصابيح الظلم من المحاسن، حديث رقم (٢٢).

(٥) الخصال: ٥٨٨/١، حديث رقم (١٣).

(٦) الوافي: ٦٧/١.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(١) لما صبروا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾^(٢) الحسنى على بني إسرائيل لما صبروا، ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٣) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٤)، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)، ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٦)، ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٧)، ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٨)، ﴿وَبَلِّغْ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ الآية^(٩)، ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١٠)، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(١١)، والآيات كثيرة فيه، فوعدهم بتضاعف الثواب وأن يجازيهم بأحسن أعمالهم، ولا حصر لجزائه و﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٢)، إشارة إلى المعية الخاصة التي مع المحسنين.

وغير خفي عموم الصَّبر واشتماله على كثير من خصال العقل، فإنه يتحقق في القوتين واللسان فإنه بمعناه الأعم يقابل بالهوى، فالمراد به هنا الصَّبر على نوائب وغصص الدهر من الفقر والبلاء وغيرهما وفقد الأحباء وغيرها.

ويقابله الجزع والهلع، وهو المذكور هنا، فإن استعمل في السر قوة الشهوة والصَّبر عليها فبمعنى العفة، ويقابل بالتهتك، وفي الحرب شجاعة،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٩.

(٣) سورة العصر، ٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(١١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣، وسورة الأنفال، الآية: ٤٦.

فإنه يحتاج إلى صبر، وفي كظم الغيظ حلم، وترك فضول الدنيا والكلام زهد وصمت، فكمال الصبر وصفته سارية في الصفات وجنود العقل.

ولم يصبر أحد مثل صبرهم ﷺ في تحمل البلاء ومقاساة كيد الأعداء،^(١) والصبر على الطاعات، فهم حبسوا عقولهم ونفوسهم، وخيالهم وأجسادهم، وأجسامهم وجميع حركاتهم وسكناتهم على الله، وفي الله وبالله في كل ما يريد، وإن قدروا على خلافه لو طلبوا منه ذلك فإنه يجيبهم له ولعلوه كذلك.

روي إن كل شيء من الأعمال الصالحة له أجر مقدراً إلا الصبر فإن أجره غير مقدّر، وهو من التفضل، وإن كل شيء في خزائن الغيب، وإنما ينزل بقدر معلوم.

وعرفت انقسام الصبر إلى صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على المصيبة. وقد يفرق بين الصبر والبلاء بوجه بأنه الصبر على الطاعة وعن المعصية بالاختيار، والصبر على المكروه بغير الاختيار كالمرض والموت والبلاء، ويدل عليه حديث بلال، مؤذن النبي ﷺ، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا باب الصبر فباب صغير، له مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له، وأمّا باب الشكر فمن ياقوتة بيضاء لها مصراعان، مسيرة ما بينهما خمس مئة عام، له ضجيج وحنين يقول: اللهم جئني بأهلي. قلت: هل يتكلم الباب! قال: نعم، ينطقه الله ذو الجلال والإكرام. وأمّا باب البلاء، قلت: أليس باب البلاء هو باب الصبر؟ قال: لا، قلت: فما البلاء؟ قال: هو المصائب والأسقام والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوتة صفراء، له مصراع واحد، ما أقل من يدخل فيه!»^(٢) الحديث.

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

(٢) أمالي الصدوق: ٢٨٢/١، من لا يحضره الفقيه: ١١٥/١، باب: الأذان والإقامة وثواب المؤذنين من كتاب الصلاة، حديث رقم (٩٠٥).

ولذا عدا في الحديث، وهو لا ينافي الدخول من وجه، والظاهر الاتحاد والتعدد بحسب المتعلق، بحسب حبس النفس على المصيبة أو الطاعة أو عن المصيبة أو عن الدنيا.

وإنما كان باب الصبر صغيراً بالنسبة إلى أبواب الجنان لضيقه على السالك منه، لأن الصبر: حبس النفس على ما تكره مستمرة عليه، وهذا ضيق عليها، ولكونه حبساً مستمراً اقتضى الوحدة إذ لا تعدد فيه وانتقال ليتعدّد. فافهم.

وعدم الخلق له، لأن وضعها للاستئذان كما هو معروف، وليس في الصبر استئذان لأنه عدم الجزع، وهو موجود قبل وأن كان بالقوة، ويكون بالفعل ولو طرى له الصبر بعد جزع لم يناف ذلك عدم الحاجة إلى الاستئذان الغير المتوقف على أمر خاص كما في غيره، فهو البقاء على ترك الجزع بخلاف الشكر فإنه يحتاج إلى إنشاء عمل، فلذا كان له مصراعان، ولضيقه وكونه كذلك ففيه حرارة تجرع البلاء والمصاب كان أحمرأ، ولكون سبب البلاء ليس من الصّابر على تقدير الفرق بما عرفت كان معه الرضا، وهو رطوبة الحياة المستلزمان للصفرة، فلذا كان أصفر بخلاف الصبر؛ لكون تلك الحرارة مع الندم الذي منه اليبوسة المستلزمان للحمرة كما في الصبر.

والصبر على الطاعة واحد بثلاث مئة، والصبر عن^(١) المعصية واحد بست مئة، والصبر على المصيبة واحد بتسع مئة، فكل رتبة ثلث ما فوقها، وتزيد عليها بضعفيها.

والظاهر وجود هذا المعنى في الأحاديث ولا يحضرني، ولعل سرّه أنّ في الأوّل موافقة أمر الله ومخالفة الهوى فيه ضعيفة؛ لأن أصله عديم وإن

(١) في نسخة (ب): على.

لم يكن عدم محض بخلاف الصَّبر عن المعصية فمخالفة هوى النَّفس فيه وإن كان عديمًا لكن استمداده بالمعصية أقوى من استمدادها بترك الطَّاعة، فإنه غذاء ضعيف للنَّفس لرجوعه إلى ضعف الضَّد بخلاف المعصية ففيه تقوية النَّفس فإنه غذاء النَّفس الأمانة فيقويها مع استلزامه ضعف الضَّد، فلذا كان الصَّبر عن المعصية ضعف الصَّبر على الطَّاعة.

وأما الصَّبر على المصيبة فهو جامع للصَّبرين، وهو ذاتي وجودي وجداني، فهو أبلغ، ونهاية الصَّبر وكماله صبرهم على الطَّاعة وعن المعصية وعلى المصائب، فصبر من سواهم من فاضله.

وكذا نقول في جميع المكارم وجنود العقل، فهو أوَّل من ذاق من حدائقهم الباكورة، كما نقل عن العسكري عليه السلام ^(١)، ولا ينافي كثرة صبر غيرهم بالنسبة لهم لكن في مقامهم الفرعي لأنه صبر على جهل، بخلاف صبرهم عليه السلام فإنه عن علم، وسيأتيك في باب الصَّبر عنهم عليه السلام : «نحن صبرنا وشيعتنا أصبر منا، لأننا صبرنا على ما نعلم وشيعتنا صبروا على ما لا يعلمون» ^(٢)، ولا ينافي علو صبرهم على صبر غيرهم، فهو من صبرهم كالشعاع من الشمس، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ^(٣)، بل المراد بيان المشابهة والتبلي.

وبيان أن مالهم من الصَّبر له وزيادة، مع عدم اشتراط كون المشبه به أقوى وكثر ترادد ذكر الصَّبر والحث عليه في الكتاب المنزل وعلى لسان نبيه وخلفائه عليه السلام، ولو فكرت لم تجد خصلة لها غنى عن الصَّبر. ولذا ورد فيه ما سمعت.

وعنهم عليه السلام : «خُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»، وهي تحتاج إلى صبر.

(١) بحار الأنوار: ٣٧٨/٧٨، باب مواظب أبي محمد العسكري عليه السلام وكتبه إلى أصحابه.

(٢) تفسير القمي: ٣٦٥/١.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

وعن النبي ﷺ : «أنه نصف الإيمان»، وسئل عن الإيمان، فقال: «الصَّبْرُ والسَّماحة»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «الصَّبْرُ رأس الإيمان»^(٢)، وعن علي بن الحسين: «الصَّبْرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: «الصَّبْرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصَّبْرُ ذهب الإيمان»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الصَّبْرُ صبران: صبرٌ عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصَّبْرُ عندما حرّم الله عليك؛ والذكر ذكران: ذكر الله عند المصيبة، وأفضل من ذلك [ذكر] الله عند ما حرّم عليك، فيكون حاجزاً»^(٥).

وعنه عليه السلام: «الصَّبْرُ ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطّاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحُسن عزائها، كتب الله له ثلاث مئة درجة، ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السّماء والأرض، ومن صبر على الطّاعة، كتب الله له ست مئة درجة، ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية، كتب الله له تسع مئة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»^(٦)، وأحاديث الصَّبْر كثيرة، تُطلب من كتاب الإيمان^(٧)، وما نقلناه هنا منه.

(١) ميزان الحكمة: ٨٠٨/١، باب ١٩٧٢ حديث رقم (١١١٩).

(٢) الكافي: ٢٢٥/٣، باب ٤٧ الصبر، حديث رقم (١/١٦٩٠).

(٣) الكافي: ٢٢٦/٣، المصدر السابق، حديث رقم (٣/١٦٩٢).

(٤) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (٢/١٦٩١).

(٥) الكافي: ٢٣٤/٣، المصدر السابق، حديث رقم (١١/١٧٠٠).

(٦) الكافي: ٢٣٦/٣، المصدر السابق، حديث رقم (١٥/١٧٠٤).

(٧) الكافي: ٢٢٥/٣، باب ٤٧ الصبر، وفيه خمسة وعشرون حديثاً.

وفي الفقيه^(١)، عن الصادق عليه السلام: «الصَّبْرُ صبران: صبرٌ على البلاء حسن جميل، وأفضل الصَّبرين الورع عن المحارم»^(٢)، وقد جمع الله الأقسام بأحسن تعبير، فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣)، فالتزم الصَّبر فإنه المراد في جهاد النفس الذي هو الجهاد الأكبر.

وفي المصباح، قال الصادق عليه السلام: «يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصَّبر يذيقه^(٤) كُلُّ أَحَدٍ، وما يثبت عنده إلا المحسنون»^(٥)، والجزع ينكره كُلُّ أَحَدٍ وهو أبين على المنافقين لأن نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب، وتفسير الصَّبر: ما تستمر^(٦) مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا، وتفسير الجزع: اضطراب القلب وتحزن الشخص وتغيّر اللون وتغير الحال، وكُلُّ نازلة خلت أوائلها من الإخبات والإنابة والتضرع إلى الله فصاحبها جزوع غير صابر. والصَّبر أوله مُرٌّ وآخره حلٌّ [لقوم، ولقوم مر أوله وآخره]، فمن دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصَّبر لا يصبر عمّا منه الصَّبر.

قال الله عز وجل في قصة موسى [بن عمران عليه السلام] والخضر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٧)، فمن صبر كرهاً ولم يشك إلى الخلق، أو لم يجزع بهتك ستره فهو من العام ونصيبه مما قال عز وجل: ﴿وَيَبْرُرْ

(١) لم أقف عليه في الفقيه.

(٢) الكافي: ٢٣٥/٣، المصدر السابق، حديث رقم (١٤/١٧٠٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤) في المصدر: يدّعه.

(٥) في المصدر: المخبتون.

(٦) في المصدر: ما يستمر.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٨.

الصَّابِرِينَ^(١) أي بالجنة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر على سكينته ووقار فهو من الخاص، ونصيبه ما قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) انتهى^(٣).

إهداء:

من أراد تحصيل طريق الصَّبر فليكثر في النَّظر إلى جزاء الصَّبر وقبح الجزع، وتقضي البلية وقصر مدتها وعدم سلامة من هو أشرف منك، منها الدَّال على حُسْنِهَا وما في تبع الهوى من الرَّدَى، فعند ذلك يسهل تحمُّل المصائب، ويرضى بصنع الحكيم الخالق^(٤) الوهاب، فلا يقابله بالرَّد والعتاب وسوء الخطاب.

إنارة:

قد استبان شرفه وعلوَّ درجته على سائر درجات السَّالِكِينَ، فأشرف النَّاس وأقربهم إلى الله أشدهم صبراً وتحملاً، وكيف ولم تستجمع جنود العقل بكمال رتبها إلَّا فيهم، كما مر وستعرفه.

ولذا ورد أشدَّ النَّاس بلاء الأنبياء^(٥) وذلك ظاهر لمن نظر في صفاتهم وما لحقهم من النَّاس خصوصاً في الدَّعوة، حتَّى حُوطب محمد ﷺ بقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٦)، وسَلَّى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣، وسورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) مصباح الشريعة: ١٨٥، الباب الثامن والثمانون في الصبر.

(٤) في نسخة (ب): بصنع الخالق الحكيم.

(٥) أمالي الطوسي: ٦٥٩/١، مجلس يوم الجمعة، الثالث والعشرين من رجب، أحاديث

الحسين بن إبراهيم القزويني، حديث رقم (١٣٦٣/٧).

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

قَبْلَكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا^(١)، وبقي ثلاثة عشر سنة صابراً على بلائهم، غير مجاهد لهم جهاداً عاماً، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إلى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾^(٢)، هذا مما شاة للعامة وإلا فهو مُتَحَمِّلٌ لِعِصَصِ الصَّبْرِ معهم من أول عُمره، فَإِنَّ المتأخر إلى الأربعين إنما هي البِعةُ والرَّسالة، وهي بعد النبوة كما اتفقت عليه الإمامية رواية ودراية وإجماعاً، فإذا كانوا كذلك خصوصاً محمد ﷺ وآله ﷺ كما أشرت، فكيف التَّوفيق مع ما ورد في (الكافي) بسنده عن الوشاء، عن بعض أصحابه: عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «إِنَّا صُبِّرْنا وشيعتنا أصبر منا، قلت: جعلت فداك، كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لَأَنَّا نصبرُ على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون»^(٣).

قلنا: مع أنه لم يَفِ لمعارضة باقي الروايات، وما أحكمته الدراية مع ضعف سنده، لعلَّ المقصود بيان أنهم ﷺ لكمال اطمئنان نُفُوسهم ومجاهدتها فلا مشقة عليهم في الصَّبْرِ وسائر التكاليف، فلا يحتاجون إلى مجاذبة النفس ومنازعتها مع كمال عملهم الدال على كمال التَّلَقِّي والتَّحَمُّلِ والقطع بالعافية كحال شيعتهم حيث إنهم غير معصومين ولا علم لهم بالنسبة لعلمهم ﷺ، فهم يصبرون على غير يقين، وهو أشد، فجاذبتهم لملازمة الأغطية وسري الشَّيْطان بوسوسته أشد، ولا يوجب ذلك زيادة الثَّواب والقرب لدورانهما على زيادة المعرفة والإخلاص، وهما فيهم ﷺ أشد وأحق بكثير.

وبالجملة: لا يعدُّون كلفة في التكاليف بخلافنا.

وأيضاً شيعتهم في ذلك في مقام التَّبعية كالشُّعاع من الشَّمس، ولا يصل

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٢) سورة ق، الآيتان: ٣٨ و ٣٩.

(٣) الكافي: ٢٤١/٣، باب ٤٧ الصبر من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢٥/١٧١٤).

إلى حالهم، وهو مقام صبرهم، ويؤول صبر شيعتهم في مقام التبعية أيضاً فلا تنافي. فتدبر.

ختم:

لا ينافي الصبر جري الدمع للمصيبة والبكاء على فقد الأحباء أو في إقامة عزاء سيّدة النساء وأبنائها النجباء وأبيها وبعليها، فلأن ذلك لازم الرقة والرحمة والرافة، وهو لا ينافي الصبر وإنما ينافيه ما يصير بالدين أو الرد لقضائه.

مع أن البكاء عليهم ﷺ لما لحقنا من الوهن، وإن لم يعدم الدين، وأيضاً هو عبادة، فهو داخل فيها.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصَّفْحُ وَضِدُّهُ الْإِنْتِقَامُ».

[شرح تكملة الحديث: الصّفْح وضده الانتقام]:

أقول: غير خفيّ حُسن العفو ولو لم ينبّه الإنسان عليه إلا ما يجد من قوّته على غيره، فيجعل شكر تلك النعمة العفو لكفى، مع ما فيه من المخبوتية للنّاس والذكر الحسن، والسّماحة والكرم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١)، وفيها من التّغيب والحث على العفو بما لا يخفى.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «النّدامة على العفو أفضل وأيسر من النّدامة على العقوبة»^(٢).

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) الكافي: ٢٧٩/٣، باب ٥٣ العفو من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٦/١٧٩٣).

وعن أبي الحسن عليه السلام: «ما التقت فِئتان قط إلا نُصر أعظمها عفوا»^(١)، مع ما فيه من كظم الغيظ، وقد مدحهم الله خصوصاً، فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وهو من صفات الحلم، وهما من لوازم التوكل أيضاً.

وفي المصباح، قال الصادق عليه السلام: «العفو عند المقدرة من سنن المرسلين والملتقين. وتفسير العفو: أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً، وتنسى من الأصل ما أصيب منه باطناً وتزيد على الاختيارات إحساناً، ولن تجد إلى ذلك سبيلاً إلا من قد عفى الله عنه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وزينه بكرامته، وألبسه من نور بهائه، لأن العفو والغفران صفتان من صفات الله أودعهما في أسرار أصفياه ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجاعلهم لذلك، قال الله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ومن لا يعفو عن بشر مثله، كيف يرجو عفو ملك جبار.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاكياً عن ربه يأمره بهذه الخصال، قال: صل من قطعك، واعفُ عمن ظلمك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقد أمرنا بمتابعته، بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ﴾^(٤)، والعفو سر الله في القلوب، قلوب خواصه ممن يسر الله له سره، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، [قيل يا رسول الله: وما أبو ضمضم؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: كان إذا أصبح يقول: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس عامة]^(٥) انتهى.

(١) الكافي: ٢٨١/٣، المصدر السابق، حديث رقم (٨/١٧٩٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٥) مصباح الشريعة: ١٥٨، الباب الخامس والسبعون في العفو.

وفي نسخة (المحاسن)^(١) و(الخصال)^(٢) و(العلل)^(٣): «والعفو وضده الحق».

وهو ملزوم الانتقام.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْغِنَى^(٤) وَضِدُّهُ الْفَقْرُ».

[شرح تكملة الحديث: الغنى وضده الفقر]:

أقول: الغنى^(٥) في الحقيقة عدم، فالغنى^(٦) التام غنى^(٧) العقل، وهو عبارة عن استكمال وقوة قوَّته المقتضي للقناعة وغيرها.

ومن كلمات عليّ عليه السلام: «أغنى الغنى العقل»^(٨)، ويقابله الجهل، وهو الحمق، ومن كلماته عليه السلام: «أفقر الفقر الحمق»^(٩).

ومنها: «أحمق الحمق الفقير».

وعنه عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١٠)، ويلزم المعنى السابق

(١) المحاسن: ١٩٧، من كتاب مصابيح الظلم من المحاسن، حديث رقم (٢٢).

(٢) الخصال: ٥٩٠، حديث رقم (١٣).

(٣) علل الشرائع: ١٣٨/١، باب ٩٦ علة الطبايع والشهوات والمحبات، حديث رقم (١٠).

(٤) مرسومة في النسختين: الغناء، وما أثبت من المصدر.

(٥) مثل السابق.

(٦) مثل السابق.

(٧) مثل السابق.

(٨) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/٩ - ٣٢٨، رقم (٣٨).

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٥، رقم (١١٦٢).

(١٠) عوالي اللالي: ٤٠/١، حديث رقم (٤٠).

للغنى^(١) الفقر، بمعنى الافتقار لله تعالى، فإنه شعار الصالحين، وكان ﷺ إذا رأى الفقر مقبلاً قال: مرحباً بشعار الصالحين^(٢).

ويراد بالغنى^(٣): حصول الكفاف في المعيشة، بحيث لا يلتجئ إلى إباحة العرض وبذل الوجه، وكثيراً ما سألوا الكفاف في أدعيتهم وغيرها. وفي (الصحيفة السجادية)، في الاستعادة من المكاره وسيء الأخلاق: «ومن معيشة في شدة»^(٤).

كيف وكثيراً ما توقّف الطاعة والإتيان بها على المال، وفي النص: «نعم المعين على تقوى الله الغنى»^(٥)، وسمعت: «احتج إلى من شئت تكن أسيره»^(٦) وبالكفاف يستقل فيكون نظيره أو أميره، وبه أيضاً: «يكفي شر ذي اللسان»، ويقابله الفقر أيضاً.

والغنى^(٧) هنا مراد به المعنيين، وكذا الفقر والغنى^(٨) (بكسر الغين المعجمة ثم النون المفتوحة مقصوراً وإذا فتح أوله مُدّ).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والتَّذَكُّرُ وَضِدُّهُ السَّهْوُ».

- (١) في النسختين من المخطوط: الغناء.
- (٢) فيما أوحى الله إلى موسى ﷺ: «وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته». (راجع: إرشاد القلوب: ٣٠٣/١).
- (٣) في النسختين: بالغناء.
- (٤) الصحيفة السجادية: ٦٠، في الاستعادة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال.
- (٥) في النسختين: الغناء.
- (٦) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٥٦١/٢٠، الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رقم (٤).
- (٧) في النسختين من المخطوط: الغناء.
- (٨) مثل السابق.

[شرح تكملة الحديث: التذكر وضده السهو]:

أقول: المراد بالتذكر طلب استحضار ما غاب عنك سواء كان من أمور الآخرة، وغاية الدنيا بالنظر إليها أو أحوالك السابقة، أو ما كانت صورته عندك ثم زالت عن القوة المفكرة أو لمعرفة الله وكمال صنعه، ولا يكون التذكر إلا لمن كان له قلب، فليس العبارة محتملة وجوهاً كما قال الشارح^(١)، بل الكل مُراد وداخل في التذكر وكله من جنود العقل.

وفي بعض النسخ: «التفكر»، وعلى ما فسرناه به لا فرق بينهما، ويدل عليه أنه لم يذكر لفظ التذكر في عداد الخصال، وبحسن التذكر والاعتبار تحصل السلامة من الأغيار وسوء الفجار، وقد حث الله عليه ورغب في غير آية، وحذر عن الغفلة والإعراض، فإنها سبب الحجب المانعة عن الإعراض، فتذكر بما ترى من آثار السلطنة القاهرة والعظمة الباهرة، فيستدخلك الخوف فتحجم من المعاصي وتتقرب بالطاعات حسب الاستطاعات، وكلما زاد التفكر زاد التذكر، فتعظم الرهبة والرغبة حتى تصل لمقام الأنس والمحبة، فتفكر في آيات نفسك والآفاق، وتوجه للخالق السرازق: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية^(٢)، ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٣)، ولا تكن ممن أعرض عن ذكره فتنسى^(٤).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحِفْظُ وَضِدُّهُ النِّسْيَانُ».

(١) شرح أصول الكافي: ٢٤١/١.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾

سورة طه، الآية: ١٢٤.

[شرح تكملة الحديث: الحفظ وضده النسيان]:

أقول: المراد بالحفظ هنا حفظ صور المعلومات. والنسيان زوالها من القوة وخزانتها.

ويطلق على ما هو أعم منه، فتدخل حفظ الأعمال والمحافظة على أوقات الصلاة والأمانة وغير ذلك، لكنه داخل في غيره.

ويراد بالنسيان بمعنى مطلق التَّرك، كقوله تعالى: ﴿سَتُفْرِّقُكَ فَلا تَنْسَى﴾ الآية^(١)، ولا شبهة في كون الحفظ من خِصَالِ العقل، فإنه فعل، كما أن النسيان إهمال وغفلة فهو من الجهل، فهو من السَّهو لا يعرضان للمعصوم ﷺ كسائر جنود الجهل.

تنبيه:

عرفت أنَّ الحفظ للصُّورة العقلية وتذكُّرها داخلان في جنود العقل، فاسترجاع النَّفس للصُّورة بعد زوالها عن المذكرة وخزانتها سواء كان صورة أو معنى وهو النسيان، أو بعد زواله عن القوة لا الخزانة وهو السَّهو، وعملها في استرجاع المنسي أشدَّ منه في المسهو عنه، إنما يكون بمعونة النَّفس والرُّجوع إليه، واستمداد النَّفس بقوتها العقلية المتَّصلة به، فهذه ما فاضل العقل الواحد الكلِّيَّ أوَّل موجود من الوجودات المقيدة، فهو له كالخزانة الكلِّية، وتفاوت التَّذكر والتَّذكر على قدر شدة التُّوريَّة وضعفها وضعف الحجب وقوتها.

ولذا أمر الشارع حينئذ بالصَّلَاة على محمد وآله، فإن بها يكشف الحجاب ويفك الأقفال، وورد النَّصُّ بذلك، وللنفس نشأت وتطورات مختلفة عقلية وخيالية ونفسية وحسية؛ لسعة دائرتها لا لخروجها عن

(١) سورة الأعلى، الآية: ٦.

مرتبتها، فحركاتها في ذلك حركة عرضية لا طولية لاستحالة صيرورة النفس عقلاً، وكلما غلبت عليها رتبة من هذه تقيدت بها وغلب عليه حكمها، فما تطلب استرجاعه من خزانها تطلبه من إمكانها لكونها، فلها به جهة مناسبة للاسترجاع، وليست بالنسبة لها كالمجهول المطلق.

وبهذا تبطل شبهة الرازي في التذكر، بأن الصورة، إن كانت مشعوراً بها فهي حاصلة والحاصل لا يحصل، وإن لم يشعر بها فلا تتصور، فلا تطلب، إذ طلب المجهول محال. فالتذكر بمعنى الاسترجاع الممتنع، ولا يخفى دفعها مما ذكر.

وفي حديث الخضر لما سأل علي عليه السلام في المسجد عن الروح أين تذهب مناماً، وعن الرجل كيف ينسى ويسهو، وعن شبه والد الرجل أعمامه أو أخواله، فأمر عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام أن يجيبه، فأجابه عن الثانية، «بأن قلب الرجل في حق وعلى الحق طبق، فإذا صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد الصلاة التامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان ينسى، وإن لم يصل على محمد وآل محمد عليه السلام أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق، فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره»^(١). الحديث. وذكره الصدوق في الباب السادس من (عيون أخبار الرضا عليه السلام)، وفي الباب التاسع والعشرين من كتاب (إكمال^(٢) الدين وإتمام النعمة).

ودراية الحديث ظاهرة مما سبق، ولمن عرف ما تشتمل عليه الصلاة من

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٩، باب ٦، حديث رقم (٣٥)، كمال الدين وتام النعمة: ٢٩٥، باب ٢٩ ما أخبر به الحسن بن علي بن أبي طالب من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليه السلام.

(٢) هكذا ورد رسمه في النسختين من المخطوط.

الفضائل والتوسل بهم أصل كل خير، ومن أراد أمراً من الله بدأ بهم ﷺ^(١).

وعرفت أن كل كمال في الوجود فمن فضلهم ونشر فضائلهم كمراتب الإقبال والإدبار وما فوقها، والكل له ارتباط بهم، وهم سبب له بوسط الوسائط، وأصل الشفاعة الكلية منهم، وكل شفاعة فمن شفاعتهم ومن فاضلهم، والخير منهم وبهم وفيهم وإليهم.

[تعليق السيد الداماد على الحديث]:

وقال السيد الداماد في (رسالة [شرعة] التسمية) بعد الحديث ما حاصله: (إن من جنود النفس قوة مودعة في آخر التجويف الأول من بطون الدماغ، التي هي كحق تدرك بها الصور الحسية وفي آخر التجويف^(٢) الأخير، قوة خزانة لمعان جزئية تدركها من قبيل قوة تُسمى الوهم، فإذا لم تلتفت النفس لبعض المدرك فهو سهو، ولو انمحي عن الخزانة أيضاً فنسيان، فيحتاج إلى تعمل أو قوة.. إلى أن قال: هذا في مدركاتنا من سبيل القوى.

أمّا مدركاتنا من سبيل عالم القدس بخلوص جوهرها المملكوته، فخزانتها لوح مفارق عقلي، قياسه من أبصارنا قياس الشمس منها، فتبصر المعقول بإشراق ذلك النور بإذن نور الأول، فإذا فارقت الشمس شياطينها الجسدانية وخسستها الهولانية واستخدمت القوة المنكرة، وتوسلت بالنفوس القدسية، وتشبهت بها، ودخلت في حزبها استعدت للاتصال بعالم النور واستفادت منه فانطبع في ذاتها الصور للمعقولة، ثم إذا ألهمتها الأشغال

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤١٢/٢، كتاب الزيارات، زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ المقتول بكر بلاء، حديث رقم (٣٢٠١)، كامل الزيارات: ١٩٧، الباب ٧٩ زيارات الحسين بن علي ﷺ.

(٢) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

البدنية فصلت تلك الصُّورة عنها بذلك الاستعداد، كان سهواً يستفاد باستفادة الاستثبات والاستفادة وإن فقدته وتحلت من ذلك الاستعداد احتاجت إلى رفض جديد وسمي نسياناً، ولتستمدّ من بركات النفوس المقدسة، فاستبصر من قوله ﷺ: «قلب الرجل في حقّ»، لم يعن الصنوبري اللحمي بل القلب العقلاني التّوريّ، فهو القلب، بل الإنسان حقيقة، والأوّل عرشه في تعلّقه بتدبير البدن وجيوشه، كما أنّه عرش الله الأعظم إذا استكمل في قوته وإياه عنى: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»، وفي بعض الحكم: (قلب العالم نبض العالم)، إذ كما أن النّبض شريان البدن وعنوانه كذلك، فكذا قلب العالم، أي الجوهر المجرد الملكوتي مضاهياً للعالم الجمليّ كنسخة مطابقة للنسخ^(١) منه شريان عالم الوجود وعنوانه، ويريد أخباره، وقصاص قصصه، ومراده ﷺ: بالحق هاوية عالم الطبيعة وبالطبق غشاء الجلباب الجسداني^(٢) انتهى.

[تعليق الشارح:]

أقول: ما ذكره في القلب يتم أن أريد به في كلّ عالم في الجملة، وإن أراد الجامع وما كمل فيه العقل فليس إلّا محمد وآله ﷺ خاصة وفيما سواه قصور في الجملة بمقتضى مطلق البشرية أو توقف أو تردّد أو التفات، ولكنه لا ينافي في ذلك في عصمة مثل باقي الأنبياء ﷺ، وستعرفه في موضعه إن شاء الله، وليس المراد بالحقّ ما ذكره، فكل مسألة في حقّ مقفول مفتاحه الصّلاة على محمد وآل محمد ﷺ، وقد يكون من نور الجبروت أو أعلى أو أسفل، والله حجب نورانية وظلمانية، ولما كانت فطرة الإنسان على

(١) في المصدر: للمتسخ.

(٢) رسالة شرعة التسمية (مخطوط): من صفحة ١٨ إلى ٢٠.

المعرفة بما ألقى في هويته، بل حقيقته تلك، وهي أصل العلوم وخزانتها من الخزانة المطلقة، فالعلم مخزون مودع فيها كان طلبه وتحصيله تذكر لما في الخزانة ولحصوله من ذكرك الأول وهو نور الله الذي تنظر به.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَّعَطُّ وَضِدُّهُ الْقَطِيعَةُ».

[شرح تكملة الحديث: التعطف وضده القطيعة]:

أقول: التَّعَطُّ من صفات الرَّحمة ولوازمها ولوازم العفو، وحسن المعاشرة، وعلوِّ الدِّين، والعمل به توجبه وتوجب معاونة المؤمن والإصلاح، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(١)، وتوجب التَّعاون والتَّنَاصر، والمفاسد الحاصلة من القطيعة في الدِّين والدُّنيا لا خفاء فيها.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْقُنُوطُ»^(٢) وَضِدُّهُ الْحِرْصُ.

[شرح تكملة الحديث: والقنوع وضده الحرص]:

أقول: عرفت الوجه في مقابلة الحرص للتوكل والقناعة والقنوع (بالضم) مصدر بمعنى القناعة.

وفي مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «لو حلف القانع بتملكه [على] الدَّارين لصدقه بذلك، ولا يرده لعظم شأن مرتبة القناعة، ثم كيف لا يقنع العبد بما قدَّر الله له، والله يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) في المصدر: والقنوع، والمصنف يشرح مفردة (القنوع) ولعله سهو من الناسخ.

الآية^(١)، فمن أذعن له وصدقه بما شاء، ولما شاء بلا غفلة، ولم يتهمه في جعل القسمة له، رضي وقنع بالمقسوم، واستراح من الهم والكرب والتعب والنصب، ولا يبلغ غاية بذلك، وكلما نقص في القناعة زاد رغبة وطمعاً [في الدنيا]، وهما أصل الشرور والفساد، قال النبي ﷺ: «القناعة ملك لا يزول»، وهي مركب رضا الله، يحمل صاحبه إلى داره، وأحسن التوكل فيما لم يعطه، والرضا بما أعطيت، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»^(٢) انتهى.

وعنه ﷺ: «القناعة إكتر لا ينفد»، وعنه ﷺ: «إن كان ما فيها يكفيك فبعض ما فيها يكفيك، وإن كان بعض ما فيها لا يكفيك فكلما فيها لا يكفيك»^(٣).

ومعلوم: أن بالقناعة يحصل الراحة عاجلاً وآجلاً، والسلامة من شرور الدنيا، مع أن صاحب الطمع لا يزداد في الدنيا بذلك إلا فقراً وحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُغْنِكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ الآية: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ الآية^(٤)، ويفوت الشكر بها، وتوجب تهمة الله عز وجل، ونسبة الجور له، ولا ينافي ذلك طلب الزيادة من الوجه الذي أمر بالتكسب أو الزراعة وأمثالها من طرق الحلال لأجل الاستعانة بها على الآخرة، وتحصيلاً لدنيا البلاغ لا الغرور.

وعن الصادق ﷺ: «من رضي من الله باليسير من المعاش، رضي الله

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٠٢، الباب الثامن والتسعون، في القناعة.

(٣) في الكافي: ٣/٣٦٠، عن أبي عبد الله ﷺ: «إن كان ما يكفيك يغنيك، فأدنى ما فيها يغنيك؛ وإن كان ما يكفيك لا يغنيك، فكل ما فيها لا يغنيك».

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

منه باليسير من العمل»^(١)، ولو لم يكن إلا السَّلامة من الحساب في القناعة لكفى.

كيف وخلافها يجرّ إلى النَّار وترك شكر المنعم الغفار.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من رضي من الدُّنيا بما يجزيه، كان أيسرُ ما فيها يكفيه، ومن لم يرض من الدُّنيا بما يجزيه، لم يكن فيها شيء يكفيه»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يكون أغنى النَّاس، فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره»^(٣)، والأحاديث في مدح القناعة وما فيها من الخصال الحسنة وبخلافها ضده ظاهر من (الكافي) وغيره من كتب الحديث.

ولا خفاء في حسنها عقلاً، وسبق لك كلام في الحرص أيضاً فراجعه. ومن كلمات علي عليه السلام: «لا اجتنب محرم مع محرم»، ومنها الحرمان مع الحرص.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمُؤَاسَاةُ وَضِدُّهَا الْمَنْعُ».

[شرح تكملة الحديث: المؤاساة وضدها المنع]:

أقول: لا خفاء في حسن مؤاساة الإخوان في الدُّنيا في كل بحسبه، والتَّغريب فيها شرعاً ظاهر كُلاً بحسب استطاعته، ولو بجاه وكلام، وبه يعزّ

(١) الكافي: ٣/٣٥٦، باب ٦٣ القناعة من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٣/١٩٢٢).

(٢) الكافي: ٣/٣٦١، المصدر السابق، حديث رقم (١١/١٩٣٠). من لا يحضره الفقيه: ٤/

٨٠٤، كتاب الفرائض والمواريث، حديث رقم (٥٩١٠).

(٣) الكافي: ٣/٣٥٩، المصدر السابق، حديث رقم (٨/١٩٢٧).

الدين، ويدلُّ على تعظيم الله تعالى، وعدم الحرص والبخل، وحسن الظنِّ بالله وشكره على ذلك، وتوجب أيضاً التَّوَادُّ والمعاونة، والكرم والسَّخَاء، والذِّكْر الجميل، وعدم الشَّحْنَاء والحسد، وعدم الحقد، وكلُّما عرفت به علوِّ المواساة وما اشتملت عليه فضدها بالعكس من ذلك في الخسَّة، والنَّاس في العمل بها متفاوتات عظيمات، وما أقلُّ وجودها بين النَّاس، فهي كالكبريت الأحمر وأعزُّ، وأدلة فضلها كثيرة، وتفاوت معرفتها وقدرها على قدر معرفة أصل الإيمان والاشتراك فيه، وفي عهد الولاية فإنه يوجب معرفة الأخوة بين المؤمنين والتَّعارف الرَّوحاني، وهو يوجب المواساة في الحال والجاء ولا يستأثر بشيء على أخيه له به حاجه أو يسأله إياه، وحديث من قاسمه ماله مشهور مع ما فيه من إدخال السرور والتَّفريج عن المكروب وغير ذلك.

وفي (المغرب [في ترتيب المعرب]): آسِيَتُهُ بِمَالِي؛ أي جعلته أُسُوةً أَقْتَدِي به ويقتدي هو بي، وواسِيَتُهُ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ^(١).

وفي النهاية الأُسُوة (بضم الهمزة وكسرهما) القدوة والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة فقلبت الواو تخفيفاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمَوَدَّةُ وَضِدُّهَا الْعَدَاوَةُ».

[شرح تكملة الحديث: المودة وضدها العداوة]:

أقول: المودة نوع من المحبة، وهي ظاهراً العمل مع الغير ما يوجب التَّوَادُّ والاتحاد كالهدية واللفظ الجميل، والتَّعَرُّض لحاجته ونحو ذلك، وهذا دليل على الميل الباطني، ومن أقوى الأسباب الموجبة لانتظام

(١) المغرب في ترتيب المعرب: ٢٦، في (الأُسُوة).

المعاش والتَّمرن المودَّة وبالعكس العداوة، وهي لازم الاتحاد الديني ونحوها بالنسبة إلى المخالف للدين، مداراة بلطف القول، وقضاء بعض الحوائج الدنيوية ونحو ذلك، وهو دون المداينة في الدين، فإنه حرام، وهي مشتقة من الود، وحقيقتها لهم ﷺ ولغيرهم فرعها، وما تكون مودة لغير الله، فليست من جنود العقل وإنما له ما أُريد به وجه الله، ولا يبعد اعتبار ما لم يكن لمعصية، والنَّاس في ذلك مراتب، والإخلاص في المودَّة لهم يوجب القرب، والمشابهة لهم فرعاً بحسب مقام المُحب، ويظهر له به ببركتهم أثر ذلك غيباً وشهادة، والمحبَّ لهم الوادَّ محبَّ، بل محبته هي محبتهم لكن لا من حيث ذواتهم بل من حيث أنهم آيته ومحل طاعته ومظهر أمثاله، وتوجب أيضاً ظهور سرِّ المحبوب في المحبَّ ولكن بقدر مقامه وظهور سرِّه الفرعي بحسبه.

وروي: «المرء مع من أحبَّ»^(١)، وهو أصل التَّوَادد دنيماً وآخرة، «قال الله تعالى: ﴿الْأَخْلَآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾»^(٢)، وقال عليّ ﷺ: «[إن] أطيَّب شيء في الجنة وألذُّ حبِّ الله، والحبُّ في الله والحمد لله». قال الله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»^(٣)،^(٤) |^(٥) لأنَّ أصل الجنة ومادتها الولاية وتستحق بالعمل، فإذا عاينوا ذلك تحركت المودة لهم والمحبة فيتخاطبون بذلك.

[رأي ملا محسن في المودَّة]:

وقال ملا محسن: (هي من الودِّ، بمعنى الحبِّ، وكأنَّ الفرق بينهما [أنَّ]

(١) مصباح الشريعة: ١٩٤، الباب الثالث والتسعون في الحبِّ لله، وأمالى المفيد: ٧٧، المجلس التاسع عشر.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٤) مصباح الشريعة: ١٩٤، المصدر السابق.

(٥) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

الحُبِّ ما كان كامناً في النَّفس، وربما لم يظهر أثره، بخلاف المودة فإنَّها عبارة عن إظهار المحبة وإبراز أثرها من التألف والتعطف ونحو ذلك، فالحُبُّ أعمُّ، وكذا مقابلهما^(١).

لكن ما لم يظهر له أثر أصلاً فليس بحُبِّ، وكيف ينجذب بالقلب ويشتاق لشيء ولا يظهر له أثر فهما متحققان فيهما.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْوَفَاءُ وَضِدُّهُ الْعَدْرُ».

[شرح تكملة الحديث: الوفاء وضده الغدر]:

أقول: يقال وفى بالأمر إذا قام به وأتمه، ويدخل فيه الوفاء بالعهد لله ورسوله في عالم الذرِّ الأوَّل والثاني وفي هذا العالم، في الاعتقاد والقول والعمل، ويجمعه مودَّتْهم ومتابعتهم، والإنكار لأعدائهم ولعنهم والقيام بمقتضى ذلك، وكذا ما يلتزمه الإنسان ويوجهه على نفسه من عهد أو نذر أو يمين، وكذا بالوعد، والروايات والآيات الآمرة بذلك والحثُّ عليه، والتَّوَعُّد على تركه كثيرة ظاهرة لا تحتاج إلى نقل، وستأتي جملة منها في كتاب الإيمان والكفر، إن شاء الله.

وأصل جميع ذلك وسنَّامه الوفاء بالعهد المأخوذ في عالم الذرِّ من الإقرار بالله ورسوله ﷺ والأئمة عليهم السلام والطاعة لهم والانقياد والبراءة من أعدائهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالطَّاعَةُ وَضِدُّهَا الْمَعْصِيَةُ».

(١) الوافي: ٦٨/١.

[شرح تكملة الحديث: الطاعة وضدها المعصية]:

أقول: المراد بالطاعة: الخضوع والانقياد لله ورسوله ﷺ وأولي الأمر ﷺ، فطاعتهم طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)، وطاعة أولي الأمر طاعة رسوله ﷺ، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢)، وقد أمر الله بطاعتهم في غير موضع، لأنهم عباد مكرمون، أبوابه ونوابه على عباده، وخزائنه العظمى وآيته الكبرى، ومراتب الطاعة متفاوت، وكذا العصيان. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْخُضُوعُ وَضِدُّهُ التَّطَاوُلُ».

[شرح تكملة الحديث: الخضوع وضده التطاول]:

أقول: المراد بالخضوع هنا التواضع لمن هو أعلى منك علماً وعملاً، فإن الخضوع له خضوع لله، وقد رفعه الله فوق قدرك فلا تتطاول على أهل العلم والورع بالشره والغلبة، كيف وحقيقة العزّ والعظمة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فمن كان إليه أقرب فهو بها أحق، ومع ذلك فالخضوع من مكارم الأخلاق التي توصل لأعالي الدرجات، لأنه من التواضع. ومرّ لك شرفه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالسَّلَامَةُ وَضِدُّهَا الْبَلَاءُ».

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

[شرح تكملة الحديث: السلامة وضدها البلاء]:

أقول: في مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة من كلام الصادق عليه السلام، قال عليه السلام «اطلب السَّلامة أينما كنت، في أي حال كنت لدينك وقلبك وعواقب أمورك في الله، فليس من طلبها وجدها، فكيف من تعرَّض للبلاء، وسلك مسالك ضدَّ السَّلامة، وخالف أصولها، بل رأى السَّلامة تلفاً، والتلف سلامة، والسَّلامة قد عزَّت في الخلق في كُلِّ عصر، خاصَّة في هذا الزَّمان، وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلق وأذيتهم، والصَّبر عند الرِّزايا وخفة الموت، والفرار من أشياء [التي] تلزمك رعايتها، والقناعة بالأقل من الميسور، فإن لم تكن فالعزلة، فإن لم تقدر فالصَّمت وليس كالعزلة، فإن لم تستطع فالكلام بما ينفعك ولا يضرُّك، وليس كالصَّمت، فإن لم تجد السَّبيل إليه فالانقلاب والسَّفر من بلد إلى بلد، وطرح النَّفس بوادي التَّلف بسرِّ صاف، وقلب خاشع، وبدن صابر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(١)، وانتهر نعيم عباد الله الصالحين، ولا تنافس الأشكال ولا تنازع الأضداد، ومن قال لك: أنا، فقل: أنت. ولا تدع من شيئاً وإن أحاط به علمك وتحققت به معرفتك، ولا تكشف سرَّك إلا على أشرف منك في الدِّين، فتجد المشرف، وإذا فعلت ذلك أصبت السَّلامة، وبقيت مع الله بلا علاقة»^(٢) انتهى.

[رأي الشارح في البلاء]:

وقد وقع للشارحين هنا كلام سترسمعه بعد ذكر ما ظهر لي وهو: إن

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) مصباح الشريعة: ١٠٩، الباب الواحد والخمسون في السلامة.

جميع التكاليف ابتلاء واختبار ليميز الخبيث من الطيب، ويظهر المطيع من العاصي عياناً.

وكذا أنواع المصائب والعلل والأمراض، فمن تلقاها بالقبول والرضا بما قضى أو عمل بما أمر وأمضى فازَّ وسلم وإلا هلك: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(١)، حتّى يظهر بها ما استحق كل بما في قوته، ويتصف بها فعلاً.

وأيضاً البلية تحفة المؤمن، وإن أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم المؤمنون على مراتبهم، والروايات بذلك متواترة معنى في (الكافي)، ولكن إن عمل بمقتضى ما أمر بما ابتلي به واختبر فقد سلم من سوء العاقبة واستراح آجلاً وعاجلاً، وحينئذ كان بلاء حسناً وإلا لزمه مقتضى عمله واستحق ما أظهر من خبثه، وحينئذ فلا اعتراض بأنه كيف يعدّ البلاء من جنود الجهل، وهو من خواص الأنبياء ﷺ، بلاءهم داخل في التحفة لعلوهم.

ووجه آخر وهو: إن نقول: المراد بالبلاء ما كان تخفيفاً للذنوب وعقوبة على فعل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢). ولا شك أنّ سببه من جنود الجهل، لأنّ جزاء المعصية لناشئة منّا والسّلامة منه بالاستقامة وإتيان الطّاعة، لكن لا يشمل هذا الفرد بلاء الدُّنيا فإنه ليس بلاؤهم، كذلك فإنه مكرمة في نفسه ليظهر كمال التوكل والصبر والتفويض، ولتستدل به أمتهم على عدم كونهم أرباباً كسائر الأدلة، ولكونهم عباد مكرمون ومصطفون فلا بدّ من اتصافهم بجميع المكارم، فيدخل ولكمال رافتهم وحسن معاشرتهم وغير ذلك لمقتضى ابتلائهم^(٣) لا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) في النسختين ورده العبارة: لمقتضى لا ابتلائهم.

لنقص فيهم أو كونهم عبرة لغيرهم أو غير ذلك مما يوجب النقص فيهم بوجه.

أمّا قول ملاً محسن في الشرح بعد كلام - ستسمعه - وإن فسّرناهما أو أحدهما بالخلو من الأمراض فبيان يحتاج إلى بسط، لأنه موكل بالأنبياء والأولياء، كما ورد، فكيف يكون من جنود الجهل؟

[قول ملاً محسن الفيض]:

فنقول: (قد دلّ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ﴾ الآية^(١))، على سبب المصائب عن سيئات العبد ومعاصيه الناشئة من جهله، فهو بمقدار جهله وقلة عقله سبب لمعاصيه الموجبة لابتلائه بالبلايا.

وأمّا الأنبياء ﷺ [والأولياء] فبلاؤهم مخصوص بأبدانهم وما يتعلق بحياتهم الدنيوية [فحسب]، دون أرواحهم وما يتعلق بحياتهم الأخروية، وأبدانهم [في] معرض الغفلة والحجاب والبعد عن الله اللازمة للبشرية، فيبتلون في أبدانهم بقدر غفلتهم ولوازم بشريتهم في هذه الدار التي هي [بمنزلة] سجن لهم ليتخلصوا إلى جناب القدس، خالصين مخلصين، و[هذا] لا ينافي عصمتهم، لأنها عن الذنوب والمعاصي لا المباحات المبعدة لهم عن عوالي المراتب الموجبة لابتلائهم بالمصائب ليعودوا إليها، يدلّ على ذلك ما نسب لهم في القرآن مما لا ينبغي، وإن لم تكن معاصي^(٢) انتهى مختصراً.

[تعليق الشارح على قول الفيض]:

فلا يخفى ما فيه، لا في معرض الحجاب والغفلة، لا أنبياءهم بدليل

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) الوافي: ٦٩/١.

إدخالهم في الآية، وإن خصّه بالبدن فهو لا يصلح، كيف ومنشأ جميع الأفاعيل النفس، إذ لا فعل للبدن بدونها، فتلزم الغفلة والحجاب حينئذ لنفوسهم، والعقل والإجماع والنقل المحكم يرده، بل يحيله كما أثبتناه في سائر تحقيقاتنا، وعلى ما فسر به عصمتهم تكون مقيدة لا مطلقة، ثم وكيف يقع منهم المباح ولا تعرض الغفلة لهم بوجه أصلاً، وإن أثبت فبالنسبة لغيرهم، أمّا هم فلا يفعلون إلاّ الراجح، ولو كان مكروهاً ببيانهم فعند فعلهم له لأجل بيان الجواز، وكذا المباح ينقلب بالنسبة لهم راجحاً، بل يكون في حين واجباً. فافهم.

وما نسب لهم في القرآن فليس ذلك معناه وتأويله الحقّ حتّى تستدل به، وقد بيّناه مبسوطاً في مواضع أخر. وترصد فعسى يأتي كلام في بيان الوجه في نسبة المعاصي لهم ﷺ، فإنّ ما قاله وبه قالت جماعة لا يدل على كمال عصمتهم، فإننا ولو قلنا من جهة عملهم وتلبسهم بالمباح فقد عذبنا وعوقبوا عليه ولو في الدنيا خاصة، فمن المؤمنين من يكون عقابه فيها خاصة وآخرته سالمة له وكذا بدنها فالمحذور. والسؤال غير مندفع، وعرق الشبهة بعد ثابت، ولا يقلعه كونه مباحاً بالنسبة لمن دونهم وعدم عقابه عليه، كيف وهو ﷺ بنفسه يقول بتفاوت درجات التكليف والمكلفين، فأسقط كلامه ولا تعرج عليه ومن سبقه إليه واقتضاء أثره فيه.

وربما يومي إلى الوجه الأول كلام الصادق ﷺ السابق، فإنما حسن وكان تحفة لخواصهم، فالأقرب لشدة سلامتهم وصبرهم عليه وإلاّ فهو عذاب وبلاء جزاء لهم ولعدم قبولهم ورضاهم والصبر.

أو نقول كما أنّ البلاء حسن ومن جنود العقل فكذا السلامة منه به لوجوب، والتسليم حسب الإمكان، فلو حل البلاء فقد يكون متمّيه قبل غير قائم بوظائفه وقابل له، وإن كان حال الوقوع يجب التسليم والرضا به أيضاً إلاّ أنه قبل لا يتمنى بسبب عدم الرضا بحاله السلامة، فإن الله لا يعمل

بعباده إلّا الأصلح، فبهذا الاعتبار عُذّ البلاء من جنود الجهل لا مطلق، وهذا أحد وجوه الجمع بين ما ورد عنهم عليه السلام من الدعاء حال معاينة الجنازة، مما يدل على عدم حبّ الموت، مع ما ورد: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه»، ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه»^(١)، وقال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

[قول ملا ربيع]:

وقال ملا ربيع: السّلامة: (هي البراءة من البلايا، وهي العيوب والآفات. والعاقل يتخلّص منها حيث يعرفها، ويعرف طريق التخلّص، والجاهل يختارها ويقع فيها من حيث لا يدري)^(٣).

[قول ملا صالح]:

واختار محمد صالح: (إن المراد بالسّلامة السّلامة من إيذاء المسلمين والابتلاء له...، أو السّلامة من الأمراض النفسانيّة والآراء [الفاصلة] والعقائد الباطلة مثل الكفر [والكبر] والحقد والحسد والنفاق وغيرها، والابتلاء بها.

فإنّ الأوّل من جنود العقل [وأنصاره] لكونه من شعب العدالة [الواقعة في حاق الوسط]، والثاني من جنود الجهل لكونه من فروع الجور الواقع في طرف الإفراط والتفريط)^(٤) انتهى.

والثاني لا يخرج عن وجه ملا ربيع، والأوّل بعيد، خلاف الظاهر.

(١) الكافي: ٣٥٤/٥، باب ١٣ ما يعاين المؤمن والكافر من كتاب الجنائز، حديث رقم (١٢/٤٣٢٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤، وسورة الجمعة، الآية: ٦.

(٣) الحاشية على أصول الكافي: ٦٤/١.

(٤) شرح أصول الكافي: ٢٤٨/١.

[قول ملا محسن الفيض]:

وقال ملا محسن في الشرح: ويأتي أيضاً. «والعافية وضدّها البلاء»، وربما يفرق بينهما [بأن] بجعل البلاء الذي هو ضد السّلامة بمعنى الامتحان والاختيار، ويكون بالخير والشرّ، والبلاء الذي هو ضد العافية، بمعنى البلوى والبلىة.

وربما يخصّ متعلق أحدهما بما يكون العبد سبباً له كالفسوق والعادات الرديّة والأخرى بما يكون من جهته سبحانه كالأمراض والعلل، أو [يخصّ] أحدهما بالنفس^(١) والآخر بالجسد، أو [يخصّ] أحدهما بالنفس والآخر بما يخرج عنها كالأهل والمال والولد.

أما تفسيرها^(٢) بسلامة الناس منه، و[تفسير] العافية بسلامته منهم^(٣)، فالبلاء المقابل لها بابتلائه والسلامة بابتلائه بهم فبعيد جداً، وإن كانا لازمين لأكثر معانيهما^(٤) انتهى.

وستسمع كلام في العافية والبلاء إن شاء الله تعالى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحُبُّ وَضِدُّهُ الْبُغْضُ».

[شرح تكملة الحديث: الحب وضده البغض]:

أقول: الحبّ (بالضمّ والكسر)، والمحبة ميل القلب.

واعلم أن من خصال العقل وجنوده المحبة، وهي لا تحصل إلّا بعد

(١) في المصدر: بالروح.

(٢) تفسير السلامة.

(٣) أي الناس.

(٤) الوافي: ٦٩/١.

التَّرقِي درجات، لأنها من أعلى المقامات، فلا بدّ من سبق الزَّهد والنَّظر، ومن نظر اعتبر، ومن اعتبر خبر، ومن خبر صبر، ومن صبر ذكر. ومن ثمرات المحبة الأنس والشوق وكمال المعرفة، بل لو فكَّرت لرأيت نور المحبة وشعاعها منبث في جميع مراتب الوجود، فلا يخلو مقام منها، ولا مقدّمة من مقدماتها، فليس الزَّهد إلّا فرار من مكروه إلى محبوب، وكذا الرِّضا والتَّسليم وغيره، فكلها محبة، تختلف اسماً بحسب متعلقها.

فحقيقة الحبّ ترجع إلى نيل الشيء الملذ والتخلُّق به، فلا بدّ من معرفته، إمّا بالحواس الظاهرة أو الباطنة، وكلما كانت المعرفة به أشدّ وأحقّ، وتأصله في الوجود أوثق، فالمحبة له والتلذذ به أشدّ وأقوى وأبقى.

[حقيقة الحب]:

وبديهة أنّ ميل الطَّبع وشغف القلب به أشدّ وأولى، ولما كان الله تعالى وتقدّس أقوى الأشياء وجوداً، وأعمّها ظهوراً ودلالة، ففي دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «تعرفت في كل شيء فما جهلك شيء»، وقال: «تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء»، فأنت الظاهر لكل شيء^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَشْيْءُ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ^(٢)﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ^(٣)﴾، إلى غير ذلك، فيكون حبه أقوى الأشياء وأوثقها، وكيف لا يحبّ، والنفس في طلب الاستكمال، والخروج من القوّة إلى الفعل، وطالما سألتُهُ الأولياء حصولها، وكم تلذذوا بلذّيها في المناجاة، وأثبتها الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ^(٤)﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ^(٥)﴾.

(١) بحار الأنوار: ١٤٢/٦٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٨، والآية: ٦١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

وعن النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله ﷺ أحبَّ إليه مما سواهما»^(١).

وفي دعاء كميل: «فهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر على فراقك»، وفي دعاء الحسين عليه السلام السابق: «أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلتجئوا إلى غيرك»، وقال: «يا من أذاق أحباءه حلاوة الموانسة فقاموا بين يديه متملقين»، وفي المناجاة الإنجيلية المنسوبة للسجاد عليه السلام: «وعزتك! لقد أحببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها، وأنست نفسي ببشارتها، ومحال في عدل قبضتك أن تسد أسباب رحمتك عن معتقدي محبتك»، وفي مناجاته الأخرى: «إلهي فاجعلنا من الذين توشحت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم»، وقال: «[إلهي]! من ذا الذي ذاق [حلاوة] محبتك فرام بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا، إلهي فاجعلني ممن اصطفيته لقربك وولائتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقاءك».

وبالجملة فسؤالهم المحبة والتوفيق لها، فإنها من أسنى المقامات طافحة به أدعيتهم ومناجاتهم، ومصرح به في القرآن، غير أنه يحتاج إلى كشف لما فيه من الغموض.

فاعلم أنه لا لذة أقوى من معرفة الله، ومعرفته بما تعرف لخلقه بخلقه، فمن نظر في إتقان صنعه ودلالته غيباً وشهادة نظره من حيث كونه صفة ودليلاً واحداً بعد أن تخلق بالأخلاق الحسنة.

بل نقول: ما أشرنا له مستجمع لها، ولا شك أنه لا لذة وأنس مثل ذلك، فيتساوى عنده الضر واليسر وغير ذلك، وذلك يستلزم معرفة محمد وآله عليه السلام بالنورانية، لأنهم مقام المحبة، المقتضية لكمال الاتصال، لأنها

(١) المحبة في الكتاب والسنة: ١٣٦، حديث رقم (٦١٠).

اقتضاء الذات للخلق، أي ظهورها به، فإذا وصلت لمقام النظر بهذه الحيثية فقد وصلت لمقام المحبة، والناس فيه متفاضلون، وليس معنى المحبة والالتذاذ به الإحاطة بذاته، أو المشاهدة الإحاطية لها، فإن ذلك محال، لا يقول به نبي ولا مثاله، وإن أوهمت بعض العبائر فذلك محال، والمشاهدة له بكشف الحجب، والنظر لها بتلك الجهة، وهي حقائق الإيمان المشار لها في الرواية غير مختص بالآخرة دون الدنيا ولا بفردي دون آخر، بل ذلك عام والناس فيها متفاضلون حسب شدة المعرفة وضعفها، كما ستعرفها في باب الصفات من الجزء الثالث، ويدل على ذلك رواية أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، كما رواه الصدوق في التوحيد، وغيرها أيضاً، وحيث عمّت الدلالة تحققت المحبوبة وتفاضلت، وهي المسماة بالموودة، وظهر لك كما مر أن هذه محبة الله أيضاً، حيث إن الحب له، وكمال الظهور من كماله، بل منظمس فيه، ولذا أمر الله بحب أوليائه وجعل فيهم حبه، وحبه حبه، لأنهم محل حبه، بل هو مقامها لأنهم الواسطة، ولأنهم المقام الذي نظر فيه لذاته، ورضي عنه، واستخلصه لنفسه، فنظر لنا به، لأنهم عينه الناطرة ورحمته العامة، ويده الجامعة الدافعة.

وفي (المصباح) عن الصادق عليه السلام: «حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله، والمحب أخلص الناس سرّاً لله وأصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً وأعبداهم نفساً، تتباهى به الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، ويكرامته يكرم الله عباده ويعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلاء برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزله لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: حب الله نور^(١) لا يمر بشيء إلا احترق، ونور

(١) في المصدر: نار.

الله لا يطلع على شيء إلا أضاء، وسماء الله ما ظهر من تحته شيء إلا غطاه، وريح الله ما تهب في شيء إلا حركته، وماء الله يحيى به كل شيء، وأرض الله ينبت منها كل شيء، فمن أحب الله أعطاه الله كل شيء من الملك والملك.

قال النبي ﷺ: إذا أحب الله عبداً من أمتي قذف في قلوب أصفياه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبةً ليحبه، فذلك المحب حقاً، طوبى له، ثم طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة^(١) انتهى.

تحصيل وإفادة:

مقام المحبة يرجع إلى معرفته بنفسه ومعناه ودونها إلى مقام الدليل الآتي، وقد بسطنا الكلام في الجزء الثالث، وليس المحبة مشاهدة الذات كما هي من غير اعتبار تقييدي، بل لا بد من مشاهدته في مقام الولاية المطلقة الذي هو محل صفاته، ولذا نسب فعله له في قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾^(٢)، وغيرها كما في توحيد الصفات، وسيأتيك، فحبه حبه ولا يعدوه غيره لتقييده دونه، فهو مقام انمحاق جميع المقامات البشرية، وجمع الجمع، ومقام الجمع، والأحكام في الخلق لا الحق تعالى، فليس ثم الذات أحدية مقدسة عن التقييد والإطلاق والتعين الأول الذي يصحّ معه الحكم بالمحبة أو غيرها هو الولي، وهو صفة الظاهرية، لأنه ليس بواجب ودال بذاته، وكذا افتقاره، ولم يذكر عند ذكر الظاهر إشارة للاختصاص والانمحاق، كما دلت عليه الرواية السابقة، فقل: محبتي.

وفي آخر أشار تصريحاً بقوله: محبة الرسول محبتي، فظهر تفاوت الناس في المجد لتفاوتهم في المعرفة، ومعرفة الولي شرط في كل درجة، واستبان

(١) مصباح الشريعة: ١٩٢، الباب الثاني والتسعون في حب الله.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

لزوم مثل الشوق والطلب، والأنس والرضا وغيرها لها، إذا عرفت ذلك ظهر لك معنى البغض لله وفي الله.

تنبيه:

قد حكم [ال] بعض بترادف المحبة مع المودة، والعداوة مع البغض، وإن بغض وقع زائداً من قلم النسخ، وعلى ما بيناه فلا ترادف. ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(١)، والعطف يقتضي المغايرة.

ومنهم: من خصص المودة بميل ظاهر القلب، والحب بميله مع باطنه، قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^(٢) فالمحبة أعظم أو بأن المودة والعداوة من الأمور القلبية والكيفيات النفسانية مع قطع النظر عن ظهور آثارهم من الجوارح والمحبة والبغض [من] هذه الأمور والكيفيات مع [اعتبار] ظهور آثارهما منها. كذا في شرح محمد صالح^(٣)، وكلامه الأخير عكس كلام ملاً محسن السابق نقله في المودة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصُّدُقُ وَضِدُّهُ الْكَذِبُ».

[شرح تكملة الحديث: الصدق وضده الكذب]:

أقول: في (المصباح)، قال الصادق عليه السلام: «الصُّدُقُ نور غير متشعشع إلا في عالمه، كالشمس يستضيء بها كل شيء بمعناه من غير نقصان يقع على معناه، والصادق حقاً هو الذي يصدق كل كاذب، بحقيقة صدق ما لديه،

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٠.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٤٩/١.

وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه أو ضده مثل آدم ﷺ صدق إبليس في كذبه حين أقسم له كاذباً لعدم ماهية الكذب في آدم ﷺ.

قال عز وجل: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(١)، ولأن إبليس أبدع شيئاً، كان أول من [سن] أبدعه، وهو غير معهود ظاهراً وباطناً، فخير هو بكذبه على معنى لم تنتفع به من صدق آدم ﷺ على بقاء الأبد، وأفاد آدم ﷺ بتصديقه كذبه بشهادة الملائكة^(٢) ينفي عزمه عما يضاد عهده في الحقيقة على معنى لم ينتقص من اصطفاؤه بكذبه شيئاً، فالصدق صفة الصادقين^(٣)، وحقيقة الصدق تقتضي تزكية الله لعبده، كما ذكر عن صدق عيسى ﷺ في القيامة بسبب ما أشار إليه من صدقه براءة الصادقين من رجال أمة محمد ﷺ، فقال الله عز وجل: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ الآية^(٤).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: الصدق سيف الله في أرضه وسمائه، أينما هوى به يقدّه، فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد^(٥) معنك بغور دعواك، [وغيرهما] بقسطاس من الله كأنك في القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾^(٦)، فإذا اعتدل معنك بدعواك ثبت لك الصدق، وأدنى حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثّل النازع روحه إن لم ينزع فماذا يصنع^(٧) انتهى.

وفي (الكافي) عن أبي عبد الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا بالصدق

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) في المصدر: بشهادة الله عز وجل له.

(٣) في المصدر: الصادق.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٥) في المصدر: صدق.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٧) مصباح الشريعة: ٣٤، الباب الخامس عشر في الصدق.

[الحديث] وأداء الأمانة^(١)، وعنه عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهَجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ، وَلَكِنْ اخْتَبَرُوهُ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»^(٢)، وعنه عليه السلام في آخر مثله، والأحاديث في الصَّدَقِ مدحاً والأمر به كثيرة، وكذا الآيات.

ومعلوم قبحه آجلاً وعاجلاً لما يستلزم من خلف الوعد وعدم الوثاقة في نقل الحديث أو غيره، لكن قد تحصل موانع بخبره لمغلوبيّة أو ارتكاب أقلّ القبحين وذلك لا يخرجّه عن القبح أصلاً، أو نقول: أحكام الأفعال صفات لاحقة غير ذاتية، كالذاتي في اصطلاح أهل المنطق في بسط هذه المسألة، موكل لهذا الموضع.

فائدة في [الصدق دلالة على وجود معصوم في كل عصر]:

لَمَّا كَانَ كَمَالُ الصَّدَقِ يَقْتَضِي الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ كَمَالَهُ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُ خِلَافُ الْوَاقِعِ أَصْلًا وَلَوْ سَهْوًا، وَهُوَ أَصْلُ الْعَصْمَةِ، أَمَرَ اللَّهُ بِالْكَوْنِ مَعَ الصَّادِقِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣)، غَيْرَ مُقَيَّدِ الْكَوْنِ وَلَا الصَّدَقِ بِصِفَةٍ أَوْ حَالٍ، وَلَمَّا اسْتَمَرَّ خُطَابُ الْقُرْآنِ وَعَمَّ كُلَّ جِيلٍ، حَتَّى الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا نُسَخَ فَيَنْتَقِلُ الْحُكْمُ لِلنَّاسِخِ، وَلَمْ تُنْسَخْ هَذِهِ الْآيَةُ بِإِجْمَاعِ الْفَرِيقَيْنِ، وَجِبَ دَلَالَتُهَا عَلَى وَجُودِ مَعْصُومٍ فِي كُلِّ عَصْرِ ظَاهِرٌ أَثَرُهُ، وَتَسْدِيدُهُ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّهِ وَشِيعَتِهِ، وَإِنْ غَابَ شَخْصُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُهُ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ وَلِيَ اللَّهُ الْمُؤَيَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ.

[وهو] خلاف أهل اللسان في معنى صدق الخبر، هل هو ما وافق الاعتقاد أو الواقع أو هما مشهور^(٤)، وتحقيقه إلى موضعه موكل، وقيل ما

(١) الكافي: ٢٦٩/٣، باب ٥١ الصدق وأداء الأمانة، حديث رقم (١/١٧٦٩).

(٢) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (٢/١٧٧٠).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٤) في النسختين: مشهور.

وافق العقل الفعال، لكن ذلك إنما يجري في أخبار الممكن، أما الواجب فكونه صادقاً مطابقة نفس الأمر له بل خبره نفس الأمر، والمراد به ما هو أعم من الواقع الزماني والدّهري، فالخارج مطابق له لا بالعكس.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحَقُّ وَضِدُّهُ الْبَاطِلُ».

[شرح تكملة الحديث: الحق وضده الباطل]:

أقول: في (المصباح)، عن الصادق عليه السلام: «اتقِ الله وكن حيث شئت ومن أي قوم شئت، فإنه لا خلاف لأحد في التقوى، والتقى محبوب عند كل فريق، وفيه اجتماع كل خير ورشد، وهو ميزان كل علم وحكمة، وأساس كل طاعة مقبولة، والتقوى ماء ينفجر من عين المعرفة بالله يحتاج إليه كل فرد^(١) من العالم، وهو لا يحتاج إلّا إلى تصحيح المعرفة بالخمود تحت هبة الله وسلطانه، ومزيد التقوى يكون من أصل اطلاع الله على سر العبد بلطفه، فهذا أصل كل حق».

وأما الباطل: فهو ما يقطعك عن الله تعالى، متفق عليه [أيضاً] كل فريق فاجتنب عنه، وأفرد شرك الله تعالى بلا علاقة.

قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد، حيث يقول: ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فألزم ما اجتمع عليه أهل الصفاء والتقى [والتقوى] من [أصول] الدين وحقائق اليقين، والرضا والتسليم، ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك، وقد أجمعت الأمة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء، وأنه عدل في حكمه ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يقال له في شيء

(١) في المصدر: فن.

في صنعته لم ولا كان، ولا يكون شيء إلا بمشيئة [وإرادة]، وأنه قادر على ما يشاء، وصادق في وعده ووعيده، وإن القرآن كلامه، وإنه كان قبل الكون والمكان والزمان، وإن أحداث الكون والفناء عنده سواء ما ازداد بأحداثه علماً، ولا ينقص بفنائه ملكه، عزّ سلطانه، وجلّ سبحانه.

فمن أورد عليك ما ينقض هذا الأصل فلا تقبله، وجرّد باطنك لذلك ترى بركاته عن قريب، وتفوز مع الفائزين^(١) انتهى.

فالمراد بالحق اعتقاد ما هو حق من الأصول والصدق السابق الأخبار بالحق والوفاء به قولاً وغيره، فالفرق بينهما ظاهر، فالحق دين الله والباطل خلافه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْأَمَانَةُ وَضِدُّهَا الْخِيَانَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الأمانة وضدها الخيانة]:

أقول: الأمانة رعاية ما ائتمنت عليه من تأدية مال الغير ورعايته، بل أداء كلّ حق لمستحقه، وتدخل الأمانة في أفعال الجوارح كلها، ولذا جمعت في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٢)، وأعظمها أمانة عهد الولاية، فيجب التسليم والإقرار لكل نبي، وكذا خلفائه من بعده، ولا يجوز التّراس عليهم فإنها خيانة، ولعظمها أبتن السماوات والأرض عن حملها، وادّعائها، وإنما أقرّوا تسليماً لوليّها، وحملها الإنسان^(٣) الظالم؛ لشدة ظلمه وعتوه وجهله المركب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الآية^(٤).

(١) مصباح الشريعة: ٥٩، الباب السادس والعشرون في بيان الحق والباطل.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

فورد تفسيرها بالولاية، وبالتكاليف أيضاً ولا منافاة، لأنها ظاهرها، كما أنه يصح تفسيرها بالأمانة الظاهرية ولا منافاة بين التفسيرين إلا بالظهور والبطون. فالقرآن كما أنه ذو بطون لا تنافي بينها في نفس الأمر والدلالة.

وورد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١) بأخذ العهد على كل إمام أن يدفع إلى الإمام الذي بعده^(٢)، ما معه من الحكم وأمر الولاية، والمواريث الخاصة وعظيم الأمانة، والحث عليها، وعلو ثمرتها ظاهر اعتباراً ونصاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْإِخْلَاصُ وَضِدُّهُ الشُّوبُ».

[شرح تكملة الحديث: الإخلاص وضده الشوب]:

أقول: قال الصادق عليه السلام: «الإخلاص بجميع فواضل الأعمال، وهو معنى مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهذا المخلص، وإن قلَّ عمله، ومن لم يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثّر عمله، اعتبر بآدم وإبليس، وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع إصابة [علم] كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه، وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والأعمال، والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، وإذا فات ذلك فات الكل، وهو تصفيته معاني التنزيه في التوحيد، كما قال الأول: هلك العاملون إلا العابدون، وهلك العابدون إلا العالمون، وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٩٦، باب ٤ في الإمام الذي يؤدي إلى الإمام الذي يكون من بعده، حديث رقم (٧ و ٨).

المتقون^(١)، وهلك المتقون^(٢) إلا الموقنون، وإن الموقنين لفي خطر عظيم^(٣).

قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٤)، وأدنى [حد] الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله مقدراً فيوجب به على ربه مكافأة بعمله لعلمه^(٥) أنه لو طال به بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة^(٦) انتهى.

وفي نسخة علل الشرائع: «وَضِدُّهُ الشَّرْكُ»^(٧)، ومعناها هنا واحد، وقد أمر الله بالإخلاص في غير موضع، فقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ﴾^(٨)، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٩)، فكل عبادة تكون لغير الله فهي لغيره، فلا تقبل منه.

وكذا من شرك في عبادته غيره مما تنافي جهته تعالى، ومنه العمل للرياء والسمعة، فهي مردودة، كيف ولا شريك له، فالعامل كذلك مثبت له، فلا عبادة لله تعالى.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، في قول الله: ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^(١٠)، قال: «خالصاً مخلصاً، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»^(١١).

(١) في المصدر: المخلصون.

(٢) في المصدر: المخلصون.

(٣) في المصدر: وإن الموقنين لعلی خلق عظیم.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٥) في المصدر: لعلمه بعمله.

(٦) مصباح الشريعة: ٣٦، الباب السادس عشر في الإخلاص.

(٧) علل الشرائع: ١/١٤٠، باب ٩٦ علة الطبايع والشهوات والمجبات، حديث رقم (١٠).

(٨) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٩) سورة البينة، الآية: ٥.

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(١١) الكافي: ٣/٤٤، باب ١١ الإخلاص، حديث رقم (١/١٤٨٢).

وفي نسخة البرقي: «خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما هو الله والشيطان، والحق والباطل، والهدى والضلال، والرشد والغى، والعاجلة والعاقبة، والحسنات السيئات، فما كان من حسنات فلله، وما كان من السيئات فللشيطان»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَّنَ أَنْ اللَّهَ يَقْلِبَ سَلِيمًا﴾^(٤)، [قال]: «القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه»، قال: «وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»^(٥)، ومثل ذلك موجود في النص، فاستبان أن الفعل الخالص المأمور به ما لم يكن رياء أو شركاً لأنه مناف لجهته تعالى وابتغاء وجهه، فلو ضم في العبادة مثلاً قصد الثواب أو الفرار من العقاب فغير مناف للإخلاص، بل تقع صحيحة لتفاوت الناس في المعرفة، وللتغيب والترهيب بذلك كثير، الدال على بعث ذلك العامل على العمل، ولقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾^(٦)، ولو جعلاً حالاً فإنه يقتضي كونهم متصفين بهذه الصفة، فقد حصلت الضميمة.

(١) المحاسن: ٢٥١، باب ٣٠ الإخلاص، حديث رقم (٢٦٩).

(٢) المحاسن، المصدر السابق، حديث رقم (٢٦٨).

(٣) الكافي: ٤٥/٣، باب ١١ الإخلاص من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٣/١٤٨٤).

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

(٥) الكافي: ٤٦/٣، المصدر السابق، حديث رقم (٥/١٤٨٦).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

ولما في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من بلغه ثواب من الله على عمل، فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب، أوتيته وإن لم يكن الحديث كما بلغه»^(١)، فجعل عمله لأجل الالتماس وفرّغ عليه القبول.

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام: «[إنّ] العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تعالى طلب الثواب، فتلك [عبادة] الأجراء، وقوم عبدوا الله حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»^(٢)، فقلّبه عليه السلام: أولاً العبادة ثلاثة، مع قوله في الثالثة: وهي أفضل، نصّ في صحة الثلاث، وإن كانت الثالثة أعلى، وليس هو محطّ البحث.

وقال عليّ عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»، فإنه أخبر عليه السلام عن حاله في العبادة، وإن لم يعبدّه على النهجين الأولين، ولم يحكم ببطلانها، وأين عليّ عليه السلام وعبادته وإخلاصه، فأولي العزم في قصور عنه فضلاً عمّن لا يصلحه إلّا الغنى وإلّا فسدت دنياه وآخرته، أو لا يصلحه إلّا الفقر، فظهر ضعف دليل قول بعض علمائنا: بمنافاة ضمّ الرّغبة أو الرّغبة للإخلاص وابتغاء وجهه، كيف وقد عرفت المخلص الصّافي من الرّياء وعبادة الأوثان، وهو صادق على المتنازع فيه.

وإن أردت بالإخلاص غير ذلك بما يخرجّه فلا دليل يدلّ عليه، بل هو قائم على العكس، وهو ظاهر اعتباراً لمن عرف التفاوت في درجة التّكاليف، والعقل الذي يتفاوت بحسب المدافعة في الحساب فكثير من النّاس لا يعرفون منه إلّا أنّه المرجو المخوف فيبعثهم ذلك على العمل، ومع

(١) الكافي: ٢٢٥/٣، باب ٤٦ من بلغه ثواب من الله على عمل من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢/١٦٨٩).

(٢) الكافي: ٢١٦/٣، باب ٤٢ العبادة من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٥/١٦٧٢).

ذلك فالعبادة المأتي بها كذلك لا توجب الوثوق به خلاف ما عند الله، بل ذلك جميع العبادات تشترك فيه.

ولقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في (رسالة النية). فمن أراد الوقوف عليها فليطلبها.

وتسابقوا للخيرات، وتنافسوا في الدرجات. نعم، لو فرض أن عابداً لا يخطرُ بباله إلا جنة أو نار فيعبد لها، فهي باطلة، لأنه يعبد مخلوقاً، لكنه فرض غير موجود، ومن تأمل ظاهر الآيات والروايات وجدها ظاهرة في صحة تلك العبادة، والله المستعان وعليه التكلان.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالشَّهَامَةُ وَضِدُّهَا الْبِلَادَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الشهامة وضدها البلادة]:

أقول: الشَّهَامَةُ من توابع القوة العاقلة، وهي: بفتح الشَّين المعجمة، شِدَّةُ الفهم، يقال: شهم الرجل، بالضم، شهامة، فهو شهم أي: ذكي الفؤاد، ولا شك في تحصيل الخير بالذكاء، كما أن البلادة مقرّبة للهلكة، وقبول الشبهة وموجبة الجمود.

ونقل عن الطوسي: إن (الشَّهَامَةَ من أنواع الشَّجَاعَةِ الحاصلة من الاعتدال في القوة الغضبية)^(١)، لكن لا يكون ضدها البلادة، بل هو دليل إرادة جودة العقل وقوته، يقال: شهم، بالضم، شهامة، فهو شهم أي: جلد ذكي الفؤاد.

والمراد بالبلادة هي الثانية، أما بحسب أصل الاتحاد فلا يوصف بها

(١) شرح أصول الكافي: ٢٥٤/١.

فرد، لأن له حينئذ قوة القبول، بل ليس إلا البلادة الثانية المكتسبة، وهي جند الجهل^(١)، فليس هنا بلادتان كما قال محمد صالح.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْفَهْمُ وَضِدُّهُ الْغَبَاوَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الفهم وضده الغباوة]:

أقول: قال الشيخ بهاء الدين: (لعل هذه الفقرة كانت في الأصل بدلاً عن قوله [وَالْفَهْمُ] فيما قبل: «وَالْفَهْمُ وَضِدُّهُ الْحَقُّ» وجمع بينهما النسخ غافلين عن البدلية)، لكن إن أسقط الفهم من أحدهما خاصة، زاد جنود الجهل على العقل، إذ الحق لا يدخل في الغباوة، ولا بالعكس إلا أن يدخل في آخر فمحتمل بعيد، مع أنه يلزمه الاستغناء عن الشّهامة أو مع البلادة، مع عدم الدخول، وفرّق محمد صالح بإمكان كون الفهم هنا الفطنة، وهي جودة تُهيءُ الذهن لاكتساب العلوم.

وبعبارة أخرى هو إدراك المقصود من الخطاب بسهولة، وهو غير المعنى المقصود من الفهم، والحق سابقاً كما أشرنا له قبل^(٢). انتهى.

لكن لا يخفى الفرق في المعنى أيضاً لا العبارة خاصة، وهو قد عرّف الفهم سابقاً بأنه صفة للذهن، هي الانتقال من الملزومات إلى اللازم، بحيث لا يحتاج إلى فضل مكث وتأمل، وقد فسّر الشّهامة بذكاء الفؤاد، وهما متحدان معنى، وكذا مع ما فسّر به الفهم هنا. فتأمل.

[رأي الشارح على ما ذكر حول الفقرة]:

والذي يقوى في نفسي حيث إن العقل له جنود وصفات في جميع

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٥٥/١.

تنزلاته، فالفهم السابق صفة العقل أو النفس، باعتبار حصول القوة العقلية لها المشابهة له أولاً وبه تدرك وتحصل ما طريقه غير الحس، والحمق عدم حصول ذلك، والشَّهامة هو الذكاء للنفس، وشدة انتقالها في كسبها بطريق النظر والانتقال من الملزومات للآوازم، سواء كانت منه أو ملقاة له، والفهم هنا هو الإدراك من جهة القوة العملية، سواء كان استفهامه الغير أو إدراك ما قصد اللفظ من اللفظ.

ولذا قابلها بالغباوة المشوبة بالحمق، والأولان من القسم العلمي، وإن اختلفت بجهة العقل الفعلي أو بالملكة. فتدبر، ولا تكرر بوجه. وظهر الفرق، ويومي للفرق التام تضاد الأضداد.

وملا محسن فسّر الشَّهامة بالجلادة وذكاء الفؤاد، وتوقّده وإعراض عن الفهم والغباوة، وفرّق بين الغباوة والحمق بالجهل البسيط والمركب، فيحتمل إرادته من مقابل الحمق المعرفة؛ لأنّ الجهل المركب هو الإنكار، فتتحد فقرتان، ويكون الفهم المقابل للغباوة بمعنى الجهل البسيط هو العلم، فيتحد مع الأخيرتين، أو إن الفهم واحد وبين الحمق والغباوة فرق والكل ضعيف، وكذا أن أدخلت الفهم في الشَّهامة إذ بضدها تبين الأشياء.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمَعْرِفَةُ وَضِدُّهَا الْإِنْكَارُ».

[شرح تكملة الحديث: المعرفة وضدها الإنكار]:

أقول: التي ضِدُّها الإنكار مقرّها الفؤاد، وهي في المقام الثالث كما مرّ البيان في العلم، وليست بالمراد للعلم الذي ضده الجهل، كما سبق، فالإنكار لا يكون إلّا بعد وضوح الدليل وتركه.

أمّا من لم يقرّ لا كذلك فلا يقال: إنه منكر كذلك إلّا مجازاً، بل هو

مبعثرات

جاهل، وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(١)، فقابلها به حيث أريد من المعرفة المعنى الخاص.

أما هي في قوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فالمراد بها العلم.

وفي المصباح، عن الصادق ﷺ: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع»^(٢) الله وكنز أسرار، ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه وميزان فضله وعدله، قد غني من^(٣) الخلق والمراد الدنيا، ولا مؤنس له سوى الله تعالى، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله، الله من الله، مع الله فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزود، والمعرفة أصل فرع الإيمان^(٤) انتهى.

وليست المعرفة بخاصة بالجزئي أو بالعلم المسبوق بالجهل كما اشتهر على لسان بعض، ولا دليل يدل عليه لا نقلاً ولا عقلاً، بل هما على العكس؛ لورود الله عالم، والإنكار ضدها من حيث هي، فهو يكون بعدها عن شك وغفلة ولا يتحقق قبلها إذ الإنكار قبل التعريف.

قال ملاً محسن في الشرح: (ربما يفرق بينها وبين العلم بأنها إدراك الجزئيات، وهو إدراك الكلّيات، أو هي إدراك البسائط وهو إدراك المركبات، أو هي الإدراك التصوري وهو لإدراك التصديقي، أو هي إدراك الشيء ثانياً وتصديقه بأن هذا ذاك الذي قد أدركه أولاً، وكأنه المراد هاهنا، لأن الإنكار لا يصلح أن يكون ضدّاً إلا لمثل هذا المعنى)^(٥) انتهى.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.

(٢) في المصدر: وقائع.

(٣) في المصدر: عن.

(٤) مصباح الشريعة: ١٩١، الباب الواحد والتسعون في المعرفة.

(٥) الوافي: ٧١/١.

واختلف في تفسير المعرفة على حسب هذه الأقوال.
وقوله أخيراً: (لأن الإنكار...) إلخ. فيه نظر الظاهر.
ومما بيّناه فجميع ذلك ضعيف، وهي العلم بالشيء بحسب الطاقة البشرية، وهي ما بلغت الفؤاد، فكل معرفة علم ولا عكس.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمُدَارَةُ وَضِدُّهَا الْمُكَاشَفَةُ».

[شرح تكملة الحديث: المدارة وضدها المكاشفة]:

أقول: من أقوى الأسباب الموجبة لبقاء النوع وحسن المعاشرة مع العامة المداراة، فإنها نوع من التقية؛ لعدم بلوغها حدّ الوجوب في الأعمال مطلقاً، حتّى الواجب سواء ما استثنى، وفي (الكافي)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله^(١): ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل»^(٢)، بل قد يكون وصلة للدّخول في الدين، وعنه عليه السلام، قال، «قال رسول الله ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش»^(٣) الحديث، والأحاديث في ذلك كثيرة، كيف والناس حينئذ في هدنة حتّى يظهر صاحب السيف به.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَسَلَامَةُ الْعَيْبِ وَضِدُّهَا الْمُمَّاكِرَةُ».

(١) في المصدر: له عمل.

(٢) الكافي: ٣/٣٠٢، باب ٥٧ المداراة من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٨٤١).

(٣) الكافي: ٣/٣٠٥، المصدر السابق، حديث رقم (٥/١٨٤٥).

[شرح تكملة الحديث: سلامة الغيب وضدها المماكرة]:

أقول: قال محمد صالح: (الغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في نفسه، وكان المراد به هنا القلب أو رجل غائب، والمكر^(١) الاحتيال والخديعة، والمقصود أن سلامة القلب وخلوصه من الغش والاحتيال والخدعة في المعاملة مع الإخوان والمعاشرة مع الخلان وغيرهم، أو سلامة كل من غاب من صفات العاقل؛ لصفاء طينته وخلوص عقيدته، وعلمه بأن المؤمنين كنفس واحدة، فلا يرضى لهم إلا ما يرضى لنفسه، وبأن المكر بهم مكرٌ بنفسه حقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٢)، بخلاف الجاهل فلانغماسه في الجهالة [فإنه لكدر طينته وفساد عقيدته] يستعمل المكر [منهجاً] لمطالبه، وهو غافل عن [سوء] مآله عاجلاً وآجلاً^(٣) انتهى.

[تعليق الشارح على كلام ملا محمد صالح]:

إلا أنه بعيد في المحاوراة، إرادة القلب من الغيب، وبالسَّلامة صفاته من تلك المعدودة.

نعم، يتم هذا الوجه على نسخة (المحاسن) فهي «وسلامة القلب»^(٤) وضدّها المماكرة.

وقوله: (أو سلامة كل من غاب) إلخ. يفهم من قوله: قبل أو رجل غائب، فإنه يشمل فرد وهو معناه، بل الظاهر أن المراد به حفظ غيبة الغير، بل تكون غيبة لحضوره، فلا تغتابه، وضدّها المماكرة، بأن تتلقاه ببشرى ثم

(١) في المصدر: المنكر.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٥٧/١.

(٤) في المحاسن: «وسلامة الغيب وضدها المماكرة».

إذا غاب شخصه اغتبهه، فلا تحفظ غيبته. ويفهم هذا أيضاً من ظاهر عبارة ملاً محسن^(١)، وملاً رفيع^(٢)، وملاً خليل^(٣)، ولم يذكروا غيره.

ويؤيده عدم عد الغيبة في عداد الخصال إلا التزاماً أو ضمناً، وهي من أعظم الأمور، وقل من يقوم عليها.

وورد التحذير عنها والتّوعد في غير رواية عنهم عليهم السلام، وفسّر به قوله تعالى: ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٤)، وكيف لا تحفظ غيبة المؤمن والسبب في حرمة الإيمان، وهو لم يغيب ويدخل في غيبته عدم النسيمة وإفشاء سرّه وغير ذلك، ولكن لم يرد هنا بدليل ذكرها بعد، ولكن كلّ صفة من الخصال تجر لغيرها ويلزمها كثير، وستعرف وجهه، إن شاء الله.

والغيبة: أن تذكر أخاك بما يكره، وإن كان فيه وإلا فهو بهتان، وتقع باللسان والإشارة وسائر الأركان. وغير خفي أن الغيبة تجر لعدم الألفة والمحبة، وإلقاء العداوة، وتجر لإرادة المدهان والحسد وغيرها. ولقد أكثر العلماء في التصنيف فيها، كالشهيد زين الدين وغيره.

[مواضع إباحة الغيبة]:

وقد استثنى العلماء تبعاً للنصّ تصريحاً أو مفهوماً مواضع تباح الغيبة، وفي الحقيقة لا غيبة فيها، وإنما المقصود الاستعانة أو إقامة الحسنة أو غير ذلك، وقد أنهوها إلى عشرة: التّظلم. والاستعانة على تغيير المنكر. والاستفتاء، كأن يقال: ظلمني فلان، فما الطريق. ونصح المستشير.

(١) الوافي: ٧١/١.

(٢) الحاشية على أصول الكافي: ٦٥/١.

(٣) الشافي في شرح الكافي: ٢٤٩/١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

والجرح والتعديل. واستحقاق المقول فيه ذلك، وفي هذا الكلام، وأن يكون الرجل معروفاً باسم كالأعرج مثلاً ولا يعرف إلا به، فصار كالاسم اللازم، ولا مضاضة على صاحبه، وفي الرواة كثير. وشهادة البيّنة بزنا أو غيره عند الحكم. قال: وإذا علم اثنان من رجل معصية شاهداها فأجراها أحدهما عند الآخر، والأولى تنزيه النفس واللسان. وقيل: إذا سمع أحد مغتاباً لآخر^(١) وهو يعلم استحقاق المقول فيه عند الغيبة ولا عدمه، قيل: لا يجب النهي لإمكان استحقاقه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْكَتْمَانُ وَضِدُّهُ الْإِفْشَاءُ».

[شرح تكملة الحديث: الكتمان وضده الإفشاء]:

أقول: غير خفي وجوب حفظ ما يطلع عليه من المؤمن؛ لأنه أخوك، وله حرمة، فلا تفضحه، بل استره، وكذا سرّه، فليس جزاء من ائتمنك وجعلك كنفسه في سرّه وخاصة الخاصة أن تجازيه بالإذاعة، وعدم الإحسان والإضاعة مع دلالة ذلك على ضعف النفس، لعدم التّحمل والصّبر، ويوجب لك أيضاً السّقوط عند النّاس، وعدم المبالاة بك، لما كان صفتك الإفشاء.

والكتمان والإفشاء داخلان في التقية والإذاعة الآتين. ويدخل في الكتمان وجوب ستر العلم عن غير أهله، وكذا الحكمة، فيلزم الإضرار بهم وبك وبها، وقد حذر الشّارع عن ذلك في غير موضع، حتّى أنّه ما حلّ بمثل المعلا بن خنيس وغيره إلا من الإذاعة.

وقوة الكتمان يدل على زيادة اليقين والطمأنينة وانسراح النّفس.

(١) ساقطة من نسخة (ب).

وفي (التهذيب)^(١) و(الكافي)^(٢) وغيرهما، عن عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام: قال: «قلت له: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم. قلت: يعني سفلية؟ قال: ليس حيث تذهب، إنما هو إذاعة سرّه»، وفي أخرى: و«إنما هو أن تروي عليه أو تعيبه»، ولا تتوهم من كلام الإمام عليه السلام عدم إرادة سفلية من العورة، لكن لكلامهم عليه السلام ظاهر وباطن وتأويل، وابن سنان ظن اختصاصها بهما، فقال له عليه السلام: «ليس حيث تذهب» إلخ. أو المراد بها هنا ذلك، فلا تدع سرّاً، ولا تفش أمراً تراه منه، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية^(٤).

وقال الصادق عليه السلام لعَمَّار: أخبرت بسرّي أحداً؟ فقال: لا، إلا سليمان بن خالد، فقال: أحسنت، أما سمعت قول الشاعر:

فلا يعدون سرّي وسرك ثالثاً ألا كل سرّ جاوز اثنين شائع^(٥)

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصَّلَاةُ وَضِدَّهَا الْإِضَاعَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الصلاة وضدها الإضاعة]:

أقول: ليس المراد بالصلاة هنا مطلق الدعاء لذكره فيما يأتي، بل المراد بها الصلاة المخصوص منها، فالتحفظ عليها والقيام بوظائفها القلبية

(١) تهذيب الأحكام: ٢٢/١، باب ١٨ دخول الحمام وآدابه وسننه، حديث رقم (١١).

(٢) الكافي: ٨٦/٤، باب ١٤٩ الرواية على المؤمن من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢/٢٧٦٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة النور، الآية: ١٩.

(٥) الكافي: ٥٦٦/٣، باب ٩٨ الكتمان من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٩/٢٢٧٢).

والقلبية دليل قوة العقل وقوده لجندي الشهوة والغضب، فقد حثَّ الله عليها في غير آية، وكذا رسوله ﷺ، ووصفها من جهة المحافظة القلبية، وتذكيرها بالمقامات العلية، ورفعها عن الحضور السفلية، فقال: ﴿إِنَّ الصَّكْلَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٢)، ومحل الخشوع القلب، وقال ﷺ: «المصلي مناجي ربه»، فليس المقصود من التكاليف للشارع الإتيان بالصورة الظاهرية ودون المراعاة القلبية، والمناجاة الغيبية، وإلا لم تكن التكاليف مكملة للنفس ومزكية لها، ومخرجتها من القوة للفعلية، ولكانت عبثاً، بل التكاليف رياضة للنفوس ومصعدة لها عن العالم المنكوس، حتى تستقر للمأنوس، ألا تنظر إلى مثل الزنادقة لمَّا لم ينظروا للأعمال إلا من جهة الظاهرية، والحركات العرضية، وأعرضوا عن جهتها الروحية، وما به تُحيى الحياة السرمديّة، ذهبوا للاعتراض على الحجاج في الحج وغيرهم، أو لا علموا أن حشر كل جسد على روحه وما لا روح له أصلاً لا حشر لها.

والتكاليف الشرعية إذا كانت كذلك لا حشر لها، كعبادة المخالف، إذ لا روح لها أصلاً؛ لعدمهم بالولاية التي هي أصل الدين، وروح الأعمال، وسرّ اليقين، قال تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا﴾^(٣)، ﴿وَجُودٌ يَوْمَ خَشِيعَةٍ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ الآية^(٤)، وكان للغرفة نشر ومتفاوتون على قدر إخلاص كل ومقصده في عمله، وهم درجات.

[بعض أسرار العبادات]:

ولقد بين الشارع سرّ العبادات، وأجزاء الصلوات، وصنّف فيه العلماء،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ و ٢.

(٣) سورة، العنكبوت، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة الغاشية، الآيتان: ٢ و ٣.

غير أنني أذكر لك جملة مختصرة لتراعيها في أعمالك، وتذكرك بما قصد منك، فإنه لا يقبل منها إلا ما أقبلت عليه بقلبك، فويل للذي سهى عن صلواته وأعرضت نفسه عما يتكلم به، وإنما جعلت الثوابل ليتم بها الفرائض.

وروي: إن الصلاة إذا قبلت قبل ما سواها؛ وإذا رُدَّت رُدَّ ما سواها، وعنهم عليه السلام: «من قبلت منه صلاة لم يعذبه أبداً»^(١)، وعمدة الصلاة يدور على حضور القلب حال العبادة، بأن لا تشغله بأمور الدنيا، وما ينظره الحسن الظاهري ليتفهم لما يلفظه لسانه فتشرق على نفسه الشبهات القدسية، والخواطر الروحانية، وليكن عمله خالصاً ولو بأول درجاته، فهو روح العمل، والصلاة أفضل الأعمال بعد المعرفة كما روي.

ولعظم خطرها ذُكرت في الجنود عموماً وخصوصاً، وتوقف قبول غيرها على قبولها، فهي العماد والركن الأعظم، وتشتمل على جميع أنواع عبادات الملائكة وغيرهم، وقبولها قسمان:

[القسم الأول] قبول مطابق لواقع التكليف، مسقط للقضاء ومجز، وهو ما إذا وقعت الصلاة على الهيئة المعروفة مقرونة بالشروط، من الطهارة والستر، والاستقبال والوقت وغيرها مع التمكن، وهو قيد للجميع، حتى الطهارة على المختار من صلاة فاقد الطهورين.

[القسم الثاني] وقبول حقيقي مقبولة، وهو ما كانت كذلك بإقبال.

وبينهما فرق، ومن لم يفرق كما نقل عن المرتضى، لعلّة إرادة القبول الظاهري وإلا فهو ضعيف.

ويدخل في إقامة الصلاة إتمام ركوعها وسجودها والمحافظة على حدودها، بحيث لا يشغله شيء عن إقامتها، والإقبال عليها، فلا يقبل منها

(١) وسائل الشيعة: ٢٢/٣.

إلا ما أقبلت عليه بقلبك، ولذا جعلت النوافل متممة لها، بل نوافل كُلِّ فرض متمم لفرضه، كالصيام والزكاة ونحوهما، والصَّلاة في نفس الأمر الولاية.

وورد تفسيرها بها في حديث سلمان وغيره، وهو لا ينافي إرادة الظاهر منها، بل الكل مراد، وهي الروح والأُس لكل عمل خير، فهو أخص الأعمال وأشمل لخدمة الملك المتعال، ولذا كانت عمود الدين، وركن الإيمان والإسلام.

وكما أنَّ إقامة ولايته ﷺ صعب مستصعب، كذا قيام الصَّلاة صعب مستصعب، وكما أنَّ الولاية التي باطن الوجود وعلته والولاية المطلقة لا يقيمها بتمامها وكمالها إلا محمد ﷺ، والثلاثة عشر ﷺ وما لغيرهم مطلق ففرع منها ونوع منها، كذلك الصَّلاة لا يقيمها مطلق بتمامها وكمالها بمعنى الوصلة والصلة والاتصال إلا الإمام ﷺ، فالصَّلاة ولاية ظاهرة، والولاية صلاة باطنه، والإمام ﷺ هو الحامل لأسرار الباطنة والمتحمل لأعباء الباطنة، وما لغيره فمن أشعة ذلك، كما أن الذَّوات كذلك وشمول الصَّلاة لهما، وكذا إقامة الصَّلاة، إمَّا من باب عموم المجاز أو من باب الحقيقة بعد الحقيقة، فإن الولاية اقتضت إقامة الأعمال والأفعال والاعتقادات وجميع المستحبات، بل هي هي في مقامها، فالولاية المطلقة تشمل الكل، ومن هذا يظهر لك صعوبة الولاية، وكانت الصَّلاة أقرب الأعمال إلى الله، والمصلي فيها مناجي ربه بأنواع الرُّبوبيَّة إذ لا مربوب، لأنَّ الولاية المطلقة هي الخلق على ما هي عليه في وجوده التكويني والتشريعي، فلا يتحرك متحرك أو يسكن بقول أو عمل خير أو شر إلا باقتضاء الولاية من حيث القبول والمعونة أو الإنكار، والتخلية والولي هو المدبر لكل والقائم، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو السَّائق والذَّائد كما روي، وظاهر الصَّلاة بصفاتها وكيفياتها وحدودها يدل على ذلك، وعلى جميع حالات الوجود، بدءاً وعوداً، كما تضمَّنَّت الولاية جميع مراتب الكون.

[معرفة أمير المؤمنين بالنورانية]:

وفي حديث معرفة علي عليه السلام بالنورانية، قال عليه السلام: «يا سلمان ويا جندب، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتُونُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١)».

يقول: ما أمروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو دين الحنفية المحمدية السمحة، وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فمن أقام ولايتي [فقد] أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو [عبد] مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

لأن الملك إذا لم يكن مقرباً لا يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلأ لم يحتمله، [والمؤمن إذا لم يكن ممتحنأ لم يحتمله]، قلت: يا أمير المؤمنين [من] المؤمن وما نهايته [وما حد] حتى أعرفه؟ قال عليه السلام: يا أبا عبد الله. قلت: لبيك، يا أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا [إليه] شيئاً إلا شرح صدره [لقبوله] ولم يشك، ولم يرتب.

اعلم يا أباذر، أنا عبد الله وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عز وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون.

قال سلمان: قلت: يا أخا رسول الله ومن أقام ولايتك أقام الصلاة^(٢)؟ قال عليه السلام: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْعَيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) في المصدر: ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(١)، [فالصبر رسول الله ﷺ والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، ولم يقل: وإنهما لكبيرة لأن الولاية حملها إلا على الخاشعين]، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون^(٢) الحديث.

والصلاة مشتقة من الصلة، وهي مددهم بمددك الغيبي والظاهري الذي لا تعادله، أو من الوصل، أي صلهم بك لفعلهم كفعلك، فلذا وصلهم وجعل طاعته طاعتهم، وكذا محبته وغضبه ورضاه ومتابعته، وحديث قرب النوافل وغيره يدل على ذلك، وسيأتي بيانه في مجلد السادس، وغيره.

أو من الوصلة، وهي السبب، يعني صل بينك وبينهم بسبب لطفك ورحمتك، وكلّ جميع المعاني يمكن إرادتها في الصلاة ومتحققة، وجميعه متحقق فيهم ﷺ على أتم وجه وأكملة، وما لغيرهم فمن فاضلهم ولو بوسط.

والصلاة من المؤمنين الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٣)، أي: ادعُ لهم وصل عليهم، بمعنى دعا لهم، لا صلى عليهم خاصة.

فلا يرد الإشكال المشهور: من أن صلى بمعنى دعا، والمعداه بعلى تستعمل في المكروه، ومن الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار لشيعة المؤمنين، وهم ﷺ أقاموا الصلاة بكمالها، بحيث لا يمكن أن يكون في الكون أكمل منه غيرهم بمعانيها الثلاثة، فهم معانيه، أي صفات أفعاله الحادثة، فهم الرحمة العامة التي بها رحم المؤمنين، وكتبها عليهم، وبمقتضى العدل والرحمة التي وسعت كل شيء بالنسبة لغيرهم، فكل ثناء

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ١/٢٦، باب نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية وفيه، ذكر جميل من فضائلهم ﷺ.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

بهم وفيهم ولهم، فهم تراجمة رحمته في تبليغ الكون والشرائع وإقامتها لكمالها بمعانيها الثلاثة، هي الولاية المطلقة.

تنبيه توضيحي :

به يتضح علو قدر الصلّاة على سائر الأعمال، وإنها الأفضل بعد المعرفة، كما روي، وجمعها للنشأتين، وجمعُ كمالها الإخلاص فيها، بأن لا تنظر فيها لغير الله، فتخلص من شرك العبادة، فينظر للأعلى بما نطق به، وهو مقام ظهور الظاهر في الدلالة في خامس المراتب الجامعة.

والشُّركُ شرك عبادة، بمعنى نظره لغير الله كثير، فمن يكون تارة مقبلاً وتارة مدبراً فهو مقارب، والمعرض دائماً مدبر وإن أتى بظاهر الصلّاة ظاهراً كما عرفت، وبهذا التّوحيد يحصل الخضوع والخشوع في العبادات وغيرها، وصورة الإنسان في الأصل على هيئة الفطرة، بل هي هي، وهي هيئة الصلّاة بحسب أصل الوضع، وهي هيئة الولاية التي هي مجمع الخشوع والنشأت، وإذا قُبِلت قُبِل ما سواها، وكانت عمود الدّين كما روي.

والنّية روح العمل، وما يقصد به التقرب وانقياد الرقية، وهي بدء الإنسان بحسب ظهوره التّكويني من المشيئة الإمكانية، ولذا قُرنت بالتّكبير استشعاراً للعظمة والكبرياء، وكانت سبباً طبق مراتب الإنسان وأسبابه والحجب.

وبتكبيرة الإحرام يحرم على المصلّي ما كان مباحاً له من مثير من الأفعال، وقيامه وتوجّهه بخدمته إلى جهة، وفعل مخصوص من مرضاته، وأتى في الأوليتين بالحمد فإنها جامعة وسرّ القرآن في الفاتحة، وهي أصل الصلّاة وأتى فيها بالحمد، وهي سبع مثاني أيضاً، وثنّيت في الركعة الثانية؛ لظهور ثنية السّبعة وهم الأربعة عشر، اسمه الجواد ووجهه ويده، واسمه الوهاب وشُفعت بالسّورة للتّفضيل في مقام آخر.

مبعثرات

وفي الركوع خضوع وخشوع وذلة، وأتى فيه بالذكر؛ لبيان اضمحلال الغير وبطلانها ونسيانها، وهو مقام تنزيهه فناسب التسبيح، ومقام القلم وروح القدس الذاكر، يقول: سُبُّوحٌ قَدُّوسٌ، وكرّر ثلاثاً للتثليث في أصل الكون، ورجوع العوالم إلى ثلاثة بحسب الأصول، وتعدّد عدد الصلوات والركعات لتعدّد العوالم عدداً، باعتبارات وجهات ما بها، يفوز الإنسان ويطير به من السفليات إلى أوج الكمالات.

والسجود مقام الفناء وأقرب ما يكون فيه العبد، ومحو الأغيار في غلبة ظهور نور الحقّ بما ظهر له به، وكأنّ السجود على أعضاء سبعة لمحو الأغيار السبعة، وإماتة سبعة الأبواب وسدّها كذلك، ذلك بتكرار السجود، وللإشارة إلى الوجود من العدم، ثم العود، ثم الرجوع، ثم الخروج.

وفي النصّ: إن رسول الله ﷺ ازداد ركعتين، زيادة في حفظ الأولتين وتأكيدها لمّا برزت في عالم الكون المادي التفصيلي، وترك الفجر، لأن ملائكة الليل تكتبه وملائكة النهار كما روي، وزيد المغرب واحدة لضيق الوقت، والإقرار لها سفيراً.

والتشهّد مقام الإقرار والسؤال والتسليم لهم فيما عرف وجهل والتفويض لهم، ولذا أظهر فيه الصوت.

وكان أوّل من أقام بحقيقة الصلّة محمّد وآله ﷺ في عالم الغيب، مقام الوصول والوصال لمّا أمر بالدنو من صاد والوضوء منه؛ لصلاة الظّهر، فاستقل بها ظاهر القلب والقلب من القذورات وجميع المنافيات.

ولو أخذنا في تفصيل ما اشتملت عليه من الأسرار غيباً وشهادة لاحتيج إلى مجلد ضخم، لأن مقامها ما عرفت.

وكذا جامعيتها، وهي صورة الولاية الجامعة للمقامات الظاهرة والغيبيّة، ولذا كان أشدّ ما يحتاج إليه الإقبال والإخلاص فيها، فإنّه روحها، فلا يشتغل بغيره ويدخل فيها في سلك الملائكة الروحانية، فيتذكر المواقف

الروحانية، ويجتنب المهلكات الرديّة، لنصّ: ﴿إِنَّ الصَّكْلَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، وغيرها، وعلى التفهيم والتعظيم، والهيبة والرجاء، والحياء والتفهيم، ينتج من الاستحضار والناس في التدبّر لمعنى اللفظ متفاوتون، والمهابة والخوف ينتجان من المعرفة، والرجاء لازم حسن الظنّ بالله من جهة تقديم العمل؛ لكمال رحمته وجوده، كما إن الحياء من جهة قصور العامل عن تأدية ما يلزمه من تعظيم الله، وهو المذكر لعيوب النفس وآفاتهما، مع العلم باطلاع الله على السرائر وما تكنّه الضمائر.

والسبب الموجب لإغفال ذلك حال العبادة وعدم مراعاة النفس له، هو اشتغالها بالحفظ الذنويّة، وغلبة الخواطر الرديّة، إمّا من خارج أو داخل، فاجتهد في القطع شيئاً فشيئاً، وأوّله قطع العلائق الخارجيّة، مجمع الحواس، ثم ترجع إلى ردّ النفس عن جموحها بقصر فكر على اللفظ، وعلاج هذا أشدّ من الأوّل بكثير وليتذكّر موقف الآخرة.

ومن هذا الأصل يتبيّن لك تفاصيل كلّ جزء من العبادة.

وتكرّر الرّكعات؛ ليتقوّى التفهيم، فلعله أهمل أو لم يتوكّد مع تعدّد النشأة، واقتصر على ما في مصباح الشريعة من كلام الرضا عليه السلام^(٢)، وسرّ الطهارة يأتيك إن شاء الله.

[الخروج من المنزل]:

قال عليه السلام: «إذا خرجت من منزلك فاخرج خروج من لا يعود، فلا يكن خروجك إلّا لطاعة أو سبب من أسباب الدين، والزم السكينة والوقار، واذكر الله سرّاً وجهراً... إلى أن قال: واحمده واشكره [على ما جنبك من الشهوات وعصمك من قبيح أفعال المجرمين]، وغضّ بصرك عن الشهوات

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) هكذا ورد في النسختين والصواب، من كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ومواضع النهي، واقصد في مشيك، وراقب الله في كل خطوة^(١) كأنك على الصراط [جائز]، ولا تكن لفاتاً، وافش بأهلكه^(٢).

[الدخول للمسجد]:

إلى أن قال: «إذا دخلت^(٣) باب المسجد، فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً لا يطاء بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن لمجالسته إلا الصديقين، وهب القدوم إلى بساط خدمة الملك هيبة الملك، فإنك على خطر عظيم إن غفلت.

واعلم أنه قادر على ما يشاء من الفضل والعدل معك وبك، وإن عطف عليك بفضله ورحمته، قبل منك يسير الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك باستحقاق الصدق والإخلاص عدلاً بك، حجبك ورد طاعتك، وإن كثرت، وهو فعّال لما يريد، واعترف بعجزك وتقصيرك [وانكسارك] وفقرك بين يديه، فإنك قد توجهت للعبادة والمؤانسة به، فاعرض أسرارك عليه، ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلاانيتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك، فإنه لا يقبل إلا الأظهر والإخلاص، وانظر من أي: ديوان يخرج اسمك، فإن دقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطبته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجاباته، فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الأذن والأمان، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل، وقصر عنه الأمل، وقضي الأجل.

فإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرحمة والرفقة والعطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريم يُحبُّ الكرامة لعباده المضطرين إليه والمحترقين على بابهِ لطلب مرضاته.

(١) في المصدر: في كل خطوة.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٦، الباب الحادي عشر في الخروج من المنزل.

(٣) في المصدر: بلغت.

قال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١) ﴿٢﴾.

[استقبال القبلة]:

«وإذا استقبلت^(٣) القبلة فأيس من الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، واستفرغ^(٤) قلبك عن كُلِّ شاغل يشغلك عن الله، وعاین لسرك^(٥) عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه.

[قال تعالى]: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾^(٦)، وقف على قدم الخوف والرجاء، فإذا كبرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه، فإن الله إذا أطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة التكبيرة، قال: يا كاذب^(٧) أتخدعني؟!، وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ولأحجبك عن قربي والاستنارة^(٨) بمناجاتي.

واعلم أنه [تعالى] غير محتاج إلى خدمتك، وهو غني [عنك و] عن عبادتك ودعائك، [وإنما دعاك] بفضل له ليرحمك ويبعدك عن عقوبته، وينشر عليك من بركات حنانيته، ويهديك إلى سبيل رضاه، ويفتح عليك باب مغفرته، فلو خلق الله عز وجل ضعف ما خلق من العوالم أضعافاً مضاعفة على سرمد الأبد لكان عنده سواء، أكفروا بأجمعهم أو وحدوه، فليس له

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٢) مصباح الشريعة: ١٣٠، الباب الواحد والستون في دخول المسجد.

(٣) في المصدر: إذا استقبل.

(٤) في المصدر: وفرغ.

(٥) في المصدر: بسرك.

(٦) سورة يونس، الآية: ٣٠.

(٧) في المصدر: يا كذاب.

(٨) في المصدر: والمسرة.

من عبادة الخلق إلّا إظهار الكرم والقدرة، فاجعل الحياء رداءً والعجز إزاراً، وأدخل تحت ستر^(١) سلطان الله تغنم فوائده ربوبيته، مستعيناً به ومستغنياً إليه^(٢).

[قراءة القرآن الكريم]:

وقال ﷺ: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينش حزناً ووجلاً في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيهاً.

فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، [قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣)، وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليتين^(٤) استأنست روحه وسره بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم لقبول^(٥) كراماته، وبدائع إشاراته، وإذا شرب كأساً من هذا الشرب^(٦) حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك، ومنشأ^(٧) ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه، وكيف تتمثل حدوده، فإنه كتاب

(١) في المصدر: سرير.

(٢) مصباح الشريعة: ٨٧، الباب التاسع والثلاثون في افتتاح الصلاة.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٤) في المصدر: خضوع القلب وفراغ البدن.

(٥) في المصدر: بفنون.

(٦) في المصدر: المشرب.

(٧) في المصدر: ومنشود.

عزيز: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١)، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعنده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن يقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده^(٢).

[الركوع]:

وقال عليه السلام: «لا يركع عبد^(٣) ركوعاً على الحقيقة إلا زينّه الله بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفياه^(٤)، والركوع أول والسجود ثانٍ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع آداب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاشع^(٥) لله، بقلبه متذلّل، دخل^(٦) تحت سلطانه حافظ^(٧) له بجوارحه، خائف حزين على ما يفوته من فائدة الركعتين^(٨)»^(٩)، ثم قال:

[السجود]:

«ما خسر^(١٠) من أتى بحقيقة السجود ولو في العمر مرة، وما أفلح من خلا برّه في تلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافل لا وعماً أعد الله للساجدين من السّتر^(١١) العاجل، وراحة الأجل، ولا بعد عن الله أبداً، من

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٨، الباب الثاني عشر في قراءة القرآن.

(٣) في المصدر: عبد الله.

(٤) في المصدر: صفاته.

(٥) في المصدر: خاضع.

(٦) في المصدر: وجل.

(٧) في المصدر: خافض.

(٨) في المصدر: فوائد الراكعين.

(٩) مصباح الشريعة: ٨٩، الباب الأربعين في الركوع.

(١٠) في المصدر: ما خسروا الله تعالى.

(١١) في المصدر: من البشر.

أحسن تقربيه في السجود ولا قرب إليه أبداً، من أساء أدبه وضيع حرمة بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع لله ذليل، علم أنه خلق من تراب يطأه الخلق، وأنه اتخذك من نطفة يستقذرها كل أحد [وكون ولم يكن]، وقد جعل معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح، فمن قرب منه بعد من غيره، ولا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والإحجاب عن جميع ما ترى العين، وكذا [أمر] الباطن فمن تعلق قلبه [في صلاته] بغيره فهو قريب منه، بعيد عنه، قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(١) «(٢)».

فاحذر أن تكون من المستهزئين.

[التشهد]:

ثم قال ﷺ: «التشهد ثناء على الله، فكن عبداً له في السر، [خاشعاً] خاضعاً له في الفعل، كما أنك عبد له بالقول والدعوى، وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرك، فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تحقق عبوديتك له ببروبيته لك، وتعلم أن نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظ إلا بقدرته ومشئته، وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء من مملكته إلا بإذنه وإرادته، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣)، فكن لله عبداً ذاكراً بالقول والدعوى، وصن صدق لسانك بصفاء سرك، فإنه خلقك، فعز وجل أن تكون إرادة ومشئته لأحد إلا بسابق إرادته ومشئته، فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته، وبالعبادة في أداء أوامره، وقد أمرك بالصلاة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) مصباح الشريعة: ٩١، الباب الواحد والأربعون في السجود.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٨.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

على نبيه محمد ﷺ، فأوصل صلواته بصلواته، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته، وانظر إلى أن لا تفوتك بركات معرفة حرمة فتحرم عن فائدة صلواته، وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك، إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب، وتعلم جليل مرتبته عند الله عز وجل^(١).

[السلام]:

ثم قال: «معنى السلام^(٢) في دبر كل صلاة الأمان، أي من أذى^(٣) أمر الله وسنة نبيه ﷺ خاضعاً [له] خاشعاً منه^(٤)، فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب النار^(٥)».

والسلام من أسمائه تعالى، أودعه [في] خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات، والاتصاقات وتصديق مصاحبتهم [ومجالستهم] فيما بينهم^(٦) الحديث.

فتأمل في بعض ذلك مع ما ترى في التشهد من كمال الإقرار لله ورسوله ﷺ توفية للعهد، كأنك تقر لمحمد ﷺ، ثم بعد تسليم تسليمك عليه مع ما ترى من الإشارة إلى الإحياء ثم الإمامة، ثم الإحياء في السجدين. ففرغ قلبك ولا تشغله في مناجاتك لربك، فتسهي عن صلواتك، فإنه لا يقبل منها إلا ما أقبلت عليه بقلبك، فحافظ على الصلاة ظاهراً وباطناً، فهي العمود والعماد. والكلام في التفصيل طويل، وفيما حصل كفاية، وسيأتيك باقي العبادات.

(١) مصباح الشريعة: ٩٣، الباب الثاني والأربعون في التشهد.

(٢) في المصدر: التسليم.

(٣) في المصدر: أتى.

(٤) في المصدر: فيه.

(٥) في المصدر: الآخرة.

(٦) مصباح الشريعة: ٩٥، الباب الثالث والأربعون في السلام.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالصَّوْمُ وَضِدُّهُ الْإِفْطَارُ».

[شرح تكملة الحديث: الصوم وضده الإفطار]:

أقول: غير خفي شرف الصوم، وأنه من أفضل العبادات، كيف وبه يحصل التشبه بالملائكة المستغنين بالتسبيح، المنسلخين من القوتين، وبه يحصل ضعف الشهوة والغضب اللذين هما سبب الشرور المهلكة، ولذا ورد إن: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»^(١)، والصائم في عبادة وإن كان نائماً ما لم يغترب مؤمناً^(٢). وورد: «إِنَّ اللَّهَ يَطْعَمُ الصَّائِمَ فِي مَنَامِهِ»^(٣) وأمر الشبان بالصوم، حيث إنه وجاء الشهوة، غير أنه يجب أن يعرف أنه ليس غاية الشارع من الصوم عدم الأكل والشرب، ومقاساه الجوع والعطش خاصة، وإلا لما شرط فيه النية الخالصة كسائر العبادات. ولما قال الشارع: إِذَا صُمْتَ، فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ^(٤)، ويدك ورجلك، ولا يكون يوم صومك كفطرك، ولا حصل التشبه بالملائكة، وحديث الجارية مشهور، حتّى ورد أنه من اغتاب مسلماً بطل صومه، وإن لم يرد به البطلان الموجب للقضاء، بل بمعنى عدم القبول وحصول الثواب به، فصوم الخواصّ ضمّ صوم الجوارح للصوم الظاهريّ، مع اشتغالها بالأذكار، والرتبة الثالثة ذلك مع حفظ النفس عن الخطرات، وبذل زيادة المجهود في العبادات مدى الساعات.

(١) الكافي: ٦٨/٣، باب ١٣ دعائم الإسلام من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١٥٠٤/١٥).

(٢) الكافي: ٣٧٤/٧، باب ١ ما جاء في فضل الصوم والصائم من كتاب الصيام، حديث رقم (٩/٢٦٢٦٠). من لا يحضره الفقيه: ٢٣٤/٢، باب فضل الصيام، حديث رقم (١٧٧٣).

(٣) الكافي: ٣٧٧/٧، المصدر السابق، حديث رقم (١٤/٦٢٦٥)، من لا يحضره الفقيه: ١/١٨٧، باب كراهية النوم بعد الغداة. حديث رقم (١٤٤٨).

(٤) الكافي: ٤٣٦/٧، باب ١١ أدب الصائم من كتاب الصيام، حديث رقم (١/١٦٣٢٠).

ولا تكن همتك في الإفطار ملاً البطن، فتحرم لذيق مناجاة الأسحار، وأين قمع الشهوتين إذا تدارك وزاد من الطعام على ما فاته في نهار الصيام، بل ذلك موجب للكره له، فليس فرحته عند الإفطار كما ورد لذلك، بل لبلوغه الغاية وتهجده بالأسحار، وما يفاض على الصائمين القائمين في الليالي من العطاء وحظ الآصار.

وفي المصباح، قال الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: الصوم جنة» أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صُمت فانور بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمة عن خطوات الشيطان، فانزل نفسك منزلة المرضى، لا تشتهي طعاماً ولا شراباً، متوقفاً في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب، وطهر باطنك من كل [كذب و] كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله، قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، فالصوم يميت سواد النفس وشهوة الطبع^(١)، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح، وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وجعل الالتجاء إلى الله وسبب انكسار الهم وتخفيف الحساب، وتضعيف الحسنات، وفيه من الفوائد ما لا يحصى، وكفى بما ذكرناه [منه] منبه لمن عقل ووفق لاستعماله^(٢) انتهى.

فاستيقظ أيها الرّاقد، ولا تكن همتك متى أقبل الشهر جمع المطاعم، كأنك متوقع ضرراً تستدفعه به، وتوجه شهوتك للأكل، إلا أن يكون لمؤنته التفرغ للعبادة، ويبعد عمّا يقرب للغو، فنعمما هي، فقد استبان لك أن الإفطار مراتب، سبب مراتب الصوم، كما أن الإضاعة للصلاة كذلك.

(١) في المصدر: الطمع.

(٢) مصباح الشريعة: ١٣٥، الباب الثالث والستون في الصوم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْجِهَادُ وَضِدُّهُ النُّكُولُ».

[شرح تكملة الحديث: الجهاد وضده النكول]:

أقول: في المصباح، عن الصادق عليه السلام: «طوبى لعبد جاهد الله نفسه وهواه، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله، ومن جاوز عقله نفسه الأمانة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله، فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله من النفس والهوى، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله، والخشوع والجوع والظمأ بالنهار، والسهر بالليل، فإن مات صاحبه مات شهيداً، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وإذا رأيت مجتهداً بلغ منك في الاجتهاد، فوبخ نفسك ولمها وعيها تحثيثاً على الازدياد عليه، واجعل لها زمماً من الأمر وعناناً من النهي، وسقها كالرابط الغارة الذي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها إلا وقد صحح أولها وآخرها.

وكان رسول الله ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً، أراد أن تعتبر به أمته، فلا يغفلوا عن الاجتهاد والتعب والريضة بحال، ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله، ورأيت بركاتها، واستضأت بنورها، لم تصبر عنها ساعة واحدة، ولو قطعت إرباً إرباً، فما أعرض من أعرض عنها إلا بحرمان فوائد السلف من العصمة والتوفيق^(٢).

واعلم، رحمك الله، أن الجهاد باب عظيم قد حث الله عليه في غير آية،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) مصباح الشريعة: ١٦٩، الباب الثمانون في الجهاد والريضة.

وكذا رسوله وخلفاؤه عليهم السلام، ولا يقوم الدين ويسلم إلا به، بل لا غنى للإنسان عنه في حالة مدة حياته وإن اختلفت أفراده، ولذا أوجبه الله على كل فرد في الجملة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الآية (١)، ﴿فَتِلْكَ لَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ الآية (٢)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣)، ﴿فَأَقْضُوا الْغُرُوبَ وَجَدْتُمْوهُمْ﴾، إلى: ﴿مَرَصِدٍ﴾ (٤)، ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ الآية (٦)، وقال عليه السلام لسرية بعثنا للجهاد ثم رجعت: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليكم الجهاد الأكبر، فقالوا يا رسول الله ﷺ: وأي جهاد أكبر من السيف، قال: نعم، جهاد نفسك التي بين جنبيك» (٧).

ومعلوم أنه أعظم لترصد الشيطان للإنسان وتوجهه بخيله ورجله وجميع جنده، وإتيانه له من بين يديه ومن خلفه، وعن اليمين والشمال، وهو يجري فيه مجرى الدّم من العروق، والمطاردة بين الجندين واقعة في ساحة النفس، خصوصاً في الإخلاص والإقبال الذي هو مدار القبول للأقوال والأفعال، فلا يمكن أن يأتي بطاعة وقتاً ما مالم يطارده ويكسره جنده، مع وجود القوتين في تركيبه، وصلوح الإله لهما، فلذا كان أعظم وأشق وأشد، فيحتاج إلى صبر ومصابرة، وتقوى وسلاح في جميع حالاته، فهو أكبر

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٦) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٧) الكافي (فروع): ٣٧٨/٩، باب ٣ وجوه الجهاد من كتاب الجهاد، حديث رقم (٣/٨٢١٩).

وأكبر، بل لا غنى للجهاد بالسيف عنه ولا نفع له بدونه، وإن كان نفع السيف بالنسبة لبعض أعظم أولاً قصداً للاستسلام به.

فالجهاد، بكسر الجيم، مصدر جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد، ولا عدو للإنسان سوى الشيطان، وبينه الله، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١)، وقد وعد الله النصر لجنده، فقال: ﴿وَإِنْ جُنَدَاكُمْ مِنَ الْغَالِبِينَ﴾^(٢)، ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٣)، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرايَ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤)، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْأَوَّلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾^(٥)، وغير ذلك.

وكيف لا يغلب ويقهر وهو لا تأصل له، بل مجتث، ووجوده عرضاً؛ لتتميم الوجود العقلي الخيري المتأصل، وإمداده بالتخليّة، فحاشا الله أن يريد المعصية ذاتاً، ويرضى بها، ولله المعونة بالتوفيق بالعمل بمقتضى الأسباب والتعلّق بها، وبالإمداد بالملائكة، وهذه هدية ثانوية بمقتضى القبول، والعمل بمقتضى الهداية العامة الأولية، بحسب فطرة الوجود وعموم البيان والتّريغيب والتّرهيب والهداية والإرشاد، ويقابل الخاصّة الخذلان من عدم قبول مقتضى الأولى والعمل بمقتضاها.

وعليك بجهاد نفسك فإنها أعدى عدوك، وزكّها لتفّرح، وتشابه العقل بجهتها العقلية منه.

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

تنبيه :

قد عرفت أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وسمّاه الرسول ﷺ بذلك لما رجعوا من غزوة تبوك ، وقيل في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) ، أي : جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا ، وطاعة لنا ، أو جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا .

وقيل معناه : اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ، ورهبة من عقابنا : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ ، أي : [لنهديهم] السبل الموصلة إلى ثوابنا .
وقيل : لنوفقهم لازدياد الطاعات .

وقيل : جاهدوا في إقامة السُّنة ، لنهديَنَّهُم سبل الجنة^(٢) .
(القمي) : ﴿جَاهِدُوا فِيْنَا﴾ ، أي : صبروا وجاهدوا مع رسول الله ﷺ ؛ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾^(٣) .

وعن مولانا الباقر عليه السلام : هذه الآية لآل محمد ﷺ وأشياعهم^(٤) .
وفي (المعاني) ، عنه عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : «ألا وإني مخصص في القرآن بأسماء ، احذر أن تغلبوا عليها فتضلوا في دينكم ، أنا المحسن ، يقول الله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾»^(٥)»^(٦) .

وورد : أنهم السَّيِّل ، كما في الجامعة وغيرها .
والناس في جهاد النفس متفاوتون ، فهم مراتب ولم يقم بالجهاد حق الإقامة في الجهاد بالسيف ، مع حصول الشروط وزوال الموانع ، وجهاد

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٢) تفسير مجمع البيان : ٣٣/٨ .

(٣) تفسير القمي : ١٥١/٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٦) معاني الأخبار : ٥٩ .

النفس في جميع الأطوار والحركات والسكنات في أنفسهم، وبالنسبة لغيرهم غيرهم ﷺ، فلا يفقدون حيث يريد ولا يجدهم حيث يكره. وجهاد غيرهم من فاضل جهادهم، ويتفاوتون فيه على قدر القرب منهم وحسن التأسي والتبعية، كما بينه محمد ﷺ وبنوه المعصومون ﷺ.

[الرياضات الباطلة]:

أمّا جهاد غيرهم وما يستعملونه من الرياضات فضلال باطل، وقد يظلمون به على بعض الأحكام من باب الاستراق؛ لسرّ المزج بين الدّاعيين، وعدم حصول التمييز، كالذي وضعوه أهل السّيميا والهميا وأهل السّحر، وبعض الأعمال التي يتوقف عليها تسخير ملك أو جنّ أو شيطان ونحو ذلك، ممّا نهى الشّارع عنه، فقد يصلون لبعض مطالبهنّ بتسخير بعض الأرواح الشّيطانية لمطلوبهم أو إظهار مناسبات بين الفلك وبعض العناصر، ومن ذلك ما يستعمله أهل التصوف، وهذه باطلة أيضاً، وإن زعموا أنها لله بخلاف الأولى، فإنهم يستعملونها لمقصودهم ولا يراعون فيها الجانب العلويّ، وقد يراعيه بعض من يدّعي الإسلام، وهي مراعاة باطلة.

والقسم الثاني منهم: من يعمل المعاصي ويقبّحها بعد أن يرتّب له قواعد.

وكذا في الأقوال والأفعال، من ترك العبادة بعد حين ونحوها، كقول الملاً في الاتحاد، والتشبيه والتنزيه ووحدة الوجود وأمثال ذلك، في أحوال المبدأ والمعاد، وكذا الكاشاني وأتباعهم، وهؤلاء متصوفة اعتقاداً لا عملاً، ركنوا إلى قواعد ابن عربي وأمثاله، وحسبوا علماً وحكمة، وأولوا عليها الكتاب والسّنة.

نعم في مسألة العشق والنظر للمردان كان فيها متصوفاً عملاً، كما يدل عليه كلامه في الأسفار في بحث العشق والشوق، وهؤلاء أدت لهم رياضتهم

إلى غير الحق، وإن كان استعملوها لله بزعمهم، كقولهم: علم الله في نفس الأمر تابع للمعلوم، والإرادة قديمة، هي عين العلم، فهي تابعة، وقولهم بالتعيين الذاتي ووحدانية الوجود، فالخلق من حق واجب وأعيان قديمة ما شئت رائحة الوجود، فالممكن إذا جرّده عن الشخصيات فحقيقة الخلق عين الحق، وإن الله ما أوجد إلّا نفسه، وإن مشيئته^(١) أحديّة التعلق، والترديد بحسب ما عليه الممكن في نفسه، وإلّا فليس له في خلقه إلّا شيء واحد، ومآل أهل النار إلى النعيم فيها وإن لم يخرجوا منها، وأن لكلامه معنى قديماً هو عين ذاته إلى غير هذه الأقوال المنكرة لهم في أحوال المبدأ والمعاد، كقولهم: بأن أحوال المعاد موجودة بوجود النفس والحشر في القيامة الكبرى إلى ذات الله وهو الغاية، وسيأتي متفرقاً في المجلدات مع بيان بطلانه، إن شاء الله تعالى.

ولا تلم العامة العمياء فيما سلكوه حينئذ فيما وصفوه من التصوف، يريدون أن يردوا به على الله ورسوله ﷺ ومن تبعهم، واستضاء بهم، وحرف به الكتاب والسنة: ﴿لَا تَعْنَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْنَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)، و: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾^(٣)، وليست الرياضة الحق، وعليها مجاهدة النفس، وهو ما شرعه الرسول ﷺ، وبيّنه من فروضه وآدابه في الأقوال والأفعال، وجميع الحالات، فيأكل ما تشتهيه نفسه من الحلال؛ لأجل القيام بالمفروض والمسنون من غير جوع مشغل أو شبع مثقل، مؤدياً شكر نعمه بالحمد لله على نعمه، وملاحظاً أنه منه تعالى ابتداء منه كرمًا وجوداً، ويجتنب من ذلك ما نهى الله عن كلّ شبهة، أو مباح يؤدي إليهما، أو تميل نفسك إلى شهوات بغير إباحة أو نذب، بل بمجرد الشهوة الحيوانية والعادية.

(١) في النسختين: مشيئة.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

وكذا في الشراب واللباس والمنكح واستعمال الخلوة، كما قاله المعصوم عليه السلام لا كخلوة أهل التصوف والرهبانة، بل تخلي نفسك من كل ما سوى الله، إلا ما كان لله من صلاة وعبادة وذكر وفكر واعتبار، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُهُمْ﴾ (١).

وعنهم عليه السلام: المؤمن: كلامه ذكر، وصمته فكر، ونظره اعتبار، فلا يتكلم إلا بما يعنيه، ويقتصر على أقل المجزي من الدنيا، وصمته فكر فيما يراد منه، وكيف يرضى مولاه فيما يتعلق بأمر العبادة والمعبود والاستعداد للقاء مولاه، وإذا نظر للمخلوق اعتبر في العظمة، وسرعة تصرفه، واختلاف المقادير فيه من الغناء والفقر، والصحة والمرض، والسعادة والشقاوة، والفرح والحزن، والرضا والغضب، والموت والحياة، ويقرأ كتاب الله، يتفكر في أحوال الماضين والباقيين، وما اشتمل عليه.

والحاصل أنه يكون بين الناس كالغريب الذي لا يعرف، وإن كان بين أهله وأقاربه، يجالسهم ويخالطهم، ويطلب الرزق بكسب أو غيره، ويجمل في الطلب، كما قال تعالى: ﴿يَجَالُ لَا لِلَّهِمْ نَجْرَةٌ وَلَا يَنْجِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، الآية (٢)، ويجتهد في طهارته وصلواته، لا بالهوس والوسواس، فإنه من الشيطان من شدة الاعتناء بشأن خدمة الملك جل جلاله بإخلاص النية، والتزام الآداب الإلهية، كأنه بين يدي الله؛ لما يعاين من ظهوره بآثار الصنع، وأحواله وصفاته، وبالصدق معه في جميع المواطن، بحيث لا يفقده حيث يحب ولا يجده حيث يكره، ولا يستحققر صغيرة من طاعة أو معصية، ويدخل في السنن ما هو شرط في الكون الشرعي وكون التكوين، وما زال كذلك حتى يلتحق بالملأ الأعلى ويكون كما قال الله تعالى: «لا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل، حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»^(١) الحديث، وليس هذا قرباً ذاتياً لتعالّي الله عن ذلك، فكل ممكن لا يخرج عن مكانه الإمكانى، وإنّما هو زيادة وقرب إمكانى بما ظهر له من مقام الربوبية إذ مربوب من إمكانه إلى كونه.

ويدخل في المندوبات الطّهارة والصّلاة، والزّكاة والصّوم، والحج والجهاد، واللباس والنّكاح، والطّعام والشّراب، والمعاملة والمصاحبة، والمعاشرة وآداب كل حركة، وسكون وبقظة، كما فُصل في الكتاب والأحاديث، بتصريح أو إشارة، بمفهوم أو غير ذلك، فهذه هي الرّياضة المؤصّلة إلى الحقّ، لا كما قال أهل التصوف والعبادة، وهو الجهاد الأعظم.

قال عليّ عليه السلام: «وخلّق الإنسان ذا نفسٍ ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابّهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد شابّهت السبع الشداد»^(٢)، ولم يقم بها جميعاً إلّا هم عليه السلام، وفي غيرهم بالنسبة الإضافيّة.

وإلى ما ذكرناه يجاهد الإنسان نفسه، وهم عليه السلام جاهدوا في الله حقّ الجهاد، بالنسبة إلى الكافرين والمنافقين، وأنفسهم بالنسبة لها ولغيرهم، لأن الله اختارهم واصطفاهم، وأتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين سواهم، لحقيقة ما هم عليه من الحمل لما حملوه، فوفوا بما عاهدوا الله عليه، وقاموا بحقّ الجهاد كما أمرهم.

تتمّة:

لك أن تجعل الجهاد قسماً:

واحداً: هو مجاهدة النفس، وإن أنفسهم بحسب المتعلّق، وذلك بحسب

(١) عوالي اللالي: ١٠٣/٤، حديث رقم (١٥٢).

(٢) ميزان الحكمة: ٤٩١/١.

الإمكان دون الوقوع أو بحسبه والكون، وهو مجاهدة النفس بحسب الابتداء وإن لم يقع منها خلاف مقتضى العقل، وهي النَّاصِبة لك العداوة.

أما في نفسك فعرفته أو في غيرك بالصد والغواية عن السبيل القويم، وإخراج الناس من الهدى للضلال، وهو إما بالسَّنان وله شروط وأوقات، فقد تحصل قوة الشجاعة والأعوان ويُؤخر، كحال الرسول ﷺ لما رجع عن مكة وصالح مع أنها بعد بدر، ومعه بعض المؤمنين، ووجده كافٍ، ولهم قوة الدفع وإلا قتلوهم قريش وسائر الكفار، وقضية الشعب وغيرها ظاهرة، تنبئ عن حصول قوة الدفع لهم لمن قصدهم بسوء، ووقع مثل ذلك بالأنبياء السابقين، وفعله مثله علي عليه السلام وبنوه المعصومون ﷺ لأسرار سماوية، وأحكام إلهية أبان الله بعضها لرسوله ﷺ في قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَلِيمًا﴾^(١)، وفي قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٢) وغير ذلك، فارضى بما قسم الله وقدر، فهو صالح القضاء والقدر، ولا يفعل بعباده إلا الأصلح الأخطر، فمن سلم سَلِمَ وَغَنِمَ، ومن عارض معانداً تنكَّب الصراط ولجم، أو بالسَّنان والحجة والبرهان، وهو جارٍ إلى يوم القيام، ولكن لا بد لصاحبه من القوة والسلاح للكفاح وإلا فحرام عليه التعرّض له خشية أن يفتتن أو يدخل الشك غيره من ضعفاء الفرقة، وتعلو كلمة الباطل ظاهراً وتخيلاً.

ولذا المعصوم كما أنه قال لهشام بن الحكم مثلك فليكلم الناس، وفي غيره كذلك، ومدح من ردّ كيد ناصب، كما تنبئ عنه أحاديث (الاحتجاج) وغيره، نهى عن الخوض فيه للقاصر، وله وقت أيضاً هو الأمن وظنّ التأثير، أما المعاند فلا يقبل ولو تأتبه بكل آية، كما حكى الله تعالى عنهم

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

في محكم كتابه، وقال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، ويدخل في ذلك إنقاذ الضعيف من شك يرد عليه في دينه.

وإذا عرفت ما يترتب على الجهاد من الفوائد ديناً ودنيا فاعرف ما يترتب على النكول عنه من المهالك، بحسب كل قسم بالضدية، فامثلوا أمره حيث قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية^(٢)، ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّفٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾^(٣)، أفلا يقول أحد ليت حاضر، فجعل أقسامه وأعظم أنواعه بين يديه، فليقل شهواته، وليقتحم لجج غمراته بسابقات غزواته وإرادته.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحَجُّ وَضِدُّهُ نَبْذُ الْمِيثَاقِ».

[شرح تكملة الحديث: الحج وضده الميثاق]:

أقول: قال الصادق عليه السلام: «إذا أردت الحج فجرد قلبك لله من قبل عزمك من كل شاغل وحجاب حاجب، وفر من أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، وودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك، وأصحابك وقوتك، وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، فإن من ادعى رضا الله واعتمد على شيء سواه صيره عليه عدواً ووبالاً؛ ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه، واستعد استعداداً من لا يرجو الرجوع.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٣) سورة الصف، الآية: ١٠.

وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه، وما يجب عليك من الآداب والاحتمال، والصبر والشكر، والشفقة والسخاء، وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخشوع والخضوع، واحرم عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحببك عن طاعته.

ولبّ بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله عزّ وجل في دعوتك له، مستمسكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرولاً هرباً من هواك وتبراً من جميع حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقّه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدّد عهدك عند الله بوحدانيّته، وتقرّب إلى الله، واتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملاء الأعلى بصعودك إلى الجبل، واذهب حنجرة الهوى والطّمع عنك عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدّناءة [الأفعال] الذميمة عند رمي الجمار، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلائه من متابعة مرادك بدخولك الحرم، وزر البيت متحفياً لتعظيم صاحبه ومعرفة بجلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضىً بقسمته، وخضوعاً لعزّته، وودّع ما سواه بطواف الوداع، وصفّ روحك [وسرك] للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصّفا، وكن ذا مروّة من الله تقيّاً عند المروة، واستقم على شرط حجّك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربّك وأوجبته إلى يوم القيامة.

واعلم بأن الله تعالى لم يفترض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطّاعات بالإضافة لنفسه بقوله تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾^(١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

ولا يشرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا للاستعداد، وإشارة الموت والقبر والبعث والقيامة، وفصل بيان السابقة من دخول الجنة أهلها، ودخول النار أهلها، بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الأبواب وأولي النهى^(١) انتهى

فتأمل في أسرار الحج؛ لتظهر لك ثمرته ومزاياه، فقد جعل لك الشارع التكليف على أنحاء ليزكرك بالعقبى، وإن غاية جميع التكاليف ذلك، فإذا أردت الخروج للحج كأنك خارج للقاء الله، ففرغ الأغراض المانعة لك، حسنة كانت أو غيرها، وسر حتى تحرم عن جميع الالتفاتات الجسميّة؛ لتطف نفسك حول عقلك، وتنصّب بنور إجابة ربك أولاً، فتظهر فيه صفة الرجاء والخوف، وحسن الالتجاء، فتلبّي متى صعدت أو هبطت، فإنه أول الحج، كما أجبنا أولاً إبراهيم الخليل عليه السلام في الأصلاب، حتى أمر بأن يؤذن بالحج، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(٢)، إلا فأجاب الكلّ بالتلبية، لكن منهم من أجاب عن تصور وبقين، ومنهم عن كشف ومعرفة، ومنهم عن تبع وتسليم، ومنهم عن دهشة مع إضممار العصيان، فاختلفت الدرجات.

لكن روي أنه من أجاب مرة حج مرة، ومن لبّي اثنتين حج اثنتين، لكن العبرة بإخلاص اليقين، فالإجابة مرة عن يقين ومعرفة أشد من مئة مرة لا بذلك، بل تبع وإن لم يكن مع إصرار النفاق، وعليه روي: ركعة يصلّيها العالم أفضل من مئة ركعة من الجاهل^(٣)، بل سمعت نوم العاقل أفضل، وورد أيضاً: إن نوم العالم أفضل من عبادة الزاهد، وهذا هو الميثاق الذي أشار له عليه السلام بقوله: «وَصِدُّهُ نَبْذُ الْمِيثَاقِ»، فاندفع هنا إشكال، وهو إننا نجد

(١) مصباح الشريعة: ٤٧، الباب الواحد والعشرون في الحج.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٣) راجع: ميزان الحكمة: ٢٢/٨، حديث رقم (١٣٨٣٧).

بعض الجهّال يحجّ مراراً أكثر من العالم العامل، وهو لا يحجّ إلا مرّة، ولا يكون ذلك أقرب، لأن تلك المرّة روح، ومرات هذا جسم ضعيف الحراك، فأين وأين.

وطف بنفسك بعد دخولك حرم الكعبة بمتجافية عن الغرق الدنيوي المقابلة بالبيت المعمور بالملائكة حول العقل، كما بطوافك بجسمك جعل الكعبة الحسية، كما طفت حول ذلك أولاً، وتذكّر ما أخذ عليك من العهد بالتّسليم على الحجر والتّقامه، فهو الشّاهد، فإنك مستحضر حينئذ لسلوك نفسك مع سكان الملكوت بدخول مكة والطواف حول قلب الإنسان الكامل، وهو واسطة الكل بطوافك حول الكعبة، وقد وصلت لمقام الحقيقة فارجع بالسّعي بين صفاء القلب ومرّوته بفناء الحضرة القدسية، بعد أن استنزلت الإفاضات القلبية من الميزاب، كالتردد للمواصلة والمفاضلة وغيرهما، وحينئذ فاحلق أو قصر عمّا عسى لحقك من باقي اللحظات، فإذا لحظت لمقام الطّريقة خارجاً بإحرامك من الملكوت، بعد أن انحططت لمقام الملك، وبعد أن تتمنى ما يحسن بموجب حسن الرّجاء، ولزيادة الصّفاء فارم الجمرة القصوى أي الفحشاء، فبعد ذبحك الهوى، وفصل شيطان الإنسانية، أي الإنسانية الحيوانية، فارم الجمار كلّ يوم على التّكرار مدّة إقامتك، ورجوعك الثّانوي الذي لا يلحقه إلا طواف الوداع؛ لأجل التّحلل للدّخول مع أهل الدّخول بلسانهم ومفارقة سُكان الملكوت والرجوع عنهم لمقام الشّريعة، والجمار الثّلاث هي: الفحشاء، والمنكر، والبغي، وهم الثّلاثة، والقائم ﷺ يصلب الاثنین في كلّ موسم، ويقع الرّمي عليهم، ولكن لا تراهما العيون، وكم محجوب دونها.

وعدد الأحجار، عدد الاعتقادات الفاسدة، اثنان وسبعون، فيقذفون على الجمار، أي يرمى بها على النار، فتركم جميعاً في جهنم. وبيان التفصيل ممّا يطول، وفيما حصل كفاية وتنبیه للمتذکر لأسرار التكاليف.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَصَوْنُ الْحَدِيثِ وَضِدُّهُ النَّمِيمَةُ».

[شرح تكملة الحديث: صون الحديث وضده النميمة]:

أقول: من تمام اليقين والبر أن تحفظ ما سمعت، ولا تنقل كلاماً سمعته في غيبة أب له، فتثير العداوة والفتنة بين الناس، وكن مصلحاً مؤلفاً لا مفرقاً مشاققاً.

فإذن النميمة لا تقع إلا في نقل القبيح، أمّا الحسن فلا، بل نقله حسن يحبه الله، فالصون والنميمة أخص من الكتمان والإذاعة، والنميمة مما تلحق بالغيبة، لكن لها اسم خاص، وتعلق النهي بها كذلك.

أيضاً ولا فرق في النقل وهو النميمة بين أن يكون بلسان أو كتابة أو صفة أو فعل، وكلها جارية في الغيبة أيضاً، فالتمام جامع بينها والغيبة.

وورد في تفسير: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١)، إن الهمزة النمام، وورد: «لا يدخل الجنة قتات»^(٢)، والقتات النمام.

وظاهر كلامه ﷺ هي كشف ما يكره كشفه مطلقاً، بدليل جعل الصّون مقابلة، فتكون أعمّ ممّا هي في استعمال الأكثر، وهو من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، فينبغي لمن سمع من النمام أن يعظه، ولا تصدقه، فإنه فاسق، وقد أمر الله بالتثبت عند خبره، ولا يظنّ بأخيه السوء بمجرد كلام النمام.

والروايات في ذمّ النمام كثيرة، مع شمول روايات الغيبة لها، كيف وبها

(١) سورة الهمزة، الآية: ١.

(٢) عوالي اللآلي: ٢٦٦/١، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئاً من الآداب الدينية.

تقع كما عرفت من العداوة والقتل وانتهاك المحارم، وإباحة العرض وغير ذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَضِدَّةُ الْعُقُوقِ».

[شرح تكملة الحديث: بر الوالدين وضده العقوق]:

أقول: قال الصادق عليه السلام: «بر الوالدين من حسن معرفة العبد بالله، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضا الله، من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله، لأن حقّ الوالدين مشتق من حقّ الله، إذا كان على منهاج الدين والسنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله إلى معصية^(١)، ومن اليقين إلى الشك، ومن الزهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك، فإذا كان كذلك فمعصيتهما طاعة وطاعتهم معصية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٢).

وأما في باب العشرة^(٣): فقاربهما وارفق بهما، واحتمل إذا هما نحو ما احتملا عنك في حال صغرك، ولا تضيق عليهما فيما قد وسّع الله عليك من المأكول والملبوس، ولا تحول بوجهك عنهما، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، فإنه من التعظيم لأمر الله، وقل لهما بأحسن القول والطفه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين^(٤) انتهى.

(١) في المصدر: طاعتهم.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٣) في المصدر: المصاحبة.

(٤) مصباح الشريعة: ٧٠، الباب الواحد والثلاثين في بر الوالدين.

والتُصوص والآيات متكاثرة على الأمر والحث على طاعة الوالدين والإحسان لهما، وكذا ذكرهما إلا في المعصية.

ومنها: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ﴾^(١)، [و]: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ﴾^(٢)، [و]: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفِي وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ الآية^(٣).

وأعظم الوالدين برّاً وإحساناً محمد ﷺ وعلي ﷺ، فإنهما أبوا هذه الأمة، فإن كون الإنقاذ من العذاب السَّرمَد المؤبَّد، والدُّخول في النعيم المؤبَّد، والسُّلوك على الصُّراط القويم، بل وكذا سائر الكمالات، حتَّى الوجودية الأوليّة والثَّانية إحسان وإنعام، وفضل أعظم من برّ وفعل والدي الولادة الحسيّة، وإن جميع ذلك بهم ﷺ ظاهر نصّاً واعتباراً بلا مرية، أو لا تنظر إلى الوالدين، إنما يجب طاعتهم في الطَّاعة، وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، الذي جاء به الرسول ﷺ، فوجب طاعتهم لتبعهم للرسول ﷺ، فهي له أوّلاً وبالذَّات، فيجب شكرهم والتعظيم لهم ﷺ، أعظم من شكر الوالدين وتعظيمهم بكثير كثير، فإذا كان سبيل الأبوين كذلك فمع العصيان أيضاً، لا بدّ من كونهما حينئذ اتّباع للهوى ومن ضلّ وغوى، فهو الأصل، فلا بدّ من أبوي كفر، يجب تجنبهم والبعد عنهم مطلق، وهما الأوّل والثاني محرّفا للدين، وغاصبا بنت سيد المرسلين، وبعلمها وبنيتها المنتجبين، وقد ذكرهما الله في قوله: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ﴾^(٤)، على تفسير الباطن: كما أن والدي الإحسان محمّد وعليّ ذكرا في ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٥)، على ذلك التفسير، فليرغب العاقل في برّ الوالدين والإحسان

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ و ٢٤.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٣، سورة النساء، الآية: ٣٦، وسورة الأنعام، الآية: ١٥١، وسورة الإسراء، الآية: ٢٣.

لهما والقيام بخدمتهما، ولا يرفع صوته، ولا يقابل تعليمهما وضربهما إلا بالقول الجميل، وهو القول الكريم.

انظر إلى علو الرتبة لموجب الإحسان لهما والمداواة، ولو كانا كافرين، وحثّ وأمر بصلة القرابة قرابتهما كمال الأمر، ولم يقطع ذلك بموتهما، بل من كان عاقاً لوالديه حياة فتعاهدهما بعد الممات بزيارتهم، والصدقة عنهما، والبعيد عنهما وإبلاغه ثوابهما، عدّ باراً وكفر عقوقه كما روي، كما أن من هجرهما بعد ولم يتعاهدهما بمعروف بوجه أصلاً عدّ عقوقاً، وإن كان باراً لهما حياة، وغير خفي إثم البرّ بهما لعدة مكارم.

تنبيه:

فيه زيادة، إفادة لأبوي الإحسان الأصليين، أبوي نوعيّة من فروعهم، حتّى يظهران في أبوي التوالد الحسينيين، وبضدّ ذلك أبوي الكفر والعناد، ولكلّ مرتبة ضدّ يقابلها كما عرفت، وكذا الصفات.

وعرفت أن أبوي الإحسان وهما محمد ﷺ وعليّ ﷺ أصل كلّ خير من معرفة وعبادة وطينة طيبة، فقبضة اليمين من شعاع طينتهم أو من فاضل صفاتهم وأحوالهم وعقائدهم، وكلها ترجع إلى الموالاة، وبضدّ ذلك في أعدائهم من الإنكار والمنافاة، من ظلم مواليهم وعكوساتهم. وورد عنه ﷺ: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة»^(١).

وعنهم ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه»^(٢)، خلقهم من نوره، وصبغهم من رحمته، والنور بمنزلة المادة، والرحمة بمنزلة الصورة،

(١) مشارق أنوار اليقين: ٦٣، فصل ٢٨ انتهاء الموجودات إلى النقطة الواحدة... وشرح قوله ﷺ رأيت رجلاً.

(٢) الكافي: ٤٢٦/٣، باب ٧٢ أخوة المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٧/٢٠٤٨).

إفالمؤمنون كالجسد الواحد، إذا تألم بعضه عمه، فيكون محمد ﷺ بمنزلة المادة، وعلي ﷺ بمنزلة الصورة^(١).

[الاختلاف في أمير المؤمنين ﷺ]:

ولذا اختلفوا فيه، وكان به يميز^(٢) السعيد من الشقي، قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ﴾^(٣)، وورد أنه علي ﷺ^(٤)، وعنه ﷺ: «اختلفوا فيك يا علي»^(٥)، لأن النفس تنبو عن الطاعة إلى فرد منها، بخلاف أمر النبوة، فإنه عام والناس فيه سواء، فمحمد ﷺ مقام الإجمال وعلي ﷺ التفصيل، ولذا كان ظهور دينه به، وكان بمنزلة نفسه ﷺ، ومقامها مقام الصور، والتفصيل والعقل مقام المعاني، والإجمال والأشياء فيه بالقوة، ففي هذا المقام بمنزلة العقل والنفس أو قل العرش والكرسي، وفي مقامهم اللدني الأولي، مقام الفؤاد والمشية المطلقة، هو ﷺ بمنزلة المشية، وعلي ﷺ بمنزلة الإرادة.

وهما أبوا كل مقام، وعالم وجودي، فإن السبق الذاتي والأمر يوجه في كل مقام، وورد: أن تصوير السعادة والشقاوة في بطن الأمر، فالمادة من الأب والصورة من الأم، عكس ما قاله حكماء النظر، وهو المطابق للعقل والنقل، كما بين في موضعه.

ثم اعلم أنه لا قوام لشيء إلا بالمادة والصورة، وهما ركناه وقوامه في كل شيء بحسبه، ولهذا اتخذهم الله أعضاء لخلقه، ومنه مقدرون، فالله

(١) ما بين | من نسخة (ب).

(٢) في نسخة (ب): تميز.

(٣) سورة النبأ، الآيات: ١ و ٢ و ٣.

(٤) بصائر الدرجات: ٩٧، النوار من الأبواب في الولاية.

(٥) مشارق أنوار اليقين: ٢٥٢، فصل ١١٣ ما أثبتته أهل الحق والنجاة للأمام المعصوم وجنس

التوحيد وفصله. و٣٦٤، فصل ١٩٢ من حقوق أمير المؤمنين ﷺ.

عمل بمقتضى الأسباب والمسببات؛ لسعة رحمته ولطفه، وإظهار جوده العام.

وقولنا بالصورة إنها الرحمة، وبها التمييز، وكذا الغضب بالنسبة إلى الكافر والإنكار، فإنما هو بالنسبة إلى التكليف الثانوي، ولخلق الثاني لا بالنسبة إلى الخلق الأول، وهو المادة الأولى لأجل التحقق، فإن المكونات فيها بالقوة، وإن كان مكلفة لكنه لا تمايز فيها لها، وظهور كالكلام والمداد، وصورة السرير واللوح وغيرهما في الخشب، فهي قبل التكليف الثانوي التفصيلي، وهي أصل الإجابة، لما طلب منه عمله، والثانية ظهور ذلك وتحمله تفصيلاً. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحَقِيقَةُ وَضِدَّهَا الرِّيَاءُ».

[شرح تكملة الحديث: الحقيقة وضدها الرياء]:

أقول: حقيقة الشيء ثبوته في نفسه، فحقيقة كل شيء نحو وجوده، سواء كان لا آنية له وراء الوجود الواجب لذاته المستمر، أو له ماهية وراء وجوده وهو الممكن ضروري الوجود بالغير ما دام إيجاده له وإبقاؤه. ويقابل هذا التحقق الصور الخيالية الوهمية والسرايات الحسية، فلا تأصل لهذه ولا حقيقة، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ويجري مثل ذلك في القول والاعتقاد والعمل، فحقيقتهم ما كان ثابتاً، مطابقاً لما اقتضاه الوجود الذاتي والمجعول الذاتي، وهو الاعتقادات السالمة في الأصول والفروع والأعمال الخالصة لوجهة المقصود بها جهته وسيله، والفتاوى المطابقة. ويقابله ما لا يكون كذلك، بل قصد به الغير ولو شركاً أو بعجب وسمعة، فلا حقيقة لهذه

مبعثرات

الأعمال: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾^(١)، كحال السراب. والمراد بهذا هنا المعنى الأخير.

ومعلوم أنَّ لكل حق حقيقة وإلا فلا تحقق، بل جسم بلا روح كأعمال النَّاصب فلا نشر لها، وبالإخلاص حقيقة التَّحَقُّق وكمال المطابقة، ولذا قابله بالرياء، ففعل المرائي أراءه عمل بغير حقيقة، فلا عمل؛ لعدمه التَّأَصُّل الرُّوحي، وبطلان بالعمل^(٢) بالرياء المقتضي لعدم أجزائه وعدم خروجه عن عهدة التَّكْلِيف بذلك المأمور ظاهر نصاً واعتباراً وإجماعاً.

وقول المرتضى بعدم وجوب القضاء وأنه وقع مجزياً، وإن لم يقبل، كما حكى عنه ضعيف لا يعارضه ولا ينفعه الفرق بين الأجزاء والقبول؛ لنصَّ الشَّارِع ببطلان العمل به، وإنه شرك في العمل فلا أجزاء ولا امتثال.

وفي (المصباح)، عن الصادق عليه السلام: «لا ترائي بعملك من لا يحيي ولا يميت، ولا يغني عنك شيئاً، والرياء شجرة لا تثمر إلا بالشرك الخفي، وأصلها النفاق.

يقال للمرائي عند الميزان: خذ ثواب عملك ممَّن أشركته معي، فانظر من تعبد ومن تدعو ومن ترجو ومن تخاف.

واعلم أنك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه وتصير مخدوعاً بنفسك.

قال الله عز وجل: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ ءَامِنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣)، وأكثر ما يقع الرياء في النُّظَر^(٤) والأكل، [والشرب]، والكلام

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) هكذا وردت في النسختين، ويظهر الصواب: العمل.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٤) في المصدر: البصر.

والمشي^(١)، والمجالسة واللباس، والضحك والصلاة، والحج والجهاد، وقراءة القرآن، وسائر العبادات الظاهرة، ومن أخلص الله باطنه وخشع له قلبه ورأى نفسه مقصراً بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلاً، ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام على ذلك، على كل حال^(٢) انتهى.

واعلم أن الرياء يجرّ إلى كثير من المهلكات، الافتخار والعجب ونشاطه على العمل مع الناس، وقساوة قلبه، وانهماكه في الدنيا، ونسيانه الدار الآخرة، وسوء ظنه بالله، حيث اعتمد على غيره ووجه له عمله وشركه، وعدم يقينه إلى غير ذلك، ممّا يؤدي إليه من العطب، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٣)، يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾^(٤).

[علاج الرياء]:

وحيث استبان لك أن منشأ دخول الرياء في العبادة حبّ العاجلة ومحمّدة أهلها، والإعراض عن طريق الآخرة، فعلاجه يقطع الطمع واليأس منهم، وعدم عجبه بمحمدتهم؛ لرؤيته نفسه في القصور دائماً، وإصلاح يقينه.

إنارة:

ليس الرياء مجرد رؤية الغير العمل لا عملك بمرأى منهم، ولا هو بسببه، وكذا مدحهم لك عليه، حتّى أن الشيطان قد يوسوس بأن اترك العمل

(١) في المصدر: المجيء.

(٢) مصباح الشريعة: ٣٢، الباب الرابع عشر في الرياء.

(٣) سورة الماعون، الآيات: ٤ و ٥ و ٦ و ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

للخلوة حذراً لك، لعلّ يشغله بعد بأمر آخر، أو يعرض له مانع، بل قد يفوته ولا يتمكن منه أصلاً فإن سببه قد عرفته.

والرياء من الأعمال القلبية، فهو قصدك لعملك ذلك الغير لا رؤيته، وما يلزم من رؤيته لعمله، إذا لم يكن كما تقول: كمال الإخلاص ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل، فبطلت شبهة الواسلية من العامة، لعنهم الله، بل قد يكون إظهار العمل في بعض المواضع أولى من إخفائه، لكن لا مع نية الرياء فإنها مبطله له، كإسماع الإمام من خلفه الأذكار وتكبيره الإحرام، وإظهار الصدقة؛ ليقتدى بك، فيكون أمراً بالمعروف، أو لحفظ عرضك، وقطع الألسن عنك بالنسبة إلى من يظن به عدم الإخراج، فيؤخذ عرضه ويسقط قدره عند الناس، بل قد يؤول إلى إصراره، قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١).

تنبيه تقسمي:

المراد بالرياء ما يشمل العجب والسُّمعة، وكما أنه يبطل العمل لو وقع أولاً إجماعاً كما هو ظاهر الشهيد في اللمعة الدمشقية والمجلسي وغيرهما، كذلك يبطله لو عرض في أثناء العمل؛ لعدم تما مية مجموع العمل وللخروج به.

أمّا لو قصد الرياء المستحب فالأظهر البطلان.

وعن العلامة في (النهاية)^(٢): تحقق البطلان على تحقق الكثرة، وفي خبر يونس بن عمار، المروي في الصلاة من (الكافي)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قيل له - وأنا حاضر -: الرجل يكون في صلاته خالياً، فيدخله العجب، فقال: «إذا كان في أول صلاته بنية يريد بها ربّه، فلا يضره

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

(٢) نهاية الأحكام.

ما دخله بعد ذلك، فليمض في صلاته، وليخسأ الشيطان»^(١)، وحمله على عروض مثل اللمم والخطرة الزائلة، ويومي له آخر الحديث، أو حمله على الابتهاج بالعمل والأنس به، الذي هو أحد مقامات العابدين، فيشكك له الشيطان به أنه عجب.

ففي (أمالى الصدوق) وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله، عن خيار العباد، قال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا»^(٢).

وفي (الكافي): «من سرته وسأته حسناته سيئاته فذلك المؤمن»، وفي كتاب (صفات الشيعة) مثله. وتوقف فاضل الوسائل لذلك الحديث لا وجه له.

أما لو وقع بعد الإتيان بالعمل العجب به، وحب السّمة والرّياء فغير مبطل لأجزائه، فلا قضاء عليه، وإن قلل ثوابه، بل قد يسقطه. فورد عنهم عليهم السلام: «الإبقاء على العمل أشد من العمل». [وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصل]: الرّجل بصلّة، وينفق نفقة الله وحده لا شريك له، فتكتب له سرّاً، ثم يذكرها فتمحى، وتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى، فتكتب له رياء»^(٣).

وفي (الكافي) رسالة علي بن أسباط، وفي (معاني الأخبار)، عن جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٤)، «قال: قول الإنسان: صليت البارحة، وصمت

(١) الكافي: ١٧/٦، باب ٢ من حافظ على صلاته أو ضيعها من كتاب الصلاة، حديث رقم (٣/٤٨٠١).

(٢) أمالى الصدوق: ٦٠، المجلس الثالث وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة سبع وستين ثلاث مئة، حديث رقم (٤/١٨).

(٣) الكافي: ٧٢٥/٣، باب ١١٦ الرياء من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١٦/٢٥٠٢).

(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

أمس، [ونحو هذا. ثم قال ﷺ: إن قوماً كانوا يصبحون فيقولون صلينا البارحة، وصمنا أمس]، فقال ﷺ: لكني أنام الليل والنهار، ولو أجد شيئاً لمنت^(١).

واعلم أن الرياء في الأقوال والأفعال، عبادة كان أو غيرها، وهو منهى عنه في جميع ذلك، لكن إن كان في العبادة المقصود بها الإخلاص فهو مبطل لها، أما غيرها مما لم يشترط فيه ذلك فيوجب عدم حصول الثواب به لإمكان إخلاص النية في جميع حركات الإنسان وسكناته، وصيرورة العادات عبادات، فالعامل بمقتضى العادة بما يناسبه شخصاً ووقتاً ومكاناً إذا رُوي به فاته الثواب، ولم يأمر الشارع به لأجل الرياء، وقد عرفت عدم منافاة الأمر بالإظهار في بعض [العبادات] للإخلاص.

فتقسيم ملاً محسن في كتابه (الحقائق)، وهو ملخص كتابه (المحجة ولبابه)، مع زيادات الرياء لما في العبادة وغيرها، وجعل الرياء بغير العبادة مستحباً، وقد يكون واجباً لوجوب حفظ العرض وإن اختلف ذلك زماناً ومكاناً وشخصاً.

فعن الصادق ﷺ: أنه نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً [وهو يحمله]، فلما رآه الرجل استحيا منه، فقال ﷺ له: «اشتريت لعيالك، وحملتهم إليهم؛ أما والله، لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء، ثم أحمله إليهم»^(٢)، وكان جدّه عليّ ﷺ يفعل مثله؛ لاختلاف الزمان.

وروي: إن رسول الله ﷺ أراد يوماً الخروج لأصحابه، فكان ينظر في [حب من] الماء ويسوي عمامته وشعره، ف قيل له: أو تفعل ذلك [يا رسول الله]؟ «فقال: نعم، إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج

(١) معاني الأخبار: ٢٤٣، باب معنى التزكية التي نهى الله عنها.

(٢) الكافي: ٣/٣١٩، باب ٥٩ التواضع من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١٨٧٢/١٠).

إليهم»^(١)، ثم نقل روايتين من هذا القبيل، ثم قال: وكل ذلك رياء محبوب) انتهى.

لا وجه له، وليس ما نقله من النص كما توهمه، وليس الأمر بحفظ العرض ومراعاة حسن المعشر مع الغير وإكبات العدو للرياء، بل لوجه الله، لأمر الله به، وإن لم يبطله الرياء؛ لعدم كونه عبادة، كإزالة النجاسة والتكاح وسائر المعاملات، فلا رياء مأمور به، فضلاً عن الوجوب خصوصاً في أفعالهم ﷺ.

تنبيه:

على ما فسرنا به الإخلاص سابقاً، بكون الحقيقة أعم مطلق منه، وكذا الرياء.

قال محمد صالح، في الشرح: (حقيقة العمل [هي] الإخلاص، أي صرفه [إلى الله] طلباً لرضاه، والرياء [وهو] القصد بالطاعة التقرب إلى المخلوقين، وطلب المنزلة في قلوبهم [والميل إلى إعظامهم له وتوقيرهم إيّاه وتسخيرهم لقضاء حوائجه والقيام بمهمّاته] إلى غير ذلك من أغراضهم [الفاصلة النفسانية والتسويات الكاسدة الشيطانية]، وهو مناف لتلك الحقيقة وضدها لا يجامعها [أصلاً] كما مرّ لك بخلاف الشوب في قوله ﷺ سابقاً: «والإخلاص وضده الشوب»، فإن بعض أفرادهم، وهو ما إذا ضمّ للعبادة [قصد] تحصيل الثواب أو التحرز من العقاب، [أو قصد التبرّد والتسخّن] غير مناف لحقيقة الإخلاص، وإن نافي كمالها فلذا لم يجعل الشوب بضدّ للحقيقة مثل الرياء)^(٢).

أقول: هذا الفرد من الشوب، وهو ضمّ [إلى العبادة] مثل الرغبة أو

(١) جامع السعادات: ٣٨٠، فصل: أقسام الرياء.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٦٤/١.

الرَّهْبَةُ إِذَا لَمْ يَنَافِ مَطْلُقُ الْإِخْلَاصِ، فَلَا يَصَحُّ جَعْلُهُ مُقَابِلًا وَضَدًا لِلْإِخْلَاصِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْإِخْلَاصِ الدَّرَجَةُ الْكَامِلَةُ خَاصَّةً، بَلْ مَطْلُقُ الدَّرَجَاتِ، فَلَا شَيْءَ مِنْ أَفْرَادِهِ غَيْرُ مُنَافٍ لِحَقِيقَةِ الْإِخْلَاصِ، وَإِلَّا فَلَا ضَدِّيَّةَ.

هذا ونسخة (المحاسن) كما مرَّ «وَضَدُّ الشَّرْكَ»، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فنقول: (إِنْ خَصَّصْنَا الرِّيَاءَ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ بِالرِّيَاءِ الْخَالِصِ، وَعَمَّمْنَا الشُّوبَ فِي الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ بِشُّوبِ الرِّيَاءِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ خَصَّصْنَا الشُّوبَ بِشُّوبِ غَيْرِ الرِّيَاءِ، وَعَمَّمْنَا الرِّيَاءَ هُنَا بِالرِّيَاءِ الْخَالِصِ، وَالرِّيَاءِ الْمُنْتَضَمِ، كَانَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ فِي الْحَقِيقَةِ قِطْعًا وَفِي الْحُكْمِ أَيْضًا عَلَى الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الرِّيَاءَ مُبْطَلٌ لِلْحَقِيقَةِ مَطْلَقًا، وَالشُّوبَ عَلَى الثَّانِي غَيْرُ مُبْطَلٍ لِلْحَقِيقَةِ، بَلْ لِكَمَالِهَا عِنْدَ بَعْضٍ، وَعَلَى الْأَوَّلِ أَعَمٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُبْطَلًا أَوْ غَيْرَ مُبْطَلٍ، وَإِنْ عَمَّمْنَا الشُّوبَ وَالرِّيَاءَ كِلَيْهِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا عُمُومٌ مِنْ وَجْهِ فِي التَّحَقُّقِ وَعُمُومٌ مَطْلُقٌ فِي الْحُكْمِ) (١) انتهى.

[تعليق الشارح]:

أقول: كُلُّهُ كَلَامٌ لَا ثَمَرَةَ فِيهِ، فَإِنَّهُ مَتَى دَخَلَ الرِّيَاءُ فِي الْعَمَلِ فَلَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَكَذَا الشُّوبُ، وَلَا يَرَادُ مِنْهُ الشُّوبُ مَطْلَقًا، بَلْ شُّوبُ الْمُبْطَلِ لَا كُلَّ شُّوبٍ كَمَا عُرِفَتْ، مَعَ أَنَّ مَنْ يَبْطُلُ بِشُّوبٍ مِثْلَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ يَبْطُلُ بِهِ أَصْلُ الْعَمَلِ لَا كَمَالُهُ كَمَا يَظْهَرُ لِمَنْ رَاجَعَ (أَرْبَعِينَ) بِهَاءِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ، وَ(قَوَاعِدُ) الشَّهِيدِ لِإِكْمَالِهِ، فَلَيْسَ هُوَ مُحِطٌ بِالْخِلَافِ إِذْ لَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ، فَلَا عُمُومٌ مِنْ وَجْهِ وَلَا تَبَايُنٌ، بَلْ إِمَّا مَطْلُقٌ كَمَا مَرَّ، أَوْ التَّسَاوِيُّ، وَأَحَدُهُمَا سَهُوٌ مِنَ النَّاسِخِ لَزِيَادَةِ الْعَدَدِ عَلَى الْمَعْدُودِ.

(١) المصدر السابق.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمَعْرُوفُ وَضِدُّهُ الْمُنْكَرُ».

[شرح تكملة الحديث: المعروف وضده المنكر]:

أقول: فسّر ملا خليل القزويني في الشرح المعروف^(١): بالإتيان بما تعرفه النَّاس وليس بدعة، وسكت عن المنكر، لكن معناه ظاهر على تفسيره المعروف كما ظهر سقوطه.

وقال ملا محسن الكاشاني في الشرح: «المعروف» هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى النَّاس، وكل ما ندب إليه الشرع من فعل الحسنات وترك القبائح، وهو من الصفات الغالبة، أي الأمر المعروف بين النَّاس إذا رأوه لا ينكرونه^(٢) انتهى.

فإنه داخل في الطَّاعة، وليس كلما تعرفه النَّاس طاعة، والتأسيس خير من التأكيد.

ومحمّد صالح في الشرح، بعد أن ذكر معنى المعروف لغة بأنه: (اسم لكل ما اتَّصف بحال يوجب كونه معلوماً، ومنه يقال: فلان معروف إذا اتَّصف بوصف يوجب شهرته بين النَّاس).

ومعناه الشرعي: بأنه اسم لما يتقرب به العبد إلى الله واجباً أو مندوباً، كالصلاة والزكاة، والإحسان [إلى النَّاس] وإعطاء فضل المال، إلى غير ذلك من مكارم الأعمال، ومحاسن الأفعال).

قال: (ولا يبعد تخصيصه هنا بما سوى الواجبات ممّا يتعلّق بالحقوق الماليّة)^(٣)، ثم أخذ في بيان باعته وثمرته، وخصال أهله وآدابه، وعدم

(١) الشافي في شرح الكافي: ٢٥١/١.

(٢) الوافي: ٧٣/١.

(٣) شرح أصول الكافي: ٢٦٤/١.

كفران الطالب له، لكنّه حينئذ يستغني عنه بالسّخاء الآتي، ويدل عليه ببعض الخصال السابقة.

[المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:

فالمراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهما بابان عظيمان بما يُظهر الدّين وتقمع الفسوق والعصيان، وقد حث الله عليهما وأمر، حيث قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١)، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾^(٢)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٣).

[شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:

والرّوايات كثيرة في الكتب، فروعاً وأصولاً، بوجوب الأمر والنهي والحث، ولكن لا يجبان على كل فرد، ولكن تجبان على من يعرف المنكر والمعروف وإلا فقد ينهي عن المعروف ويأمر بالمنكر، فهو حينئذ ضال مضلّ، بشرط أمن الضّرر على النّفس واحد المؤمنين، وظنّ التأثير، وإلا فيسقطان؛ لوجوب حفظ النّفس حتّى يظهر أمر الله، ويدك سدّ التّقية.

ومع عدم التأثير لا فائدة مثمرة، إنّما الواجب حينئذ الاعتزال والهجران أو المداراة الظاهرية البرّانية، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إنه [سئل] عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: أوجب هو على الأمة جميعاً، فقال: لا. فقليل: ولم. قال: إنما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضّعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أي من أي، يقول من الحقّ إلى الباطل؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ^(١)، فهذا خاصٌّ غير عام، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَمٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْذِلُونَ^(٢)، ولم يقل: على أمة موسى، وعلى كلِّ قومه، وهم يومئذٍ أُمَمٌ مختلفة.

والأمة: واحد فصاعداً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ^(٣)، فلو يقول: مطيعاً لله، وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوّة له، ولا عدد، ولا طاعة.

قال مسعدة: [و] سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام، يقول: وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ: «إن أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ» ما معناه؟ قال: هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه، وإلا فلا^(٤).

وعنه عليه السلام في (الكافي)^(٥) و(التهذيب)^(٦): «إنما يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلّم، فأما صاحب سوط [وسيف] فلا».

وفيهما عنه عليه السلام: «من تعرّض لسلطان جائرٍ فأصابته بليّة، لم يؤجر عليها، ولم يرزق الصبر عليها»^(٧).

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٤) الكافي: ٤٩٤/٩، باب ٢٨ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الجهاد، حديث رقم (١٦/٨٣٣٤).

(٥) الكافي: ٤٩٧/٩، باب ٢٩ إنكار المنكر بالقلب من كتاب الجهاد والنكاح، حديث رقم (٢/٨٣٣٦).

(٦) تهذيب الأحكام: ١١٠٩/٦، باب ٨٠ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الجهاد وسيرة الإمام عليه السلام، حديث رقم (١١).

(٧) الكافي، المصدر السابق، حديث رقم (٨٣٣٧)، وتهذيب الأحكام، المصدر السابق، حديث رقم (١٢).

وفي الغوالي، عنهم عليه السلام: «مَنْ عَلَّقَ سَيْفًا، أَوْ سَوْطًا، فَلَا يُؤْمَرُ وَلَا يَنْهَى»^(١).

أما امتثال الأمر بما يأمر به وانتهائه عما ينهى عنه، فهل هو شرط فيهما، أو لا؟ فيه خلاف. وظاهر كثير من الروايات والآي اللوم على ذلك الفعل، لكن لا يتعدى الوجوب مع حصول الشرائط، وإن تضاعف عنه الحوب من جهة أمره بما لا يفعل، وانتفاع غيره بموعظته مع خلوه منها. فظهر أنه متى اجتمعت الشرائط في فرد وجب عليه، وإلا فلا، لكنّها لا تحصل في جميع المخلوقات، فكان وجوبهما ليس بعام، وكذا مع اجتماع الشروط في أفراد كثيرة، لو حصل الترجيح للبعض^(٢) بقيام الآخر به وكفايته سقط عنه.

وأظن أنه يرتفع التنافي بين القول: بأن وجوبهما عني، والقول الآخر: بأنه كفائي.

وفي المصباح، قال الصادق عليه السلام: «من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وأمان عصمته، لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلمًا أظهر كان حجة عليه ولا ينتفع الناس به.

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، ويقال له يا خائن، أطلب خلقي بما خنت به نفسك، وأرخيت عنه عنانك؟!.

وروي: أن ثعلبة الأسدي، سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، عن هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٤)، فقال صلى الله عليه وآله: «وَأْمُرُ

(١) عوالي اللآلي: ١٠٧/٢، حديث رقم (٢٩٣).

(٢) في المخطوط (أ) لبعض.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴿١﴾، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَيْخاً^(٢) مَطَاعاً وَهُوَ مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعِ أَمْرَ الْعَامَةِ.

وصاحب الأمر بالمعروف، يحتاج إلى أن يكون عالماً بالحلال والحرام، فارغاً من حاجة نفسه، مما يأمرهم بها وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق، رحيماً بهم، داعياً لهم باللطف وحسن البيان، عارفاً بتفاوت أخلاقهم؛ لينزل كُلاًّ منزلته، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان، صابراً على ما يلحقه، لا يكافئهم بها ولا يشكو منهم، ولا يستعمل الحمية، ولا يفتأ لنفسه، مجرداً نيته لله، مستعيناً به ومبتغياً لوجهه، فإن خالفوه وجفوه [صبر] أو^(٣) وافقوه وقبلوا منه شكر، مفوضاً أمره إلى الله، ناظراً إلى غيبه^(٤) انتهى.

ثم نرجع ونقول: المناسب لتعدد الجنود وأنها أركان العقل، إرادة نفس المعروف عند الشارع، وهو ما رجح فعله أو ما لم يكن محرماً ولا مكروهاً، وإن أمكن إدخاله في أخرى لكنه لا يضر، وله نظائر، ويمكن تقدير مضاف في غيره، وليس كذلك، ويمكن مراعاة الأمر هنا كما لا يخفى، وقد عرفت بعض البيان فيه.

فنقول هنا قصداً لتتميم، فنقول: الأمر هو الدُّعاء والحث على القول أو الفعل، والمعروف هو الرَّاجح فعله، فيشمل المندوب، ويدخله مكروه العبادة، إمّا لأَنَّهُ معناه نقصان ثوابه كما قيل، أو للحوقها لبعض مقدماته أو شروطه، فهو في نفسه لا ينقص ثوابه، وإنَّما النَّقْصُ باعتبار ما يلحق العبادة من خارج، ويمكن إدخال المباح ومكروه غير العبادة في المعروف،

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٢) في المصدر: شحاً.

(٣) في المصدر: وإن.

(٤) مصباح الشريعة: ١٨، الباب السابع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بملاحظة إن الله رخص فيه، والله يحب أن يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه، خصوصاً إذا ثقل على النفس العمل بها، فالعمل بها حينئذ داخل في المعروف الرَّاجح، ومحمد ﷺ وآله ﷺ هم الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، أولاً وبالذات، سواء في ذلك التكوينات على مراتبها أو الأحكام الشرعية الواقعة في واقع التكليف، إذ الاعتبار به لا الواقع الأمري، والأول مظهر الثاني، كارتكاب أقل القبيحين، كالكذب فيما إذا أوجب نجاة مؤمن، فإنه حسن، فيه واجب معروف، وفي نفس الأمر قبيح، ولا يقال بالانقلاب كما قيل، فإنه ينافي كون الحسن والقبيح عقليين وذاتيين، والذاتي الأولي لا يزول ولا يتغير وإنما يقع في الثانوي، قال الله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾^(١)، أي في الواقع التشريعي، وهو واقع التكليف، وقد يكونان صادقين في الواقع الأمري ومع ذلك فسماهم الله كاذبين بهذا الاعتبار، وجعل الثواب الدائم والعقاب دائر مداره. وفي الأصول كلام، وليس هنا موضع بسط هذه المسألة.

فهم أمروا بالمعروف وبلغوه في كل عالم أصولاً وفروعاً، فكانوا ﷺ المبلغين والآمريين بالأنبياء أو زمن ظهورهم ﷺ هنا، وكانت الناس أمة واحدة بحسب المادة الإمكانية، قابلين للخير والشر، فمن قبل منهم وعمل الخير خلق من عليين، ومن أبي ولم يقبل وأدبر خرج عن حدود الإنسانية إلى البهيمية، وإن تلبس بصورتها دنيا بسبب المزج، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ الآية^(٢)، وفي هذا العالم أمروا بالمعروف أيضاً طبق ذلك، وجددوا العهد فيه عليهم، فأشادوا الدين بذلك وبينوا الحق المستبين، وهذا المعروف المأمور به هو فرع الولاية المأخوذة، بل هو الولاية في مقامه، وهو المعروف المأمور باتباعه، وهو معروف أيضاً لا

(١) سورة النور، الآية: ١٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

ينكر، وضد لا ينكر، والمعروف علي والمنكر الثاني، وهو المعروف، إذ به العرفان والتعريف، والمعروف أيضاً صفتهم واسمهم وفعلهم وحكمهم ودينهم وسنتهم، فهم الآمرون به والهادون إليه وبه.

تنبيه :

إذا عرفت شروطهما وما يترتب عليهما، فاجعل نيتك فيما تأمر به، وتنتهي عنه خالصة، وتدرك فيهما، فلا تنتقل إلى رتبته الثانية من رتب الزجر إلا مع عدم التأثير بها، أو ظنك عدم التأثير فتتركها أولاً وتنتقل إلى ما بعدها، إذ لكل درجة حد، وعلى من تجاوز حدود الله حد، ولما فيه من الإيتلام والإهانة للمسلم مع الاكتفاء بالأقل، فهو إذ لاك له واجترأ زائد، فأولاً بالقول اللين، وبيان التخويف والترغيب، ثم الشديد، ثم بعد الاعتزال والإعراض، وعدم رد السلام، ثم الجراءة، ثم الضرب وفي كل درجات، والأمر والمأمور متفاوتون أيضاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالسَّتْرُ وَضِدُّهُ التَّبَرُّجُ».

[شرح تكملة الحديث: الستر وضده التبرج]:

أقول: المراد بالستر هنا بدليل مقابلته بالتبرج، ستر العورة، وعدم ظهورها لناظر محترماً، وفي الصلاة مطلق، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ﴾^(١)، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية^(٢)، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٣)، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾^(٤).

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

وأما تفصيل عورة الرجل بالنسبة إلى الصلاة ومحارمها، والنساء والأجانب، فليطلب من كتب الفروع.

والستر، بكسر السين، ما يستر به كالسترة، بالضم، والستر، بالفتح، التغطية، مصدر سترت الشيء أستره إذا غطيته فاستتر، هو تستر أي تغطي، والرجل ستر أي عفيف، والجارية ستيرة. والستر هنا يحتملها.

وليس المراد به هنا ما يشمل ستر عورات المؤمنين وأسرارهم، فإنه داخل في الكتمان وغيره كما سبق.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «والتَّيَّةُ وَضِدَّهَا الإِذَاعَةُ».

[شرح تكملة الحديث: التقية وضدها الإذاعة]:

أقول: في الصحاح: (اتَّقَى يَتَّقِي، أصله اَوْتَقَى على اِفْتَعَلَ، فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت، فلما كثر استعماله في لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الافتعال^(١)، فجعلوه إتقى يتقى بفتح التاء فيهما مخففة، ثم لم يجدوا له مثلاً في كلامهم يلحقونه به فقالوا: تقى يتقى مثل قضى يقضى^(٢)).

وفي المغرب: (الوقاية والوقاء: كُلُّ ما وقيت به شيئاً. والتقية، اسم من الاتقاء وتاؤها بدلٌ من الواو، لأنها فعيلة من وقيت، وهي أن يقي نفسه من اللائمة أو من العقوبة [بما يظهر]، وإن كان خلاف ما يضمن^(٣)). وقد تواترت نصوصنا بوجوبها وعظم ثوابها، إلا فيما اتفق على استثنائه منها،

(١) في المصدر: الحرف.

(٢) الصحاح: ٢٥٢٦/٦.

(٣) المغرب في ترتيب المغرب: ٤٩٣. مادة: (وق ي).

بل وجودها وحسنها ضروري. وكيف ينقطع الجهاد بالسيف ولا تجري هي، وقد أنزل الله فيها ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ الآية^(١)، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قُتْلًا﴾^(٢)، ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾^(٣)، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٤)، وقد بينا جميع ذلك وتفصيل أحكامها في العبادات وغيرها، وأثبتناها من طريقهم أيضاً كتاباً وستة، بما يدل أن ليس إلا العناد، وتنكب الرّشاد في رسالة مفردة كبيرة، من أرادها فليراجعها.

ولا شك كونها أعظم جنود العقل، وإنّها هي السبب والذريعة لإسلام المسلم إذا أتى من قبلها بعد السبق وظهور المعجز. فأما المعاند فلا يرجع ولو تأتبه بكلّ آية. كما أنّ الإذاعة بخلافها، وهي تستدعي عدّة صفات من خصال العقل، كحسن المداراة والمعاشرة، والصبر والرضا والتّفويض واليقين وغير ذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قول: «وَالْإِنْصَافُ وَضِدَّةُ الْحِمِيَّةِ».

[شرح تكملة الحديث: الإنصاف وضده الحمية]:

أقول: الإنصاف قسم من مطلق الاعتدال في الأقوال والأفعال، وهو هنا عبارة عن إعطاء النّصف من نفسك، فتحبّ للنّاس ما تحبّه لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتكون أنت الحاكم لهم على نفسك.

ولا شك راحة النّفس حينئذ وراحة النّاس منها، وركون كلّ للآخر وأمنه من الغوائل، ولا كذلك الحميّة، فإنها من صفات الجاهليّة، موجبة للهلاك

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

وظهور الفتن، وإعانة الظالم والاستطالة وغير ذلك، كما أن الإنصاف موجب للتعاون وحسن التَّمُدُّن والمعاشرة وغير ذلك. والروايات الحاثّة للإنصاف وذمّ الحميّة كثيرة، ستأتيك في موضعها، إن شاء الله.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَهْيَةُ وَضِدَهَا الْبَغْيُ».

[شرح تكملة الحديث: التهية وضدها البغي]:

أقول: التهية، بفتح التاء المثناة من فوق، وسكون الهاء، وكسر الياء المثناة من تحت، ثم همزة مفتوحة، مصدر قولك: هيأت الشيء، بالتشديد إذا أصلحته، فتكون حينئذ بمعنى الإصلاح.

وقال ملا محسن في الشرح: ((لعل) المراد بها [ها] هنا التآني والتثبت في الأمور، والاستقامة على الأمور، وربما يُفسر بالموافقة والمصالحة للجماعة وإمامهم. وفي بعض النسخ بالنون قبل الهاء، فإن صحّت فهي اسم من انتهى عن المنكر وتناهى عنه^(١) انتهى.

لكن تفسير البغي بالزنا يدلّ على هذه النسخة، أو بعدم الانقياد يدلّ على أنّ المراد بها الاستعداد للخير والصلاح، وقال رسول الله ﷺ: «أسرع^(٢) الشرّ عقوبة البغي»^(٣)، وعن أبي عبد الله ﷺ: «لا تتكلم بكلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك»^(٤)، وعنه ﷺ، قال: قال أمير المؤمنين ﷺ:

(١) الوافي: ٧٤/١.

(٢) في النسختين: أعجل، وما أثبتته من المصدر.

(٣) الكافي: ٢٨٣/٤، باب ٢٠٤ من يعيب الناس من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/٣٠٤٤).

(٤) ورد في الحديث: «إياك أن يسمع الله منك كلمة بغي، وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك». (راجع: الكافي: ٦٣١/٦، باب ٩٦ صلاة من خاف مكروهاً من كتاب الصلاة، حديث رقم ((٢/٥٦٨٣)).

«أيها النَّاسُ، فإنَّ البغي يقود أصحابه إلى النار، وإنَّ أولَّ من بغى على الله عناق بنت آدم ﷺ، وأول قتيل قتلته الله عناق، وكان مجلسها جريباً [من الأرض] في جريب، وكان لها عشرون إصبعاً في كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلط الله عليها أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير، ونسراً مثل البغل فقتلوها، وقد قتل الله الجابرة على أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا»^(١).

وفي الفقيه، عن النبي ﷺ: «لا يبغى شيء على شيء إلا أذله الله، ولو أنَّ جبلاً بغى عليه جبل لهدَّ الله الباغي منهما». وغير خفي أن البغي حينئذ قسم من التكبر، فهو يقتضي عدم النظر لعيوب النفس، بل صاحبه ينهى عما يأمر ويستعيب ما يرتكب، وكفى بذلك عيباً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالنَّظَافَةُ وَضِدَّهَا الْقَدَرُ».

[شرح تكملة الحديث: النظافة وضدها القدر]:

أقول: المراد بالنَّظَافَةُ التَّطَهُّرُ مِنَ النَّجَاسَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، فيدخل فيه تطهير الثياب من النَّجَاسَاتِ الظَّاهِرَةِ، وكذا البدن من الأخباث والأحداث، وكذا الصفات الرديَّة، ويجب غسلها وإزالة ظلمتها بماء التوبة، فالنَّظَافَةُ تشمل الكل، لكن القسم الثاني يدخل في التوبة الآتية لذكرها بعد.

ومعلوم أنَّ المانع مانع عن التَّرقِي والتَّلَقِّي، لأنَّه من الأغيار المنافية، فلا بدَّ من قلعها والتطهير منها، حتَّى يحصل الاستعداد والتَّهَيُّة لقبول فيض الجواد، والظَّهَارَاتِ الْحَسِيَّةِ مِنْهُ وَبَاعَثَ حَادِثَ لِلظَّهَارَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ. فحينئذ أن تطلب ظاهراً ولا تطلب غيباً، بل هذه ظاهر تلك، فلا يحمل العاقل ويحتبس بالجسد ويعرض عن الظَّهَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

(١) الكافي: ١٥/١٦٩، خطبة لأمر المؤمنين ﷺ من كتاب الروضة، رقم (٢٣/١٤٨٣٨).

بيان:

كما أن بالأخلاق الدنية تنقطع النفس عن اتصالها عن الجهة العقلية، فأمر الشارع بالتوبة، وترك الصفات الدنية، فالتوبة نوع من الطهارة، كذا أوجب طهارة الجسد من القاذورات الحسية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، فإذا أصحاب البدن بعدما هو في نهاية البعد والكمال عن الانتفاع به في التعدي والنمو الجسدي، فهو حثالة بعيدة، غير صالح للغذاء، وانفصل بعد الهضم المعدي، وهو الغائط والبول، ولذا أوجب الشارع الوضوء من هذه، وحكم بنجاستها، دون سائر الفضلات إلا الدم فليس بناقض؛ لعدم [وجود] هذه الصفة فيه، وعلوه عن ثقل المعدة، وأن حكم نجاسته ونقضه في الدماء الثلاثة للمرأة خاصة لمزية، وخواص في دمها، دون الرجل، وجعل غسله بالماء إذابة الحياة، وخلوه من جميع الصفات وسرعة اتصاله وانفصاله، فهو بحكم العلم الذي به حياة النفس وسلامتها من ظلمة الجهل.

فإذا عرفت سر التطهير إجمالاً، وما به التطهير وله، حيث أن الإنسان دال على جميع الذات والصفات، ولا يقوم شيء بصفة الماء، ولا يقاربه إلا التراب، وهو ينوب في الضرورة، فهو أقرب الأشياء له، وجزء من الإنسان، ونسبته نسبة الماهية للوجود والماء بمنزلة الوجود.

إيضاح:

للفنفس وضوء أيضاً كما يكون للجسد، إلا أن الأعضاء فيها غير متعددة، إلا بحسب القوة والجهة، لا باعتبارها بجهتها فإنها ترى من خلف كما ترى من أمام إن لم تحجبها الغواشي الجسمانية، كما هو في الأكثر، فالأعضاء فيها بجهة علوها وسفلها، وقوتها النظرية والعملية، والنظرية وجه،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

والعملية يد، وجهتها الملكوتية المنجذبة للجبروتية رأساً، والسافلة المستعملة للجسد بواسطة البرزخية الخيالية رجلاً، فلا يكن حظك من الوضوء تطهير الأعضاء الحسية، بل مع القوى والجهة العلية الثابتة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، وكذا مجاري قواها، ومحلها الدماغي، ومكثها البدني، فلا تأخذها صفة القرية الظالم أهلها، فالمصلي مناجي ربه، فلهذا خُصت هذه الأعضاء الظاهرة بالوضوء لموافقة الظاهر الباطن.

والعلة في كون الرأس ممسوحاً والرجل دون باقي أعضاء الوضوء، لأنَّ الرأس موضع الحواس وتماس النفس، والبدن وموضع البرزخية، فليس إلا مماسة لا خلط فاحتيج إلى المسح والغسل، وكذا الرجل لعدم الخلود التام لهذا العالم.

وكذا مشى آدم ﷺ للشجرة فمسحت الرجلين، وكان بالظاهر؛ لأنه بالظهور في هذا العالم، بخلاف ما سواههما، ففيه الخلط، ومطاردة الجندين ومغالبتهما، وقد يتلوَّث الوجه؛ لمكافحته، ولنشو شيء في الجملة فيه، ولو من المماسسة، فيغسل، أو لزيادة تطهيره وبعده.

وأيضاً الإنسان من جهة تجرده ممسوح، ومن جهة ماديته مخمر مغسول، فكان فيه غُسل ومسح، ومحلّه قوَّته اللذين يمشي بهما، فهما قوَّتا النفس ورجلاها ورأسه أي نفسه. فافهم. فقد خالفت أكثر العامة الاعتبار، وكثير الأخبار من طرقهم، في جعل فرض الرجلين الغسل الأعلى للخيئين، وهذا من التناقض الظاهر.

وأما الغُسل ففيه مع ما عرفت السَّلامة من أذى الجنابة، لما ثبت في علم الطب، أنَّ الحركة الجماعية تولد عرقاً ردياً خارجاً من أعماق البدن إلى

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

ظاهره، والماء يزيله، ولدفع الكدورات البدنية، ولذا عمّ جميع البدن الموجب؛ لتوجّه النفس وانغماسها في تخومه، فيغسل كلّ البدن؛ لكمال مزايلة للقوى الحسية أو صعودها بعد الهبوط، كحال الموت، فيغسل الميت.

ولا ينافي توجّه النفس في النكاح لبقاء النوع، فإن بقاءه حينئذ بتوارد الأشخاص الجزئية، ففيه مداخلة المواد الحسية، وترك الجهة العقلية، مع أنه فيه ملاحظة نقطة الإمكان، فيغسل ساحة العقل من ذلك، ويظهر بعلم الحياة من درن السالك، حتّى يموت بالإرادة فتُحيي الطبيعة.

ومن عَرَفَ هذه العلل عرفها في باقي الأغسال، خصوصاً غُسل الزيارة المقتضي لطهارة النفس وصفوها؛ ليحصل استعداد نفس الزائر لمقابلة نفس المزور. فافهم، وراجع أسرار الطهارة في المصباح وغيره، ففيه إشارة لما هنا، والله الموفق ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١).

ويدخل في النظافة أيضاً النظافة من مثل الوسخ وغيره، ممّا هو مستحب، حتّى تقصير الثياب حذراً من تلوثها بالأرض، فورد تفسير: ﴿وَيَأْتِكَ فَطَفِرٌ﴾^(٢)، أي قصر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحَيَاءُ وَضِدُّهُ الْخَلْعُ»^(٣).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٣) في المصدر: الجلع، وهي بمعنى قلة الحياء، وسيحدث الشارح لما اعتمد على (الخلع) بدلا عن (الجلع).

[شرح تكملة الحديث: الحياء وضده الخلع]:

أقول: الحياء من لوازم الرّهبة، وهو انفعال وطلب تستر من مكروهه، فعلاً أو تركاً، سواء وقع منه أو لا، فيتحرّز منه ويجتنبه.

والذي وجدناه من نسخ (الكافي)، و(الوافي)، و(العلل)، و(المحاسن) و(الخصال)، بالخاء المنقوطة بنقطة واحدة من أعلى، بعدها لام مهملة، ثم عين مهملة، بمعنى: التزع، أي نزع اللباس وإظهار القبائح، ضد الحياء؛ لاقتضاء ترك القبائح وسترها، وعدم التّظاهر بها، ومن ترك الشّرع وعقال العقل فهو غير مستحي، ويقال: فلان خليعُ العذار، أي يستريح في الشهوات، ويفعل ما يشتهي، كالذّابة التي لا عقال عليها ولا لجام.

وحينئذ فلا حاجة إلى استظهار كونها «الجلع» بالجيم المنقوطة بنقطة من أسفل، كما استظهره ملأ خليل في الشرح^(١)، ولم يبين وجه الاستظهار، واحتمله أيضاً محمّد صالح^(٢)

فإن...^(٣)، لأنّه يقال: فلان جلع، أي قليل الحياء، يتكلّم بالفحش، جلعت المرأة بالكسر، فهي: جلعة وجالعة أيضاً، أي قليلة الحياء تتكلم بالفحش، ومجالعة القوم كخاطبتهم بالفحش، وتنازعهم عند الشّرب والقمار، كما في الصحاح، لكون النّسخ بخلاف ذلك. والوجه في كونه من جنود الجهل، والحياء من جنود العقل ظاهر لا ستره عليه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْقَصْدُ وَضِدُّهُ الْعُدْوَانُ».

(١) الشافي في شرح الكافي: ٢٥٢/١.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٧٠/١.

(٣) كلمة غير واضحة، وهي على صورة: نم. ولعل معناها: نسلم. ويظهر ستكون عبارة مضطربة.

[شرح تكملة الحديث: القصد وضده العدوان]:

أقول: المراد بالقصد الاقتصاد، وعدم التجاوز إفراطاً وتفریطاً، مشياً وقولاً، وفعلاً ومعاملة، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(١)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ الآية^(٢)، ولا شك في إيصاله إلى الجنة، لأنه الضراط المستقيم، وهو طريقها.

والمراد بالعدوان التعدي عن ذلك، سواء كان إفراطاً أو تفریطاً، وذلك جارٍ في الأصول والفروع، فلا تعطيل ولا تشبيه، ولا جبر ولا تفويض، ولا غلو ولا تقصير، وقالوا عليه السلام: «نزهونا عن الربوبية، والحظوظ البشرية»^(٣)، أمّا حمل القصة هنا على النية فينا فيه الضدّ مع دخولها في الغير.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالرَّاحَةُ وَضِدُّهَا التَّعَبُ».

[شرح تكملة الحديث: الراحة وضدها التعب]:

أقول: غير خفي حسن الراحة الجسدية والقلبية، فلا يرتكب المشاق ولا ما يطيّقه، ولا ينهمك في الأمور الدنيوية والنظر لها، فيكون نفسه في شدة، فكر وجسد، وتخيل فيما لا يدوم، ولا يكمل نفعه به، وكذا جسده، فيخسر الدنيا والآخرة، وذلك من أقوى جنود العقل، مستلزم لكثير من صفاته، كالسلامة وفراغة النفس وسعتها والرضا وغير ذلك، كما أن تعب النفس وارتكاب المشاق بخلاف ذلك، فهو من جنود الجهل.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) مشارق انوار اليقين: ١٣٠، فصل ٥٩ أنهم فيض عن الكلمة الإلهية "الغيب" وأن شيعتهم يدخلون الجنة بغير حساب وذم الغلاة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالسَّهُولَةُ وَضِدَّهَا الصُّعُوبَةُ».

[شرح تكملة الحديث: السهولة وضدها الصعوبة]:

أقول: السَّهُولَةُ تستلزم عدم الحرص على الأمور الدنيوية، ومن شِعَب الكرم، فلا يمنع الإعارة ولا يستقصي في الاستيفاء، ولا في البيع ولا في الشراء، فرحم الله سهل البيع والشراء، وكذا لا يناقش ويجازف في الحساب، وهو يستلزم ويدل على سهولة النفس، بل يورث لها ذلك، فيكون كحصول الاستعداد لها في فيوع الحق المشروط قبوله بحصوله، ولا كذلك الصُّعُوبَةُ التي هي من الحمق، فهي من الصفات على الضد مع تنفير النفوس، وضعف المعاشرة بها بخلاف السهولة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْبَرَكَةُ وَضِدَّهَا الْمَحَقُّ».

[شرح تكملة الحديث: البركة وضدها المحق]:

أقول: حصول النماء والزيادة دنيا من العمل بالطاعة، كالصدقة والزيادة، والحج وقضاء حقوق الإخوان وغير ذلك، وتدخل أيضاً البركة الأخروية ولا كذلك المحق، فإنه حائم في نقصان دنيا أيضاً؛ للمعصية المرتكب لها، فكثير ماله قليل، بخلاف الأول، فقليل ماله كثير، وقد شاهدنا الصنفين مع كمال الحصول والتدبير، والاستقامة والنظر في العواقب في الأول، فتحصل البركة، ولا كذلك الثاني فيحصل المحق والذهاب، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١)، [و]: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعَافِيَةُ وَضِدُّهَا الْبَلَاءُ».

[شرح تكملة الحديث: العافية وضدها البلاء]:

أقول: قد سبق لك «والسَّلامة وضدها البلاء»، ونقل عن الشيخ بهاء الدين: إنهما بمعنى واحد، وإنَّ أحدهما بدل عن الأخرى، وجمع النَّاسِخ بينهما غافلاً عن البدلية.

وقال سيّد الحكماء: «البلاء ضدُّ العافية» بمعنى البلوى والبليّة، والبلاء ضدُّ السَّلامة، بمعنى الامتحان والاختبار. ومن توهم أنَّهما بمعنى واحد يلزمه أن لا يكون^(١) جند الجهل ثلاثة وسبعين، وهو [على] خلاف قول الإمام عليه السلام، وعلى خلاف جند العقل.

وفرق ملاً محمّد صالح بتخصيص السَّلامة: فيما مرّ بالسَّلامة من إيذاء المسلمين والأمراض النفسانية، أو من العيوب والآفات البدنية، فجميع ذلك من صفات العاقل؛ لمعرفته التَّخلُّص منها. والعافية هنا السَّلامة من الأعمال الظاهرة الفاسدة، أو من العقوبات الأخروية، والتَّحرّز عن موجباتها، ومما يوجب سقوط المنزلة عند الله، أو من المكاره الناشئة من الإخوان، أو من زوال النعمة، فإنَّ السَّلامة من صفات العاقل^(٢) انتهى.

لكن غير خفيّ عدم الفرق، فإنَّ العافية من العقوبات الأخروية والتَّحرّز عن موجباتها هو السَّلامة من إيذاء المسلمين، والأمراض النفسانية وكذا السَّلامة من الآفات البدنية، هو العافية من الأعمال الظاهرة الفاسدة، مع أنَّ الابتلاء في البدن ممّا يصيب الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، إنّما القبيح فيما كان في العقل وزواله، وما يوجب الخروج في الدّين، بمعنى الفتنة وباعتبار

(١) في المصدر: أن يكون جند الجهل.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٧٣/١.

عاقبته، على أن جميع ما يصيبهم ﷺ من البلاء الحسن الجميل؛ زيادة لهم وإظهاراً لفضلهم، واختبار العالم به.

واعترض محمد صالح في الشرح على السيد الدّاماد بعد نقله كلامه السابق بأنّ فيه: (أولاً: أنّ الامتحان والاختبار أيضاً بليّة. وثانياً: أنّ من توهّم اتّحاد البلاء في الموضوعين توهّم اتّحاد العافية والسّلامة أيضاً، فلا يلزمه أن يكون ضدّ الجهل على خلاف ضدّ العقل وأقلّ منه، ولا يلزمه أيضاً أن يكون جند الجهل أقلّ من خمسة وسبعين^(١)، إلّا أن^(٢) تفصيل الجنود زائد على الخمسة والسبعين^(٣) بثلاثة، وغرض المتوهّم أن يرجع بعضها إلى بعض، حتّى يعود الجميع إلى خمسة وسبعين^(٤) كما أشرنا إليه أوّل الحديث^(٥) انتهى.

ولقائل يقول: أنّ كون الاختبار والامتحان بليّة والظاهر خلافه، لا ينافي تقسيم مطلق البلاء إليهما، والسيد قسّمه لهما، وفرق بينهما معنى لا لفظاً، فهو لا ينكر كونهما بلاء.

وأيضاً من توهّم اتّحاد البلاء توهّم اتّحاد العافية والسّلامة، فأنه قائل بزيادة إحدى الفقرتين، فيحكم بزيادة ضدّ ومقابلة، كما هو ظاهر النقل أوّل الحديث.

وليس مبنى السيّد ذلك، بل لمّا فرق بين البلاء في الموضوعين، وقال: إن عدم الفرق توهّم. قال: لو لم يفرق بين العافية والسّلامة زادت جنود العقل، والمخالفة حينئذ ظاهرة.

(١) في المصدر: ثلاثة وسبعين.

(٢) في المصدر: لأنّ.

(٣) في المصدر: زائد على ثلاثة وسبعين.

(٤) في المصدر: ثلاثة وسبعين.

(٥) شرح أصول الكافي: ٢٧٤/١.

هذا وإن قلنا: إنما وصل من السيّد إلى البهائي إنما هو زيادة إحدى لفظتي البلاء، لما يجد من الاتحاد اللفظي دون السّلامة والعافية، فاتّحاد البلاء في الموضوعين فلزوم الأقلية حينئذ ظاهر، فإن الإمام عليه السلام، قال: أعطاه مثلما أعطى العقل، وعدّ خمسة وسبعين في الموضوعين، فذكر جنداً للعقل، فلا بدّ من كون ضده للجهل وإلاّ لزمت الزيادة، ولا ينفع كون المعدود ثمانية وسبعين؛ لأنّ جنود الجهل حينئذ كذلك كما هو ظاهر النصّ، فإذا أردت المطابقة بين المعدود والعدد المذكور [في] أوّل الحديث، فليحكم بزيادة لفظتين من الأربع مع غيرهما، لا بإبقاء السّلامة والعافية، وزيادة أحد لفظتي البلاء، فالتّخالف حينئذ لا يخفى، ومحمّد صالح لم يجعل للعدد المذكور، أولاً: إرادة الإمام خاصّة، بل إرادة التّكثير، وفيه ما لا يخفى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْقَوَامُ وَضِدُّهُ الْمُكَاثَرَةُ».

[شرح تكملة الحديث: القوام وضده المكاثرة]:

أقول: المراد بالقوام هنا، بالفتح، العدل والتّقدير في المعيشة، والإنفاق المالي، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١)، فهو من كمال القوّة العملية، باعتبار المعيشة والسياسة وسائر الأعمال التّكليفية، ويجري أيضاً في العلميّة، فتدخل فيما سبق من القصد والعدل الشّامل للاعتدال في القوة العلميّة والعملية.

وقال ملا خليل: (والقوام، بفتح القاف، هو العدل، قال الله تعالى:

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١). والمراد هاهنا أن يعدّ نفسه من أوساط الناس^(٢) انتهى.

والتخصيص ضعيف لا دليل عليه كما لا يخفى.

وغير خفي قبح المكاثرة، فهي من صفات الدنيا الزائلة، قال الله تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَتَكَاثَّرُوا﴾^(٣)، ويشتمل على عدّة قبائح، ولا يحتمل إرادة القوام بأمر الله منه هنا، فالمناسب القيام وينافيه الضدّ المذكور.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحِكْمَةُ وَضِدُّهَا الْهَوَى».

[شرح تكملة الحديث: الحكمة وضدها الهوى]:

أقول: من أقوى أركان العقل وما سيخرج به صورة الحكمة وبالعكس، كما سيأتي، ولعلوها بدء وغاية، قدمت في قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الآية^(٤)، وعرفت تفسيرها بالفهم أو العقل، وهي الموصلة إلى معرفة أوليائه معرفة تامة، وهي الموصلة إلى معرفة سبيل الوجود بدءً وعوداً، وقد مدحها الله ورسوله في غير موضع، ومدح بعض بها.

والهوى بالعكس، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَوَافِ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الآية^(٥)، فيه فساد العالم.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) الشافي في شرح الكافي: ٢٥٣/١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

ويقع الكلام هنا فيها في مسائل:

[تعريف الحكمة]:

الأولى: الحكمة من الأحكام والإتقان، ومن حكمة الذّابة المانعة لها عن الجموح، وهي تمنع النفس عن التعدي والخروج عن الاستقامة، فقد تطلق على كلّ علم حسن وعمل صالح أو على نفس العمل، فيقال: أحكم العمل إحكاماً، أي أتقنه عن الخلل، وقد وصف الله نفسه بأنه حكيم لرعايته لمصالح العباد، ولا يفعل بهم إلا المحكم المتقن، وكذا فعله.

واختلف في تحديدها، فقليل: القوّة. فقليل: القوة المُدركة، وقيل: معرفة الأشياء على ما هي عليه، بحسب الطّاقة البشريّة، بحسب كليّته لا بحسب الجزئيات الشخصيّة، فإنه مقام دونها وإن دخلت في فروعها.

وقيل: معرفة الموجود بما هو موجود، أي: الوجود، ولكن لا يدخل فيه معرفة الواجب مع إدخاله في ذلك، ولو بحسب الوجود المطلق المشترك، فلا اشتراك بينه وخلقه، حتّى في الوجود المطلق، وإن زعموا ذلك.

نعم، من معرفة الممكن يعرف. وإذا أُريد تقسيم الوجود إلى واجب وممكن، والمطلق شامل للممكنات، وبها ينبري الاعتقاد من المناقاة، فمقابلها الإنكار، وكذا العمل، والحكيم على الاعتدال في جميع الصّفات. وسبق لك تفسيرها بطاعة الله ومعرفة الإمام، وهو إشارة إلى قسميها، ومقامها فوق مقام العلم، كما يدلّ عليه هذا الحديث، وحديث المصباح وغيرهما، وسيأتي بعضه مفصلاً.

[شرف الحكمة وعلوها]:

الثانية: غير خفيّ شرفها وعلوها، كيف، وبها يعرف الوجود حسب الطّاقة المقتضي لمعرفة الله وعدله، الشامل للنبوة والخلافة وتطوّرات النفس، وكفى عدّ الله لها في معرض الامتنان والنعم، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

مبعثرات

لَقَمْنِ الْحِكْمَةَ^(١)، وسألوه حصولها، فقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وأمر نبيه محمداً ﷺ بالدعوة بها، وبها التجافي عن دار الغرور والإنابة لدار الخلود، فأى ثمرة أعظم من ذلك، وتمايمتها كمال القرب والتخلق بأخلاق الله، وهما مظهران لشرف الشيء لكمال الظهور؛ لشرفهما وعلوهما، مع أن ضده الكفر والشرك ولا أنقص منه، وهما داخلان في الهوى ونحسته الضد يظهر الشرف والعلو لمقابله، فهو منه على الضد، فكما أنها الغاية فهي سبب الوجود أيضاً، فلا شرف أعلى من شرفها ولا قدر كقدرها.

وأخبر تعالى عمَّن أوتيتها، بأنه أوتي خيراً كثيراً، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الآية^(٣)، ومرَّ بيانها، ووصف إيتاءه بها، وإنه إنما أخذ ميثاقهم وأمروا لما أوتوها، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾^(٤).

وقال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها»، وقال: «لا تزال الحكمة تتلجلج في صدر المنافق»^(٥)، إلخ، وقال ﷺ: «انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال»، وقال ﷺ: «خذوا ما في الأواني وصفوها وإياكم والأواني فإنها أواني سوء»، وقال الصادق ﷺ: «من أخلص [العبادة] لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٦).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٥) قال ﷺ: «خذ الحكمة أتى أتك، فإن الكلمة من الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تسكن إلى صاحبها». (راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/١١٩).

(٦) بحار الأنوار: ٣٢٦/٥٣.

وقال علي عليه السلام: «الحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر على اللسان»^(١)، وقال عليه السلام: «الحكمة لا تحل قلب المنافق إلا وهي على ارتحال»^(٢)، وقال عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت [الله] الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه الخير»^(٣)^(٤)، وقال علي عليه السلام: «صاحب الحكماء وجالس العلماء»^(٥)^(٦)، فذكر المصاحبة للحكماء. وقال: «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»، وفي آخر: «تفكروا في عظمة الله»، وفي آخر: «في مخلوقاته»، وفي آخر: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، فمن أردا الحكمة فليأتها من بابها»^(٧).

وغير خفي ظهور تواتر النص معنى، وكذا البرهان على شرفها ووثاقها، فلا عبرة بمن أنكرها، ونفى العلوم الحقية والمعارف الإلهية، لما عدم اللب، والمرء عدو ما جهل، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾^(٨)، فلو لم يظهر لغيرهم عليه السلام قسط منها ما قالوا: من أخلص، وتفكروا، ودعوا بنا، ولكن الناس فيها درجات أيضاً كغيرها.

ولعلوها وتوقفها على مقدمات واستعدادات لم يذكرها عليه السلام أول الخصال ولا وسطها.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣١، رقم (٣٣٦٧).

(٢) المصدر السابق، رقم (٣٣٧٠).

(٣) الخير زيادة على المصدر الذي وقفت عليه.

(٤) الكافي: ٣/٣٣١، باب ٦١ ذم الدنيا والزهد فيها من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٨٩٣).

(٥) في المصدر: الحكماء.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧٢، رقم (٤٥٣٩).

(٧) عوالي اللآلي: ٤/١٢٣، حديث رقم (٢٠٦).

(٨) سورة يونس، الآية: ٣٩.

نقل وإزاحة :

قال محمّد صالح في الشرح : (والمراد بالمعرفة، العلم والعمل النافعين في الآخرة، واتباع ما هو الأصلح والأنفع فيها، لا ما اشتهر من العلم بحقائق الأشياء، والتصديق بأحوالها، والعمل بما يقصد به العمل، إذ هو شامل للحكمة النظرية بأقسامها، أعني علم ما بعد الطبيعة، وعلم الرياضي، وعلم الطبيعي، وللحكمة العملية بأقسامها، أعني تهذيب الأخلاق وتدبير المنازل، وسياسات المدن، والظّاهر أنّه لا مدخل لأصول الرياضي في الدّين والشارع لا يرغب فيها، وهي علم الهندسة الباحث عن المقادير وأحكامها ولواحقها، وعلم الحساب الباحث عن أحوال العدد وخواصه، وعلم النجوم الباحث عن اختلاف أوضاع الأجرام العلوية، سر^(١) بعضها إلى بعض، وبالنسبة إلى الأجرام السفلية وعن مقادير تلك الأجرام وأبعادها.

وعلم التأليف الباحث عن الأفعال المؤلفة، وعلم الموسيقى [الباحث] عن تناسب الأصوات بعضها إلى بعض، وكمية زمان سكناتها وحركاتها، وكيفية إخراجها عن مواضعها، [وكذا لا مدخل لفروعها فيه، مثل علم المناظر والمرايا، وعلم الجبر والمقابلة، وعلم جرّ الأثقال]، وكذا لا مدخل فيه لأصول الطبيعي الباحثة عن الزّمان والمكان، والحركة والسكون، والنهاية واللانهاية، وعن الأجسام البسيطة والمركبة، وكيفية حدوث الحوادث الهوائية والأرضية، وعللها مثل الصّاعقة والمطر، والرّعد والبرق، والزّلزلة وأمثالها، وكذا لا مدخل لفروعها فيه مثل الطّبّ والفلاحة وغيرهما)^(٢) انتهى

وغير خفي ضعفه، فإنّ التّفكر في العالم العلوي والنّظر فيه من جهة الحركة والسكون، وكذا علم النجوم كما قال، وكذا سائر أقسام الهندسة،

(١) في المصدر: بنسبة.

(٢) شرح أصول الكافي: ٢٧٤/١.

دال على كمال الأحكام والإتقان، وقد أمر الرسول ﷺ النظر في المخلوقات والتفكر فيها، كما قال الله تعالى، وأمر به في: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾^(١)، وغيرهما.

ومعلوم حصول زيادة اليقين والاستدلال بذلك، وهو أعظم ما ينتفع به في المعاد، وقد استدل المعصوم على إثبات الله وعلمه وحكمته بالسماء، وجريها واختلاف أوضاعها، وحديث (المفضل)، و(الإهليجة)، وجزء (التوحيد)، وغيره من كتب الأصول مصرحة ببيان الإمام ﷺ الأحوال السماوية، والاستدلال بها على العمدة والتدبير، وغير ذلك من غاياتهم الإلهية، وقد احتوى ما أشرنا له على مسائل كثيرة هندسية، كما يظهر للمراجع مع ما يظهر من استخراج مسائل شرعية، وحكم إلهية، ومن جهل شيئاً أنكره، بل صرح جماعة بمطابقة العالم العددي للعالم التدويني ونسبه.

وكذا ما قاله في الجبر، والمقابلة، وعلم الموسيقى، فكم من عليل عولج به مع أن ما يترأى من بعض داخل في معرفة الموجود، بحسب ما يعرض له، فهو مفيد النفس وكمال.

وكذا ما قاله في علم الطبيعى، فما ذكره يستدل به على ثبوت الصانع، بل استدل به، ويعرف مقدار السنين الذي به يضبط كثير من الأشياء والأسباب الغيبية للحوادث الجوية؛ لينفي الاتفاق والخراف في الوجود، حتى يكون كل بقدر، ويعرف ملكوت كل شيء، فلكل ملك ملكوت. كيف وقد بين المعصوم ﷺ أسباب جميع ذلك، بأسبابها الغيبية الدال عليها بالأسباب الظاهرة، وهم لا يتكلمون إلا بالصواب وما يثمر للنفس نفعاً دنياً وآخره.

وبالجملة فسقوط كلامه حيث أسقط عن النفع أكثر أقسام الحكمة مع تصريح النص بها متفرقاً غير خفي.

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

[الفرق بين الحكمة النظرية والذوقية]:

الثالثة: قد استبان لك واتضح موضع الحكمة حيث إنها معرفة الموجود بما هو موجود بحسب نفس الأمر، سواء كان بأسبابه الوجودية أو بآثره الدال عليه بحسب ذاته، أو أحواله وصفاته من الأحكام والإتقان وغير ذلك، فمعرفة الموجود بما هو موجود بحسب تعلقه، ولذا قلت: بما هو موجود لا بحسب ذاته، فالممكن لا وجود له بحسبها، هي الحكمة الثابتة اليقينية التي لا تتغير ولا تبدل بممر السنين والأزمان واختلاف الأذهان، لأن أثر كل شيء دال عليه من حيث المؤثرية بحسب طاقته، وهذه الدلالة لا تتخلف، لأنها أثر الفاعل الموجودة بإيجاده الغير المنقطع مدده وأثره.

وأما معرفة الأمور الذهنية اللاحقة للمواد الموجودة الأصلية فهي تابعة وعكوس منها، ولوازم يستدل بها، فهي حكمة عرضاً من حيث الدلالة، وإن كان في جماعة هي الحكمة، فتھیؤ النفس بذلك وبالحكمة البحثية، وحصول استعدادها لمعرفة الموجود بما هو موجود في نفس الأمر معد لذلك ومهيأ ما لم يعرف الموجود بالذات.

لكن الحكمة البحثية لما كانت إخباراً عن لازم الشيء ودال عليه سُميت بالحكمة أيضاً، ونحن نسميها حكمة نظرية بحسب أوساط الناس، لكنها ليست كالسابقة، فإنها مفيدة لليقين والكشف. كيف والملزوم له بحسب ذاته رتبة بغير اعتبار حيثيته اللزومية.

وتسمى الثانية أيضاً بالجدال بالتي هي أحسن، وهي الحكمة البحثية، وأعظم نفعها لقطع شبهة المعاند، وإبطال جداله، وإلزامه بالحق، حيث لم يكن ذا اطلاع على معرفة الأثر بما هو أثر، فإن ما يستدل به عليه بشكل ذهني مرتب من الأشكال الاقترائية والاستثنائية، إنما وجب قبول الصحيح منه، وكانت دلالته لا تتخلف لكون مدلوله وهو الدال على ذلك في نفس الأمر، فصَحَّ لك حينئذ تسمية الحكمة النظرية جدال بالتي هي أحسن، وإن

الاستدلال بالأثر بما هو أثر، وتأمل في قولي بما هو أثر، وهو الدليل اللّمي، وهو الحكمة العالية، ومن تتبع استدلالات الأئمة عليهم السلام وذاق معنى قوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ أَيْنَمَا﴾ الآية^(١)، عرف صدق ما أقول، وإن كان فيه مخالفة لما هو المشهور على الألسن لكن ليس فيه إبطال للحكمة البحثية، كيف وقد أمر الله بالجدال بالتي هي أحسن، ونزل القرآن بها في غير آية، وسلكه الأنبياء عليهم السلام من آدم عليه السلام لمحمد عليه السلام، وأين دلالة القول من الفعل وأثر الأثر من الأثر واللازم من لازم اللازم.

فاتضح لك الفرق بين الحكمة النظرية والذوقية، ومرتبة العلم والمعرفة، ومشابهة النفس في الثانية لجواهر أوائل عللها؛ لقوة حدسها وفعليتها، وهي عقل مستفاد حينئذ دون رتبها النظرية. فاكثف بالإشارة عن تطويل العبارة.

[أقسام الحكمة الطبيعية]:

الرابعة: قد عرفت أن الحكمة هو العقل بالفعل بالقياس إلى العقل بالملكة، وهو رتبة النظر البحثي، فهي عقل بالفعل بالنسبة إلى أعيان الأشياء، فتدخل فيه صفاتها وأحوالها الذاتية والعرضية، سواء كان معرفة ذلك الشيء بوجه لا باكتناه أو إشارة، وهو معرفة الواجب أو بذاته أو مشاهدة، كما في سائر الموجودات. فانقسمت الحكمة إلى أقسام عديدة، أولية وثانوية، حيث إن الكمالات كذلك. وللشيء اعتبار بحسبه في نفسه، وباعتباره مع غيره بحسب الذات أو العرض، أو بما يحصل به بقاء النوع أو الشخص، أو المعاشرة البلدية أو السياسة السلطانية.

فتنقسم الحكمة بالقسمة الأولية إلى: نظرية، وعملية.

وغاية القسم الأول وهو العلمي، التصديق واليقين بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان، فالمقصود حصول الاعتقاد على

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

مراتبه، مثل: التصديق بمعرفة الله وعدله، والنبوة ونزول الملائكة، ومعرفة السماء والأرض.

والقسم العملي: الغاية منه حصول يقين، ورأي لأجل عمل من الإنسان، لأن العمل عقل، فهو مفيد وموصل للعقل أيضاً. كما أن العلم عمل قلبي أيضاً، ولذا كان بينهما تلازم، وأحدهما يهتف بالآخر، ومتى ارتفع أحدهما ارتفع الآخر.

فغاية القسم العلمي أن تعلم فتعمل له، والعملي أن تعلم بالعمل، فتكميل النفس حاصل بالعلم والعمل على القسمين، لكن لما كان المقصود في الأول والغاية في العلم والعمل لازم ومكمل خصص بالعلمي، ونسب إلى النظري بخلاف القسم الثاني، لا كما قيل: إن الغاية من القسم الأول هو أن تعلم النفس فقط، ويمكن تصحيحه بوجه، فهذا وجه التسمية، وإن كان كل قسم نظري وعملي. فافهم.

وعرفت وجه انقسام الحكمة إليهما، إذ الأشياء الموجودات إما للإنسان مدخل في فعله ووجوده أو لا، والثاني العلمي، والأول العملي.

ثم الحكمة النظرية تنقسم إلى: إلهي وطبيعي ورياضي، ثم القسم النظري ينقسم إلى طبيعي ورياضي وإلهي، لأن الخارج الذي يبحث عنه الذي يوجد موضوع العلم في حده.

أما أن يكون أموراً وجودها وحدودها متعلق بالمادة الجسمانية والحركة، مثل: جرم الفلك والعناصر الأربعة، وما يتكوّن منها من المواليد الثّامة والنّاقصة، وهو الطبيعي، فالطبيعي علم بأمور مفتقرة إلى مادة نوعيّة أو جنسيّة، مخصوصة في العين، والتّصوّر من حيث هي كذلك، فإنه لما قيّد بالمادة احتجنا في تصوّره إلى أن تتصوّر معه مادة هي حيثيته، ولا تتصوّره بما هو هو، مثل: البدن الإنساني واليد والفلك والأرض، وإنّما سمي بالطبيعي لبحثه عن أحوال الجسم الطبيعي من حيث الحركة والسكون.

وهذا الجسم هو المركب من الهولي والصورة المتنوعة له نوعاً بسيطاً أو مركباً أو المشخصة. ولهذا القسم أصول وفروع.

قال ابن سينا: (الحكمة الطبيعية، منها: ما يقوم مقام الأصل، ومنها: ما يقوم مقام الفرع.

و[القسم] الأول ثمانية: [قسم] معرفة الأمور العامة لجميع الطبيعيات، سواء كانت من مبادئها أو مسائلها كالمادة والصورة، والحركة والطبيعة، والأسباب^(١) والنهاية وغير النهاية، وتعلق الحركات بالمحركات، وانتهائها^(٢) إلى محرك أول [واحد] غير متحرك، وغير متناهي القوة، لا جسم ولا في جسم، ويشتمل عليه كتاب سمع الكيان.

والقسم الثاني: يعرف فيه أحوال الأجسام التي هي أركان العالم، وهي السماوات، [وما فيهن] والعناصر [الأربعة] وطبائعها وحركاتها ومواضعها، والحكمة^(٣) في [صنعها و] نضدها وصفتها ويشتمل عليه كتاب السماء والعلم^(٤).

والقسم الثالث: يعرف فيه حال الكون والفساد والتوليد والتوالد والنشوء والاستحالات مطلقاً من غير تفصيل، ويبين فيه عدد الأجسام الأولية القابلة لهذه الأحوال ولطيف الصنع الإلهي في ربط الأرضيات بالسماويات، واستيفاء^(٥) الأنواع على فساد الأشخاص بالحركتين السماويتين الشرقية والأخرى [الغربية] المنحرفة عنها [ومواجهة لها]، والكل بتقدير العزيز الحكيم، ويشتمل عليه كتاب الكون والفساد.

(١) في المصدر: والإنسان.

(٢) في المصدر: وإثباتها.

(٣) في المصدر: وتعريف الحكمة.

(٤) في المصدر: والعالم.

(٥) في المصدر: واستبقاء.

والقسم الرابع: يتكلم فيه في الأحوال التي تعرض في العناصر الأربعة [قبل الامتزاج] كما يعرض لها من أنواع الحركات والتخلخل والتكاثف بتأثير السماويات فيها، كالكلام على العلامات والشهب والغيم والمطر، والرعد والبرق، والهالة وقوس قزح، والصواعق والرياح، والزلازل والبحار والجبال، وتشتمل على ثلاثة مقالات من كتاب الآثار العلوية.

والقسم الخامس: يعرف فيه حال الكائنات الجمادية وباقي المعادن، ويشتمل عليه كتاب المعادن، وهو المقالة الرابعة من كتاب الآثار العلوية.

والقسم السادس: يعرف فيه حال الكائنات النباتية، ويشتمل عليه كتاب النبات.

والقسم السابع: يعرف فيه حال الكائنات الحيوانية، ويشتمل عليه كتاب طبائع الحيوان.

والقسم الثامن: ويشتمل على معرفة النفس والقوى الداركة والمحركة [التي] في الحيوان وخصوصاً [التي في] الإنسان، وإن نفسه لا تموت بموت البدن، وإنها جوهر روحاني^(١).

فهذه الأقسام الأصلية للحكمة الطبيعية.

[فروع الحكمة الطبيعية]:

وأما فروعه، فمنها: الفراسة والطب، والغرض فيه معرفة أحوال الجسم الإنساني بحسب ما يعرض له من الصحة والمرض وأسبابها ودلائلها لأجل البقاء الشخصي.

ومنها: علم النجوم، والغرض منه الاستدلال بنسبة الكواكب بعضها لبعض، ومن أشكالها وقياسها بالنسبة إلى ذراع الفلك^(٢) ويقاس [جملة]

(١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعات: ١٠٨. فصل في أقسام الحكمة الطبيعية.

(٢) في المصدر: درج البروج.

ذلك إلى الأرض على ما يكون من [أحوال] أدوار العالم فيحدث في البلد والملك والمواليد آثار وأفعال بذلك، والنتيجة الاستدلال من الخلق على الأخلاق، والله المقدر والخالق.

ومنها: علم التعبير، لما تتخيله النفس في متخيلتها من [علم] الغيب [فخيلته القوة المخيلة] بمثال غيره. والأول شمول هذا القسم للطبيعي وغيره.

ومنها: علم الطلسمات، والغرض منه مزج القوى السماوية الفاعلة بالقوى الأرضية المنفعلة؛ ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلاً غريباً في [عالم] الأرض، فهو قسم من إدراك عالم الغيب واستنزال الرحمة، كالدعاء والاستسقاء من الحكمة العملية، وستسمع تفصيلها.

ومنها: علم النيرنجات^(١)، والغرض منه مزج القوى في جواهر العالم الأرضي ليحدث منها قوة يصدر عنها فعل غريب.

ومنها: علم الكيمياء، والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها، وإفادتها خواصاً غيرها، وإفادة بعضها خواص بعض؛ ليتوصل إلى إيجاد^(٢) الفضة والذهب من غيرها من الأجسام^(٣).

هذا بلسان أهل الظاهر وإلا فالصناعة أخت النبوة كما قال علي عليه السلام، وقال: الناس يتكلمون فيها من حيث الظاهر، الحديث، فهي العالم والإنسان السفلي، فليس هو من الطبيعي لكن لا ينافي اعتبارنا عدة. وبقي هنا كلام طويل البسط لا يسعه المقام.

وأما أن يكون الخارج المبحوث عنه أمور وجودها متعلق بالمادة

(١) في المصدر: النيرنجيات.

(٢) في المصدر: اتخاذ.

(٣) تسعة رسائل في الحكمة والطبيعات: ١١٠، أقسام الحكمة الفرعية الطبيعية.

والحركة، فوجودها فرعها وحدودها غير متعلقة بهما، مثل التربيع والتدوير، والكروية والمخروطية، ومثل العدد وخواصه على قول لعروضه لغير الماديات، أيضاً فإنك تفهم معنى الكرة من غير أن تحتاج في تفهمها إلى تفهم أنها من خشب وذهب أو غير ذلك، ولا كذلك معرفة الإنسان أو عينه أو حاجبه، وكذا تفهم التّعير من غير حاجة إلى فهم ما فيه التّعير. وكذا الفطوسة ومع ذلك كله ولا وجود لها إلا في شيء يحملها لأنها [من] لوازمه.

وهذا قسم آخر وهو الرياضي، فهو علم بأحوال بأمور برية عن المادة المخصوصة في التصور من تلك الحيثية لا في العين وإن توقفت على مادة ما، وإنما سُمي بالرياضي لأن قديماً كان الابتداء به، والتّعليم رياضة للنفس، وتأنيساً لها باليقينيات فإنها علوم متسقة، ويُسمى بالعلم الأوسط أيضاً؛ لتوسطه بين الاحتياج إلى الطبيعة المعينة كما في الطبيعي وبين عدم الاحتياج إلى مادة أصلاً كالإلهي، فالمتوسط بينهما هو الاحتياج إلى مادة ما، وهو كذلك، والجسم المنسوب لأهل التّعاليم، هو التّعليمي العرضي، وهو الذي يبحثون عنه. ولهذا القسم أيضاً أصول وفروع.

فأصول الرياضي أربعة، علم العدد، والهندسة، والهيئة والموسيقى. ويعرف بالعدد خاصية كل نوع [في نفسه]، وأنواعه ونسب الأعداد بعضها ببعض.

وعلم الهندسة، يعرف منه حال أوضاع الخطوط وأشكال السطوح، وأشكال المجسمات، والنسب الكلية التي للمقادير كلها بما هي مقادير، والنسب التي لها بما هي ذوات أشكال وأوضاع، ويشتمل على أصوله كتاب إقليدس.

وعلم الهيئة، يعرف فيه أحوال أجزاء العالم في أشكالها وأوضاع بعضها عند بعض، ومقاديرها وأبعاد [ما] بينها، وحال الحركات التي للأفلاك

والتي للكواكب، وتقدير الكرات والقطوع والدوائر التي يتم بها [تتم] تلك الحركات، ويشتمل عليه كتاب المجسطي.

وعلم الموسيقى، ويعرف فيه حال التنغم ويعطي العلة في اتفاقها واختلافها، وحال الأبعاد والأجناس والجموع والانتقالات والإيقاع، وكيفية تأليف اللحون والهداية إلى اتخاذ الآلات كلها بالبرهان^(١).

هذه هي الأقسام الأصلية للرياضة كما ذكره ابن سينا.

وأما الأقسام الفرعية لها:

فمن فروع العدد: علم الجمع والتفريق بالهندي، وعلم الجبر والمقابلة. ومن فروع الهندسة: علم المساحة، وعلم الحيل، وعلم الأكر المتحركة^(٢)، وعلم جرّ الأثقال، وعلم الأوزان والموازين، وعلم الآيات الجزئية^(٣)، وعلم المناظر، وعلم المرايا، وعلم نقل المياه.

ومن فروع [علم] الهيئة: علم الزيجات والتقاويم. ومن فروع علم الموسيقى: اتخاذ الآلات الغربية العجيبة، مثل الأرغن^(٤) وما يشبهه^(٥).

فهذه فروع العلم الأوسط، فيكون جملة أصول الطبيعي والرياضي وفروعها ثلاثة وثلاثون قسماً.

وأما أن يكون الخارج المبحوث عنه المطلوب معرفته أمور، ليست مفتقرة في وجودها ولا حدودها إلى مادة وحركة بوجه أصلاً، كمعرفة الله والملائكة وما يلحق الموجود لا بخصوصية أو حيثية، كالوحدة والكثرة

(١) المصدر السابق.

(٢) في المصدر: وعمل الحيل المتحركة.

(٣) في المصدر: وعلم آلات الجزئية.

(٤) في المصدر: الارغل.

(٥) المصدر السابق.

والعلة والمعلول والكلية والجزئية، والتَّمامية والنقصان، وما أشبه ذلك من الأمور العامة والعلم الخاص، بهذا يسمّى بالإلهي، وهو علم بأحوال أمور برية عن المادة مطلقاً، ويسمّى أيضاً بالفلسفة الأولى، وبالعلم الكلّي والأعلى، والحكمة العليا، وعلم ما بعد الطّبيعة، ويسمى بالإلهي، وإن بحث فيه عن غير معرفة الآلة تسمية للشيء بأشرف مسائله وغايته القصوى، وبه يحصل كمال النَّفس الذي هو غاية الطّبيعي، والرياضي أيضاً.

ولمّا كان موضوعه أعمّ الموضوعات بخلاف سائر العلوم فموضوعاتها جزئية، صحّ تسميته بالعلم الكلّي، فموضوعه أعمّ الموضوعات بخلاف غيره فإنه مقيد بحقيقة، كما يفهم من معاني العلوم السابقة فهي جزئية.

فإذن كل ما سواه مقدّمات له وشروط، وشيء منه يجري مجرى المقدّمات وآخر أصول، ثمّ فروع أيضاً.

والأوّل: المعاني العامة لجميع الموجودات، مثل الهوية والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف والتضاد والقوة والفعل والعلة والمعلول.

والثاني: النظر في المبادئ والأصول، لمثل علم الطّبيعيّ والرياضيّين، وعلم المنطق، ومناقضة الآراء [الفاصلة فيها]، ونقل عن ابن سينا عدّه من أصوله.

وأما أصوله فخمسة:

[الأوّل]: النظر في إثبات الصّانع وصفاته وإنها عينه، ومعناه إطلاقها عليه، وإنه لا تكثر فيه بوجه.

الثاني: معرفة عدله في فعله، وإنه لا يجور ولا يظلم، ويدخل فيه مسألة الأفعال، ولك إدخاله في الأول، بل لك إرجاع الخمسة إلى التوحيد والعدل، ووجهه ظاهر عقلاً ونقلاً.

الثالث: معرفة النّبوة وصفاتها، وما يثبت به ووجوب طاعته.

مبعثرات

الرابع: معرفة الإمامة، أي الخلافة خاصة بعد النبي ﷺ، وكذا صفاته من العصمة وغيرها، وعلاماته، وإن الزمان لا يخلو من النبوة أو الخلافة، وعُني بالنبوة الرسالة، فخليفته نبي معنى.

الخامس: الحشر الجسماني ومعرفته، وقيام الدليل عليه، سواء كان من جهة إخبار الصادق به كما قال بعض: إن الدليل العقلي لا يساعد عليه، ولكن يجب تلقّيه من الشارع وتصديق الصادق في إخباره به، فليس كل شيء يُدرك بالفعل أو بالدليل العقلي، كما ظهر عند المتألهين، وليس هنا موضعه. وعدّ بعض للخامس ومعرفة النبوة والخلافة من فروع سفه، فهذه خمسة.

ومن فروع النظر في الملائكة أو الجواهر العالية على مراتبها وطبقاتها من ملائكة الكروبيين والسموات والأراضين وسائر مخلوقاته، وتسخير كل لكل فبعض محرّك، وبعض أمر بأمر رب العالمين، ذلك تقدير العزيز الحكيم، وبعض مبلغ وارتباط بعض ببعض، وقيام الكل بالأمر الإلهي، فالكل مبدع تام لا قصور فيه ولا نقصان بل خير محض، وإن دخول الشرية فإنما بالعرض، إذ النظر للتفصيل، وإنما صدوره بالجهة الخيرية، إذ لا قبح فيه تعالى بوجه ولا تركيب كذلك. وبعض عدّه من أصوله، لكن وجه مراعاتنا غير خفي.

ومنها: كيفية [نزول] الوحي، ومعرفة ما يكون به الإنسان أهلاً للتلقي، وكيفية تأدي الوحي، حتّى يكون مسموعاً مبصراً بعد روحانيته، وكذا إبصاره الملك النازل به، وإن النبي بأي خاصية تصدر عنه المعجزة، والحديث القدسي والنبويّ والبشري، ومعرفة أقسام الوحي، وبأي خاصية يخبرون عن الغيب، وكذا تقسيم النفوس بحسب النهاية، وما شدّ من البيان، فرجوعه لبعض غير خفي على أهل البيان، فهذه تسعة أقسام. فهذه جملة أقسام الحكمة النظرية.

[أقسام الحكمة العملية]

وأما أقسام الحكمة العملية فلائه: إمّا أن يكون المقصود منه تكميل الإنسان نفسه، فهذا التدبير خاصّ، [على] شخص واحد، وقد يتوقف على غيره عرضاً، أو غير خاصّ بشخص، بل مع الغير. وهذا إمّا أن يكون بحسب اجتماع منزليّ أو بحسب اجتماع مدنيّ، ويدخل في الأخير السياسة الملكية، وتكميل الشخص أيضاً ملاحظ باعتبار ما يلاحظ فيه الغير.

ويعرف بالقسم الأوّل: الإنساني، كيف ما ينبغي أن يسلكه في أخلاقه وأفعاله وتروكه القلبية والقلبية، وسائر الأفعال والأقوال، وقد اشتمل على جميع ذلك الشريعة، بل وباقي الأقسام كما يظهر لمن تتبّع كتب الفروع الأخلاق وغيرها، ويجري بعض منها مجرى الأصول، كمعرفة أصول الأخلاق وأصول الفقه، والعمل بمقتضاها، ولا يضرّ أحدنا التّصور وبعض كالمقدّمات، وهو معرفة مثل النّحو والصّرف، وما يتوقف عليه من علوم الآلية، التي هي ألطاف لسانية مقربة للنفس إلى الألفاف الغيبية.

وتنقسم اللفظية أيضاً إلى ما يكون المقصود منه بيان مادة الكلمة، كالصّرف، أو ما يعرض لها بحسب الإعراب، وهو النّحو أو بحسب غيره، ولكلّ أصول وفروع، وليس بيان ذلك هنا بمقصود وإنّما وقع في استطراد التقسيم.

ويعرف بالثاني: تدبير منزله بالنسبة إلى الزّوجة وما الصّالحة له، وكذا حاله مع خادمه ومملوكه وولده، وكذا تدبير المنزل نفسه، حتّى تنتظم أحواله وتتنسّق إلى أن يتمكّن من تحصيل السّعادة والسّلامة من بلائهم، وبيانه يطلب من كتاب العشرة والنكاح وغيره، وصنّفت العلماء فيه بعنوان كتاب تدبير المنزل.

ويعرف بالثالث: تدبير السّياسات والرّئاسات الفاضلة، والاجتماعات المدنية الفاضلة والردية، ويعلم وجه استيفاء بعض وزواله، ويدخل فيه

معرفة من يعامل ويجالس ويشاور كفيّاتها، وكذا كفيّة الحروب والقتال والسّلم وترتيب الجيوش، وغير ذلك. وتفاصيل ذلك يطلب من أبواب الجهات والعشرة والمتاجر، وجنود الإيمان وغير ذلك من كتب الفروع.

ومن الحكمة العملية أيضاً يظهر عدم غناء النّاس عن النّبي أو خليفة سادّ مسدّه، فلا غناء للنّوع الإنساني والنّظام الوجوديّ عن أحدهما، وحيث روعي في كثير من أقسامه حال الأزمان والأشخاص، وهي لها اشتراك في ذاتي لا تتخلّف فيه ولا يخرج بعض عنه وقتاً أصلاً، ولها اشتراك جنسيّ يفسد الجنس أو ينفعه لا يختلف أيضاً، بحسب الشّخص والزمان.

ولها اختلاف شخصيّ، فليس ما ينفع أو يضر شخصاً وقتاً ينفع آخر وبالعكس، إذ كلّ شخص مخالف لشخص الآخر، وألا يكونان شخصاً واحداً، هذا خلّف، فصحّ، وظهر عقلاً عدم جواز النّسخ في المعارف الأصوليّة أصلاً، وجريانه في بعض الفروع دون بعض بحسب اختلاف الملل وسائر المراعات، وظهر وجهه في أصل الوجود، إذ الاتفاق الوجوديّ، وكذا الجنسيّ مع الاختلاف بوجه، وكذا الاختلاف النّوعيّ والشّخصيّ لا ينكر، فكذا التّكليف الوضعيّ، وبطل قول منكر النّسخ، وجميع ذلك ظاهر من النّص.

قال ابن سينا: (فما كان يتعلّق من ذلك بالملك فيشتمل عليه كتاب أفلاطون وأرسطاطاليس في السّياسة وما يتعلّق من ذلك بالنّبوة والشّريعة، فيشتمل عليه كتابهما^(١) في النّواميس، والفلاسفة لا يريدون بالنّاموس ما يظنه العامة من النّاس، وهو الحيلة والخديعة، بل النّاموس عندهم هو السّنة والمثال القائم الثابت بنزول الوحي، والعرب أيضاً تسمي الملك النازل بالوحي ناموساً)^(٢).

(١) في المصدر: كتابان هما.

(٢) تسع رسائل في الحكمة والطبيعات: ١٠٨.

فهذه جميع أقسام الحكمة العلمية والعملية، وجميع أقسام الثانية مقربات وألطف في الأولى وسائقة للنفس إليها ومنبهة لها عن قدرتها.

[مقامات الحكمة الظهورية]:

الخامسة: في الكلام على الحكمة ومقاماتها الظهورية بطور آخر أعلى مما سبق، فنقول: عرفت أن الحكمة: إمّا من الإحكام والإتقان؛ لوثاقتهما وأحكام دليلها، أو المستدل أو لتقييده نفسه عن التعدي، كالحكمة للذّابة، وعرفت أنها معرفة الموجود على ما هو عليه، أي بحسب فطرتها الوجودية، فدلالتها أقوى الدلالات، فإنها دلالة فعل، وهي أقوى من المفهوم اللفظي أو غيرها، إذ لا غلط فيه ولا تشكيك، ولا يحتمل الشيء غير ما هو عليه، وظاهرها دليل الموعظة والجدال بالتي هي أحسن. وليست الحكمة ما يسمونه أهل النظر بها من الدليل الاقتراضي أو الاستثنائي على أقسامهما، فأخذهما من المفاهيم اللفظية واللّوازم الذهنية، وهذه يجري فيها الغلط والتشكيك وغيرهما، وما فيهما من صواب فحاصل من الغير، ولا يحتاج في دليلها إلى ذلك، وأحكم الحكماء محمد ﷺ وآله ﷺ. والحكيم إنما يخاطب الناس بما يعرفون ويفقهون، وإلا ضاعت فائدته من الفهم والتفهيم. واسمع أنه ﷺ ما كلّم أحد بكنه عقله قط^(١)، ولهذا أمره الله أن يدعو إلى سبيل ربه، وهو طريق معرفته وظهورها في الخلق بطريق الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن، ولكل مراتب فإنهم - صلى الله عليهم - أقاموا الدلائل على سبيل العموم الاستغراقي لجميع الخلق، طراً من ملك، أو فلك، أو إنسان، أو حيوان، أو جن، أو نبات، أو معدن، وجميع الأشياء من الذّوات والصفات والأفعال، وسائر الأحوال ذاتاً أو عرضاً لكلّ بما يناسبه ويحتاج إليه فيما يتوقف عليه تمامه أو كماله من الواجب والمندوب

(١) الكافي: ٥١/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (١٥/١٥).

وغيرهما، لكلّ بما يناسب وجوده ومرتبة فهمه وتفهمه، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٢)، وهي الكتاب المبين، والهدى الموعظة. والأول: الجدل بالتي هي أحسن، ونهى عن الجدل بالباطل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣)، [وقوله تعالى]: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَيِّنَاتِ لِيُذْخِرُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فيحسب المفهوم الصفاتي دل على النهي بغير التي هي أحسن، وجميع أنواع الأدلة والدلالات ترجع إلى هذه الأقسام الثلاثة. فدلّل الحكمة هي معرفة الأشياء على ما هي عليه، مشاهدة عيانيّة أو بالنظر إلى عللها وأسبابها الوجوديّة.

قد يحصل التنبه عليها من الكتاب والسنة، وتسمى هذه المعرفة بالمعرفة الذوقية العيانية على مراتبها، قال الله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتُنَا فِي أَلْفَاقٍ﴾ الآية^(٥)، وقال ﷺ في وصف العالم العلوي: «ألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله»^(٦)، ويعرف منها سرّ ظهور النقطة الواحديّة الفعلية في ظهوراتها التنزيّلية الكونية في العوالم العلوية والسفلية، بحسب ذواتها الكلية والجزئية، وصفاتها وأحكامها ذاتاً أو عرضاً، ومن ذلك يتضح معرفتهم النورانية، وصاحبها يسمى مؤمنٌ ممتحن قلبه بالإيمان، ومن ينظر بنور الله والمستدلّ بها حينئذٍ مستدلّ بالدليل اللمّي ومستدلّ بالله، أي بظهوره على خلقه، فليس الخلق إلّا نفس الظهور في جميع الأشياء.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٨، وسورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٦) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٠.

ومعلوم أنَّ المدلول نتيجة الدليل، وباقي الطرق السابقة طريق لها وما فيها من الدلالة، فمن فاضل هذه من وجهة اللزوم والفضل النوري، ولا يستدل على الباطن الخفي إلا بأمر ظاهر منه، وفي هذا المقام ينقلب الدليل الذي يسمونه أهل النظر بالآني لمتي، وكلُّ دليل لمتي بحسب مقامه، واعتباره آني، فالله إنما خاطب كلَّ شيء وظهر له بحروفه وحقيقة ظهوره، وما عرف من الدلالة عليه عرف ولم يظهر بحقيقته ويعرف بذاته الأحديّة، وإلا لم يكن واجب وجود وبسيط الحقيقة. فافهم.

وليس معنى الدليل اللّمي كما قاله أهل النظر، ويظهر لصاحب الحكمة رجوع الأشياء لشيء واحد في اختلافها وائتلافها، وليس هنا إلا معرفة يقابلها الإنكار، ويدرك بالفؤاد الذي هو النور، الذي ينظر به المؤمن، وبها تنحل معضلات الأخبار ومشكلات المسائل، ممّا وقع فيها الاختلاف أو الائتلاف بين العلماء، وليس بيان الرسول ﷺ وآله ﷺ مخصوص بما لا يدرك عقلاً، وإلا لم يتم الدّين بهم، ولم يكونوا مدينة العلم وبابها على سبيل العموم، وما عليه شريعتهم بخلاف ذلك، ولا كانوا أفضل الكلّ وأجمعه، ولم يكونوا ﷺ أقاموا الدلائل على سبيل العموم، ولا المبلّغون لجميع أحكام التّكليف الوجودي والتّشريعي. والعقل رسول باطن، وهم الواسطة له، وإن كان به يدرك صدقهم. فافهم.

ومن قال بذلك فقد أحال، وما لمجال المسألة من جواب، وقال ﷺ : «اللهم أرنا الأشياء على ما هي عليه»، وقال ﷺ : «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله أو معه».

وإنّما قلنا: إن الحكمة هي معرفة الأشياء على ما هي عليه، كما قال ﷺ وطلب؛ لأنك إذا نظرت للشيء وجردته عن جميع مشخصاته حتّى عن الإشارات والأوضاع والهيئات، وجميع الجهات والكيفيات، وباقي النّسب فقد وصلت إلى معرفة الله، وكان ذلك هي المعرفة والصّفة التي

تعرف بها الله لخلقها بما ظهر لهم بهم، ولا يدرك هذا بغيرها، وما يدرك ويستدل به من جهة القيود والنسب والإضافات كلاً أو بعضاً فهو الدليل الآني والاستدلال الأثري وباقي الطرق، ولك أخذ ما عليه الشيء، أي بحسب فطرته أعم من ذلك.

ولما كان دليلها ذوقياً عيانياً لزم منه الضرورة والبداهة.

ومن قولنا: أنه يوصل إلى حقيقة المعرفة، ومعرفتها لزم منه بطلان، قول من يقول: إن معرفة الله محال، لابتناؤه على وحدة الوجود، وهو باطل، والمعرفة المطلوبة معرفة دلالة، فكيف لا تعرف، وإنما المستحيل معرفة الإحاطة، وهي لم تطلب ولم تعرف بوجه. وكذا من يقول بكمون الأشياء فيه، ثم ظهرت ونحو هذه الأقوال الضالة، فإنها تنافي معرفته. ولما كانت أعلى المقامات في الدلالة، بل هي نفس المعرفة، والإنسان مثلث بحسب الدلالة الإدراكية المطابقة لتثليثه الكوني، كان مقام الحكمة منه ومستندها الفؤاد، وهو أعلى مشاعر الإنسان ومبدأ وجوده، وذكره الأول.

وفي المصباح، عن الصادق عليه السلام: «إن ضياء^(١) المعرفة يتجلى في الفؤاد»، وهو محل المعارف الإلهية المجردة عن الصورة والنسب، والأوضاع والكيفيات، والإشارات والجهات، والحدود والتضاد، وباقي القيود لأنها مثله الدال عليه.

ودون هذا المقام، وهو الوجود العقلي^(٢)، مدرك المعاني، ودونها النفس مدرك الصور، ولما كان هو الوجود ونفس الدلالة والمعرفة والصفة الدالة عليه تعالى كان مفطوراً عليها، وهو حقيقتها وجهته اليمنى من ربه،

(١) النص: «وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد عاج ربح المحبة». (راجع: مصباح الشريعة:

١١٩، الباب السادس والخمسون في البيان).

(٢) في المخطوطتين: الوجود العقل.

ولا ينظر إلى نفسه أبداً، بل إلى ربه؛ لأنه صفة وأثر، ولا تحقق للصفة بغير ملاحظة الصفاتية، فهي تابعة للغير، بخلاف الماهية فإنها نظر هوية الشيء، ويكون لها ملاحظة آتية، ولها وزير النفس الأمانة بالسوء، وهو الظالم الذي يحوم حول نفسه، كما روي عن الصادق عليه السلام^(١)، والشجرة المجتثة، وأصل المعاصي الإعراض، ونظر الإنسان لنفسه وحركتها على غير جهة العقل، والوجود وهي الحركة العرضية، وحركة العامل بمقتضى العقل، هي الحركة الذاتية، والعامل بمقتضى العقل، والحائم حوله، وهو القلب كما روي، العامل بمقتضى الفؤاد، والمعرفة هو الحائم حول ربه، كما روي عن الصادق عليه السلام، ووجه من ربه، وليس له حركة ونظر لغيره.

وهذه المعرفة التي ذكرها علي عليه السلام لكميل في خمسة وجوه أو ستة، والحقيقة التي سئل علي عليه السلام عنها.

وإنما قلنا: إنَّ بها يحصل الدليل اللامي، والمعرفة الحقّة وهو الاستدلال به على نفسه وعلى غيره، لأن غيره من الدليل الموعظة والجدال بالتي هي أحسن، إنَّما يحصل به إثبات صانع أو إثباته بإبطال غيره، وفيهما نظر في الجملة إلى نفس الأثر من جهة متأثرته، بخلاف دليل الحكمة، فإنك تنظر فيها إلى نفس الأثر من حيث الأثرية، وهي صفة، وتجرده عن جميع القيود والصفات، وحينئذ ليس معك إلا نفس الأثرية، وهي صفة الغير، وقيامها به تعالى، أي بفعله، ولا ملاحظة له من نفسه، ولا دلالة مطلقة كدلالة الأشعة على نفس المستنير القائمة بفعله من جهة نفس الاستنارة، ولا شيء أقوى وأشدّ من ظهور الظاهر في ظهوره، ولا ظهور لغيره ما ليس له، كما قال الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «فهو ظاهر بنفسه وظهور غيره به».

نعم، لا يمكن معرفة الظاهر إلا بظهوره، لأنَّ ظهوره ليس بذاته، بل

(١) بحار الأنوار: ٢٣/٢١٤.

بصفته الدّالة، فظهوره ظهور تعريف صفاتي لا ظهور مباينة وعزلة، كالكتاب والمتحرك ظهوره بهما، وهو أقوى من نفس الحركة والكتابة، وكذا في باقي صفاته، وهي معاينة الدّالة عليه، وإن كان لا يمكن معرفته ويتوصل إليها إلا بفعله وصفته، وله اعتبار من ذاته دونها، ولا يعرف بها، وإنما يعرف وينادي ويُدعى بالقيام أو الحركة أو العلم أو الحياة أو القعود ونحو ذلك، فنقول: يا قائم وغير ذلك، وهو في القيام أظهر من القيام وحده، وإن كان ظهوره به، وحينئذ يظهر معنى كلام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وغيره عليه السلام في الاستدلال به عليه، وهو هذا المقام بما عرفناك، فتأمل ذلك حقاً، واجعل دليلك الكتاب والسُّنة بحسن تفطنك، والله في جميع حالاتك حاكمك إلى نفسك، قال عليه السلام: «لا تدركه الأوهام بل تجلى لها بها وإليها حاكمها»، فتأمل وافتح على نفسك باب الحكمة بنوره المكتسب من أوليائه عليهم السلام، وأمثله كثيرة في الكتاب والسُّنة من الروايات والأدعية والخطب، وهذا الدليل لخواص الخواص على مراتبهم.

ودليل الموعظة، وهو للخواص على مراتبهم، ويحصل به اليقين المبعد من الشكوك والشبهات، وهو يحصل من تهذيب النفس بالأخلاق الحسنة وتجنب الأخلاق الرديئة، وحينئذ إذا استعملته حصل لك ذلك وهو ما يلزم من دليل مسلم أو ما يحصل به النجاة أو الاحتياط العقلي.

ومنها: قول الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء: «إن كان كما تقولون، ولا يكون، فنحن وأنتم شرع سواء، وإن كان كما نقول، وهو كما نقول، نجونا وهلكتم»^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٢)، [وقال تعالى]: ﴿أَفَتَتُلَوْنَ رِجَالًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

(١) الرواية في كتاب التوحيد للصدوق: ١٢٦، باب ٩ القدرة، حديث رقم (٤).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٢.

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرُكُمْ بِهِمْ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٢)﴾.

ومنه: الاستدلال على المطلوب بما يكون به الوجود أتم وأكمل، ولا مانع منه كالاستدلال على عصمة النبي ﷺ والإمام عليه السلام، كما تقوله الإمامية، وإثبات جميع عقائدهم، والاستدلال على ثبوت الحقائق الشرعية وغيرها، فإنه متسع كثير الأصناف والأوصاف، وهو أوسع من دليل الحكمة، وليس في هذا الدليل والسابق معارضة إلا بالمنع والإنكار؛ لعدم جريانه في مقدماتهما، وليس مأخذه الألفاظ ومفاهيمها أو طريق ملازمة عقلية، حتى يجري فيه الاشتباه والتشبيه والمغالطة، وإنما يجري ذلك في الدليل الثالث، وهو الجدال بالتي هي أحسن، وفائدتها رفع شبهة أو زوال مانع، وقد يستدل به على إثبات أصل الحكم، وما ذكره أهل الكلام والمنطق من الاستدلالات، فما فيها من صواب فممه وإن سَمَّوه بالحكمة، وغلطه كثير كما بيناه، وسيأتي بعضه متفرقاً في المجلدات الآتية، ومبنى هذا الدليل على أخذه من المفاهيم المنتزعة من الموجودات الخارجية ولوازم الذهن واللفظ، وينفون الدلالة من غيره وأقسامه به ما وصلوا من اقتراني أو استثنائي، وهذا تقع فيه المعارضة كثيراً بخلاف القسمين الأولين، فلا تقع فيه، فإن وقعت فهو من هذا القسم؛ لوقوع الاستثناء في هذا القسم، واختلاف الإفهام، فتزد الإشكالات ووجوه الاشتباهات لما أشرنا له من أن مبنى هذا الدليل المقدمات اللغوية والشائعة المجازية وغيرها، وأقسام الجمل ومعنى اللفظ أو مصدوقه أو مفهومه أو مصدره ونحو ذلك مما يلاحظ فيه اللفظ ودلالته، ومعلوم أنه يحصل الاشتباه في ذلك على كثير؛ لوقوع التفسير أو القصور، بخلاف القسمين السابقين فليس

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

مبناهما على ذلك، وما أكثر الاحتمالات في هذا لذلك ولا ينقطع، وهو آلة نافعة في العلم.

وهذا الثالث هو السُّنَّة القائمة المذكورة في الحديث الآتي في المجلد اللاحق حيث قال ﷺ لرجل أظافوا به في المسجد، فقال: من هذا؟ فقالوا له: علامة. فقال: ما هو؟ فقالوا: عالم بوقائع العرب وأنسابهم. فقال ﷺ: إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنَّة قائمة، وما سواهم فهو فضل» والأولان مراد بهما الأولين. فافهم.

فهذا الحديث طبق الأربعة السابقة، والثلاثة أيضاً، هي: الحقيقة، أي علم التوحيد وما يلحق به، والطريقة وهي علم الأخلاق وتركية النفس بها، والشرعة وهي علم الشريعة.

وفائدة هذا وغايته: حصول العلم، أي المعلوم، وهو نفسه، سواء كان حصولي أو حضوري، كما بين في موضعه.

والسابق: مجموع القلب وحصول اليقين فيه. والأول: انجلاء نور المعرفة في الفؤاد كما قال عليّ ﷺ، ويحتاج هذا القسم إلى شدة تفتن وتحرز وإنصاف الخصم، بأن لا تنكر حقاً ولا تجادل بباطل، وهو بكسر باطل، أو لإثبات حق، وكلُّها داخله فيما زاد على الثلاثة، وهو الجدل بالباطل، وبغير التي هي أحسن، ومنه أنواع: المغالطات المذكورة في الميزان، وفي أدلتهم كثير كما سيأتي متفرقاً، إن شاء الله.

ولا يستعمل هذه المعصوم ﷺ وحاشاهم من عملهم بما نهوا عنه ونهوا عنه، وقد يستعمل بعضه غيرهم قصوراً مع الخصم ويقرّ وهم كما عليه. حديث الشامي الآتي في أول مجلد الحجة للقصور، ونهي الصادق ﷺ عنه بعد ذلك في الحديث، وسيأتي. وهذا القسم للعوام.

وفائدة السكوت الإقناعي وقطع شبهة الخصم، ولا يفيد المعرفة التامة بخلاف ما سبق، وما فيه من صواب فهو في الكتاب والسنَّة بآتم بيان،

وأكثر ما ذكره علماء أصول الفقه في الاستدلال وكيفيته منه، وفيه غلط كما أبتاه في موضعه، وعمل النبي ﷺ وآله ﷺ، وكذا الأنبياء السابقين به، وهو ظاهر من الكتاب وكتب الحديث كالاحتجاج والإكمال وغيرهما، واستعمال العلماء دليل الحكمة أو الموعظة قليل، والسبب عرفته، والناس فيهم المحكم والمؤول والمتشابه، بل من لا يركن إلا إلى المتشابه أنه يجري فيهم كما يجري في الكتاب الحرفي فكل طبق الآخر، بل هو صامت وهذا ناطقة، أو قل هو ناطق به، وهم ﷺ أول من حملوه أولاً في جميع مقاماته بجميع معانيه، ويجري في غيرهم ببعض بحسب الفرعية والتبعية، أو تبع التبعية، كمراتب المستنير من المنير، ومحمد ﷺ وآله ﷺ قد أقاموا الدلائل وأوضحوها بجميع الطرق كما عرفت، ومن جاهد فيه بصدق العلم والعمل وصل إلى غايته كما قال الله تعالى.

وأضعفها القسم الثالث، فإنه لا ينفك أيضاً عن إشارة وتحديد وقصور في الجملة، والله منزّه عنها، ولا تخص الحكمة المذكورة في جنود العقل بالحكمة العلمية أو العملية بل ما يشملها لعدم التقييد في الحديث، وهي تشملهما، وكلّ حكمة علمية وعملية بوجه، وأحدهما لا يكفي عن الآخر، بل كل يوصل إلى رتبة زائدة من الآخر فهما مقرونان.

وعنهم ﷺ: «العلم مقرون بالعمل، [فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل]، فإن أجاب وإلا ارتحل [عنه]»^(١)، وما يسمّى بدونه علماً فعلى طريق المجاز والمعنى المتداول. فافهم.

[نصائح لطالب الحكمة]:

ويجب على طالب الحق ترك العناد خصوصاً في الحكمة، وكمال الإنصات والتفهم، وأن لا يركن إلى قاعدة محصلة أو مفهوم من غير

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٤٧/١٩، رقم (٣٧٢).

الكتاب والسُّنَّة، فحبُّ الشَّيء يغلب ويوجب له ترك ما هو راجح، وقد يظهر لديه، والرَّكون إلى المرجوح كذلك، وغالباً لا يصيب الحق اعتماداً على ما أنس به من القواعد، ومنهم الملا الشيرازي والكاشاني ومحمَّد صادق ومن تبعهم؛ لما تلوث نفوسهم بقواعد ابن عربي وأمثاله من أهل التَّصوف وأنسوا بها، فتراهم يحرفون الكتاب والسُّنَّة ويردون محكمة الظاهر إليها وهو ظاهر. وسيأتي متفرقاً في المجلدات، إن شاء الله تعالى. ولكن نظره إلى الكتاب والسُّنَّة بمحض فهمه وذكائه، وكذا في آياته الآفاقية والأنفسية؛ ليعثر بذلك إلى المراد من كلمتهم، والكتاب الذي هو نور يهتدى به في تيه الضلال والغواية وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ولا يخبو عن الطالبين برهانه، ليكون تابعاً لهم ﷺ، قارعاً باب مدينة العلم بحسن تفتنه واستنارة نفسه ليلقى فيها منه بما يعلمون أنَّه صلاحه وطاعته.

وروى الدَّيلمي: «ما من رجل أحبنا [وزاد في حبنا] وأخلص في مودتنا وعرضت له مسألة، إلَّا ونفثنا في روعه جواب تلك المسألة»، وهو مطابق للكتاب وغيره من السُّنَّة، ولا يجعل الكتاب والسُّنَّة تابعة له فتقلب الرؤوس أرجل وبالعكس.

وشروط الحكمة العملية الإخلاص بها لله تعالى، وأخذها من الكتاب والسُّنَّة كما فصلها الشَّارع وأرادها، فإذا جمع ذلك بما يسعه حصل الأدلة السابقة وعرف المعرفة، والله وليّ التوفيق.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْوَقَارُ وَضِدُّهُ الْخِفَّةُ».

[شرح تكملة الحديث: الوقار وضده الخفة]:

أقول: الوقار، بالفتح، الرِّزانة. وقد قرَّ الرجل يقر وقاراً^(١)، فهو

(١) الصحاح: ٨٤٩/٢. مادة: الوقار.

وقور، أي رزين، وهو حسن السَّيما الظَّاهر والسَّكينة الدَّال على حسن الباطن، فلا يتحرك من أقلّ الغضب، ولا يستعجل بأدنى المقدمات، فإنه يستلزم الثَّاني وغيره كقلّة الكلام. ووجه كون الخفة من جنود الجهل ظاهراً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالسَّعَادَةُ وَضِدُّهَا الشَّقَاوَةُ».

[شرح تكملة الحديث: السعادة وضدها الشقاوة]:

أقول: في قرب الإسناد بالإسناد، قال: سمعت الرضا يقول: «جف القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمَنَ واتَّقَى»^(١). والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذب وعصى، وفي الخصال: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقي، مسنداً، عن جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام: أنه قال: «حقيقة السَّعادة أن يختم الرجل عمله بالسَّعادة، وحقيقة الشَّقاء أن يختم المرء عمله بالشقاوة»^(٢).

وفي (التوحيد)^(٣) وغيره: «السَّعيد من سَعِدَ في بطن أمّه، والشَّقِي من شَقِيَ في بطن أمّه»، وفي غير أصل: (إن الله خلق السَّعادة والشَّقَاء قبل أن يخلق الخلق)، فالظاهر من النَّص والدُّرَاية: إن السَّعادة هي العمل بمقتضى الأسباب وخلافها الشَّقَاوَةُ، ولا ينافي سبق خلقتهما، مع أن الشَّقَاوَةَ خلقها عرضاً ولا يدل على الجبر، كما لا ينافي عدم الرِّضا بها لصلوح الإله ولسلوح الطَّاعة، ولو فسَّر الخلق بالتَّقدير فإنه وجود، بمعنى: وضع الشَّيء طولاً وعرضاً. وبسط هذا الإجمال، وبيان هذه الروايات يطلب من موضعه في مجلد العدل.

(١) قرب الإسناد: ٤٣٥.

(٢) الخصال: ٥.

(٣) التوحيد: ٣٥٦، باب ٥٨ السَّعادة والشَّقَاوَةُ، حديث رقم (٣).

وفسر محمد صالح السعادة بـ (السعيد الذي آمن [وصدق] بالله وملائكته وكتبه ورسله إيماناً لا يفوته عمل ولا يداخله دغل) ^(١) إلخ، فالشقي ظاهر حيث.

وقال ملا محسن: (السعادة: هي نيل ما تشتهي النفس مع الشعور به، والشقاوة هي: فقد ذلك مع الشعور به، وكلّ منهما ينقسم إلى دنيوي وأخروي، والسعادة الدنيوية أيضاً من جنود العقل، إذا لم تخل من السعادة الأخراوية، والشقاوتان [فكلتاهما] من جنود الجهل، كما بيّناه في [بيان] الراحة والتعب ^(٢) انتهى.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْتَوْبَةُ وَضِدَّهَا الْإِصْرَارُ».

[شرح تكملة الحديث: التوبة وضدها الإصرار]:

أقول: غير خفي عظم التوبة وفتح بابها، وأمر الله بها في غير آية مع كمال الترغيب، ولو لم يكن إلا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ^(٣)، ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ^(٤)، وغيرها كثير، كيف، وبها يحل السلامة من بلاء الذنوب وثقلها، والتخلص من عذابها ومحنها، والرجوع للخالق الغفار الرحيم الستار.

وبديهة أنه لا ينفع العبد الأبق عن سيده مع أن الله لا يسبقه سابق: ﴿أَمْ

(١) شرح أصول الكافي: ٢٧٦/١.

(٢) الوافي: ٧٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) سورة الزمر، الآيتان: ٥٤ و٥٥.

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ^(١)، أن يسبقونا، وفي الدعاء: «وإنما يعجل من يخاف الفوت»^(٢)، وإنما يرفعه عن صفته الرجوع لسيده والقيام بطاعته. والروايات في الحث على التوبة ووجوبها كثيرة متواترة تطلب من جزء الإيمان من (الكافي) وفي غيره أيضاً كثير.

وما للمؤمن والمعصية، فإن الدنيا ساعة فليجعلها طاعة، مع زجر الله له عن المعاصي وجعله مختاراً، وإخباره لنا بعداوة الشيطان لنا، وأمرنا باتخاذ عدواً، وكذا أخبر وهو الصادق عن إبليس، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ الآية^(٣).

وفي مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «التوبة جبل الله ومدد عنايته، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء عليهم السلام من اضطراب السر، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الأصفياء من التنفيس، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته، ومنتهى أمره، وذلك يطول شرحه ها هنا.

وأما توبة العام فبأن يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة، والاعتراف بجنايته دائماً، واعتقاد الندم على ما مضى، والخوف على ما بقي من عمره، ولا يستصغر ذنوبه، فيحمل ذلك على الكسل، ويدب البكاء والأسف على ما فات من طاعة الله، ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود إلى ما سلف، ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة، ويقضي القوائت من الفرائض، ويرد المظالم، ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله ويظماً نهاره، ويتفكر دائماً في عاقبته،

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٢) مصباح المتعبد: ٢٧٠. رقم (١٦/٣٧٩).

(٣) سورة إبراهيم: ٢٢.

ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سرائه وضرائه، ويثبت عند المحن والبلاء، كيلا يسقط عن درجة الثوابين، فإن [في] ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله^(١) ورفعته في درجاته.

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٢) انتهى.
فالتوبة هي الرجوع من البعد إلى القرب، وتتضمن ترك المعاصي حالاً والعزم عليه استقبالاً مع تدارك ما فات.

[شروط التوبة]:

ومن شروطها: الخلوص بها والقرب لا لمال ولا جاه، قال تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾^(٤)، وهي فرض عين، كقوله: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾، جميعاً أيها المؤمنون، وغيرها.

وأولها: الندم على المعصية، لأنه لا يخفى تصور ضرر فوات أمر، وسببها الباعث محاسبة الإنسان نفسه، ومراقبة الله، وتصوّر الآخرة مع أن «التائب عن الذنب كمن لا ذنب له»^(٥)، كما ورد عنهم عليهم السلام، فيتصور الندم، ويقوى الباعث، ولذا كان حسنها عقلياً أيضاً؛ لظهور حسن ثمرتها وعلو غايتها، والسبب القوي شروق نور الإيمان على القلب وحياته والتفاتة لجانبه الأيمن بانقشاع سحاب، فيشعر أنه كان في حجاب فتشعل نار الحزن.

[أقول]^(٦): وكثير ما يطلق التوبة على الندم، وهو من النص ظاهر، فحينئذ يدخل ما سواه من باب المقدمة والترك للمعصية الثمرة.

(١) في المصدر: علمه.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١١.

(٣) مصباح الشريعة: ٩٧، الباب الرابع والأربعون في التوبة.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٥) بحار الأنوار: ٢١/٦.

(٦) ما بين [] كلام ساقط في النسختين، وسياق الكلام يحتمل كلمة: أقول.

إشارة:

لَمَّا عَمَّ وجوب التوبة [جميع] الأحوال والأوقات، والتكليف باقي ما بقي الإنسان، فهي مستمرة حتَّى المعاينة، وحينئذ لا توبة ولا تحقق لها، بل كإيمان الملتجئ المضطر، وفي النَّص: «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته»^(١) إلخ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٢)، إلى [قوله تعالى]: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية^(٣)، وكذا ترفع في الآفاق قبل النفخ بأربعين يوماً، فهي بمنزلة ساعة المعاينة، لكن المسارعة للتوبة وإتباعها بالذنوب أولى، فإنه يدل على شدة حياة القلب وسلامته حينئذ من رين الذنوب أقوى، فإنها رين بل لا رين غيرها، قال تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤)، كيف والإنسان مؤجل وقتاً ما حين عمله المعصية، فمن سَوَّفَ بالتوبة وأخرها حصل الرين والتَّمَكَّن القلبي للمعصية، وهو في خطر أن يأخذه الموت في إمهاله، مع حصول الإصرار له حينئذ الجاعل للصغيرة كبيرة وذلك لشدة الطبع، والإصرار يحصل إمَّا بالمداومة الفعلية أو العزم على دوامه، وإن لم يفعل لمرض أو لفقد مال أو التَّمَكَّن، وفي النَّص لا صغيرة مع الإصرار، كما لا كبيرة مع الاستغفار^(٥)، وسمعت التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.

[رأي السيد الداماد في معنى الإصرار]:

وللسيد الداماد هنا شك عويص، عدده في عداد التشكيكات له في رسالة

(١) الكافي: ٢٤٢/٤، باب ١٩٣ فيما أعطى الله - عز وجل - آدم وقت التوبة من كتاب الإيمان

والكفر، حديث رقم (٢/٢٩٨٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٥) التوحيد: ٤٠٨، باب ٦٢ الأمر والنهي والوعد والوعيد، حديث رقم (٦)

مفردة جمعتها عشرون في فنون، وأحال أجوبتها على زبره ومحكمات بيّناته، وهو أن الإصرار يتحقق بالتّدم أيضاً، وقد قال العلماء، كما نصّ في المحكم: إن الهمة بالمعصية مع عدم فعلها غير مؤاخذ بها الإنسان وبينهما تدافع.

وأقول: لا تدافع. والفرق جلّي، فإن الإصرار بعد الإتيان بها بقاء على أمر وجودي، هو المعصية، وقد تأثرت به النفس فلا يقلعه إلا التوبة، مع أن تصميم العزم والإرادة والضّميم على المعصية فيه إثم، وليس هو لمطلق النية والخطر. وفي النصّ: «ما قتل رجل في المشرق ورضي به آخر في المغرب إلا كان شريكاً له»^(١)، وفيه: «إن القائم عليه السلام يقتل نسل قتلة الحسين عليه السلام لرضاهم بفعل آبائهم» الحديث^(٢)، وعنهم عليهم السلام: في تخليد أهل النار بنياتهم خلّدوا^(٣)، ولا كذلك مطلق الهمة بالمعصية بدون إدخالها في الوجود، فإنه لا شيء. فافهم.

ولما عرفت موجب التوبة، وأنه من عروض منافٍ لمقتضى الفطرة، وبها يحصل الرجوع، وعرفت شروطها، فلا شك حينئذ، عقلاً ونقلاً، في كونها مسقطة إذا وقعت كذلك من أن حصولها، فتنبه منه إلى أن سرّ الشّفاة وسطوع نورها جار في الدُّنيا، إذ الإسقاط شفاة ولا شفاة إلا بواسطتهم عليهم السلام، والإسقاط في الدُّنيا قائم.

وإذا اتضح لك فوائد التوبة وثمرتها فلا شك من كونها من خصال العقل، كما أن الإصرار على الذّنب وعدم القلع منه على العكس، ومن صفات الجهل.

(١) علل الشرائع: ٢٦٨/١، باب ١٦٤ العلة التي من أجلها يقتل القائم عليه السلام ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعل آبائهم، حديث رقم (١).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٠٣، باب ٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة، حديث رقم (٥).

(٣) الكافي: ٢٢٠/٣، باب ٤٣ النية من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٥/١٦٧٩).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالِاسْتِغْفَارُ وَضِدُّهُ الْاِغْتِرَارُ».

[شرح تكملة الحديث: الاستغفار وضده الاغترار]:

أقول: الاستغفار طلب الغفران للذنوب وستره، وعدم أثره من الجارحة والكتاب، وأنباء الأرض والجوارح له، قال الله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١﴾ الآية (١)، إذا المعاصي سبب القحط وظهور الموت والآفات، قال علي عليه السلام، لرجل قال بحضرته: أستغفر الله. «فقال: ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها: الندم على ما مضى. والثاني: العزم على ترك العود [إليه أبداً]. والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملتس ليس عليك تبعة. والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها. والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيله بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية. فعند ذلك تقول: أستغفر الله» (٢). وحينئذ يكون معنى الاستغفار والتوبة واحد مع أنهما ذكرا في القرآن مجتمعين، وكذا ضديهما، وهما الإصرار والاعتذار، بينهما فرق، لكن إذا ذكر كل منهما منفرداً يجوز إرادة الآخر منه، فلا يضّر تفسير الإمام للاستغفار بذلك.

أمّا حال اجتماعهما كما هنا فيراد بالتوبة الندم والإقلاع، باعتبار الصفة النفسية والتنبيه القلبي، والاستغفار هو أثرها ومعناها بالنسبة إلى القوة العملية، فهو طلب التطهر وذهاب أثر المعصية، ويجوز العكس. فتدبر.

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٠ و ١١.

(٢) نهج البلاغة: ٨٨٠، رقم (٤٠٧)

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْمُحَافَظَةُ وَضِدُّهَا التَّهَاقُوتُ».

[شرح تكملة الحديث: المحافظة وضدها التهاون]:

أقول: المحافظة التحفظ والمراقبة على أفعال الخير والمداومة عليها. والتهاون عدم ذلك، وعدم المبالاة بها تركاً أو فعلاً ناقص. ويدخل في المحافظة محافظة ثغور المسلمين، وستر عوراتهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالدُّعَاءُ وَضِدُّهُ الْإِسْتِنْكَافُ».

[شرح تكملة الحديث: الدعاء وضده الاستنكاف]:

أقول: الدعاء من أفضل العبادات، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١).

[أدب الدعاء]:

قال الصادق عليه السلام: «احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولم تدعو، وحقق عظمة الله وكبريائه، وعاین بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرِّك وما يكن فيه من الحقِّ والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك لئلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٢)، وتفكر ماذا تسأل، ولماذا تسأل.

والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١.

وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله، فإن لم تأت بشرط الدّعاء، فلا تنتظر الإجابة، فإنه يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء وقد علم من نيتك^(١) بخلاف ذلك^(٢).

وعنهم عليهم السلام، جواباً لمن سأل: كيف ندعو ولا يستجاب لنا؟ قال عليه السلام: «لأنكم تدعون من لا تعرفون»^(٣)، فإن المشروط فوات عند عدم شرطه، وشروطه الواجبة والمستحبة مبينة في كتاب الدّعاء من (الكافي) و(عدة الدّاعي) وغيرهما، فأخلص الله تعالى واسأله بأي اسم يستجاب لك، إذ لا بخل عنده ولا منع، ومن قابل التور استنار، كيف وقد وعد بذلك، وجعل تركه استكباراً ومع الإخلاص لله، والتوجه بمحمد صلى الله عليه وآله فلا بدّ من الإجابة، إمّا عاجلاً أو آجلاً إن اقتضت مصلحتك تأخيرها، والله أعلم بها منك، أو صرف بلاء أرسل عليك لولا الدّعاء أهلكك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»^(٤)، والدّعاء لا ينافي الرّضاء بالحال، ولا كونه معلوم الوقوع بالنسبة إلى علم الله أو عدمه لأنّه عباده وهو من الأسباب، فهو داخل ولسرّ البدء في الأشياء، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالنَّشَاطُ وَضِدُّهُ الْكَسَلُ».

(١) في المصدر: سرك.

(٢) مصباح الشريعة: ١٣٢، الباب الثاني والستون في الدّعاء.

(٣) التوحيد: ٢٨٩، باب ٤١ أنه عز وجل لا يعرف إلّا به، حديث رقم (٧).

(٤) بحار الأنوار: ٣٢٣/٩٣.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

[شرح تكملة الحديث: النشاط وضده الكسل]:

أقول: غير خفي أن سرعة النهوض وخفة الجسد عند القيام للطاعة وحالتها مما يدل على كمال الإقبال والتوبة، والقبول للأمر، وسهولة الطاعة وبالله العون، ولا كذلك الكسل عنها فإنه من جنود الشيطان، وغلبة الهوى على العقل، فيخلّي الإنسان واختياره فتثقل الطاعة حتى يلجئ الأمر والعباد بالله إلى الخروج، وهذه الصفتان من القوة العملية.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْفَرَحُ وَضِدُّهُ الْحُزْنُ أَمْ الْحُزْنُ».

[شرح تكملة الحديث: الفرح وضده الحزن]:

أقول: الفرح بمعنى البطر، غير مراد هنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١)، بل بمعنى السرور بالعمل بظهور أثر الإجابة، والقبول بسطوع النور، لا يعجب فإن العجب من جنود الجهل.

ومعلوم أنه كلما قويت اللذة وعلت قوي الفرح القلبي والنفسي، وأثره الظاهر للناس من التبسم والضحك المعتدل داخل في الألفة، والحزن المعداد من جنود الجهل، بمعنى التأسف النفساني على فوات أمرٍ واحذر زواله، وهو غير الحزن، بمعنى الانكسار القلبي بما يرد من الواردات الغيبية، فإنه من جنود العقل لاقتضائه الحياء والرضا وغير ذلك ظاهر.

قال الصادق عليه السلام: «الحزن من شعار العارفين؛ لكثرة واردات الغيب على سرائرهم، وطول مباحثهم تحت [ستر] الكبرياء، والمحزون ظاهره قبض وباطنه بسط، يعيش مع الخلق عيش المرضى، ومع الله عيش القربى،

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.

والمحزون غير المتفكر، لأن المتفكر متكلف، والمحزون مطبوع، والحزن يبدو من الباطن، والتفكر يبدو من رؤية المتجددات وبينهما فرق.

قال الله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وهو يرجع إلى خوف السر. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْأَلْفَةُ وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ».

[شرح تكملة الحديث: الألفة وضدها الفرقة]:

أقول: حُسن الألفة مع أهل المنزل، وأبناء النوع من حسن السياسة التي هي ظاهر الشريعة، وبها يحصل كثير من مكارم الصفات، وليست الألفة هنا بخاصة مع المؤمنين كما هو ظاهر. ويحتمل إرادة الألفة المشار لها في قوله: ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾^(٢).

فالمراد حينئذ بالألفة المؤاخاة الدينية، أي التعارف الروحاني الدال عليه بالتآلف الجسماني، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣)، ولا شك أن المؤاخاة في الله أمر حث الله عليه وعمله رسوله ﷺ، وفيه من الخصال الدينية كما لا يخفى ظهورها وعلوها، قال علي عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان»^(٤)، إلا أنه حينئذ يرجع إلى الحب في الله والبغض في الله، وقد سبق في الخصال.

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٢) مصباح الشريعة: ١٨٧، الباب التاسع والثمانون في الحزن.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٨٩/١٨، باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه، رقم (١٢).

وقال ملاً محسن، نقلاً عن أستاذه: (الوجه في كون الألفة من جنود العقل والفرقة من جنود الجهل، أن العقل جوهر مجرد نوراني مرتفع، [و]عالمه عالم الوحدة والجمعية، ومنه يتفرّع كلّ خير ورحمة، والجهل صفة النفوس المتعلقة بالأجسام التي وجودها عين قبول الانقسام والافتراق، ووحدتها عين الكثرة ووصلها عين الفصل [والمباينة]. وكل واحد من ذوي النفوس الجزئية قبل الصيرورة عقلاً بالفعل لا يحبّ إلا نفسه، [بل] يعادي غيره ويحسده على ما آتاه الله.

وإذا أحبّ أحداً "فإنما أحبه ليتوسل به إلى لهواه وشهوته، فإذا فارقت" ^(١) الأغراض والأعراض [من بينهم] كما في الآخرة رجعوا إلى ما كانوا عليه من الفرقة والعداوة، كما قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ^(٢) انتهى. ^(٣)

وفي بعض النسخ ^(٤): وضدها العصبية، والأظهر: الفرقة، كما هو ظاهر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالسَّخَاءُ وَضِدُّهُ الْبُخْلُ».

[شرح تكملة الحديث: السخاء وضده البخل]:

أقول: اعلم أنّ من مكارم الأخلاق التي بعث بها كلّ نبي السخاء، ولا يستقيم الدين بغيره، فأدون الداءات البخل، كما أن أرفع الدرجات السخاء، والروايات في فضله كثيرة.

(١) في المصدر: ارتفعت.

(٢) سورة الزخرفة، الآية: ٦٧.

(٣) الوافي: ٧٨/١.

(٤) يظهر أن الشارح يشير إلى بعض نسخ الكافي وليس لبعض نسخ الحديث.

وهو ينقسم إلى: سخاء بالنفس وسخاء بغيرها ممّا يجده الإنسان.
والقسم الثاني، ينقسم إلى: واجب كالصدقات المعدودة، سواء كان وجوبها على الإنسان بأصل الشرع أو أوجبها عليه بالتزامه إياها، ونفقة المؤمن العاجز، لكنّها كفاية إن لم يكن بيت مال ومستحبة، كإعطاء الضعف والحفنة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْأَمَتُهُمْ هَبْطٌ مِّمَّ حَصَكَاةٍ﴾^(١)، [وقال تعالى]: ﴿أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٣).

وينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة المال لا حيث يراد المال، ويخلص النية ولا يؤذي المعطى، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾^(٤)، وقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ الآية^(٥)، [وقال تعالى]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَكِن مِّنْ بَاطِلٍ إِذَا أَن تَنْفِقُوا﴾^(٦).

ويدخل في الإنفاق المأمور به واجب المروءة والعادة، وهما يختلفان بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص، ويجمع جميع مراتبه حفظ المال عن غرض تحصيله أهمّ من إحراز المال، فمراتب البخل تختلف، لكن من أدى الواجب لا يسمى بخيلاً، أي بخلاً مذموماً شرعاً موجب للعقاب والذم.

والإنفاق الواجب يجري في العلم بالنسبة إلى بثّه، ووجوب التعليم فإنّه مستخلف فيه أيضاً، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ﴾^(٧)، وستسمع «ما أخذ [الله] على الجهّال بالتعلم حتى أخذ على العلماء

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٧.

بالتعليم»^(١) والروايات الحاكمة بوجوب التعليم كثيرة، وكذا المستحب، كتعليم ما لا يسأل عنه، ولا تعلم وجوبه على السائل، وإن لم يسأل عنه وألا يدخل في الواجب، وقال تعالى في المأثية المستحبة: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾^(٢).

وفي النص: هو ما يجعله الرجل على نفسه في ماله، يعطيه في اليوم أو الجمعة أو الشهر قل أو كثر، غير أنه يدوم عليه، وقال: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٣).

وفي النص: هو القرض، يقرضه والمعروف يصنعه، ومتاع البيت يعيره. ومعلوم أن التوسعة بالمال زيادة لا لتكنز وتذخر، فكونوا كما قال الله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٤).

وفضل الإنفاق وسره؛ لتحصيل التعطف به وقمع الحرص والشهوة وغيرها ظاهر غير خفي. كيف، وقد حث على الإنفاق الأجود واختياره، كما هو المناسب كما عرفت، وقال تعالى: ﴿لَن نَّأَلُوا الْإِثْرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾^(٥)، [وقال تعالى]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾^(٦)، [وقال تعالى]: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ الآية^(٧).

والقسم الأول هو أن يسخو بالنفس ويصيرها في الطاعة، وعن الصادق عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: «ملعون [كل] مال لا يزكى، ملعون كل جسد

(١) في نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٥٥٦/٢٠، رقم (٤٨٦)، قال عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا».

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٩.

(٣) سورة الماعون، الآية: ٧.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٦٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

لا يزكى، ولو في كل أربعين يوماً [مرة]، فقل يا رسول الله ﷺ: قد عرفنا زكاة المال فما زكاة الأجساد؟ قال ﷺ: أن تصاب بآفة. [قال]: فتغيرت وجوه [القوم الذين] سمعوا ذلك منه، فلما رأهم [قد تغيرت ألوانهم]، قال لهم: هل تدرون ما عنيت [بقولي]؟ قالوا: لا، [يا رسول الله]. قال: إن الرجل يخدش الخدش، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضى^(١).

وفي مصباح الشريعة، عن الصادق عليه السلام: «على كل جزء من أجزاءك زكاة [واجبة لله تعالى]، بل على منبت [شعر من] شعرك، بل على كل لحظة [من لحظاتك].»

فزكاة العين النظر بالعين والغض عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأذن أسمع العلم والحكمة [والقرآن] وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك، وبالأعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها، وزكاة اللسان النصح للمسلمين، والتيقظ للغافلين، وكثرة التسييح والذكر وغير ذلك، وزكاة اليد البذل [والعطاء] والسخاء بما أنعم الله به عليك، وتحريكها [بكتابة] العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله، والقبض عن الشرور، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الأرحام والجهاد، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك. وهذا ما تحتل القلوب فهمه، والنفوس استعمله، وما لا يشرف عليه إلا عباده المخلصون المقربون، أكثر من أن يحصى وهم أربابه، وهو شعارهم^(٢) ودثارهم.

وعن النبي ﷺ: «لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»^(٣)، وأعظم

(١) الكافي: ٦٤٥/٣، باب ١٠٦ شدة ابتلاء المؤمن من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٢٦/٢٣٧٧).

(٢) مصباح الشريعة: ٥١، الباب الثاني والعشرون في الزكاة.

(٣) الكافي: ٣٦٩/٧، باب ١ ما جاء في فضل الصوم والصائم من كتاب الصيام، حديث رقم =

درجات السَّخَاء بالنَّفس الجهاد بها في الجهاد أو الدِّفاع، وتفصيله مما يطول. ولا خفاء حينئذ في علوِّ السَّخَاء وقوده إلى عدَّة خصال، ترجع إلى النَّفس وإلى الغير.

فائدة:

جميع ما سمعت من الصِّفات لم يَقم بحقيقتها، ويتصَّف بها تماماً وكماً إلاَّ محمد ﷺ وبعده الثلاثة عشر على مراتبهم ﷺ ما لسواهم منها من نبيٍّ مرسل أو غيره، فمن فاضلهم وأشعة ذواتهم وصفاتهم وأحوالهم. وسيأتي عن قريب.

فنقول هنا: لا سخاء إلاَّ سخاؤهم في الزَّكاة الواجبة وغيرها، بحيث الوجود الكونيَّ والشَّرائع، فهم جمعوهما فأعطوا كلاً ما يستحقه من ذلك، وقسموا بينهم المعيشة والزَّرق كما أمرهم الله، فإنهم الوسائط لكل في كل ما يريدون ويطلبون بمشيئته في مواد الأشياء وصورها، وما قبلت فيه القابليات والمقبولات، وما أمدَّوهم به في البدايات والواسطة والنهاية التي لا نهاية لها، بما يمكن لهم في كونهم، بما رفعوا أو وضعوا، فيؤدُّون إلى كلِّ محتاج حاجته من واجب أو مستحب أو مباح بما قدَّر له في أحكام الوجود، ومن الأجناس التسعة المخرج منها القدر المعلوم ظاهراً، وهي: التمر الزبيب، إلخ.

وكذا في مقام الإيمان والمعرفة وباقي الصِّفات، وترجع إلى تسعة، وهم القائمون على كلِّ نفس بما كسبت بأمر الله، فإنهم لا يخرجون عن أمره في

= (٢/٦٢٥٣)، من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٣٤، باب فضل الصيام من كتاب الصوم، حديث رقم (١٧٧٤)، فضائل الأشهر الثلاثة: ٩٥، حديث رقم (١٢٧)، وسائل الشيعة: ١٠/٣٩٦، باب ١ استحباب صوم كل يوم عدا الأيام المحرمة من أبواب الصوم المندوب، حديث رقم (٢/١٣٦٧٤).

حال أو صفة أو قول، فهم جادلوا وأقاموا الزكاة بأي معنى أخذ على أكمل وجه، وما يأتيه غيره فهو بحسب وسعه ممّا مكنوه منه، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنْتَهَى﴾^(١)، فسعة كلّ بحسبه، وتنقطع وتنفذ دونهم.

أمّا هم ﷺ، فهم خزائنه التي لا تنفنى ولا تغيض بإمداد الله لهم، وكونهم مظهره الحاملون له بعون الله، المعنيون بقوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، ومن فوّض إليهم الأمر لمّا لم يخرجوا عن أمره. وسيأتي في مجلدات الإمامة ومقامهم، مقام عالم الأمر.

وما عندهم ينفذ وما في خزانة الإمكان أعمّ وباقى، لكن لم يقطعه عنهم. فافهم، وميّز بين النقادين، وعدم منافاة ما قلناه فيهم لهذا، فكل ممكّن مفتقر إليه تعالى، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، [وقال تعالى]: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٤).

ولا ينافي عدّ الجنود، كما عرفت إمكان إرجاع بعضها لبعض، فإنّها كذلك كما هو اللازم من كونها جنود العقل. وترجع مفهومات الصفات لواحد، وكذا بحسب مصدوقها ومظهرها الكوني، ومبدأ الاشتقاق، وهو مشيئته، فإن الله واحد بحسب الذات وصفاتها، وبحسب الصفات الدالة عليها وموضوعها، وإن كانت هذه حادثة. فتدبر.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الصِّفَاتُ^(٥) كُلُّهَا مِنْ أَجْنَادِ الْعَقْلِ إِلَّا فِي نَبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ أَوْ مُؤْمِنٍ قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ».

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٥) في المصدر: الخصال.

[شرح تكملة الحديث: اجتماع صفات جنود العقل]:

أقول: المؤمن الممتحن من تحمّل البلاء واختبر به، وهو من عرفهم بالتورانية، والدروع الحصينة، واجتماعها في هذه الأصناف ممّا يختلف رتبة ومعرفة، فهو اجتماع في كلّ بحسبه، بمقام التّبعية الحقيقية أو الشّعاعية، وليس ذلك في رتبة واحدة، ومعرفة هؤلاء بحسب مقامهم بمعرفة محمد ﷺ وآله ﷺ، واجتماعها فيهم تبعيّة شعاعية، لكنهم هم المخلوقون من الشعاع وغيرهم من أشعة الشعاع، وهم الموالى والأتباع، ويصدق عليهم خلقهم من شعاعهم، ولكن بوسط أو وسائط.

وأما اجتماع هذه الصفات كلّها أولاً وبالذات ففي محمد ﷺ وآله ﷺ كما عرفت، فالعقل أوّل من ذاق حدائقهم الباكورة، وهم الحاملون لعرشه، الحمل الأتم، وحمل غيرهم له إنما هو بوجه أو من فاضله. وقضية كونهم الأفضل توجب ذلك، وكذا كونه تعالى واحداً، وهو يوجب كونه مظهره ودليله الدال عليه أولاً واحداً، وكذا إقامته مقامه في التبليغ في جميع عوالمه، وكذا آله ﷺ بعده توجب ذلك، وخطبة عليّ ﷺ في الغدير والجمعة تدلّ عليه، وقوله تعالى: «ولا أكملتك إلاّ فيمن أحب»^(١) وليس إلاّ واحد وهو محمد ﷺ.

وكذا ما دلّ على كونهم ﷺ العلل الأربع، وأصل كل خير، وفرعه ومعدنه، ومأواه ومنتهاه، كما تواتر عقلاً ونقلاً، وكذا ما دلّ على أنهم أعظم آياته، وبهم عرف الله وعُبد، وهي معرفة دلالة وليس إلاّ صفة واحدة، ولا بدّ من محل قابل، وهو هي، فهو واحد هو الأفضل، فهم على سبيل النّياية الترتيبية، ولكل واحد بذاته، لكن على ترتيبهم وأصلهم وسيّدهم سيّد الكل محمد ﷺ إلى غير ذلك من الأدلة. وبسط ذلك لا يناسب المقام، وسيأتي متفرقاً في مجلدات الحجّة.

(١) الكافي: ٢٤/١، كتاب العقل والجهل، حديث رقم (١).

خاتمة :

فيها تلخيص وإيضاح، به يستبين مسألة الطين والمزج وسر الاختلاف، ومسألة الجبر وغيرها من المسائل الحكمية التي تاه فيها الأكثر ولم ينبج، ويصيب الحق إلا أقل الأقل.

فنقول: مختصر القول: إنه اتضح من قوله ﷺ إن الله خلق العقل من نوره أي مشيئته، وهو النور الذي استنارت به السماوات والأرض وكل شيء فخلقه سابق، وهو الكلمة الطيبة الأمرية.

[الطينية الطيبة والخبيثة]:

ومنها: يظهر الزيادة التي أمر ﷺ بطلبها في قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وهي الخزانة العظمى، والعلم الذي لا يحيط المرسلون منه إلا بما شاء الله، كما قال الله تعالى، ولا يراد به العلم الذاتي، تعالى الله.

والعقل: طينة طيبة، عالية أصل لمن دونها، كما أن الأمر المفعولي طينة أمرية لهذه وغيرها، خلقها بتلك الكلمة الأمرية العذبة البيضاء النقية، وأجراه عليها بعد أن خمّرها وصلصلها في مقامها وعركها، فكانت شيئاً واحداً، وكلّ هذا في مقامها بحسب جهاتها من غير منافاة للتجرد ولمقامها الدهري، وهذا من الماء الطيب، ثم خلق بشمال تلك الكلمة التي خلق بها الكلمة العقلية بحراً من سجين أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأملح من البحر المالح، ﴿ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾^(٢).

وتم في الحديث لبيان التقدم بالرتبة والشرف لا بالزمان، وخلق بكلمته الأمرية فوق هذا البحر طينة ملعونة أو قل أرض، وصعد بخار ذلك الماء

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

إليها، وأجراه عليها، وعركهما وصلصلهما، حتّى امتزجا، وكانا شيئاً واحداً في غاية الخباثة واللّعانة.

والأولى طينة عليّين، والثانية طينة سجّين. وأصلهما الوجود والماهية، وهذا الحديث يدلّ على جعل الماهية جعل ثانوي، هو أولي بالنسبة لها، ولكن بعد جعل العقل لا أنها غير مجعولة مطلق، ولا جعلها عرضي مطلق، ولا أنّه لا جعل لها مطلق، ولا أنها أموراً اعتباريّة محضة أو خافية في ذاته تعالى في الأزل، هي الأعيان الثّابتة، كما بيّن في موضعه.

فتبيّن أن كلّ واحدة من الطّيتين أو الأرضين أو قلّ العقل والجهل زوج، وكلّ واحد منهما فيه شيان لكل ميل إلى واحد، فالطيب فيه الماء الطيب من مقام الفؤاد، ميله إلى معرفة الله والأسرار وتطوّر الوجود، ومعرفة الحقّ بالحقّ، وميل أرضه إلى الأعمال الطّيبة الصّالحة والأفعال الحسنة، وملاحظة ظهور الله في خلقه، فلا ينظر نظر غرور وغفلة، بل اعتبار وفكر.

والخبث ماؤه مالح أجاج، ميله إلى الجحود وإنكار الحقّ، ودعواه ما ليس له من الربوبية أو النبوة والخلافة وأمثال ذلك، وميل أرضه إلى الأعمال الباطلة الخبيثة والدّوات النّجسة، وبهما حصل الميل إلى الأعمال والعقائد الباطلة، ويكون كلّ واحد منهما بحسب المزج الكوني المتفرّع على المزج الأولي، ومنشأه الوجود المنفعل، وهو أصل الاختيار ومنشأه، فكان كلّ شيء زوجان، سماءان وأرضان، صاراً شيئاً واحداً من غير إعدام لأحدهما، ذلك تقدير العزيز الحكيم.

وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، وصار بذلك جامعاً متمكناً، مختاراً صالحاً للصّعود بأعماله إلى أعلى عليين، وما يمكن في شأنه أو التّزول إلى أسفل سافلين، فلا جبر في شيء من ذلك.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

ولهذا أعطى كُلَّ جنوداً بحسبه عدد الآخر بالمقابلة، وكُلّف كُلٌّ بمقتضى عمله حين عمل بعمله، فالمؤمن من عليّين بإيمانه، والكافر من سجين بكفره.

وليس هنا طينة لا تصلح إلّا للإيمان أو للكفر، فالخلق الأوّل والطينة الأولى صالحة لهما ومادة قابلة، كالخشب بالنسبة لما يرد عليه من الصور، وهي فيه بالقوّة ولا تُخلق المؤمن منها قبل الإيمان ولا بعده ولا معه وهو من الله، بل من العبد وبالله وبه، أي بفعله، وسمعت: «بك أثيب وبك أعاقب». وسيأتي في مجلدات الصّفات وخلق الأشياء بالمشيئة. ولو كان كذلك كان الجبر في الأصل، فلا يجري في الفرع والمركب، وهو خلاف الواقع، وما هنا دليل على ما هناك فلاختيار المشاهد التركيبي بحسب الوقت والآلة والمكان، والمطعم والمشرب وغير ذلك، دليل على تحقّقه في الأصول وإن اختلفا بساطة أو تركيباً وتفصيلاً وإجمالاً، وأصله من قبول الوجود للإنيجاد بنفس ذلك الوجود لا بوجود آخر. فتدبّر.

ونهاية إدبار الجهل إلى نقطة نورية، هي ظاهر ظهور نزول العقل، وقاعدة الثور أعلى، فكلّ منهما على هيئة مخروط متعاكسان، والمزج الكوني في عالم الملك وأسفل الملكوت وأوسطه، ولا يبعد في أعلاه أيضاً.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَأَمَّا سَائِرُ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِينَا فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الْجُنُودِ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ وَيَنْقَى مِنْ جُنُودِ الْجَهْلِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ».

[شرح تكملة الحديث: صفات جنود العقل في الموالين]:

أقول: الموالي جمع مولى، وهو المحبّ والتّابع، لا محبّ المحبّ أو محبّ محبّ المحبّ إلى سبع مراتب أو تسع، والشّفاة نعم الجميع كُلٌّ بحسبه بوسط أو وسائط.

ولمّا كانوا كذلك فلا بد وأن تكون فيهم صفة من تلك الصفات ولو بوجه، وهو في السّير والتّرقّي في الحركة العرضية، فلا بد من تقويها ولو في الآخرة من خروج له عن مقامه واستجماعها فيه، بحسب مقامه وجهة عقله، وكونه بعد في الدّرجة العليا من الأنبياء والأوصياء، لا أنه يصير نبياً أو وصياً فإنه محال، والكُلّ في زيادة، ولكنه بوجهه من عقله وفؤاده، فيكون معهم بما ظهر له به، وظهرت فيه جهة الصّفة، لا أنه معهم بحسب الرّتبة والقيام بالصّفة ذاتاً فإنه محال، ولا يصل السّافل لرتبة العالي أصلاً فإنه فاضله، والعالي معهُ بما ظهر له به.

ومثل هذا الحديث وغيره دال على حصول الاستكمال والتّرقّي لأناس بعد الموت، وهو كذلك في البرزخ وما بعده، حتى في الجنّة، لكنّها زيادة كمال من تغيير دنيويّ أو موت وحياة كما هنا. وفي كُلّ مخلوق عرش وتحمل بحسبه، وإن كان كُلّ وجه من العرش الكلّي، ومتى استحكمت خصلة من الخير فيه نفى من صفات الجهل ولو بعد حين وتصفية، واستجمعت فيه صفات العقل بحسبه، لما بينها من التّلازم وانجرار بعض لبعض، وقد يبلغ بعض من هؤلاء مرتبة بعض الأقسام السّابقة ولكنه بما ظهر له به في مرتبته، فلكلّ مقام لا يعدوه وإن اتّسعت دائرته، وجمع كثيراً من مراتب الكون، وكذا في باقي الأقسام السّابقة، فقد يلحق بعض لبعض الملائكة، لكنه في مقامه، من غير صيرورته من جنس ما فوقه، فالنفس لا تكون عقلاً. نعم، تشابهه بجهتها العقلية.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وإنّما يُدركُ ذلك بِمَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَجُنُودِهِ، وَبِمُجَانِبَةِ الْجَهْلِ وَجُنُودِهِ؛ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَطَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ».

[شرح تكملة الحديث: استجماع الصفات أو صفة منها]:

أقول: ذلك إشارة، وهو استجماع الصفات أو صفة منها.

مبعثرات

ومعلوم أنَّ اجتناب الشيء أو العمل بصفة تتوقف على معرفتها لتجنب أو يعمل بها لاستحالة طلب المجهول، ولا بدّ من سبق البيان والتعريف، وقد وقع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(١)، ولا تكليف إلّا بعد البيان، ولمّا كانت معرفة العقل وجنوده مراده بالذات ومشاءة كذلك عبّر فيها بالمعرفة، وهي قبول وعمل بخلاف الجهل وجنوده، فإنه يرجع إلى التخلية والمشية العرضية، إن عمل به وترك وغيره، وأبلغوا في البيان والتعريف ورغبوا وحذروا، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، كما لا يخفى.

وعرفت أنَّ الجنود المعدودة ثمانية وسبعون، فالثلاثة الزائدة: إمّا من قبيل الترادف في بعض، ولو بوجه، أو من قلم النسخ، إمّا بزيادة في المعدود أو نقيصة في العدد.

ولمّا كان كلّ شيء في قبضة الله وبأمره ومشئته، سأل التوفيق للطاعة ولمرضاته، وشرك غيره في دعاء التوفيق، وهو من إحسانهم وفضلهم العميم، والدعاء للغير يظهر الغيب من أعظم القربات والتوفيق، هو العمل بمقتضى الأسباب والتوجه إليها، بحيث لا يصدّ صادّ، أو يمنع مانع، وهي الأسباب المضادة لدواعي الخير والطاعة. والأسباب المانعة ضعيفة الوجود والتأثير، لأنها عن اليسار ومجتثة، والتأصل للعقل وجنوده، والأسباب الوجودية من جهة العلل الأولية، وأسباب القبول والتّمكن، وإذا ورد سبب الضدّ والمانع، وتطارد الجندان، لا يؤثر إلّا إذا ورد الأذن، والتّمكن بالقبول الكوني بعد الإمكانى وعدمه. فتدبر. وسيأتي زيادة بيان في مجلد المعاد.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الخامس عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

وقوله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْعِبَادَ بِكُنْهِ عَقْلِهِ قَطُّ». وَقَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّا - مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ - أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ».

[شرح النص: مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله للعباد]:

أقول: كنه الشيء: حقيقته وأصله وغايته^(١). ويراد بـ(كنه) عقله هنا، مقام المعاني لهم، أو عقل الكل، أو حقيقته وكنهه، مقامهم الأمري، كُلُّهَا مرادة، ويعبر بالكنه عن القدرة أيضاً.

وقَطُّ: من الظروف المبنية على الضم بمعنى الدهر، ولا تستعمل إلا في التثنية، يقال ما رأيته قَطُّ، بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة، وبعض يقول: قُطُّ، بضم القاف، يتبع الضم الضم، مثل: مذ يا هذا.

ومنهم من يقول: قَطُّ، بفتح القاف وتخفيف الطاء، يجعله أداة، ثُمَّ يَنْبَهُ عَلَى أَصْلِهِ، وَيُضْمُّ آخِرَهُ بِالضَّمِّ الَّتِي فِي الْمَشْدَدَةِ.

ومنهم: مَنْ يَتَّبِعُ الضَّمَّةَ الضَّمَّ فِي الْخَفَةِ أَيْضاً، وَهَذَا قَلِيلٌ.

(١) كنه كل شيء: قدره ونهايته وغايته. (راجع: لسان العرب: ١٣/١٢٣، مادة: كنه).

[الأنبياء يخاطبوا الناس على قدر عقولهم]:

وقال محمد صادق في الشرح، في شرح الحديث: (النفوس مختلفة في الصفاء والكدورة، وكلما كانت أصفى يكون إدراكها أفضل، وصفاء نفوس الأنبياء ﷺ غير متناه، لأن الحق أسماعهم التي يسمعون بها، وأبصارهم التي يبصرون بها، وغيرهما، فقواهم غير متناهية، وقوى الأمم متناهية كأنها أجزاءها، ولا يمكن للمتناهي أن يقبل ما لغير المتناهي، فكيف تكلم الأنبياء العباد بكنه عقولهم؟ إلا أن ينزلوا إلى قدر عقول العباد، ولهذا أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، وإذا كان الأنبياء كذلك، فكيف يكون حال أفضلهم وأعلمهم ﷺ).

أقول: معرفة مشرب أهل التصوف، وكذا عقائده من وحدة الوجود وغيرها - وسيأتي نقل جملة من عبارته في مجلدات التوحيد والحجة وغيرها - والتدراك عليه الظاهر هنا من وجوه، فصفاء كل ممكن وكماله نبياً أو غيره حتى أفضل الكل متناهي لاستناده لغيره، وفقره له، وهو بالمدد شيء، وبإبقاء الله له، ولذا خوطب بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(١)، فهو غير متناهي، لكنّه في مقام كونه الإمكانى بإمداد الله له، وعدم قطعه عنه لا بذاته، ولا تكون حقيقة الله سمعه وبصره، وكذا باقي قواه.

فحقيقته، حينئذ، حقيقة الله، لا كما قاله هذا المتصوف الضالّ، وبحسب مقام الزيادة، وهو من الإمكان إلى الكون متناهية ويطلبون الزيادة العلمية، ويلزم منه فيما دونها، ولا فرق بالنسبة إلى الله بين أفضل الكل وسائر الخلق.

وإذا قال بالاتحاد وصيرورته، سمعهم وبصرهم، فكيف يفرّق في مراتبهم، إذ لا تفاوت في ذات الله إلا أن يثبت فيها التفاوت ولو اعتباراً،

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

ولو لازم له حقيقة لا اعتباراً إلى غير ذلك مما يلزم في كلامه من المفاسد. فلع كلامه، ولا تحرف كلامهم عن الحق والهدى.

فنقول: جميع من سواهم فمن فروعهم وفاضلهم، أي أشعة ذاتهم في الذوات والصفات والأفعال، وإذا كان كذلك لا يمكن أن يخاطب محمد ﷺ وآله ﷺ أحداً غيرهم بكنه عقلهم قط؛ لعدم طاقة التحمل، فهو تكليف ما لا يطاق، ولأنه ليس من مقامهم، وهو مجهول مطلق بالنسبة لهم، فالخطاب به سفه وضلال، ولأن من العلوم ما يخص بهم كما روي، ولا يكلف به غيرهم فلا يخاطبون به، وإنما يخاطبوا بما أمروا تبليغه، ولو تأهلوا لذلك وطاقوا حمله وتحمله تساوا معهم، فكيف يكونوا أفضل؟ وبطلت التبعية، ومعنى النبي ﷺ والأمة.

وكذا نقول بالنسبة لكل نبي وأمة، ولأنه مما اتضح عقلاً ونقلاً إن الطينة التي خلقوا منها لم يبق منها فاضل ذاتي خلق منه غيرهم، وما ورد من خلق غيرهم من فاضل طينتهم، فبمعنى فاضل النور، أي من الشعاع، ولازم ذلك أنهم لا يخاطبون غيرهم بكنه عقلهم. وكذا نقول في كل نبي بالنسبة لأمة.

والمراد بالأنبياء هنا ما يشمل خلفاءهم ولو بالتبعية اللزومية أو البدلية الأقربية فإنهم في هذا الحكم، وهم سواء، خصوصاً مع ذكرهم بدونهم، فطينتهم وحكمهم سواء إلا فيما استثنى، وليس هذا منه، بل الدليل عقلاً ونقلاً قائمان على عدم طاقة تحمل باقي الأنبياء ﷺ، والخلق طراً غيرهم ما عند فاطمة الزهراء ﷺ من العلم والمعرفة فضلاً عن أحدهم، ولكونهم ﷺ نفسه كما نقل عنه ﷺ في خطبة الغدير وغيرها، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، اكتفى بذكر الأنبياء ﷺ، فيراد هم ما سواهم وأوصيائهم، هذا إذا قايستهم بالنسبة لغيرهم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وأما بالنسبة إلى مراتبهم عليهم السلام فما مع الأفضل منهم لا يطيق حمله ولا سماعه المفضول بالنسبة له، وإن كان مستودع علمه، ولا يخفى عنه شيء، فإنه فيما يقبل النقل لا فيما اختص به، وفي حديث جابر ما يدل على أن مقدار الحرف الذي زاد به محمد صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام مقدار ثمانين ألف سنة، وهكذا فيما بينهم على ترتيبهم. وسيأتي في مجلدات الحجة، لكن ما بينهم من التفاوت والتفاضل بحسب مراتبهم.

وما البحث فيه ليس فيه تفاوت بينهم عليهم السلام، بل كلهم فيه سواء، وعليه تجتمع الروايات. وسيأتي نقلها، والجمع بينها بما يرتفع التنافي، إن شاء الله تعالى.

فهم عليهم السلام جميعاً حكماء أبرار، مطلبهم الهدى والاهتداء، ولا يحصل ذلك إلا بمخاطبة كلِّ بما يعرف وبمقامة ولسانه؛ ليحصل البيان ويتم، ومضمون الحديث ظاهر، عقلاً ونقلاً، من وجوه أشرنا لكثير منها.

[شرح الحديث السادس عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «إِنَّ قُلُوبَ الْجُهَالِ تَسْتَفِزُّهَا الْأَطْمَاعُ».

[شرح النص: الطمع والنفس المرهونة بالدنيا]:

أقول: وذلك لغلبة الهدى والجهل، فيطمع لما في أيدي الناس، وتكون نفسه مرهونة بالدنيا، فمتى بذل له طمع دنيوي استفزه وأخرجه عن مضربه إلى حيث يريد أن يفعل به دينا أو دنيا، لأنه يكون حينئذ عبداً له وأسيراً في يده، فالطمع طبع.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَتَرْتَهِنُهَا الْمُنَى».

[شرح تكملة الحديث: التحذير من المنى]:

أقول: الْمُنَى، بضم الميم وفتح النون، جمع منية، أي تأميلها من غير بذل يجعلها مرهونة تحت ممتيتها، فلا فكاك له منه، فيخسر دينه، مع أنه قد يموت قبل إنجاح ما مثاه أو يموت هو أو تعدم الحاجة، والله قادر على إيصالها من حيث لا يحتسب الإنسان من الأسباب الظاهرة، فهو تعالى

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

سبب كل ذي سبب، وكل ذلك منشأ الجهل، فهو داء عضال، قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَتَسْتَغْلِقُهَا»^(٢) الخدائع.

[شرح تكملة الحديث: خديعة الدنيا]:

أقول: الخدائع: جمع خديعة، وهي الاسم من خدعته الدنيا، أي خذلته وأرادت به المكروه من حيث لا يعلم.

والنسخ هنا مختلفة، ففي بعض «تستغلقها» بالغين المعجمة قبل اللام، بعدها قاف، أي تجعلها مغلقة غير مفتوحة، فلا تدري وتبصر. وفي أخرى بالعين المهملة قبل اللام، أي تجعلها معلقة. وفي أخرى بالقاف قبل اللام، وبعدها، أي يزعجها ويحركها، لكنه داخل في الاستفزاز. ونسخة العين المهملة، يدل عليها بالارتهاق، لكن الفرق بما يخادع به كافٍ، والأظهر «تستغلقها» بالعين المعجمة قبل اللام.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

(٢) في النسختين: ويستغلقها، وعند تعليق الشارح على اختلاف النسخ فيها يختار ويرجع: تستغلقها، فأثبتها في المتن.

[شرح الحديث السابع عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً».

[شرح النص: أكمال العقل في حُسن الخلق]:

أقول: الخُلُق: بضم الخاء المعجمة وسكون اللام أو ضمّها، الخصلة الحسنة الظاهرة.

ومعلوم أن حُسن الصفات الظاهرة وكمالها، دليل حُسن العقل وكمالهِ، لأنّ الله لم يدل على الباطن الخفي إلّا بظاهر منه، وحُسن الخُلُق من العقل. ومرّ لك مثله معنّى.

وحسن الخُلُق مراتب كالعقل أيضاً، فينتهي في الكمال إلى خُلُق محمّد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وفي النصّ كان خُلُقه القرآن، كما أن عقله أفضل العقول وأقربها.

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الثامن عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الرِّضَا عليه السلام، فَتَذَكَّرْنَا الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا هَاشِمٍ، الْعَقْلُ حَبَاءٌ مِنَ اللَّهِ، وَالْأَدَبُ كُلْفَةٌ، فَمَنْ تَكَلَّفَ الْأَدَبَ، قَدَّرَ عَلَيْهِ؛ وَمَنْ تَكَلَّفَ الْعَقْلَ لَمْ يَزِدْ بِذَلِكَ إِلَّا جَهْلًا».

[شرح النص: العقل عطاء من الله]:

أقول: الحباء: بفتح الحاء المهملة، والباء المنقوطة بنقطة من أسفل ممدود، العطاء. وعن علي عليه السلام: «الأدب حلل مجدده»^(١).

والمراد: إن العقل المكتسب به الجنان والمعبود به الرحمن، عطية من الله تعالى، فإنه الواهب لكل خير وأصل كل جود، ولا ينافي التَّكْسِبُ من أن التَّكْسِبُ لا ينفع بدون المطبوع الموهوب.

وأما الأدب الظاهر في تحسين القول والمعاشرة فكلفة ظاهرة، ومن تكلف تحصيله أتى به ظاهراً وإن خلا من العقل وغيره، فربّ متكلف غير عاقل ولا كذلك العقل.

(١) بحار الأنوار: ٦٨/٧٥.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث التاسع عشر]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ لِي جَاراً كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، كَثِيرَ الْحَجِّ، لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: يَا إِسْحَاقُ، كَيْفَ عَقْلُهُ؟ قَالَ: قُلْتُ [لَهُ]: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَيْسَ [لَهُ] عَقْلٌ. قَالَ: فَقَالَ: لَا يَنْتَفِعُ ^(١) بِذَلِكَ مِنْهُ.

[شرح النص: توقف العمل وصحته على العقل]:

أقول: قد عرفت توقف العمل وصحته على العقل، بمعنى التَّمْيِيز عن الله والأخذ عن أهل الأخذ، وإلا فهو جسم بلا روح، فلا قبول له، بل لا إقبال لدوران الثَّواب عليه، وكذا الدين.

فإسحاق لما حكم بحسب الظَّاهر على علو الثَّواب، قال له الإمام عليه السلام: كيف عقله؟ إذ هو المدار، وقوله عليه السلام: لَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ، إشارة لتلك الأعمال منه عائد للرجل؛ لخلوه من العقل أصلاً. فهذا إما مذبذب أو من العامة.

ومعلوم أنهم لا يقام لهم وزن، ويحتمل كونه من عوام الشيعة.
وللعقل معنى آخر أيضاً فتأمل.

(١) في المصدر: لَا يَرْتَفِعُ، وسيشير الشارح إلى ذلك في نهاية شرحه للحديث.

ويحتمل جعل الباء سببيّة إشارة إلى عدم العقل ، أي لا ينتفع بعمله بسبب فقد العقل منه.

وفي بعض النسخ: لا يرتفع إلخ ، وهو أيضاً يدل على الفرق بين الأجزاء والقبول.



[شرح الحديث العشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَغْدَادِيِّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ السُّكَيْتِ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: لِمَاذَا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام بِالْعَصَا وَيَدِهِ الْبَيْضَاءِ وَآلَةَ السِّحْرِ، وَبَعَثَ عِيسَى عليه السلام بِآلَةِ الطَّبِّ، وَبَعَثَ مُحَمَّدًا عليه السلام وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَلامِ وَالْخُطْبِ؟.

[شرح النص: تنوع معاجز الأنبياء عليهم السلام]:

أقول: تقرير السؤال، للأنبياء معاجز متعددة، فما المرجح لاختيار معجزة مخصوصة حين ابتداء البعثة عند قوم مخصوصين، ولم تنوع معاجز الدعوة أيضاً، واختلفت بالنسبة إلى سائر الأنبياء عليهم السلام.

والمراد بآلة السحر: آلة إبطال السحر، وهي أعم من العصا، أو المراد به ما يتحصل به الخارق، وسمّاه سحراً بحسبه عندهم، وإلا فلا سحر ولا آلة، فإنها إنّما تكون للمكتسب لا لذي العلم اللدني.

والمراد باليد البيضاء، إخراجه ولها نور شعشعاني يضيء، وهي قبل سالمة من جميع العاهات، لكن لم يظهر منها ذلك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى عليه السلام كَانَ الْعَالِبُ

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السَّحَرِ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ مِثْلُهُ، وَمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ، وَأُثْبِتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ^(١) بَعَثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتٍ [قَدْ] ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ، وَاحْتِاجَ النَّاسِ إِلَى الطَّبِّ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [تَعَالَى] بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ، وَبِمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ [تَعَالَى]، وَأُثْبِتَ [بِهِ] الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ».

[شرح تكملة الحديث: التخصيص في كل نبي]:

أجابه عليه السلام بعلّة يظهر له الفرق، والتخصيص في كلّ نبيّ، وهو أنّ النبيّ المبعوث في قوم إنما يأتيهم بما يخرج عن عادتهم وهم يتعاطونه، وكذا يبطل ما هم عليه، فإنه لو أتاهم أولاً بخارق لكانه غير ما يأنسون، كان يأتيهم أولاً بغلق الحجر بالمام ينتشروا منه كمال التأثير، بل يقولوا: أنت ساحر ونحن كذلك. والسحر متنوع قصارى الأمر والتفاضل، ونحن متفاضلون أيضاً، فيكون ذلك أتمّ في المقصود لمعرفتهم حينئذ نهاية ما هم عليه، وقصور وسعهم عنه، فيبطل ما تشبثوا به، فاختلفت معاجز البعثة، ولم يلزم الترجيح إلا لمرجح؛ لمراعاة حال الزمان والقوم، وقد سمعت أنهم عليه السلام إنما يخاطبون الناس على قدر عقولهم، فلمّا كان الغالب على قوم موسى عليه السلام السحر، والشّعبة هي قسم منه.

وللسحر تحقق في الوجود، لكن لا تحقق ذاتي لأنه مجتث، ليس من الله، أتى بما يبطل به ما هم عليه؛ لينقطعوا، ولا كذلك لو أتاهم أولاً بغيره. وعموم جواب الإمام عليه السلام صريح في أنّ اليد البيضاء يبطل به السحر أيضاً فإنها في السؤال، ووقعت منه والعصا منه عليه السلام لفرعون وقومه بمقام واحد.

كيف، وهي في الظاهر اليد الحسيّة ومقصودة، وروحها القوّة النفسية

(١) ليست موجودة في المصدر.

العصا، وهي دائماً خضراء، والآن هي مع سائر موارِيث الأنبياء عند القائم ﷺ.

[خصائص معاجز الأنبياء الأولية]:

فإذا عرفت أنه لا بدّ من اشتمال المعجزة الأولية، ممّا يبطل به ما عليه الأمة المدعوّون أوّلاً، وأوّل ما تظهر فيهم الدّعوة، فإن كان ما هم عليه باطل، فالمعجزة تبطل باطلهم أصلاً، كموسى ﷺ وقومه، وإن كان فيه حقّ لكن يروا انحصار العلاج فيه أو لا يبلغ أحد ما هم عليه، فلا يبطله النّبّي، لكن يأتي من ذلك بما يخرج عن وسعهم كعيسى ﷺ.

فإن الزمانات جمع زمن، وهي الأمراض الطويلة.

والكَمّة: الأعمى خلقة، أو ممسوح العين^(١)، وكذا البرص كثير في ذلك الوقت، ولذا انتشر الطّب في وقتهم وتحصيله؛ لدفع ذلك، فأتاهم بإزالته من غير نظر إلى الطّبيعة والمأكّل والغذاء والقوى^(٢).

قال: والأسباب والعلامات، بل ازداد إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فدل أن ذلك عن غير النّسب، بل لدنّي من لدن عزيز حكيم عليم.

إزاحة: [نسب الإبراء إلى الفعل]:

قال ملأ خليل في الشرح: إن قلت: إن الإبراء فعل، فما معنى نسبته إلى عيسى ﷺ، وما معنى كون فعل الله، بإذن الله، وإن كان فعل عيسى ﷺ وبقدرته، فكيف يكون دالاً على الصدق ومعجزاً.

وأقول: هو ساقط، فكونه فعل الله، بمعنى موافقته كإرادته الفعلية، فإن

(١) لسان العرب: ٥٣٦/١٣، حرف الكاف، مادة (كَمّة).

(٢) في النسخين كتب الناسخ على الكلمة: كذا.

الطاعة منه وبه، وهو أولى بالحسنة، كما ستسمع في الجزء السابع، لا ينافي كونها منسوبة لعيسى عليه السلام وفاعلها به، فلا جبر، وصح قول: بإذن الله، وفي [سورة الرعد]: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وفي سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، وكيف لا يكون بإذنه وهو وبأمره وإرادته الذاتية.

وأيضاً كيف لا يذكرون التبري وهم في مقام الدعوة والظهور بالمعجزة؛ لئلا يدعى فيهم الربوبية، وإن ادعى فبعد بيان السبل وإظهار الحجة عليهم، لا لوم.

وكذا إن قلنا: فعل عيسى، وهو ظاهر، مع أنه لا تفويض، وكيف لا يدل على الصدق وهو بإذنه وتبع عيسى عليه السلام له تعالى.

وبالجملة فسقوط الاعتراض ظاهر، ثم أجاب عنه باختيار الشق الأول ونسبته لعيسى عليه السلام مجازاً، اعتبار أن دعاءه سبب لذلك، وهذا الدعاء هو المعلق على الإذن كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣)، وسقوطه ظاهر، فإنه لا يكون من عيسى عليه السلام، فما معنى قولهم عليه السلام: بأسكم ما ذلك إلا شعبة من الجبر.

ثم والدعاء ما معناه، هل هو قول: رب أعطني، أو الاستعداد والسؤال بلسان الحالي الوجودي والمقالي.

والأول باطل، وبالتالي يحصل المطلوب. قصارى الأمر أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا بأرباب، وليسوا في غنى عن الله في جميع حالاتهم، ونحن لا نقول به، وغير مقيده. نعم، هم عباد مكرمون، مظهر مشيئته، وخزان وحيه، وعيبة علمه.

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨، وسورة غافر، الآية: ٧٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٨، وسورة غافر، الآية: ٧٨.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبَ وَالْكَلامَ وَأُظْنُهُ قَالَ: الشَّعْرُ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَأَحْكَامِهِ^(١) مَا أَبْظَلَ بِهِ قَوْلُهُمْ، وَأُثِّبَ [بِهِ] الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السُّكَيْتِ: تَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ».

[شرح تكملة الحديث: معجزة النبي محمد ﷺ]:

أما شيوع الخطب والأشعار والافتخار بها في الزمن السابق على البعثة فظاهر، حتى أنهم ما كانوا شرفاء مثله، والكل قاصر عنهم، وكانت السَّبع معلقة على الكعبة، وإنما نزلت لَمَّا سَلَّمُوا بزيادة القرآن عليها، وعجز النَّابغة والزنادقة بعد عكفهم على لباب الحنطة على المعارضة، كما في (الجرائح والخرائج)، وعكفت جماعة على المعارضة، فلَمَّا سمعوا: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبُلَيْ مَاءٍ﴾، إلى [قوله تعالى]: ﴿الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، قالوا: لا يشبه كلام المخلوقين، فعجزوا.

وعن التفتازاني: إن السَّبع [المعلقة] أنزلت عن الكعبة بهذه الآية. ولقد بيَّنت وجوه كثيرة في (المفتاح) في فصاحة هذه الآية وبلاغتها.

وسمع الأصمعي جارية، فقال: لعنك الله ما أفصحك. فقالت: أو بعد هذا فصاحة، بعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ﴾ الآية^(٣)، فجمع في آية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين.

وكذا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(٤)، ولقد كانوا ينقرون باللفظة، كما في

(١) في المصدر: وحكمه.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

﴿كُبَارًا﴾^(١)، فلم يجدوا سبيلاً، وطلب منهم الله المعارضة بالسُّور، والسُّورة، والآية، وشيء منه، وعجزوا، وأخبر الله عنهم بقوله: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ الآية^(٢)، فالتَّحدي والعجز ظاهر النقل متواتر، وصرَّح به القرآن.

ولولا عجزهم ما رضوا وتحملوا ضرب السيف والسبي والقتل، مع إمكان دفعهم ذلك بكلام وهم أهله، ما ذلك إلا من عجزهم وخروجه عن طاقتهم، ولذلك أتاهاهم أولاً بالقرآن دون سائر معاجزه، فإنَّ معاجز جميع الأنبياء متَّصِفٌ بها، مع زيادته عليهم بمعاجز كثيرة.

واعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل على أنَّ إعجاز القرآن لكونه في الطَّبعة العليا في الفصاحة والبلاغة؛ لطلب المعارضة منهم له بها، مع عجزهم، وهو اختيار (المفيد) وجماعة، لكن لا شك في كونه في الطَّبعة العليا وعجزهم عن المعارضة، وهو كافٍ في ظهور الحجَّة والإعجاز عنهم، وإنَّه ليس من عند النَّاس وإلا فليأتوا بحديث مثله، لكن لكونه سبب إعجازه ذلك ليس إلا محل كلام ظاهر.

كيف، علم البلاغة إنَّما يرجع إلى اللَّفْظ بحسبه، ومعجزة النَّبي ﷺ شاهد صدق دعواه، ودعواه أنَّه نبيٌّ هادٍ لكل في الكل، مستجمع للكمال ولا تشهد جهة الفصاحة والبلاغة على ذلك، مع أنَّه أعظم معجزاته المستمرة على ممرِّ السنين والأعوام الظَّاهرة المنتشرة.

وهذا الحديث لا يدلُّ على اختصاص سبب الإعجاز بذلك. قصاره أنه أتى لهم بما خرج عن وسعهم، معارضته وعجزوا.

ونحن نقول بذلك، فإعجازه لحكايته صفة الوجود غيباً وشهادة بحسب

(١) سورة نوح، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

ما انطوى عليه من البطون والإشارات الغيبية، والنكت الإلهية، ولقد بينت الأئمة عليهم السلام كثيراً من ذلك، وكذا العلماء ببركتهم، فهو معجز من جهة الظاهر والباطن، والغيب والشهادة، بل إعجاز الظاهر فرع غيره، مع ما ترى من الاختصار، وتطابق المعاني ومطابقته لسائر الكتب التكوينية، إذ الكتب ثلاثة: كتاب الآفاق، والأنفس والقرآني، وخلق الرحمن لا تفاوت فيه بوجه، وهي متفقة، وكلّ يدور على الآخر ويحكي صفته، فهذا وجه إعجازه.

ولهذا احتاج القرآن إلى قيم، معصوم حافظ، لكن الأمر فيه كحال النبي صلى الله عليه وآله، ترى سائر الأديان - مع ظهور معجزته - من يقدم ويسأل عن المعجزة الظاهرة ويسلم، ومنهم من يسأل عن مسائل علمية؛ ليعرف فعلية عقله، فإن القوة العملية تبع لها، ويسلم من غير أن يسأله المعجزة الظاهرة، فإنّ تلك أوثق وأدل على كمال القرب، وقد يسأل بعد ظهور المعجزة الظاهرة، تقوية ومعاينة للكمال.

وجميع الأقسام ظاهرة من (الاحتجاج) و(الكافي) وغيرهما، في شأن الرسول صلى الله عليه وآله وبنيه الطاهرين، كما أن بعضاً لا يسلم إلا بالسيف، قال الله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾^(١)، فهو معجزة بكل اعتبار، ولكل ناظر بحسب نظره لا بمقام تقييدي.

وحينئذ فينصرح لك إنّ القرآن بعد نزوله، كلّما بعد الوقت زاد ظهور أوجه إعجازه، بسبب بيانات الأئمة عليهم السلام واتباعهم له، وقرب دولة الولاية، ويحكم به. فافهم.

وكُلِّمًا ارتاضت النفس وصفت ظهرت له كنوزه وأسراره، لقربها منه

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

ومشابهتها، فيدركه ويعرفه. أمّا البعيد ففي بُعدٍ وحجاب. لكن بالنسبة إلى الكافر المبعد لا يظهر له إلا الإعجاز الظاهري، ويكفي فيه كما يكفي بعد المعجزة الظاهرة، كإنطاق الحصى، والنخل، والنبات، وأمثال ذلك، وإن لم يكتف آخر بمظاهر القوة العملية بالدلالة على علو القوة العملية، فكذا هنا.

ولقد نقلنا ما للعلماء من الخلاف في وجه إعجازه، وذكرنا بعض ما اشتملت عليه بعض الآي من البطون في رسالة مفردة لبيان سبب المعجزة، فليراجعها من أرادها.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَمَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟

قَالَ: فَقَالَ ﷺ: الْعَقْلُ؛ يَعْرِفُ بِهِ الصَّادِقَ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ، وَالْكَاذِبَ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السَّكِّيتِ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْجَوَابُ».

[شرح تكملة الحديث: بالعقل يقع التمييز]:

أقول: كأنَّ السَّائل أراد تقوية ما عنده ومعتقده كما يناسب، أو لجهلة للمسألة، فانظر بعد أن بين الإمام ﷺ له المعجزة التي هي القرآن وتوهم عدم حجيته، إلّا أنَّ لَمَّا يجد منه اختلاف الأمم، فكل يستشهد به، فلم يرفع به الاختلاف، بل احتجج إلى آخر، والرَّسول ﷺ مات، وأيضاً فَمَا الْحُجَّةُ الآن، لأنَّ حُجَّةَ اللَّهِ لا تنقطع عن العباد ما بقي التَّكليف، فانظر إلى حُسن جواب الإمام ﷺ له، وتضمَّنه لأمره له بالنظر، حيث قال: العقل، فإن به يقع التمييز، فيعرِّف الصَّادِقَ في دعواه الإمامة وغيرها، فيصدق بظهور المعاجز عليه، واتَّصافه بصفات الإمامة، والكاذب فيكذِّبه. فبالعقل الَّذي هو الحُجَّةُ الباطنة يُعرف الحُجَّةُ الظَّاهرة، ولذا قال له: العقل، وإلّا فهو ﷺ

مبعثرات

الحُجَّة، وفي جوابه ﷺ له تنبيه أيضاً على سلوك طريق العقل والبرهان، وعلى ظهوره حينئذ زيادة على أوّل الزّمان.

واعلم أن صريح العقل لمّا قضى بديهة عدم استغناء النّظام عن النّبوت، وإن قيامه وكذا العالم لا يكون بغيرها، فمتى ارتفع شخصها، فلا بدّ من نائب عنده جميع ما يحتاج إليه النّاس، من أنواع العلوم العلميّة والعملية وغيرهما أفضل الكلّ وأكملها.

وإذا تأمل العاقل في القرآن، وجده معلن البيان بعدم استغنائه عن رجل ذي نفس إلهيّة وزهد وورع، وغير ذلك من الصّفات الكماليّة لا يفارقه أصلاً، وليس إلّا المعصوم، إلى غير ذلك من الأدلة التي يضيق بها البيان.

ثمّ ولا تتوهم من سؤال السّائل بذلك، وإقرار الإمام ﷺ له، وجوابه له بالعقل أنّه حجّة له للمعجزة بعد وقتها، بل هي الحُجّة في وقت ظهور النّبّي ﷺ، وبعد العقل فإن المعجزة دليل لازم لنبوته وصدق دعواه، إمّا بالعيان أو النّقل المتواتر، أو المحفوف بالقرائن المفيدة للقطع، أو به وبالمشاهدة لها مستمراً، لكن وقت المشاهدة الحاجة إلى العقل قليلة، وكونه لا يمكن الكاذب منها بديهي يرجع إلى ثبوت عدل الله ورحمته، وهو ثابت وأعمّ بخلافه بعد، فإنه يحتاج إلى النّظر في النّقل أو في المعجزة المستمرة فتوقفها على العقل حينئذ أشدّ، وإن كانت دليل الثبوت مطلق فإنها الكاشفة والمبيّنة لباطنه وصدق دعواه، ليس إلّا وفيه تنبيه لنظره في المستحق للإمامة.

وكلامه ﷺ صريح في حُجّة العقل، فإنه رسول باطني، وهذا لا يخالف الشّرع فإن اختلفت العقول، ولا يكون هنا، فإنه لا يجري فيه اختلاف، لأن مقامه فوق مقام الصّورة التي تداخلها اختلاف المفهوم والنّسب، ومقامه مقام المعاني، وكذا دليله، لكنّه إن فرض تشبيهاً رجع إلى المتفق عليه عقلاً

كما دلّ على عدله تعالى، وعدم غفلته عن خلقه وعموم رحمته، والتكليف الموجب لاستمرار النبي ﷺ أو خليفته الساد مسدّه.

[لفظ الحديث وبيان ما فيه]:

ثمّ ننقل لك بعض ما قيل في لفظ الحديث، مع بيان بعض ما فيه.
قال محمّد صادق في شرحه: (كُلّ واحد من الأنبياء ﷺ والرُّسل إنساناً كاملاً، وفيه صفات جميع الموجودات وكمالاتها، وليس شيء لا يكون فيها محيطاً بالكلّ بإذن الله، مع التّفاوت بينهم بالشّدّة والضعف).

أقول: بل أكمل الأنبياء في الكل محمد ﷺ، وهو محبوب الله الذي جمع فيه جنود العقل، هو حُبّ خالص كما سبق، وما لغيره من الأنبياء ﷺ فمن فاضل كماله، لكنّ هذا منه مفرّع على قواعد مُجتثّه، ولو تأمل في قوله أخيراً مع التفاوت إلخ، لم يقل بالتساوي فيه، وليس في فطرة نبيّ، بل ولا مخلوق مطلق أن يكون في رتبة محمّد وآله، بل لا يكون في الكون إلّا هم ﷺ بمشيئة الله، ولا يكون الكامل إلّا واحد، وطينتهم واحدة، لم يخلق أحد غيرهم منها، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(١)، وحديث محمّد بن مروان وغيرها. نعم، هم ﷺ منهم ﷺ بالفرعية، وفاضل الشّعاع كالشّعاع من الشّمس. فتأمل.

قال: (ولا يصدر عن كلّ منهم ﷺ شيء من خوارق العادات إلّا ذاتي، أمر من الله تعالى بالصدور أمراً حتمياً وإن اختير بين الصدور، والله صدور يختار إلّا الصدور، فأمر موسى ﷺ بإبطال السّحر وإضاءة اليد ونحوهما مما صدر عنه ﷺ فصدر، وأمر عيسى ﷺ بإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى ونحوهم فصدر، وأمر محمداً ﷺ بالكلام والخطب ونحوهما، ممّا صدر عنه ﷺ فصدر، وكُلّ منهم متخلق بأخلاق الله تعالى، مع تفضّل

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

بعضهم على بعض، ونبينا ﷺ أفضلهم، وكذا أوصياؤه أفضل الأوصياء، وأتمه أفضل الأمم، وصدور المعجزات عن كُلّ منهم ﷺ؛ ليرى الأمم أنهم ﷺ متخلقون بأخلاق الرُّبوبية، وأقبلوا إليهم وأقرؤا بهم، وإذا كان المعجز ممّا يحتاج إليه وممّا يشتهر بينهم، ويرغب الكلّ والأكثر إليه لكان الأقرب من القبول وإقرار الأمة به).

أقول: ليس الله مبدأ الصدور لكنّه بأمر، وهو مبدأ بقعله، والأمر وجوديّ وحتميّ بمقتضى المشيئة، فهو اختياريّ، والله فعلها بفعل النّبيّ ﷺ حين فعله. ثمّ وإذا تفاضلت الأنبياء ومحمّد ﷺ أفضلهم، فلا بدّ وأن يزيدوا عليهم جامعة ورتبة ومعرفة وغيرها، فلا يتمّ أولاً وتخلقهم بأخلاق الرُّبوبية الفعلية، إذ مربوب لا إذ لا مربوب كما يريد، وسيأتي منه التّصريح به في مجلّدات الحُجّة؛ لقوله بالفناء الوجوديّ، ووحدّة الوجود، والمناسبة بين الله وخلقه.

قوله: (ثمّ قد علمت أنّ لكلّ أحد من الأمم يجب أن يكون شيثان، حتّى يهتدي إلى الله، إحداهما: الحُجّة الخارجيّة، وهو النّبيُّ أو نائب منابه من الأوصياء ﷺ أو الأولياء).

وثانيهما: العقل ليتميّز به بين الدّعوى الصّادق والكاذب، وصرح ﷺ بكلا الحجتين بقوله: «العقل يعرف به الصّادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذّبه».

أقول: لا بدّ من حُجّة لله في الأرض، إمّا نبي أو خليفته ظاهر، والعقل الذي يقع به التّمييز، شرط في صحة التّكليف، وتمييز الصّادق من غيره، والأصل الأنبياء وخلفاؤهم.

[قول ملا محسن الفيض]:

وقال الكاشاني في (الوافي): («الزمانات» الآفات الواردة على بعض الأعضاء، فيمنعها عن الحركة كالفالج القوّة، وربما يطلق المزمّن على

مرضٍ طال زمانه، و(الزَّمن) على من طال مرضه. (اليوم) أي في هذا الزمان الذي ليس غالب على الخلق غريزة الفصاحة، حتَّى يعرفوا حجَّة القرآن.

(العقل) فيه تنبيه على ترقِّي الاستعدادات وتلطف القرائح في هذه الأمة، حتَّى استغنوا بعقولهم عن مشاهدة المعجزات المحسوسة، فإن الإيمان بالمعجزة دين اللثام، ومنهج العوام. وأهل البصيرة لا يقنعون إلَّا بانشرح الصدر بنور اليقين ﴿أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(١). «يعرف به الصادق على الله» بعلمه بكتاب الله ومراعاته له، وتمسكه بالسُنَّة، وحفظه لها. «والكاذب على الله» بجهله بالكتاب، وتركه له، ومخالفته للسُنَّة، وعدم مبالاته بها^(٢).

أقول: فيه خبط من وجوه:

قوله: (في هذا الزمان) إلخ، بل كثير من غير العلماء فضلاً عنهم، يعرفون الفصاحة ويستدلون بها على إعجاز القرآن، بل كثير من العلماء حصر حُجَّتَيْهِ وإعجازه فيها، وكيف يجعل الله القرآن حُجَّةً لمحمد ﷺ مستمرة، لأنه الخاتم، وفاق بها على سائر الأنبياء؛ لرجوع معاجزهم إلى النُّقل، وهو جمع النُّقل والمشاهدة، ولا تكون الحُجَّة مستمرة مع تجدد الإدراك العقلي، بل الحُجَّة الآن العقل إنه لمن منقوط القول، ولو لم يعرفوا حجَّيته لم يكن بهذه الصِّفة ولا مزية لمحمد ﷺ على سائر الأنبياء ﷺ بذلك.

قوله: (فيه تنبيه) إلخ، نعم، هذه الأمة أكمل عقولاً، وأضعف أبداناً، وأقصر أعماراً من الأمم السَّابقة، وهي بعكس هذه الأمة، لكن لا يكفي ذلك عن الاستغناء به عن المعجزة والنُّظر إليها، إمَّا بالمشاهدة كالقرآن

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٢) الوافي: ١١٢/١.

المستمرّ أو الثقل أو النّظر لحال الدّين وما دعا به النبي ﷺ . وستعرف تفصيل ذلك في مجلّد الحجّة، بل هذا يوجب شدّة الحاجة إلى المعجزة والنّظر فيها، وهي الدّليل الذي جعله الله دالاً على صدق أنبيائه ﷺ وحججه كما علم عقلاً ونقلاً، ولو استغنى عن المعاجز ما نفعت العقول، ولجرى قبل وليس كذلك.

قوله: (فإن الإيمان بالمعجزة) إلخ، ليس هو دين اللّثام والعوام، بل مذهب الخواصّ وخواصّهم، وجعله الله دليلاً عاماً للكلّ، بل لا دليل غيره لأحد، ومنه النّظر في الدّين الدّاعي به والشريعة الصّادع بها، وكُلّ طريق ودليل يجعله سبباً للتّصديق به والإيمان هو معجزة.

فانظر خبط هذا الجاهل، ولو سلّم الفرق، قلنا: دليل المعجزة قام، ومعرفتها من انشراح الصّدر للإسلام، فهو على نور المعرفة، وإن كان للخواصّ أيضاً أدلة مع ذلك.

قوله^(١): (يعرف به الصّادق على الله) إلخ، معرفة صدقه ﷺ أو كذبه ليس متوقفاً أولاً على معرفة الكتاب ومراعاته له وحفظه والسُّنة كما لا يخفى فتدبّر، ولا تغترّ بكلام هذا المتصوّف.

إزاحة شبهة:

قد شبه بعض معاندي النّصارى في هذا الزّمن، وقال: ليس الغالب على أمة عيسى ما ذكره المسلمون، وهو افتراء ظاهر، فإني قد راجعت عدّة من نسخ الأناجيل المؤلّفة من متعدّدين غير عيسى، وسائر كتب العهد الجديد لهم - وستعرفها في مجلّد الحجّة - وهي معرّبة باجتماع قسيسهم، فرأيت أكثر ما ذكر فيها من معاجزه: إبراء الأكمه، وإشفاء المقعد، وأمثال ذلك، ممّا علاجه متوقّف على الطّبّ ومراجعتها شاهد عادل ولازم لهم، وكون

(١) في النسختين، أقول.

ذلك الغالب في رفته صريح كتبهم، فيجب أن يأتي النَّبيُّ بذلك بغير السَّبل الذي يستعملونه ليعرفوا خروجه عن طاقتهم وعجزهم عنه، فليس ما أتى به عن علاج طبييِّ وأمثاله، فيكون من الله، ويكون أدعى له للإيمان به وأظهر للحجَّة عليهم، وإن كان مع النبي ﷺ معاجز أُخر، وكذا الحال في موسى ﷺ، والتَّوراة شاهدة بذلك أيضاً، كما وقفنا عليها بتعريبهم.

وأما كون الغالب على أمة محمد ﷺ وقت خروجه بالدَّعوة ما سمعت فلا خفاء فيه، ولا شك أنَّ المعجزة كما تكون في الفعل تكون في اللَّفظ والقول، ومن أحوالها فيه فقد أتى بالمحال وأسقط عن المقال، ولزمه إبطال المعاجز الفعلية والعلمية أيضاً، وفيه إبطال أصل التَّبوات، إذ لا سبيل إلى إثباتها إلَّا المعجزة، وهي التي جعلها الله دليلاً على صدقه - وسيأتي في مجلِّد الحُجَّة، وهو المجلِّد الثَّامن، زيادة بسط في ذلك، بخلاف الكتب السابقة - فليس فيها من الإعجاز اللَّفْظي شيء، وهو من أقوى وقوع التَّغير فيها، كما نقول، ولوجوه أُخر، عسى أن يأتي بعضه في المجلِّد الثَّامن، وإن زالت الموانع أفردناه في مصنف، إن شاء الله تعالى.

[شرح الحديث الواحد والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ مَوْلَى لِبْنِي شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا، وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهِمَا^(١) عُقُولَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَخْلَاقُهُمْ».

[شرح النص: الإمام الحجة وقدرته الفعلية]:

أقول: قال محمد صادق في الشرح: («القائم»: هو محمد بن الحسن عليه السلام، وهو آخر الأئمة عليهم السلام من أوصياء النبي صلى الله عليه وآله. ويد الله هو وجوده التام، وإذا ظهر له أمامه الناس وضع الله تعالى وجوده على رؤوس العباد، فجمع به عليه السلام عقولهم، لأنه عليه السلام العقول، وجمعها بظهوره عليه السلام يكمل العقول التابعون؛ لاستفادتهم من حضرته، وكذا عباداتهم، فإذا كمل العقل تكمل العبادة، وهي فعل العقل، وبكمال الفاعل يكمل فعله).

أقول: القائم عليه السلام آخر الأوصياء بحسب العدد والظهور الزماني، وبحسب تمام حكم الرسالة وظهورها، وهو أول دور ظهور التأويل، وآخر الأوصياء بحسب من يُرفع من الأرض بعد انتهاء حكم الرجعة، علي عليه السلام وبعده محمد صلى الله عليه وآله. كما ستعرفه في موضعه.

(١) في النسختين: به.

[تعليق الشارح على قول محمد صادق]:

قوله: (وإذا ظهر إمام الزمان) إلخ، ليس المراد باليد وجود الله، ولا يقول به متدين، لكنه قال بهذا لقوله بوحدة الوجود، والتعينات إمكانية تلحق ذاته تعالى.

والمراد باليد: يد الله وقدرته، لكن ليست القدرة الذاتية، بل الفعلية، وهم الحاملون لها، وعدد يد، عددهم ﷺ، وكذا: جواد، وهاب.

وحكم الواحد منهم حكم الكل، وكذا بالعكس، إلا ما استثنى ما يخص كل بحسب رتبته، وهو ﷺ العقول بحسب الظهور وإحاطته لكل عقل في مقامه؛ لأنها أشعته ﷺ، لا أنها في مرتبته، ولا أنه ﷺ ينزل بذاته فيها ولها، فإنها سلسلة طولية، فتدبر. ولو عقل قوله آخر. وإذا كمل الفاعل يكمل فعله، ما فسر اليد بوجوده تعالى، سبحانه وتعالى عمى يصفون.

[قول الملا محسن الفيض]:

وقال الكاشاني في (الوافي): ((وضع الله يده): أنزل رحمته وأكمل نعمته، أو عبّر باليد عن واسطة جوده وفيضه، والمراد بها إمّا القائم ﷺ أو العقل الذي هو أول ما خلق الله عن يمين عرشه، أو ملك من ملائكة قدسه، ونور من أنوار عظمته.

«رؤوس العباد»: نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية، [و]عبّر عنها بالرأس لأنها أرفع شيء من أجزائهم الباطنة والظاهرة.

«فجمع بها»: بواسطة تلك اليد بالتعليم والإلهام وإفاضة النور التام.

«عقولهم»: فعلموا ذواتهم وعرفوا نفوسهم، واستكملوا بالعلم والحال، ورجعوا إلى معدنهم الأصلي، وعادوا من مقام التفرقة والكثرة إلى مقام

الجمعية والوحدة، وأَبُو من الفصل إلى الوصل، وأنا بوا^(١) من الفرع إلى الأصل.

و«الحلم»: بالكسر، العقل. والجملتان متقاربتان في المعنى. وهاهنا أسرار [لطيفة] لا تحتملها^(٢) الأفهام، ولا رخصة في إفشائها للأنام^(٣) انتهى.

[تعليق على قول الملا محسن الفيض]:

أقول: قوله: (وضع الله يده) إلخ، كلامه ظن من غير قطع، ولو عرف الحق والصواب لم يعبر بذلك، ومحمد ﷺ وآله ﷺ يده، وورد في غير حديث لأنهم معانيه، ومظهر صفاته الفعلية، فهم يده ورحمته، وقدرته وحكمته إلخ.

والعقل الذي هو أول مخلوق روح محمد ﷺ، وهو أعظم من الملائكة، وهو النور المخلوق من نور عظمته، وهو المشيئة.

والرؤوس: يراد بها الظاهرة والباطنة. والوضع حقيقة لا العقل الهولاني.

وقوله: (وعادوا من مقام) إلخ، يشير به إلى ما يريد في مقام الوحدة الوجودية.

والفصل والوصل: كما بيّنه في موضعه، وبيّن فيه أنه ضلال لا حق فيه، وقد أفشى بأسراره في أحوال المبدأ والمعاد. وسيأتي جملة منه متفرقاً، وكُلّه ضلال.

(١) في النسختين: وأن ابوا.

(٢) في المصدر: لا يحتملها.

(٣) الوافي: ١١٤/١.

وليته لم يكتب ما كتب، فإنه ليس من الحق، وداخل في مذهب الصّالين أهل التصوف.

ثم نرجع ونقول: الوحدة الوجودية الحادثة المجعولة محلّ الائتلاف، والجمع والتّفرة مقام الكثرة، وأصلهما الوجود والماهية، ومدة زمن المزج تظهر التّفرة، والعداوة في كلّ بحسبه، والقصور والتّقصير والتّقية من المخالف والمؤالف، ومبدأ ذلك من زمن آدم، وكلّما قرب من زمان ظهور محمّد ﷺ قربت المحبة والائتلاف، وقوي العقل، وكمل بظهور جامعته بعد انغماسه، حتّى تتم الشروط وتزول الموانع، فيظهر القائم الظاهر بتأويل شريعة جده ﷺ، وبدء زوال تلك العداوة، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١)، ونعمته القائم، وهم نعمته، كما ورد. وسيأتي بعضه في مجلّدات الإمامة.

فيظهر سرّ الاتحاد الدّيني والمحبة، ويرتفع حكم التّفرة والمزج الموجب للعداوة، حتّى أن الذّئب ينام مع الشّاة في مكان واحد، بألفة وصداقة، والصّقر مع الحمامة في وكر واحد، وأوّل ظهور ذلك ظهوره ﷺ، وتماحه بالرّجعة الغراء، رجعة محمّد ﷺ وآله ﷺ.

والفرق بين العقل والحلم عرفته في جنود العقل. وسيأتي. وإن كان الحلم لازم ومن الجنود وأصل اختلاف الشرائع والأحكام والأدوار، عمل الله بمقتضى الأسباب والقوابل والاختيار لا بمقتضى فعله. وبسط هذا لا يسعه المقام.

وكما يصحّ لك القول: أن ما سبق من أشرط الشريعة المحمدية كذا السّابق وما لحق إلى ظهوره من شروطه، والنصوص مصرّحة بأنه ﷺ من أشرط السّاعة كهاتين، وإن الزّمان قد استدار فتتقوى الجهة المعقولة في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الدور الأخير، ووقت الخاتم للعود على البدء، ولذا كثرت المبشرات واختص إعجاز القرآن بالاستمرار وغير ذلك، ككون العقل حُجّة، كيف وقرب الوقت لظهور التّأويل يقتضي ذلك؟ لكنّ ظهور الدّولة الشّيطانيّة ومنعها عن قيام السّياسة الظّاهريّة، وتبعها للجهة الغيبيّة، كما أراد الله وأحبّ ورضي به، مع تركّب الشّهوات في البنية الإنسانيّة؛ موجب لتفرق العقل في الجملة، ونقص الأحلام والأفعال الظّاهرة من التّأذّب والتّعطف والوثاقة بالمؤمن عن الرّهن وغير ذلك، وإذا ظهر القائم ظهر ذلك وكمل.

وإن كان الإنسان تأييده وبيانه لما تحتاج إليه الأمة بطريق الغيب على أنحاء في قلوب العلماء المشايخين له والمتقرّبين القرب المعنوي، ولا يدلّ هذا على حصول النّقصان حينئذ، بل هو المتمم كما تواتر نصّاً واعتباراً، بل التّفاوت بالخفاء والظّهور، والقلة والكثرة، وتطهير الأرض بحوزتها عن الشّرك، وظهور الحكم بالتّأويل. وتأمل في نكت كلامهم ﷺ.

قال: أولاً وضع الله يده: إشارة؛ لأن فعلهم ﷺ فعله، إذ هم محلّ مشيئته، وهم يد الله، كما تواتر، لأنهم الواسطة، وقد علّق على ظهوره، فهو اليد والفاعل بأمره.

وقال: رؤوس؛ لأنّ العقل الكلّي وله رؤوس بعدد الخلائق، وبيان ذلك ووجهه ظاهر من أوّل الكتاب.

وجمع عقولهم إشارة إلى القوة العلميّة، والأحلام إلى القوة العمليّة. وهذا الحديث مروي في (المحاسن) وغيرها.

قال محمد صالح بعد كلام له: (وقيل - والظاهر أن القائل الصّدر، كلام ملاً محسن في الشرح لا يخرج عنه، وسبق -^(١) المراد باليد هنا الملك الموكل بالقلب الذي بتوسطه، يرد الجود الإلهي، والفيض الرباني عليه كما

(١) ما بين - - كلام الشارح وليس من المصدر.

في قوله ﷺ : «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء». والمراد: برؤوس العباد: نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية. والمراد بجمع الله عقولهم: جمع الله بواسطة ذلك [الملك] القدسي والجوهر العقلي عقولهم من جهة التعلّم والإلهام، فإن العقول الإنسانية في أول نشأتها منغمرة في طبائع الأبدان، متفرقة في الحواس، متشوّقة إلى الأغراض والشّهوات، محبوسة في سجون الأماني وشعب الرغبات. ثمّ إذا ساعده التّوفيق وتنبه بأن وراء هذه النّشأة نشأة أخرى علم ذاته وعرف نفسه واستكمل بالعلم والحال، وارتقى إلى معدنه الأصلي، وعاد من مقام التّفرة والكثرة إلى مقام الجمعية والوحدة، ولما ثبت وتقرر أن النفوس الإنسانية من زمن آدم إلى الخاتم ﷺ كانت متدرّجة في التّلطف [و] ومترقّية^(١) في الاستعداد، ولذلك^(٢) كلما جاء رسول كانت معجزة المتأخر أقرب من المعقول إلى المحسوس من معجزة المتقدم، ولأجل ذلك كانت معجزة نبينا القرآن، وهو أمر عقلي، إنما يعرف كونه إعجازاً أصحاب العقول الذكية، ولو كان منزلاً على الأمم السابقة لم يكن حجة عليهم؛ لعدم استعدادهم لدركه، ثمّ من بعثته ﷺ إلى آخر الزّمان، كانت الاستعدادات في التّرفي والنفوس في التّلطف والتذكي، ولهذا لا يحتاجون إلى رسول [آخر] يكون حُجّة الله عليهم، لأن الحُجّة عليهم هي العقل، الذي هو الرّسول الداخلي، ففي آخر الزّمان تترقى الاستعدادات من النفوس إلى حدّ لا يحتاجون إلى معلم من خارج على الرّسم المعهود بين النّاس، لأنهم يكتفون بالإلهام النّفسي عن التّأدب الوضعي، وبالمسد^(٣) الداخلي عن المؤدب الخارجي، وبالمكمل العقلي عن المعلم الحسي كما لسائر الأولياء، فيدعو^(٤) الله،

(١) في المصدر: مترقة.

(٢) في المصدر: وكذلك.

(٣) في المصدر: بالمدد.

(٤) في المصدر: فيد.

وهو ملك روحاني بجميع عقولهم ويكمل أحلامهم^(١) انتهى نقله. ثم اعترض بما لا يرد عليه، فقال: (وفيه نظر).

أمّا أولاً: فلأنّ ترقّي العقول على الوجه المذكور غير مسلّم ولو كان كذلك لكان الاختلاف بيننا^(٢) أقلّ من الاختلاف في الأمم السابقة، وقد دلّت الأخبار المتكاثرة على عكس ذلك.

وأمّا ثانياً: فلأنّ المقصود من هذا الحديث أنّ تكميل العقول في آخر الزّمان بواسطة معلّم حسّي، وهو الصّاحب عليه السلام، وما ذكره يدلّ على أنّهم لا يحتاجون إلى معلّم حسّي أصلاً.

وأمّا ثالثاً: فلأنّه وإن أمكن حمل اليد هنا على الملك لكن لا حاجة لنا تدعو إليه، لأنّ إعانة أيّ ملك وتسديده أقوى وأحسن من إعانة الصّاحب عليه السلام وتسديده^(٣) انتهى.

وظاهر نظره الأوّل أن التّرقّي الممنوع هو تدرّج النفوس من آدم عليه السلام كما قال إلى محمّد عليه السلام، بدليل إلزامه بقلّة وقوع الاختلاف بعد الرّسول عليه السلام وإعراض عن قوله، ثمّ من بعثته ومنعه ممنوع، وما ألزم به غير لازم، بل أشدّ به الاختلاف حينئذ يصحّح ذلك، فأما تدرك النفوس كذلك فيدلّ عليه النّظر في الآفاق ومطابقتها للأنفس والإنسان كلّ درجة منه ثانية، فهي أقرب للمعقول من سابقتها.

وسمعت الآيات والرّوايات الدّالة على أن الغاية التّعقل، وكون الإنسان عالماً عاقلاً من حديث هشام وغيره، وكذا ملاحظة مرتبة المعدن، ثمّ النّبات، ثمّ الحيوان، ثمّ الإنسان، وكذا ملاحظة طول تلك الأعمار والأجسام، وقصرها وضعفها هنا، كيف والنّبيّ شمس أمّته، فهي تدور

(١) شرح أصول الكافي: ٣٠٣/١.

(٢) في المصدر: بعد نبينا عليه السلام.

(٣) شرح أصول الكافي: ٣٠٤/١.

عليه، ولذا قال عيسى للحواريين إن موسى يقول لبني إسرائيل: لا تزنوا، وأنا أقول: لا تهموا بالزنا^(١). تأمل فبني إسرائيل كلفوا بترك الشرب من نهر محسوس جارٍ إلّا قليلاً، ومثاله هنا الدنيا، وأثر ذنبهم يظهر في الراحة نهراً، ورفع بمحمد ﷺ، وأثره حينئذ في القلب، فطريقته الاستقامة ورفع به المسخ الظاهري، والعالم منساق للقيامة وراجع العود على البدء، وإمارات ذلك من ختمه ﷺ وغير ذلك ظاهرة.

ولذا كانت هذه الأمة أفضل الأمم لكونها كذلك، وليس التفضيل إلّا بذلك إذا عملت به؛ لا أنه أمر بالظاهر والباطن.

وقد ورد: إن الرؤيا إنّما حدث في بعض أوقات الأنبياء السابقة لتكذيبهم بالمعاد، ولم يكن قبل، وهو يدلّ على ما نقول، بل لو تأملت وجدت ذلك أصل اختلاف التكاليف - وشرح ذلك مما يطول - ولكن كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، فإذا كان كذلك فيكثر الاختلاف لتشعب الأهواء، وعمل القوة الوهميّة، وسعة فكر المفكرة القلبية، كما هو ظاهر لا كما قال.

ولذا ترى كل من قوي قوة كثر تنوعه؛ للدليل وتفريعه وغير ذلك، وكذا تنظيره الثاني غير وارد. فإن معنى كلامه، بل صريحه استغناء الناس آخر الزمان عن معلّم حسي ومؤدّب وضعي، على طريق الدرس والتدريس المعروف في هذا الزمان، لا معلّم حسي خارج مطلق. كيف والقائم وظهوره، وأنه المرجع للكلّ والمعلّم لهم، لا ينكره إمامي، بل ولا مسلم؛ لإقرارهم بظهوره آخر الزمان، وإن اختلفنا معهم من وجوه أخرى، فالتناس آخر الزمان يكفي المكمل الداخلي باعتبار وضع اليد، أي الملك، كما

(١) راجع نص الرواية في فروع الكافي: ٢٤٦/١١، باب ١٨٤ الزاني من كتاب النكاح، حديث رقم (١٠٣١٣/٧).

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.

فسره به، ولا ينافي كونه بواسطة ولي الله وتأيدته، فالمعلم الحسي الذي أثبتته الحديث لا ينفيه ذلك، وما نفاه لا ينافيه الحديث، لكن ستعرف ما فيه من النظر.

وكذا الثالث: فإن حمل اليد على الملك لا يدل على كونه أشد إعانة وتسديداً من الإمام عليه السلام، ولا يعني عنه لاحتياج الملك إلى ممد.

وكذا إن أريد به القوة العقلية، فالحاجة للإمام حينئذ أشد، والحاجة الداعية إليه، فهم الحديث فهماً صحيحاً لا بالتخمين والظن، أو الرواية بغير دراية. فافهم.

لكن في جواب ذلك القائل منع ارتفاع التعليم على النمط المعروف آخر الزمان، بل لا ينقطع ولا ينافي زيادة المعقول، وكثرة الإلهامات، بل يؤكد، وذلك لازم هذه العمارة الدنيوية.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الثاني والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ، وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ».

[شرح النص: حجتان لله على العباد]:

أقول: حُجَّةُ النَّبِيِّ عليه السلام عامة، بحسب البدء والعود، عقلاً وسمعاً، والحُجَّةُ عَلَى الْعِبَادِ الْعَقْلُ، أي تمييزه ذلك ومعرفته وقبوله، فلا تنافي ولا اعتراض بما يأتي، وقد سبق أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعِبَادِ حَجَّتَيْنِ، فَالنَّبِيُّ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَالْحُجَّةُ الْبَاطِنَةُ الَّتِي لِلَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، بِهَا يَعْرِفُونَ صَدَقَ دَعْوَى الْحُجَّةِ الظَّاهِرَةِ وَوَجُوبِ اتِّبَاعِهِ، الْعَقْلُ، وَكَوْنِ الْعَقْلِ الْحُجَّةَ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَاللَّهِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْوَاسِطَةِ غَيْباً، وَلَكِنْ الْمُرَادُ بَيَانُ أَنَّ الْحُجَّةَ دَاخِلَةً وَخَارِجَةً، وَلَا يَنَافِيهِ كَوْنُ الدَّاخِلَةِ مَكْتَسِبَةً وَمَقْتَسِبَةً، فَإِنَّ الْعَقْلَ شَرَعَ دَاخِلٌ أَيْضاً، وَلَا اسْتِعْلَاءَ النَّبِيِّ وَعُلُوَّهُ، قَالَ: «عَلَى الْعِبَادِ»، وَلَمَّا تَفَاوَتَ مَرَاتِبُ الْعُقُولِ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِكُلِّ فَرْدٍ، قَالَ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ.

[قول ملا ربيع]:

وقال محمد ربيع في الحاشية: (أي الحجة الموصلة للعباد إلى السعادة

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

والنَّجاة بعد الاعتقاد بإلهيته تعالى هو النَّبِيُّ، والحجَّة فيما بين النَّبِيِّ^(١) وبين الله الموصلة للعباد إلى معرفة الله والتَّصديق به هو العقل^(٢).

وحينئذ حاصله أنَّ النَّبِيَّ حُجَّةٌ؛ لبيان التكاليف، والطَّريقين والعقل في معرفة الله تعالى، إذ هي عقلية، واعتراضُ محمد صالح بعد نقله بأن تخصيص حُجَّةِ العقل بمعرفته تعالى، (وحجَّة النَّبِيِّ بما عداها ممَّا لا يدلُّ عليه دليل، ولا يتحصَّل له معنى، إذ النَّبِيُّ حُجَّةٌ أيضاً في معرفته تعالى وصفاته، والعقل حُجَّةٌ فيما عداها أيضاً)^(٣) انتهى.

لكن غير خفي أنَّ شكر المنعم واجب عقلاً، وكذا معرفته، وسبقت الإشارة، وتخصيص ذلك بالعقل لو سلَّم إرادة التَّخصيص لا ينافيه ثبوته أيضاً شرعاً، أو المراد به ما قام الدَّليل العقلي به واستقلَّ.

وأما توقف الأعمال - عبادة وغيرها - على الشَّرع والبيان، وأنَّه لا دخل للعقول والبيان فمتواتر نصّاً واعتباراً وإجماعاً، والدَّليل العقلي المعدود من الأدلة الأربعة، فمنهم مكتسب ومقيّد، فهو داخل في النَّصِّ.

وأيضاً النَّبِيُّ لا يثبت صدقه بإخباره في التَّوحيد وصفات الله إلّا بعد النَّظر للمعجزة، وإنَّ الله لا يبعث ويمكِّن الكاذب بناء على ثبوت الحُسن والقبح عقلاً، ونفي القبيح عنه تعالى، والعقل أيضاً بمعنى التميّز، هو حُجَّة الله على العباد وبه يعرف صدق النَّبِيِّ والأصول وغيرها، فلا إشكال. فتأمل.

[قول ملا محسن الكاشاني]:

وقال ملا محسن في الشَّرح، نقلاً عن أستاذه الصِّدر، ما محصَّله: (إنَّ النَّاسَ: إمَّا أهل بصيرة، وإمَّا أهل حجاب، والحجَّة لله عليهم: إمَّا ظاهرة،

(١) في المصدر: العباد.

(٢) الحاشية على أصول الكافي: ٧٤/١.

(٣) شرح أصول الكافي: ٣٠٤.

وَأَمَّا بَاطِنُهُ، وَيَكْفِي لِأَهْلِ الْحِجَابِ الْحِجَّةَ الظَّاهِرَةَ إِذْ لَا بَاطِنَ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ عَمِيَانِ الْقُلُوبِ لَا يَبْصُرُونَ بِبَاطِنِهِمْ شَيْئاً، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَالْحِجَّةُ عَلَيْهِمْ هُوَ النَّبِيُّ مَعَ مَعْجَزَتِهِ، وَهُوَ الْحِجَّةُ الظَّاهِرَةُ. وَأَمَّا أَهْلُ الْبَصِيرَةِ فَالْحِجَّةُ الظَّاهِرَةُ عَلَيْهِمْ هُوَ النَّبِيُّ، وَالْبَاطِنَةُ هُوَ الْعَقْلُ الْمَكْتَسَبُ مِمَّا اسْتَفَادُوا مِنَ النَّبِيِّ.

أقول: هذا فيه^(١) حسن، إِلَّا أَنْ إِرَادَتَهُ مِنَ الْحَدِيثِ بَعِيدَةٌ.

قال: وَالْحِجَّتَانِ لِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ حِجَّتَانِ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنَّهُمَا حِجَّتَانِ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ^(٢) انتهى.

وأقول: إِمَّا كَانَ إِرَادَتُهُ ظَاهِرَةً، فَإِنْ قَوْلُهُ ﷺ: «حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيِّ»، شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْعِبَادِ، الْمَحْجُوبِ وَأَهْلِ الْبَصِيرَةِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَالْحِجَّةُ فِيمَا بَيْنَ اللَّهِ» إلخ، خَاصٌّ بِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَالْقُلُوبِ، بِدَلِيلِ جَعْلِهِ لَهَا غَيْباً، وَجَعْلِهَا الْعَقْلَ، فَهِيَ خَاصَّةٌ، وَتَشْمَلُهُمْ تِلْكَ أَيْضاً. فَافْهَم. بَلْ هَذِهِ الْعَامَّةُ وَالْأُولَى أَيْضاً. فَتَأَمَّلْ.

وقال ملاً محسن في الشرح: (يعني ما يقطع به عذرهم في تركهم لما به يتوصلون إلى سعادتهم، وفيه نجاتهم هو النبي بعد تصديقهم بالله سبحانه، وما يقطع به عذرهم في تركهم لمعرفة الله سبحانه والتصديق به قبل ذلك هو العقل، ولَمَّا كَانَتِ الْحِجَّةُ فِي الْأَوَّلِ مَوْضَلَةً لَهُمْ أَوْ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرَ اللَّهِ - أَعْنِي سَعَادَتَهُمْ - وَكَانُوا مُعْتَقِدِينَ لِإِلَهِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، أَضَافَ الْحِجَّةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأُورِدَ لَفْظَةً «عَلَى». وَلَمَّا كَانَتْ فِي الثَّانِيَةِ مَوْضَلَةً لَهُمْ إِلَيْهِ تَعَالَى وَكَانُوا غَيْرَ مُعْتَقِدِينَ بَعْدَ الْإِلَهِيَّةِ^(٣)، وَهِيَ قَدْ تَكُونُ حِجَّةً (لَهُمْ وَقَدْ تَكُونُ حِجَّةً) عَلَيْهِمْ لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ عَقُولِهِمْ، قَالَ: فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ^(٤) انتهى.

(١) في المصدر: تحقيق.

(٣) في المصدر: لإلهيته.

(٢) الوافي: ١١٤/١.

(٤) الوافي: ١١٣/١.

ويرد عليه عدم المطابقة أيضاً من وجه، حيث خصّ الحجّة النبويّة بالتكاليف بعد دليل العقل، والعقل بالأصول قبل ورود الشرع، فظاهر الحديث عموميّة حجّة العقل.

وكذا النبيّ حتّى في الأصول إذ به يعرف، وأيضاً في الجملة وإن توقّف على مقدّمة عقلية، فهما: عدمان من تناف كما أشرنا له. فتأمل.

ونقل محمد صالح وجوهاً أيضاً في بيان الحديث، ليس للتعريض لها كثير فائدة.

[شرح الحديث الثالث والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ».

[شرح النص: العقل عماد الإنسان]:

أقول: الدَّعَامَةُ بالكسر، عماد الشَّيْء وأصله الذي منه تنشأ فروعُه وسائر كمالاته مترتبة عليه، وتسمية العقل بالدَّعَامَةِ، والعمد ليس على طريق التشبيه والتمثيل بناء على اختصاصها بالحسية، بل على طريق الحقيقة، فإنَّها تكون معقولة، بل هي أقوى، قال تعالى: ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(١)، وترونها صفة للعمد، فثم عمد غير مرئية، والنَّصُّ بذلك صريح في تفسير الآية، لا أن ترونها حال.

ولا شك أنَّ استقامة البدن وتجنُّبه القبيح، وتحصيله الحُسن واستقامة قواه وغير ذلك بالعقل النَّظري والعملي؛ لأنَّه الرَّئِيس لها والحاكم، ومنه تستمدُّ وبه تبصر الجوارح، ولذا عرف العقل للحصر.

فظهر ضعف ما قاله محمد صالح: (إن تشبيه الإنسان بالبناء مكنية، وإثبات الدَّعَامَةِ له تخيلية)^(٢)، كيف، وعند التَّفطن بناء البناء تأليف،

(١) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٢) شرح أصول الكافي: ٣٠٥/١.

وتركيب الجسد هو التّركيب. وجعل الأصل العقل فيه إشارة إلى أن المقصود من الإنسان ليس الصّورة الظّاهرة خاصّة، بل كونه عقلاً وعاقلاً، فليتنبّه لأصله وعماده، ويعمل ما يناسبه.

ولك أن تفسّر العقل هنا بالجوهر المجرّد، العنصر الكلّي أيضاً، فإنّه أصل جميع أفراد الإنسان وذاته، وتميّزه من فاضل ذاته، وتميّزه كما سبق لعموم نوره في مراتب ظهوره.

ومعلوم عدم استغناء النّظام الكلّي والجزئي عن التّبوة، بل هي ممّا اقتضاه العدل وكمال الحكمة.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ».

[شرح تكملة الحديث: العقل دعامة في الكمالات العلمية والعملية]:

أقول: هذا الكلام مع باقي الحديث منه يظهر بيان كون العقل دعامة للإنسان في كمالاته العلميّة والعمليّة، وبه الاكتساب، ولا ينافي كون جنود العقل كثيرة كما سبق؛ لجواز عدم إرادة الحصر، مع إمكان إرجاع الكلّ لهذه الأربع بتفسيرها بالمعنى الأعمّ، فالفتنة شدّة المعرفة للأصول ولما أخذ الحكم في الفتوى، والفهم للخطاب والدلالات والآيات، والحفظ للعهد والأمانة، وسائر الأعمال الشرعية من الصّلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وكذا الماهيات.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَبِالْعَقْلِ يَكْمُلُ، وَهُوَ دَلِيلُهُ وَمُبْصِرُهُ وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ».

مبعثرات

[شرح تكملة الحديث: لا يكمل الكامل إلا بالعقل]:

أقول: كون كمال الإنسان وصيرورته ذي فعلية تعقلاً بالعقل ظاهر، فهو قد يحصل له كمال ببعض صفاته السابقة، لكن لا يكمل كل الكمال إلا به، أمّا سائر استحكام الصفات أو واحدة، ولذا أعاد العقل ولم يقل وبه؛ لثلا يتوهم عود الضمير لأحد الخصال، مع احتمال إعادته مظهراً على زيادة الشرف له؛ لأنّه دليل الإنسان فيما يطلبه ويتجنبه، وهو أيضاً مُبْصِرُهُ، بضم الميم وسكون الباء الموحدة وكسر الصاد المهملة، أي مُبْصِرُ الإنسان مِنْ أَبْصَرَهُ إِذَا جَعَلَهُ بَصِيرًا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءِإِنَّا مُبْصِرَةٌ﴾^(١)، أو بكسر الميم وفتح الصاد، اسم آلة، أي ما به يبصر، أو بفتح الميم والصاد، اسم مكان، أي ما به بصره وعلمه، والكل مُحْتَمَلٌ، والتلازم بينهما ظاهر. وكذا كون العقل مفتاح لجميع أمور الإنسان وما يشكل عليه، إمّا بنظره واستنباطه، أو استيضاح الحكم بسؤال أهل الذكر أو الوقوف.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ الثُّورِ، كَانَ عَالِمًا، حَافِظًا، ذَاكِرًا، فَطِنًا، فَهِمًا، فَعَلِمَ بِذَلِكَ كَيْفَ، وَلِمَ، وَحَيْثُ، وَعَرَفَ مَنْ نَصَحَهُ، وَمَنْ غَشَّهَ».

[شرح تكملة الحديث: ما به ينجو الإنسان ويسلم]:

أقول: لما أشار لك بتركب الإنسان وتحقيق الداعيَيْن فيه بقوله: «دعامة الإنسان» إلخ، وإنّ كماله به، أشار هنا إلى ما به ينجو الإنسان ويسلم، لأنّه مختار ممكن، فله من نفسه داعيان: داع يدعو من جانب اليمين ومن باب العقل، وهو الملك والقوة المؤيدة له والعون، وآخر من جانب الشمال وجانب النفس وتخليتها مع مقتضياتها. فإذا كان الإنسان تأييده واختياره من

(١) سورة النمل، الآية: ١٣.

جانب الأيمن، وهو التور الأول، الذي خُلق منه عقل الكلّ، وتمسك بمقتضياته، نجا الإنسان وظهرت منه أفاعيله لمشابهته له، وكان عالماً حافظاً فطناً، وعرف الأسباب الوسطية، وحكمة كلّ شيء في تخصيص خلقته وصفته، فعرف الكيفية الوجودية والتكليفية، وكذا العلة الوجودية، وعلة التكليف، إذ لكلّ حكمة هي العلة والسبب، وعرف أيضاً الأشياء الخارجة عنه بحسب المعشر والتمدّن.

والحاصل: إن على باب العقل داع وعلى باب النفس هو الشيطان، فإذا تحرك الإنسان بحسب شهوته لفعل أو ترك أو نظر أو تفكر تحرك داعي العقل، وكذا ضده، وأعانه الملك بالألطف والمعونة، وهي صورة العقل ورأسه من عقل الكلّ، والذي على النفس الأمارة شيطان يعينه ويمدّه بجنود الخذلان، وهي صورته المنكوسة من الجهل المركّب الظلماني المدبّر دائماً. فإن عمل بمقتضى الجهة الأولى بالآلة الكاملة ظهرت الطاعة أو المسألة أصولاً أو فروعاً من الجهة العالية، وأمدّ بأنواره، لاستنارته، وكانت ذاتية، وإن غلبت الجهة الثانية ظهرت المعصية بمقتضى باب النفس، بجهتها وبقيت الجهة الأولى بالقوة حتّى يؤول الأمر - والعياذ بالله - إلى فعلية جهة السفلي، فيؤول للبوار ودار الخسران.

بيان:

رجّح الشّارح محمد صالح: إن المراد بالتور الذي به (تقوية العقل بالفضائل العقلية، والكمالات النفسية التي هي جنود العقل وتسميتها نوراً على سبيل الاستعارة والتشبيه به الهداية كما يسمّى [أضدادها أعني] الجهل وصفاته بالحمق وباقيها ظلمة)^(١).

ولا يخفى إن الصفات فاعلية وصفاته، وإنّما يفعلها ويتقوى بإمداد من

(١) شرح أصول الكافي: ٣٠٩/١.

العقل بالمعنى السابق من المعونة، والملك المقرب له لذاتي الوجود، وما احتمله بعد ذلك الكلام من كونه الحجة هو الوجه، ولا ينافيه كون المؤيد القريب ملك أو قوة، بل لا بد من ذلك، فعد لها احتمالات ووجوه بعد، غير خفي ما فيه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ، عَرَفَ مَجْرَاهُ وَمَوْضُولَهُ وَمَفْضُولَهُ، وَأَخْلَصَ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْإِقْرَارَ بِالطَّاعَةِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، كَانَ مُسْتَدْرِكاً لِمَا فَاتَ، وَوَارِداً عَلَى مَا هُوَ آتٍ، وَيَعْرِفُ^(١) مَا هُوَ فِيهِ، وَلِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ هَاهُنَا، وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ، وَإِلَى مَا هُوَ صَائِرٌ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ تَأْيِيدِ الْعَقْلِ».

[شرح تكملة الحديث: ثمرة وغاية من عرف العلل الوجودية]:

أقول: غير خفي إن من عرف العلل الوجودية بحسب الوجود وصفته ورتبته عرف مجراه، مصدر ميمي أو اسم مكان الوجودي وتنقلاته، وعرف ما يلزمه أيضاً، بحسب مجراه الشخصي والتوعي، وما يوصله، أي يجب عليه وصله والتمسك به، ومفصولة أو مبدؤه الوجودي الصدوري، وأخلص لله الوجدانية والطاعة، فهو ثمرة تلك وغايتها، فإذا فعل جميع ذلك كان مستدرِكاً لما فرط وفاته في الزمن الماضي، ومستعداً لما هو وارد عليه غداً، لمعرفته بمجراه وغايته وعارفاً بحاله، وما هو عليه بحسب الوجود ولأي علة وجد هنا، ومن أين أتى وإلى أي شيء يصير، وكُلَّ ذلك من تأييد العقل وعمله بمقتضى ما خلقت لأجله الأسباب ذاتاً.

تتمة:

إذا عرف الإنسان كمال المعرفة، وكان نظر عقله بنوره، وهو وجوده

(١) في المصدر: يعرف.

والذي ينظر به، عرف مبدأ مدخله الوجودي من جهته كونه هيكل التوحيد ومخرجه.

والمراد بالمجرى تنقلاته من المادة الأولى والدّواة الأولى إلى مقام المعاني، ثمّ شجرة المُنز، وهكذا إلى الأرض، ثمّ في مراتبه العودية، فإذا عرف نفسه كذلك أخلص لله الوجدانية؛ لمعرفته به حينئذ بجهة الصّفة والدّلالة من غير تقييد بالأثرية من حيث نفسها.

وما في باقي الحديث نتيجة معرفة المجرى والفصل والوصل، وليس هو فصل مباينة، بل فصل صفة، لأنّ المعلول لا يباين عليه، وكذا الوصل، ليس وصلاً ذاتياً أو صفاتي، بل بما ظهر له به بالصّفة الوجدانية الدّالة، فهو مع كلّ شيء بغير ممازجة، ودون كلّ شيء بغير مباينة.



مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام،
قَالَ: «الْعَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ».

[شرح النص: العقل دليل المؤمن]:

أقول: معناه ظاهر ممّا سبق بأيّ معنى أخذ العقل فإنه دليله ليستدلّ به،
ويسير به في الشبهات والظلمات أماناً به، ويدلّه على التّجارة وطريقها،
ويجنّبه الهلكات.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الخامس والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ السَّرِيِّ ابْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ، لَا فَقْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا مَالَ أَغْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ».

[شرح النص: العقل أصل كل خير]:

أقول: أعود: أنفع، والعائدة، الفائدة. ولا خفاء في كون العقل كذلك، وبضده الجهل بأي معنى أخذ من معانيه السابقة، كما لا يخفى لمراجع ما سبق، فلا نطيل بالإعادة.

والعقل أصل كل خير ومأواه ولازمه، وهو دعامة الإنسان وأسه.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث السادس والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحْسَنَ مِنْكَ، إِيَّاكَ أَمَرْتُ، وَإِيَّاكَ أَنْهَيْتُ، وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ».

[شرح النص: العقل أعظم خلق في الوجود المقيد]:

أقول: قد عرفت معنى إقبال العقل، أي بروز ما فيه من الكمال الفرعي في أطوار المصور والمثال، والفلكيات والعناصر، والطبائع والأغذية المجتمعة، والحيوانات من أشعة الكواكب والعناصر وغيرها، وكذا في إدباره وعود بدئه، ولمّا أظهر به أفعاله وكان هو أصل الوجود المقيد وأخذ به المعاني والصُّور والطبائع والملك، وكان عقل الكلّ، أي كأنه شخص واحد له عقل واحد، كان به الثواب والعقاب، وتتوجّه له الأوامر والنواهي أولاً وبالذات، ولغيره بواسطته، فهو السبب والأصل أو لكون غيره مرجعه له وخلق غيره له وهو الله، كان الأمر والنهي والثواب والعقاب له وتتوجّه. ولمّا كان خلقه على صورة توحيده وهو طوعه، وكان خلقه أعظم خلق الأشياء، ولم يخلق في الوجود المقيد أحسن منه. وهذا العقل يسمّى بالدّرة

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

في بعض الأحاديث وفي بعضها بالروح، وهي روح محمد ﷺ، وروى ولا تنافي. وسبق لك جميع ذلك مبيناً فراجع.

[قول محمد صادق والتعليق على قوله]:

وقال محمد صادق في شرح الحديث: (قد ثبت أن أثر الثواب والعقاب والأمر والنهي يترتب على الروح، وهو العقل، والبدن لباسه، وليس له نصيب من شيء منها إلا بالعرض، هذا ظاهر من حيث تغاير الروح عن البدن).

أقول: للبدن ثواب وعقاب يستحقه بذاته، ويحشر هذا الجسد وإن فارقه بأعراض تبدل وتزول، ولا يوجب له مغايرة ذاتية، وإن كان ذلك مترتباً على العقل، فإن أراد بالعرضية هذا تم وإلا فلا، لكنه لا يناسب طريقته والمغايرة بينهما متحققة.

قال: (وأما من حيث اتحاده به فأمره واحد ذاتاً واثناً اعتباراً، فكلماً نسب إلى الروح نسب إلى البدن وبالعكس، والاتحاد هو مذهب الأقدمين، فالبدن على هذا المذهب مرتبة النفس، والروح ظل لها، ويمكن أن ينفصل الشيء عن مرتبته وظله كما ينفصل الشخص الصبابة أو الشابة، وهذا جائز عند من وقف على قواعد الأقدمين).

أقول: قواعد الأقدمين لا تدل على مراده، وليس سبب النسبة ما ظن من الاتحاد، وهو ممنوع، والاتحاد الظهوري إذا نظر لظاهر الجسد لا يدل على مقصوده. فتأمل.



[شرح الحديث السابع والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الرَّجُلُ آتِيهِ وَأُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِي، فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ وَأُكَلِّمُهُ ^(١) بِالْكَلَامِ، فَيَسْتَوْفِي كَلَامِي كُلَّهُ، ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ، فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ؟

فَقَالَ: «يَا إِسْحَاقُ، وَمَا تَدْرِي لِمَ هَذَا؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِكَ، فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ، فَذَاكَ مَنْ عَجِنْتَ نُطْفَتَهُ بِعَقْلِهِ، فَأَمَّا ^(٢) الَّذِي تُكَلِّمُهُ، فَيَسْتَوْفِي كَلَامَكَ، ثُمَّ يُجِيبُكَ عَلَى كَلَامِكَ، فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؛ وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ، فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ، فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ بَعْدَ مَا كَبِرَ، فَهُوَ يَقُولُ لَكَ: أَعِدْ عَلَيَّ».

[شرح النص: تركيب العقل في الإنسان]:

أقول: قال الكاشاني في (الوافي): «ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ» أي يردّه كما سمعه حافظاً لألفاظه ومعانيه. «عَجِنْتَ نُطْفَتَهُ بِعَقْلِهِ» أي عجنّت مادّة بدنه بأثر نور العقل منذ كانت نطفة للطافتها وقربها من الاعتدال.

(١) في المصدر: فأكلّمه.

(٢) في المصدر: وأما.

«رُكِبَ عقله فيه» أي أثر العقل «في بطن أمّه» لتوسط مادة بدنه في اللطافة والكثافة والاعتدال والخروج عنه. «بعدها كبر» لكثافة مادة بدنه وبعدها عن الاعتدال المانع من قبول أثر العقل على قرب^(١) انتهى.

فيرجع إلى تفاوت المادة في اللطافة والاعتدال وبعدها وتوسطها، وفيه إجمال أيضاً.

ولا يشترط في القسم الأول حفظه للفظ والمعنى. نعم، هو مراتب، وإن كان هذا أكمل، ولم يبين العلة للفرق أولاً مع أن المادة قابلة وظاهرة، جعل العلة اللطافة وعدمها. وأيضاً القسم الأول لم يذكر المتكلم جميع كلامه، بل بعضه، وهو يعرف الكلّ، وهذا يرجح إرادة المعنى خاصة لا مع اللفظ؛ لعدمه نطقه بجميعة.

[قول محمد صادق في الشرح]:

وقال محمد صادق: (قد علمت أن العقول الإنسانيّة هي عكوس أرباب الأنواع المجردة، والعكس عين ذي العكس، بدليل التّناسب والارتباط مع ظلمه، فالفرق بينهما بالتوريّة والظلمة، وكلاهما مختلفان بالشّدة والضعف، فالنفوس مختلفة بالصفاء والكدورة، بعض منها في كمال الصّفة كأنه مجرد عن المادة مع كونه في المادة، وهو الذي عجنت نطفته بعقله، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ أَلَمَ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾^(٢)، وبعض منها أدون من الأوّل، وهو الذي رُكِبَ في بطن أمّه. ومنها أدون من الأوّلين، وهو الذي رُكِبَ عقله فيه بعدما كبر، فانظر إلى أحكام هؤلاء الأئمة عليهم السلام، كيف يطابق بالضوابط، وكيف لا يكون والضوابط الحقّة من أشعة أنوارهم، ومن رشحات سحائب فيوضاتهم، سلام الله عليهم أجمعين) انتهى.

(١) الوافي: ١١٨/١.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

العقول^(١) فاضل نورية المشيئة الفعلية، أي من رؤوسها، والسافل فاضل العالي، بحسب النورية، كالشمس والأشعة، وليس العكس عين ذي العكس، وإلا فلا ذي وعكس، ونزل العالي بذاته السافل، وهو محال.

نعم، هو صفة، لكنّه مفرّع على وحدة الوجود، والمناسبة الذاتية بين الله وخلقه، فهم هو، والتعينات إمكانية عدمية، وهو مراده بالظلمة، ومجمع المراتب حقيقية وجود واحدة هي وجود الله، وهذا كفر وضلال كما لا يخفى. وستعرفه.

وعلى قوله يرجع التقسيم إلى النفوس ولا عجز للمادة، وهي ملاحظة في ذلك والضوابط ترد لهم، فإما تصحّ أو تبطل، لا أن كلامهم يردّ ويصحّ بها، فبطلانه ظاهر.

وقال ملا خليل: «(من عجنت نطفته بعقله»: بالمعنى الأوّل، وفسّره في أوّل كتابه بالصفة الداعية لصاحبه إلى فعل الحسن، وصارفة عن فعل القبيح، بغير جبر، وهو مناط التكليف، فصار عاقلاً بالمعنى الثالث.

وفسّره في أوّل كتابه بالتأمّ في صفات الأشياء، بحيث يعلم حُسنها وقُبْحها، وكمالها ونقصها، ونفعها وضررها.

(فأمّا الذي تكلمه فيستوفى) إلخ، رُكّب على صيغة المجهول [من باب التفعيل]، أي حمل؛ شبه ذلك بتركيب الفصّ في الخاتم.

«عقله "بالمعنى الأوّل"^(٢) فيه في بطن أمّه، "فصار عاقلاً بالمعنى الثالث، لكن أضعف مرتبة".

«وأمّا الذي أكمله بالكلام» إلخ، عقله "بالمعنى الأوّل" فيه بعد ما

(١) ابتدأ الشارح بهذه المفردة مباشرة بعد الانتهاء من النقل، ومنهجه في الكتابة يكتب، أقول.

(٢) ما بين " " من الشارح وليس من المصدر.

كبر»، أي خرج من بطن أمه إلى أن صار [مراهقاً أو] بالغاً مكلفاً. فهو عاقل لا بالمعنى الثالث، بل بالمعنى الأول. «فهو يقول لك: أعِذْ عليَّ»^(١) انتهى.

وفيه اختلاف معنى العقل في الحديث، فظاهره الاتحاد وأن ظهوره في النطق يتفاوت، إذ لو تعدّد لم يتم به الجواب وعاد الإشكال من وجه آخر. وأيضاً العقل بالمعنى الأول، أي الغريزة والقابلية عام في جميع النطف، وتركيب الثاني بمعنى العجن، أن روعي مرتبة النطفة وجعله الأول لكن درجة أنزل، والدرجة درجات، وما في الثالث ظاهر، وهو بعد البلوغ، والتكليف يكون عاقلاً بالمعنى الثالث، وإن كان أقلّ درجة.

وظاهر الحديث حصوله لكنّه بعد ما كبر، ولهذا يقول: أعِذْ عليّ كَلَامِي، ولو قال: المراد بالعقل، العقل التمييزيّ والمعرفة والنّاس فيه متفاوتون، فبعض بملاحظة حُسن النطفة وصفائها وملازمة الأبوين لمستحبات النكاح والحمل، فهذا تصفو نطفته ويسرع إدراكه العقليّ، فزمن تمرينه، وقابليّته قويّة، فهذا من عجن فيه بالنطفة، ودونه من رُكّب فيه بعد كمال تخلّفه في بطن أمّه، ولهذا عبّر هنا برُكّب لا بالعجن، والثالث دون ذلك، وهو الخالي من تلك، وليس إلّا بعد البلوغ والتكليف لكان أظهر وأحقّ وسليم من هذا التعسّف وتفاوت النطف، بعد ذلك لا خفاء فيه. وبسطه مما يطول. ولهذا تفاوت وقت ظهور التمييز وتفاوت وقت المعرفة عقلاً، وإن لم يلزم لازمه إلّا بعد التكليف الظاهري...^(٢)

وعدم حركة النطفة وانقلابها لا يوجب إنكار تعلّقه، كما يُشاهد من النائم، وصاحب السكّنة.

(١) الشافعي في شرح الكافي: ٢٧٢/١.

(٢) فراغ في النسختين بمقدار ستة أسطر.

وذهب جماعة أن للجبال وسائر الجمادات نفوساً متعلقة بها، مع أنها ساكنة، على أن الحركة الإرادية من الماء، ذلك من خواص النفس الحيوانية، وامتناع تعلق القوة العاقلة قبلها ممنوع.

وبالجملة تعلق العقل بالنطفة ممكن، وقد أخبر به الصادق به، فوجب الاعتراف به، ومن ركب عقله بطن أمه دونه في الإدراك؛ لقلة تمرنه وتدبره، وضعف امتزاج طيبته بعقله، بالنسبة للأول فله الدرجة الوسطى من الإدراك، ومن ركب عقله بعد الوضع إلى زمان التكليف، وهو المراد بقوله: «بعد ما كبر»، فهو دون الثاني في الإدراك؛ لقلة تمرنه قطعاً، وعدم امتزاج مادته بالعقل، وضعف استنارته، فهو بمنزلة بيت وضع المصباح في خارجه، فله أدنى درجات الإدراك والفهم. انتهى مختصراً.

فأما ضد كلامه فصحيح، لكنه أراد بالعقل ما هو، إن كان النفس الناطقة فإنه قد ذكر سابقاً جواز إرادتها منه، فيتحد مع الوجه الذي احتمله ثانياً وهو السابق أو القوة العاقلة للنفس، وهي لازمة لها فهي موجودة. وأيضاً إذا كان العقل الإدراكي، إما بالقوة وهو الهولاني والاستعدادي المشار له أول كلامه حاصلاً في النطفة ومعجوناً بها، مع عدم علمها بذلك التعلق وعدم حصوله لها إلا بعد البلوغ، والفرق ظاهر بين التعلق قبل؛ لعدم استعداد الآلة، وإنما يتعلق بمعنى الهولاني والمطبوع، وبقدر صفاء يظهر أثر النفس بحسب الفرق وبين التعلق بعد التسوية، مع أمه بعد التسوية الناطقة بالقوة من وجه وما حكاه عن بعض العارفين إنما ذلك بعد السير الروحاني لنفسه، وصيرورتها عقلاً بالفعل. وأين ذلك من المستدل عليه.

نعم، ما نقله عن الأئمة المعصومين صحيح عقلاً ونقلاً، لكن ليس هو محط السؤال والتفصيل، والفرق بين الجبال والنائم والنطفة ظاهر. كيف ونفس الجبل تقتضي السكون، وحفظ الأجزاء وتماسكها، ولا كذلك عقل النطفة، وكذا سائر الجمادات، ولا رد لأخبار الصادق.

وقوله: بأن التعلّق قبل ممكن إن أراد التعلّق الفعلي فلا، بل ممتنع إلّا في المعصوم عليه السلام أو غيره فمسلّم، لكن لا ينفعه، مع أنك عند التّطبيق بين هذا الوجه والسّابق لا تجد فرقاً معني، ولك أخذ المراتب بعد الولادة الجسمانية.

فالقسم الأوّل: من بلغت نفسه رتبة العقل المستفاد، فهو المعجون بطينته العقل لطوع النّفس وقواها، حتّى الطّبيعيّة لها، وعبر عن الدّرجة الوسطى النّاقصة عنها بمن ركب عقله في بطن أمّه، أي النّفس، فهو ذو صورة وملكة.

والقسم الثالث: ما حصل له التّعقل بعدما كبر وجاز الأربعين.



مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَثِيرَ الصِّيَامِ، فَلَا تُبَاهُوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ عَقْلُهُ».

[شرح النص]:

أقول: قد سبق لك ما يشرح هذا الحديث في الحديث الثامن والتاسع وغيرهما.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث التاسع والعشرون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «يَا مُفَضَّلُ، لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ، وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ، وَسَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ، وَيَظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ».

[شرح النص: النجاة متوقفة على الفهم]:

أقول: لما كان بالعقل يقع التمييز والاكتساب فمن خلا منه ليس بناج وفائز، فلا يفلح من لا يعقل، ولا يعقل من لم يحصل له العلم، لأنه ثمرة العقل المكتسب، فإذا لم يحصل انتفى، ويدخل في العلم، العلم بأحوال المبدأ والمعاد، وما هو لطف فيهما، وحينئذ ينتج أنه لا يفوز من لا يعلم، وسوف ينجب غداً بأن يكون كريم الأصل، حسن العنصر والنسب، وإن كان أبواه كفاراً هنا أو نسبة الحسي دني من يفهم ويفطن، فإن انتسابه حينئذ للعقل، والنسب الروحاني أشد علاقة بظهور أثر من الجسماني، فالمرء حيث وجد لا حيث ولد، ولما عادت غاية الفهم للدخول في سلك عالم الغيب، وفعليّة النفس، والحلم إلى حسن الظاهر والمعايشة، فيدخل فيه التثبت والإنابة والعفو، وغير ذلك من الصفات، ولكونها أيضاً ألطاف للأول رتب عليه السلام النجاة على الفهم، والظفر بالمطلوب، سواء كان ديناً أو دنياً على الحلم، والحلم بكسر الحاء، ويقال منه حلم الرجل بالضم.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعِلْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدْقُ عِزٌّ، وَالْجَهْلُ ذُلٌّ، وَالْفَهْمُ مَجْدٌ، وَالْجُودُ نُجْحٌ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ».

[شرح تكملة الحديث: بعض صفات حسن الخلق]:

أقول: الجُنَّة بالضم، ما يستتر بها عن المكاره من سلاح وغيره، ولا شك في السَّلامة من الكفر وأنواع الشَّبه، وغواية الشَّيطان بالعلم، وكذا العلم جُنَّة للغير، لأنَّه حصن كما مرَّ، وسيأتي في الجزء الثاني. ووجه كون الصَّدق عِزًّا والجهل ذُلًّا حتَّى البسط ظاهر، وكذا كون الفهم مجدًّا، فهو الباني للحسب والنَّسب الثَّابت، ولذا رتَّب المجد عليه والنُّجْح، بضم النُّون وسكون الجيم ثم حاء مهملة، الظفر بالحاجة.

«وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: عرفت معناه وعلوّه. «وَمِجْلَبَةٌ» بكسر الميم، اسم آلة أو مصدر، ويحتمل بضم الميم اسم فاعل، والضَّمير عائد لحُسْن الخلق، باعتبار تقدير صفة حُسْن الخلق، وعلى كُلِّ تقدير، فكونه مجلب للمودة وإقبال النَّاس ظاهر، حتَّى وصف نبيّه ﷺ به، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، فَبِه تنساق القلوب للمطالب وتعرض عن إدراك.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ».

[شرح تكملة الحديث: العالم لا تهجم عليه اللّوابس]:

أقول: هجم الشيء إذا أتى بغته، والمراد به هنا الأعمّ، واللّوابس جمع لابسة من لبست عليه الأمر بالفتح، اللبس بالكسر، أي خلطت، ولا يلتبس

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

الشيء حتّى يحصل به الإضلال أو الشك، ما لم يكن ممزوجاً باطلاً بحق، فإن الحق الخالص وكذا الباطل لا يخفى على ذي حجب، ولكن يؤخذ ضعفاً، من ذا وضعفاً من ذاك ويشبه به.

«والعالم»: الفهم، لا تلبس عليه لا بسة في زمانه في أمر دنياه وآخرته؛ لقوة نقده وتحرّزه عن سوء العاقبة، ومحافظة على ما هو عليه من الحق، ولا كذلك الجاهل، بل إن رجع للعالم الحصين سلم وإلا مال، مع كلّ ناعق وأورده المهالك.

وفسر ملاً خليل هذه الفقرة بما ينافي عموم اللوابس، قال: اللوابس (جمع لا بسة، أي الشبهات، أي البست عليه الأمر بالفتح، إلبس بالكسر، أي خلطت، يعني أن من يعلم أحوال أهل زمانه من تسرع المشهورين بالصلاح والعلم إذا افترضوا فرصة إلى إثارة الحياة الدنيا إلا الشاذ النادر جداً، يعلم أحوال الصحابة والتابعين، ولا يكثرث بشبهة كثرة أهل الخلاف وقلة أهل الحق).

وقد سألت بعض الأصدقاء، وقال: إني أتعجب في أن الجماعة بعد سماعهم الوصية [من النبي ﷺ] كيف ذهبوا عن أهل البيت في أول الأمر إلا ثلاث؟

قلت: تعجّبي على عكس تعجّبك، أنت تتعجب من ذهاب الجماعة، وأنا أتعجب من بقاء الثلاثة^(١).

أقول: لا تعجب من شبهة بحسب الأصل، بل تركوا عناداً مع المعرفة، وبعض تبع كلّ ناعق، والكثرة لا تثمر، والباقي أولاً في أهل المدينة أربعة، وبعد تكاثروا، ورجع كثير لعليّ عليه السلام. والمراد أن العالم بزمانه وأهله لا تهجم عليه اللوابس الزمانية، ولا تلبس عليه.

(١) الشافي في شرح الكافي: ٢٧٤/١.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَالْحَزْمُ مَسَاءُ الظَّنِّ».

[شرح تكملة الحديث: الحزم ومواطنه]:

أقول: قال ملا خليل: إشارة إلى ما يشير إليه في الفقرة السابقة. («والحزم» بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الزاء، الاحتياط، وأصله من شدة الحزم. و«المساء» مصدر ميمي، والمراد بسوء الظن: عدم الاعتماد، أي الاحتياط أن لا يغتر الإنسان بما صدر عن الجماعة [من صور الصلاح]، ولا يقول: إني أتبع الخلف^(١) الصالح، ونحو ذلك من الألفاظ الهائلة؛ بل يتبع ما في [محكم] كتاب الله والسنة المتفق عليها بين الفريقين حتى يثبت حقيقة فريق، ثم يتبع ما قالوا^(٢)).

أقول: لا تخصيص فيه بالسلف ولا يقع بالسلف الصالح، وفي تفسير جعله ﷺ الحزم، مساءة الظن، بعدم الاعتماد، أي الاحتياط من البعد ما لا يخفى، بل الظن من اللفظ، والله أعلم، إن سوء الظن من الحزم، بل هو من الحزم في الأمور والاحتياط فيها، فإذا أسأت الظن تجنبت وتحذرت حذراً من وقوع ذلك، ولا كذلك مع عدم الإساءة، بل يبني على حسن الظن، فإنه الحزم معك في الأمور قليل، وهو يضيع عليك كثير، ويوجب العثرة، خصوصاً مع كثرة الشر، قال عليّ ﷺ: «إذا كثر الشر فلا يظن بأحد خيراً» أو حينئذ يكون الرجل شديداً في أمره، فيكون ذا حزم. فافهم.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَبَيِّنَ الْمَرْءَ وَالْحِكْمَةَ نِعْمَةُ الْعَالِمِ».

(١) في المصدر: السلف.

(٢) الشافي في شرح الكافي: ٢٧٥/١.

[شرح تكملة الحديث: بين المرء والحكمة]:

[أقول: قال الكاشاني في شرح (الوافي): «وبين المرء والحكمة نعمة العالم»] بفتح النون، يعني: أن الموصّل للمرء إلى الحكمة تنعم العالم بعلمه، فإنه إذا رآه المرء انبعثت نفسه إلى تحصيل الحكمة أو إضافة النعمة، بالكسر بياناً، أي العالم الذي هو نعمة من الله سبحانه يوصل المرء إلى الحكمة، تعليمه له إياها. «والجاهل شقي بينهما»، أي له شقاوة حاصلة من بين المرء والحكمة أو المتعلّم والعالم، وذلك لأنه^(١) لا يزال يتعب نفسه، إمّا بالحسد أو الحسرة على الفوت أو السعي في التّحصيل مع عدم قابليته للفهم^(٢).

أقول: فيه مخالفة لظاهر الحديث، وظاهر أن هنا واسطة ثالثة هو نعمة العالم وشقاوة الجاهل، وليس نعمة بالفتح، وإذا لا حظ التّنعّم فليجعلها بالكسر، وما بينهما نعم كثيرة، وفاكهة ممدودة لا مقطوعة ولا ممنوعة^(٣)، فإنه ورد فيها أنه العالم وما يخرج منه، وهذا لا ينافي إرادة اللذة الظاهرة، بل يدل على عدم التّخصيص. فتدبّر.

[ما نقله الكاشاني عن أستاذه]:

وقال الكاشاني في (الوافي) نقلاً عن أستاذه الملاً الشيرازي: (لعل المراد به أن الرّجل الحكيم من لدن عقله وتمييزه إلى بلوغه حدّ الحكمة يتنعم بنعمة العلم ونعيم العلماء، فإنه لا يزال في نعمة من أغذية العلوم، وفواكه المعارف، فإن معرفة الحضرة الإلهية لروضة فيها عين جارية وأشجار مثمرة قطوفها دانية، بل جنة عرضها كعرض السّماء والأرض، والجاهل بين مبدأ أمره ومنتهى عمره في

(١) في النسختين: أنه.

(٢) الوافي: ١١٩/١.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ كَثِيرٌ * لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ﴾ سورة الواقعة، الآيتان: ٣٢ و٣٣.

شقاوة عريضة وأمل طويل ومعيشة ضنك، وضيق صدر، وظلمة قلب إلى قيام
ساعته وكشف غطاءه، ففي الآخرة عذاب شديد^(١).
أقول: بل بينهما النعمة والشقاوة الضدية.

[تكملة نص الحديث]:

قال^(٢): «وَاللَّهُ وَلِيُّ مَنْ عَرَفَهُ، وَعَدُوٌّ مَنْ تَكَلَّفَهُ، وَالْعَاقِلُ عَقُورٌ، وَالْجَاهِلُ
خَتُورٌ».

[شرح تكملة الحديث: في العقل العملي]:

أقول: معرفة الله هو السبب القوي في الوصلة والمعونة، و﴿اللَّهُ وَلِيُّ
الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣)، وهو ناصره ومعينه، ومن تكلفها وما يكون به لم يصيبها
بعيد عنه تعالى، ووليّه الطّاغوت وموكل لنفسه. وكون المظفر من صفات
العقل عرفته، بل هي عقل عملي.

و«الختور»: بفتح الخاء المعجمة، وضَمّ التاء المشناة من فوق، مبالغة في
الغدر والخدع، فهو يضمّر خلاف ما يعلن. وفي بعض النسخ بالمثلثة من
الختورة وهي نقيض الرقة^(٤).

وقال محمّد صادق: («والله ولي من عرفه»، أي مالك أو صديق لمن
عرفه، لأن معرفة الله عبارة عن حضوره تعالى عند العارف بالصورة العلمية
أو بالذات، وعلى أيّ تقدير، إذا كان تعالى حاضراً عند شخص فهو تعالى
مالكه أو صديقه. «وعدوّ لمن جهله»، لعدم حضوره عنده، وحضوره في قلبه
ذاتاً أو صورة، وهذا عداوة الحقّ للعبد).

(١) الوافي: ١/١٢٠.

(٢) في النسختين: أقول.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) الوافي: ١/١٢٠.

أقول: ما أقبحه من قول، بل أكفره، والله لا يحضر لأحد بذاته، بل بصفته الدالة، سواء فيه العقل أو غيره. وهذا مفرع على التناسب ووحدة الوجود. وسيأتي تفصيله في موضعه.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وإن شئت أن تُكْرَمَ، فلن، وإن شئت أن تُهَانَ، فأخش».

[شرح تكملة الحديث: في لين الجانب]:

أقول: لينُ الجانب واللسان للغير سبب للألفة والمحبة، وانجذاب القلوب إليه، وتكريم الناس له، وتكرم بالبناء للمفعول. ولين: بكسر النون، فعل أمر من لان يلين. ومعلوم إهانة الناس للخشن، فإنه تكبر، والخشونة ضد اللين، ولكل صفة موضع خاص ومقام، وقد يكون الخشونة لله هي المحمدة، وكذا عدم اللين.

[تكملة نص الحديث]:

[قال]: «وَمَنْ كَرَّمَ أَصْلَهُ، لَانَ قَلْبُهُ؛ وَمَنْ خَشَنَ عُنْصُرُهُ، غَلِظَ كَبِدُهُ».

[شرح تكملة الحديث: كرم الأصل يكون مؤمناً صالحاً]:

أقول: معلوم دلالة كرم الأصل بأن يكون مؤمناً صالحاً على لين الفرع والنتيجة فإنه يكون يؤثر فيه، وكذا من خشن عنصره غلظ كبده^(١)، وخص الكبد لأنها موضع الأخلاط ومنشأ الغضب والغلظ. وعبر بالقلب أولاً لأنه محل مكارم الأخلاق، وهي صفته بخلاف مساوئها، فمحلها الطبيعة، ومنشأها النفس الحيوانية فعبر بالكبد، وفيه من الحث على هذه الخصال الحميدة كما لا يخفى.

(١) ما بين | | ساقط من نسخة (ب).

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَمَنْ فَرَّطَ، تَوَرَّطَ؛ وَمَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ، تَثَبَّتَ عَنِ التَّوَغُّلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ؛ وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ».

[شرح تكملة الحديث: من فرط تورط]:

أقول: فرط بالتشديد والفتحات، أي تجاوز عن الاستقامة المطلوبة في كل الأمور، وبها النجاة، فتعديده موجب للتورط، والوقوع في ورطة الكفر والضلال أو شدة الأمور، يقال: أَوْرَطَهُ^(١) تَوْرِيطًا، أي أوقعه في الورطة، فَتَوَرَّطَ هو فيها^(٢)، ومنشأ التجاوز هو اتباع الهوى، ومتابعة من ضل وغوى.

وكذا ينبغي النظر للعاقبة أن ظهرت له وإلا استشار أهل الرأي؛ لئلا يقع ويتوغل فيما لا يعلم، وفيه هلاكه، سواء في ذلك القول والفعل.

يقال: توغل في الأمر إذا دخل فيه وبعد بغير علم، فيقع به في تيه الغواية والضلال، وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ ودخل بغير علم ويقين، فقد جدع أنف نفسه، جدع، بالجيم والمهملتين بمعنى قطع.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، لَمْ يَفْهَمْ؛ وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ، لَمْ يَسْلَمْ؛ وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ، لَمْ يُكْرَمْ؛ وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ، تَهَضَّم^(٣)؛ وَمَنْ تَهَضَّم^(٤)، كَانَ أَلْوَمَ؛ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ آخَرَى أَنْ يَنْدَمَ».

(١) المفردة مكررة في النسختين، ولعلها من سهو النساخ.

(٢) الصحاح: ١١٦٦/٣.

(٣) في المصدر: يهضم.

(٤) في المصدر: يهضم.

[شرح تكملة الحديث : قياس مفصول النتائج]:

أقول: هذا قياس مفصول النتائج، ومنه يتضح لزوم بعض الصفات لبعض، وهو كذلك، ولهذا اختلف تعدادها، ومن ذلك يظهر شرف العلم وعلوه، وما يلزم فاقده من النقص والخسران.

ومنه أيضاً وما سبق يعلم منه أنه لا يجوز القول إلا عن علم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١)، وفي فقه الضلال أو الكفر، ومن لم يتأمل في العاقبة تهجم به هواه وتبعه، ولا ينافي ذلك ثبوت العناد في بعض، وارتكاب ذلك عناداً.

بيان ذلك المذكور: إن من فقد العلم لم يفهم، لفقده الأصل، فلا يميز بين الحق والباطل، ومن فقد العلم لم يسلم من الوقوع في الضلال أو الكفر، ومن لم يسلم لم يكرم؛ لفقد استحقاقه له، بل استحق خلافه، فكل من لا يعلم لم يسلم، وكل من لم يسلم لم يكرم، فكل من لم يعلم لم يكرم، وكل من لم يكرم تهضم.

وفي بعض النسخ (سيهضم) بصيغة الاستقبال، ورجل مهضوم، أي مظلوم، والمتصف بذلك هاضم لنفسه، وظالم لها أو لغيره ويهضمه غيره أيضاً، وكل من لم يعلم تهضم، وكل من تهضم كان أشدّ لؤماً وخسراناً من نفسه وغيره له، فمن لم يعلم، كان ألوم، ومن كان كذلك حريّ بأن يندم على فعله وتفريطه، ولكن حيث لا ينفعه، فحاصل الجهل أن من فقد العلم فهو من أهل اللوم والخسران، والندامة والهوان، ومن حصل له العلم حصل له الفهم، وإن كان حصوله يتوقف عليه أولاً لسبق السماع والاستماع والفهم، ولكن الغاية العلم، والفهم مراتب، وجميع ذلك ظاهر.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الثلاثون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «مَنْ اسْتَحْكَمْتُ لِي فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، احْتَمَلْتُهُ عَلَيْهَا، وَاعْتَفَرْتُ فَقَدْ مَا سِوَاهَا، وَلَا أَعْتَفِرُ فَقَدْ عَقِلْتُ»^(١) وَلَا دِينَ.

[شرح النص: من استحكت فيه جنود العقل]:

أقول: يقال استحكم الشيء أو الأمر إذا كان محكماً متقناً. والمراد بخصال الخير جنود العقل، واستحكامها بثبوتها ورسوخها الحاصل من المداومة عليها، ويتحقق بأقل من سنة وإن كان إليها أفضل، فإنه في ليلة القدر يقع الفرق والتبديل، فمن استحكمت فيه خصلة مما سبق، كالسَّخَاءِ أو التَّوَاضُعِ أو العَفْوِ إلخ، احتمل بها، وقبل نجا، وتجرُّه إلى غيرها أيضاً، ولم يخل من العقل لأنها من جنوده وصفاته اللازمة، فيكون له ناصر ومعين وإن ضعف في غيرها، فإنها لم تجتمع إلا فيمن أحب من نبي أو وصيه، وفي غيرهم يكون بعضها، وأقله خصلة كما سبق.

(١) في النسختين: علم، ويظهر أنها كتبت سهواً من النسخ بدليل ما كتبه الشارح أثناء شرحه للفقرة من الحديث، فراجع.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

والإيمان درجات، فلا يضر، ويحصل السبب والارتباط بهم ﷺ؛ لعدم فقد العقل التمييزي، والدين الشامل للاعتقاد والعمل.

وقال محمد صادق في الشرح: (مراده ﷺ من استحكمت في نفسه خصلة من خصال الخير التي هي من خصال احتملته عليها، أي كنت راضياً عن حاملها، ولا أتوقع منه شيئاً آخر إلا الدين والعقل، فإن الدين هو العلميات والعقل هو النظريات. وبعبارة أخرى الدين من الفروع، والعقل من الأصول، باعتبار تقابله بالدين في الذكر، وإنما قال ﷺ لا مفارقة الدين والعقل، «لأنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الْأَمْنِ»، فمن لا دين له لا أمن فيه في الخير. ومفارقة العقل، مفارقة الحياة، لما علمت أن المراد من العقل هو العلم بالنظريات، فالعلم بها حياة القلب؛ لأن الحياة منشأ العقل والإدراك، فمن لم يكن له إدراك لم يكن له حياة، فلا يقاس إلا بالأموال.

وقوله ﷺ: «واغتفرت» فقد ما سواها، عطف تفسيري لقوله احتملته عليها، وقوله: «ولا أغتفر» فقد علم ولا دين بمنزلة الاستثناء منه).

أقول: المراد بالعقل: ما به التمييز، والدين يشمل الأصول والفروع أو تخصه بالأصول ولا يخص العلم هنا بالنظريات، فطريق تحصيله أعم منها، ويوجد الاستثناء أن جعل بحقيقته على ما سبق، لا على عدّهما من الخصال، ففيه مسامحة أو استناد الأصل من اللازم الأخصّ، وإذ قد عرفت الاكتفاء بواحدة بعد صحّة الدين والعقيدة، كما هو مقطوع به عقلاً ونقلًا، وعدم ضرر فقد الباقي؛ لحصول الجبر لهم من غيرهم، وتتميم نقصهم كما سبق في آخر حديث جنود العقل، وذلك لتحقيق السبب القوي والمتابعة لهم؛ وإن حصل ميل في الأفعال واعوجاج، وعرفت تلازم الصفات وسوق بعض لأخرى، إذ لا تخالف تضادّ ومباينة مع تحقيق الأصل والسبب وهو العقل والدين وإلا اغتفر فقد العقل والدين، ليس باستثناء، أو أنه بصورة الاستثناء ولا استثناء، أو لدخولهما مع الخصال في الأعم فكأنه استثناء

منه، كأنه قال: الموجود لا يضره فقد كثير من الخصال، لا يضره إلا فقد هاتين الخصلتين؛ لأنهما شرط في غيرهما، وهو لطف مقرب لهما، فمتى فقدتا لم تنفع الخصال ولم يبق لها وزناً؛ لأنها جسم بلا روح، فلا تُحشر كالنطف والسقط قبل ولوجها، أو تريد بالعقل منشأ الخصال وموصوفها، وكذا الدين، والوجه ظاهر.

وفي قوله ﷺ: «لي فيه خصلة» إشارة إلى أن العمل بدون ولا يتهم واعتقادها باطل: ﴿كَرَّابٍ يَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾ الآية^(١)، فالعقل والدين لا غنى عنهما بوجه بخلاف الخصال.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «لأنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الْأَمَنِ، فَلَا يَنْتَهَى بِحَيَاةٍ مَعَ مَخَافَةٍ، وَفَقْدُ الْعَقْلِ فَقْدُ الْحَيَاةِ، وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالْأَمْوَاتِ».

[شرح تكملة الحديث: بالدين يحصل الأمن من السخط]:

أقول: تعليل لعدم اغتفار أحدهما، إذ بالدين يحصل الأمن من السخط والعقاب، ولا ينتهي الحي بحياته في جميع أحواله ما لم يكن آمناً، فالخائف في وجل ورجف ولم يستطع أن يأتي بعمل، فمن فقد الدين لم يتهنَّ بعمل للخوف، فمع فقد الدين لا عمل نافع وأمن، وكذا من فقد العقل فقد الحياة إذ به تحصل، فغير العاقل ميّت، قال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)، [وقال تعالى]: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾^(٣)، فهم أموات الطَّبِيعَةِ لما فقدوا العقل، وإن كانوا أحياء بالحياة الحيوانية، فالميت لا يقاس إلا بالأموات، والميت انقطع وقت تكسبه واستكمال نفسه فلا ينتفع

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

بعمله، فلذا لم يغتفر فقد العقل المكتسب المميّز أيضاً، وليس هو خاصّ بالعقل أو المستفاد بل يشمل الملكة أيضاً. وفي هذا الحديث دليل على أن شكر المنعم واجب عقلاً؛ لدفع الخوف، وتحصيل الأمن.

[شرح الحديث الواحد والثلاثون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ^(١)».

[شرح النص: العجب بالنفس من جنود الجهل]:

أقول: إضافة الإعجاب من باب إضافة المصدر إلى المفعول به، وغير خفي أن إعجاب الرجل بنفسه دليل التكبر، ورؤيته قدر العملة وذهوله عن باريه وعمّا في نفسه من الخلل وغير ذلك من مساوئ الأخلاق اللازمة من العُجب. وغير خفي دلالة ذلك على ضعف العقل، فإن هذه من جنود الجهل.

(١) في النسختين: دينه، والشارح تحدث في شرح عن العقل، فيحتمل التحريف من النسخ دون قصد.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الثاني والثلاثون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عليه السلام، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أَصْحَابُنَا وَذُكِرَ الْعَقْلُ، قَالَ: فَقَالَ: «لَا يُعْبَأُ بِأَهْلِ الدِّينِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ».

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ مِمَّنْ يَصِفُ هَذَا الْأَمْرَ قَوْمًا لَا بَأْسَ بِهِمْ عِنْدَنَا، وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعُقُولُ؟

فَقَالَ: «لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ خَاطَبَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، وَقَالَ لَهُ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا^(١) أَحْسَنَ مِنْكَ، - أَوْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ - بِكَ أَخْذُ، وَبِكَ أُعْطِي».

[شرح النص: ذكر الأصحاب وتفاوت درجاتهم وصفاتهم]:

أقول: ضمير «قال» يعود إلى ابن الجهم، يعني، و«ذكر» مبني للمجهول في الموضعين، يعني ذكر الإمام أصحابنا وتفاوت درجاتهم وصفاتهم الحسنة، وكذا مراتب العقل ودرجاته، فقال الإمام عليه السلام: ابتداءً منه «لا يعبأ» بأهل الدين، أي دين الإمامية مِمَّنْ لا عقل له أصلاً، فهو لا يعرف الحق ولا يعاند عليه ولا يوالي أحداً بعينه، وكذا البله، فإن هذا الصنف من

(١) في المصدر: شيئاً.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

أهل المذهب، لا يسأل في القبر، بل يلهى عنه، وإنَّما يُسأل مَنْ محض الإيمان محضاً أو محض الكفر.

ثمَّ سأل ابن الجهم الإمام عليه السلام عن بعض من يصف هذا الأمر، أي يقرّ بالولاية، فهو موالٍ تابع، وهو مقبول عند الشريعة ويزاوجونه ويجالسونه وغير ذلك، كضعفاء النساء والخدم، مع أنهم ليست لهم تلك العقول، أي العقول الكاملة، بحيث يقيمون الدليل على كلّ جزئي مفصلاً ويدفعون الشبهة، فقال له عليه السلام: «ليس هؤلاء ممن خاطب الله» بما يلزم ذا العقل التام، فإنَّ التّكليف إنّما يقع على قدر العقل، وهذا القسم من التّكليف كفائي فلا يدخل فيه هذا القسم، ويحتمل أن يكون هذا السؤال منه لإعادة ذلك القسم الذي أخبر الإمام عليه السلام عنه أو لا بأنه «لا يعبأ به».

والمراد بالعقول: أقسامه ومراتبه كمالاً، وتلك إشارة لها ولغيبها نزلها منزلة البعيد وأشار لها بها، وقول الإمام عليه السلام بعد: «ليس هؤلاء ممن خاطب الله» مطابق لقوله قبل: «لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له»، وفي بعض النسخ «لمن».

وقول السائل أخيراً: «لَا بَأْسَ بِهِمْ» لا يدلّ على أن لهم عقلاً، وأقلّه التمييز لما عرفت، فلا ينافيه قول الإمام عليه السلام: بعد «ليس هؤلاء ممّن خاطب الله» الدّال على نفي التّكليف، وخاطبهم به، فيقع التّناقض كما توهمه الشّارح محمّد صالح^(١)، وخصّ العقول بالكاملة، وكذا خصّص الخطاب.

ويحتمل الحديث معنى آخر على مرجوحية^(٢)، وهو أنّ المراد بأهل الدّين الذي «لا يعبأ به» ولا يبالي به، من خرج عن مذهب الإمامية من سائر الفرق المنتسبين لمحمّد عليه السلام، فإنّ مثوهم النّار ولا عمل لهم مقام، وسؤاله

(١) شرح أصول الكافي: ٣٢٦/١.

(٢) في النسختين: مرجوحية.

الإمام عليه السلام عني به بعض أهل الفرقة الخاصة، كالخادم والمستضعف، ثم بين الإمام عليه السلام عدم توجه الخطاب لهم بقوله: «إن الله خلق العقل، فقال له: إلخ، فيكون التكليف بالإقبال والإدبار للعقل، فمن لا عقل له أو هو ضعيف فيه، لا يخاطب بالإقبال والارتقاء إلى أعلى الكمال، بل هو من الملهو عنه، وإنما يخاطب كل على قدر ما آتاهم من العقول.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>



[شرح الحديث الثالث والثلاثون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «لَيْسَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ إِلَّا قِلَّةُ الْعَقْلِ».

قُلْتُ^(١): وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام؟

قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ يَرْفَعُ رَغْبَتَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ، فَلَوْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ، لَأَتَاهُ اللَّهُ^(٢) الَّذِي يُرِيدُ فِي أَسْرَعِ مِنْ ذَلِكَ».

[شرح النص: ثبوت الواسطة بين الإيمان والكفر]:

أقول: اعلم إنَّ هذا الحديث يدلُّ على ثبوت الواسطة بين الإيمان والكفر، لكن لا كما تثبتها المعتزلة من إنها المؤمن الفاعل الكبيرة، فإنه في الدنيا مؤمن ويلحقه أحكامه وفي الآخرة مخلد كالكاfer، واستدلوا على التخليد بمثل: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾^(٣)، [وقوله تعالى]: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية^(٤)، لكن الأولى متضمنة لتعدية جميع الحدود، فهو خارج عن الإيمان، وعليه مات،

(١) في المصدر: قيل.

(٢) لفظ الجلال غير موجود في المصدر.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٣.

وليس هو محلّ البحث، وكون القاتل جزاؤه ذلك لا ينافي في الإسقاط بأمر آخر وانقطاعه لكونه ذو جهة ثابتة.

أو نقول: فيما إذا قتله لإيمانه، ولا شك إنّ ذلك يخرج عن الإيمان أو يؤوّل الخلود بطول المكث، فظهر الجواب عمّا يوهمه بعض الآي التي نشر لها مع معارضتها بما هو محكم، وقوله تعالى: ﴿فَنُكِّرْ كَائِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(١)، لا يدلّ على نفيها، لأنّ ذلك باعتبار البداية والنهاية، وليس هو محلّ الواسطة، فالواسطة المشار لها بين الإيمان الكامل والكفر قلّة العقل، وهي مرتبة الإسلام، وهو من أقرّ بالشهادتين والحج والصيام والصلاة ولم يُوال، ويدخل فيها أيضاً الأعراف والمستضعف ومن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأكثر أهل الواسطة ممّن يلهى عنهم في القبر ولا يسألون، وكذا في البرزخ، كما دلت عليه الأخبار، ويوم القيامة يميّز الخبيث من الطيّب، كما دلت عليه الأخبار وصحيح الاعتبار.

وقلّة العقل إمّا لضعفه وكونه كالهولاني كما في البّله والمستضعف، أو لتلوّثه بالشبه وعدم قدرته على الرّد لضعفه ولم يخرج للعناد، ويدلّ على الواسطة بهذا المعنى لا كما تقوله المعتزلة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ﴾ الآية^(٢)، ولا ينافي في ذلك استعمال الإسلام بمعنى الإيمان، بل الكامل منه في مقام الانفراد، كما في: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، وما روي عن عليّ عليه السلام في جوابه لمن سأله عن سبب جلوسه أولاً ما معناه: إنّّه أحبّ أن يبقوا على الإسلام، ولو قاتلهم رجعوا للجاهليّة، وأظنه في (العلل)^(٤)،

(١) سورة التغابن، الآية: ٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٤) العلل: ١٨٠/١، باب ١٢٢ العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام مجاهدة أهل الخلاف، حديث رقم (٨).

وكذا رواية ضريس كما في (الروضة)، ويدلّ على الواسطة وبيان حكمها ما في [رواية] عَنْ عبدالرحيم القصير، «قال: كتبت مع عبدالملك بن أعين [إلى أبي عبد الله ﷺ] أسأله عن الإيمان: ما هو؟ فكتب إليّ مع عبدالملك بن أعين: سألت - رحمك الله - عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان، وعقد القلب، وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار، وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون [العبد] مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، [ولا يكون مؤمناً] حتّى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان، وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام^(١)، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرج به إلى الكفر إلّا الجحود والاستحلال، بأن يقول للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال، ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان، داخلاً في الكفر، وكان بمنزلة مَنْ دخل الحرم، ثمّ دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن [الكعبة، وعن] الحرم، وضربت عنقه، وصار إلى النار»^(٢).

وفي رواية سفيان بن السمط^(٣)، عن الصادق ﷺ: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة إن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام [شهر] رمضان، فهذا الإسلام. وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر، كان مسلماً، وكان ضالاً»^(٤).

(١) في النسختين: الإيمان.

(٢) الكافي: ٧٦/٣، باب ١٦ آخر منه وفيه أنّ الإسلام قبل الإيمان من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (١/١٥١٦).

(٣) في النسختين: عن عمران بن سفيان بن السمط.

(٤) الكافي: ٧٠/٣، باب ١٤ أنّ الإسلام يحقن به الدم من كتاب الإيمان والكفر، حديث رقم (٤/١٥٠٨).

والكلام بعد يحتاج إلى بسط. وقول السائل له: كيف ذلك؟ طلباً للاستيضاح، فأوضحه له بمثال، فإنه مقرب، فقال له: «إن العبد يرفع رغبته»، أي مرغوبة وحاجته «إلى مخلوق» من المخلوقات، ويعتمد عليه، بحيث يتألم برده ويحزن أو لا يفرق فيمن يرفع له حاجته، فقد مرّ لك في حديث هشام وغيره، أن رفع الحاجة له أهل، وليس طلبها من الكلّ بل من العقول والألباب فلا منافاة، كيف ورفع الحاجة لمن هو كذلك، خصوصاً محمد ﷺ وآله ﷺ أبوابه ونوابه، رفع الله تعالى وطلب له، وهو ممّا حتّ عليه ورغب، ولو ترك الطالبُ لذلك لأتته حاجته في أسرع من ذلك الرفع، لأنّه مسبّب الأسباب من غير سبب، والدنيا طالبة للكلّ لتوفية الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١).

وقيل: المخلوق المرفوع له كالصنم، وهو غلط، فإن هذا ليس من الوساطة، بل من أهل دار الكفر.

وقال ملا محسن: (قلّة العقل تحمل صاحبه على رفع الحاجة لمخلوق)^(٢) ويعرض عن الله، [وذلك] وهو الشُّرك الذي هو من أنواع الكفر. وفيه تنبيه على إن ما يقع من العبد من معصية أو زلة أو كفر فمن قلّة العقل، ولو أخلص نيّته لله، بأن علم وآمن بأن لا مؤثر في الوجود ولا معطي للوجود إلّا الله لم يرفعها [حاجته] لمخلوق، بل [رفعها] إلى الله وأنجح طلبته في أسرع من ذلك^(٣). وفي أول كلامه ما لا يخفى.

ويحتمل أن يراد بالوساطة المخرج من الإيمان إلى الكفر وليس المخرج إلّا قلّة العقل، ولغلبة الهوى وجنده.

قالا ملا رفيع: (أي ليس المخرج من الإيمان إلى الكفر إلّا قلّة العقل).

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢ و٣.

(٢) في المصدر: إن يرفع حاجته إلى مخلوق.

(٣) الوافي: ١٢٢/١.

ولمّا كان الإيمان من الفطرة وبمنزلة الثّابت لكلّ أحد، فمن كفر كان خارجاً من الإيمان إلى الكفر، [قال]: فإنّ «ليس بين الإيمان والكفر» أي ما يوصل من الإيمان إلى الكفر «إلا قلّة العقل». [قوله]: «وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟» أي كيف إيصال قلّة العقل إلى الكفر^(١) إلخ عبارته.

وفي بعض النسخ: «لأتاه من باب الأفعال» أي: أعطاه الله. ويحتمل الحديث عدم الإشارة إلى الواسطة، بل ما يخرج من الإيمان إلى الكفر، ويراد بالإيمان الأعم. فتأمل.

(١) الحاشية على أصول الكافي: ٨٧/١.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[شرح الحديث الرابع والثلاثون]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

[من نص الحديث]:

قوله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: بِالْعَقْلِ اسْتَخْرِجْ غَوْرَ الْحِكْمَةِ وَبِالْحِكْمَةِ اسْتَخْرِجْ غَوْرَ الْعَقْلِ».

[شرح النص: بالعقل استخرج غور الحكمة]:

أقول: استخرج: فعل أمر، وغور الشيء باطنه وما بعد منه، وللعقل ظاهر أول مراتبه وباطن بعده وغايته، أي العقل أو المستفاد وكلّ أوليه ظاهر بالنسبة إلى المرتبة الثانية.

والمراد بالعقل: القوة النظرية، والعقل المكتسب لا المطبوع.

وكذا الحكمة لها ظاهر، هو معرفة الأشياء بحسب الدليل والصورة، فإنه ظاهر الحكمة، وباطنها هو معرفة الموجودات وحكمها وعللها الوسطية ودلالاتها، بحسب ما هي عليه في نفس الأمر الوجودي المقتضي للإحاطة التامة بالشيء من جهة المعاينة أو المعرفة بعلمه وأسبابه، وقد يحصل من الكتاب والسنة، بل هما الأصل، وسبق الكلام في معناها وغايتها وأقسامها فراجع.

وكلّ واحد قرب من الثاني، بل الأقرب، فغور كلّ أحد يُستخرج بالثاني ويكون حينئذ مظهره الظاهر به غيبه، وصفه الحق اليقين فهي الأخذ

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

بالتَّعَيَّنَاتِ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَسَمِعْتُ فِي حَدِيثِ هِشَامٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾^(١)، قَالَ: الْفَهْمُ وَالْعَقْلُ.

وَقَالَ مَلَأَ مُحَسِّنٌ فِي (الْوَافِي)، فِي بَيَانِ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «بِالْعَقْلِ اسْتَخْرَجَ غُورَ الْحِكْمَةِ» الْخُ، أَيُ: بِإِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ وَتَحْصِيلِ الْمَعَارِفِ الْحَكْمِيَّةِ اسْتَخْرَاجَ النَّفْسِ مِنْ حَدِّ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَمِنْ حَدِّ النِّقْصِ إِلَى الْكَمَالِ فِي بَابِ الْعَقْلِ وَالْمَعْقُولِ، وَفِي التَّأْدِيبِ بِالْأَدَبِ الصَّالِحَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، فَيَصِيرُ عَقْلاً كَامِلاً بِالْفِعْلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ غُورِ الْعَقْلِ، يَعْنِي غَايَتَهُ وَكَمَالَهُ الْأَقْصَى.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ كُلَّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْعَقْلِ تَقْتَضِي اسْتِعْدَادَ الْوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ إِذَا حَصَلَتْ لِلنَّفْسِ، تَجْعَلُهَا مُسْتَعِدَّةً لَفَيْضَانِ مَرْتَبَةٍ [أُخْرَى] فَوْقَهَا مِنَ الْعَقْلِ وَبِالْعَكْسِ، وَهَكَذَا يَتَدَرَّجَانِ فِي الْإِشْتِدَادِ وَالْإِزْدِيَادِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَا الْغَايَةَ الْقُصْوَى وَالذَّرَجَةَ الْعُلْيَا، فَبِكُلِّ مَنِهْمَا يَقَعُ الْوُصُولُ إِلَى غُورِ الْآخَرِ وَغَايَتِهِ^(٢).

أَقُولُ: لَيْسَ لِمُحِبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ غَايَةً، إِذْ لَا نَهَايَةَ لِمُدَدِهِ وَلَا خُرُوجَ لِلْمُمْكِنِ عَنْ قَبُولِ الزِّيَادَةِ.

وَقَالَ مُحَمَّدٌ صَادِقٌ فِي الشَّرْحِ: (قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْحِكْمَةَ عِلْمٌ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ حُصُولِيًّا، وَإِذَا كَانَ حَاضُورِيًّا فَهُوَ أَعْلَى وَأَفْضَلُ بِالْفِعْلِ، يَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَإِذَا عِلْمُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ أَيْضًا، وَهِيَ الْعَقْلُ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِذَا عَرَفَ الْعَقْلُ حَقَائِقَ غَيْرِهِ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ، فَإِذَا كَانَ عَاقِلًا يَدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِالْغُورِ، وَإِذَا أَدْرَكَ الْأَشْيَاءَ بِالْغُورِ يَدْرِكُ عَقْلَهُ مَعَ غُورِ

(١) سُورَةُ لُقْمَانَ، آيَةُ: ١٢.

(٢) الْوَافِي: ١٢٣/١.

أشدّ من الغور الأوّل؛ لأنّ ازدياد الإدراك في الأشياء يوجب ازدياد العقل، إن شاء الله).

أقول: الحصولي بالصورة، وليس صاحبها بحكيم، بل صاحب علم، وصفتها المعرفة، وما في كلامه من الإجمال وعدم البيان ظاهر. والمراد بالعقل: ما عبد به الرحمن أو القوة العاقلة أو القسم العملي والحكمة: القسم الاعتقادي.

[تكملة نص الحديث]:

قوله: «وَيُحْسِنُ السِّيَاسَةَ يَكُونُ الْأَدَبُ الصَّالِحُ». قَالَ: «وَكَانَ يَقُولُ: التَّفَكُّرُ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ^(١)، كَمَا يَمْشِي الْمَاشِي فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ يُحْسِنُ التَّخْلُصَ وَقِلَّةَ التَّرَبُّصِ».

[شرح تكملة الحديث: في السياسة الحسنة]:

أقول: السِّيَاسَةُ الحسنة ما وافقت أمر الشارع، وأخذت وبها يحصل العمل الصالح والأدب. وعرفت معنى التفكير وما فيه من الخصال وما مدحه به الله، وما أمر به ورغب فيه وبه حياة القلب، أي العقل وبتركه موته، وتكون حياته حينئذ ذاتية بالفعل، ولذا كانت بغيره، ويعرف غيب العالم وشهادته على قدره - وسيأتي نقل كلامه -، والمتفكر ينظر بنور الله ويمشي به ويسير معنى في ظلمات الجهل وشبهه، وفي ظاهر العالم وخافيه، فلا تشبه عليه مسألة ولا توقفه شبهه، ولا تحجبه غاشية، كما أنّ الماشي حساً بالنور الحسيّ كذلك، فهو متخلص بذلك من ورطة الجهالة والضلال، ومن التوقف وعدم الحزم في الأمور ألحقه لما معه من الشبه، وعبر في التربص بالقلة فإنه قد يحب التوقف والمراجعة.

(١) في النسختين: البصيرة.

وقوله: «بحسن التخلص» متعلق بالتفكر أو بيمشي المحذوف المدلول عليه بيمشي الموجود أو حال من الماشي أو المتفكر المدلول عليهما بما سبق.

قال محمد صادق: (والسياسة الحسنة ما قررها الشارع. وقال: «التفكر حياة قلب البصير» التفكير انتقال الذهن من العلم إلى العلم الآخر حتى يحصل المطلوب، وهذه حياة القلب، سمي بالقلب لأجل هذا الانتقال، وإذا لم يكن قلباً بل يكون نفساً، فالتفكر الحياة التي هي القلب إلى الله تعالى، والقلب هو النفس باعتبار انقلابها إلى عالم الأمر والشهادة).

أقول: نعم، السياسة الحسنة، كما قال، بل غير تقريره وبيانه ضلال وهو الخبير بها، وليته ثبت على ذلك ولم يتبع اعتقادات أهل التصوف فتبطل سياسته.

وليس (التفكر انتقال) إلخ، بل النظر في باطن الأشياء أو من جهة ما يلزمها، وتدلّ عليه، وليس بخاصّ بالصّور وترتيب المقدمات المنطقية كما يومي إليه قوله، قاله الله تعالى: ﴿وَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، ومن راجع ما سبق في بيانه وبيان الحكمة يظهر له ضعف مقاله هنا.

وليس علة تسميته بالقلب ذلك، بل لتقلبه أو لكونه اللب، وقد يسمى بالنفس، لكن لا لما ذكره، بل باعتبار تعلقها بالجسم.

قال: (ثم القلب إذا وصل إلى ذروة المطالب يصير حياً بالذات، وهو ما دام في التفكير حيّ بالعرض لأن الحياة إدراك مع فعل، وثبت أن المدرك بالذات هو الوجود من حيث إنه وجود، والوجود مع التعيين غير الوجود من حيث إنه وجود، لأن الشيء مع غيره غير الشيء في نفسه، ويكون حياً بالعرض، فما دام القلب في التفكير فهو حيّ بالعرض، وإذا وصل إلى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

المطلوب يصير حياً بالذات. والحياة إذا كانت عين الوجود والوجود نور فالحياة نور، فإن النور ظاهر لذاته ومظهر لغيره، والوجود ظاهر لذاته ومظهر لغيره من الماهيات، فالنور عين الوجود، فالمتفكر كمن يمشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص.

«وقلة التربص» أي قلة الانتظار الذي هو ترك التخلص حتى يصل إلى الانقطاع بالكلية إلى الله تعالى، ورجوعه عنه حتى يصير الحق سمعه وبصره وجميع أعضائه، يعني التفكير الحسن هو أن يتخلص السالك من المقدمات ويقل نظره إليها فيمر إلى مطلوبة ولا يبقى في المقدمات) انتهى.

أقول: لا انقطاع لسير السائر، بل كلما وصل لمقام ظهر آخر وهكذا، ولا غاية لمحبتة وإمداده، ولا يكون حياً بالذات، لكن مراده انقطاعه عن التعينات الإمكانية حينئذ، وصيرورة الواجب سمعه وبصره، كما يدل عليه آخر قوله، وصرح به في غير موضع من هذا الشرح، وسيأتي نقل ذلك في غير موضع، وخروجه عن الحق ظاهر، بل دائماً بقاؤه وحياته بغيره لا ينفك عنه، بل بإبقاء الله له وإمداده بالحياة من جنس إمكانه لا بذاته تعالى.

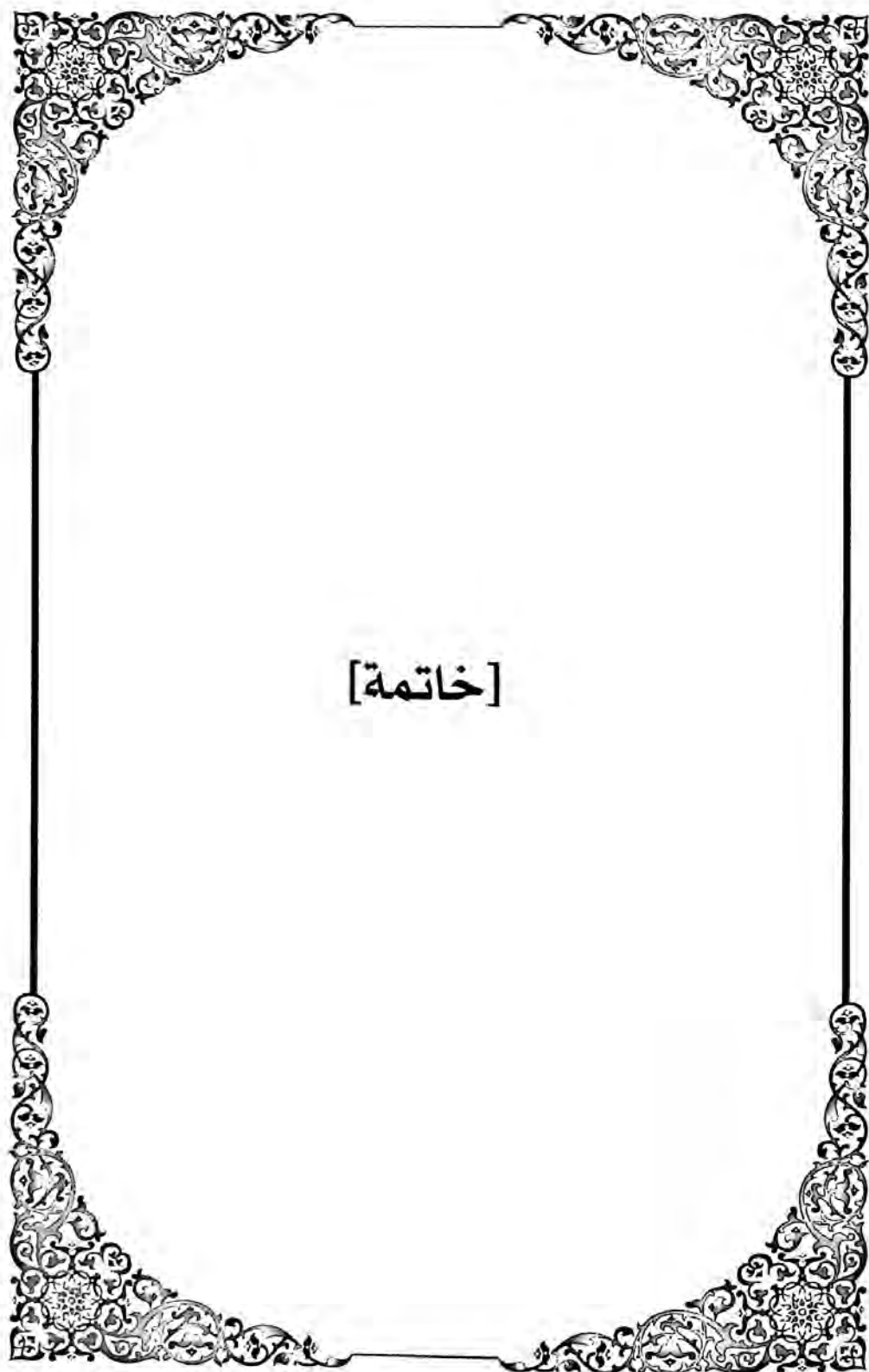
والمدرك الوجود مع قيد، وهو وجود وليس التعينات كما زعم، لكن مراده من ذلك الوجود من حيث هو، هو وجود الله تعالى، والتعينات لواحق اعتبارية إمكانية آيلة إلى العدم، ومتى تخلص منها بنهاية التفكير، فإنه السير فيها، فإذا وصل كان عين الوجود، وهو في نفس الأمر وجود الله، فإنه وجوده لا مع قيد، وهو مع القيد التعييني أمر زائد، وهو النور أيضاً، فهو الله الظاهر لذاته بذاته والمظهر لغيره، فهو وجود كل شيء ونوره، ويكون غيره ذات الله مع هذا التعين، فإذا تخلص السالك منها ومن تقيد به وصل إليه تعالى، وكان سمعه وبصره ويده ورجله وجميع جوارحه، فالإنسان قبل مركب من حق ذاتي خالص، ومن التعين وهو الإمكان والعدم الخالص، وحصل بظهور الواجب بالأشياء، فإذا رجع من التشبيه إلى ذاته وهو مقام

التَّنْزِيهِ كان هو ذات الله، وهذا قول أهل التصوف، كأستاذة تبعاً لابن عربي - مميت الدين - وكُلُّه ضلال لا حق فيه، وبسطه لا يسعه المقام، بل لا يحيط به إلا الله تعالى، وستقف على بعضه متفرقاً في المجلِّدات، وهو بديهي كما لا يخفى إلا على التابع لأهل التَّصَوُّف المنصبغ بصبغهم.

وقال الكاشاني في (الوافي): (و«بحسن السياسة» أي باستعمال العقل العملي وتهذيب الأخلاق، سواء كان السائس من خارج كالسلطان أو من داخل كحسن تدبير النَّفس. «التَّفَكُّر حياة قلب البصير» إشارة إلى كيفية استخراج الحكمة والسير في عالم الملكوت، وشبه التفكير في ظلمات النَّفس بالنُّور في ظلمات الأرض ضرباً للمثل. «بحسن التَّخَلُّص» أي من الورطات. «وقلَّة التَّربُّص» أي بسرعة الوصول إلى المطلوب)^(١) انتهى.

أقول: ولكن ليس كيفية التَّفَكُّر وبيان التَّمثيل للمسائل الحكمية والسير التَّعيني في الملكوت كما عمله الكاشاني وسار به في مسائل المبدأ والمعاد في (أصول المعارف)، و(الوافي)، و(الكلمات المكنونة)، وسائر كتبه، فإنه مذاق أهل التَّصَوُّف، وسيأتيك متفرقاً مع بيان بطلانه.

(١) الوافي: ١٢٣/١.



مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

قوله: [وَهَذَا آخِرُ كِتَابِ الْعَقْلِ]^(١)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا^(٢).

أقول: كذا في كثير من النسخ، وفيها إلحاقه: (وَيَتْلُوهُ كِتَابُ الْعِلْمِ)، وهذا على عَدِّ (النَجَاشِيِّ)^(٣) قبل (كِتَابِ التَّوْحِيدِ) كتابين، وقال: (كِتَابُ الْعَقْلِ، كِتَابُ [فَضْلِ] الْعِلْمِ) وعليه جرينا لمناسبة التجزئة له.

وفي بعض النسخ لم توجد هذه الزيادة، وَعَدَّ الْعِلْمَ فِي كِتَابِ الْعَقْلِ. والموجود هنا: (وَيَتْلُوهُ بَابُ الْعِلْمِ)، وهو الموافق لِعَدِّ الشَّيْخِ (الطُّوسِيِّ) لكتب (الكافي) في (الفهرست)^(٤)، فقال فيه: (كتاب العقل وفضل العلم، [و] كتاب التوحيد)، ولذا اختلفت النسخ أول الكتاب عند قول المصنف: (وَأَوَّلُ مَا أَبْتَدِئُ بِهِ، وَأَفْتَتِحُ كِتَابِي هَذَا)، ففي بَعْضٍ: (كِتَابِ الْعَقْلِ) وفي بعض آخر: (كِتَابُ الْعَقْلِ وَفَضَائِلِ^(٥) الْعِلْمِ). إلى هنا انتهى.

هذا ما أراد الله رسمه على استعجال، وتشتت البال والأحوال، ولهذا

(١) في المصدر: الْعَقْلُ وَالْجَهْلُ.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) رجال النجاشي: ٣٧٧.

(٤) الفهرست: ٢١٠.

(٥) هكذا وردت، ويحتمل: وَفَضْلُ الْعِلْمِ.

اختصرنا في كثير من المواضع، نقلاً وتحقيقاً، ونسأل الله الزيادة من فضله.
وصلّى الله على خير خلقه عدد ما في علم الله.
كمل المجلّد الأوّل، ويتلوه المجلّد الثّاني، أوّله (كتاب العلم).
وصلّى الله على مُحمّد وآله.

تشرف بكتابة هذا المجلّد المبارك الشّريف، العبد الأقلّ الآثم، مكي بن
علي بن هاشم الموسوي، نسأل الله الإعانة بكرمه وجوده، والبقاء في
صلاح ورخاء بال؛ لكتابة باقي هذه المجلّدات من الشرح المبارك الشّريف.
فوافق الفراغ من كتابته، عصر يوم الاثنين، السادس والعشرين من شهر
ربيع الأوّل، أحد شهور سنة ١٢٤٩، التاسعة والأربعين والمائتين والألف
حامداً مصلياً^(١).

والحمد لله حقّ حمده. وصلّى الله على خير خلقه مُحمّد وآله الطاهرين.

(١) وفي نسخة (ب): تشرف بكتابة هذا المجلّد المبارك الشّريف، العبد الأقلّ الآثم، سلمان بن
حسين بن علي بن راشد بن سنان، نسأل الله الإعانة بكرمه وجوده، والبقاء في صلاح حال
ورخاء بال؛ لكتابة باقي هذه المجلّدات من الشرح المبارك الشّريف. فوافق الفراغ من
كتابته: عصر يوم الأربعاء، السّادس والعشرين من شهر عاشوراء، أحد شهور سنة ١٢٥٠هـ،
الخمسين بعد المائتين والألف. حامداً مصلياً. والحمد لله حقّ حمده. وصلّى الله على خير
خلقهم محمد وآله الطّاهرين.

المصادر

- إجازة الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي للشيخ الطبسي، نزار حسن العبدالجبار، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - المملكة العربية السعودية.
- أجوبة المسائل النصيرية، نصير الدين طوسي، محمد بن محمد، ١٣٨٣ش، طهران، إيران.
- آداب المتعلمين، نصير الدين الطوسي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة أهل البيت (عليه السلام)، بيروت - لبنان.
- أسر البحرين العلمية (أنسابها - تاريخها العلمي والثقافي - أعلامها)، سالم النويدري، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، دار المودة، بيروت - لبنان.
- أعلام الأحساء في العلم والأدب من الماضين في سبعة قرون، الحاج جواد بن حسين آل رمضان الأحسائي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، طبعة محلية.
- أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي في القرن الثالث عشر الهجري، أحمد عبد الهادي المحمد صالح، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- أقسام المولى في اللسان، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق: الشيخ مهدي نجف.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

- الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق: إبراهيم البهادري ومحمد هادي به، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ، الناشر: انتشارات أسوه.
- الأزهار الأرجية في الآثار القرجية، الشيخ فرج آل عمران، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: دار هجر، بيروت - لبنان.
- الإستبصار، محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- الإشارات والتنبيهات، حسين بن عبد الله ابن سينا، مع شرح: الخواجة نصير الدين الطوسي، وقطب الدين الرازي، تحقيق: كريم فيضي، قم - إيران.
- الإهليجة، الإمام جعفر بن محمد الصادق، تحقيق: الشيخ قيس العطار، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ١٣٨٥هـ.ش، مكتبة العلامة المجلسي رحمه الله، قم - إيران.
- الأصول الستة عشر من الأصول الأولية في الروايات وأحاديث أهل البيت عليه السلام، الناشر: دار الشبستري للمطبوعات، قم - إيران.
- الأفق المبين، مير محمد باقر بن محمد حسين استر آبادي، تحقيق: مهدي، ١٣٨٥هـ، سلسلة انتشارات انجمن آثار ومفاخر فرهنگي، طهران.
- الأمالي، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، طهران - إيران.
- الأمالي، للطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، تحقيق: مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الناشر: دار الثقافة،
- أمالي المرتضى، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.
- الأمالي، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري الغدادي، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

- أمل الآمل، الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني، تحقيق: عبدالكريم محمد علي البلادي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة الهداية، بيروت - لبنان.
- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، تحقيق: سيد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٣٧٥هـ.ش، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران.
- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الناشر: مؤسسة البعثة، قم - إيران.
- بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، تقديم وتعليق وتصحيح: الحاج ميرزا محسن "كو؟ه باغی"، طبع ١٤٠٤هـ - ١٣٦٢ش، منشورات الأعلمي - طهران.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، حيدر آباد الدكن.
- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن حسن الطوسي، الناشر: إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسن حسن زادة الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ.
- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وسلم، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، الحسين بن عبد الله بن سينا، الطبعة الثانية، دار العرب، القاهرة - مصر.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم البياري، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- التعليقة على كتاب الكافي، الداماد، السيد محمد باقر الحسيني المرعشي، تحقيق: السيد مهدي رجائي، ١٤٠٣هـ.
- تفسير القرآن الكريم (ابن كثير)، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- تفسير البيضاوي (انوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح: السيد طيب الجزائري، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.
- التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

- تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، قم - إيران.
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر، تحقيق: د. حسين علي محفوظ، وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: دار المؤرخ - بيروت - لبنان.
- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٣٧٤هـ، القاهرة - مصر.
- جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، تعليق: السيد محمد كلانتر، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، علي بن موسى بن الطاووس، منشورات دار الرضي، قم - إيران.
- الجنة والنار في الكتاب والسنة، محمد الري شهري، تحقيق: قسم تدوين السيرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ١٣٩٠ش، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران.

- جوامع الكلم، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ١٤٣٠هـ، مطبعة الغدير، البصرة - العراق.
- الحاشية على أصول الكافي، محمد أمين الاسترآبادي، جمع وترتيب: خليل القزويني، تحقيق: علي الفاضلي، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ١٣٨٩ش، دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران.
- الحاشية على أصول الكافي، رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران.
- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام، السيد هاشم البحراني، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- الخصال، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٣هـ، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.
- خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي، تحقيق: محمد هادي الأمين، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، قم - إيران.
- خلاصة علم الكلام، الدكتور عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان.
- الدر النظيم في لغات القرآن العظيم، الشيخ عباس القمي، تحقيق: الشيخ رضا استادي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ١٣٨٦ش، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، قم - إيران.

- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: د. رحاب خضر عكاوي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، محمد محسن، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- رجال الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- رسائل المحقق الكركي، علي بن الحسين الكركي، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، الناشر: النشر الإسلامي، قم - إيران.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين الجبعي العاملي، تحقيق: السيد محمد كلانتر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، الناشر: جامعة النجف الدينية.
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للصدوق، محمد تقي المجلسي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: مؤسسة دار الكتب الإسلامي، قم - إيران.
- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، الناشر: الشريف الرضي، قم - إيران.
- الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شاذان بن جبرائيل القمي، تحقيق: علم. الشكح، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه)، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام، محمد محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: مهدي الأنصاري القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ١٣٨٣ش، الناشر: دار نشر اللوح المحفوظ، طهران - إيران.
- الشافي في شرح اصول الكافي، خليل القزويني، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ١٣٨٩ش، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، بيروت - لبنان.
- شرح العرشية، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، تحقيق: صالح أحمد الدباب، الطبعة الأول ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة شمس هجر، بيروت - لبنان.
- شرح الفوائد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، تحقيق: الشيخ راضي ناصر السلطان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، الناشر: مؤسسة فكر الأوحاد، بيروت - لبنان.

- شرح المواقف، السيد علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، بدون رقم طبعه ولا تاريخ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: الرافدين، بيروت - لبنان.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.
- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، تعليق وتصحيح: السيد جلال الدين اشتياني.
- الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي.. توثيق بيلوجرافي بآثاره المخطوطة والمطبوعة، نزار آل عبد الجبار، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، طبعة محلية.
- الصافي في تفسير القرآن، محمد محسن بن مرتضى، الفيض الكاشاني، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بعناية: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار الحديث، القاهرة - مصر.
- الصحيفة السجادية الكاملة، ادعية الإمام السجاد علي بن الحسين زين

- العابدين عليه السلام، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، مكتبة الألفين، الكويت - الكويت.
- طبقات أعلام الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- العلل، محمد بن علي بن بابويه، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- علم الآثار العلوية في الحضارات القديمة وعند العلماء العرب المسلمين حتى القرن ١٠هـ/١٠م، مخطوطة الآثار العلوية ل(ثؤفرسطس)، تحقيق: رنا مزرك، ٢٠١٣م، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق - سوريا.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود عمر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم ابن أبي جمهور، تحقيق: آغا مجتبي العراقي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- عيون المعجزات، حسين عبن عبدالوهاب، ١٣٦٩هـ، الناشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، النجف.
- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق رحمته الله، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: الفجر، بيروت - لبنان.
- غاية المرام في فضائل علي وأولاده الكرام عليهم السلام، حسن بن حسين البيهقي السبزواري، تحقيق: علي رضا هزار.

- غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد الآمدي التميمي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- الفصول المختارة، المفيد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق: السيد علي مير شريف، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد، بيروت - لبنان.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ، تحقيق: سامي الغريزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
- الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي، ١٣٨١هـ - ١٩٢٦م، الناشر: الرضي.
- الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الناشر: المؤتمر العلمي للإمام الرضا عليه السلام، قم - إيران.
- فكر (توحيد المفضل)، إملاء الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، تحقيق: الشيخ قيس العطار، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ١٣٨٥هـ، ش، الناشر: دليل ما، قم - إيران.
- فهرس مكتبة الوزير يزد، محمد سعيد الطريحي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، الناشر: دار العلوم، بيروت - لبنان.
- الفهرست، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.
- الفوائد الحائرية، الشيخ محمد باقر بن محمد أكمل الوحيد البهبهاني، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم - إيران.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- قرب الإسناد، الشيخ عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، نشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم.

- قرة العيون في المعارف والحكم، الشيخ محمد محسن، الملقب بالفيض الكاشاني، ترجمة وتحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- قصص الأنبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن عطية الحارثي، تصحيح: باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الرازي، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ - ١٣٩٢ش، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، دار صادر، بيروت - لبنان.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الومخشري الخوارزمي، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل الشافعي العجلوني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف المطهر، المعروف بالحلي، تصحيح وتعليق: الشيخ حسن حسن زاده الأملي، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٣٣هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- الكلمات المكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة، الشيخ محمد محسن، الفيض الكاشاني، ترجمة وتحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،

- الصدوق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الشيخ علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، تصحيح: الشيخ صفوة السفا، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- كنز الفوائد، الشيخ محمد بن علي الكراجكي.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، الطبعة العاشرة ٢٠١٨م، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان.
- المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعات، الشيخ فخر الدين بن محمد بن عمر الرازي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ، الناشر: ذوي القربى، قم - إيران.
- مجلي مرآة المنجي في الكلام والحكمتين والتصوف، الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: رضا يحيى بور فارمد، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، الناشر: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي إحياء التراث، قم - إيران.
- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ١٣٦٢ ش هـ، الناشر: مرتضوي، طهران - إيران.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الناشر: دار العلوم، بيروت - لبنان.
- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، الشيخ أحمد المعروف بالمقدس الأردبيلي، تصحيح وتعليق: الحاج آقا مجتبى العراقي، وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، الناشر: مؤسسة الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- المحاسن، الشيخ أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح: السيد جلال الدين الحسيني، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم - إيران.

- المحبة في الكتاب والسنة، الشيخ محمد الريشهري، الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـ، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- المحيط في اللغة، صاحب إسماعيل بن عباد، الناشر: عالم الكتب.
- مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلبي، الطبعة الأولى، الناشر: المطبعة الحيدرية، النجف - العراق.
- مدينة المعاجز أو معاجز أهل البيت عليه السلام، السيد هاشم البحراني، تحقيق: علاء الدين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الضناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، العلامة الشيخ زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران.
- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، إحياء التراث، بيروت - لبنان.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، الناشر: دار صار، بيروت - لبنان.
- مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان، الشيخ الحافظ رجب البرسي، تحقيق: عبدالرسول زين الدين، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

- مشارق انوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ الحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلبي، تحقيق: السيد جمال السيد عبدالغفار اشرف المازندراني، ١٣٨٠ - ١٤٢٢هـ، انتشار الشريف الرضي، قم - إيران.
- المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات والأحراز والعوذات، الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- مصباح الشريعة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- مصباح المتهجد، الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
- معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، تصحيح: علي أكبر الغفاري، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، طبعة ١٩٨٢م، بيروت - لبنان.
- معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية (الجزء الأول)، الشيخ حبيب آل جميع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الناشر: دار الملاك، بيروت - لبنان.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الناشر: المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة ١٤٠٤هـ، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.
- المغرب في ترتيب المغرب، الإمام ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، الناشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب - سوريا.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الشيخ فخر الدين بن محمد بن عمر الرازي.
- مقتل الحسين، السيد عبدالرزاق الموسوي المقرّم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، لبنان - بيروت.
- المقنعة، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبد الله العكبري البغدادي، المفيد، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، الناشر: دار المفيد، قم - إيران.
- ملحق نهج البلاغة، برواية: أحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، تحقيق: محمد جعفر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، الناشر: مركز الدراسة والتحقيق مكتبة ومتحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي.
- من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- مناقب آل أبي طالب، الشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ١٣٧٩هـ.ش، الناشر: انتشارات ذوى القربى.
- منتخب حكم النبي الأعظم ﷺ، الشيخ محمد الري شهري، تلخيص: مرتضى خوش نصيب، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ١٣٨٨ش، الناشر: مشعر.
- منتظم الدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، الحاج محمد علي بن أحمد التاجر البحراني، عني بتحقيقه: الشيخ ضياء بدر آل سنبل، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، الناشر: مؤسسة طيبة لإحياء التراث، بيروت - لبنان.
- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، الناشر: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران.
- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، د.

- عبدالمعظم الحفني، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م، الناشر: مكتبة مدبولي، المهندسين - مصر.
- ميزان الحكمة، الشيخ محمد الري شهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- نفائس التأويل (تفسير الشريف المرتضى)، جمع: لجنة من العلماء والمحققين، ١٤٢٩هـ، الناشر: الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم - إيران.
- نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ﷺ، ضبط النص: د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، بيروت - لبنان.
- نور البراهين أو انيس الوحيد في شرح التوحيد، السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- هدي العقول إلى أحاديث الأصول، الشيخ محمد بن عبدعلي آل عبدالجبار، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الناشر: شركة دار المصطفى لأحياء التراث، بيروت - لبنان.
- الوافي، الشيخ محمد محسن، الفيض الكاشاني، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ العامة، أصفهان - إيران.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: الشيخ عبدالرحيم الرباني الشيرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

الفهرس

٥	[شرح الحديث الثالث عشر]
٧	[نص الحديث]
٧	[شرح الحديث: العقل غطاء ستير]
٨	[تكملة نص الحديث]
٨	[شرح تكملة الحديث: قاتل هواك بعقلك]
١١	[شرح الحديث الرابع عشر]
١٣	[نص الحديث]
١٣	[شرح النص: العقل وجنده]
١٤	[معنى فداك]
١٤	[تكملة نص الحديث]
١٤	[شرح تكملة الحديث: العقل أول الخلق]
١٧	[الرد على ما ذكر الملا صالح المازندراني]
٢٠	[معنى الروحانيين]
٢١	[معنى النور]
٢٢	[تكملة نص الحديث]
٢٢	[شرح تكملة الحديث: في الإديار]
٢٥	[العقل في الخلق الثاني]
٢٦	[تكملة نص الحديث]
٢٦	[شرح تكملة الحديث: في العقل تستجمع فيه الكمالات]
٢٧	[تقويم وإمارة]
٢٨	[تكملة نص الحديث]

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

٢٨	[شرح تكملة الحديث: خلق الجهل]
٢٩	بسط وتحقيق أنيق
٣٠	[كون العقل من الأجاج ظلمانياً]
٣١	رجع وإزاحة
٣٣	تنبيه
٣٥	تنبيه
٣٥	[تكملة نص الحديث]
٣٥	[شرح تكملة الحديث: أوجد العقل وبعده الجهل على الضد]
٣٧	[مقابلة عالم الآفاق بجهة النفس الخبيثة]
٣٨	تنبيه
٣٩	تنبيه وإبطال
٤٠	إنارة وبيان
٤٠	[تكملة نص الحديث]
٤٠	[شرح تكملة الحديث: خطاب الجهل بعد إدباره]
٤١	نقد وإبطال
٤١	[محمد صادق: العقل أول صادر عن الله، ورده]
٤٢	[محمد صادق: معنى العرش، ورده]
٤٣	[محمد صادق: المراد من العرش]
٤٤	[محمد صادق: المراد بالنور]
٤٤	[محمد صادق: في العقل الأول]
٤٧	[محمد صادق: في الإمكان والجهل]
٤٩	فائدة فيها دفع شبهة
٥٠	تنبيه: [مراتب نزول العقل]
٥٣	[بين المراتب ارتباط وتناسب]
٥٤	[سبب الحركتين الطولية والعرضية]
٥٥	تمة
٥٦	[مراتب السلسلة الطولية]

٥٧	[الجهل الكلي]
٥٩	رجع وتنبيه: [مراتب صعود تقابلها مراتب نزول]
٦٠	[تكملة نص الحديث]
٦٠	[شرح تكملة الحديث: للعقل خمسة وسبعين جنداً]
٦١	[معنى الجنود]
٦١	[كلام في عدد الجنود]
٦٢	إيضاح: [في أقسام الحكمة]
٦٥	تلخيص تحقيقي، وبيان ملكي
٦٩	[مئة خصلة من أخلاق العاقل]
٧١	[تكملة نص الحديث]
٧١	[شرح تكملة الحديث: طلب الجهل من الله الجنود]
٧٢	[حقيقة جنود العقل والنفس]
٧٣	إيضاح
٧٣	[رد على الملا محمد صالح المازندراني]
٧٤	[رأي ملا محسن الفيض]
٧٤	[نتيجة العطاء]
٧٤	[تكملة نص الحديث]
٧٥	[شرح تكملة الحديث: الخير وزيراً للعقل]
٧٥	[في معنى الخير]
٧٥	[الجنود تدخل تحت الوزير]
٧٦	[تكملة نص الحديث]
٧٦	[شرح تكملة الحديث: الإيمان وضده الكفر]
٧٧	[أسس الإيمان وعماده]
٧٨	[معنى الكُفر]
٨٣	[تكملة نص الحديث]
٨٤	[شرح تكملة الحديث: التصديق وضده الجحود]
٨٤	[تكملة نص الحديث]

- ٨٤ [شرح تكملة الحديث: الرجاء وضده القنوط]
- ٨٨ [تكملة نص الحديث]
- ٨٨ [شرح تكملة الحديث: العدل وضده الجور]
- ٨٩ [تكملة نص الحديث]
- ٨٩ [شرح تكملة الحديث: الرضا وضده السخط]
- ٩٣ [شبهة القضاء]
- ٩٤ [تكملة نص الحديث]
- ٩٤ [شرح تكملة الحديث: الشكر وضده الكفر]
- ٩٤ [محمد ﷺ أعظم النعم]
- ٩٥ [موجبات الشكر]
- ٩٦ [في الصبر على البلاء]
- ٩٦ [الشكر وثمرته]
- ٩٧ [تكملة نص الحديث]
- ٩٧ [شرح تكملة الحديث: الطمع وضده اليأس]
- ٩٩ [تكملة نص الحديث]
- ٩٩ [شرح تكملة الحديث: التوكل وضده الحرص]
- ١٠٥ [مذاهب الناس]
- ١٠٦ [الفرقة الثانية والافتقار الذاتي]
- ١٠٩ [عبادة الله من حيث أراد]
- ١١١ [حقيقة التوكل بأهل البيت ﷺ]
- ١١٢ تلخيص
- ١١٣ [الحرص]
- ١١٤ تنمة
- ١١٥ [تكملة نص الحديث]
- ١١٥ [شرح تكملة الحديث: الرأفة وضدها القسوة]
- ١١٧ [قول الملا الكاشاني في الرأفة]
- ١١٧ [قول الملا محمد صالح في الرأفة]

١١٨	[تعليق الشارح على قول الملا محمد صالح]
١١٩	[قول ملا خليل في الرحمة]
١٢١	[قبح الغضب]
١٢٢	[تكملة نص الحديث]
١٢٢	[شرح تكملة الحديث: العلم وضده الجهل]
١٢٢	[المراتب التي تحصل للإنسان في الشيء]
١٢٣	تنبيهان
١٢٣	[التنبيه الأول] [في تعريف العلم]
١٢٤	[التنبيه الثاني في العلم الذاتي]
١٢٥	[تكملة نص الحديث]
١٢٥	[شرح تكملة الحديث: الفهم وضده الحمق]
١٢٦	[تكملة نص الحديث]
١٢٦	[شرح تكملة الحديث: العفة وضدها التهتك]
١٢٧	[تكملة نص الحديث]
١٢٨	[شرح تكملة الحديث: الزهد وضده الرغبة]
١٣١	[تكملة نص الحديث]
١٣١	[شرح تكملة الحديث: الرفق وضده الخرق]
١٣٢	[تكملة نص الحديث]
١٣٢	[شرح تكملة الحديث: الرهبة وضده الجرأة]
١٣٥	تنبيه وإشارة
١٣٥	[في خوف الأنبياء]
١٣٦	[الخوف من الموت]
١٣٦	[تكملة نص الحديث]
١٣٧	[شرح تكملة الحديث: التواضع وضده الكبر]
١٣٨	[ضد التواضع]
١٣٩	فائدة
١٤٠	[تكملة نص الحديث]

١٤٠	[شرح تكملة الحديث: التؤدة وضدها التسرع]
١٤٠	[تكملة نص الحديث]
١٤٠	[شرح تكملة الحديث: الحلم وضده السفه]
١٤١	توضيح
١٤٥	[تكملة نص الحديث]
١٤٥	[شرح تكملة الحديث: الصمت وضده الهذر]
١٤٨	[تكملة نص الحديث]
١٤٨	[شرح تكملة الحديث: الاستسلام وضده الاستكبار]
١٤٨	[تكملة نص الحديث]
١٤٨	[شرح تكملة الحديث: التسليم وضده الشك]
١٥٠	[تكملة نص الحديث]
١٥٠	[شرح تكملة الحديث: الصبر وضده الجزع]
١٥٧	إهداء
١٥٧	إنارة
١٥٩	ختم
١٥٩	[تكملة نص الحديث]
١٥٩	[شرح تكملة الحديث: الصفح وضده الانتقام]
١٦١	[تكملة نص الحديث]
١٦١	[شرح تكملة الحديث: الغنى وضده الفقر]
١٦٢	[تكملة نص الحديث]
١٦٣	[شرح تكملة الحديث: التذكر وضده السهو]
١٦٣	[تكملة نص الحديث]
١٦٤	[شرح تكملة الحديث: الحفظ وضده النسيان]
١٦٤	تنبيه
١٦٦	[تعليق السيد الداماد على الحديث]
١٦٧	[تعليق الشارح]
١٦٨	[تكملة نص الحديث]

١٦٨	[شرح تكملة الحديث : التعطف وضده القطيعة]
١٦٨	[تكملة نص الحديث]
١٦٨	[شرح تكملة الحديث : والتقنوع وضده الحرص]
١٧٠	[تكملة نص الحديث]
١٧٠	[شرح تكملة الحديث : المواساة وضدها المنع]
١٧١	[تكملة نص الحديث]
١٧١	[شرح تكملة الحديث : المودة وضدها العداوة]
١٧٢	[رأي ملا محسن في المودة]
١٧٣	[تكملة نص الحديث]
١٧٣	[شرح تكملة الحديث : الوفاء وضده الغدر]
١٧٣	[تكملة نص الحديث]
١٧٤	[شرح تكملة الحديث : الطاعة وضدها المعصية]
١٧٤	[تكملة نص الحديث]
١٧٤	[شرح تكملة الحديث : الخضوع وضده التناول]
١٧٤	[تكملة نص الحديث]
١٧٥	[شرح تكملة الحديث : السلامة وضدها البلاء]
١٧٥	[رأي الشارح في البلاء]
١٧٧	[قول ملا محسن الفيض]
١٧٧	[تعليق الشارح على قول الفيض]
١٧٩	[قول ملا رفيع]
١٧٩	[قول ملا صالح]
١٨٠	[قول ملا محسن الفيض]
١٨٠	[تكملة نص الحديث]
١٨٠	[شرح تكملة الحديث : الحب وضده البغض]
١٨١	[حقيقة الحب]
١٨٤	تحصيل وإفادة
١٨٥	تنبيه

- ١٨٥ [تكملة نص الحديث]
- ١٨٥ [شرح تكملة الحديث: الصدق وضده الكذب]
- ١٨٧ فائدة في [الصدق دلالة على وجود معصوم في كل عصر]
- ١٨٨ [تكملة نص الحديث]
- ١٨٨ [شرح تكملة الحديث: الحق وضده الباطل]
- ١٨٩ [تكملة نص الحديث]
- ١٨٩ [شرح تكملة الحديث: الأمانة وضدها الخيانة]
- ١٩٠ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٠ [شرح تكملة الحديث: الإخلاص وضده الشوب]
- ١٩٤ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٤ [شرح تكملة الحديث: الشهامة وضدها البلادة]
- ١٩٥ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٥ [شرح تكملة الحديث: الفهم وضده الغباوة]
- ١٩٥ [رأي الشارح على ما ذكر حول الفقرة]
- ١٩٦ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٦ [شرح تكملة الحديث: المعرفة وضدها الإنكار]
- ١٩٨ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٨ [شرح تكملة الحديث: المداراة وضدها المكاشفة]
- ١٩٨ [تكملة نص الحديث]
- ١٩٩ [شرح تكملة الحديث: سلامة الغيب وضدها المماكرة]
- ١٩٩ [تعليق الشارح على كلام ملا محمد صالح]
- ٢٠٠ [مواضع إباحة الغيبة]
- ٢٠١ [تكملة نص الحديث]
- ٢٠١ [شرح تكملة الحديث: الكتمان وضده الإفشاء]
- ٢٠٢ [تكملة نص الحديث]
- ٢٠٢ [شرح تكملة الحديث: الصلاة وضدها الإضاعة]
- ٢٠٣ [بعض أسرار العبادات]

٢٠٦	[معرفة أمير المؤمنين بالنورانية]
٢٠٨	تنبيه توضيحي
٢١٠	[الخروج من المنزل]
٢١١	[الدخول للمسجد]
٢١٢	[استقبال القبلة]
٢١٣	[قراءة القرآن الكريم]
٢١٤	[الركوع]
٢١٤	[السجود]
٢١٥	[التشهد]
٢١٦	[السلام]
٢١٧	[تكملة نص الحديث]
٢١٧	[شرح تكملة الحديث: الصوم وضده الإفطار]
٢١٩	[تكملة نص الحديث]
٢١٩	[شرح تكملة الحديث: الجهاد وضده النكول]
٢٢٢	تنبيه
٢٢٣	[الرياضات الباطلة]
٢٢٦	تتمة
٢٢٨	[تكملة نص الحديث]
٢٢٨	[شرح تكملة الحديث: الحج وضده الميثاق]
٢٣٢	[تكملة نص الحديث]
٢٣٢	[شرح تكملة الحديث: صون الحديث وضده النسيمة]
٢٣٣	[تكملة نص الحديث]
٢٣٣	[شرح تكملة الحديث: بر الوالدين وضده العقوق]
٢٣٥	تنبيه
٢٣٦	[الاختلاف في أمير المؤمنين ﷺ]
٢٣٧	[تكملة نص الحديث]
٢٣٧	[شرح تكملة الحديث: الحقيقة وضدها الرياء]

٢٣٩	[علاج الرياء]
٢٣٩	إنارة
٢٤٠	تنبيه تقسيمي
٢٤٣	تنبيه
٢٤٤	[تعليق الشارح]
٢٤٥	[تكملة نص الحديث]
٢٤٥	[شرح تكملة الحديث: المعروف وضده المنكر]
٢٤٦	[المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]
٢٤٦	[شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]
٢٥١	تنبيه
٢٥١	[تكملة نص الحديث]
٢٥١	[شرح تكملة الحديث: الستر وضده التبرج]
٢٥٢	[تكملة نص الحديث]
٢٥٢	[شرح تكملة الحديث: التقية وضدها الإذاعة]
٢٥٣	[تكملة نص الحديث]
٢٥٣	[شرح تكملة الحديث: الإنصاف وضده الحمية]
٢٥٤	[تكملة نص الحديث]
٢٥٤	[شرح تكملة الحديث: التهيئة وضدها البغي]
٢٥٥	[تكملة نص الحديث]
٢٥٥	[شرح تكملة الحديث: النظافة وضدها القدر]
٢٥٦	بيان
٢٥٦	إيضاح
٢٥٨	[تكملة نص الحديث]
٢٥٩	[شرح تكملة الحديث: الحياء وضده الخلع]
٢٥٩	[تكملة نص الحديث]
٢٦٠	[شرح تكملة الحديث: القصد وضده العدوان]
٢٦٠	[تكملة نص الحديث]



- ٢٦٠ [شرح تكملة الحديث: الراحة وضدها التعب]
- ٢٦١ [تكملة نص الحديث]
- ٢٦١ [شرح تكملة الحديث: السهولة وضدها الصعوبة]
- ٢٦١ [تكملة نص الحديث]
- ٢٦١ [شرح تكملة الحديث: البركة وضدها المحق]
- ٢٦٢ [تكملة نص الحديث]
- ٢٦٢ [شرح تكملة الحديث: العافية وضدها البلاء]
- ٢٦٤ [تكملة نص الحديث]
- ٢٦٤ [شرح تكملة الحديث: القوام وضده المكاثرة]
- ٢٦٥ [تكملة نص الحديث]
- ٢٦٥ [شرح تكملة الحديث: الحكمة وضدها الهوى]
- ٢٦٦ [تعريف الحكمة]
- ٢٦٦ [شرف الحكمة وعلوها]
- ٢٦٩ نقل وإزاحة
- ٢٧١ [الفرق بين الحكمة النظرية والذوقية]
- ٢٧٢ [أقسام الحكمة الطبيعية]
- ٢٧٥ [فروع الحكمة الطبيعية]
- ٢٨١ [أقسام الحكمة العملية]
- ٢٨٣ [مقامات الحكمة الظهورية]
- ٢٩١ [نصائح لطالب الحكمة]
- ٢٩٢ [تكملة نص الحديث]
- ٢٩٢ [شرح تكملة الحديث: الوقار وضده الخفة]
- ٢٩٣ [تكملة نص الحديث]
- ٢٩٣ [شرح تكملة الحديث: السعادة وضدها الشقاوة]
- ٢٩٤ [تكملة نص الحديث]
- ٢٩٤ [شرح تكملة الحديث: التوبة وضدها الإصرار]
- ٢٩٦ [شروط التوبة]

٢٩٧	إشارة
٢٩٧	[رأي السيد الداماد في معنى الإصرار]
٢٩٩	[تكملة نص الحديث]
٢٩٩	[شرح تكملة الحديث: الاستغفار وضده الاغترار]
٣٠٠	[تكملة نص الحديث]
٣٠٠	[شرح تكملة الحديث: المحافظة وضدها التهاون]
٣٠٠	[تكملة نص الحديث]
٣٠٠	[شرح تكملة الحديث: الدعاء وضده الاستكاف]
٣٠٠	[أدب الدعاء]
٣٠١	[تكملة نص الحديث]
٣٠٢	[شرح تكملة الحديث: النشاط وضده الكسل]
٣٠٢	[تكملة نص الحديث]
٣٠٢	[شرح تكملة الحديث: الفرح وضده الحزن]
٣٠٣	[تكملة نص الحديث]
٣٠٣	[شرح تكملة الحديث: الألفة وضدها الفرقة]
٣٠٤	[تكملة نص الحديث]
٣٠٤	[شرح تكملة الحديث: السخاء وضده البخل]
٣٠٨	فائدة
٣٠٩	[تكملة نص الحديث]
٣١٠	[شرح تكملة الحديث: اجتماع صفات جنود العقل]
٣١١	خاتمة
٣١١	[الطينية الطيبة والخبيثة]
٣١٣	[تكملة نص الحديث]
٣١٣	[شرح تكملة الحديث: صفات جنود العقل في الموالين]
٣١٤	[تكملة نص الحديث]
٣١٤	[شرح تكملة الحديث: استجماع الصفات أو صفة منها]
٣١٧	[شرح الحديث الخامس عشر]

٣١٩	[نص الحديث]
٣١٩	[شرح النص: مخاطبة النبي ﷺ للعباد]
٣٢٠	[الأنبياء يخاطبوا الناس على قدر عقولهم]
٣٢٣	[شرح الحديث السادس عشر]
٣٢٥	[نص الحديث]
٣٢٥	[شرح النص: الطمع والنفس المرهونة بالدنيا]
٣٢٥	[تكملة نص الحديث]
٣٢٥	[شرح تكملة الحديث: التحذير من المني]
٣٢٦	[تكملة نص الحديث]
٣٢٦	[شرح تكملة الحديث: خديعة الدنيا]
٣٢٧	[شرح الحديث السابع عشر]
٣٢٩	[نص الحديث]
٣٢٩	[شرح النص: أكمال العقل في حُسن الخلق]
٣٣١	[شرح الحديث الثامن عشر]
٣٣٣	[نص الحديث]
٣٣٣	[شرح النص: العقل عطاء من الله]
٣٣٥	[شرح الحديث التاسع عشر]
٣٣٧	[نص الحديث]
٣٣٧	[شرح النص: توقف العمل وصحته على العقل]
٣٣٩	[شرح الحديث العشرون]
٣٤١	[نص الحديث]
٣٤١	[شرح النص: تنوع معاجز الأنبياء ﷺ]
٣٤١	[تكملة نص الحديث]
٣٤٢	[شرح تكملة الحديث: التخصيص في كل نبي]
٣٤٣	[خصائص معاجز الأنبياء الأولية]
٣٤٣	[إزاحة: [نسب الإبراء إلى الفعل]
٣٤٥	[تكملة نص الحديث]

٣٤٥	[شرح تكملة الحديث: معجزة النبي محمد ﷺ]
٣٤٨	[تكملة نص الحديث]
٣٤٨	[شرح تكملة الحديث: بالعقل يقع التمييز]
٣٥٠	[لفظ الحديث وبيان ما فيه]
٣٥١	[قول ملا محسن الفيض]
٣٥٣	[إزاحة شبهة]
٣٥٥	[شرح الحديث الواحد والعشرون]
٣٥٧	[نص الحديث]
٣٥٧	[شرح النص: الإمام الحجة وقدرته الفعلية]
٣٥٨	[تعليق الشارح على قول محمد صادق]
٣٥٨	[قول الملا محسن الفيض]
٣٥٩	[تعليق على قول الملا محسن الفيض]
٣٦٧	[شرح الحديث الثاني والعشرون]
٣٦٩	[نص الحديث]
٣٦٩	[شرح النص: حجتان لله على العباد]
٣٦٩	[قول ملا رفيع]
٣٧٠	[قول ملا محسن الكاشاني]
٣٧٣	[شرح الحديث الثالث والعشرون]
٣٧٥	[نص الحديث]
٣٧٥	[شرح النص: العقل عماد الإنسان]
٣٧٦	[تكملة نص الحديث]
٣٧٦	[شرح تكملة الحديث: العقل دعامة في الكمالات العلمية والعملية]
٣٧٦	[تكملة نص الحديث]
٣٧٧	[شرح تكملة الحديث: لا يكمل الكامل إلا بالعقل]
٣٧٧	[تكملة نص الحديث]
٣٧٧	[شرح تكملة الحديث: ما به ينجو الإنسان ويسلم]
٣٧٨	بيان

٣٧٩	[تكملة نص الحديث]
٣٧٩	[شرح تكملة الحديث : ثمرة وغاية من عرف العلل الوجودية]
٣٧٩	تتمة
٣٨١	[شرح الحديث الرابع والعشرون]
٣٨٣	[نص الحديث]
٣٨٣	[شرح النص : العقل دليل المؤمن]
٣٨٥	[شرح الحديث الخامس والعشرون]
٣٨٧	[نص الحديث]
٣٨٧	[شرح النص : العقل أصل كل خير]
٣٨٩	[شرح الحديث السادس والعشرون]
٣٩١	[نص الحديث]
٣٩١	[شرح النص : العقل أعظم خلق في الوجود المتقيد]
٣٩٢	[قول محمد صادق والتعليق على قوله]
٣٩٣	[شرح الحديث السابع والعشرون]
٣٩٥	[نص الحديث]
٣٩٥	[شرح النص : تركيب العقل في الإنسان]
٣٩٦	[قول محمد صادق في الشرح]
٤٠١	[شرح الحديث الثامن والعشرون]
٤٠٣	[نص الحديث]
٤٠٣	[شرح النص]
٤٠٥	[شرح الحديث التاسع والعشرون]
٤٠٧	[نص الحديث]
٤٠٧	[شرح النص : النجاة متوقفة على الفهم]
٤٠٨	[تكملة نص الحديث]
٤٠٨	[شرح تكملة الحديث : بعض صفات حسن الخلق]
٤٠٨	[تكملة نص الحديث]
٤٠٨	[شرح تكملة الحديث : العالم لا تهجم عليه اللّوابس]

٤١٠	[تكملة نص الحديث]
٤١٠	[شرح تكملة الحديث: الحزم ومواطنه]
٤١٠	[تكملة نص الحديث]
٤١١	[شرح تكملة الحديث: بين المرء والحكمة]
٤١١	[ما نقله الكاشاني عن أستاذه]
٤١٢	[تكملة نص الحديث]
٤١٢	[شرح تكملة الحديث: في العقل العملي]
٤١٣	[تكملة نص الحديث]
٤١٣	[شرح تكملة الحديث: في لين الجانب]
٤١٣	[تكملة نص الحديث]
٤١٣	[شرح تكملة الحديث: كرم الأصل يكون مؤمنا صالحا]
٤١٤	[تكملة نص الحديث]
٤١٤	[شرح تكملة الحديث: من فرط تورط]
٤١٤	[تكملة نص الحديث]
٤١٥	[شرح تكملة الحديث: قياس مفصول النتائج]
٤١٧	[شرح الحديث الثلاثون]
٤١٩	[نص الحديث]
٤١٩	[شرح النص: من استحككت فيه جنود العقل]
٤٢١	[تكملة نص الحديث]
٤٢١	[شرح تكملة الحديث: بالدين يحصل الأمن من السخط]
٤٢٣	[شرح الحديث الواحد والثلاثون]
٤٢٥	[نص الحديث]
٤٢٥	[شرح النص: العجب بالنفس من جنود الجهل]
٤٢٧	[شرح الحديث الثاني والثلاثون]
٤٢٩	[نص الحديث]
٤٢٩	[شرح النص: ذكر الأصحاب وتفاوت درجاتهم وصفاتهم]
٤٣٣	[شرح الحديث الثالث والثلاثون]

٤٣٥	[نص الحديث]
٤٣٥	[شرح النص: ثبوت الواسطة بين الإيمان والكفر]
٤٤١	[شرح الحديث الرابع والثلاثون]
٤٤٣	[من نص الحديث]
٤٤٣	[شرح النص: بالعقل استخرج غور الحكمة]
٤٤٥	[تكملة نص الحديث]
٤٤٥	[شرح تكملة الحديث: في السياسة الحسنة]
٤٤٩	[خاتمة]
٤٥٣	المصادر
٤٧١	الفهرس

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>

مبعثرات

<https://t.me/scatterings>